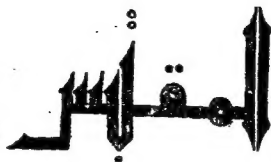






OS1.3

1709 1/2 Re



مجلة أدبية علمية اجتماعية

تصدر في كل شهر عربي بالقاهرة

لنشرها

محمد كردتلي

المجلد الثالث

١٩٠٨ - ١٣٢٦

قيمة الاشتراك: خمسون قرشاً مصرياً تدفع سلفاً

**AL MOKTABAS**

REVUE MENSUELLE LITTÉRAIRE

SCIENTIFIQUE ET SOCIOLOGIQUE

*Paraissant au Caire*

*Rédacteur - Propriétaire*

MOHAMMED KURD-ALI

Abonnement 12 francs

"Tome III - 1908"



طبع بمطبعة المنار امام محكمة الاستئناف بالقاهرة

80157

# بسم الله الرحمن الرحيم

تعالى جدهك اللهم خلقت الجماد والنبات والحيوان ، وكرمت ابن آدم .  
بنور العقل وفضل اليان ، فاستخدم عناصر الارض وجواهر السماء ، وأدرك  
سر الفلك وسير الفلك ودقائق الماء والهواء ، طوى البحار ، بالبخار ، والبيداء ،  
بالكهرباء ، وسوى الاطواد ، والانجاد ، فأصبحت بعد الجهاد ، بعض انوهاد .  
واحال اليابسة بحرا ، والبحر برا ، وصير من المجهل الخالية ، معالم نافعة ،  
ومن التفار الخاوية ، رياضاً ممرعة ، فجمع بعلمه الى المخلوق مصنوعا ، وغدا  
الوجود من مادتي الطبيعة والمقول مجموعا .

سبحانك ابدعت نظام الكون والفساد ، وجملت لكل شيء سبباً  
في المعاش والمعاد ، فلم تفقر فقيراً الا للحكمة ، ولم تكن غنياً الا بتيسيرك له  
اسباب النعمة ، ولا اهلكك من الأمم الا الظلمة لنفسها ، ولا رفعت منها  
الا الناظرة في يومها وأمسها ، فمن قانونك ان يسمى كل حي لبقائه بالقطرة ،  
وان لا يكون النشوء لساعته بالقطرة ، ومن استهان بالجزئيات لا يحرز  
الكليات ، ومن لم يعمل الفكر السليم لا يعرف حقائق الكائنات ، ناموس  
مطرذ لا تغيره الا زمان ، ولا يليه الجديدان ، فتندست أسماؤك ما أعظم  
سلطانك في السماء والارض ، وما ابر آثار هديك في الرفع والخفض .

وبعد فهذا المقتبس على رأس عامه التلث يدعو الى ما أنشئ للاخذ  
به من مذاهب التعليم والتهذيب ، والعلم والعمل . متقدمة الإصلاح وبنيرهما  
كل سعي ضائع ، والسلام لا يصعد اليه من رأسه . والبناء لا يقوم على غير

أسسه، فلسان حاله ومقاله ربو البنين والبنات، تصلح لكم الحكام والحكومات.  
وقوموا الوجدانات، وحسنوا الملكات، تصح الآداب وتسلم الديانات.

يتوفر على احياء القديم القويم - واحتذاء مثال الجديد المفيد - ويقتبس  
من كل نافع كيف كان قائله، ويمثل بعض اجدهم للنظار وان تشعبت مسائله.  
يورد الحاضر ويذكر بالماضي زيادة في الاعتبار والاستيعار، وينشر ما انطوى  
مما فيه حياة اللغة وجدتها، واللغة مبدأ سيادة الامة ومفتاح سعادتها. يخاطب  
الافراد قبل المجموع، ويقدم تعليم الصغار على الكبار. يقين ان الضعيف  
لا يتغلب على القوي بغير سلاح، ولا يكتب النصر لمن لا يستحقه. والاجسام  
تكون من الذرات، كما تقوم المجتمعات بقوى افرادها. وبصرهم بما ينبغي  
الثروة ويحفظ البيضة ويجود الاخلاق.

ولقد ارادنا بعض المفكرين على ان تتمحض في هذه المجلة لفرع خاص  
تعرف به، وموضوع معين لا تتعداه، ليكون ذلك أجمع للفائدة، وانفع  
في الاثر، وعذرنا اليهم بأن الاختصاص في علم واحد والبحث فيه من عامة  
أطرافه يستدعي مواد كثيرة وقراء يتلون ما يكتب بالقبول ليرجى معها حياة  
العمل طويلاً، ولواقتصرننا على البحث في آداب اللغة مثلاً كما أشار بذلك  
بعض النباه لاقتضى لنا مادة واسعة يكاد يكون أكثرها مفقوداً وان نستعين  
بخمسة على الأقل من المؤازرين المتمكنين من هذا الفن. ثم أين مجامعنا العلمية  
وخطب العلماء وعواورتهم في هذا الموضوع ليثني لنا ثقلها أو تحصيلها كبر مدة  
فأنا نرى مجالات الانسانيين في الغرب ينشئها على صغر حجمها عشرات من  
المشتغلين المتعطئين وهناك الجمعيات والمجامع تعد منها ولا تعدها.

هذا ما نقوله لمن نصحوا لنا بالتمحض لفرع من الفروع التي تخوض

فيها المجلة الآن في جملة ما تخوض فيه بقدر ما تسمح به الحال . وانا على يقين من انه متى كثر سواد المتورين على الاساليب الصحيحة تصدر لهم بطبيعة الحال عشرات من أمثال تلك المجلات المنشودة باللسان العربي واذ ذاك يعرف النسب ان للمطبوعات ثمنا لا بد من قضائه في أوقاته ولا يقع لأربابها مثل ما وقع لنا في السنة الغابرة من حذف نحو أربع مائة اسم من سجل المشتركين وكان نصفهم طلبوا الاشتراك برسائل منهم فلما ذكروا بوفاء ما عليهم سكتوا اللهم الا بضعة عشر واحدا منهم .

على ان طلبات الاشتراك ما زالت ترد علينا من بلاد ما كنا نظن أهلها يقرأون العربية ويرغبون في المجلات مصحوبة بقيمتها على الطريقة الغربية يشترك بعضهم عن رغبة من تلقاء أنفسهم وبعضهم بإرشاد بعض النيورين وعددهم لا يزال في نمو . ولا نكتم القراء ان مجموع ما ورد على الادارة في الحولين الماضيين لم يوف حتى الآن ثمن ما صرف في الورق والطبع والبريد فقط كل هذا ونحن نعد ما لقيناه ضرباً من ضروب الرقي في الافكار ونرى المقتبس ينجح نجاحاً كبيراً يوم يقوم بنفقته . اذ من البعث الاعتماد على العلميات الآن وعددها مذهباً من مذاهب المعاش الطبيعي ما دام الشرق العربي متأخراً بمجازفة هذا التأخر المحسوس لا سيما وان المتصدين للتأليف في الغرب قاسوا قبلنا من أهمهم ما لم تقاس نحن بعضه وما زال حال من يتقطعون عندهم للابحاث التي يقتضي فهمها شيئاً من العلم بالنسبة لمن يشتغلون بالامور الساذجة الهزلية دون ما ننوهم بكثير فلا فضل لنا اذا فيما نقادي به .

وهنا نتقدم الى من يتناولون المجلة في هذا القطر وغيره من الاقطار ان يعودوا أنفسهم ارسال اشتراكهم من أول السنة بدون مطالبة على نحو

ما تجري عليه الأئمة المتمدنة خصوصاً وكلهم الآن من أهل الرغبة المختارين . وقد زدنا في حجم المقتبس بحيث يقع مجلده آخر السنة في ثمانمائة صفحة جيدة الطبع والورق وكان في السنتين السالفتين ستائة وأستين وسبعين صفحة واستكثرنا من المواد التي تقتبس منها أو نعرّب عنها من مجلات وموسوعات أفريقية وأسفار ممتعة عبرية مع إبقاء قيمة الاشتراك بحالها . والله نسأل أن يحقق آمالنا لنقوم ببعض الواجب وهو يهدي السبيل .

### الادب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري

توطئة الناشر

من اعظم ما تدعو الحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الأئمة عليه وهو فن ذو افئنان يحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها . ومع فلة ما انتشر من كتيبه في جنوا من عدم انتصح وانسجام العبارات ما بعد كثيراً من الطالبين عن الاقبال عليها . ومن ثم كثر بحثنا عن كتب نفي بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها لتكون الفائدة مـ درجة وهو اقتنى آمال الذين يسعون في احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه في عهدها الاول . ولا ذهب الى مدينة بعلبك سنة ١٣١٣ رأيت عند بعض الاوائل اوردت فيها نسخة استعاره من بعض اعيانها فرأيت فيه الفائلة المنشودة وهي رسالة الادب الصغير ليعبد الله بن المقفع الكاتب الذي يضرب بيلاغته المثل فكيتها بخطي في نحو يوم وارجو ان ييسر لنا من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق .

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور : (١) كتب عجائب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كراسات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع الاحكام (٢) ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف صاحب ابني القادس اسماعيل بن عباد اوله « الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد استغفرت بالمجموع الذي

انتمسه في نسب النبي عليه السلام وبناته واعمامه وعلمه وجل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك « وهو اثنا عشرة ورقة وفي آخره نوكت في رجب سنة عشرين واربعمائة (٣) رسالة الى احمد بن ابي دؤاد في فضل العلم وهي ٣ اوراق وفي آخرها: نوكت في شهر ربيع الاول سنة عشرين واربعمائة (٤) ويتلوها كتاب الادب الصغير الذي نقلناه به في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ (٥) ويتلوها كتاب ذخائر الحكمة تأليف ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جواد بن خرد في حكم الفرس والمهند والروم والعرب تأليف احمد بن مسكويه وهو في أكثر من كراس .

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً والله وقت الامور اقدارها وهياً الى الغايات سبيلها وسبب الحاجات يلاغها فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد . والسبيل الى دركها العقل الصحيح . وأما مهجة العقل اختيار الامور بالبصر . وتنفيذ البصر بالعزم . والعقول صحيحة وغايرها تقبل الادب وبالادب نهي العقول وتزكو فكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر على ان تنحصر في سبيلها وتطرق وتنتظم فوق الارض يزهرتها وتضربها وريها وتنتجها الا بتعونه اثناء الذي يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها اذى اليس والموت ويحدث ما باذن الله القوة والحياة فكذلك لميقة العقل مكتونة في مغزها من القلب لا قوة لها ولا حياة به ولا منفعة عندها حتى يحتلها الادب الذي هو غاؤها وحياتها وتمتعها . وجعل الادب ينطق وكل انطق بالتعلم ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من انواع اسمائه الا وهو مروي . تعلم مأخوذ عن امام سابق من كلام او كتاب وذلك دليل على ان الناس لم يتدعوا اصولها ولم يأتهم عنها الا من قبل العلم الحكيم . فاذا خرج الناس من ان يكون لهم عمل اصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المظهرين ان احدهم وان احسن والبلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فقلعه فلانند وسموطةً وكأليل . وضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبيه بما يزيده بذلك حسناً فسمي بذلك صانعاً رقيقاً . . . وكصناعة النعب والفضة صنعوا فيها ما يحجب الناس من الخلق والآنية . وكالفحل وجدت ثمرات اخرجها الله طيبة وسلك سبلاً جعلها الله ذلاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجب به العجب المخترع المتبدع فانه انما اجتبه كما وصفنا .



ومن اخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه فلا يبين فيه في ذلك ضرورة فانه من أعين على حفظ قول المصيبين وعدي للاقتداء بالصالحين . والاحذ عن الحكمة فلا عليه ان لا يزداد فقد بلغ النابة وليس يتأقعه في ربه ولا يتأقعه من حقه ان لا يكون هو استحدث ذلك وسبق اليه وانما حياة العقل الذي يتد به ويتحكم خصائص ست : الاثار بالحجة . والمبالغة في الطلب . والثبوت في الاختيار . والاعتقاد بالغير . وحسن الوعي . والتعهد لما اختير واعتقد . ووضع ذلك موضعه قولاً وعملاً .

اما المحبة فانما يبلغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من امر الدنيا والآخرة حين يأنز بحبته فلا يكون شيء امرأ ولا احلى عنده منه . واما الطلب فان الناس لا يفتنهم حبه ما يحبون وهو ما يهوتون عن طلبه وابتنائه ولا يدرك لهم بهتبه تفاسيه في انفسهم دون الجهد والعمل . واما الثبوت والتخير فان الطلب لا ينفع الا معه . وبه فكل من مضى رشده وجدده والنهي مما فاضل منها الذي منه حرب والنهي الذي اليه . اذا كان الغضب يحوي خبره . يريد وهو لا يشك بالخبر فراحقه بشدة التبين وحسن الاستعداد . وانه اعتقاد الشيء بعد استبانه فهو ما يطلب من احراز الفضل بعد معرفته . واما الحفظ والتعهد فهو تمام المرات لان الانسان موكل به النسيان والقفلة فلا بد له اذا اجتنب موافق قول او فعل من ان يحفظه عليه ذمته لا وان حاجته واما البصر بالموضع فانما تصير المنافع كلها ان وضع الاشياء مواضعها وبنا الى هذا كله حاجة شديدة فانما لم نوضع في الدنيا موضع عنده وخفض ولكن موضع فاقه وكذا ولنا الى ما يملك بارة : فاما من المطعم والمشرب بالحرج من ان ما يثبت عقولنا من الادب الذي به تغاوت العقول . وليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الادب في نبات العقل . ولنا بالكذ في طلب المتاع الذي يمتس به دود الفقر والعيبة باحق منا بالكذ في طلب العلم الذي يمتس به صلاح الدين والدنيا . وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً يفتنهم على عذرة التعجب وصقلها وتجميله ابصارها واحياءاً للتفكير واقامة للتدبير ودليل على محمد الامور ومكرم الاخلاق ان شاء الله .

الواصفون اكثر من العارفين . والعارفون اكثر من الفاعلين . فليست امرأ ايتن يضع نفسه فان لكل امرئ لم تدخل عليه آفة نفسي من اللب يعيش به لا يجب ان له به من الدنيا ثمناً . وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب ان يسمى في ذوي الالباب ولا ان يوصف بصفاته . فمن رام ان يحصل نفسه لذلك الاسم والوصف اهلاً فليأخذ له عتاده وليعد له طول ايامه وليؤثره على اهوائه فانه قد رام امرأ جسيماً لا يصلح على القفلة ولا يدرك بالمعزة

ولا يصير على الاثرة وليس كسائر امور الدنيا وسلطانها ومالها وزيتها التي قد يدرك منها الثرائي ما يقوت المتأخر ويصيب منها العاجز ما يحظى به الحازم  
وليعلم ان على العامل امورا اذا ضياعا حكم عليه بقله بمقارنة الجهال . فعمل العامل ان يعلم ان الناس مشتركون مستوون في الحب لا يوافق والبغض لا يؤذى وان هذه منزلة اثنى عليها الحق والا كياس ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال من جماع الصواب وجماع الخطيئ وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة والعجزة .

### الباب الاول من ذلك

ان العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم ان احق ذلك بالطلب ان كان مما يحب واحقه بالانقاء ان كان مما يكره اطواه وادومه وإبقاء فاذا هو قد ابصر فضل الآخرة على الدنيا وفضل سرور المروءة على لذة الهوى وفضل الرأي الجماع العام اقليد تطلع به الانفس والاعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلا ثم يضمحل وفضل الاكالات على الاكلة والساعات على الساعة

والباب الثاني هو ان ينظر فيما يؤثر من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه فلا يميل اتقاه لتبخر الخوف ولا رجاءه في غير المدرك فيتكفح حاجل اللذات طلبا لا آجلا ويحتمل قريب الاذى توقيا بعيدا فاذا صار الى العاقبة بدا له ان فراره كان تورطاً وان طلبه كان تنكبا .

والباب الثالث من ذلك هو تنفيذ البصر بالعزم بعد المعرفة بفضل الذي هو اودوم وبعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف فان طالب الفضل بغير بصر تائه حيران ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانة محروم . وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والابانة لها والتكفل بها .

اما المحاسبة فيحاسبها بما لها فانه لا مال لها الا ايامها المحدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف الثقة وما جعل منها في الباطل لم يرجع الى الحق فينبه لهذه المحاسبة عدد الحلول اذا حال والشهر اذا انقضى واليوم اذا ولى فينظر فيما اتى من ذلك وما كسب لنفسه فيه وما اكتسب عليها في امر الدين وامر الدنيا فيجمع ذلك في كتاب فيه احصاء وجد وتذكير وتبكيك لنفس وتذليل لما حق تستر وتذعن

واما المحصومة فان من طباع النفس الامارة بالسوء ان تدعي المحاذير فيما مضى والاماني فيما يجي فيؤثر عليها معاذيرها وطلبا وشبهاتها

واما القضاء فانه يحكم فيما ارادت من ذلك على السبيل بانها نائمة مردية موقوفة ولحسنه

بانها زائنة مخفية مريحة . واما الابانة والتكبر فانه يسرق نفسه بتذكر تلك الحسنات ويرجو عواقبها وتأمل فضلها ويقاب نفسه بالتذكر للسيئات والبسع بها والاقشمار منها والحزن لها . فافضل ذوي الالباب اشد من نفسه بهذا اخذاً واقلهم عنها قرة وعلى العاقل ان يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً ذكرها يأسر القلوب ويقنع الطامع فان في كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر واما نانا باذن الله من الملح

وعلى العاقل ان يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الرأي وفي الاخلاق وفي الآداب فيجمع ذلك كله في صدر او في كتاب ثم يكتر عرقه على نفسه ويكفها اصلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفاً من اصلاح الخلة او الخلتين والخلل في اليوم او الجمعة والشهر فكلاً اسلم شيئاً مماه وكما نظر الى ثابت اكتب

وعلى العاقل ان ينفق بحسن الناس ويحفظها ويحسبها ويضع في توظيفها على نفسه وتمهدها بذلك مثل الذي وصفنا في اصلاح المساوي

وعلى العاقل ان لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استلخ الا اذا فضل في الدين والعلم والاخلاق فيأخذ عنه او موافقه له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وان لم يكن له عليه فضل وان الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمي الا بالمواظقة والمهذبة والمؤيدين وليس لذي الفضل قريب ولا حميم هو اقرب اليه واحب من وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته ولذلك زعم بعض الاولين ان حبة بليد نشأ مع العلماء احب اليهم من حبة يئيب نشأ مع الجهال .

وعلى العاقل ان لا يحزن على شيء فاته من الدنيا او تولى وان ينزل ما اصاب من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب وينزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه منزلة ما لم يطلب ولا يدع حظه من السرور بما اقبل منها ولا يلفن مكرراً ولا ضغياً فان مع السكرانيين ومع الطغيان التهاون ومن نسي وتهاون خسر

وعلى العاقل ان يؤنس ذوي الالباب بنفسه ويجربهم عليها حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره ورأيه فيستقيم الى ذلك ويرى له قلبه ويعلم انهم لا يقعون عنه اذا هو غفل عن نفسه .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على نفسه ان لا يشغله شغل عن اربع ساعات ساعة يرفع فيها حاجته الى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يقضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في امره وساعة يحل فيها بين نفسه وبين لذتها بما يحل ويحرم فان هذه الساعات عون على الساعات الاخرى وان استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها

وفضل بلنة وعلى العاقل ان لا يكون راغباً الا في احدي ثلاث خصال تزود به مادام مرته  
لعمري اولده في غير محرم

وعلى العاقل ان يحلل الناس طبقين مختلفين تباينين ويلبس لم لباسين مختلفين  
طبقه من العامة يلبس لم لباس اقتباس وانحياز وتحرز وتحفظ في كل كلمة وخطوة  
وطبقه من الخاصة يخلع عندهم لباس الشدد ويلبس لباس الانسة والطب والبذلة والمناوذه  
ولا يدخل في هذه الطبقه الا واحد من الف كلمه ذو فضل في الرأي وثقور سيفه الموده  
وامانة في السر ووفاء بالاخاء

وعلى العاقل ان لا يستعمر شيئاً من الخطأ في الرأي والزلل في العلم والاغفال في  
الامور فان من استعمر الصغير اوشك ان يجمع اليه صغيراً وصغيراً فاذا الصغير كبير  
وانما هي ثم يلحقها الصغر والتضييع فاذا لم تسد اوشكت ان تنفجر بما لا يطاق ولم تر شيئاً قط  
قد افي الا من قبل الصغير المتهاون به

قد رأينا الملك يوق من قبل العدو المخنقر ورأينا الصحة توفى من الداء الذي لا يضل  
به ورأينا الانهار تنبثق من الجدول الذي يخطف به — واقل الامور احتمالاً للضياع  
الملك لانه ليس منه شيء يضيع وان كان صغيراً الا اتصل بآخر يكون عظيماً

وعلى العاقل ان يبين عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً بان ظن انه على اليقين .  
وعلى العاقل ان يعرف ان الرأي والهوى متعاديان وان من شأن الناس تسوية الرأي  
وامحاف الهوى فيخالف ذلك ويلتمس ان لا يزال هواء مسوقاً ورأيه مسفهاً

وعلى العاقل اذا اشتبه عليه امر ان فلم يدبر في ايها الصواب ان ينظر احوالها عنده فيحذره .  
من نصب نفسه للناس اماماً في الدين فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في  
السيرة والعظمة والرأي واللفظ والاخذ ان فيكون تعليمه بسيرة المبلغ من تعليمه بلسانه فانه كما  
ان كلام الحكمة يوقى الا . ع فكذلك عمل الحكمة يروق الميوت والقلوب ومعلم نفسه  
بمؤدبها احق بالاخبار . لتفصيل من معلم الناس ومؤدبهم

ولله في ذلك عظيم

وعلى الوالي اربع اخصال هي اعمدة السلطان واركانه التي بها يقوم عليها بيت — الاجتهاد  
في اختيار والمبالغة في التقدم — والتمهيد الشديد — والجزاه الشديد

ما تختير للعمال والوزراء فانه نظام الامور وضع مؤونة البعيد المنتشر فانه عسى ان  
يكون بخيره رجلاً واحداً قد اختار الفاً لانه من كان من الباعل خياراً فيختار كما اختير  
هلعن على العامل وعمل عماله يملكون عدداً كثيراً فمن تبين اختياره فقد اخذ بسبب وثيق

ومن أسس لمره على غير ذلك لم تجد لبيانه قواماً . ولما التقدير والتوكيد فانه ليس كل  
 ذي لب او ذي امانة يعرف وجوه الامور والاعمال ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه  
 حقيقاً ان يكمل ذلك الى عمله دون توقيفه عليه وتبيينه له والاحتجاج به عليه واما المصنفان  
 الاول اذا ضل ذلك كان سميماً بصيراً وان الدامل اذا فعل ذلك به كانت مخصناً حريزاً  
 واما الجزالة فانه ثبیت الحسن والراحة من لدني .

لا يستطيع السلطان الا بالوزراء والاعوان ولا تنفع الوزراء الا بالمودة والصيحة  
 ولا المودة الا مع الرأي والصفاء واعمال السلطان كثيرة وقلا تسطيع الخصال المحموده  
 عند احد وانما الوجه في ذلك والسبيل اليه الذي يستقيم به العمل ان يكون صاحب السلطان  
 عالماً بامور من يريد الاستماعة به وما عند كل رجل من الرأي والفناء وما فيه من العيوب  
 فاذا استقر ذلك عنده عن علمه وعلم من يأتمن وجهه لكل عمل من قد عرف ان عنده من  
 الرأي والجمدة والامانة ما يحتاج اليه فيه وان ما فيه من العيوب لا يضر بذلك ويحفظ من  
 ان يوجه احداً وجهاً لا يحتاج فيه الى سرورة ان كانت عنده ولا بأمن عيوبه وما يكره منه  
 ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عالم وتفقد امورهم حتى لا يخفى عليهم احسان محسن  
 ولا اساءة سيئ

ثم عليهم بعد ذلك ان لا يتركوا محسناً بنير جزاء ولا يقرؤا مسيئاً ولا عاجزاً على  
 الاساءة والعجز فانهم ان تركوا ذلك تهاون للحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وضاع العمل .  
 اقتصاد السعي ابي الحجام وفي بعد الهمة يكون النصب ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان .  
 سوء حمل النقي ان يكون عند الفرح مرحاً . وسوء حمل الفاقة ان يكون عند الطلب  
 شرملاً . وطر القهارمون من طار النقي . والحاجم مع الحية خير من النقي مع البغفة . والدنيا دول  
 فا كان منها لك اتاك على ضحكك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . اذا جمل انكلام مثلاً  
 كان اوضح للخطى واين في النقي وأتق للسمع واوسع للشعوب الحديث

اشد الفاقة عدم العقل . واشد الوحدة وحدة العجز . ولا مال افضل من العقل . ولا أنس  
 أنس من الاستشارة — ما يستير به صلاح الصالح وحسن نظره للناس ان يكون اذا استعجب  
 اللذنب مشوراً لا يشيع واذا استشير سمحاً بالصيحة مجتهداً للرأي واذا استشار مطرحاً للحياء  
 ومعتزاً بحق

القسم الذي يقسم للناس ويمتحنون به نحو ان فنة حارس ومنه محروس فالخامس العقل  
 والفرس والقال  
 والعقل باذن الله هو الذي يحرز الخط ويؤنس التربة وينفي الفاقة ويعرف الحكمة ويغفر

المكسبة ويطلب الثرة ويوجه السوق عند السلطان ويستنزل للسلطان نصيحة السوق  
ويكسب الصديق وينبي العدو

كلام اليبس وإن كان نورا أدب عظيم ومقارفة المأثم وإن كان مختفرا مصيبة جليلة  
ولقاء الإخوان وإن كان يسيرا غنم حسن

قد يسي إلى أبواب السلطان اجتناس من الناس كثير أما الصالح فدعوه وأما الطالح  
فمعتقه وأما ذو الأدب فطالب وأما من لا أدب له فحسب وأما القوي فدافع وأما  
الضعيف فدفع وأما الحسن فستيب وأما المسيء فمستجير فهو جمع البر والفاجر والعالم  
والجاهل والشريف والوضيع

الناس إلا قليلا من عزم الله مدخولون في أمورهم فقاتلهم باغ - وسامهم عياب -  
وسائلهم تمت - ويحبهم متكلف - وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل - وموعظهم  
غير سليم من الاستغفاف - والأمين منهم غير تحفظ من اتیان الخيانة - وذو الصدق غير  
محترس من حديث الكذبة - وذو الدين غير متورع عن نفريط العبوة - والمأزم  
منها غير تارك لتوقع الدوائر - يتناقضون البنى - ويتربصون الدول - ويتعاطون التبع -  
ويتمايجون بالفمز - ويرعون في الرضاء بالهاسد - وفي الشدة بالتجانب

ثم قد انتزعت الدنيا من قد استمكن منها واعتكفت له فأصبحت الاعمال اعمالا  
والدنيا دنيا غيرهم واخذ متاعهم من لم يحمدهم وخرجوا إلى من لا يذرهم فأصبحت خلقا من  
بعدم تنوق مثل الذي تزل بهم فمن إذا تدبرنا أمورهم احقاء ان تنظر ما نبتطم به  
فتنبه وما غفأ طيبهم منه فنجته

كان يقال ان الله تعالى قد يأمر بالشيء ويبتلي بشقله وينهى عن الشيء ويبتلي  
بشهوته فإذا كنت لا تعمل من الخير الا ما استيت ولا تترك من الشر الا ما كرهت فقد  
اطلعت الشيطان على عورتك وامكنته من ازمه بك فأوشك ان يقيم عليك فبما تحب من  
الخير فيكرهه اليك وبما تكرهه من الشر فيحب اليك . ولكن ينبغي لك في حب ما تحب  
من الخير التعامل على ما يستقل منه وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب  
لما تحب منه

للدنيا زخرف يظلم الجوارح ما لم تغلبه الالباب والحكيم من لم يفض عليه طرفه ولم  
يشغل به قلبه اطلع من ادناه فبما وراءه وذكر في بدته لواجب شره فأكل مرة وشرب  
ككرة ليجلي له ويصوفي طول من اقامة العيش الذي يبي ويدوم غير عائف للرشد ان  
لم بالله يرشاه ولم يأتيه من طريق هواه

لأقارب المسوخ ولا تقرب لي غير الثقة . قد بلغ من الله على الناس من السعة  
وبلغت نعمته عليهم من البوغ ما لو أن أحسبهم خطاً وأقلهم منه نصيباً واضعيفهم علماً وانجزم  
عملاً وإعجابهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص إليه من فضله ووصل إليه من  
نعمته ما يبلغ له منه أعظمهم خطاً وأوفرهم نصيباً وأفضلهم علماً وأقوامهم عملاً وإبسطهم لساناً  
لكأن عما استوجب الله عليه مقصراً وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً ومن أخذ بحظه من شكر  
الله وحمده ومعرفة نعمه والثناء عليه والتحميد له فقد استوجب بذلك من أدائه إلى الله  
والقربة عنده والوسيلة إليه والمزيد فيما شكره عليه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة

أفضل ما يعلم به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح أن يستصلح بما أوتي من ذلك ما  
استطاع من الناس ويرغبهم فيما يرغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته  
والرجاء لحسن ثوابه في المعاد إليه وإن يتبين الذي لم من الأخذ بذلك والذي عليه في تركه  
وإن يورث ذلك أهله ومعارفه ليحققه أجره من بعد الموت

الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله تعالى إلى خلقه وانقضا منفعة واحدها  
في كل حكمة قد بلغ فضل الدين والحكمة أن مدحا على السنة الجهال على جهالتهم بها  
وعام عنهما

أحق الناس بالسلطان أهل الرأفة وأحقهم بالتدبير العلماء وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديباً  
وأحقهم بالثقة أهل الأود وأقربهم من الله أفقدهم في الحق علماً وأكملهم به عملاً وأحكمهم  
أبعدهم من الشك في الله تعالى وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله وأشدّهم انتفاعاً بعلمه أبعدهم من  
الاذى وأرضاهم في الناس أنشام مرفوا وأقوام أحسنهم معونة وأشجعهم أشدهم على الشيطان  
وأغلبهم بالحجة أغلبهم للشهوة والحرص وأخذهم بالرأي أتركبه للهوى وأحقهم بالمودة أشدهم  
لنفسه حياة وأجودهم أصوبهم بالمعاطية موصفاً وأطولهم راحة أحسنهم للأمور حذلاً وإتباعاً  
دهشاً أرحمهم فرحاً . وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتي . وأخفهم عيشاً أبعدهم من الآفات .  
وأظهرهم جمالاً أظهرهم حصافة

وآمنهم في الناس أكلمهم نايكاً وعظماً

وآتيهم شهادة عليهم انطقهم عنهم

واعلم فيهم أدومهم مسألة لم

وأحقهم بالتم شكرهم لما أوتي منها

أفضل ما يورث الآباء الأبناء الثناء الحسن والادب النافع والاخلاق الصالحون  
١ . ما بين الدين والرأي أن الدين يسلم بالإيمان وإن الرأي يثبت باعتصومه فن جمل



الدين خصومة فقد جعل الدين ر . ومن جعل الدين رأياً فقد صار شارعاً ومن كان هو  
بشرح لنفسه الدين فلا دين له  
قد يشبه الدين والرأي في إما كن لولا تشابههما لم يحتاجا الى الفصل  
( للكتاب بقية )

### الحاجة العامة

قال الراغب : الناس ضربان خاص وعام فالخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق  
دون التقليدات ومن الاعمال ما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحياة  
الدنيا والعالم اذا اعتبر بأمور الدين فالذين يرضون من المعارف بالتقليدات ومن اكثر  
الاعمال بما يؤدي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بأمور الدنيا فالخاص ما يتخصص بأمور البلد  
مما يخرج من افتقاده احدى السينات المدنية والعالم مالا يفرم بافتقاده شيء منها . وهم من  
وجه آخر ثلاثة خاصة وعامة واوساط والاوساط هم المسكون بين كلام العرب بالسوق  
فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعامة هو الذي يساس ولا يسوس والوسط هو الذي  
يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه . ومن وجه آخر ثلاثة اضرب اصحاب الشهوات  
ومهم الجدة واليسار والااكل والشرب والجمال واصحاب الكرامة والرياسة ومهم المدح  
واستجلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من  
جنسه . قال بعض الحكماء : ما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض  
النبات تكون الانسان مشاركا لها في الجنسية وان كان مباينا لها في النوعية فمن الناس  
غشوم كالاسد وعائث كالذئب وخبث كالكلب وشرة كالخنزير وجامع كالتملوق والحق كالذباب  
وبليد كالجمار والوف كطير الوفاء ومنع كالسرفة ١١ واثف كالاسد والثر وغرور كالديك  
وهادي كالحمام ومنهم حسن المنظر والخير كالأترج ومنهم بخلاف ذلك كالضفد والبوط  
ومنهم قبيح المنظر حسن الخير كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح الخير كالخطل والذئب  
والؤمن الخير هو في الحيوانات كالتملوق يأخذ اطياب الاشجار ١٢ يقطع ثمرها ولا يكسر شجيرها  
( ١١ ) دوية نخد يبتأ مربعا من دقاق الميدان تجمعها بين غزل التعكبت وفي المثل  
اصنع من سرفة واخف من سرفة

ولا يؤذي بشراً ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه ويحاج ملعمه ويطيب ريحه وهو في الانجرار كالاترج يطيب حملاً ونوراً وعوداً وورقاً والمتافق الشريف هو سيف الحيواة كاتنمل والارضة وفيها الاشجار كاتكشوت (١) فلا اصل له ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا زهر يسد النار ويبس الاشجار كالشجرة التي قل ثورتها وكثر شوكها وصعب مرتعاها .

هذا ما ذكره الاصفا في وصف طبقات الناس وما يرجى منهم من المنافع وما يخشى من مضارهم قاله منذ زهاء ثمانمائة سنة ويقال مثله بعد قرون كما يصح إطلاقه على ألوف من الذين من قبل . ويرى الناظر في هذه الحياة الدنيا من سلطان الاوهام انكشيرة تأثيراً في دفع الناس بعضهم عن بعض ولولا ذلك لاختل النظام او كاد . وكان معظم تأثير الاوهام في خلال القرون الوسطى ايام انتشار الافطانات وتسلسل الاشراف وروساء الديانات في الغرب اما في الشرق — وتزيد به البلاد العربية — فن الاوهام كانت تسيطر على الناس بعد الاسلام بهب حال الحكومات المنغلبة من العقل واجهل والدين والاخذ ولذلك اتت على العلة ادوار كانوا يعتقدون ان الخاصة من طبنة غير طبنة البشرية احق بالقدس قدسوم ورفهم فوق القدارم ولم تكن نفوس الطبقة العانية من التهذيب بحيث تحسن استعمال هذه الامتيازات التي امتازت بها بل استعملتها ذرائع الى الاستكثار من التروة من غير حلها وتجميع بالباطل بما لم يأمر به شرع الهي ولا عقل انساني ولذلك صرت ولا تزال ترى بين الطبقة العليا والدنيا من الفروق ما لا نراه في اكثر الامم اللهم الا اليهود والصينيين فلن مصادفة الخلف بين طبقات الناس هناك مما يجلب منه ايضاً .

انته اهل الغرب لسر الاجتماع البشري اكثر منا . والفالبان سلطة الاشراف واهل الطبقة العالية بلغت عديم قيل نهضتهم مبلغاً لا تطيقه نفس بشرية فكان القيام على تزع تلك السلطة من اول الاصلاح عديم ثم بقيت الطبقات تتقارب بعضها من بعض والى اليوم لم يبلغ هذا التقارب اشده عديم ولكنه لو قيس بما بين مختلف الطبقات في شرقنا لعد غاية الارتقاء .

اذا تقارب الخاصة من العامة وعرف كل حقه ولم يتعده تستقيم احوال المجتمع وتقوى دعائمه وتثبت في نفوس ابناءه روح التضامن الحقيقي واذا بقيت كل طبقة مقصورة على اهل طبقتها يحدث بين الطبقات من سوء التفاهم ما لا يكون منه حضارة ولا غبطة . العامة هم

(١) ثبت يعلق بالاخصاف ولا عرق له في الارض ويسميه الفلاحون في غوطة دمشق بالثغفوت اذا سطا على التنب او غيره من المزروعات الصيفية اهلكها وك اهلك فيها من اموال ولم توجد طريقة لرفع ضرره

سواد كل امة وهم القائمون على الزراعة والصنائع المختلفة والاعمال الصعبة والخاصة افراد قلائل .  
وفوتهم بالفكارهم وعقولهم في الامم الاغلب من احوالهم . والمائل جنيبي له ان يحسن الانتفاع  
من كل شيء في هذا الوجود فما الحال بانتفاعه من مخلوق مثله لو علمه بعض الضروريات  
لكان عمله له ولنيره اتم واعم .

مضى العهد الذي كان العلم فيه مقصوراً على اهل طبقة خاصة ككهنة قدماء المصريين  
واشراف اليونانيين والرومانيين ورجال الاديار والصوامع في القرون الوسطى . مضى ذلك  
الزمن وما نطقن يعود مثله على البشر بعد وقد اخذت حضارة الغرب تنفيذ انوارها حتى الى  
الفقر ويستثير بها المتخلفين والتوحش يحسب ما رزق من قوة بصيرة وبصيرة طوي ذلك البساط  
بما عليه جملة ولن يعود الى سالف حاله بعد ان توفر جمهور كبير من علماء الغرب يخطبون  
العامة في مجالسهم بما لا يعلمون افكارهم ويمثلونهم في مدراس ليلية اقاموها لتعليم من لم  
يسمعه الحظ بالتعليم وبعد ان انشؤا جرائد لهم خاصة ووضعوا المجلات والكتب للفقير  
الافكار الصحيحة والمعارف اللازمة من ايسر الطرق واخصرها وبعد ان فقروا لم المعارض  
والتاحف ودور التمثيل تكون منهم مقومات العقول على طرف الثام وبعد كل ما اقاموه  
لنفعهم من اسباب التعليم يستحيل ان يخالط عامتهم في حقائق الاشياء بمداييمهم وقد غلظوا  
فيها زمناً طويلاً .

قال سيابل (١) : لا غنية للديمقراطية عن خيرة رجال كالا يسعها الا ان تقدر  
الذكاء والعلم والفضيلة حتى قدرها . ولا مشاحة في ان الديمقراطية تأتي على الحواجز التي  
كانت تحول بين الطبقة العالية وجمهور الامة فندكها من اساسها وذلك لان المجتمع يختار  
كبار الرجال من جمهور اهل البلاد ممن ينشئون ابداء بين ظهراني عامة الناس ولا يزالون  
يتمون ويقعدون بما يصدر اليهم من حوض القوة والنشاط واعني بهذا الحوض العامة . فاذا  
اعتزل اولئك الرجال واقنعوا على الاجتماع بابناء طبقتهم محقرين ما عداها فانهم يقضون  
على انفسهم بالضعف وعلى امرهم بالقتل . ليس الشعب هو الجمهور بل هو الامة وهو الحاكم  
الحق . والفكر لا يكون الا مجردات ونظريات اذا لم يكن له كيان وحقيقة تؤثر في عقول  
ابناء الامة وارادتهم . وعلى الطبقة الخاصة من الناس وهي في الاصل بمنزلة مجهلاء الامة  
واهل الوضاعة منهم ان يكون هناك اتصال بالشعب وعليها ان تعمل على اقتناص لثالث ثقته لتصل  
به وتشركه في معرفة الحقيقة السامية التي تخضع لتأموسها الاراءات مختارة وعلى مجموع من

(١) كتاب الثرية او الثورة لجبرائيل سيابل يطلب من مكتبة ارمان كوللين ياريز  
Gabriel Séailles : Education ou Révolution , Librairie Arman Colin paris

يتألف منهم المجتمع الديمقراطي ان يشتركوا بالحياة العقلية لانهم كلهم يشتركون في الحياة الوطنية اهـ

ولقد ذكر في نقوس خاصتنا زمناً طويلاً بان اجتماعهم بالعامة يمد منقصة وسية ولذلك كانوا واكثر من يتطلعون الى التشبيههم من اهل الطبقة الوسطى في العقول يشتمزون من الاختلاط بنير طبقهم كأن العلم يزعمهم يفسد اذا أُلقي على من ينقع به او انه تذهب بركته ويزول بهالؤه ورواؤه وقد كان هذا الخلق يقوى في الشرق على عهد ضعف الازعير العربي والسياسي والخلال التريتين البيئية والمدرسية .

وما مجالس الوعظ ابام الحضارة الاسلامية الا من بركة تلك العقول الكبيرة والنزيرة الراقية فكنت ترى امثال الحسن البصري والفخر الرازي وابن الجوزي ومئات غيرهم سيفي المساجد والتاير يعظون العامة لعلوم ما حرموا منه فيما ينفعهم في دينهم ودنيام . بدأ ذلك على عهد الخليفة الرابع فكان يأتي بواعظ العامة ويسأله فان رآه متمكناً من العلم بحيث لا يضل الناس بكلامه اذن له بالوعظ والا منعه وما كان جلة العلماء يستكفون من تفهيم العامة كما كانوا يعلمون الخاصة

وظاهر ان ما كانوا يلقونه على مسامع جمهور الناس من انواع العلوم لم يكن في صموجته كالذي يلقونه على خواصهم ولذلك قلما كان يتأق البث بمقول العامة في القرون الستة الاولى للاسلام فقربوا من الخير والسلامة من اكثر خاصة الصور المتأخرة من جملا الدين سلكا الى الدنيا وقشور العلم للباهاة . ومقادير الخاصة والعامة في كل امة نسبية في الغالب فقد يكون رجل من طبقة الخواص في امة فاذا قيس بنيرها من الامم الراقية لا تنزله الا منزلة العوام .

قال الاصمغاني : لاشيء اوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرياسة بالعلم من الاخلال بها يشتر الشر وتكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك ان السواس اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرياً وباطنيهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكام وحكمهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم على بواطن العامة وصلاح العالم بمراعاة امر هذه السياسات لتقدم العامة الخاصة ونسوس الخاصة العامة وفساده في عكس ذلك ولما تركت مراعاة المتصدي الحكمة والوعظ ترجيح قوم للزعامة بالعلم من غير استحقاق منهم لما فاحدثوا بجهلهم يدعوا استنفوا بها العامة واستجلبوا بها منقمة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لما كثرهم لم وقرب جوهرهم منهم .

فكل قرين الى شكله كأنس الخنافس بالتقرب

وتفحوا بذلك طرقاً منسدة ورفضوا بها ستوراً مبسلة وطلبوا منزلة الخاصة فومسوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشره فبدعوا العلماء وكثروهم اعتصاماً لسلطانهم ومنازعة لمكانهم واغروا بهم اتباعهم حتى وطؤهم باختنائهم واغلاقم فنولد من ذلك البوار والجور العام اه ولقد بقي من دروس الوعظ او القصصين كما كانوا يدعون قديماً اثر ضئيل في بعض البلاد الاسلامية ولكن ضررها يربو على نفعها لان من يتولون امرها في الاكثر فلما يدركون مبلغ القوالم وتأثيراتهم ومعظمهم ممن تزبيوا قبل ان يتحصروا فراحوا على قلة علمهم وعملهم يدعون الى الخرافات في الاغلب يستهلون الكلام في الزعم في الدنيا وذكر فضائل الايام والمواسم واكثر خطب الجمع من هذا القليل او هي ادعى وامر . اما الخاصة الحقيقيةون في الامة فقد اضطررتهم القوضى في العلم والنظام الى ان يقبوا في بيوتهم ويكونوا احلاسها واقصروا اليوم من تعليم العامة على من يلوذون بهم من اهلهم واصحابهم وجيرانهم . والعشرة تعدي جرائيمها .

القيام على تعليم العامة عندنا ليس بالامر الحديث كما هو في الغرب ولكن امسليه بليت بين اظهرنا ونمت اي نموعندهم شأن الأمم الراقية والنازلة هذه يسمخنها كل شيء حتى جمال وجوه اهلها وتلك يرتقي فيها كل شيء حتى موبقاتها وشرورها . ولا تقصد جعلهم العامة ان تعلم ما يصدم عوام بسبيله من امور المعاش ولكننا نقصد ان يطوا كرامة ابناء اليايان القواعد الاساسية القليلة ليستجبل بعدها التلاعب باهوائهم ويكونوا عوناً للخاصة في كل عمل نافع لا عثرة في سبيل كل مشروع ينهضون بلا سبب معقول ويسكنون كذلك .

زريد ان يعلم العامة القراءة والكتابة البسيطة ومبادئ التاريخ والجغرافيا والحساب والاقتصاد والصحة وتدبير المنزل وشيئاً من آداب الدين التي لا تملو عن افهامهم وعندها يشاركون الخاصة في الفهم ان لم يكن في معظم مسائل الوجود ففي بعضها وهناك من الفائدة لفحاسة ما لا ينكره عاقل ويكفي انهم لا يعدون غرباء كأنهم من عالم آخر اذا نزلوا بين قوم في الاريااف والقرى والساكر اذ يجدون فيها من يزيل عنهم موجبات الوحشة ويقدمهم قدرم في الجملة . هذه الطبقة من العامة اذا كثرت في الشرق العربي مثلاً تكون حاله احسن مما هي عليه بما لا يقاس ويقل تهرم المتعلمين المتورين من عشرة الاميين العاميين ولا سيما في المدن الصغرى حيث لا عقل يفكر الا في الامور البسيطة من المعاش وقل من يشارك في الشؤون العامة .

قال الجاحظ نقول العرب : لولا الزنات لمهلك الا نام وقال بعضهم في تأويل ذلك لولا ان بعض الناس اذا رأى صاحبه قد صنع خيراً انشبه به هلك الناس وقال الآخرون انما ذهب الى انس

بعض الناس يعض كانه قال انما يصايشون على مقادير الانس الذي يتعم ولو تعمم الوحشة عتم الملكة .

واذا لم يتيسر لبلادنا الآن ان تؤسس لها مجامع ومدارس لهذا الصرب من التعليم فما اخرى كل من رزق علما خرج به عن العامية ان يجمع حوله طائفة من اهله وجيرانه يرشدهم وبلتعم بحسب ما يعرف ويصحح لم افكارهم القاء ويطلعهم بالم يسددهم الحفظ بتعليمه في كتاب . ولا اعلم في بلادنا احدا يهتم بتعليم العامة وتصحيح الافكار مثل الشيخ ماهر الجزائري على اتساع مادته في العلوم المختلفة اتساعا لم اراه في عالم عربي وقد انتبه بعض علماء فارس لهذه الكثرة فاختدوا ولا سيما في العهد الاخير يخدمون العامة بما ينفعهم ويطبقون لم المدنية على حسب عقولهم وهم هناك بضعة عشر رجلا ورأسهم المجتهد السيد جمال الدين فقد قرأت له خطبا في هذا الموضوع لا تغفل في جودتها عن خطب ارنست لافيس وجبرائيل ميابل وغيرهما من فلاسفة فرنسا المعاصرين ممن لا يرون حطة في اقدارهم ان يتزولوا لتعليم العامة لا عيارهم اياهم عمد اخبية المجتمع وقواعد بيان بني الانسان .

ان يومنا نرى في هذه البلاد مملوءة بخزائن كتب يختلف اليها العامة فيستولون فيها ما شاؤوا من المطبوعات والاسفار البسيطة النافعة ومدارس ليلية او نهائية ابتدائية لتعليم الكبار والصغار والبنات والعبيان ومعارض ومناشط في كل مديرية او متصرفية او عالة هو يوم سيد يسوخ بعدها لامتنا ان تدعي انها راقية نسحق استقلالها في سياستها اذ حررت العقول من ظلماتها .

### الرياضة المعقولة

قل استعمال الالاب الرياضية في هذه البلاد لان الفقير لا بقدر فوائدها قدرها ويروض جسمه من حيث لا يشعر باعماله اليدوية وحركاته اليومية اما الغني فيرى سعة الاكثر ان اللعب لترويض الجسم منقصة وسبة لا ينطبق مع الوقر والزفان . ولما كان اجسادنا يصرقون الى الالاب المختلفة آتوات فراغهم كانت اجسامهم اصح وامراضهم اقل . دام ذلك الى عهد قريب وضعت الالاب الرياضية بيننا بضعف العلوم ويدلك على عناية قومنا بالرياضة قديما انهم افردوها بالتأليف وعددوا ضربها واساليبها .

ولقد كان صلاح الدين الايوبي ونور الدين زنكي اذا استراحا قليلا من جهاد

الصليبيين يصرفون شطراً من أوقاتها في ركوب الجياد والسباق في غنجل اللون بظاهر دمشق ولا يريان بذلك تكبراً . ولا أنكر احتذاء ذلك الصرع على حينها ما يأتيه من هذه السليكات الخبيثة للأوقات قال له : أختاسمين بها على تقوية أجسامنا لئلا نضمف عن التزال ومقارعة الأبطال . ولم يزل في بعض بلاد الشام اثر من آثار هذه الألعاب بين أبناء الطبقة المتوسطة والدنيا ومن أهمها ركوب الجياد للسباق والركض والوثب والسباحة ولعب العصا والصراع كما ترى منها بعض الشيء في هذا القطر .

يبد أن التريين سبقونا اشواطاً الى كل محمدة ومن جملة ما يمتاز به خاصتهم وعامتهم عن خامتنا وأعمالنا الألعاب الرياضية يأثونها كأنها من الضروريات كالأكل والشرب والنوم حتى قال بعضهم إن على نسبة ارتقاء الألعاب الرياضية في أمة نفوى اجناتها وتطول اعمارها وتصح عقولها والعقل السليم في الجسم السليم . ادركوا ان غاية الحركات الطبيعية بث القوة في عامة الجسم لاجلها فاصرة على بعض الاعضاء فانسائط القلب المقرب بنشأ . من الافراط في انهاك احد الاعصاب بالعمل وإفناء قوى بعض الحواس . فترى الجبار من اعتاد رفع الأثقال قوى العضلات ولكنه ضعيف الساقين اذا أريد على الجري انقطع نفسه وخائنه رجلاه ولئن كانت اعضاؤه متينة فآلته التنفسية سيئة السيرو لا يعالج هذا النقص الا بقرينات منمجة حتى ان المصارع نفسه يحتاج الى الرشاقة في حركاته اذا عرض له انومويل في سكتة او حريق في داره ليتأني له ان يقفز ويصعد الدرج ويروحل على الجبل . اما عامة الناس فهم كما استحكمت قوتهم وزادت خفة اجسامهم يستمدون لتسلق الجبال وحمل الاحمال والقفز والسباق . وعذا الميل الى كل ضرب من ضروب الرياضة وان أريد به التسلي فهو من الضروريات لقوام البنية حتى يكون من الناس كما يقول الفيلسوف هيريت سبنسر « حيوانات صالحة » أي اناس لم من تراكيهم الطبيعية ومن اعصابهم وحواسهم الباطنية ما يؤهلهم للقيام بما في طاقهم بدون ان ينقص عضو من عضوشم أو يقوى عصب بضعف اخيه . ولذلك كثرت اساليب الرياضة وكلها تدور على قوانين طبيعية مبنية على علم التشريح والحياة والميكانيك . وعن قام يدعو الى طريقته في الرياضة رجل من اهل السويد اسمه ليج نظري الطرق المتبعة في التريض مخالف للتيج منم في التربية الطبيعية التي من شأنها اعداد اناس منبسطة قلوبهم فاستعاض عما كان أهل الرياضات يستعملونه من قبل بالتجارب من الألعاب باساليب له معقولة معتقداً ان احسن رياضة لتحسين الجنس الانساني في مجمره لتليل اسباب الضعف وتقوية الابدان تقوية عامة . تعلم هذا الرجل التعليم العالي وانصرف الى اللاهوت والادب لاول مرة فصنفت فيهما وألف عشفة ملاهو :



فيه من الاشغال العقلية عن النظر في الالعب الرياضية الى أن الذي به جريت فرنسا بين في كوينهاغ اوائل القرن الماضي ضلاء المسابقة « لعب السيف والترس » فهو فيها حتى عين معلماً لحمل السلاح في كلية لوند وكان حاد الفكر والتصور صعب المراس لا يقف في امر يتخطاه عند حد التوسط فاعتدى بذلكه الى ان وراء المسابقة واحسان الكر والفر مقصداً اسمي فاحذ نفسه بدروس منافع هذا الفن ونظر في التشريح وعلم النفس وتوغل في التاريخ فرأى ان السكندريين كانوا يستعملون الرياضة اليونان من قبلهم كذلك وتبين له ان ما هو ماثل في مصانع اليونان وما يليهم من جمال الوجوه وثنايب الاعضاء وصحة الجسوم انما كان بفضل الرياضات التي يرواها وتثبت له ان تحسين النسل وجماله وجودة الصحة الطبيعية والاخلاقية نشأ من استعمال الرياضة العقلية .

قام هذا الخطر في ذهنه ولم يبرح وجدانه الا عند ما تقدم الى حكومة السويد ان تنجبه شيئاً من المال يستعين به على نشر طريقته فودته ردّاً غير جميل وندته مخزناً اخفق فخط من ذلك وهو خضوب عبوس الا انه لم يأس . وكان نجاحه في نيانه على المطالبة . فصدر الامر الملوكي سنة ١٨١٣ بانشاء مجمع علمي للالعب الرياضية في استوكهولم عهد اليه ادارته ووفق الى تحقيق الافكار التي كانت تخالج صدره وان كانت تلك الافكار مشوشة مرتبكة لاول امرها الا ان العمل يحلها والبحث يهذب اصولها وفرعها وساعده على نيانه ما تم لهم من الاكتشافات الحديثة وزيادة انتشار فن الطب ومعرفة ما بين اعضاء الجسم من الصلات .

اما طريقته فهي في الحقيقة مجموع اعمال صحية غايتها تقوية الاعصاب وان يقاوم المرء المؤثرات المفسدة ويستمد دفع الاخطار التي تحيق به . وبفضل الجهاد الذي جاعده لفتح في اعماله زاد في مدة نصف قرن معدل فاملت الجنود في تلك البلاد ثلاثة سانبات وطالت الاعمار فصار معدل الزيادة تسع سنين عن ذي قبل . ولما ثبت ذلك بالبرهان والاحصاء ارادت بعض دول الغرب ان تبجري على طريقة السويديين فادخلت طريقة لفتح المدارس الجامعة وتكن . الجنود ولكن النصر اللاتيني لم يفلح كثيراً في الجري على تلك الخطة لان اهل شمالي اوربا ارق منه في معنى التوفر على الواجب والمبالغة في الخضوع لضروب السخرة المملة فلا يتبرمون من تكرار حركات واحدة وحضور جلسات طويلة على نمط واحد كما يتبرم اهل النصر اللاتيني .

وبعد فان من فوائد السباق وفوائده في التربية انه يضطر صاحبه الى تمام النظام ويعدده لقيام بالفروض الجندية ولذلك نرى الجنداء في القوارب وهم مشطرون الى تطبيق

حركاتهم بعضهم على بعض وان يسهروا بنظام تام يأتون في ذلك مثلاً من سنة إلى سنة والتكافل وكذلك الحال في لاعبي الكرة مخصوصهم لأمراضهم . هذه الألعاب احسن مدرسة للشبان كل يوم لانها لا تبقي عضلة الا وتترك في خللها وتغير الحركات التنفسية مع رفع الاعضاء وبذلك يقوى الصدر وتكبر رقبته وتنضج ضربات القلب وتصلب الاعصاب وتزول المفاصل .

ولكن هذه الطريقة في الألعاب على ما هي عليه من النفع بحيث جرى العمل بها في الكنائس والمدارس يصعب ان يجري عليها من يتعلمونها بدءاً لان الشككة او المدرسة اذا خصصت للجندي والتبذ ساعة كل يوم للرياضة فمن الصعب على من يدخل في مدرسة هذا العالم ان يصرف هذا القدر من وقته كل يوم . بيد ان القوم اخترعوا صوراً من الألعاب لا يحتاج معها المرء الى شيء من الادوات ولا تأخذ له من الوقت اكثر من عشر الى خمس عشرة دقيقة .

وقد كثر تحدث الناس في اسكاندنيا مبد طريقة لفتح طريقة اخترعها ماريالدينيكي وما وفق الى اتقانه في كل فرع من فروع الألعاب وهذا الرجل يحسن تعاطي الجذاف والسباحة والتزحلق Patinage والصراع والمشي وحمل الاثقال والقفز والملاكمة والسهر السريع وقد نال من ذلك ١٢٣ جائزة حتى قال فيه احد المصورين : انك بهذا اجل مخلوق رأيت في حياتي . بل انه كتب مؤخراً انه سيزيد نفسه جمالاً ورقة مع انه الآن في الاربعين من سنه . وتاريخ هذا الرجل غريب في بابه وذلك ان اباه كان عقل الصحة مبتلى بعدة امراض وهو كان في صفه كثيراً الامراض ايضاً وقد قال عن نفسه : اني لما ولدني امي لم يكن وزني اكثر من ثلاث لبرات ونصف بحيث كانت علة لقالف نسني وفي السنة الثانية أصبت بجزع كمت اهلك عقيبه كما أصبت في تلك السن بجميع امراض الاطفال . ولما دخلت المدرسة أصبحت امراض كل سنة مرتين او ثلاثاً بالحي والبرداء والاسهال وغيرها فانت تري ان ما لي من الصحة والقوة الآن لم اربهما واني لم اكن من أهل العافية والسلامة في طفولتي

في سنة ١٨٧٤ « وكان حمرة اذ ذاك ثنائي سنين » وتمت اليه كتب بالالاب الرياضية مترجمة من الانكليزية والالمانية ولما قرأها ربت فيه ذوق الترحيل الطبيعية واخذ يتحضر لما وترك دروس اللاهوت التي كان اخذ بدواها لاول امره وقلم الهندسة العسكرية ثم صار مهندساً ملكياً وبعد ان قضى عشر سنين في هذه الصنعة عين مديراً لمعج في جوتلانده « شبه جزيرة دانيمركية » وهناك نشر كتاباً في الالاب الرياضية سماه

«طريقتي» انتشر انتشاراً : بينا قطع منه من ٣ اغسطس سنة ١٩٠٤ الى شهر مايو من السنة التالية ثلاثون الف نسخة هذا وسكان الدانمرك نحو مليونين ونصف فقط . وترجم الى الالمانية طبع منه ٧٠ الف والى الانكليزية طبع منه ٢٥ الف والى السويدية ٣٠ الف والى الالفرنسية ١١ الف . ولئن كان نشر هذا الكتاب يد في التفنن بالاعلان عنه فان سهولة طريقته كانت اعظم سبب لانتشاره اذ ليس فيها قيود ولا تعقيد بل ان الربع الساعة بقضيتها المراتض في غسل جسمه كله وعن جلده ( دعه ) او تميز بدنه تكفي فيجس جسمه وهو يستلقي على ظهائه ويجلج . ويترويض في بحث لا ينهي من اغتساله الا وقد تحركت جميع اعضائه ولصاحبه ويكون قد نلظ جسمه وبشرته .

وهذه الطريقة نافعة اكثر من غيرها من الالاعاب الرياضية لانها تجعل لتدعيم البشرية وغسلها من الاعمال الرئيسة وتلين اعصاب البطن وتجعل للتنفيس الجلد شأناً عظيماً . وقد كتب مولر اني فحكت من افاس من ارباب المسابقات والصراع يقتبطون بان اجسامهم لا ترويض عرقاً عند ما يتعاطون اعالمهم مع اني موقن بان مسام اجسامهم منسخة بالاداران والادهان البشرية وصفرة وجوههم واكداد الوانهم اكبر دليل على سوء صحتهم . وقد علق مولر على ترويض البطن شأناً كبيراً في تحسين المقم والعون على انتظام وظائف الاحشاء وتحسين حالة الكلى والكبد .

وسواء شاعت طريقة ليح او طريقة مولر او طريقة الجيوجينسو «١» اليابانية في الالاعاب

«١» الجيوجينسو رياضة يابانية من فوائدها التخلب على القوة الوحشية . جاء في مجلة الطبيعة انها شاعت في بلاد اليابان منذ التي سنة وما يرحوا يعملونها في كلياتهم وسيف مسكراتهم بل وفي كل مكان يختلف اليه الثبان وهي عندم الرياضة المحبوبة كما تجد عند الاوروبيين الصراع والملاكمة والمسايفة . فالجيوجينسو او الجيوجينس كما يلفظها اليابان هي علم باصول يعرف بها الانسان ان يدفع عن نفسه القوة الوحشية وينقلب عليها بمعرفة علم بنية الابدان الذي يمكنه من ايلام خصمه الما شديداً من دون عناء كبير وذلك باللين والرشاقة . وللتنظر في موقع الخصم دخل كبير في التخلب عليه .

ولقد اُلب في جندلة الخصم بدون سلاح وهي رياضة الجيوجينسو رسائل كثيرة كما اُلقب كتب في لعب الخيل ومطاردة الصيد وقصص الاسماك ولعب السيف واطلاق الرصاص والسهام والالاعاب الرياضية ولكن رأى فريق من العلماء في فرنسا ان لا يقتصر وافي علم هذا اللعب على النظريات فانتدبوا احدهم الى يابان ليطلع الجيوجينسو بالعمل فعمل وعاد فاس في يابان مدرسة لتعليمها

الرياضية فان ما همم في هذا الباب انتشار الرياضة البدنية بين جميع الطبقات لا ان تبقى محصورة في طبقة خامة فيجب ان يعلم الطفل اعتناء العناية بجسمه وضله ويتوهمه عند وان يواظب على ذلك مادام حياً . ومن أجل هذا تجد الحكومات الأوروبية تنشط جهات الألعاب الرياضية . وقد كتب وزير حرية فرنسا الى جمعية اتحاد الألعاب الرياضية في المهدي الأخير يقول : يجب ان لا تبقى بعد الآن غير طريقة واحدة في التعليم الطبيعي تستعمل في الثلاثة ادوار من ادوار التربية الوطنية وهي المدرسة والمجتمع والجندية وهذه الطريقة هي كبر الصدر وسلامة الرئتين والقلب وتقوية الساقين . طريقة تحسن جسم المرء ادنياً وصحياً وتمده كأحسن الناس للحياة والعمل والقتال اذا اقتضت الحال .

### رب اسرائيل في جزيرة أسوان

جزيرة أسوان Elephantine هي اول الجزر العظيمة الواقعة في مصب الشلال وندس ايضاً الجزيرة وكانت قديماً مأهولة بمجموعة من التوبيين وهي عبارة عن قربتين تابعتين لاسوان وتمتد عاصمة نخوت « القنوم » ومدينة « ابو » او « كوهو » اعظمى قال لاروس سيغف معجمه الاوسط : وكان اسوانها نحو اواخر السلالة الخامسة او السادسة يفزون الصحاري المجاورة او شواطئ البحر الاحمر او يقيمون معها وكانت ملوك السلالات المتتالية نزلوا عند ما تريد الاشراف على احوال القنوم واستمر سكان هذه الجزيرة بلاد النوبة الشمالية بين السلالة السادسة والحادية عشرة . ولقد ضعفت مكانتها عند ما توسعت في القنوم نحو الجنوب على عهد ملوك التوبيين واصبحت مدينة يرحل اليها التجارة والزيرة ولما جاء المصريون الى جوار الشلال عند ما انفصلت الحبشة عنهم في الدولة الثانية عشرة استعمادت مركبها الحربي الا ان ارتفاع أسوان Syene الممدودة من جملة احيائها على الحدود بين الحبشة ومصر على عهد الدولة الفارسية ثم على عهد الدولة اليونانية قد اضرت ضرراً بلياً بمكانتها كما سقطت على عهد الرومان ولم تكن على عهد الفتح البيزنطي والعربي غير انقاس وقد بقي من المعبد الكبير قطعة من بابه انشأها ترقوسيس الثاني وجدت على عهد الاسكندر الثاني ولا يرى من عادياتها الا محور مشتتة بين خرائب المدينة او مسدودة بالر . من القديس ومقياس النيل الذي جدد على عهد القياصرة وعني بأمره احد علماء الفلك من الـ ب محمود باشا الفلكي سنة ١٨٧٠ وقال بوليه في معجمه التاريخي والجغرافي انه كان في جزيرة أسوان قديماً معبدان

جبلان يردعهما الى زمن اماناهو بنو الثالث وقد خربا حوالي سنة ٨٠٨ لثبني بانقاسها  
نكن في أسوان .

وقال ياقوت في معجم البلدان وأسوان بالقسم ثم السكون ووواو والف ووجدته بخط الي  
صعيد السكري 'سوان بنير المصرة وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر واول بلاد  
النوبة على النيل في شرقيه وهي في الاقليم الثاني طولها سبع وخمسون درجة وعرضها اثنان  
وعشرون درجة وثلاثون دقيقة وفي جبالها مقطع الحمد التي بالاسكندرية . قال ابو بكر  
المروني وبأسوان الجنازل ورأيت بها آثار مقاطع الحمد في جبل أسوان وهي شجرة مائنة  
ورأيت هناك عموداً قريباً من قرية يقال لها بلاق اوراق يسمنها الصقالة وهو مائع يجزع  
بجمرة ورأسه قد غطاه الرمل فنحرت ما ظهر منه فكان خمسة وعشرين ذراعاً وهو مربع  
كل وجه منه سبعة اذرع وفي النيل هناك موضع ضيق ذكر انه جاز ان يعملوا جسر على  
ذلك الموضع . وذكر آخرون انه اخو عمود السواري الذي بالاسكندرية . وأشار ياقوت  
الى ما بأسوان من التور المختلفة وانواع الارباب وقد ذكرها الجغري في مدحه شمار به  
ابن طولون بقوله :

هل يلقيني الى رباح ابي الجي ش حظار التفرير او غوره  
وبين أسوان والعرا ق زها رعية ما ينبا نظره

ونسب الى أسوان قوم من العلماء . وقال القريري في الخطط ما يقرب من هذا القول  
في أسوان وبتطويل اكثر . هذه هي أسوان وقد قرأنا في جريدة الطان لمسيو  
كلرمون كانوا من اعظم علماء الآثار الشرقية في الغرب فصلا وصف فيه ما عثر عليه  
من آثار تلك الجزيرة الازلية قرأنا تعريبه مع مراعاة الاصل قال : ان مجموع الاكتشافات  
الجديدة التي ظفرتنا بها في هذه الجزيرة قد وقعت بين العلماء اعظم موقع وهي تهم نويخ  
التوراة في الغاية . هذه الاكتشافات اليهودية لم يعثر عليها في صور سيناء مهد اليهودية  
ولا في القدس مقرها بل عثر عليها فيها وراء ذلك من البلاد على تخوم مصر والنوبة على بضع  
دقائق من دائرة الانقلاب في جزيرة للشلال الاول على النيل في مكان لم يكن يتوقع ان  
يرى فيه رب اسرائيل «يهوه» Jehovah بعيداً الى هذا الحد ويردعه الى خمسة  
قرون قبل المسيح . وقد قام يقول لنا بلسان من يعبون به عن راقوه الى تلك البؤ من  
ابناء اسرائيل اموراً جديدة ربما تغير بها تفسير الكتاب المقدس وبذلك صح لنا ان نقول  
ان التور جاءتنا من الجنوب اليوم ولم يكن ينظر ان يبحث بعد منه شيء .  
ومعلوم ان بلاد الفراغة ما زالت قديماً وحديثاً مخصصة بضروب الاكتشافات الازرية

فهي البلاد التي ازهر فيها ورق البردي فكانت ميداناً مباركاً لعلم الآثار. اتانا ولم يسر  
 بأننا بكتابات قديمة خطت على هذه المدرج الرقيقة من ضروب الكتابات المصرية  
 واليونانية واللاتينية والقبطية والعربية وغيرها فكان لنا منها كنوز أدبية حقيقية سبب  
 صورة أوراق من البردي ولثامها كل يوم قطعة جديدة ومادة ندهش بها وسر . فبالأمس  
 اكتشفت قطع من روايات مياندرا الشاعر اغزلي ففرح بها اهل الادب . وقبلها بقليل  
 كان اكتشاف آثار المسيح تصل بنا الى اصل النصارية وما يدربنا ماذا خبأته لنا . مصر  
 غداً من الآثار ولعل اكتشاف اليوم سيكون نورا أقدم من النوراة المعهودة . إن ما  
 اكتشف حتى الآن يدعو الى الامل في ذلك .

ولكي نمثل للنظار طبيعة الصكوك اليهودية وخطارتها التي ظهرت للوجود في أسوان  
 نقضي الحال بان نرجع قليلاً الى البحث في المسألة من اصلها . فقد كانت مصر عجيبة بما  
 اكتشف فيها من أوراق البردي التي كتبت عليها العجائب اجناس من البشر مختلفة كالمزج  
 تعاقبوا احتلالها غيا سلف الانبا ضنت الى اليوم كل الضنات باخراج كتابات باللغات السامية  
 القديمة الاله الا بضعة عشر قطعة من البردي كتبت بحروف آرامية عشر عليها من نصوص الميثاق  
 سنة . ولئن اختلفت آراء علماء المشرقيات في امر هذه الكتابات المدعوة حابا فالأري تجمع  
 عليه يكاد يكون متفقاً على امر واحد وهو ان تلك الاوراق هي من عهد البطالسة اليونان  
 كما هو الحال في بعض النقوشات على الخزف والمزبورات على الحجر المخطوطة بلغة وحرف  
 شابه لما عثر عليه حتى الآن في مصر .

واذ سمع في الزمن منذ سنين بالتوفر على البحث في هذا النوع تبين لي حل آخر يخالف  
 رأي غريبي واستندت على امور مختلفة استنتجت منها بان جميع هذه الصكوك الآرامية يجب  
 الرجوع بها الى اقدم مما قدر لها من العمر الى عهد الفرس الاخمينيين وعهد دارا  
 وكسركس ولوتا كسركس .

واذ سمع ان الامر كذلك فيكون منها اثر تاريخي نادر لانها لم تقف عند ابدال شيء  
 من التاريخ بل يكون منها تغيير تام في المحيط السياسي والديني . تبين لي هذا الرأي الخافف  
 للآراء كلها من تأويل احدي قطع تلك الاوراق من البردي المكتوبة بالآرامية المعروفة  
 ببردي تورين فقد قرأت فيها رأس محضر رسمي أرسل الى الملك المازبة في مصر وعليه اسم  
 ميتراوميشث Mithrawahisht وهو اسم آرامي لا عالة . ذكرت في اسيا في التعبير المستعمل  
 بين هذا الموضع وبين اسمي أرسله الى الملك لوتا كسركس . حكم بلاد السامرة بشأن منع  
 اعادة بناء معبد القدس الذي شرع فيه اليهود ثم تم على يد يخيما وهو الموضع الذي

حفظ بنصه الآرامي في كتاب استرادس المتعلق بالثوراة . وثناهم ان هذا الاستنتاج التاريخي يشاغل مجموع النصوص الاخرى الماثلة لما التي صدرت من تلك البلاد ولم تلبث ان تحقق امرها بما تنبأ لما من الاكتشافات المتعاقبة في مصر وغير ذلك من الكتابات والرقوق الآرامية التي كتب عليها التاريخ المعروف جلية من عهد كسر كس ودارا وارثا كسر كس فثبت ما قلناه بالبرهان .

ومن جملة اوراق البردي المكتشفة مؤخراً ورقة ذكرت فيها بعض الحوادث التي حدثت سنة اربع عشرة لعهد الملك دأرا الثاني الواقعة لسنة ٤١١ قبل التاريخ المسيحي . وقد غلط المسيو اولفج احد علماء الالمان الذي عهد اليه نشر هذه الاوراق في قراءة عدة فقرات منها واذا اخذت انظر فيها بعمد تبين لي انها عبارة عن شكوى عامة او مروض عام ارسله الى الموزبان في مصر جماعة من غير المصريين وربما كانوا من اليهود لاقامة الحجعة على اعتدائه مدرسة الكهنة المصريين وعيشتهم بقر الرب خنوم في جزيرة أسوان . وبذلك عرفت هذه الجزيرة بانها مركز سامي آرامي جلية القدر جدا من العهد التاريخي لاسيما وقد اُعيد الحظ باكتشاف حكوكة ماثلة لما . وقد اردت الحكومة اذ ذاك على المبادرة في الحفر والبحث في تلك الاراء التي هي كالمعدن الملوثة بالخراب وتكني كنت كن يظ في قرا او يصرخ في واد . وما جاء ربيع سنة ١٩٠٤ حتى تبين اني لم اكن ضالاً فيها دعيت اليه فعثر بالعرض بعض الوطنيين ممن كانوا يحفرون في خرائب أسوان في تربة نشادرية يسمونها سباحاً ويستعملونها في تسميد الزرع على نحو عشر قطع من اوراق البردي . بة مخنومة فاجتاعها في الحال المسيو موند واللا دي ويليام سيسيل وكانا اذ ذاك في . وبعد مدة نشرها المستر كولبي من كلية اكسفورد . وكان فيها نصوص سالمة عقيمة بنحرف آرامية لطيفة تشبه القطع المعروفة حتى الآن من كل وجه وكلها بلا شك من صنع اليهود التالزين في جزيرة أسوان ومدينة أسوان الواقعة على الشاطئ الشرقي لليل امام الجزيرة . لاجرم ان هذا الحادث مهم في ذاته ولكنه ليس بما يدعشنا لاننا نعرف بان اليهود في سفر الخروج تركوا لغتهم العبرانية القديمة الوهنية وتعلموا اللغة الآرامية وكتابتها وكانت هذه اللغة شائعة في مديريات المملكة الفارسية . كما ترك اليهود اموراً كثيرة اخرى ليس هذا محل ذكرها .

هذه المخطوط المكتوبة على البردي هي حجة حقيقية مسجلة غريبة للغاية 'يرد' عهدنا بالتدقيق الى كسر كس وارثا كسر كس ودارا بالسنين والكهور والايام مع بيان موافقة حساب السنين الآرامية والمصرية وهي مرتبة على ستين سنة مضت بين سنة ٤٧٠ الى ٤١٠ قبل المسيح وقد دونت بطلب الاحزاب بمعرفه اخبار من اليهود ووقع عليها توقيعات





فاكتفينا بما اغتله تلك البشة من الاراضي واخذنا نخيل فيها فقلع انظارنا ونضرب فيها معاول عمالنا ولم يأتنا الحفر مدة شهرين بغير بعض الآثار المصرية واليونانية ولكنها كانت بكثرة وتاددة وجوها ومنها عدة مسلات فرعونية وقنالان جميلان لتوتس الثالث مصنوعة من حجر الكرانيت الاسود ولا سيما قبر الرب خنوم اوشتوب اكبر ارباب أسوان وهو الذي لم يكن على اتفاق مع اليهود الذين وقعوا على الشكوى المذكورة آنفاً . وعثرنا على قاعة تحت الارض لم تمس بأذى تحتوي على نواويس من الكرانيت والحجر الرملي جعلت عليها اغطية مذهبة وجملت باجل زينة من الصور والنقوش وهناك خمسة عشر كبشا محنطة مقدمة لثورايس على نحو ما اكتشف مثلاً من ذلك قديماً ماريت الفرنسي في مدينة منفيس . كل هذا حسن ونافع في ذاته ولكنه لم يقف دونه غرضي . لانني لم تحمل مشقة السفر الى أسوان ليبحث عن الماديات المصرية بل ليبحث عن الآثار اليهودية . وبعد ان كدتا نصل الى أخريات وقت بعثتنا عثرنا بعد الجهد الجليل على حارة اليهود الآرامية وظفرنا بكية من النقوش المزبورة على الفخار منشأة بكتابات آرامية يهودية . وقد كتب معظمها من وجهين . وهذه الكتابات النادرة على كثرة الخرق فيها قد اطلعتنا على جزء من المراسلات اليومية التي جرت بين يهود جزيرة أسوان واخوانهم يهود مدينة أسوان وقد كتبت في زمن واحد في واوراق البردي الآنف بيانها ويحط واحد وثلة واحدة حتى ان في جملة الموقعين عليها نفس الاشخاص الذين عرفناهم بتلك الاوراق البردية . وذكر فيها اسم رب اسرائيل بصورة من الاملاء خاصة لم تكن تعهد . ولا شك انه تمت قراءة هذه الآثار الفخارية نطلع على امور جدية بالنظر وكبيرة الخطر والقيمة .

وقد كان دامتنا الحرجيخيله ورجله فاوقفت العمل في شهر ابريل وسنعاوده بعد اسابيع بفضل ما جاد به الجمع العلمي ووزارة المعارف من المال وامد به يده من المساعدة وصيفي المسيو ادمون روتشه وافي على ثقة من اننا نوفي هذه المرة الى الظفر بوقع معبد رب اسرائيل وقد اكتشفت البشة الالمانية التي كانت نعمل بالقرب منا برئاسة المسيو روينسون واوراقا من البردي الآرامية اليهودية وكل امر قراءتها للمسيو ساشو من برلين وقد نشر كلامه على ثلاثة منها . واهمها صك رسمي ذو شأن عظيم يفيد فوائد كثيرة في تاريخ اليهود والتوراة وهذا الصك عبارة عن محضر مؤرخ في اليوم العشرين من شهر مارهزان من السنة السابعة عشرة لحكم دارا ( ٤٠٨ قبل المسيح ) يثبت بها الى السيد با كومي والي القرس في بلاد فلسطين ارسلها اليه يدونه ورفقاؤه من كهنة أسوان باسم جميع سكان تلك المدينة من اليهود ولقد اتى الموقنون على ذلك المحضر ببيانات تكاد تكون مضاها مشاكلة لما في ورقة البردي

المعروفة باسم تورين وكلها دائرة على القساء له بان يخفه رب اسرائيل بركاته وديانته ان  
يحفظ عليه رشا دارا مولاه ورضي الال الملوكي وقد ذكروا له ان الكهنة المصريين للعبود  
خنوم في أسوان قد كادوا لم مكيدة عند ما تغيب مرزبانهم في مصر المدعو اوسام الذي  
كان قصد الملك بدعوة منه وتربصوا بهر الدوائر عتة والها المدعو ويدانج الذي رشوه  
بالمال فحصلوا منه على امر يوعز به الى قائد أسوان العسكري ان يذهب لتقريب معبد رب  
اسرائيل في جزيرة أسوان قائلين ان هذا المعبد كان انشيء قديما على يد آبائهم وكان  
موجودا قبل ان يفتح كبيز مصر فلم يردأ من احترامه على حين خرب سائر معابد المصريين  
ويفهم من ذلك ضمنا ان المعبد كان بناء هائلا مبنيا بالحجر الفخيت وهو ذو سبعة ابواب  
اثرية وعمد من الحجارة وسقف من خشب الارز . وقد نفذ امر الوالي ويدرانج بلا شفقة  
في الحال واعان الجند جمهور من المصريين فخرّبوا المعبد المقدس وحرقوا ما فيه وحطموه  
ونهبوا الاواني الذهبية والفضية وسائر الاعلاق النفيسة . فم الحزن مكان اسوان باسم  
رجلهم ونسائهم واولادهم من اجل خراب معبدهم ولبسوا الحداد واخذوا يتجيبون  
بكاء وصاموا وضرعوا الى رب اسرائيل ان ينقّم من الظالمين . واضرب القوم عن التزين  
وتعاطي الخمر فاصبح النساء كالاياس . وبعد حين نكب الوالي ويدرانج وجاد بنفسه مضطرا  
وهلك جميع . من نقدوا امره في خراب معبد ابنا اسرائيل فكفروا بذلك عما جنت ابيهم  
ييد ان اصحاب المحصر لم ينالوا الى ذلك اليوم على كثرة ما بدلوا من المساعي رخصة باعادة  
بناء معبدهم بحيث قضوا ثلاث سنين في حزن لانهم لا يتمكنون من تقديم الفخايا الدينية  
وايقاد الجور وعرض الدبانج على معبد رب اسرائيل . وعشا توسلوا ايام نكبتهم بخراب  
معبد ياكوهي والي بلاد اليهودية ويوهوهان الكاهن الاعظم في القدس وبسائر الكهنة  
رصفائه وباخيه استان اتاني وامراء اليهود في فلسطين فلم يأتهم جواب ولذلك وضعوا آلام  
ثانية في ياكوهي ان يرض عنهم ويصلحهم في حل . من اعادة بناء معبد في أسوان كما كان  
من قبل وم لقاء هذا المعروف الذي يسلمهم اياه يقدمون لاسمه الفخايا الى رب اسرائيل  
على المذبح الذي يعمونه لتجسده وعبادته قالوا وان جميع يهود أسوان رجالا ونساء واولادا  
لا ينفكون يباركون على ياكوهي ويدعون له ثم لم زيادة على الفخايا والدبانج يقدمون له  
دخلا قدره الف بدره من الفضة خلّ عنك الذهب الذي اخبروه بانهم سيؤدونه اليه  
اذا رضي . اجابة طلبهم ( ما اقدم الجشيش في الشرق ) وذكروا في اختتام بانهم اطلعوا على  
ذلك كلا من دلاباح وشلمايح ابني شانابالا بات حاكم بلاد السامرة وان الكاهن اوسام  
لا يعرف من ذلك شيئا .

اما الصك الثاني فيكاد يكون مغرقاً كله ويحتوي مع بعض اختلاف على صورة ثانية من هذا المحضر الذي احتفظ برسوله بصورته ومسودته . وفي الصك الثالث عبارات كثيرة تشير الى ان يهود أسوان رخص لم باعادة معبدهم بفضل توسط باكوحي ودلاياح فاعادوه الى ما كان وعمروه بالصبا وقوما لا شك فيه ان بعض الاوراق التي لم نقرأ قد ذكرت فيها اكلاف المعبد وفتقات بنائه .

وعنا لا ارى يان فائدة هذه الاوراق وموقعها من نفوس العلماء فقد احييت سيفنا نظرتنا رجالاً اشتهر اسمهم في التاريخ وهم من الطراز الاول وذكر فيها اسم يوهوهانان الكاهن الاعظم في بيت المقدس وسانابالات والي السامرة وهما مذكوران في التوراة والي اليهودية باكوحي وقد ذكره فلافيوس جوزيف المؤرخ اليهودي باسم محرف عن اليوناني وهو باكواس وهذه الورقة هي صفحة صحيحة من عهد حوادث ينيخي اضافتها الى سفر نجيحيا . فهل يكون من حظ البشة الافرنسية ام من حظ البشة الالمانية ياترى الظفر هناك بتوراة يرد عهدنا الى ما قبل المسيح بخمسة قرون في خرابنا الجديدة ؟

## مطبخ الفقير

من يبحث لككتور فيليكس رينبول في المجلة الباريزية

### طعام للتوحش غليظ كبنيتة

اصبح اقرر البائسين لدينا في مأمن من الجوع على ان التوحش لا يزال عرضة للمجاعة لان الطعام المدخور حده قليل بل لانه يجهل الزراعة وتربية الماشية . وتختلف موارد عيشه من الصيد والقتل كثيرا اذ ليست ابداً منه على طرف النعام . ومماثل التوحش الا كالجوارح الكبيرة من النمر والثعلب يصيد الصيد تلذذاً بالقتل وهو لا يحسب للند حسابه ولا كان على جهل بطريقة تجفيف اللحم والتقليد اصبح من الصعب عليه ان يدخر اللحم لوفات القلة . وهناك امور من الخرافات المتشككة تزيد بلاء . وذلك انه يرى بعض الحيوانات مقدسة . ويعتقد انها اجداد قبيلته فاذا رآها اتخذها طوته وحاميه ويمد نفسه اذا قلها كلها بانه خرق الحرمه وعبت باقدس المقدسات . يتفرز التوحش من جميع الاطعمة التي لم يعتد

تناولها قط فان تغذى بلحوم الصيد تأتف تنسه من تناول السمك ولن اغتذى بالسمك يعاف اللحم . ومع هذا نراه يعمد الى اختيار الاطعمة النليظة . ان جاع عمدا الى الميوس البرية والجنود الخشبية واستوط الحشرات والديدان واخذ العمل عن اخيه بقضيه (١) ومعلوم ان لا شيء يخلو من صولة مغذية حتى التربة الصلصالية التي تغذي منها ديدان الارض احسن تغذية والانسان يدبر على مثالها فيكون من اكلة التراب ولكن امعاءه لا تهضمه فينتفخ بطنه ويحدث التهاب في الاحشاء يكون منه الموت

اذا اسعد المتوحشين الحظ قتلوا حيوانا كبيرا او صادوا بسمكة ضخمة يقعون عليها كالحيوانات الجائعة . فقد وصف لنا ارباب الرحلات شراهمتهم الحيوانية فان الصائدين من قبائل المونتوت في افريقية الشرقية اذا ضربوا فرس بحر يفتقون جثته وهو حار وياكلون احشائه كما تأكلها الكلاب . واذا سقط حوت على الشاطئ يفتق سكان اوستراليا الجياع عراة كيوم خلقوا وينهمسون في الدهن ويلعنون قطع لحم الحوت الكبير بلعاً ولا يرجعون عنه الا وقد امتلأت كراشهم وشبعوا وانثخت بطونهم فينامون بعد ذلك طويلاً . بيد انه لا يجب علينا ان نسخط بما يبلطنا عن اولئك المتخلفين في سلم المدنية فان فلاحينا يأتون في ولائهم من الاكثار من الطعام والشراب ما لا يقفون فيه عند حد ولولا ان انواع الاطعمة تختلف لقتلنا انهم المتوحشون بينهم .

المتوحش اذا لم يتغير رديء الاطعمة فهو لا يعرف الطبخ ولا اعني بذلك انه لا يحيد طبخ طعامه بل انه لا يعرف كيف يطبخه ولا شك انه لم يعمد الى الآن قوم معا اضطوا في دركات التفتقر يجهلون ايقاد النار . ولكن من القبائل من لا تحسن الانتفاع بها وهي توقد جذوة على الدوام لتظل النار عندها بلا انقطاع . ولا عهد لم باواني الطبخ لما ثبت من ان بعضهم يجهلون صنع القمار فيلقون حجراً محمى في الماء اذا ارادوا تسخينه وهم على جانب من انكسل بحيث يؤثرون ان يأكلوا معظم الماء كل نيئة كالدندان والمواهي الامهات ويقضون بنفوسهم القوية الجذوع القاسية والامطار البغيية .

قال المترجم بريلا ساغار بن القرنسوي مؤلف كتاب فيسوق جيا النوق (١٧٥٥ - ١٨٢٦)

(١) لا يظن القاري ان في هذا القول مبالغة فان قبائل الشوكش في سيبيريا كما قال الرحالة نورد انسكيولف يأكلون العمل الذي يمتشي على الطبول . والرجل وامرأته من هنود كويانا في اميركا الجنوبية يمتشان كالقردود عن العمل ويقضمانه وكذلك حال الشعاذين من الصينيين .

قل لي ما تأكل أقل لك من انت . وهذه الحكمة يتبسر لملاء الانسان ان يطبقوا عليها  
اجتاهد وذلك ان طعامه قلاً يكون حالماً للأكل وان للتوحش فكوكاً ضخمة مستطيلة  
واضراساً غليظة واعصاباً للمضغ قوية . وعند ما يقصر نقصن اطعمته وتختف قوة  
شدقيه واستانه .

يقول النيوخا فينوانه ليس بين الاجناس المتدنة من البشر فروق كثيرة وعلى  
العكس في الاجناس المتوحشة فان بينها وبين المتدنة اختلافاً كثيراً في المور الظاهرة  
والحواس الباطنة . وظن بعض علماء الانسان بان هذه الاختلافات هي على اطلاقها على انها مما  
يمكن تعديله وبذلك ينسب لنا تحليلها . ولقد كانت اول الاكتشافات في اول عهد الحضارة  
هي اكتشافات الطبخ فقد رفع القدماء المضاف الارباب الاذكياء الذين علوم زراعة  
الارض وتدجين الحيوان وصنع الخبز وتخضير المشروبات .

افراط المتدنين في المأكول . الاطعمة التي يتقزز منها والتي يرغب عنها  
قلنا ان المرء اليوم يكاد يكون في مأمن من الجوع ولكن الشر الذي يجيز الوجود ان  
يسومه اياه اصبح خاضعاً له بواسطة الحروب مخناً . فاذا حوصرت مدينة يعمد الجياع  
من اهله الى تناول الاطعمة القذرة كالكلاب والقطط وجردان الجماري وسائر اصناف  
الحيوان ويدكرون ان الجلد والعشب والغشب لها بعض الخصائص في التغذية وللضرورة احكام .  
تجد مائدة الفقير في الاوقات المتتادة مفضاة بالاطعمة التي هي اكثر تغذية والطف  
طعمها مما يقنع به اخوه الفقير الحفيرو ولذلك يستهين بالاذنية التي تطيب بها نفس اخيه  
المتوحش فتعاف نفسه الحبوب والجنود والحشرات والديدان وكل ما يدب ويطير علماً منه  
بان مثل هذا الغذاء لم يخلق له . على ان جودة التحضير قضت على الفرنسيين ان يشاولوا  
اخذاد الضفادع والحلزونات . والآنكليز يتقززون من الفرنسيين مع انهم لا يستنكفون من  
تناول قطير الفرباب .

الفقير كالتوحش عود التجديد Misonéiste في كل ماله علاقة بفدائه فهو يأبى تناول احسن  
طعام اذا لم يمتد منه طفولته . ولم ننس ما قاساه بارمانيه في القرن الثامن عشر حتى  
صير البطاطا مأونة بالاستعمال بين الناس . وقد مضت اعوام قبل ان يقبل الفقير باستعمال  
لحوم الخيل مع انها مغذية جداً ولا تزال الى الآن في جهاد حتى يألف الناس استعمال  
السمن الباقى المستخرج من الجوز الهندي على ان في استعماله اقتصاداً وهو سهل الهضم لذيد  
الطمع يأبى العملة الاعتماد عليه وبعض اهل الطبقات الوسطى تقبل عليه .

نحن كالتوحش نسرف في الطعام . ويصعب تقدير كمية الطعام التي تلقى كل يوم في

علبة الفضلات وليننا نحسب الارغة البائنة التي تطرح طرح الزوائد وليت جميات الانسان  
 تمكن من جمعها تعمل مريد اوحساء لالوف من الفقراء ولا يخلو واحد من ان الاسراف  
 في الطعام حتى الجند في كنهه فانهم يلقون بفئات الخبز الاسمر اما اثر الاشمه فلا  
 تنفع بها لكثافتها على ر فيه ما لا يدرى به وينفع كل النفع قلاً كل صباح في اسواق  
 باريز عجلات الصالات والقفلات بمواد يسهل استعمالها وذلك ان تقوم بطرحون رؤوس  
 الاسماك ولا سم الكايبو " و " كولين " ولو احذت لتسمع بها حاشا لطيف .

وربما اعترض معترض فقال ان هذه الفضلات قليلة واذا صارت تبايع ترتفع ثمنها على  
 اننا لو فرضنا ان رأس سمكة الكونين يبع بخمسة وعشرين سننجا وحرف في الارز والعلاطم  
 والبصل والبقدونس والصنوبر والمخ والذئب والفرك يكفي الحبة استخراج على هذه  
 الصورة بفرك واحد لا طعام تربية شخص .

تعمل سلاطة مقببة باورق القضاير ( سفورجنه ) وان خير ( الاوراق ) سلاطة  
 القبل اذا استعملت كما يستعمل السباح طيب وتلد وان الجزء الاخير من الكراث التي  
 يطرح في العادة يمكن الانعاش في الحساء حتى ان الاوراق اخرجية وبما ( قرمية )  
 المثلث تحتوي على مواد معدنية ثم ان الناس يمشون من ايها لتصلبه ولكن اذا اجيد  
 اجيد طبخها وأطبل الاصله " منه ومحق حقا كافيا لا ينقص منها . والناس يتقون ايضا  
 فضلات رؤوس البقر حتى يخدم في زيادة ضمة حسنة البقول ولكن العامل يبيع  
 منها مرقا بالظفر وهو لا مرق المطبوخ بالبقول الناشفة المتسمة احسن تقسيم وايضا  
 ابأوه ان يشتدي بطن هذه فصلا .

وهناك بعض الامم تمكن لا صاع بها في الفناء على شرط ان تحضر تحضيراً خاصاً وطالما  
 يبحث الباحثون من صاع لا صاع لا ياف العظمية *la ossuification* فان انكباباً كهاجدا  
 واذا لم يستطع الانسان يخرج عن مثاله فذلك لان ما ضفيه واحشاه ضعيفة . ولقد  
 حاول كثيرون مند فروس سموا بالعظام او بفلا ( الجلاتين ) المستخرج منها يطعمها  
 الفقير واستعملت سريره كموي . رت " في استخراج الملا من العظام لحفظ الماء كولات  
 ولكن الجلاتين سحرج على " كيفية لم يستعمل الا في الادوية وقد ثبت من بعده  
 ان الجلاتين اقل منه فكم يحب اليه الناس من قبل فبوزيد الحرارة سيف الجسم  
 ولكنه لا يقوى على قده سجت ولا تجد فيه خاصية اللحم واليومين وذا تاذى انكباب  
 بالجلاتين خاصة بروت سسته

## جهود الفقراء وغيرهم على احية واحدة

يقول علاه الاقتصاد حيثما يخرج رخيص يولد انسان . يريدون بذلك ان سكان كل بلد على نسبة غناها في غذائها واذا كان الجمهور يزهدون في جميع هذه المواد النافعة في التغذية التي تكثر موائد الناس اما في طاقة دور الاحسان ان تستخدمها وتحسن استعمالها ؟ كانت العقيلة روبرت اول من فكر سنة ١٨٤٠ في تحضير وجبة طعام للفقراء باريز لقاء اربعة فلوس وطعامها مؤلف من حساء بالمفوف وقطعة من الثريد والخبز وقدر من الخمر . ثم كان عقب ذلك ان صار يقدم حساء بلا مقابل للفقراء وكان بربران اول رجل من اصحاب مطاعم الفقراء اخذ يوزع الطعام على المساكين . ومع ما دخل هذه المطاعم من الادوات التي تبني الاطعمة اسرع من ذي قبل وعلى صورة احسن مثل ادوات القطع والفرم والسحق فان هذه المطاعم لم ترتق الارتفاع المطلوب وامثال هذه الادوات تستخدم للانتفاع بالمواد التي تطرح ولا تستعمل بالنظر لصلاحيتها وذلك بان تحيلها الى ثريد يسهل تشبيهه بالثريد المعروف وهكذا الحال في انواع الاطعمة فان مطاعم الشعب لا تبحث لضع حسائنها عن الحبوب التي تكثر تغذيتها ونقل قيمتها كالارز والشعير والقرطبان .

ولعل هذا ناتج من ان الفقير من عزة النفس ما يجعله يأنف من بعض الاطعمة حتى انك لو قدمت له طعاماً مؤلفاً من الفضلات اللذيذة لرأى في المسألة نظراً . وكثير من الفنادق توزع بقايا الطعام على الفقراء . وقد قال احدهم يوماً وخدام احد الفنادق يريدون ان يعطموه : انهم اكلوا الاطايب ولم يتركوا الا الاخابث . وظهر من هذا صراحة ما قاله له كتور فيرون : اريد ان اعرف ماذا جرى للسكاة فاني لا اجدما قط .

الا وان كل اختراع في هذا السبيل ليصعب ويسوء قبوله بين هؤلاء الزين وما اظن انه لو قام احد المحسنين في هذا القرن وانشأ يعطم الفقراء من الفضلات التي تطرح في الارقة على طريقة عميلة الا ويكون شأنه شأن سويه الفرنسي منذ ستين سنة . وهذا الرجل كان من اعظم الطهاة اشتهر في وقته وله شراب منسوب اليه كما له عرق اشتهر به فقد كان مديراً لمطابخ « ريفورم كلوب » في لندن . فزم انه اكتشف طريقة لمكافحة القحط في ايرلاندا واسبس في احد شوارع دوبلين باسم الحكومة مطعماً للشعب واحتفل بافتتاحه حفصراً الاحتفال جمهور كبير من الناس ومنهم رئيس اساقفة دوبلين ونائب ملك ايرلاندا وقدم للناس سبعة انواع من الطعام على اخوة لطيفة وفي اوان حديدية وكانت نكهة انواع الحساء تبيحت كالعطر واستطاب الناس تلك الاحسية واقبلوا على محله اقبالاً غريباً يفدوت سخاماً ويروحون بطائناً . دام الحال على هذا المتوال شهرآ واولت الولاثم لسويه في المدينة حتى ان نائب الملك

دعاء لتناول الطعام على مائدته . واخذ الفقراء ياركبون اسمه لانه كان لم بمثابة المسيح الذي انتقم من مخالب الجوع والمخمصة وفي خلال ذلك عزمت دار الندوة ان تقرر انشاء مطابخ للشعب تنبه مطعم سويه في بلاد الاقاليم اتقاداً للناس من فتكات الجوع وعندها خطر لسويه ان ينشر كراسة يكتب فيها كيفية تحضير هذه الانواع من الاحسية قائلاً ان لحومها قليلة وكثير منها خال من اللحم بالمره فقامت الجرائد المعارضة تشهر عليه حرباً عواناً قائلة ان انواع هذا الحساء لا تغذي طاعماً وتفسد بنية الانسان وينشأ عنها امراض شديدة بل مهلكة وذهبوا الى ان انكثروا رأيت في هذا الطعام القتال احسن واسطة لاقاء السلام في ايرلاندا تقتل بصور شريفة من ألوف من البائسين المرعبين لان وجودهم كان على الدوام سبب القلق على سياستها وحملات ثقيلة على الميزانية . فانظر صاحبنا سويه الى السفر خفية توقياً عما يلحقه من الاذى وربما كان صلب .

### تعليم العامل كيف يحسن اتياع طعامه واجادة طبخه

لسنا ندعو الخواج وحدهم الى الانتفاع من علم التغذية بل ان العامل والتوصط على اختلاف طبقاتها بل جميع ابناء الوطن جيسر لم ان يستفيدوا منه فقد اجاد لاسال احد زعماء الاشتراكية في المانيا (١٨٣٥ — ١٨٦٤) . يقول ان المسألة الاجتماعية هي اولاً مسألة طعام واكل . وقد اثبت الاطباء لاندسوري ولايني وروم هذه النظرية التي قال بها ذاك الاشتراكي فاذا كان السل منتشر في المدن الكبرى فهو ناشئ في الاكثر من قلة التغذية يضاف اليها اسباب اخرى من البؤس كالتهب والادمان على الشراب والمادات الرديئة . والذي يظهر لمن ينظر في الامور نظراً سطحياً ان العامل يقتني احد ن تغذية ويختار اجود انواعها وان امرأته تبتاع للبيت يوم قبض زوجها اجرتة احسن الحاجات البيتية فيكثر اهل البيت من الاكل ومن الفد ثقل وليس عندها شيء تفعل زوجها على الاقتراض ربناً يقتض عائلته ومن اجل هذا تجد في حي الفقراء في باريز اجود انواع البطاطا واهلها واحسن اجناس السمك والسمك قيتاج زوجته ما شامت منها بدون حساب وكيفما اتفق لها على حين لو اشترت بالجملة ودقت في حسابها لكان ما يكتفها بالمرق فرنكاً وربما لا يكتفها اكثر من خمسة وثمانين ساتياً في الجملة .

ثم ان العامل مستعد بان كل طعام رخيص الثمن فيه ربح له وهو لا يحسب تلك الفضلات التي لا تؤكل . فمن وزن اللحم يجب اسقاط العظام والجلود « الجلاميط » والرقائق ومن السمكة احشائها وحسكها ومن البيض قشره ومن الجبن قشرته وكل خضرة قايه وكل ثمرة قشرة او بزره او ساق « عقب » ثم ينبغي ان تلاحظ كمية الماء الموجودة في المواد



وان لا ينسى ان البقول الناشفة ولو كان ثمنها اغلى فانها خير من الطرية لقلة المائية فيها ولحم البجل وان كان ارخص من لحم البقر فليس هو احسن منه لما فيه من المائية وقلة التغذية وهكذا لكل بقل ولحم فضلات وحتالات وعندني ان تجمع هذه المعلومات في شكل قائمة تنشر في كراسة ليصرف جميع الناس ان مئة غرام من اضلاع البجل تعادل في تغذيتها ١٢٩ غراما من صدره ولا يغوت الناظر قيمة التنبيل والوقود . على ان علماء الاقتصاد لا يحسبون في العادة حساب هذه الثغرات ويدعوننا لطيفة مع ان لما شأنا في تحضير الطعام

ذلك شيء آخر لا يحفل به عيال العملة واعني به الوقت وذلك ان نساء العملة يشتغلن ايضا في المعامل حتى اذا جاء المساء يضطرون لان يسرعن في تحضير الطعام فلا يجدن ايسر من « البفنيك » والاضلاع والمثوي ولذلك يكثر استعمال هذه الانواع في احياء العملة وربما ايسر اللحم المقدد والثريد المصنوع والبقول المطبوخة الحاضرة . اما وانه يصعب فصل النساء الفقيرات عن معاطاة الاعمال فمن البعث ان يعلن اساليب الطبخ والتفنن فيها اجدد ان يبنى الطباقون بتحضير الحمة خاصة بالطبقات النازلة بثمن بخس وموافقة من مواد جيدة من التبلات اللذيذة التي ذقتها واستطبتها وهي من تحضير المسير موتانيه ولا تكلف الانسان اكثر من عشرة سانتيات مربب التفاح وكيفية صنعه ان تأخذ ٥٠٠ غرام من التفاح من الجنس المعروف برينت (Reinette) و ٢٠٠ غرام من الخبز البات ٢٥ غراما من السمن و ٥٠ غراما من السكر و ٣ ديسلترات من الماء . وهذه المواد لا تكلف اكثر من خمسين سانتيا بالجملة وتكفي لطعام ستة اشخاص . وكيفية تحضيرها ان نقشر التفاح ونقطعه قطعاً كبيرة ونقطع الخبز قطعاً ناعمة وتلت اسفل الصفحة «الطبق او السمن» بشرة غرامات من السمن وترش ملحقة صغيرة من السكر ثم نضع سافاً من الخبز وسافاً من التفاح وهكذا الى ان ناتي عليها ثم نضيف اليهما ما بقي من السكر والسمن ونقسمه الى قطع ونبله بالماء ونضع الصفحة عشرين دقيقة في الفرن ونتناول ما فيها في الحال . ثم انه يمكن ان يجود هذا المربب اكثر من ذلك بزيادة نفقة قليلة وان يحبل ديسلتران من اللبن بدل الماء يضاف اليه يضة حلوة ويمكن زيادة كمية السكر وان تحسن رائحته بان يوضع فيه قشرة من الليمون او البرتقال او الوردية

يجب تغيير الطعام بحسب العمل وما يجب على العامل معرفته

هب ان العامل يعرف ان يتناح طعامه ويعطيه فان المسائل الاقتصادية والصحية ليست وحدها هي التي يطلب حلها بل ان الامم منها هي المسألة الفسيولوجية التي يجب ان يكون لها مبدأ صريح اذا اراد العامل ان يضمن صحته وعمله . فان الفسيولوجي يعلمنا بان الطعام يجب

نؤيمه بحسب نوع العمل بحيث يكون منه ثلاث منافع : اصلاح الانسجة التي تبليها اعمال الحياة واعطاء الحرارة التي تحفظ على الجسم حرارته وايراث القوة اللازمة لكل عمل عضلي . فتحتاج للقيام بهذه الحاجيات الثلاث الى ثلاثة عناصر اولية الاليومينيد من اللحم والبيض والبقول والدهن الحيواني او النباتي وهيدرات الكربون او الدقيق الذي يكثر في البقول فالاليومينيد يصلح من انسجتنا والدهن يعطي الكالوري والدقيق يعين على العمل ويعطي المرأة كمية من الحرارة . ولجعل التغذية على نظام مخصوص يجب ان يوضع موضع العناية لا المتنازع والفصل ( اذن من البين ان في الشتاء يحتاج الجسم الى كمية من الكالوري اكثر من الصيف ) ولا اختلاف احوال الحياة ( اذن المرأة الحلي او التي ترضع والولد الذي ينمو يحتاجان الى انشاء انسجة جديدة فيهما ) بل ينبغي ان ينظر الى نوع العمل .

ومنذ مدة بحث الذكائرة لاندوزي وهنري ومارسل لابي في تغذية مئة من العملة والمستخدمين في باريز فكان لبحثهم رنة كبرى وذلك انهم قسموا العملة الى اربع طبقات جعلوا في الاولى جميع العملة الذين يعملون اعمالاً بدنية كالتجارين والحجارين والتدخين ( Coltimeur ) والحمالين وصناع الحديد الخ . هؤلاء العاملون يكثرون من تناول اللحم فيأكلون مئتي غرام في اليوم ولما يتناولون المنتجات المغذية والبقول والدقيق ( Récurent ) والسكر و ٤٠ غرام من الخبز و ١٩٠ غراماً من البقول ونصف لتر من الحساء ولا يتناولون سكرًا بل يفرطون في تناول المسكرات على انواعها فيكربون ثلاث لترات من الخمر و ١٥٠ سانتيمتراً مكعباً من الابست و ٤ سانتيمتراً مكعباً من الالكحول على درجات مختلفة والطبقة الثانية العملة الذين يعملون اعمالاً متدلة كمن يشتغلون في المصانع او المعامل الميكانيكية والتجارة الخفيفة والقفالين وغيرهم هؤلاء يتناولون ايضاً لحماً كثيراً فيأكلون ٢٢٥ غراماً منه وقليلًا من المواد الدسوية والمنتجات المغذية والاحسية والبقول والاطعمة العمولة بالسكر فيأخذون ٤٠٠ غرام من الخبز و ٧ غرامات من السكر وربع لتر من الحساء ولترًا من الخمر و ٥ سانتيمتراً مكعباً من الالكحول من درجة خمسين .

والطبقة الثالثة من العملة الملازمون للجواس ككتتاب الادارات ومخفدي الخازن وعملة المكاتب التجارية وغيرهم هؤلاء يكثرون من كل شيء ولا سيما من اللحم والاليومين النباتي والبيض فيأكلون ٥١٠ الى ٥٤٠ غراماً من الخبز و ٤٠ غراماً من السكر والشوكولاتا ولا يأخذون حد الكفاية من البقول الطرية ولذا كولات انعمولة بالسكر ويكثرون من المقبلات الالكحولية والمشروبات فيأخذون ثلثي لتر من الخمر و ٨٠ سانتيمتراً مكعباً من الالكحول على خمسين درجة وعلى العكس من ذلك فانهم لا يشربون ماءً كثيراً ما يجب

ومعلوم ان الماء يجمع في ثنية الانجبة غير العاملة في الجسم . والطبقة الرابعة عبارة عن العملة والمستخدمين كالحياطات واثاثات الازياء ( Midinette ) ومستخدمات المحال التجارية وغيرهن فانهن ايضا يرتكبن اغلاطاً كبيرة تخالف قواعد صحة الغذاء فبأ كمن اطعمة كثيرة قليلة التغذية والادام كالسلاطة والفجل والمرق المحلل والقشء والثار الرديئة واقل من حد الكفاية من كل نوع فيتناول الفرد منهم ٢٥٠ غراماً من الخبز و ٧ غراماً من اللحم و ٨٠ غراماً من البقول وربع لتر من الخمر .

ولا يغفرك ان المستخدمين الملازمين للجلبوس وحدهم يأكلون في الصباح قبل تعاطي اعمالهم وما عداهم فانهن يبدأون بأشغالهم على الریق .

ويرى الاطباء المشار اليهم انه يلزم للعامل الذي يبذل من قوة جسمه ٣٦٠٠ من الكالوري كل يوم للعامل المعتدل ٢٦٠٠ وللعمالين الجالسين على كراسيهم ٢١٠٠ ولبانئي الازياء ٢٠٩٠ وهو حد الوسط الكافي ولا ينبغي تطبيقه بالحرف بل ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقامتهم ووزنهم واعمالهم . فاذا احب العامل الالبومين لتغذيته فعليه بسلك الارنكة والجبن وغذ الخنزير والبقول الناشفة فان فيها بيشته بجن معتدل وعلى العكس في اللحم والبيض فانها مواد غذائية تمد من نعم البطون . ولكي يحصل على الهيدروكربون عليه ان يستعمل البطاطا فانها في الدرجة الاولى يرخصها ثم الارز والخبز والسكر والبقول والثار الناشفة . واذا اراد الادمان فليعتمد الى دهن الخنزير وشحمه وانواع الجبن والشوكولاتا هذا وقد عرف جميع المشرعين مكانة تنظيم التغذية وقد حرم موسى على العبرانيين لحم الخنزير والحيوانات المقدسة ففكر ديني كما حظر مانوي على الهندو لحم البقر . وما زالت معتقدات المتوحشين بشأن الحيوانات التي يدونها أجسادهم واعتقادهم بالطوقية موجودة الى اليوم عند اجاء هاتين الفلتين وتجميل لهذا الحظر وجهاً من الشرع . وقد كان ليكورك اول من سن للاسبارطيين ان يتخذوا اطعمة عامة يعتمد عليها كالحساء الاسود اما الآن فان الافكار اكثر حرية في هذا المعنى فلا تقدر الحكومة ان تستبد ارادة المحكوم عليهم في طعامهم فليس احسن من ان نعتمد الى طريقة الامتناع من طريق الخطابة والكتابة وعلى اندية كليات الشعب خاصة ان تبين امثال هذه الموضوعات وان ننشر كرايريس رخيصة نشر هذه الافكار . والتعليم الديني الذي يعلم في المستقبل هو تعليم التغذية في الحقيقة .



## الأسرة (١)

قامت الاجتماعات البشرية الاولى على مناسبات طبيعية متشابهة ورايطة عصبية وميل الى ارض واحدة واتحاد في العادات واجتماع على اسباب المعاش ولم تتألف لاول امرها الا من أسرات منفردة ثم تقارب بعضها من بعض فتألفت منها جماعات جدد . وما احتيج سيرة العقود الزوجية باديء يده الى اقامة الحفلات لان الرجل والمرأة كانا يحملان كلاهما أعمالاً شاقة تضطرهما الى جهاد متواصل ويختلطان أكثر من اختلاطهما اليوم . وما كان يطلب من النساء ما يطلب منهن على عهد التمدن الحديث او ما يطلبن لانتسهن فيه من اساليب الظرف والكمال فان هذا كله لم يكن في تلك الادوار معروفاً كما لا يشاهد الآن في العناصر المتخلفة من البشر . وكان بين الرجال والنساء من التمايز الذي يسقط دونه التمايز والنساء من صلة القرى والابناء ينسبون لأمهاتهم .

ثم حدثت رغبة الزوج بزوجة فتشأ من ذلك الزواج بالبيع اي يبيع حقيقي عند الشعوب الاولى وبالبيع في الظاهر فيما بعد ثم نظم الزواج انواع التنظيم المختلف . فنيسر بذلك للاغنياء وزعماء القبائل ان يأخذوا عدة زوجات ونشأ من اجل ذلك الضر بعد ان كان الابناء يدعون لأمهاتهم . وما زال الضر اي تعدد الزوجات شائعاً في آسيا وافريقية وذلك للعادة المتبعة في تسليم الاعمال اليدوية للنساء بحيث يكون منهن اعظم مساهمة وينتفع بجهادهن احسن انتفاع .

الضروان كان من طبيعته جائراً فهو خطوة نحو التقدم اذا قيس بما كان البشر يلقونه من قبل من نسبة الاين لاهه وذلك لان الاب والام معروفان فيه . تقويت درجات القرابة اكثر من ذي قبل وغدا من السهل على الناظر اذا رجع الى الماضي ان يأتي بسلسلة متصلة من الازياء . ونشأت من احترام الاجداد ولا سيما في الشرق عبادة خاصة ما زالت سيرة بعض اقوامه على قوتها .

جرت عادة الشعوب الآرية منذ عهد بعيد ان تقتصر على زوجة واحدة وكان من نتائج هذه العادة اكرام المرأة واحترام حريتها ورضاها كل الاحترام وحلّ الشعور بالحب محل توحش القرون الاولى واصبحت المرأة ملكة في بيت زوجها وان تكن مستعبدة من حيث الاخلاق . وحدث من عواقب الاقتصاد على واحدة من النساء في اوروپا نظماً الاسرات ففرضت على كلا الزوجين واجبات كثيرة ما كانت موضع المناقشة وقد تعدل

(١) معرفة عن كتاب الحياة الاجتماعية لارنست فان برونيل

فيقبلها الرأي العام والفانون . وهكذا جرى عقد تبادل الواجبات بين الزوجين على غير قاعدة المساواة فالليونان والرومان لم يقولوا بتعدد الزوجات ولكنهم لم يمنحوا التسري ولطالما رأوا ان لا مانع من التزوج بامرأة غير المرأة الاصلية على طريقة نصف شرعية ولذلك لم تكن الفتاة اليونانية محرومة من قيود العبودية كل التحرير فهي في طفوليتها طوع ارادة ابائها واذا تزوجت اصبحت تحت حكم زوجها واذا تزلمت يكون امرها بيد اقربائها او بكر اولادها . ولم تمتاز العقيلة الرومانية على ما كان لها من الحرمة عن الرجال باس ولا خلصت من وصايتهم عليها .

وكان تقوؤ المرأة في شمالي اوروبا بين البرابرة ضئيلاً وكذلك عند السلت والغالين وحالها احسن قليل عند الجرمانيين ولذلك اقتضى لما حركة عقلية قوية للاستمتاع بحريتها . ولقد كانت النصرانية بتجديدها الامومة عوناً على رفعة شأن المرأة الادبي واعلاء مقامها وتكريه اكثر مما كانت . ومع هذا فنكاد لا نتخلو حالما من تعدد ويوشك ان لا يكون موقفها معه بعيداً عن الحرج . ويكفي للاقتناع في هذا الباب ان يدرس المرء ما يتعلق بالمرأة من مواد القانون درساً موجزاً ليعرف حالها اذ ذاك . على ان هذه القوانين ما يبرح حكمها الى اليوم وانفذاً في معظم الممالك الاوروبية .

فقد جاء في تلك القوانين بشأن المرأة بان عليها ان تطيع زوجها وتفقد بعقدها عليه جنسيتها واسم امرتها واسم بلدها وحرية التمتع بحقوقها وليس للزوج ان يتنازل عن الحقوق التي منحه القانون ابائها ويحظر على المرأة ان توقع على عهد مدني او شرعي بدون اذن من زوجها او ممن يرجع اليه امرها . ونفضل القانون عليها فخصها حتى الايصاد وهي لا تستطيع وان تجردت عن مالها ان تكون لما صفة امام المحاكم ولا ان تمنح مالها وتبيع وترهن وان تأخذ شيئاً بشئ او بلائثن دون توسط زوجها فيه واذا لم يكن لها زوج فالشرع يتولى ذلك منها واذا كان الزوج يشرك زوجته في الاموال ساغ له ان يتصرف لا يبيع املاكها فقط بل ان يملك في بعض الاصقاع واراداتها الناجمة من عملها بالثبات .

ولا يحق للمرأة ان تظفر في مستقبل اولادها . ويحظر عليها اذا كانت اميرة ملكية ان تجلس على سرير الملك في كثير من الممالك وان دل تاريخ بعض الملكات في انكلترا والمانيا وروسيا على ان صولجان الملك في ايدي النساء لم يكن دونه في ايدي الرجال قوة وسطوة وقد بذلت العناية من وراء الغاية ولا سيما في العهد الاخير في تعديل القانون الذي لا يمنح الزوجة وهي في حجر الاسرة الا شطراً محدوداً من العمل فسوخ المعارضون تلك القيود الموضوعة وعملوها بقلة حكمة المرأة وتجاربها وما يعتريها من التأثيرات النفسية والبواعث للحركة

لما بدون ان ينظروا اذا كانت هذه الدواعي في الخطأ والاعمال النابية عن التدبير كثيرًا ما اثرت اثرها وان معظمها ناتج من ذلك القانون نفسه الذي يزعم بأنه غير جائز . لاجرم ان التعليم الذي نعلمه المرأة اليوم على قلة كفايته وغنائه اذا توسع فيه وجرى تحسينه بحسب سنة العقل لا يلبث ان تظهر نتائج في الحال . واذا ربي عقل ام البيت المقبلة وأشهر قلبها الاحساس بما لها من المكانة ينشأ من ذلك اساس تربية الولد الذي يطلب اليها ان تراقب تأثراته الاولى وتديرها يديها .

يجب ان تكون المرأة رفيقة الزوج لا خادمته . واذا انها شاركت في نعيمه وبؤسه فلها الحق ان تشاركه في حياته واعماله وامانيه في المستقبل وان تستند الى معونه وحمايته في جميع الاحوال واذا احترمت في ذاتها تظل امينة معه فهي حارسة التقاليد اليتية فاذا خانت وادخلت عنصرًا اجنيبًا الى بيتها في وقت ضعفها فتكون قد ارتكبت عملاً شائنًا توجبها نفسها عليه ويؤدي ذلك بها الى فناء وكتمان لا ينطبقان مع طبيعتها الشريفة وتضطرب نفسها اي اضطراب كلما تمثلت لها فعلتها .

فالزواج على ما يمثل لفكر عادل مستقيم يفرض ان هناك احساسًا حقيقيًا بين الزوجين المتجلبين وانهما على كمال الاستمتاع بقوامهما في المال والقدرة على العمل ليفهم بقاء الأسرة وهذا الشرط الاخير كثيرًا ما يصعب تنفيذه وبالاخص ومنه يتجى ان بعضهم قد يطيلون امد عزوبتهم الى اجل غير مسمى مع ما في امتناعهم عن الزواج من الاستهتار والشذوذ . ويعقد بعضهم من العقود الزوجية كل ضعيف ضئيل يكون الداعي الاعظم فيها مصلحة خاصة واغراض ذاتية . ومن هناك انت الفساد وهي ناشئة من نادات رديئة وكثيرًا ما تكون هي الجرائم بينها . وقد ظهر في بعض الزواج من التنافر في الطباع والاخلاق ما اقتضى معه ان يتلافى امره بالسماح بحل رابطته . وما الاذن بطلاق الزوجين المتنافرين الا اقرار شرعي على امر ثابت اصح دوامه لا يطاق .

وكل ما يفهم عرى عهود الزواج وان كان معقولاً في ذاته لا يخلو من حسرة تلحق الابناء الذين ولدوا من ابوين يريدان الانفصال والطلاق . وبهذا النظر تعين على زوجين يرغبان في الطلاق ان لا يقدموا عليه الا بعد التأمل الكثير لتخاميا الوقوع في معائب تربو آلامها على ما صارت اليه حالها .

ولقد دعا تعدد الزواج المتسرع في عقده دون النظر في المستقبل والتدبير في قلة ملائمته الى القبح في نظام الزواج نفسه في صورته الحاضرة وتعظيم امر الزواج الذي المراءاة منعت فيه حالة الاولاد الذين يولدون منه ببعض ضمانات خاصة فلا يقوم الزواج بذلك باجراء

شعائره المدنية او الدينية بل بإنشاء صك بسيط تكون شروطه معقنة على ارادة المتعاقدين .  
ولعله يأتي من هذا التغيير المتطرف ضرر بالطريقة المستعملة الآن في الزواج . على اني قلت  
آنقاً ان الزواج الذي لا يفكر في عاقبته ويتم الرضى فيه دون العناية بما يحدث عنه من  
المسئوليات قد اصبح شائعاً فليس من العيب ان يجعل للرأسم الزوجية بعض الشروط  
ليفهم المتعاقدان كل التهم خطارة ما عقد لها عليه . وبذلك يصح احترام المرأة على اساس  
راهن . فاذا كانت الوعود التي تسبق عقد الزواج الحرفي بحيث تضمن للمرأة مكانة  
اجتماعية فلا تعرضها لاحتمال اهواء النفوس التي يصعب الاعتذار عنها فانها لا تختلف عن  
الشروط الزوجية الشائعة ولا موجب اذ ذاك للتغيير واذا نقص من حرية الطرفين شيء  
يلحق المرأة من ذاك القسط الاعظم . فهي التي تستفيد في الواقع من الزواج خاصة لان  
الزواج يعود منه في الغالب على الرجل زيادة موارد ثروته . وان المرأة لا تنتفع بمجالها  
وتستوفي شروط احبب اليها زماناً طويلاً فاذا تكون حالها باترى اذا شاخت ولم يكن لها  
بقايا الطويل في بيت زوجها والتنعج بما تسحقه من الحقوق في حياتها ما يجعلها موضوع  
الحب الدائم والاحترام من زوجها ؟ فكل عقد لا يوليها حالة ثابتة لا يتأق لها معه مما  
يلغ من جمالها وطهاره اخلاقها ان تأمل الوصول الى انواع سعادات الامومة التي هي خاصة  
بالزوجة الشرعية . تدعي حالة الولد عناية فائقة من الاب والام حتى ينمو النمو القانوني في  
طبيعته واخلاقه على انه لا يستطيع ان يسير بما يمكن من الحكمة والتفكير ليحصل قيادته بيده  
الا اذا بلغ اشدّه او كاد . فالصلحة الاجتماعية تنقضي بان يعيش ابواه معاً حتى يبلغ تلك  
السن ويستلزم ذلك قضاءها اعماماً معاً فاذا انقضى ذاك الدور يمكن اتنعج للزوجين بان  
يفترقا ليبدأ حياة جديدة بعد فوات الوقت . وانه ليرجى حرصاً على مصلحة الزوج وزوجه  
ان يكون الزواج دائماً ولا يخل عقده الا في احوال نادرة .

قلت انه يجب ان يفرض في الزواج وجود عواطف في الحب متبادلة بين الراغبين فيه  
مصحوبة بحرية التمتع بما لا يكتفي لاحالة الاسرة ولا يلزم اكثر من ذلك في الحقيقة للأفراد  
حتى يكون الزواج شرعياً . ومنا سؤال وهو انه هل تكفي هذه الشروط من حيث الاجتماع  
ألا يلزم النظر في صحة الزوجين لمصلحة الاولاد الذين يولدون منهما ؟ اتسمع لبعض من  
اصيبوا بامراض تنتقل بالوراثة او معدية ان يعقدوا زواجا ويتقوا بأنزهم وسوء عقلتهم  
العدوى الى أسرة جديدة اخرى ؟ هذه مسألة حرية بان توضع محل النظر لانها من ادق  
المسائل ولا يحذر حلها لوجرى فيها كما يجري في دور تربية الحيوانات حيث يعزل السقيم  
عن السليم لادل وعلامة اما في المبدأ الذي يستلزم اولاً العناية بتحصين النوع فانه تحذف

منه بحسب القياس الاعضاء الضعيفة الكثيرة او السيئة التركيب لما في وجودها من الضرر الذي يلحق المجموع . ولك ان ترجع الى القواعد الطبيعية الظاهرة لتبرير هذا العمل ترى قاعدة الانتخاب الطبيعي تجري مجراها حولنا في ذوات الاعضاء فشاهد ابدًا سيلة طبقة الكائنات النباتية والحيوانية فناء كمية عظيمة من الجراثيم لقلة غناها في المحيط الذي تظهر فيه اولضعف تركيبها عن المقاومة .

الا يكون المرء قد عمل بسنة العقل وبما يقضي به الواجب اذا ارجأ بذاته ومحض ارادته واخلاصه عدم ايلاد اشخاص يصحون عرضة لعامة المصائب الطبيعية منذ ولادته . ومن المحقق ان المرء لم يتأثر وجدانه من هذا القليل . فكان الحق للاب في الازمان السالفة ان يستقي من يولد له من البنين والبنات او يقتلهم متى رأى ولده ضعيفاً ضئيلاً يقدمه للموت بلا شفقة . ولقد نشأ في القرون الحديثة شعور وان لم يكن حديثاً في الناس الا ان ارتفاع التقدم جعله عاماً ونفي بهذا الشعور « الرحمة » ففي اليوم ته ارض ما كان يجري سالفاً من قتل الاحياء الساقطة . لان من لا يهيبك ظاهر حاله لفساد تركيبه الطبيعي لا يجب ان تحكم عليه باسقاطه من المجتمع بل يتيسر ان يشغل من اعمال الاجتماع الكثيرة حيزاً يعمل فيه عملاً . فالحال تقضي اذاً بايجاد وسائل اخرى تكون الى الاعتدال تحسين اجناس الناس . وقد اقترح بعضهم ان يفحص الموثمون للزواج خصاً طبيكاً لغايات من سوء الاستعمال ولو امكن تطبيق هذه الطريقة الواقية لنشأ عنها نتائج حسنة اذ الظاهر ان تطبيق القول على العمل لا يخلو من شبهة . وذلك لان الاهواء البشرية اذا غلبت عليها على هذه الصورة لا تلبث ان تخرج عن حد ما رنحه القانون وتضمد الى التزوير والى الشهادات الطبية التي تنال بالشفاعات لتجنب هذه التيزيد والاوامر . ومتى اصبح هذه القوانين ممولاً بها وتعدر الزواج الشرعي على بعض الناس لا يلبثون ان يمددوا الى الزواج الحر فيظلمون على هذا الوجه من كل قيد وسلطة .

ولا دواء لهذه الادواء الا التربية اذا سارت على منة العقل وكانت الغاية منها ترقية المواطن الشخصية بالآداب العالية . فالتربية هي التي تعلم اولئك الذين يحظر عليهم الزواج لضعف فيهم انه اذا جاز القانون عليهم ولم يرض لم الاشتراك في النسل والحب فهو يوجب عليهم اذا ارادوا الخضوع لما اوصى به الشرف والواجب ان يتنموا بما يحيل المعاهد فيهم دائماً .

انجد ثنائقاً في هذا الاستنتاج وفي شعور الآداب العالية التي دعوت اليها لا اظن ذلك . بل اني اعتقد ايضاً في بعض الاحوال الخاصة مثل قلة اسباب معاش الأسرة انه



يستحب لربها ان يتجنب زيادة عدد اولاده بدون روية لعله بانه يحكم عليهم بالحرمان والفقير منذ ولادتهم . وليس معنى هذا ان تقبل رأي مالتوس (١) كأنه حقائق في قوله بعدم التناسب بين نمو السكان ومواد معاشهم وان نقص التوازن بين الاحياء وما يحيون به لا بد من وقوعه على انه اذا ظهر ذلك فيكون من عدم التساوي في توزيع الاجناس البشرية على سطح الكرة الارضية .

ترى العناصر الانسانية تتكاثر في بعض الحال بحيث يؤدي بها ضيق مضطربها الى النزاع على اصغر قطعة من الارض التي كادت تفقد قوتها الانباتية على حين ان هناك اراضي واسعة تادرة ينجسها وفي لا تزال بوراً . بيد ان مصاعب كثيرة تحول دون الافراط في الاكثار من الجنس الانساني . وبعد فان للطبيعة اسباباً ملطفة ما زالت نوايسها غير معروفة حق معرفتها ولكن لما عمل لا يسع احداً انكاره على ضرور التناسل في عالم النبات كما في عالم الحيوان .

فقد ذكرت بعض الحوادث التادرة فيجب الآن ان ادخل في التعميم بان اصول سلطة الاب على نومه هي معروفة عند ارباب الافكار الحديثة . كانت سلطة الاب على اولاده مطلقة في القديم وجعلت الوصايا العشرية الوالدين من اقدس واجبات الابناء فاذا قال الولد لايه أُمّر وخرج عن طاعته يعاقب بالموت . ومثل هذا القانون كان نافذاً في آثنية وان كان بشدة اقل . وكان لرب الأسرة في رومية الحق المطلق ان يقمع ما ارتكب ابناؤه واهله من الاغلاط ولم تكن جملة القربي منظوراً اليها بانها نتيجة عقد بين الزوجين ولا يجسر حلها اللهم الا عند الجرمان والصفالية ( السلافيين ) وما كان الابن حراً بالخروج من أمرته بمحض ارادته بل من الضروري استتصال رضى والده بمغفه اياه في صورة كأنه يحجوره من رقه .

وغير تكثير ان الطفل على جهله في كل شيء محتاج للتعليم والتهديب فيجب عليه الطاعة لوالديه ويجب عليهما ان يحياه كثيراً ويعتروا بما بينهما من الصلات وما ياملانه به من المعاملة الحسنة لتكون تلك الطاعة مبنية على العطف والطبيعة . يجب ان تقوى فيه الرغبة في التعليم والمادة على الابتكار والشعور بالعدل وطيب السرية تلك الصفات التي تضيق

(١) هو اقتصادي انكليزي مات سنة ١٨٣٤ ومن رأيه ان يمنع ارباب العاهات عن الزواج لثلا يزيدوا التسل البشري اعضاء خارة وان نمو السكان يزيد في الارض عن نمو ما يقينهم من الزرع والفرع فيجب ان يقتل الناس من الايلاء وقد طبق مبدأه على نفسه فلم يتزوج الا في الثامنة والثلاثين ورزق ثلاثة اولاد .

الخلق على اموائه وتجمعه عضواً نافعاً في حياته المستقبلية . فاذا اعتاد ذهنه الاعتدال يترى ويجود كما يقوى الشعور بالمسؤولية . يجدر ان تترك له حريته وان يستعاض عن اخضاعه لاوامر والديه بنصائح فيها العطف والحنان . فاذا طلب الى الولد وقد استكملت سنه ان يحتفظ كل الحفظ بما يزم به من الطاعة وهو على كمال الاستحكام في قواه فيعد ذلك اجماعاً بحقوقه واحراجاً لصدوره . وعلى الوالد في تلك الحال ان لا يكون الا بمنزلة صديق يؤخذ كلامه بالاجلال لا ان يكون بمنزلة معلم يسيطر على مستقبل ليس له منه ناقة ولا جمل .

كان النبي ينهى كثيراً في القديم فوضعت له القوانين اليوم قيوداً وشروطاً . واخذت الصلات المائيلة في الاضطهاد عند الطبقات التي هي اكثر من غيرها انتماساً في الحضارة في اوربا واميركا فكان الحياة الخاصة في سالف الازمان صفة ثابتة بقيت من النظام الاجتماعي الموضوع الذي فقد في المدن الكبرى لهذا العهد . وكان من ازدياد صلوات الامم بعضها مع بعض وتمازج العناصر المختلفة تعديل كثير من العادات المتأصلة والآراء التي كانت تخيل سابقاً فزاد الارتباط بين الافراد والمجموع الذين هم بعضه ودعت سهولة التنقل الى حدوث تغييرات في المحيط فتشأ عن ذلك بحكم الطبع تأثيرات جديدة اثرت في الحركة العقلية فاتسع مداها وانصبغت بصبغة الانسانية . على ان موازنة الاخلاق القديمة قد سرت اليها امور كثيرة القلت فيها الاضطراب وزعزعت منها الاركان واستلح بالضرورة اذ لا يقوم مبدأ الامرة على اساسه الطبيعي بدون شيء من التضامن . وكل اجتماع بشري عرض للزوال بعده عقياً لا ثمرة فيه بتاتاً .

## نبأ مصر

﴿ وحالة الاجتماع فيها لسنة الماضية ﴾

نسبٌ بوادي النيل غيرٌ قليل	وظل بهذا الروض غيرٌ قليل
فلا الارض تلك الارض خصياً لاهلها	ولا النيل في ارض البلاد بئيل
نقضنا يدينا واتزونا مذلة	وأضيق ما في الناس حقٌ ذليل
لنا كل يوم ألف رأي وما لنا	عليها من الافعال فردٌ دليل
نقله الفاظ السياسة عمرنا	ونفعل عند الحزم أيّ فعل
ويا بعد ما بين ( الصليل ) وموله	وان قرباً شظاً وبين ( صهيل )

فلاسفة فيا نقول فلم نزل  
وما من حديث بات غير مُشقق  
أفي كل يوم كاتب يشرع القنا  
أفي كل يوم صارخ ذو حمية  
أفي كل يوم شاعر ذو حفيظة  
أيجب ميزان السياسة في الوري  
وأنبتهم يتصرخون ليوقظوا  
فياباذخ المم اضطربت ولم ترد  
نصول على الدنيا بيعض نقول  
ولا من جدال بات غير فصول (١١)  
ليقلب جنب الارض بعد قليل  
يفتح يقال في البلاد وقيل  
يخط سطوراً من دماء قليل  
كيزان معمولاته وفصول  
نياما بلبل في المطال طويل  
على نزوات أعقت بخمول (١٢)

\*\*\*

أالآن والنرس الذي تظرونه  
صغار وجبن خالغ في كبارم  
تخلصونا أهل كل عزية  
ولا طول فينا غير نوع تطاول  
بكل سبيل نزع السير للعلی  
تأدوا لغابات المنى بأدائها  
ألا إنما الداء النميص عقولنا  
وأهوت بفرج الأمور ولها  
ملايين لم نشر بيعض عقول  
وامفرهة لته لفظة «عول» (١٣)  
صباحا خال قصرنا «عول» لغار  
ولا فضل فينا غير بعض فصول  
ونزد السفل بكد سير  
فما جل لا يغيه غير جليس  
وما شجر ينمو بشير أصول  
إذا القيت يوما لغير جهول

\*\*\*

تباين ما بين الرجال وكلهم  
فيأعصبة الاحزاب ردوا حلومكم  
فقد سلطت في مصر منكم عجااجة  
عجااجة صيفر قد اثارث قنامها  
وما انتم في امريء من الهوى  
واحببتموها سنة جاهلية  
على زعمه بالامر خير كليل (١٤)  
وجروا على غير الثرى بذبول  
ولكنها لاحت بشير صليل  
خيول سباق لا غير اغر عبل (١٥)  
فما بال وأش ينكم وعدور  
عداء اصبل فيكم «ودخيل»

(١) الحديث المشقق الذي يشتق بضه من بعض وهي كناية عن زديد كل قائل  
ما يقوله الآخر (٢) باذخ المم موجه المرنع (٣) اشارة الى مبدء تريتنا المهول من التفرع  
بالبيع والقول (٤) تباين ما بينهم انقطع كل عن صاحبه (٥) اشارة الى استباق اكثرهم  
غاية الشهرة من غير اتحاد على مبدء يناضلون عنه بحماسة فطرية

تخلوا بأمر السلم واستجمعوا له  
ولا تخطوه بالثفاق فقيّة  
فألكم إلا الذي تملونه  
ألمّا تزلوا فاصرين فاصركم  
تقوا عارها من سبة تركونها  
لجبل وبقايا الزمان لجبل

\*\*\*

أرى ثمة سكانايات تدلّا  
تخال التي منهم على ظلة النوى  
ملول كما شاء الموى والتدلا  
وما وجد الاعمال يوما وانما  
وعن التي أن «التمن أنوي»  
تأجن في اشكالها من مصيغ  
الى اللفظ حتى ما تكاد شفاهه  
الى اللفظ حتى ما تكاد جفونه  
دلال جليل بالجمال هنا

\*\*\*

اولئك هم شباننا لو صرفتم  
مظاهر بل فالتقوا في اصطناعها  
أحفا على غيب القضاء همونا  
وما نحن «اعل الحكم» تدفع دفعهم  
ثم عودونا الدل ثم تلوتوا  
ومن عود الدل الرجال حلاله  
فيامصرانت السيف صفلا وجولة  
ويا كفت مصر ذلك السيف والوفى

\*\*\*

لجنا بما لا نضمرون خفاره  
واكثرنا من علقه وميل

(١) تخطى بالامر اتقود به وافرد بالنهاية (٢) الثوبان هنا هما الثوب الظاهر كله والثوب  
الباطن بضمه كالتقيص وما اليه

فياشروها من ازمة تركتكم  
وكم امرق تمجي المضاجع منهم  
يعدو رغيف الخبز فيهم وليمة  
اخاف على ارض البلاد ويلها  
فنسي على نيل البلاد وارضا  
جريت سراعاً للفنى تطلبونه  
ولما اراد القعدون سلامة  
تصيرون بالهتل نستجدونه  
الا فاطلبوا اثباتنا في بلادنا  
ومن يطلب الامر البعيد ويحمل الا  
انظرا قسي الآن والماء في يدي  
فلا كتونا نوا انما الوقت فرصة  
واولاصكم بالفخر كل يخيل  
تقلب طول الليل كل هنيل  
لدى كل منضم هناك ضئيل (١)  
ذهابهما رهنا لكل نزيل  
كانا على ماء (ويعض وحول)  
بكل طريق فاهناوا بوصول (٢)  
فما «لصعود» بينهم «وتزول»  
مراغمة ما انتم بعدول  
فان ضياع الملبس به رحيل  
تجرب يضع امره بعد حصول  
واترك للانهار بل غليلي  
تمرث ومره الوقت غير ثجيل  
مصطفى صادق الرافعي

### علي رمل الاسكندرية

ايه ابتها الامواج الخالدة كم شاهدنا من امواج الانسانية ومن يخورها القانية .  
امام عيونك الزرقاء وفي ظل ابتسامتك الفضية كم نبحر بجزوفضب وكم تبددت تحت  
اقدامك موجة هادرة شامخة من امواج البشرية .  
علي هذا الساحل التحي الجميل قاتلت الملوك قديماً فنفت باخبار مواعها ارباب الفنون  
ورددت صدى غزواتها السن الشعراء .  
بالقرب من صدى هديرك المائل حاجت امواجهم وماجت فمادت الى حيث لا يبلغ  
مدك ولا تبصر عيونك الرمل والعصور .  
عادت امواج انفسهم المضطربة الى حيث لا نبع الا نبعك الدافق من ميازيب  
ذهبية في بساتين من الور الازلي الروحاني :

(١) المنضم الفاسر (٢) هذه التهئة في اسلوب التكم علي اهل الجسيم من قوله تعالى  
( ذق انك انت العزيز الكريم )

هناك نبعك ابنتها الامواج وهناك ايضا نبع الانسانية .

\*\*\*

انت مجت قديما في صدر الاسكندر فجت به الى هنا ليبنى لك هذه المدينة الزاهرة .  
 انت حملت انطونيوس اليها ليطني لوعة غرامه .  
 انت منحت القيصر قسطنطين عظمتهك فغاض عبايك طمعا بك عظيم بل شغفا بوجدوسيم .  
 واراك الآن هائجة في قلوب الصغار والاذلاء كما مجت قديما في قلوب الملوك والامراء .  
 اراك مضطربة مبتحمة مما اذ تشاهدين على ساحلك هذه الامواج المزوجة من  
 بحر الانسانية .

في نتاج على الرمل في كنف الصخور تمازجك في بطن امك .  
 في امواج من النفس يمن بعضها الى بعض ويهيج بعضها على بعض ويخفي زبد الراحدة  
 تحت زبد الاخرى ويزوب زجر الهائجة تحت مد المديرة .  
 الحب ابنتها الامواج يؤدك .

والحب يحمل اليك هذه الامواج القلقة القانية .  
 ومعا عظم اضطرابها على سواحك الدهية فراحتها اخيرا تحت ابتسامتك القضية الازلية .

\*\*\*

لا تعبني من هياج هذا الانسان واضطرابه فما هو سوى طوائف من الامم والحيوانات  
 الجبرية تختلط في بحر من النفس لا يرى مدبنتنا من المدن الكائنة تحت امواجك .  
 ايها البحر الهائل ايها الرقيب الازلي وفيها من الحيتان واللافين ما يزرعي بجيئناك ودلا فينك .  
 فيها يهدر بحر من هذه الانسانية المتكاملة .  
 وكل موجة من هذا البحر القريب لون يختلف عن الآخر .  
 لكل موجة صوت لا يشبه اخاه .  
 لكل موجة شكل ومنهج وعبوسة وابتسامة .

\*\*\*

هذه الاسكندرية وفي يجرها تشاهدين الآن ما لم تشاهديه فيما مضى من الزمان .  
 امامك الآن امواج مزبدة من نهر التاميس الهادي . وامواج هادئة من نهر المسيبي  
 المتدفق وامواج كرواني الجبال من انهر الرون والرين والدانوب والسنين . وامواج عطلة  
 لطيفة من بحر الاحمر وبحر الهند وبحر فارس .  
 في الامواج تلاطم بعضها بعض ويمتزج بعضها بعض ويتلع بعضها بعضا ويقتل بعضها بعضا

أو يعطف بعضها على بعض والكل يهلك نفسه في هذه الحركة الدائمة . في هذا المراكب الشديد والضجيج المديد .

يشيدون الصروح ويهدمونها . ويؤسسون الممالك ويبيدونها . فيتلاشون أخيراً تحت أقدامك . وانت باسمه ضاحكة تحفرين منهنهم وأمواج منك كالظلال تحمل اليهم نأياً من الأبدية .

\*\*\*

بحر الانسانية يفيض ويزيد ويهيج ويهدأ ويتجبر ويتعصب ويمكر ويرسب ويتلاشى وانت باقية الى الابد .

تشاهدن هذا الزمان كما شاهدت أباطيل الازمنة القابرة .  
نسمين ضجيج ابطال هذا الجيل في «البورص» كما سمعت حليل رماح ابطال الاجيال  
الماضية في ساحات القتال .

وتستقبلن الشمس كل مساء كما تستقبلينا يوم لم يكن على سواحلك مدن ولا عمران  
ولا نبت ولا حيوان .

امين ريماني

لينان

### نحن على منطاد

نحن من ارضنا على منطاد      جائل نيف شواسع الابعاد  
طائر في الفضاء عرماً وطولا      يجتاح من القوى غير باد  
ايها الارض سرت سرك متخفي      ذا تتاجين في زمان أحاد  
تقلبت في نهار وليل      ذا مقل وذاك للناس هاد  
في بلاد يكون سرك تأوي      يا على انه سرى في بلاد  
ليك دفع وفيك بالارض جنب      لك ذا سائق وذالك حام  
فلك دائر على الشمس طورا      في اقتراب وتارة في اجساد

\*\*\*

ليت شعري وما حملت من الآ      راء الا على خلاف السداد  
لبقاء ثقلنا الارض في تن      يارها أم ثقلنا لثقاد  
نحن في عالم تقصف فيه      عارض الثابتات بالارصاد

شأننا العجز فيه نوجد أنى  
ضاع جنر الحياة عنا غفنا  
شفتنا الدنيا بلهو ولعب  
ضل من رام راحة في حياة  
كلما قد أجلت في أم دفر  
قلت قولاً افاد من قبل فيه  
« ان نحيما في ساعة الموت انه  
انما هذه الحياة جروح  
كل امرئ ان أطلت أر  
لا تلثي اذا جرعت فاني  
طال عتي على صلات الليالي  
كدرت عيشي الحوادث حتى

\*\*\*

صاح ما دل في الامور على الاث  
فاحصر بالسفيه تمس حلياً  
والليب الذي تعلم انها  
ايها الفز لا تضر ك دنيا  
خف من غاص في الفزور كافي  
يا خليلي والليل المومسي  
خاب قوم اتوا وحق العيش عزلاً  
قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتمنا  
لوعفنا لما اختفى قط محسو  
فتاع الحياة احقر من ان  
أنا والله لا أريد بان أو  
ان لي ان سمعت انة محزو  
ان تنسي عن هما ذات شغل  
لا احب التسم الا اذا ه

\*\*\*



أبها الناس إن ذا مصرعه  
مصر حكيم الخياط والكهربائي  
يبيت فيه للعلم المباني  
فاض فيض العلم بالرخم من  
أن للعلم في المالك سيرا  
أطلع الغرب شمسه لجبا الشر  
أن للعلم دولة خضعت دو  
ما استعاد التقي وإن ملك الار  
لا تسابق في حلبة المز ذا العا  
أن اموات امة العلم احيا  
وكأين في الناس من ذي خمول

مر العلم والجد في العلم والجهاد  
ة « والماكنات » والمنقاد  
رأيت للبحث فيها النوادي  
ضربوا دونهم بالاسداد  
مثل سير الضياء في الابداد  
ق اقتباسا من نورها الوقاد  
ن علاها عوالم الازداد  
ض باعلى من علمه المستفاد  
م فسا للجهنم شأو الجواد  
حياة الارواح والاجساد  
ضار بالعلم كعبة القصاد

\*\*\*

رب يوم وردت دجلة فيه  
حيث يصعب في سكوت عميق  
وعبوب التسم يكتب في الما  
ينمي بعضها ويظهر بعض  
وتن المياه لي بخريد  
قت في وجهها أردت طريفي  
واقفا تحت سرعة ناع فيها  
مشدا في النواح شعرا غريزا  
جاوبته اثنائها بأنبي  
ابها الطائر المرجع فوق  
بين ماء جاري ولن شجي  
يامياها جوت بدجلة تجا  
ان تقسي الى الحقيقة عطش  
كنت تجوين والصفاء والسكر  
أبها الله ان تجري ضياعا  
فني تقطن النفوس فيجا

موردا خاليا عن الورد  
ماؤها لاثما خلف الوادي  
سطورا مسترة في اطواد  
فهي تناسب بين خافر وباد  
كأنين القيم للعواد  
ساكنة والضمير مني ينادي  
طائر فوق غصنها المياد  
أ حزينا كأنه انشادي  
من خفيف الاوراق والاعواد  
فمن هل انت ناعم ام شاد  
منك يا طائر استطار فوادي  
ز مرورا يجاني بنسداد  
افشقين غلة من صاد  
خ خلا من رائج أو غاد  
وحواليك قاحلات البرادي  
بك سقيا موات هذي البلاد

لو زرعنا بك البقاع جوباً  
 فيدرسه خليج فارس ماذا  
 انت والله صعيد ولجين  
 لو اتينا الامور باستمدانه  
 فاجر ياماه ان جريت رويداً  
 باناة - وسهلة واتاد  
 علنا نستيق من رقدة الفقة  
 ر قفنى بفيضك الموداد  
 سلكتك السما بتاييح سيف الار  
 ض امدتك ايما امداد  
 فتجبروت في السفوح عيوننا  
 نيت من محازن الاطراد  
 واذا ما انتهت في جريان  
 طعت لبدء في متون النوادي  
 هكذا دار دائر الكون من حي  
 ث انتهى عاد راجعاً للجبادي  
 بغداد  
 معروف الرصافي

## مطبوعات ومخطوطات

### الحياة الاجتماعية وتجلياتها

Ernest Van Bruyssel - La vie sociale et ses évolutions. Paris, Librairie Ernest Flammarion

هذا كتاب اخبره مؤلفه للناس باللغة الافرنسية في الشهر الماضي في نحو ثمانمائة صفحة وقسمه الى عشرة اجزاء ذكر في الاول الأسرة ومقر الأسرة وفي الثاني طوائف الناس وتاريخهم وحالة العالم الحاضرة وفي الثالث العواطف الدينية ومظاهرها وتأثير المعتقدات الدينية الاجتماعي وفي الرابع الاوضاع القانونية وتعديل تنظيم القانون وفي الخامس المصالح المادية واتساعها ومكانتها بين الام والحملات البحرية والاستعمارية وتأثيرها وفي السادس الصنائع والفنون والمهندسة والنقش والتصوير والموسيقى وفي السابع الآداب واثار القدم والحديث منها وفي الثامن نظرة في العلم وما نتج من الاخصاء فيها على التوالي وفي التاسع طريقة التعليم على اختلاف المصور وفي العاشر نشوء الافكار السياسية والحزب الاجتماعية. هذه لمصول الكتاب وكلها مفيد نافع توخى مؤلفه بعد التجارب الطويلة ان يجعله عملاً للقاري ينزل للتعليم لا ان يلقى عليه مسائل قد لا يفهمها الاكابر العلماء. فجاء كتابه نافعاً للخاصة والعامة جامعاً للميليات الى النظريات قال المؤلف في مقدمته :

« كنت في قرطبة على شاطئ البحر والغلام ملق سديه على السماء فلا ترى فيها الا

ما ازدانت به من زينة الكواكب والسكون يحف في وقد مليء اسراراً وساد الآكام  
والسهل حيث كانت هذه المدينة اثينية في سالف العصور محاطة بأسوارها الثلاثة وفيها  
معابدها وقصورها وارصفها الزاهية واليوم لا يرى فيها الا بضعة حوائط مبثرة يُودعها  
الى العصر الروماني واكوام من الانقاض يحديق بها فلاح عربي محراثه وقياب باحة واحواض  
نصفها محلاة وقبور مدنسة وقطع من عمد ملقاة بين باقات نبات البرواق والقمم .

وأيت ثمت صورة لا نفسى فذكرت تلك الخرائب المبعثرة ما طراً من التبدل العظيم  
على الحياة الاجتماعية فكان منه انحلال في بعض الاصقاع وتحسين في اخرى وما برح قابلاً  
للقول بما فيه من النقص الظاهر لانتساعه وانسباط محيطه فادى بي التأمل الى ان اخنت  
أفكر في القوانين التي لا تبدل احكامها في هذا الوجود ولم يبرح امرها محبوباً في الاغلب  
وما تاريخ الانسانية في الحقيقة الا سلسلة من الحوادث لو بحثنا فيها بحثاً منطقياً لآبنا  
بعضها متشعباً من بعض فاذا اوردت هذه الحوادث الغزيرة فلا ترى فيها الا اتساقاً لهذا كورة  
بدون ان يستتير بها الفكر واذا جمعت على ترتيب حسن بقطع النظر عن تفاصيلها المديدة  
تكون محمولة بالقوائد . الا وان الاشتغال في انعام هذه الباكورة العامة التي تتضمن درس  
للمجتمعات البشرية منذ ابتدائها وتبنيها في نشوئها التدريجي وتضعها موضع التطبيق والعمل  
يحيث نصف ما فيها من المآثر والمآسي لما يساعد على نشر هذه الافكار الكثيرة ويدهو  
الى التوفيق على البحوث ام واحداث .

خطر لي هذا الخاطر ساعة وانا في خلوة وامامي ماضي البشر الذي يوحي الى القلب  
ما يوحي . فاهاب لي ان اشترع بمثل هذا العمل على حين لم اجعل صعبته وذلك لانه انفعي  
ان اوضح فيه مجموع ما ظهر من بدائع عقول البشر في السياسة والعلوم والفنون والادب وهو  
متوقف على جميع انواع البحث على صورة تكاد تكون كدائرة المعارف بما يجمع وتضم . وفي  
هذا التأليف من الفائدة ولولم يستوف حقه انه يسهل تقويم كثير من المشاكل الاجتماعية  
التي لا تزال موضوع البحث وان يوسم قانوناً صريحاً لمجموع الاعمال العقلية امام الناظر  
لاحداث الاضطرابات الدينية الحديثة والاخلاص وائد القول في الاستنتاج بحرية فكر  
فلا تورد الا بعد تمحيصها كل التمهيس . هذه الامور حملتني على ان اقم ما قام في ذهني  
وان اضم نتائجها في الصفحات التالية اه . وقد عربنا منه في غير هذا المكان بحث الاسرة  
وسنقل لقراء ام مباحثه .

### للزهر

للسيوطي كتب لا تحصى افردتها مؤلف خاص ومنها الجيد ككتاب المزهر وكتاب

الاتقان في علوم القرآن . اجاد في المزهر كل الاجادة فاناض في متعلقات علم اللغة وكتب فيه فصولاً بديعة انتقاها من الكتب المعتمدة فجاء الكتاب مفرداً في بابه وقيل من كتب فيه من المتأخرين مع انه من اجل الفنون التي عني بها المتقدمون . وقد تعرض فيه لكثير من اسرار اللغة العربية وهو من اهم ما يعنى به المستشرقون في هذا العصر . وهذا كمة ينبغي ان يقال وذلك ان كثيراً من المؤرخين ومنهم أناس من مؤرخي عصر السيوحي قد تجردوا بعض حقه ازعموا انه تقال غير تقاد يجمع بين الفث والسمين وهذا على اطلاقه مما ينقد عليهم لانه قد اجاد الانتقاء في مثل هذا الكتاب على انه قد اخبر اعظم اجتهاد في أصول اللغة العربية وذلك في الاقتراح في اصول النحو

طبع هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد الرافعي على اجمل شكل وحرف بعد ان طبعت النبعة الاولى في المطبعة الاميرية منذ زمن وقد اختار له ورقاً حقيقاً رقيقاً فوقع الجوان مند في قدر سبعائة صفحة متوسطة القطع خفيفة الحمل وبيع في المكتبة الازهرية بالقاهرة بشرة قروش مجلدًا وهو من الامبات لا يسع احداً من المشتغلين العلم ان يجهد فيها

### الاخذاد

بلغت عناية العلماء باللغة ان افردوا كل فرع من فروعها بكتاب وهو غاية ما يتصور في العناية ومن ذلك الاخذاد وهي الكلمات التي تذلل على الشيء وعلى ضده كالمون فانهم قالوا انه يطلق على الابيض وعلى الاسود وقد انكر ذلك ابن درستويه والف كتاباً في انكاره بناء على ان ذلك متناف لحكمة الوضع وخالفه الاكثر في ذلك والقوا فيه ومنهم قطرب والنوزي وابو بكر ابن الانباري وابو البركات ابن الانباري وابن الدهان والصاغاني فانهم اثبتوا ذلك والقوا فيه وكتاب الاخذاد لابن الانباري المتوفى سنة ٣١٨ هـ من انفس ما ألف في هذا النوع وقد تعرض في اوله لسبب وقوع مثل هذا في اللغة ودفع اعتراض المعارضين وافاض في هذا الموضوع افاضة واسعة وكتابه من اهم ما كتب

طبع هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية وكان طبع في اوروبا من قبل وقد عني الشيخ احمد الشنيطي بضبطه وشكله وتصحيحه فجاء في ٣٨٠ صفحة متوسطة الطبع وهو يطلب من طابه بمصر باثني عشر قرشاً فخص على اقتنائه .

### رسائل الفارابي

هي ثمان رسائل منسوبة للحكيم ابي نصر الفارابي المشهور بالمعلم الثاني الاولى في الجمع بين رأيي افلاطون وتلميذه ارسطاطاليس فيما يظن انهما اختلفا فيه وذلك في مسألة حدوث

العالم وقدمه وفي اثبات المبدع الاول وفي وجود الاسباب منه وفي امر النفس والعقل وفي  
المجازاة على الافعال غيرها وشرها وفي كثير من الامور المدنية والخلقية والمنطقية . والرسالة  
الثانية في الابانة عن غرض ارسطاطاليس في كتابه المعروف بما بعد الطبيعة اشار فيه  
الى الفرض الذي وضع فيه هذا الكتاب النبيل المقصد . والرسالة الثالثة في معاني العقل  
قال في اولها اسم العقل يقال على اشياء كثيرة الاولى الشيء الذي يقول به الجمهور نسبة  
الانسان انه عاقل الثاني العقل الذي يردده المتكلمون على السنهم فيقولون هذا بما يوجبه  
العقل او يتفيه العقل الثالث العقل الذي يذكره ارسطاطاليس في كتاب البرهان الرابع  
العقل الذي يذكره في المقالة السادسة من كتاب الاخلاق الخامس العقل الذي يذكره  
في كتابه النفس السادس العقل الذي يذكره في كتابه ما بعد الطبيعة ثم افاض في بيان  
كل واحد منها وتاميك بيان مثل الي نصر . والرسالة الرابعة فيا ينبغي ان يقدم قبل الفلسفة  
ذكر فيها الاشياء التي يحتاج الى تعلمها ومعرفة قبل تعلم الفلسفة التي اخذت عن ارسطو  
وهي تسعة اشياء منها بيان ما ينبغي ان يبدأ به قبل تعلم الفلسفة قال فيه : اصحاب افلاطون  
يروون انه علم الهندسة ويستشهدون على ذلك بقول افلاطون ( لانه كتب على باب معبده  
من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا ) وذلك ان البراهين المستعملة في الهندسة اصح البراهين  
كلها واما آل اثو فرسطس فيروون ان يبدأ بعلم اصلاح الاخلاق وذلك ان من لم يصلح  
اخلاق نفسه لم يمكنه ان يتعلم علماً صحيحاً والشاهد على ذلك افلاطون في قوله من لم يكن  
تقياً ذكياً فلا يلدن من نفي ذكي وبقرات حيث يقول ان الابدان التي ليست بتقية كلما  
غذوتها زدها شراً واما بواتيس الذي هو من اهل صيدا فيرى ان يبدأ بعلم الطبايع لانها  
اعرف واقرب عنده وآلف واما انرونيقس فليذه فيرى ان يبدأ بعلم المنطق اذ كان الآلة  
التي تفحص الحق من الباطل في جميع الاشياء . قال ابونصر وليس ينبغي ان يردل واحد  
من هذه الآراء ومنها الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذي يؤخذ عنه علم ارسطو  
قال فيه : هي ان يكون في نفسه ما قد تقدم واصح الاخلاق من نفسه الشهوانية كما تكون  
شهوته لحق قطع لا للذة واصح مع ذلك قوته الناطقة كما تكون ارادته صحيحة . والرسالة  
الخامسة في مسائل مهمة في علم الحكمة عبر عنها باوجز عبارة قال في آخرها عناية الله تعالى  
محطة بجميع الاشياء ومتصلة بكل احد وكل كائن بقضائه وقدره . والرسالة السادسة فيا  
يصح وما لا يصح من احكام النجوم وبما قال فيها : التجارب انما تنفع في الامور الممكنة على  
الاكثر فاما الممكنة في النادرة والممكنة على التساوي فانه لا منفعة لتجربة فيها وكذلك  
الروية واخذ التأهب والاستعداد انما ينفع بها في الممكن على الاكثر لا غيره واما

الضروريات والامتعات فظاهر من امرها ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل واما الحزم فقد ينفع به في الامور الممكنة في الندرة والتي على التساوي . والسابعة في مسائل متفرقة سئل عنها الحكيم الثاني ومنها اي\* افضل الحفظ ام الفهم فقال : الفهم افضل من الحفظ وذلك لان اخفظ فله انما يكون في الالفاظ اكثر وذلك في الجزئيات والاشخاص وهذه امور لا تكاد تنتهي ولا هي تجدي ونفني لا باثخاصها ولا بانواعها والساعي فيها لا يتناهي كبا حال السعي والفهم فله في المعاني والكليات والقوانين وهذه امور محدودة متناهية وواحدة للجميع والذي يسعى في هذه الامور لا يتحول من جدوى ثم قال : فاذا كان معوله على الاسول والكليات وعرض له امر من الامور امكنه ان يرجع بفهمه الى الاسول فيقيس عذرا بهذا وقد تبين ان الفهم افضل من الحفظ . والرسالة الثامنة في فصوص الحكم وهو كتاب من كتبه المهمة شرحه السيد محمد بدر الدين النعماني ومنه : اذا عرفت اولاً الحق عرفت الحق وعرفت ما ليس بحق وان عرفت الباطل اولاً ولم تعرف الحق على ما هو حقه فانظر الى الحق فانك لا تحب الا ظاهرين بل توجه بوجهك الى وجهه من لا يبق الا وجهه .

هذه هي الرسائل كما ترى وللغاري كنب كثيرة مهمة من أهمها بالنسبة اليها كتاب احصاء العلوم وترتيبها وبلغنا انه طبع في اوربا وشرح كتاب الخطابة لارسطا ليس وكتاب الالفاظ واخروف وكلام في الملّة والفقه المدني جمعه من اقاويل التي صلى الله عليه وسلم وكلام له في السر والتواني وكتاب في اللغات وكتاب شرائط اليقين ورسالة في ماهية النفس . وقد قدّم له طابعه محمد امين افندي الخانجي مقدمة شايها بترجمة الحكيم ابي نصر وترجمة افلاطون وارسطا ليس وهو يطلب من مكتبته بالقاهرة بقرشين ونصف وعدد صفحاته ١٧٦ صفحة صغيرة .

### امالي السيد المرتضى

من اشهر كتب الامالي امالي السيد المرتضى ابي القاسم عبي بن الطاهر ابي احمد الحسين الخوفي سنة ٤٣٦ هـ وهو في التفسير والحديث والادب طبع في بلاد فارس طاعده طبعه احمد افندي تاجي احمدي ومحمد امين افندي الخانجي واخوه في مصر في اربعة اجزاء من قطع الوسط وبلغت صفحاتها نحو سبعة مئة . وقد سبق لنا ان وصفنا هذا الكتاب بيان اطول عند صدور الجزء الاول منه وقد كانت قيمته بالاشتراك عشرين قرشاً وفي الان بعد تمام طبعه ثمانية وعشرين طلب من مكتبة الخانجي بالحلبي .

## الامان

كل ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ . في الشريعة ونفقته والرد على المخالفين هو آية في حسن اسنه به وغندته . وكتب الامان هذا من حتمتها طبع في الهند للمرة الاولى واعاد منعه هذه الآونة احمد افندي رحبي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخوه بمصر هو يباع عنده بستة قروش وتدد صفحاته ١٩٠ صفحة من القطع الكبير .

## منجم الممران

في المستدرك على معجم البلدان

عني محمد امين افندي الخانجي بطبع معجم البلدان لياقوت الحموي الذي كان طبع في اوروبا وارخص ثمه فاقبل على اتيانه المغمومون بآثار السلف وقد جمع في مجلدين جا في نحو ٢٥٠ صفحة ما كتبه المؤلف من ذكر الممالك الاوروبية والاميركية لاث تقاسيها حدثت بعد زمنه كما اكتسفت اميركا بعده بسنين طويلة . متنداً في ذلك من كتب المتقدمين على كتاب جزيرة العرب للمداني وكتاب معجم ما استعجم للبكري وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للادريسي وكتاب الاشراف لمسعودي وكتاب البلدان لابن الفقيه وغيرها من الكتب القديمة كما اعتمد في الجمع على زهاء ثلاثين كتاباً من كتب المحدثين في الجغرافية والتاريخ ولم يتعرض لذكر القرى والمحال والمقاصب والجبال لان المؤلف الاصلي بالغ في البحث عنه وانما عمد الى ما للناس فيه فائدة من حادثة تاريخية او اثر جميل او شيء غريب من احوال الصناعات والتجارات والمنزهات وغير ذلك . وكنا نود لو صرف العناية اكثر من ذلك الى تحييص المقول فان في اكثر المؤلفات الحديثة في العربية في هذا الشأن من الاغلاط ما يكاد يرفع الثقة الا قليلاً . وعلى كل فنشكر لامين افندي توفقه على احياء الكتب النافعة للقاصه والعامة ونرجو ان يكثر في طابعينا وكتيبينا من ينظرون الى منفعة المطالعين نظراً الى منفعتها الخاصة ليستفيدوا بذلك ويفيدوا . ويطلب معجم البلدان وذيله من الطابعين بثمة وعشرين قرشاً بدون غيليد .

## الركوسية

عرف الاب انستاس الكرمي في بغداد بسمة الفضل وبعد الغور في الباحث اللغوية والتاريخية بما نشره حتى الآن في المجلات العربية والافريقية . وامامنا الآن من قله هذه النبعة الاخيرة بالفرنسية نشرت في مجلة الاتنروبوس ( الانسان ) الصادرة في فرنسا  
L'Anthropos . Revue internationale d'ethnologie et de linguistique.

Salzburg . Autriche

في الركوسية وهم ثمة قال بعض علماء العرب انهم طائفة بين النصرانية والصابئة وقال آخرون والحق مهم وعليه الاب انتاس انهم كانوا طائفة نصرانية فقط بدون ان يعرفوا . وفي معتقداتهم . ومن رأي المؤلف ان الركوسيين ليسوا الا كروسيين قلب اسمهم من كبروس بطريك الاسكندرية الذي اعلن سنة ٦٤٣ للمسيح عقيدة وحدة الارادة في السيد المسيح ( عليه السلام ) Monothelisme . واذا صح رأيه في هذه الطائفة وهو ما نسلم له فانا نرى استنتاجه بان عدي بن حاتم الطائي هو من ابناء هذه النخبة كما استشهد ببعض الاحاديث في ذلك مردود لما ان الحديث المستشهد به غير معروف . وكيف يمكننا ان نقول بان عديا كان كروسيا او ركوسيا قبل وفاة النبي ( عليه السلام ) اي قبل سنة ٦٣٢ وفي قبل اعلان الجمع الاسكندري لهذا المذهب بئس . وكذلك الحال في الاخليل فليس لدينا ما يثبت انه كان من اهل هذه الطائفة بمجرد انه كان يلبس لباس عدي

ج . ا

### مخطوطات اسبانية

M. Lucien Bouvat-Sur quelques manuscrits de la Société Asiatique  
Relatifs à l'Espagne , extrait de la Revue Hispanique

في رسالة بالفرنسية كتبها الميولوسين يرفا احد علماء المشرقيات الذي عرف القراء بعض فضله بما نشرناه معربا من بعض ابحاثه وقد امتاز بالشرقية منها طاعة والانسانية خاصة .  
تكلم في هذه الكراسة على بعض كتب عربية كان اهداها اللورد كينفسبورغ الايرلندي للجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٤ اي بعد تأميمها بسنتين في جملة ما اهدانا من الكتب الاسبانية والعربية والفارسية والتركية والمندية واليابانية . وقدم المؤلف مقدمة في ذكر المتبرع بتلك الكتب فقال انه طبع كتابا ضخما في « العاديات في المكسيك » لم ينه انتق عليه لا اقل من اثنين وثلاثين الف سجنه فكان فيه افلاسه وموته سجيناً لعجزه عن قضاء دينه واثبت فيه ان التمدن المكسيكي انتشر بفضل اناس من مستعمري الامريالبيين . واغاض الناشر في وصف تلك المخطوطات العربية التي لها علاقة باسبانيا واكثرها منطبع في اوربا وتقل منها شذرات بالعربية وقد نشرتها المجلة الاسبانية واخرجت منها نسخا على حدة فجاءت ناطقة بفضل مؤلفها وتحقيقه فيما يخوض عابه من الابحاث

### تقرير الجمع العلمي السمثسوني

Annual report of the Board of regents of the Smithsonian Institution 1905

انتهى الينا تقرير هذه الدار العلمية في واشنطن وهي التي أسست سنة ١٨٤٦ بـ ١٥١٦٩٥



دولاراً أوصى بهما أحد أهل الخير من الأمير كان المدعو سميثسون لتنفق في مشروع علمي يكون منه زيادة انتشار العلوم بين الناس ومساعدة رجال العلم على البحث ونشر مباحثهم في مجلات وأرسالها إلى كل مكتبة مهمة في العالم. والعلوم التي يميز هذا المجمع عليها الأكثر هي الحيوان والنبات والجيولوجيا وعلم الآثار والفلك وقد وقفت عليه أموال أخرى فجاوز رأس ماله الآن زهاء مائتي ألف جنيه . ونسبت الجمعية لواضع أساسها الأول . وأعضاء هذه الجمعية المؤسسون رئيس الولايات المتحدة ونائبه وقاضي القضاة ورؤساء الدوائر التنفيذية وقد وقع هذا التقرير في ١٩٢٦ صفحة متوسطة مطبوعاً أجود طبع وفيه خلاصة أعمال الجمعية وتقاريرها ومقالات العلماء وبجانبهم كما أن فيه رسوماً كثيرة ومصورات جميلة جدير بأن يزدان به المكتاب ليكون من جملة العبر للشرق لنعي عليه توابه عن الحقائق بالغرب في العلم والعمل

## سير العلم

### التمتعة

عُينت لجنة التعليم الابتدائي في مدينة لانكاستر بانكترا بالبحث في أحوال الأولاد الذين يتلمحون في الفاء دروسهم فثبت لمن عهدت إليه النظر في ذلك أن الأطفال يتمتعون ولا سبيل إلى تزج هذه العادة منهم إلا بالترين ورياضة الصوت وتقويده على عدم التردد في الكلام فجمع لذلك صفًا مؤلفًا من أربعين من البنات والبنين وأخذ يعلمهم على أساليبه في تقوية النفس وتحسين التلفظ وبعد عناية ستة أسابيع طُفِق الأولاد يقرؤن بصوت جهوري ساعات بدون المعلم ثم زودهم الاستاذ بنصائح يحثون عليها في بيوتهم بمراقبة أهلهم . وهذه الطريقة تستدعي عناية فائقة من المعلم والمتعلم وكثيراً من الثبات ولا بد من التفرغ على ترويض الصوت على هذا النحو حتى تزول التهمة كل الزوال وقد ارتأت اللجنة المشاور إليها أن تنشأ فرق خاصة في كل مدرسة لهذه الغاية كما تؤسس فرق استعدادية في جميع مدارس المعلمين .

### حواس النبات

قال علماء النبات منذ نحو خمسين سنة بأن للنبات حياة كحياة الحيوان وقام إليهم أحدهم في هولاندة ليثبت بأن للنبات كالحَيوان حواس وإن خفيت عن الأنظار فلها حاسة الذوق وحاسة

السمع وحاسة اللمس . فالتبأت علي ما يقول بحسب الفصيلة التي ينسب اليها ينغذي بمواد يؤثرها علي غيرها لانه يرى فيها لذته ويستطيعها . وللتبأت حاسة الذوق والدليل علي ذلك الطحلب فان نموه معروف بتزاوج الذكر بالانثى وهكذا ايد مدعاه في قوله ان للتبأت ذوقاً وممماً ولساً .

## الانحطاط البشري

نشر الدكتور اميل كنج من علماء الفسيولوجيا في برلين كراسة ليس فيها علامة خير علي مستقبل البشر فقال ان الانسان قد انهك قواه وتركيبه الفسيولوجي فاصبح عرضة للأمراض حتى انك ترى هذا الانحطاط بادياً في كثير من الناس واذ كانت هذه الحال تنتقل من أجيال الى اخرى فقد نشأ عنها تغير عام في النوع الانساني يؤيد ذلك تعدد الاحصاءات بالسرطان الذي نسب في الاكثر لحياة الانسان علي هذا العهد الحديث وزاد بان امراض القلب قد كثرت وان معظمها ناشي من ضغط الدم علي الاوعية الدموية الناتج من الافراط في العمل والجهد والاسراع والتعب علي اختلاف ضروبه . واثبت بان معدة الانسان تسوء حالاً من حين الى آخر وان سوس الانسان وسقوطها قبل الاوان مما يزيد في ضعف المعد وزيادة مزمنة . وزاد بان الناس اذا ظلوا يعيشون كما يعيشون وسط هذا التمدد الموهوم فيحيي يوم ليس بعيد كما يظن الظانون فيكثف فيه الاتجار كل يوم بسبب ما يلقاه المتحرون من الاوصاب والاوراج التي لا تطاق . قالت المجلة التي عربنا عنها هذا المقال : لا شك ان رأي العالم الالاني لا يخلو من مبالغة وغرابة ولكن فيه شيئاً من الحق ايضاً وذلك لان حياة البشر في تناقص وتثواء ما عدا احوال استثنائية فبعد ان ادرك المرء ان خير ما له صحة يتمتع بها تراه مع هذا يسرف فيها اي اسراف كولد طائش ورث من اهله مالاً فتوفر علي اتقائه بكلمات يديه . وقد جرت عادة الصينيين ان يضعوا جوائز سموها جوائز الفصيلة لمخونها لمن يحسن اخلاص من الامراض فلا اقتلعت اوروبا بهر في هذا السبيل ؟

## البوت الترية

اخترع شيخ الكهرباء في هذا العصر المستر اديسون الاميركي قوالب تكلف ثمانية آلاف جنيه وتبنى بها مساكن ذات ثلاث طبقات لا يكلف واحداً اكثر من مائتي جنيه ويتم في اربع وعشرين ساعة في ارض رملية يستعمل ما يستخرج من رملها في بناء حوائط البار وأسسها كالسمنت وبهذا الاختراع قد خدم الانسانية اجل خدمة خصوصاً وهو يقول انه لا يريد ان يبيع من اختراعه بل يجعله وفقاً علي نفع البشر فاركأه به باختراعه وانسانيته

## حاصلات البن

بلاد البرازيل اعظم المالك اخراجاً للقهوة في الارض والبن المعروف بالسانتوس مشهور في جميع الاسواق التجارية في العالم . وسانتوس مرفأً تجاري من مرفأى تلك البلاد تبني اليها القهوة من اطراف الجمهورية البرازيلية ومنها تصدر الى اقطار الممرور فنسب القهوة اليها . وقد قدر محصول القهوة في العالم من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٢ بنحو تسعة عشر مليون كيس وبـ ١٢٦٨٥٠٠٠ كيس بمن سنة ١٩٠٢ الى ١٩٠٣ وبـ ١٥٧٣٠٠٠٠ كيس من سنة ١٩٠٣ الى ١٩٠٤ وبـ ١٤٩٠٠٠٠٠ كيس من سنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٥ . وكان حظ البرازيل من هذا المحصول اكثر من حظ الامم جماء فاصدرت سنة ١٩٠٢ اربعة عشر مليوناً ونصف مليون من الاكياس التي يبلغ واحداهما ستمين كيلو وسنة ١٩٠٣ ١٢٣٨٠٠٠٠ كيس وسنة ١٩٠٤ ١٠٣٠٠٠٠٠ كيس وسنة ١٩٠٥ ٩٦٤٠٠٠٠٠ كيس

## البحرية الالمانية

من القاعدة التي اتخذتها انكثرتا في استعمارها ان تكون بحريتها موازية لبحرية دولتين عظيمتين من دول اوربا الا ان المانيا قد كادت تخل هذا تلك القاعدة فقد قررت ان تبني سنة ١٩٠٨ ثلاث دارعات كبرى وفي كل من سنة ١٩٠٩ و ١٩١٠ ثلاثاً مثلها ومدرعتين سنة ١٩١١ ومن سنة ١٩١٢ الى ١٩١٧ كل سنة دارعة عظمى وطراداً عظيماً فيكون مجموع ما ستبنيه في تسع سنين ١٧ دارعة و ٦ طرادات عظمى و ٢٩ طراداً صغيراً وقد بلغت ميزانيتها البحرية والبحرية زهاء مليار مارك اي ما يربو على ١٢٠٠ مليون فرنك فزادت ١٢٣ مليون مارك عن السنة الماضية ولا تزال الزيادة تزيد سنة عن سنة والمانيا تريد ان يكون لها المقام الاول بحريتها كما لها المقام الاول ببيتها وذاك مؤتمر السلام في مدينة الهاي ينادي اعضاءه بنزع السلاح والاجتماعيون ينادون بالسلام والسياسيون لا يرتاحون الا للحرب .

## تجارة كريت

في احصاء اخيران وارادت هذه الجزيرة المعروفة عند كتاب العرب بجزيرة القريظش قد بلغت في السنة الماضية ١٥١٨٥٠٧٣ فرنكاً وصادراتها ١١٢٢٤٤٤٩ فرنكاً وام ما يرد اليها الدقيق والانسجة وام ما يصدر منها زيت الزيتون ثم الخروب والزيب والصابون قالت مجلة الاستعمار ان تجارة هذه الجزيرة وزراعتها وعدد سكانها ليست متناسبة مع سمعتها وخصب ارضها وجودة مناخها وموقعها الجغرافي فان مساحتها تبلغ نحواً من عشرة آلاف كيلو متر مربع وليس فيها من السكان اكثر من ثلثائة الف نسمة

## لغة الجغتاي

كتب المسيو لوسين بوتا في مجلة العالم الاسلامي بحثاً في هذه اللغة قال فيه : ان معنى جغتاي في الاصل « المحتشم الشجاع » وهذا الاسم اذا أُطلق على انسان عند الترك في آسيا الوسطى يُراد به مدحه ولذلك دعي جنكيز خان بجغتاي وسميت هذه اللغة باسم المملكة العظيمة التي شاعت فيها وقد قسمها بيروسيث منذ ستين سنة في كتابه « البحث عن الهجات التركية » الى ثلاث فصائل الاولى الجغتائية الشرقية او التركستانية وهي عبارة عن لغة الويكور والكومان والجغتائي والاوز بك والتركمان والتركستاني ولغة قازان انكوتية والفصيلة الثانية هي التتارية او الشمالية ( كيشاك ) وهي عبارة عن لغة القرغيز والباشكير والتوجاي والكوموك والكاراتشاي والميشرياك والسييري والفصيلة الثالثة التركية او التتيرية وهي عبارة عن الهجات الداغستانية والازيرية المنتشرة في بلاد القرم والاناضول والروم الي . وقسمها ارمنيوس فبري المستشرق المجري بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ اذ « ثلاث فصائل رئيسة وهي الصيني التاتاري ( الترك انكشغري ) والجغتاي العرف او الاوزكي والتركاني يضاف اليها في الدرجة الثانية لغة القشبان والقرغيز والقره قابلا كما يضاف اليها لغتان قريبتان من التركية كل القرب وما اللغة الياقوتية والشوفاشية

قال وقد اعتبرت لهجة الويكور اقدم ضروب الهجات التركية واكتشف بعضهم مخطوطات نادرة في اورخون من بلاد المغول منذ نحو عشرين عاماً كتبت بلغة تركية اقدم من جميع تلك الهجات خالية من الالفاظ العربية التي طرأت على الهجات التركية عقيب ان دان اهلها بالاسلام . ومن الغريب انها اقرب الى التركية العثمانية من لغة الويكور والهجات التركمانية ويقال على الجملة ان لهجات سكان الشرق من الاتراك تتمايز عن لهجات سكان الغرب بما فيها من الالفاظ العربية المهجورة ولما الفاظ خاصة بها استعاض عنها الترك المغانيون بالفاظ عربية وفارسية او افرنجية ( فرنسية وايطالية وانكليزية ويونانية وصقلية وغيرها ) ولقد كان الشرق شديد حلي وبعض الهجات كلغة القرم واذر بايجان مثلاً هي رابطة بين الهجات ثم وصف اللغة الجاغرية واللغة الخوقندية واللغة الاوزبكية الشائعة في خيرة وما تتمايز به كل منهن وقال ان الاحوال السياسية التي جرت في آسيا الوسطى في القرون الاخيرة كان من نتائجها التأثير في كل لهجة من تلك الهجات فلم تحفظ كيانها كما كانت . اما الجغتاي اليوم فهو اللغة الاوزبكية يحكم بها في ثلاث امارات تحكم عليها الآن روسيا وهي خوقند وبخارى وخيوه ما عدا من ترح من يشكون بلقنهم الى الافغان . ولئن ساغ تعديد البلاد التي يحكم فيها تلك الهجة فان عدد من يشكون بها كثيرين وقد قدر فبري

عدد من يتكلمون بالاوزبكية بملو في نسمة منهم مليون في بخارى وحواليها وسبعمائة ألف في خيوة ومائتا ألف تحت حكم الافغان . وقد رآه آخرون بثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف ولكن بدون ان يذكر فيه العناصر واللغات .

وقد وصف الاستاذ فهدى اخلاق الاوزبكيين وعاداتهم فقال ان سكان المدن منهم ما يرحوا اذا نظرت فيهم ترى عليهم اثرًا من آثار المدينة الزردشتية ومن ذلك انهم مازالوا محافظين كل المحافظة على عيد النوروز وهو اول يوم في السنة عند الفرس الموافق للاعتدال الربيعي وما يرح اوزبك بخارى كمجوس الفرس في يزد وكرمان يرقصون حول نار يوقدون بها من القش ويحجب على العروس عديم ان توفد ناراً لطرد الارواح الشريرة عند ما تدخل للمرة الاولى الى بيت زوجها ولا يسوغ لها ان تستدير تلك النار . ويتوفى اهل البادية منهم ان يصبوا في النار او يلقوا فيها قاذورات ويمزقون للشمس كما يمزقون للنار ان فيها خاصية شفاء الامراض كما يعتقدون معتقدات قدماء الايرانيين في الارواح والجن . وذكر عاداتهم في ما كلفهم وشاربهم وقال ان التدخين يغلب عليهم كثيراً بدون تعصب ولا يكادون يعرفون الربا وهم يقدسون الاولياء ولكن اقل من خيوة وبخارى وخوقند . ولما يحبونهم ومما يشبه باتراك الاناضول منهم باتراك بخارى .

ثم قال ان الترك العثمانيين كانوا يحقرون قديماً المتكلمين بلغة الجغتاي او الاوزبك اي التركية الاصلية القديمة ويصفونهم بالغلظة ويسمون لغتهم بالجفاء على ان تجانبهم عن اصل لغتهم لم يزد الا انبهار الالفاظ الدخيلة عليهم حتى صارت التركية العثمانية مزيجاً من لغات ام شرقية وغربية ولو احتفظوا باصول لغتهم لكان لهم من الفاظها مادة يمكنهم ان يصيروا بها عن افكارهم ومع هذا انبها في العهد الاخير واخذ بعض علمائهم يبحثون في الرجوع بها الى اصولها ونشروا نصوصاً قديمة من اللغة الجغتائية كما ينشر علماء المشرقيات آثار الشرق القديمة ثم وصف مملكة الخوجة في تلك البلاد وما تعاقب عليها من الملوك وكيف سقطت الآن في يد الروس وقال انه لا يرجى لاهلها بعد الآن نقوذ ديني ولا سياسي .

### نظر الوقادين

قدم احدم الى جمعية امراض العيون في باريز رسالة قال فيها ان كثيراً من الوقادين في الاتومويل والاومنيوس مصابون باصراض في عيونهم فينشأ منهم لضعف ابصارهم ضرر على الراحة العامة وخطر على حياة الركاب والمارة ومن العجب ان يطلب من الميكانيكي ان يكون حاد النظر ثم يفتضح عيناه غمماً طويلاً دقيقاً ولا يطلب مثلاً ذلك من الوقادين و «الواق» واثبت ان ٨ في المئة من الوقادين شعاف البصر . وصادف ان رأى وقادين كانت مقلمهم

( قَوَيْتَهُمْ ) كشيعة بحيث لا يصرون وبعضهم مصابون بنفش النظر وبلغ الحسر اي قصر النظر ببعضهم انه اذا رآوا في راحة النهار قطع غم ظنوه غباراً وان وقع نظرم على جبل اتخذوه مصاباً ومنهم من لا يصرون الا بعين واحدة فاذا أصيبت الصحيحة بعارض يصحون وسلميان لا محالة . ومن رأيه ان تفحص عيون الوقاد والسواق قبل ان يباط بهم العمل كقبول هذه الرسالة موضع التنفيذ لان الحوادث التي نثأت من ضعف الابصار من هذا القيل طاملاً جلبت المضار والاعطار .

### تلفون جديد

اخترع الاخوان لورييه اللذان لها في تاريخ التلفون يد طولى آلة يخاطبها الانسان من يريد من تلقاء نفسه يدون ان يخاطب مركز ادارة التلفون اولاً لتتجه له طريق من يجب مخاطبته . وقد جعلت الآلة بحيث لا يحدث منها كس في التخاطب ولا انقطاع ولا يفهم احدا ما يدور بين المتخاطبين كما هو الحال الآن وذلك على طريقة تسهل على المتخاطبين وتوفر من العوامل وتكون سرعة التخاطب بهذا التلفون في الليل اكثر من سرعتها في النهار وقد جرب اختراعها في كندا فظهرت نتائجها الحسنة .

### طباعة العميان

كان العميان في اكثر مدارس الغرب يتعلمون القراءة في كتب 'جفت لم خاعة بحروف نائثة عرفت بحروف برايل اما الآن فقد اخترع احدهم اختراعاً جديداً بحيث يمكن للعميان ان يقرأوا المخطوط التي تطبع بحروف كالعادة الا ان نصف الحرف الاول يجعل بطبع ناقي . ونصفه الآخر بطبع عادي غير ناقي وبذلك يمكن للبصيرين والعميان ان يقرأوا الكتب المطبوعة على هذا النحو .

### ورق الترد الطبي

ثبت بالفعل الطبي ان جرائم العدوى يكثر انتقالها بورق الترد لتعلقها من يد الى اخرى خصوصاً بعض الناس يلمسون اصابعهم بقمم ليتناولوا الورق ويناولوا جرعة . فاستعمل على قتل جرائم النزلات والسعال وامراض الحلق وغيرها رطوبة الاماكن التي يلعب فيها الاطفال والرطوبة من اشد المعينات على غناء الاحياء الضارة . وقد برئأى احد الاطباء الانكليزي ان يجعل ورق اللعب من ايش يمكن تطهيره وتعميقه بعد كل لعبة ورتبا كان باستعمال هذه الاوراق الصحية شيء من النفع لصحة الاجسام .

## أقاذ السفن

اخترعت آلة لتعويم السفن الترقى وذلك بجعل هواء مضغوط في جدران السفينة العارفة ضغطاً شديداً مما يقاومه من العمق، وقد أجريت في تعويم الفواصات وور بماقتت في تعويم البوارج

## حوادث الخطوط الحديدية

جريت حكومة ألمانيا من مدينة برلين إلى ستيتين عدة طرق لتعريف سائق القطار ما امامه من الاشارات أثناء الضباب توقيماً من الأخطار فلم تر احسن من وضع كل مئة متر صفارة من الكهر بائية تجعل على علو ثلاثة مترات فتصفر وتنبه السائق ان الاشارات التي امامه .

## عدو المحار

أصيب المحار او سمك البدلان في شواطئ فرنسا ولا سيما على بحر المانش بعدوا ازرق من اخضر ( نبات الماء ) الذي يعلق بالحصى فلا يرتفع عنه كما يعلق على المحار فاذا امتلأ هذا الخشب ماء بلغ حجم البيضه واحياناً يحجر اليد فاذا علق بالمحار لا يتركها حتى يفتل. قد قدر ما فسد من هذا السمك في شهر مايو من سنة ١٩٠٦ بأربعمائة الف سمكة وذلك في ( برك بروتون ) وسعدوا لم يجدوا طريقة للقلاص من هذا العدو الا القاء حزم من الشوك في الماء تمزق الخشب

## ألمانيا والسبل

يؤخذ من تقرير الصحة في ألمانيا ان فيها ٨٧ معصاً Sanatorium للشعب فيها ٨٦٤٨ سريراً منها ٥٧٧٢ للرجال و٢٦٥٨ للنساء و٢٩٢ للرجال والنساء بدون استثناء وفيها ٣٥ معصاً خاصاً تحتوي على ٢١١٨ سريراً و١٧ معصاً للاولاد المسلولين فيها ٦٥٠ سريراً و٦٧ معصاً للاولاد المساكين بداء الخنازير فيها ٦٠٩٢ وبمر فيها اليوم ١١ معصاً للامه فيها ثمانمائة سرير وعشر دور خاصة بمداواة هذا المرض وداران آخران تشيدين حديثاً هذا ما عدا دور النقاة التي اقامتها ألمانيا وجمعياتها في الغابات وغيرها

## سجاعة جديدة

اخترع احد جراحي لندن سجاعة جديدة للصم استعاض فيها عن المذن بالمطاط وكان المذن ثاثراً منه حاسة السمع بعض التأثير والمطاط يسهل به ويلطف وضعه .

## أم الكتب

قيل ان الصاحب ابن عباد كان يستحب في سفره اجمالاً من الكتب لتسهيله والاستفادة فلما غفر بكتابت الإغاني استغنى عنها كلها واكتفى بمجمعه معه والثالبان الناس في اوربا

سمت نفوسهم من كثرة الكتب أو كادت وخافوا ان تكون لهم كما قال ابن خلدون عائقه عن التحصيل فرضت احدى المجلات الدولية التي تجتوز الباحث الحرة على المعاصرين من العالمين ان يبنوا لما آراءهم فيها يختارونه من الاسفار التي تواف مكنة يعتمد عليها المرء في خلوته وجلوته ولا تكون اكثر من اربعين كتاباً تبحث في الفلسفة والاخلاق والفنون والادب .

### التصوير عن بعد

Le téléstéréographe

هذا اللفظ الافرنجي معناه التصوير عن بعد اخترع مساه احد علماء الالماني منذ مدة فقام مخترع افرنسي اليوم يتم ما بدأ به السابق فتمكن من نقل مسودة فوتوغرافية بالفلم الى مسافة بعيدة واخرج صورة منها في صورة تشبه الاصل وليس في القيام بذلك ادى صعوبة

### تلوين الجوهر

ثبت ان الحجر اللطيف المعروف بالكورونديون المختبر بعد الماس بقيته يتأق تلويته حتى يصير جوهرًا لطيفًا وكذلك بعض الاحجار الكريمة . ولكن الاحجار الكريمة تبقى على نقاشتها وغلايتها ويمكن تلوين الياقوت الاحمر بلون آخر وان كان من الثابت ان الاحجار تعيش وتموت كالكائنات فان ذلك مما يسر السبيل على المخترع ان يلون الاحجار الكريمة الوانًا غريبة غداه الانسان

نشر شبتدن من اساتذة كلية يال الاميركية كتاباً في الاكثار من التغذية ولا سيما في الاكثار من تناول الحبوب ولورد امثلة كثيرة في هذا الباب . واثبت الآن ان التغذية المتعدلة هي من الشروط المهمة في حسن الصحة ومتانة الاعضاء ومرضاتها . وقد استعمل هذا الاستاذ بذاته مع بعض وصفاته من الاطباء طريقة التدبير في الطعام ولا سيما في الالبومين اللازم كل يوم فجاءت صحتهم اياما جودة وطبقت هذه القاعدة على جنود في الخدمة مضطرين كل يوم الى معاناة الاعمال الصعبة فثبت ان اعصاب ظهورهم وسوقهم وصدورهم واذرعهم قد قويت اي قوة وان خسر طريقة لائقاء الامراض ان تقدر كمية الطعام على ما ينبغي ولا سيما الحبوب

### الديكتوغراف

Le dictographe

آلة اخترعت مؤخرًا في امريكا تنفع ان يسمع احد صوتك وانت تكلم احداً بالتلفون او يفهم كلامك او يحجل المواد التباساً في حديثك وحديث من تكلم



فقہرا انکلترا

قالت المجلة الباريزية ان انكلترا لم يعد لها المقام الاول في التجارة والصناعة كما كانت منذ مئة سنة فقد بلغ ما اصدرته سنة ١٨٢٠ من المصنوعات مليار فرنك اي انه يبادل ما اصدرته فرنسا والولايات المتحدة معا او النمسا والمانيا او يوازى مصنوعات العالم اجمع اذا اُخرجت منه تلك الدول الاربعة . وتزل ما اخرجته سنة ١٨٨٠ الى خمس الحاصلات الصناعية وفي سنة ١٨٩٤ الى السدس ولم تبلغ الصادرات الانكليزية مندسنة ١٨٩٤ الى سنة ١٩٠٢ سوى ثلاثة عشر في المئة وصادرات فرنسا ستة عشر في المئة والمانيا تسعة وثلاثين في المئة والولايات المتحدة ستة وستين في المئة . وكانت اليابان قديما من احسن الزين للمصنوعات القطنية الانكليزية الا انها اخذت تصنع مثلها في بلادها من ذاك العهد وتقدمت صانعها تقدما غريبا فكانت تنسج سنة ١٨٨٦ ستة ملايين ليرة من القطن فاصبحت تنسج سنة ١٨٩٥ — ١٣٥ مليون ليرة اي ان مصنوعاتها زادت اربعة وعشرين ضعفا في تسع سنين وغدت اليابان التي كانت تتباع سنة ١٨٨٤ بمائة ملايين دولار من المصنوعات القطنية لا تشتري سنة ١٨٩٥ سوى نصف ذلك

## الجزائر والصحراء

نشرت مجلة العلم في القرن العشرين مقالة بحث فيها كاتبتها في اصول سكان جنوبي  
البحر الأبيض المتوسط عنصرا في سكان الجزائر المبرر والعرب والاول زارع  
والثاني تبن على تربية المواشي وكثيرا ما كان هذا العنصران يتمازجان وقد اثار هناك الدم  
الزنجي ايضا قال ومنذ استولت فرنسا على تلك الانحاء اخذ كثير من قبائل الطوارق يهاشون  
من رعي الماشية او يسبون القوافل واصبح بعضهم زراعا يحرثون ويغلقون .

الدين في الصين

نشر احد الباحثين من الانكليز مقالة قال فيها ان الدين يرجع القهقري في الصين فلا يقل فيها الشدنيون بالكونفوشيوسية او البوذية او الطاوسية بل ان النصرانية هناك لامتقبل لها ايضا .

## أولاد الفقراء

بحث بعض العلماء في السنين الاخيرة في قامات اولاد الفقراء ووزنهم ونسبتهم مع اولاد الاغنياء ثبت ان الاغنياء اعظم واقوى (المقتبس ٣ - ٤٤٤) وقد عينت الحكومة الانكليزية نخبة من الاطباء والعلماء فقصوا ٧٢٨٤٨ صبياً في المدارس العامة

في غلاسكو سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ فنظروا اليهم من حيث مساكنهم لان سعة المسكن دليل على سعة العيش في الغالب ثبت لم ان ٨ في المئة يعيشون في مسكن ذي غرفة واحدة و ٥٨ في المئة في مسكن ذي غرفتين و ٢٤ في المئة في مساكن ذات ثلاث غرف و ١٠ من المئة في مساكن ذات غرف كثيرة واثبتوا ان قاعات البنين والبنات من الخامسة الى الثالثة عشرة تضعف بحسب صغر المساكن التي يسكنونها وابدوا بالبرهان ان عظم المساكن اذا كانت دليلاً عاماً واضحاً على حالة الثروة فان قاعات الاطفال ووزنهم تضعف بحسب ضعف الاسرة في السعة وبسطة العيش .

### ترجمة التوراة

قالت المجلة : ترجمت التوراة الآن الى اربعمائة لغة وقد اورد الباحث فيزجيرالد بعض المصاعب العظيمة التي تحول دون نقلها الى اللغات الممجة التي كثيراً ما تعوزها ام الكتاب اللازمة . مثال ذلك ان اهل تاليني ليس عندهم لفظ يعبر عن « الحشمة » ولعلمهم يعرفون هذا المعنى ومتوحشوا لماوريس في زيلاندا الجديدة ليس عندهم كلمة « شريعة » والبلاد التي لم تدخل اليها التوراة بعد هي بلاد العرب والفرس والسودان .

### مطاط جديد

اكتشف في التونكين شجر جديد من المطاط من النوع الجيد وهو كثير سيفه عدة ولايات من تلك المستعمرة ولم يكن يعرف من شجره في الهند الصينية غير نوع كان يصعب استثماره كثيراً وقليلاً باقي بمطاط جيد .

### ضرائب فرنسا

كان سكان فرنسا سنة ١٨٠٨ يدفعون ضريبة حكومية ٢١ ملياراً فاصبحوا يدفعون سنة ١٨٩٦ - ١٤٢ ملياراً من الضرائب و ... خلال تلك الحقبة . . . . . سكانها على حين اثبتوا يدفعون سبعة اشعاف ما يدفعون وزاد عدد اثبت رخي حدث من صناديق التوفير منذ سنة ١٨٦٩ - ١٨٩٧ من ثلثائة الف الى ستائة الف وبلغت المبالغ المودعة ١٤٨ مليوناً وكانت ٥٢

### تشغيل الاولاد

عدوا من دواعي الحجل على القرن التاسع عشر ان ينصرف ويخلف للقرن العشرين مسألة من اصعب مسائله الاجتماعية الا وهي تشغيل الاطفال من البنين والبنات في المعامل والمصانع والمناجم يملون بآيديهم وهم ضعاف الاجسام ولا يلغوا نومهم المطلوب فتستولي عليهم

الامراض المختلفة . وقد دلت الاحصاءات في فرنسا سنة ١٩٠٥ على ان عدد العاملين من الاولاد بلغ ثمانية الف وعدد العاملات من البنات مائتين وستين الف عاملة وان بعض العامل يكتفي اصحابها بامل كبير لقاء ثلاثين من هؤلاء الصغار لرخص اجورهم وشدة مهمتهم ولطالما اظهرت تقارير مفتشي العامل ان بعضها تستخدم في السراويلاد من ابناء الثانية الى العاشرة وتضعهم خبيس الطعام وتشغلهم عشر ساعات ولذلك صدق مقاله احد اساتذة العلم في المجمع الطبي الباريزي من ان ١٤١ من كل ١٨٩٦ ابناً وابنة يموتون بالسل الظاهر

### نفقات الكليات

احصى احد اساتذة التعليم العالي ما تنفقه فرنسا والمانيا على كليتهما فبين ان المانيا تنصرف ٣١ مليون فرنك على التعليم العالي في السنة وفرنسا تنفق ٢١ مليوناً على حين يبلغ سكان الاول، ٥٦ مليون نسمة وسكان الثانية ٣٩ مليوناً هذا ما خلا بعض الكليات القديمة في المانيا التي لما واردات سنوية تبلغ خمسة ملايين فرنك فعدل ما يصيب المكاف في المانيا تنفقة على التعليم العالي ٥٤ سائناً ومعدل ما يصيب الفرنسي ٥٦ سائناً ونصف . وقد قالت بعض المجلات وليس هذا مما يعاب على الفرنسيين ولكن الحقيقة انه ينشر كل سنة في المانيا ثلاثة اضعاف ما ينشر في فرنسا من المطبوعات في التاريخ الحديث وينشر في المانيا خمسون ضعف ما ينشر في فرنسا من المطبوعات في التاريخ القديم ولكن ترى هل كل ما تنشره المانيا حقود وجور .

### عمال التجارة

رأى سفير فرنسا في لندن ان خير واسطة لنشر تجارة أمته في بريطانيا ان تبعث اليها باناس من جنس تدبرهم على الاعمال التجارية على الاسلوب الانكليزي وعندها تعهد اليها ان يكونوا وكلاء عن بيوتها التجارية وان تقل الاشخاص الذين يصرفون المصنوعات بتفع اكثر من الاعتماد على اناس من الانكليز لتصرف المصنوعات الفرنسية وما حك نجمك مثل عثرك . ولذلك بدأ المجمع التجاري في باريز بارسال كثيرين الى ليبربول بدرسون الاعمال على الاسلوب الانكليزي وسيكون ذلك مقدمة لنشر البضائع بين امة اخرى

### تجارة الكتب

لم تكن فرنسا تصدر الى ايطاليا من الكتب سنة ١٩٠٣ سوى نصف ما تصدر المانيا اليها اي ان الاولى تصدر الى ايطاليا باربعائة الف فرنك والمانيا تصدر الى ايطاليا بتألفات فاصبحت فرنسا تصدر الى ايطاليا في السنة الماضية ٦٣٦ الف فرنك والمانيا ٩١٦ وورد

علي فرنسا في السنة الماضية ٨١٧ قنطاراً من الكتب المثقلة ومثل هذا القدر ورد على ألمانيا وفرنسا وألمانيا في مقدمة بلاد أوروبا بإصدار الكتب .

### المصهورون

تبين ان احسن طريقة في اختبار المصهورين من وقت لم عوارض وقتية وليسوا من المته في شيء هي التي جرت عليها مدينة غلاسكو في بلاد الانكليز فانهم هناك قبل ان يلقوا المصاب في مئشني المجاذيب يحصلونه تحت المراقبة بضعة ايام وبذلك كان يظهر ان خمسين في المئة لا يصلحون للبياراتات وسجيري اكثر مدن أوروبا على هذه الطريقة في استنبات حال المجانين .

### الملكة فيكتوريا

نشر في العهد الاخير في انكلترا كتاب غنم في ثلاثة مجلدات وهي رسائل الملكة فيكتوريا والدة الملك ادوارد السابع ملك الانكليز الحالي التي تولت الملك ٦٤ عاماً بما لم يعهد للملك في تاريخ انكلترا ان تولى امر الناس هذا الزمن الطويل وكان ابنها هو واثم اصراره مساعدين في اعداد هذه المفكرات ليكون منها للشعب الانكليزي صورة حقيقية من قلب الملكة فيكتوريا وافكارها بدون تغيير الحقيقة التاريخية او تعديلها وبدون ان يفتلوا عن ذكر الاوهام التي كانت مستحكة فيها لاول عهدها وهذه المجلدات هي عن الخس والعشرين سنة الاولى من حكمها .

### الانتشار والتربية

الف احد علماء الافرنج كتاباً في التربية وانتشار الاولاد فاقبت ان عدد المنقرين من الاطفال يزداد سنة عن سنة وان الداعي الى الانتشار هو الفيرة والنفس والكبر والخصومات الأهلية ومضادة الاميال والاجهاد العقلي وسوء معاملة الوالدين وفي تضاعيف ذلك ما يبدو في المنقر من ضعف الارادة الناتج من مجتمع قليل المثانة وبالجملة فان القرف من الحياة يأتي ابدًا من ضعف المزاج ولا وسيلة لدفع الاولاد عن الانتشار الا باطعامهم جيداً ونويمهم طويلاً وتقوية اعصابهم بالجري على التداير الصحية والمعالجة بالماء البارد وادخال السرور على قلب من كان فيه استمداد لذلك والتخفيض عليه اذا ضاق صدره . ومن رأيه ان تأثير المتقدات الدينية والقراءة في الكتب الصحيحة من احسن المؤثرات في عقل المستعمل للانتشار وابان بالامثلة والشواهد ما ينال الشبهة من المخاطر اذا حشيت عقول بالمعارف فوق طاقتها .

## اخطار المسكرات

ذكرت مجلة المصين الاجتماعي انه أصبحت محال بيع المسكرات في فرنسا سنة ١٩٠٥ فكانت ٤٧٣٥٩٣ محلاً وما برحت آخذة بالزيادة منذ قرن قالت : وان الحكومة لا تحبل ان جميع اصلاحننا الاجتماعية تكون من البشيات وجميع تريقتنا لجمهور الامة وحرماننا السياسية والمدنية ونظامنا الدستوري تصبح باطلة واثر ابعاد عن اذاخل بائعوا المسكرات بسمعون الناس عندنا كام الآن . وقد امر وزير الداخلية بان تحقق احوال دور المجانين فاثبتت اللجنة التي عهد اليها النظر في ذلك في ٣٦ ولاية انه زاد عدد المعتوهين بتفاطي المسكرات منذ عشرين ٥٧ في المئة وان نصف المصابين بالجنون كان لتعاطيهم الايسنت والاشربة المتقبلة . وفرنسا ساعية في ابطال المشروبات الضارة واغلاق معظم محال يبيعها جرياً على مثال معظم الامم الراقية في الغرب .

## القرى والمدن

تشكو معظم بلاد الغرب من كثرة زهد الفلاحين في قراهم وانقلابهم الى المدن بتعاطون فيها الاعمال الصناعية وغيرها وقد وضعت فرنسا احصاء لذلك فظهر لها ان سكان الارياف كانوا فيها سنة ١٨٤٦ - ٧٥ في المئة من مجموع الامة فنزل معدلم اليوم الى ستين سبعة المئة هذا مع ان فرنسا ارقى البلاد الاوروبية بزراعتها . وقد غادر الحقول من سنة ١٨٧٢ الى ١٨٩١ نحو اربعة ملايين ونصف من الريفين ولحقوا بالمدن والعوامم وفي الاحصاء الذي تم سنة ١٨٩١ كان سكان باريز ٢٣٠٠٠٠٠ منهم ٨٠٠٠٠ باريزيون اصليون والباقيون ريفيون .

## غلاء المعيشة

يقول الاقتصاديون ان السبب في غلاء الحاجيات هذه الايام كثرة الذهب في الايدي فقد زاد محصول الذهب في العشرين الاخيرة ضعف ما كان عليه فكان مجموع مافي العالم من الذهب سنة ١٨٩٦ عشرين ملياراً فاصبح في العام الماضي ثمانية وثلاثين ملياراً من الجنيهات فالجنيه هو الجنيه وقيمتة بقيتة ولكن ما كان يتيسر للرد ان يتناع به من البضاعة لا يتيسر له ان يتناعها به الآن لانها قلت وعلى هذه النسبة تضاعفت اثمان الحوم والفراخ او زادت الثلث عما كانت عليه منذ عشرين . والمتأخر في هذا الباب أخذ بالتحاق بالمتقدم

## الدعوة الى السلم

اول من دعا الى السلام في العالم هو الفيلسوف الهولاندي ايراسم المدعو فولتير اللاتين

فرأى سنة ١٥١٧ ان يجتمع ملوك الارض الى مؤتمر عام في مدينة كامبري الفرنسية تحت زعامة الامبراطور ماكسيمليان وفرنيس الاول وهنري الثامن ملك انكلترا

### مطاعم الشعب

كانت مدينة ليون سنة ١٨٩٢ اول من فتح مطاعم للشعب تباع الوجبة باربعين سنتياً وهي تحوي على لحم وبقول وجبن وخمر فيرجي المطعم من كل وجبة سنتين ونصفاً ويرجى من يقومون بهذا العمل ستة في المئة الا ان سويسرا اراحت ان تفوق فرنسا في هذا السبيل فانشأ بعض اهله في مدينة زوريخ مطعماً وتزلاً للشعب مطعين على رايته هناك من اجل المناظر البديعة وجعلت الاجرة عن كل يوم ثلاثة فرنكات. ونصفاً عن الطعام والشراب والنام ومن اراد ان يمك له محلاً في الصيف يجب عليه ان يخاطر ادارة الفندق قبل ستة اشهر

### العلم والاحسان

تبين بالاحصاء ان النفوس رغبت في الثلاث سنين الاخيرة عن مد يد المعونة لدور الاحسان فقد كان ما جادت به النفوس في فرنسا سنة ١٩٠٤ - ٢٤ مليون فرنك من الوصايا والمنح في سبيل الخير فنزلت سنة ١٩٠٦ الى ثمانية عشر مليوناً ولكن ثبت ان من يوصون لدور العلم والمجامع العلمية بكثر عددهم وما تجود به ايديهم فقد كان ما جادت به نفوس الفرنسيين في هذا السبيل سنة ١٩٠٥ مليوناً ونصفاً من الفرنكات فبلغ سنة ١٩٠٦ ٢٣٨٩.٠٠٠

### الاميون في بولونيا

ثبت بالاحصاء ان سكان فارسوفيا عاصمة بولونيا قديماً التي هي اليوم من اعمال روسيا يكثر عدد نفوسها كثرة غريبة فقد بلغوا مليوناً من النفوس ولكن الاميين فيهم كثار بل بلغ معدله ٤١ في المئة من الرجال و٥١ من النساء وان عدد الاميين في بولونيا اكثر منه في جميع الولايات الروسية في اوروبا الغربية فان صح ما قالوا فاقول مصر والاميون فيها تسعون في المئة والبلاد العثمانية وما نظن الاميين فيها يقلون عن ثمانين في المئة .

### الاحسان العام

ذكر بعض المحققين من الانكليز ان انكلترا في مؤخرة الشعوب الراهية من حيث جودها مالمال على البائسين فان فينا من هذا القبيل خير من لندرا وبرلين خير من فينا وكوبنهاغ خير من برلين فترى الشيخ العاجز في بلاد الدانيرك موضوع العناية العظمى ولا يكلف اكثر من سبعة فرنكات على صناديق الاحسان على حين ان الرجل في انكلترا

يموت جرماً اذا لم يمد يده فيشخذ. ويكلف العاجز فيها على المكافين من الاهلين زهاء عشرة فرنكات .

### الورق في اميركا

اكدت مجلة انجلات النيويوركية ان مجاعة من الورق ستنشر في الولايات المتحدة بعد بضع سنين وذلك ان صنع الورق من الاشجار قد كاد يفنيتها فاذا دامت الحال على هذه الصورة في قطع الاشجار لصنع الكاغد لا يضي ربيع قرن حتى لا يبقى شجر ولا ورق وقد اوردت مثالا لذلك احدى جرائد نيويورك التي تطبع ثمانمائة الف نسخة في اليوم على ثمانين صفحة كبيرة قالت ان هذه انكبة من الورق التي تصرفها جريدة واحدة تحتاج الى ٩٧٧٩ شجرة من علو عشرين متراً تخشنه وطلب الكاتب من الحكومة ان تنظر في حال النابات التي تحطم لتصنع منها تلك الورقات والصفحات .

### معامل اللبن

رأى احد المفكرين ان مراقبة الحكومات لمعامل اللبن ( الحليب ) من ام الخدم التي تتقدمها لاهمها وذلك لان اللبن يستعمله الناس عامة فاذا لم يكن سليماً يزيد في عدد الوفيات وقد ظهر بالاحصاء ان معدل وفيات الاطفال قد نزل في روتشتر من اعمال ولاية نيويورك الى اربعين في المئة لان حكومتها راقبت اللبن مراقبة صحيحة دقيقة

### سياح اليابان

ينشر ميل اليابانيين الى السياحة في الارض ولم يقصروا سياحتهم على بلاد الصين والشرق الاقصى بل هم يقصدون بلاد الغرب ايضاً وقد رأى احد عظماء مفكرهم ان السياحة تغلب اكل من يشغل طول السنة بالاشغال العقلية وان في المدن اليابانية المنقطعة كدبنة كيوتونيكو وماكون غنية عن ارتياد البلاد البعيدة الا انه ينقصها فنادق على الطرز الحديث ومحال للسماح ومحال للسباق وقال ان اليابان من هذه الوجهة متقهرة فترى لها من اجل ذلك .

### المدنية الحديثة

بحثت احدى مجلات اليابانية عن الطرق الحقيقية التي يجب سلوكها للاخذ باهداب هذا التمدن الحديث فقالت كل ما يسلك في هذا السبيل لنفوائهم ان لم ينظر فيه لسعادة البشر وهذه السعادة لا تنال الا بترقية الاخلاق الشخصية وتحسين الذوق وهذا لا يتأتى الا بنشر العلم والتهديب .

## مطلب ومحاضرات

أخذ حديثاً نادي المدارس العليا في هذه العاصمة يدعو بعضاً من المشتغلين بالعلم والادب لاقاء خطب ومحاضرات على بعض اعضائه فمن خطبوا فيه رفيق بك العظم وأحمد بك كمال وأحمد بك زكي وعمر بك لطفي وهم من اساطين النهضة المصرية اليوم . فقد خطب الاول في « التدوين في الاسلام » خطبة قال فيها : اذا قيل ان العرب أمة أمية فليس هذا القول على إطلاقه بل ربما أطلق هذا الوصف على عرب البادية إطلاقاً اعم من إطلاقه على غيرهم من سكان المدن وارباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة واطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد كالتيابعة في اليمن والمناذرة في العراق والحوارة في اطراف الشام الذين منهم ملوك تدمر في شرقي سوريا واليهيم . نسب الزباء « ذنوبيا » وزوجها ازيقة ( اوزينوس ) ومنهم ملوك غسان في جنوب سوريا وتاريخهم مشهور معروف .

فهؤلاء الشعوب لا يجوز ان يطلق عليهم وصف الأمية الا بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه وانما غموض تاريخهم وطموس آثارهم اضاف تاريخهم الى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلاً مما وقف عليه الباحثون من الآثار الكتابية للحميريين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دؤوبهم على البحث وتبع الآثار أكثر من ذلك . وحسبك شاهد على ان الأمية لا يجوز إطلاقها على كل العرب ما كان موجوداً من كتب اهل الحيرة الى اوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج اخبار العرب وانسابهم وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمارهم ولي منهم لأك كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة . اما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البعثة انها كانت موجودة ولومع النشرة يدلك عليه كتابة المعلقات السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تماقت فيها قریش على رد الحقوق وانصاف المظالم وعلقوها على الكعبة والمعروف انهم كانوا يكتبون الرمية تارة بالخط النبطي واخرى بالخط الحيري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي ومرة بالخط العبري . ثم ذكر ان الحديث كتب ان لم يكن كله فجمله على عهد الرسول واصحابه والحديث يشمل أكثر تاريخ الخلفاء وكذلك كتب في الفواقيد املا على بن ابي طالب على ابي الاسود الدؤلي واما في عصر التابعين وتابعيهم فقد كانت العناية بكتابة الاخبار أكثر واثبت الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عروة عن ابيه انه احترق كتبه يوم الحرة وكان يقول وددت لو ان عندي كتي



بأهل ومالي وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري إذا جلس في بيته وضع الكُتُب حوله فشقته عن كل شيء وهو من أهل المئة الأولى وبمات القرن الثاني حتى كثرت الكُتُب في فنون شتى خصوصاً فنون الريعية والأدب فإذا كان ذلك كذلك هل بقي مجال الريب في أن العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الأول وهل يستراب في صحة هذه العلوم على ما ثبت معنا من أنها كتبت مدعومة بالرواية لشكون أبعد عن سهو الكاتبين وتحريف الناسخين .

قال وهذه الطريقة في النقل لا تمدُّ ثلثة في تاريخ الإسلام ينطرق منها إليه الوهن والتخريج بل تعد تحقيقاً للأخبار بالتمام والأمانة والتمحيص لم تسبق إليه أمة من الأمم تير المسلمين أما تلك الكُتُب التي دونت في الصدر الأول فإنها اِدْجِبت في الكُتُب الجامعة التي أُلحِثت بعد ارتقاء التأليف كما يرى في كُتُب الفنون التي اشغفل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني ممزوة تقاطيلها .

وخطب أحمد بك كمال في « التوحيد عند قدماء المصريين وتكوين أرض مصر والنيل وفي أصل الخليفة وأصل المصريين » فقال إن صيغة التوحيد عند المسلمين موافقة تقريباً للصيغة التي كان يدين بها المصريون قبل عصر الملوك ويدلنا على ذلك رسوم هيرغليفية وجدت في أوراق البردي القديمة تترجم صورة هذه الصيغة عندهم بما يأتي : « الله وحده لا ثاني له يودع الأرواح في الأشباح أنت الخالق تخلق ولا تُخلق خالق السموات والأرض » وقد نُنِعِدْ . الآثار المصرية كانوا يعتقدون أن ما قبل عشرين سنين أن قدماء المصريين وثيون ولكن زان هذا الاعتقاد باكتشاف هذه الصيغة وإن التوحيد اتاهم من نوح عليه السلام بدعي . قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً » إذا قيل إن الشرك كان شائعاً عند قدماء المصريين بدليل قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « أأرباب مفرقون خير أم الله الواحد القهار » فيقال إن يوسف كان مخبئاً عند فرعون مصر وأب عبيد الشر لم تدخل مصر إلا مع الرعاة ( اشكوس ) الذين دخلوا مصر قبل عصر الأسرات وبذلك كان المصريون يطلقون على بلاد العرب اسم بلاد الوثنية وقال أنه جمع اسم الاحتام بالريعية فرأى أسماء تشابهها بالهيرغليفية . واستطرد إلى ذكر البردي فقال أنه كان يزرع في الوجه القبلي وإن اللوتس ( له ثمر كالكبد عريقات به ) كان ينبت في الوجه البحري وإن المصريين سطروا علومهم من طب وهندسة وحساب على أوراق البردي واللوتس . وهذا النبات رومان على من يحكم الوجه البحري والقبلي فإذا رأيت كرسياً مرسوماً عليه صورة البردي واللوتس فأعرف أن إنك الجالس عليه كان يحكم الوجهين القبلي والبحري

وقال ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون ان النيل ينبع عند أسوان ثم علوا انهم  
مخطئون في اعتقادهم وان منبع النيل ابد ما كانوا يتوهمون فلما وصدا الى بحيرة « نو »  
اعتبروها اصلاً واطلقوا عليها هذا الاسم ومعناه ( ماء ) والمصريون هم الذين عرفوا الجهات  
الاربعة فكانوا يطلقون على الجهة التي يأتي منها النيل قرون الارض اي طرفها ولذلك قيل  
عن ذي القرنين انه ملك المعمور لكونه اخذ بطرفها و يطلقون على المقابلة لها بحري والشرق  
على مطلع الشمس وقالوا عنه يخ اي الميلاذ . وعرف المصريون الجنة والنار لانه وجدت  
رسوم للنار والزبانية والحساب الاخروي في آثارهم . وان النيل لم يكن له مجرى ثابت بل  
كان يفيض سحياً وكان مضمراً بين جبال برقة وليبيا . والبحر الابيض يضرب الى القوم وامم  
القيوم بالمهيد وغلغية يوم ومعناه الماء وكان هناك للنيل خزان كبير وما زال طمي النيل  
يرسب في قطعة الدلتا ويتقدم نحو البحر حتى تكون الوجه البحري وكان ينفزع عند اكاسور  
امام انبابة الى فرعين فيذهب احدهما الى دمياط والثاني الى ابي قير وكان يتولد عند بنها  
فرع ثالث يسمى فرع سمند الذي طم بعد ذلك فلكون من الثرعين الباقيين والبحر شكل  
الحرف اليوناني السمي دلتا واول بلد انشئت في مصر لصلاحية ارضها للزراع هي اسيوط .

وكان موضوع محاضرة احمد بك زكي « هل تحيل العرب ! اكتشاف اميركا قبل  
كريستوف كولومب » فقال ان لفظة تاريخ ليست عربية وان افرمزان الفارسي الذي  
كان في مجلس عمر بن الخطاب عند ما جمع هذا المذهب يشاوره في امر التوقيت قال اننا  
معاشر الفرس نأخذ مبدأ معلوماً نجعله بداية التوقيت ونسميه ما روز فاصطلم العرب على هذا  
وجعلوا يوم الهجرة النبوية اول التوقيت الاسلامي وخرج لفظة ما روز بان اهاء حرف  
صامت او ناطق عند الافرنج وكذلك عند العرب فنسقط اهاء على انها حرف صامت فتصير  
ما روز ونسمع لانتفا في ابدال اري خاء فتصير ما روخ ويتصرف منها اريخ ويؤرخ تاريخاً  
ثم تكلم على شغف العرب بنقل كتب الفلسفة والعلم وكيف كان المأمون يحارب  
فتنه نفسه في اخذ البلاد او تكتير الجزية ولا يريد من المتوليين على امرهم من الملوك  
والاقبال الا كتب العلم وان هذا مما لا يهد له نظير في فروع الصور المتأخرة  
وذكر كيف انت هذا الخليفة ائندب يوحنا ابن البطريق المصري الى بلاد الروم  
ليبحث له عن كتاب ارسطو في السياسة فاخذ ينتقل من دير الى دير ومن عالم الى  
عالم حتى عثر عليه ونقله الى العربية وقال ان البحر المتوسط كان على عهد المأمون  
بحيرة محاطة بملكه وجزيرة عقلية من جهة ملك العباسيين ثم استطرد على عادة  
محاضرات العرب الى ذكر عقلية المملكه ورجع الثاني وقال ان عماله كلهم كانوا من المسلمين

وبهم كان يقضي ويهتدي كما نحن اليوم نأخذ عن الافرنج كل شيء . وتكلم على الاخوة  
 النورين او النورين وهم جماعة من قبيلة واحدة من العرب قاموا من لشبونة معتمدين على  
 الصبا وصددهم ثمانون عرياً للبحث عن ارض جديدة في المحيط فلم يتمكنوا اذ حاجهم سيف  
 الطريق عدد لا يحصى من البواشق فرجعوا وقصوا اشياء غريبة فسموا بالنورين وسمى درهمهم  
 في لشبونة بدرهم النورين وهذا ما ابداه الشريف الادريسي في جغرافيته . وفي رواية  
 ثانية ان النورين كانوا ثمانية رجال كلهم ابتداء هم ركبو البحر في اول هبوب الريح فجروا بها  
 نحواً من ١١ يوماً فوصلوا الى بحر كربة الرائحة كدر الماء كثير الطروش قليل الضوء فعادوا  
 ونزلوا بجزيرة كربة . الاغتنام وأخذوا الملكها فاكرمهم ولا سلمهم عن حالتهم قصوا عليه ما حدا  
 بهم فلم يبر . يكرمهم في سفينتهم . ويصحبهم بجماعة من عنده عصبوا عيونهم اياماً فلما  
 نوسطوا البحر تركوهم ليضلوا عن الطريق ولما وصلوا الى مكان هناك سألوا جماعة من البرابرة  
 عن المسافة بينهم وبين لشبونة فقال الزعيم مسيرة شهرين فقال القوم واسني  
 وسمي المكان أسني والمخاربة يحذفون منها الالف . وبذلك تبين ان الثمانية والثلاثين النورين  
 قد ساروا احد عشر يوماً حتى وصلوا الى جزيرة آسور عام ١٤٣٣ م وان العرب لم يستطيعوا  
 مواصلة سيرهم لضعف الوسائل .

وكانت معاصرة عمر برك لعلي في اصل البنوك والمصارف فقال كان في القرون الوسطى  
 في ايطاليا اناس يخترقون بأبدال العملة يجلسون في الطرقات العامة وامامهم منضدة (ترابيزة)  
 موضوع عليها نقود للصرف وتلك المنضدة تسمى بالاطالية « بانكا » ثم ترفت وظيفه هذه  
 الطائفة واتسعت فاخذ الناس يحفظون نقودهم عند هؤلاء الصيارف وصارت مصارفهم محلاً  
 للودائع والأمانات ثم اخذوا سكة (عملة) وهمية بدل السكة الحقيقية التي كانت معرضة  
 للتلف فاصبحت كاوراق البنوك اليوم واول مصرف حاز اسم بنك مصرف مدينة البندقية  
 سنة ١١٥٧ والصين اول البلاد التي احلت حكمه سنة ٨٠٧ م العملة الاصطلاحية محل  
 عملة النحاس ورأى ابن بطوطة هذه العملة الاصفحية كوصفها الحالة جون مورفيل  
 سنة ١٤٢٧ م ولم يظهر اثر العملة الاصطلاحية في البلاد الغربية الا في سنة ١١٢٢ أثناء  
 حصار اهل البندقية لسور فان السوق ميكيلي الذي كان قائماً باعمال الحصار اصدر اذ ذاك  
 عملة من الجلد عليها علامات الدوقية ورسومها فصرفت بالتقد لاربابها عند ما وردت علي  
 البندقية وسنة ١٢٤٠ اصدرت مدينة ميلانو لاول مرة في اوروبا اوراقاً لها حكم  
 عملة الحقيقية . ولعل النادي يطبع خطبه ومحاضراته تيمناً لغائتيها

# المقبر

الجزء الثاني من المجلد الثالث

صفر سنة ١٣٣٩ موافق مارس (آذار) سنة ١٩٠٨

أدب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري

الحب آفة العقل والحاجة قود الهوى  
والجذل كفاحُ الحرص والمرادُ فسادُ اللسان والحمية سبب الجهل والآفة تؤامُ السفة  
والمنافسة اخت المداوة

واذا هممت بالخير فإدر هواك لا يهلك وإذا هممت بشر فسوف هواك لهلك تعظم  
فان ما مضى من الايام والساعات على ذلك هو الغم

لا يمتنعك صغر شأن امريء من اجتنابه ما رأيت من وأيه صوابا واصطفاه ما رأيت  
من اخلاقه كريما فان الاولولة الفاتقة لا تهان لهوان غائصها الذي استقرجها

من ابواب الترفق والتوفيق في التعلم ان يكون وجه الرجل الذي يتوجه فيه من العلم  
والادب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محل وقبول فلا يذهب عتازه في غير خفاء ولا  
تفنى ايامه في غير ذرء ولا يستفرغ نصيبه فيما لا يبيع فيه ولا يكون كرجل اراد ان يصر  
ارضا تهمة ففرسها جوزا ولوزا وارضا جلسا ففرسها غخلا وموزا

العلم زين لصاحبه في الرخاء ومغياة له في الشدة  
بالادب يثمر القلوب وبالعلم تستحكم الاحلام فالعقل الزاكي غير الصنيع كالارض

الطية الخراب . وما يدل على معرفة الله ( وهو ) سبب الايمان ان وكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا صغير او كبير عينا فهو يصرفه ويحركه فمن كان معتبرا بالجليل من ذلك فليتنظر الى السماء فيعلم ان لها رباً يجري فلها ويدبر امورها . ومن اعتبر بالصغير فليتنظر الى حجة الخردل فيعرف ان لها مدبراً يبتها ويذكها ويقدر لها اوقاتها من الارض والماء يوقت لها زمان نباتها وزمان نضجها . و امر النبوة والاحلام وما يحدث في انفس الناس من حيث لا يعلمون ثم يظهر منهم بالقول والفعل ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلال على ذكر الله تعالى وتصفية واجتماع من شك في الله تعالى وكذب به على الاقرار بانهم أنشأوا حديثاً ومعرفتهم انهم لم يحدثوا انفسهم فكل ذلك يهدي الى الله ويدل على الذي كانت منه هذه الامور مع ما يزيد ذلك يقينا عند المؤمنين بان الله حق كبير ولا يقدر احد انه باطل

ان للسلطان القسط حقاً لا يصلح خاصة ولا عامة امره لا يارادته فذو اللب حقيق ان يخلص لم النصيحة ويبذل لم الطاعة ويكتم سرهم ويزين سيرتهم وينبئ بلسانه ويده عنهم ويتوخي مرضاتهم ويكون من امره المواتاة لم والا يثار لاهوائهم ورأبهم على هواه ويقدر الامور على موافقتهم وان كان ذلك له مخالفاً . وان يكون منه الجدة سيئة المخالفة لمن جانبهم وجهل حقم ولا يواصل من الناس الا من لا تباعد مواسلته اياه منهم ولا تحمله عداوة احد له ولا اضرار به على الاضطغان عليهم ولا مواتاة احد على الاستغفاف بشيء من امورهم والانقاص لشيء من حقمهم ولا يكتم شيئاً من نصيحتهم ولا يتناقل عن شيء من طاعتهم ولا يطرأ اذا كرموه ولا يجتريه عليهم اذا قرئوه ولا يعاقب اذا سلطوه ولا يلحف اذا سألهم ولا يدخل عليهم المؤونة ولا يستثقل ما حملوه ولا يفتربهم اذا رضوا عنه ولا يفتربهم اذا غضبوا عليه وان يخدمهم على ما اصاب من خير منهم او من غيرهم فانه لا يقدر احد على ان يصيبه بخير الا بدفاع الله عنه بهم

• مما يدل على علم العالم معرفته بما يدرك من الامور وامساكه عما لا يدرك وتزيينه نفسه بالمكارم وظهور علمه للناس من غير ان يظهر منه غر ولا عجب ومعرفته بزمانه الذي هو فيه وبصره بالناس واخذة بالقسط وارشاده المسترشد وحسن محافضته خلطائه وتسويته بين قلبه ولسانه وتحريه العدل في كل امر ورحب ذرعه فيما نابه واحتجابه بالجميع فيما عمل وحسن تبصيره . من اراد ان يبصر شيئاً من علم الاخرة فبالعلم الذي به يعرف ذلك

ومن اراد ان يبصر شيئاً من علم الدنيا فبالاشياء التي هي تدل عليه  
ليكن المرء سهوياً وليكن فضولاً بين الحق والباطل وليكن حذوفاً ليؤمن على ما قال  
وليكن ذا عهد ليوف له بعهده وليكن شكوراً يستوجب الزيادة وليكن جواداً ليكون

للخير اهلاً وليكن رجباً بالمضرورين ثلاثا يتنى بالضر وليكن ودوداً ثلاثا يكون معدناً  
لا خلاق الشيطان

وليكن حافظاً لسانه قبيلاً على شأنه ثلاثا يؤخذ بما لم يحترم وليكن متواضعاً ليروح له  
بالخير ولا يحسد عليه وليكن قسماً لتقر عينه بما أوتي وليسر للناس بالخير ثلاثا يؤذيه الحسد  
وليكن حذراً ثلاثا تطول مخافته  
ولا يكن حقوداً ثلاثا يضر نفسه اضراً بالياً

وليكن ذا حياة ثلاثا يستند للعلماء فان مخافة العالم مدامة العلماء اشد من مخافته عقوبة السلطان  
حياة الشيطان ترك العلم وروحه وجده الجهل ومعدنه في اهل الحقد والتسادة ومثواه  
في اهل النضب وعيشه في المصارمة ورجاؤه في الاصرار على الذنوب  
وقال: لا ينبغي للمؤمن ان يعتد بعلمه ورأيه ما لم يذاكره ذوو الالباب ولم يجامعوه عليه  
فانه لا يستكمل علم الاشياء بالعقل الفرد

اعدل السير ان تقيس الناس بنفسك فلا تأني اليهم الا ما ترعى ان يؤتى اليك  
واقنع العقل ان تحزن المعيشة فيما اوتيت من خير والآن تكثر من الشر بما لم يعميك  
ومن العلم ان تعلم انك لا تعلم ما لا تعلم

ومن احسن ذوي العقول عقلاً من احسن تقدير امر معاشه ومعاذه تقدير الا يفسد  
عليه واحد منها الآخر فان اعياء ذلك رفض الادنى وآثر عليه الاعظم

وقال المؤمن بشيء من الاشياء وان كان محرراً خير من لا يؤمن بشيء ولا يرجو معاداً  
لا تؤذي التوبة احداً الى النار ولا الاصرار على الذنوب احداً الى الجنة

من افضل اعمال البر ثلاث خصال الصدق في انفضب الجود في المسرة والنفوذ القدرة  
رأس الذنوب الكذب هو يؤسسها وهو ينقدها ويثبتها ويتلون ثلاثة الوان بالامنية  
والجود والجلد يبدأ صاحبه بالامنية الكاذبة فيما يزين له من السوءات فيشجعها عليها بان  
ذلك سمحني فاذا ظهر عليه قابله بالجود والمكابر فان اعياء ذلك ختم بالجلد لمخاض عن الباطل  
وضع له المحجج واتمس به التثبت وكابر الحق حتى يكون مسارعاً للفضالة ومكابر بالفتوحاش  
لا يثبت دين المرء على حالة واحدة ابداً ولكنه لا يزال اما زائداً واما ناقصاً

من علامات الاتيم المخادع ان يكون حسن القول سيئ الفعل يمد النفس بقرب الحسد  
محولاً للفحش مجازياً بالحقد متكلفاً للجود صغير الخطر متوسلاً فيما ليس له شيقاً فيما يملك  
وكان يقال اذا غلجلك الامور فاستقل اعظمها خطراً فان لم يستين ذلك فارجمها  
دركا فان اشتبه ذلك فاجدرها ان لا يكون له مرجوع حين نولي فرصته

وكان يقال الرجال اربعة اثنا عشر ما عندهما بالتجربة واثنان قد كفت تجربتهما  
فاما اللذان يحتاج الى تجربتهما فان احدهما يعرف كان مع ابرار والآخرفاجر كان مع فجار  
فانك لا تدري لعل البر منهما اذا خالط الفجار ان يتبدل فيصير فاجراً او لعل الفاجر منهما اذا  
خالط الابرار ان يتبدل فيصير برّاً فيتبدل البر فاجراً والفاجر برّاً  
واما اللذان قد كفت تجربتهما وتبين لك خونه اسرها فان احدهما فاجر كان في ابرار  
والآخر يعرف كان في فجار

حق على العاقل ان يتخذ مراءتين فينظر من احدهما سيرة مساوي نفسه فيصاغر بها  
ويصلح ما استطاع منها وينظر من الاخرى في محاسن الناس فيعلم بهم بها يأخذ ما استطاع منها  
احذر خصومة الاهل والولد والصديق والضيف واحتجج عليهم بالحجج  
لا يوقنك بلائ تخلصت منه في آخر لعلك ان لا تخلص منه  
الورع لا يتجند والاريب لا يتجند

ومن ورع الرجل ان لا يقول ما لا يعلم ومن الارب ان يتثبت فيما يعلم  
وكان يقال عمل الرجل فيما يعلم انه خطأ هوى والموى آفة العفاف وتركه العمل بما يعلم  
انه صواب تهاون والتهاون آفة الدين

واقدمه على ما لا يدري أصواب هو ام خطأ جهاج. والجراح آفة العقل  
وكان يقال وفر من فوقك ولن لمن دونك واحسن مواةة اكفائك وليكن أثر ذلك  
عندك مواةة الاكفاء فان ذلك هو القدي يشهد لك ان اجلالك من فوقك ليس بمتنوع  
منك لم وان ليك لمن دونك ليس لالتاس خدمتم

خمسة مفردون في خمسة اشياء متدمون عليها الواهن المفرط اذا قامه العمل والمقطع  
من اخوانه وصديقه اذا ناجه الثواب والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه اذا ذم كرميزه والمقار  
الزوجة الصالحة اذا اجلي بالطالحة والجريء على الذنوب اذا حضره الموت

امور لا تصلح الا بقرائتها لا ينفع العقل بتغير ورع ولا الحفظ بتغير عقل ولا شدة البطر  
بتغير شدة القلب ولا الجمال بتغير حلاوة ولا الحسب بتغير ادب ولا السرور بتغير امن ولا  
الغنى بتغير جود ولا المروءة بتغير تواضع ولا الخفض بتغير كفاية ولا الاجتهاد بتغير توفيق  
امور من تبع لا امور قلروآت كلها تبع للعقل والرأي تبع للتجربة والنبطة تبع لحسن التنا  
والسرور تبع للامن والقراءة تبع للودة والعمل تبع للقدرة والجدة تبع للاتفاق

اصل العقل الثبوت وثمرته السلامة  
واصل الورع المتابعة وثمرته الظفر

واصل التوفيق العمل وثمرته النجح  
لا يذكر الفاجر في المقلاء ولا الكذوب في الاعفاء ولا الخذلون في النكرام ولا الكفور  
بشيء من الخير

لا تؤاخذين رعباً ولا تستصفرن عاجزاً ولا تستعين كسلاً  
ان من اعظم ما يروح به المرء نفسه ان لا يجري لما يهوى وليس كائنات الا لما يهوى  
وهو لا محالة كائن  
اغتنم من الخير ما تجلب . ومن الاهواء ما سوفت . ومن النصب ما عا عليك . ولا تفرح  
بالبطالة ولا تجبن عن العمل

من استطم من الدنيا شيئاً فيطر واستصغر من البر شيئاً فتهاون واحترق من الاثم شيئاً  
فاجترأ عليه واغترى بعدو وان قل فلم يحذره فذلك من ضياع العقل  
لا يستخف ذو العقل باحد واحق من لم يستخف به ثلاثة الاقبياء والولاء والاخوان  
فانه من استخف بالاقياء اهلك دينه ومن استخف بالولاء اهلك دنياه ومن استخف بالاخوان  
افسد مروءته

من حاول الامور احتاج فيها الى ست الرأي والتوفيق والفرصة والاعوان والادب  
والاجتهاد ومن ازواج فالرأي والادب زوج لا يكل الادب الا بالرأي ولا يكل الرأي  
بغير الادب

والاعوان والفرصة زوج لا تنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا تنفع الفرصة الا بحضور  
الاعوان . والتوفيق والاجتهاد زوج فالاجتهاد سبب التوفيق والتوفيق يضيح الاجتهاد  
يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس  
لا يجحد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منه ولا يمد  
مالاً يجحد لئلا يجرؤ ما يفت بجرائه ولا يقدم على ما يخاف ان يجرؤه وهو يخفي نفسه  
عما ينبغي به القولان خروجه من عيب التكذيب وسخفي نفسه عما ينال به السائلون سلامته  
من مذلة المسألة

ويسخفي نفسه عن فرح الرجا وخوف الاكدار  
ويسخفي نفسه عن محمدة المواعيد براءته من مذمة الخلف  
ويسخفي نفسه عن مراتب المصلحين ما يرى من فضائح المفسرين  
لا عقل لمن اغفل عن آخرته ما يجده من لذة دنياه وليس من العقل ان يحرمه حفظه  
من الدنيا بصره بزوالها



حاز الخير وجلان سعيد ومرجوت والسعيد الفالح والمرجوت من لم يخضع والفالح الصالح ما دام في قيد الحياة وتعرض الفتن في مخاضة الخصماء من الالهواء والاعداء السعيد يرغب الله في الآخرة حتى يقول لا شيء غيرها فاذا مضى دنياه وزهد فيها لا آخرته لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها. والثقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول لا شيء غيرها فيجعل الله له التفتيش في الدنيا التي آثر مع الحزن الذي يلقي بينهما

الرجال أربعة جواد وبخيل ومسرف ومقتصد فالجواد الذي يوجه نصيب آخرته ونصيب دنياه جميعاً في امر آخرته

والبخيل الذي لا يعطي واحدة منها نصيبها

والمسرف الذي يجمعها لدنياه

والمقتصد الذي يلقح بكل واحدة منها نصيبها

اغني الناس اكثرهم احساناً

قال رجل للحكيم: ما خير ما يورثي المرء قال: غريزة عقل قال: فان لم تكن قال: فتعلم علم قال: فان حرمه قال: صدق اللسان قال: فان حرمه قال: سكوت طويل قال: فان حرمه قال: مهيئة عاجلة من اشد عيوب الانسان خفاؤه عيوبه عليه فانه من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره لم يطلع عن عيبه الذي لا يعرف ولن يتال محاسن غيره التي لا يصرها ابداً

خيال يسريها الجاهل كلها كائن عليه وبالا. منها ان يفخر من العلم والمروءة بما ليس عنده ومنها ان يرى بالاخيار من الاستهانة والجفوة ما يشتمه بهم ومنها ان يتاقل طامحاً ودعماً منصفاً له في القول فيشتد صوت ذلك الجاهل عليه ثم يغلجه نظر اوله من الجاهل حوله بشدة الصوت وكثرة الضحك

ومنها ان يفرط منه الكلمة او الفعلة الشجبة للقوم فيذكر بها

ومنها ان يكون مجلسه في المحفل او عند السلطان فوق مجالس اهل الفضل عليه

من الدليل على سخافة المتكلم ان يكون ما يري من ضحكه ليس على حسب ما عنده من القول او يجاذب الرجل الكلام وهو يكلم صاحبه ليكون هو المتكلم او يتنى ان يكون صاحبه قد فرغ وانصت له فاذا انصت له لم يحسن الكلام

فضل العلم في غير الدين مملكة وكثرة الادب في غير رضوان الله ومنفعة الاخيار قائم الى النار

والحفظ الذي الواعي بغير العلم النافع مضر بالعمل الصالح والعقل غير الواعي عن الذنوب  
خازن للشيطان

لا يؤمنك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان اخوف ما يكون الانسان  
لحريق النار اقرب ما يكون منها وكذلك الجاهل ان جاورك انصبتك وان ناسبتك  
جنى عليك وان الفك حمل عليك ما لا تطيق وان عاشرك آذاك واخافك مع انه عند الجوع  
سبع خاف وعند الشبع ملك فظ وعند الموافقة في الدين قائد الى جهنم فانت بالحرب منه احق  
منك بالحرب من سم الاسود والحريق المخوف والدين القاذح والدماء العياض  
كان يقال قارب عدوك بعض المقاربة نزل حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى  
عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان  
أملتة قليلاً زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل

الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيداً لم يأمن من معاودته وان كان قريباً  
لم يأمن موافقته فان رآه متكشفاً لم يأمن استطراده وكيفية وان رآه وحيداً لم يأمن مكرو  
الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزيم كما يزداد البحر بواد من الانهار  
الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأي والرأي بتكرار النظر وبخصيص الاسرار  
ان المستشير وان كان افضل من المستشار رأياً فهو يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار  
بالودك ذوات وعلى المستشار موافقة المستشير على صواب ما يرى والرفق به في تبصير خطاه  
ان اتى به وتقلب الرأي فيما شكاً فيه حتى تستقيم لما مشاورتهما

لا يطعن ذو النكير في حسن النشاء ولا الغب في كثرة الصديق ولا السيرة الادب  
في الشرف ولا الشح في المحمدة ولا الحريص في الاخوان ولا الملك المعجب ببنات الملك  
صرعة الالين عند استئصالاً من صرعة المكابرة

اربعة اشياء لا يستقل منها قليل النار والمرض والعدو والدين  
احق الناس بالتوقير الملك الحليم العالم بالامور وفرص الاعمال ومواضع الشدة واللين  
والغضب والرضا والمعالجة والآناسة النافذة في الامر ينميه وغده وعواقب اعماله

السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وبين طلبته  
ان اهل العقل والكرم يتفنون الى كل معروف وصلة وسبيلاً والمبدية بين الاخيار  
سريع اتصالها بطي انقطاعها ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذي هو بطي الانكسار وبين  
الاصلاح والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطي اتصافاً كالنكوز من الفخار يكسره ادنى  
عثر ثم لا يوصل له ابداً

والكرم يخجل الرجل مودته عن لقاء واحدة او معرفة يوم والشم لا يصل احداً الا  
عن رغبة او رغبة وان اهل الدنيا يتماطون فيما بينهم امرين ويواصلون عليهما ذات النفس  
وذات اليد فاما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون المستحسنون الذين يلتصق بعضهم بالاتفاق  
بعض متاجرة ومكايلة

ما التبع والايمان والصديق والحشم الا لئال ولا يظهر المروءة الا المأل ولا الرأي  
والثقة الا بالمال ومن لا اخوان له فلا اهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل  
له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا شيء له والفقر داعية الى صاحبه مقت الناس  
وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة وبجعة للبلايا ومن نزل به  
افتقر والفاقة لم يجد بداً من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره  
مقت ومن مقتاً وذو ومن أودى حزن ومن حزن ذهب عقله واستنكر حفظه وفهمه ومن  
أصيب في عقله وفهمه وحفظه كان أكثر قوله وعمله فيما يكون عليه لا فاذا افتقر الرجل  
اتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظن به حسناً فان اذنب غيره اغتنبه وان  
كان للتهمة وسوء الظن موضعاً وليس خلة هي للغي مدح الا هي للفقير عيب

فان كان شجاعاً سمي ابرح

وان كان جواداً سمي مفسداً

وان كان حليماً سمي ضعيفاً

وان كان وقوراً سمي بليداً

وان كان لئالاً سمي مهذاراً

وان كان صموئلاً سمي عيباً

وكان يقال من اجل يمرض في جسده لا يفارقه او يفرق الا حبة والاخوان او بالقرابة حيث  
لا يعرف ميتاً ولا مقبلاً ولا يرجو اياً كانا او بفاقة تضطروا الى المسألة فالحياة له وموت والموت له راحة  
وجدنا البلايا في الدنيا انما يسوقها الى اهلها الحرص والشره فلا يزال صاحب الدنيا  
يتقلب في بلية وتعب لانه بجلة الحرص والشره

وصحت العلماء قائلوا: لا عقل كالتيدير ولا ورع كالنك ولا حسب كحسن الخلق ولا  
غنى كالرضا واحتى ما مبر عليه مالا سبيل الى تغييره

والفضل اليد الرحمة ورأس المودة الاسترمال ورأس العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون  
وطيب النفس وحسن الانصراف عما لا سبيل اليه وليس في الدنيا سرور يعدل محبة الاخوان  
ولا فيها غم يعدل غم قدم

لا يتم حسن الكلام الا بحسن العزم كالريض الذي قد علم دواء نفسه فاذا هو لم يتداو به لم يشف عنه والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان عقيراً والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل

ليحسن تعاهدك نفسك بما تكون به فخير اهلاً فانك اذا ضلت ذلك اتاك الخير يطلبك كما يطلب الماء السيل الى الحدرد

ان اولي الناس بفضل السرور وكرم العيش وحسن الشتاء من لا يبرح رحله من اخوانه واصدقائه من الصالحين موطوءاً ولا يزال عنده منهم زحمة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وامورهم فان الكرم اذا عثر لم يستقل الا بانكروا كالليل اذا وحل لم تسخره الا النيلة

لا يرى العاقل معروفاً صنعه وان كثرت كثيراً ولو خاطر بنفسه وعرضها في وجوه المعروف لم ير ذلك عيباً بل يعلم انه اذا اخطر الثاني بالباقي واشترى العظيم بالصغير واغبط الناس عند ذوي العقول اكثرهم سائلاً منيحاً ومستجيلاً آمناً لا تعد غنياً من لم يشارك في ماله ولا تعد فقيراً ما كان فيه تنقيص وسوء ثناء ولا تعد الغنى غنياً اذا ساق غرمك ولا الغرم غرمك اذا ساق غنياً ولا تمتد من الحياة ما كان في فراق الاحبة

ومن المعونة على تسلية الموم وسكون النفس لقاء الاخ اخاه وافضاه كل واحد منهما الى صاحبه يشه واذا فرق بين الاليف والله فقد سلب قراره وحرم سروره وقال: ما نرانا نخلف عقبة من البلاء الا صرنا في اخرى لقد صدق القائل الذي يقول: لا يزال الرجل مستمراً حتى يموت فاذا عثر مرة واحدة في ارض الخبارج به الشار وان مشى في جدد لان هذا الانسان موكل به البلاء فلا يزال في تصرف وتقلب لا يدوم له شيء ولا يثبت معه كالا يدوم الطالع النجوم طلوعه ولا لا فلها افوله ولكنها في قلب وتقلب فلا يزال الطالع يكون أفلاً وآلاً فل طالعاً انتهى



## الاحصاء في العلوم

المخصي هو الذي يتفرد بدراسة فن واحد من اخصى الرجل اذا تعلم علماً واحداً والنسفة (كهزة) من ينسف من العلم شيئاً ولا يستقصيه قال في التاج: وكان أبو عبيدة اذا ذكر له الاصمعي يقول ذلك رجل تنفة قال الازهري: اراد انه لم يستقص كلام العرب انما حفظ الرخز والحطبة منه اي القليل. فالاحصاء هو موضوع بحثنا هنا يتوقف عليه نجاح العلم وارتقاؤه ولا يقال عن أمة انها حرقية في علومها الا اذا كثرت فيها الاحصائيون في كل علم من علوم الحياة والاجتماع وكل من تفردوا في الغالب وطار ذكرهم في الآفاق وناقلت اعالهم الاجيال بعد الاجيال والمصور غب المصور كانوا بلا مراه من اهل الاحصاء صرفوا وتقدم الى معاناة علم واحد والنظر في دقائقه وخفاياه ودرسه من عامة اطرافه.

ويم قوم ان الاحصاء في العلوم يرتجل ارتجالاً فالهندس يتعلم الهندسة وحدها والاثري يدرس علم الآثار والمؤرخ التاريخ والكناوي الكيمياء والطبيعي الطبيعيات والفلكي الافلاك فيبترزون وترتفي مداركهم. ولكن دل تاريخ العلم في الامم القديمة والحديثة على انه لا يخصي في علم الا من سبق له ان شارك في علوم كثيرة ولو مشاركة بسيطة لان للعلوم علاقة بعضها ببعض كملاقة البشر بعضهم ببعض فكما انه لا يتيسر النفع لامة ان تبقى وراء تخومها منزلة عن جاراتها فكذلك العلم الواحد وهو ثمرة عقول العالمين لا يتقن الا اذا قدمت له المقدمات وشدا صاحبه شيئاً من اكثر ما ينفع. وقبلما نسمع بان رجلاً اثر في اناض امة او خدم علماً او نفع نفعاً بذكر وكان ما يميز به وحده هو كل رأس مانه العلي والعقلي حتى ان نفس علماء الدين في الاسلام الذين اثروا تأثيراً كبيراً كانوا مشاركين في علوم الدنيا مشاركة تامة والفزالي والماوردي والفخر الرازي وابن تيمية وابن حزم وابن القيم وابوحاتم الرازي والجاحظ وغيرهم كثيرين لم يؤثروا في قومهم ولم يزلوا مؤثرين الا لانهم سموا في تنمية ملكات عقولهم بالعلوم الرياضية والتاريخية فعرفوا كيف يسلكون ولذلك ترى لكلامه قبولاً لا تراه لتعريم ممن لم يشاركوا مشاركتهم في العلوم الدينية.

وكذلك الحال فمن عرفوا بالعلوم المدنية كتصوير الدين الطوسي وابن رشد وابن سينا والفارابي وعبد اللطيف البغدادي وابن الهيثم والبتاني والبيروني ومئات غيرهم لم ينفعوا في علومهم التي تفردوا فيها الا بعد ان عرفوا من علوم الدين ما حصنت معه سيرتهم وسريرتهم واذا معنا النظر في تاريخ هذه الامة نجد انها لم تعهد الاحصائيين في العلوم المدنية الا في اواخر القرن الثاني او في منتصف الثالث على حين بدأت بالنقل وتعلم علوم الحضارة منذ القرن الاول للهجرة ولما عمت هذه العلوم وخصوصاً الفلسفية نشأ بحكم الطبع اناس متفردون

ودام هذا التفرد على اشده الى اواخر القرن السادس ثم اخذ يضعف بضعف طرق التعليم وزهد الحكومات في العلم الا ما كان منه تحت ستر الآخرة تمويهاً على عقول السذج . وفساد الدياسة فساد العالم فكبير . تعلم وهو الذي لا تنفق سوقه الا في رضى الراحة والطمانينة ولا يقوى الا بالبواعث والدواعي .

وكأن العقول في اهل هذه البلاد ضعفت بعد اشتغالها الطويل قروناً فاظلمت الى الراحة طوعاً او كرهاً في القرون الخمسة الاخيرة التي لم تبق منها الا حثالة من فروع الدين واللغة فقط وقيل في كبار المشغولين من اهلها بمقنوم من شيء ان يدعى ثقافة في علم فضلاً عن اخصائي . او كأن ضعف امة قوة اخرى كما قال بعضهم :

حياة بعض ممات بعض حياة كل محال فرض

فقد كنا هنا كلما ضعف عقولنا وزهدنا في ترقية مداركنا وانصرفنا الى التافه الذي لا يؤبه له قويت الامم الفريسة بسلوها ومدارك اهلها وطفق السلم بهم المرادها جيلاً بعد جيل حتى جاء القرن الثامن عشر الميلادي وقد كثرت الاختصاصيون فيهم وزادوا في القرن التاسع عشري زيادة واثق هذا القرن العشرون وقد كاد بهم العلم فضعف وقضيضهم وذكورهم واناشدهم . ومن جمهور المتعلمين يخرج في العادة الاختصاصيون وهم اما مسوقون بتأويل من طبيعتهم الى اتقان فن او فنين والتبريز فيها على الاقران او ان احدهم ينحني في تده الميول الى فن ينفع الناس نفعاً حقيقياً . قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من اراد ان يكون نائماً فليطلب فناً واحداً . ومن اراد ان يكون ادبياً فليشتغل في الصنعة . يقول احد الحكماء : قصد من اصناف العلوم ما هواشئ لنفسك واخف على قلبك فان تقادمت فيه على حسب شيوعتك له وسهولته عليك .

ما ظهر في 'غرب' مثال نيوتن ولا بلاس وكيتي وشيد وديكل وبيج . ونفختي وما كيلي ولا بينز وسبينوزا وكانت وكونت وديكرت وشوبنهاور وروس . وفولتير وديدرو ودرون وهذا كيلي ومئات غيرهم الا بعد ان نفخ التعليم عندهم نفخةً حسناً وهم الاصلاح اصوله وفروعه فصار الاختصاص في افراد منها الآن على ما يجنب منه بل يصح المزاولة الواحد بنفسه الى فروع كثيرة . ويشغف سيف كل فرع منه عدة افراد . فواحد في الكرويت وآخر في الهندسات وبعضهم للاجواء وآخرون للاشياء وغيرهم للآلة وفريق للآلة . وافراد في كبرياء وطائفة للكيمياء وآخرون في ميون وبعضهم في تجويز وهكذا تجد لكل ما ينصرف اليه من ولا لا يخطر من فروع المعرفة مئات من الاختصاصيين ومئات من الجامعات الخاصة به والمدارس الموقوفة عليها . ونجى ما قال احد اساتذة كلية اكسفورد في مادبة : انتم في جماعة من اساتذة الانكليز

في كلية السوربون ياريز منذ شهر ان كانت القرون الوسطى في قرون التعميم في التعليم فان هذا العصر الاخصاء فيها .

اما هذه البلاد على ما دخل اليها حتى الآن من قشور علوم الغرب فليت الاكادرو با في قرننا الخامس عشر او السادس عشر فحتاج الآن الى تعذيب ما يخرجها عن حد الامية ثم ان تعلم البساطة من اوليات العلوم واللغات فذا تمت لها هذه الامنية ينشأ فيها بحكم الطبع اولئك الاخصائيين الذين تطلأ نفوسنا الى الاستكثار منهم بين اظهرنا لقيام جامعتنا واحكام منكت العلوم فيها والانتفاع بحقائقها ودقائقها في العمليات لا الاقتصار على النظريات منها كما نحن فيها حتى اليوم الله. الا الطب والمهندسة والحقوق .

ان من يقول بان الاخصائيين اليوم يننا ينبغي ان يكثروا بين اظهرنا وجمهور الامية في التعليم كترى هو كمن يريد ان يعلم التعليم العالي لمن لم يتعلم مبادي القراءة والكتابة . فحسب الآن اذا قست : اخذناه من بحر العدم الزخرة اذ ما هي عليه حقيقتها حال من لم يعرف القراءة البسيطة واهله يريدون ان يعلموه الفلسفة التي هي علم العلوم او كمن هو سيف سفر بعيد وتريده ان يقطع اليوم في دقيقة وان يعدي من سيف البحر الى سيفه الآخر ولا سقينة لديه او كمن تريده على ان يغضب في علم ما وراء الطبيعة في صحراء افريقية . قال لاروس في مجله الكبير : اتست معارف البشر النظرية والعملية بعد استقرار امرها فحتاج الناس ان يقسموها بحسب استعدادهم . حاجاتهم الى اقسام لا آخر لها ينقطع انبيا افراد ويمشون في مضامينها فالاصول من المعارف هي المعلومات العامة ونفوعاتها هي الاخصائيات . ولقد كان بادي بدد كل شيء مفهوماً في الفلسفة فكانت لفظة عام عند الام الجاهلة تتناول جميع العلوم وتنقسم الى قسمين المحسوسات والمعقولات ودعت علوم الطبيعة وعلوم ما وراء الطبيعة . اما الصنائع اليدوية فلم تكن منظمة نظماً معقولاً ولا جارية على طريقة معقولة وكان ارباب الافكار يحنقونها فلا يمارسها الا الصغاليك يتصرفون اليها تقليداً ويحفظون في تعليمها آباءهم بدون وقوف على القوانين الميكانيكية او الطبيعية التي كانوا يملكون بها على القوام .

ثم حسنت حال الانسان بالتدريج ودخلت الاعمال في طور نظام وانتظمت العلوم الرئيسية لا سيما الآداب والفنون وعلوم النظر والعلوم العملية اي التجارة والصناعة والحرف ونشأ الاخصاء في كل فرع من فروع هذه الطبقات . فالطبيب مضطر الى تعلم امور كثيرة ولا يخصي في تماطي فرع واحد الا في المدن اما في القرى فيمارس كل فرع من فروع الامراض الباطنية والجراحية . وهكذا الحال في الاعمال التجارية والصناعية فان كل

حرفة او مهنة ننتقسم الى اقسام تدعى تقسيم الاعمال . وقد دخل كل علم اليوم في دائرة الاخصاء ، حتى ما يلزم الطهي والبائع والسوقي من المعارف فاصبح من الضروري بالظن لشكاثر اعمال البشر وانتشارها ان يزيد ابداء الاخصاء في كل علم وشأن . واذا نظرت الى الاخصاء من حيث العلم فانه دليل الكفاءة وبدونه لا يكون عالم فان المبادئ الاولى من جميع العلوم هي ولا شك ناضجة لكل الناس حتى العامة . ومتى حاز المرء قسطاً من هذه العلوم السطحية ورأى ان يتغير فيها يجب عليه تعيين الموضوع الذي سينصرف اليه وبدون ذلك يتقدم المرء في علمه تقدماً بطيئاً ويخلط فيه ويبقى متوسطاً والى الضعف . والاخصاء ضروري ايضاً في العلم العملي اي في المعامل والاعمال اليدوية وذلك للاسراع فيها ويرى ارباب معامل الابرواغياطة في لندرا ان في تقسيم الاعمال اقتصاداً كبيراً .

اذا قسمت الاعمال واخصى المشغولون بالعلوم وتوسموا فيها فلاخصاء يؤدي ولا جرم الى الضعف الادبي . وذلك انعامات مثلاً اذا قضين نهارهن في عملهن السهل العليل في الظاهر كأن يتفرن على ادخال الخيط في ابرهن فانهن لا يفقدن شيئاً من حواسهن ولكنه ثبت بالاخصاء انهن يفقدن حاسة النظر في اقرب وقت اما القوى العقلية والقوى المائلة لما فانها تتأذى ايضاً . اما في العلم المحض فان من ينصرفون الى الاخصاء ككثير من الرياضيين والمهندسين والفلكيين يعيشون في العالم كأنهم ليسوا منه ويدون معاصريهم بغربة اخلاقهم وتشتت افكارهم التي جرت مجرى الامثال . وبالجملة فيبقى على كل شخص في العلم او في الصناعة ان يحرز حفظاً من المعارف لاول امره وان يخصص في علمين او ثلاثة فاذا مارس احدها اراح غيره اه

وقال الراغب الاصمغاني في التريمة : حق الانسان ان لا يترك شيئاً من العلوم امكنه النظر فيه واتسع العمر له الا ويخبر بشمه وعرفه وبدوقه طيبه ثم ان ساعده القدر على التقضي به والتزود منه فيها ونمت والا لم يصير لجهل بجعله ولنفاوته عن منفعة الامداد به بطبعه فن بك ذا لم مر مريض يجد مرآ به الماء الزلالا

فن جهل شيئاً عاداه والتاس اعداه ما جهلوا بل قال الله تعالى واذ لم يجتدوا به فسيقولون هذا افك قديم . وحكي عن بعض الفضلاء انه رؤي بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال : وجدته علماً نافعاً فكرهت ان اكون لجلي به معادياً له ولا ينبغي للعالم ان يستعين بشيء من العلوم بل يحصل لكل حظه الذي يستحقه ومنزله الذي يستوجبه ويشكر من هداه لعمه وصار سبباً لعمه . ولقد حكي عن بعض الحكماء انه قال : يجب ان تشكر اباي الدين ولدوا لنا الشوك اذ كانوا سبباً لما حرك خواطرنا لطلب العلم



فضلاً عن شكر من افادنا طوقاً من العلم ولولا مكان فكر من تقدمنا لاصبح المتأخرون حيايى قاصرين عن فهم مصالح دنياهم فضلاً عن مصالح اخراهم . فمن تأمل حكمة الله تعالى في اقل آله يستعلم الناس كالتقراض حيث جمع بين سكينين مركباً على وجه يتوافى حداهما على نط واحد للتقراض اكثر تنظيم الله تعالى وشكره ويقول سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .

ومن اجل ما يروى في باب الافتراء بعلم والالام بعلم اخرى ما قاله ابو حاتم السجستاني قال: قدم علينا عامل من اهل الكوفة لم ار في عمال السلطان ابرع منه فدخلت عليه مسلماً فقال : يا سجتاني من علاؤكم بالبصرة قلت : الزيايدي اعلمنا بعلم الاصمعي والمازني اعلمنا بعلم الثغر وعلال الرازي اتقننا والشاذكوفي اعلمنا بالحديث وانا انسب الى علم القرآن وابن الكلبي اكنتنا للشروط فقال لكاتبه : اذا كان غذاً فاجمعهم لي فجمعنا فقال: ايكم المازني فقال ابو عثمان انا . فقال : هل يجزيه في كفارة الظهار عتق عبد اعور . فقال المازني : انا صاحب عرية لست بصاحب فقه . فقال : يا زباد كيف تكتب بين رجل وامرأة خلفها زوجها على الثلث من صداقها فقال : ليس هذا من علمي هذا من علم ابي حاتم . فقال لي : يا ابا حاتم كيف تكتب الى امير المؤمنين تصف فيه خصاصة اهل البصرة وما اساهبه في الثرة من الجوائح وتسال النظر لم فقلت: انا صاحب قرآن لست بصاحب بلاغة وكتابة فقال: انجح بالرجل يتماحى العلم خمسين سنة لا يعرف الا فنا واحداً حتى اذا سئل عن غيره لم يحرفه جواباً لكن عاذاً بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا لاجاب .

ومن استقرى تاريخ العرب يجد من امثال الكسائي مئات كما قلنا ممن كتب لم التقدم في علوم كثيرة فقد ذكر ابن خلكان وابن ابى أصيبعة في ترجمة كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩ وهو ممن لم يشتهر واكثرنا ينسب انه تجر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه احد وتفرّد بعلم الرياضة وكان الفقهاء يقولون انه يدري اربعة وعشرين فتناً ذرية متقنة منها المذهب والخلاف الراقي والخفاري واصول الفقه واصول الدين والحكمة والمنطق والطبي والالهي والنطب وفنون الرياضة من أفليدس والهيئة والمخروصات والتوسطات والمجسطي وانواع الحساب المنفوح منه والجبر والمقابلة وارثا طيبي وحزريق الخطاين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخراج في علم الاوافق طرقاً لم يبتد اليها احد وكان يبحث في العرية والتعريف بحثاً مستوفياً وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال يد طويل . وكان يحفظ من التواريخ وايام العرب وقائعهم والاشعار والمحاضرات شيئاً كثيراً وكان اهل التهمة يقرؤن

عليه التوراة والانجيل وشرح لما هذين الكتبيين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواء لقوته فيه قال صاحب وفيات الاعيان: وبالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن احد ممن تقدمه انه قد جمعه قال ابو بشر ثمامة بن الاشرس النخيري المعتزلي وكان خصباً بالأمون: رأيت رجلاً يتردد على باب الأمون ورأيت عليه أبهة ادب فجلست اليه ففأنتشته في اللغة فوجدته مجراً وفأنتشته عن النحو فشاهدته نسج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم بالنجوم ماهراً وبالطب خبيراً وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً فقلت له من تكون وما اظنك الا القراء فقال: انا هو .

وكان القاضي ابوالفرج المصافي النهرواني فقيهاً ادبياً شاعراً عالماً بكل فن قال ابن خلدكان ذكر احمد بن عمر بن روح ان ابوالفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من اهل الادب فقالوا: في اي نوع من العلوم نلذكر فقال: ابوالفرج بذلك الرئيس خزائنك قد جمعت انواع العلوم واصناف الادب فان رأيت ان تبحث غلاماً اليها تأمره ان يفتح بابها و يغرب يده الى اي كتاب منها فيجده ثم يفقهه وينظر في اي العلوم هو فتبذل كره وتجارى فيه وتال ابن روح: وهذا يدل على ان ابوالفرج كان له انة بسائر العلوم وكان ابو محمد الباجي يقول اذا حضر القاضي ابوالفرج فقد حضرت العلوم كلها . وقال: لو اوصى رجل بثلاث ماله لاجر الناس لوجب ان يدفع الى ابني الفرع المصافي وكان ثقة مأموناً سيفه روايته . هذا ما حضرنا من امر الاخصاء والاختصاصيين ولعل بعض موازرينا يكتبون فضلاً واسه في حالة الاخصاء عند التريبيين والطرق التي يعتمدون اليها بتفصيل اوسع واشفى

### تاريخ ابن الساعي

وقفتنا على قطعة من كتاب الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السيرة (١) قال في كشف الظنون انه تأليف الشيخ تاج الدين علي بن النجب بن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤  
١ خازن كتب المستنصرية اهو تاريخ كبير في خمسة وعشرين مجلداً بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦ والتاريخ مرتب على السنين وهذا الجزء وهو مخروم من اوله وآخره يبدأ من حوادث (١) استخرجته من دشت من الورق احمد بك تيمور من علماء القاهرة وسماتها وهو الذي عرف بانه قطعة من الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السيرة

سنة ٥٩٥ هـ ويثني في حوادث سنة ٦٠٦ أي ان فيه حوادث عشر سنين ثامنة ذكر فيه ماوقع فيها من الكوائن السياسية والطبيعية وترجم كثيراً ممن توفوا في تلك الحقبة من الزمن ولا سيما القاضي الفاضل والعماد الكاتب والفخر الرازي وابو السعادات ابن الاثير الجزري صاحب النهاية وهو موجز العبارة سهل الانشاء

ومعلوم ان الدولة العباسية كانت على ذاك العهد آخذة بالضعف ولذلك نقرأ غزوة من هذا الضعف في مسطور هذا التاريخ ومنها ان ابن ليون صاحب ارمينية انار على اطراف حلب وغزة ونهب وقتل ومنها ان صاحب الكرج كان 'ينير على بلاد المسلمين ومنها ان ملوك الطوائف كصاحب عرنة وهرات والشام ومصر كانوا يتقربون لبغداد تقريباً ظاهرياً وفي تلك المدة بدأ الصوفي يرد دكرهم مع الفقهاء والوعاظ والقراء . واخذت العادة تسري بتقيل «التبعية الشريفة» ياب التوفي الشريف « حتى ان نظام الدين محمد بن عبد الكريم السهماني لما اقتدر رسولا من علاء الدين محمد حواري شاه وتلي توكب الديوان العزيز وتزل ياب التوفي الشريف . و قد نرى تقيد التبعية امتنع عن تقبيلها فادين والزم بتقبيلها مكرهاً ولا رئيس هذه بخارى قبل تلك التبعية أسوة غيره من العامة والخاصة . وفي هذا التاريخ الفاظ ومصطلحات لذلك العصر منها ماورد في ترجمة ابن منصور بن نقطة المشير وانه كان مجيداً في صنعة الفناء وعمل النكان ومنها ما ذكره في ترجمة الامير قيصر العوفي «نسبة الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة كان مملوكاً افرنجي الجنس الا انه كان موسوفاً بالحسن والملاحة والطف تقدمه الوزير على جميع عايلكه وكان يخرج في الاحياء في صدور موكبه بالقباء والعامة القصب الكحلة والى جانبه خادم له من خدم الوزير بالاهبة أيقاً»

وقد ذكر فيه ماوقع سنة ٥٩٧ هـ في مصر من الفلاء العظيم الذي اهلك معظم أهلها وهو حجة من كتب الاعتبار في أخبار الديار المصرية لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي . وهذا الكتاب طبع قديماً في مصر وترجم كثيراً من المسيحيين والاسرائيليين وغيرهم من غير اهل الاسلام ووفام حقهم واليك مثالا من ذلك بالحرف: «ابو سعيد الحسن ابن خالد بن المبارك بن محضر النصراني الماردني الملقب بالوحيد كان مؤثراً للوحدة والانتقطاع واغلب على الاشتغال بالعلم في اول شبابه واتقن علم الاوائل وبرز فيه شرفه في الاشتغال وكان بينه وبين قلب الدين بن ايلغازي بن أرتق ملك ديار بكر محبة في سن الترية فكان يصاحب على الانتقطاع صموئيل بنديبه الى خدمته الى ان اجاب فقدم عنده وصارت له المنزلة الرفيعة والاحترام والتقدم ونديه بارق شاه بن قلم لوزارته فابي ثم قصد بغداد واقام بها مدة عند الجاثليق ابي حكم ملوي بن ايليا بن الحديثي ثم عاد الى بلاده وكان قد رزق طبعا في نظم الشعر فن ذلك قوله:

ومعتدل ساجي الجفون كأنما  
إذا رام عند الوصل ترك دلاله  
وما عذل العذال إلا جباله  
وما تركت مني الصباة في أفوى  
أشفعه فيا يريد بحسنه  
ولصنفي ارعى مباسم ثغره  
وقوله لقد أثرت صدغاه في لون خده  
نرى عسكر الروم في الزنج قد بدت  
أم العجج بالليل الهمم موثمه  
لقد غار صدغاه على ورد خده  
وقوله في جواب كتاب

وقفت على غوى كتابك معلنا  
وما خلته إلا ككناف روضة  
وراق بسمعي منه لفظ كأنما  
وانك الأعمال الجليل قد دمت  
فلا تولني فوق الوداد تفضلاً  
ولم يك بدعاً ما قصدت من العلى  
وقوله في مثله

أنا في كتابك أنشأته أنامل  
فواجباً في التوت فوق طرمة  
حوت البحر من فيضها يعرف البحر  
وما عودت بالقبض إنمله العشر

كان مولد أبي سعيد هذا في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وتوفي في سنة ستائة  
ولمؤلف عناية باخذ التقاليد الصادرة عن الملوك وغيرها من العسكوك الرسمية ولو كتب  
لكتابته كله البقاء لانتفع به كثيراً في هذا الباب لأن فيه ولا شك ما يقتله أكثر المؤرخين.  
وبما ذكره تقليد نضر الدين أبي الحسن محمد بن محمد المختار النكوفي نقابة الطالبين ينفذاد قال  
المؤرخ : وقد وقعت عليه وهو بخط المكيين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم التقي  
كاتب ديوان الانشاء المعهور حينئذ ومن انشأه ومن خطه نقلت . وهنا أورد العهد وهو  
في أربع ورقات ولولا أن في بعض الكتب المطبوعة ما يماثله من التقاليد وربما فاقه  
باسلوبه وبلاغته لاقتبسناه

ومن فصول الكتاب المهمة ما ذكره في نقل الفتوة وما تجدد فيها سنة اربع وستائة .  
والفتوة كما في التاج لغة الكرم والسطاء وفي عرف اهل التحقيق ان يؤثر الخلق على نفسه  
بالدنيا والآخرة وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى الا على وقول الشاعر

فان فتى الفتيان من راح واغتدى      لفتى عدو او لنفع صديق

وعبر عنها في الشريعة بمكارم الاخلاق ولم يجي لفظ الفتوة في الكتاب والمنة وانما  
جاء في كلام السلف واقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الامام احمد وسهل  
والجديد ولم في التعبير عنها الفاظ مختلفة والمآل واحد . قلنا والفتوة فيما نرى كما يظهر من  
هذا التقليد الصادر عن الناصر اشبه بجمعية سياسية . والمهد الصادر عن الخليفة الناصر  
لدين الله الذي نحن بصددده هو في هذه السنة اهدرت الفتوة القديمة وجعل امير المؤمنين  
الناصر لدين الله رضي الله عنه القبلة في ذلك والمرجوع اليه فيه وكان هو قد شرف  
عبد الجبار بالفتوة اليه وكان شيخاً منزهداً فدخل في ذلك الناس كافة من الخالص والعالم  
وسأل ملوك الاطراف الفتوة فنفذ اليهم الرسل وقد البسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة  
الشريفة وانتشر ذلك ببغداد ونفقي الا صاغر الى الاكابر وانفق ان الفاخر العلوي كان  
رفيقاً للوزير ناصر بن مهدي وكان له رفقاء فاختصم احد رفقاته مع رقيق لمر الدين نجاح  
الشرابي وصار بذلك فتنة عظيمة بحجة قطعتا حتى تجالدا بالسيف فانتهى ذلك الى الامام  
الناصر لدين الله رضي الله عنه فانكره وتقدم الى الوزير بجمع رؤوس الاحزاب وان  
يكتب في ذلك منشور يؤمرون فيه بالمعروف والالفة وينهون عن التضامن ويقرأ بحضور  
منهم ويشهد عليهم بما يتضمنه من خالفه أخذ سراويله وأبطلت فتوته وعوقب بما يرى من  
العقوبة واحضر الفاخر العلوي وقال الوزير لحاضرين اشهدوا علي اني قد نزلت عنه وقرأ  
المنشور عليهم الكمين ابو الحسن محمد بن محمد التميمي كاتب ديوان الانشاء المعمور وهو من  
انشائه وهذه نسخة :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المعلوم الذي لا يتارى شبه صحته ولا يرتاب في وضوح  
براهينه وادلته ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه هو اصل الفتوة ومنهبا  
ونعجم اوصافها الشريفة ومطلعا وعنه تروى محاسنها وادابها ومنه تشعبت قبائلها واحزابها  
واليه دون غيره ينسب الفتيان وعلى منوال مؤآخاته الشريفة النبوية تسبح الرفقاء والاخوان  
وانه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووقور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها  
ويستوفيا من اصناف الجناة على تباين جناياتها وملاها ومذهابها غير مقصر عما امر به الشرع  
المطهر وقدره ولا مراقب فيما ربه من الحدود وقرره امتثالاً لامر الله تعالى في اقامة حدوده

وحفظ المناظم الشرع وتقوم عموده فانه عليه السلام بعد ذلك يرى من السلف الصالح ومسمع ومشهد  
من اخبار الصحابة وجمع فلم يسمع ان احدا من الامة ذمه ولا حمن عليه طاعن في حداقته وحقيق بين  
اورثه الله مقامه وناط به شرائع الدين واحكمه به نقي عليه السلام في فتوته واقفي شريف  
شيمته وكرم محبته ان يقتدي به عليه السلام في محنته ويحتدي فيما استبراه الله تعالى  
واضح مثاله غير ملوم فيما يأتيه من ذلك ولا مريض متوة ولا شريرا فيما يورده ويصدره وقد  
رسم الله على المراسم العلمية المقدسة النبوية لاهمية هذه فتوته امضودا بالصلوات وتأيداً  
ممتد الاطنان بحكم الاسباب على كل من تشرب بنوة يرفقه الخدمة الشريفة المقدسة  
المعظمة المحمودة المكرمة الطاهرة الزكية الامامية النورية الدين الله تعالى شرف الله مقامها  
وخلد ايامها واعلى كلمتها ونصر رايها ان من قتل له رقيق نفساً نهي الله تعالى عن قتلها وحرمه  
وسفك دما حقه الشرع المطهر وعصمه وحارب من قتل الله تعالى في حقه حيث ارتكب  
هذا المحرم واحتجب عظيم هذا المأثم ومن قتل ممدداً جزاؤه جهنم خالداً فيها ثلاثة  
ان ينزل عنه في الحال في جمع الفتيان عند تفتته لملك ومعرفته ويأمر ان تغيير رفقته  
مخرجاً له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متمسكاً بها مستطناً من عداد الرفاق التي لم تعم  
نواحيها ذلك خزي في الدنيا ولمه في الآخرة من عظيم ذنوب كفي يجرى ثانياً ويحقيه  
ويساعده على امره ويؤويه تنزل كبره عنده قبر رفقته وينبأ منه وان من سحى  
ذا عيب فقد عاب وغوى ومن آوى ضيراً انتفى عنه وهو الذي عليه السلام  
يقول من آوى مجدداً فعليه لعنة الله وماله من حزين لا يقبل الله منه صرفاً ولا  
عدلاً ولا حدث اكبر من قتل النفس عنه . . . . . منه وزراً وثماً فان النقي  
مق قتل فتى من حزب مقتط فتوته . . . . . اقتصاص عملاً بقوله وكنتنا  
عليه غيماً ان النفس بالنفس والعين بالعين . . . . . لاذن بالاذن والسن بالسن  
والجروح قصاص وان قتل غير فتى عية من . . . . . ليديان في بد سيدنا ومولانا  
المقتدر الطائفة على كافة الانام الناصر . . . . . بخينة رب العالمين مقتد صيب  
هذا القتال في حرم صاحب الحرب بالقتل . . . . . كنية مستطفت فتوته بهذا السبب  
الواضح واجب القصاص منه عند كل فتى . . . . . ذلك ونحملوا بوجبه ويحروا  
الامر في امثال ذلت على مقتضى الداهية . . . . . حود في هذا المرسوم المطاع  
ويقال به بالاتباع والاتباع ان شاء الله . . . . . من سنة اربع وستائة وسلم الى  
كل واحد من رؤوس الاحزاب منشور . . . . . يددة اثنين من احدون ثم كتب  
تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته . . . . . فتنة هذا المرسوم المطاع وقابله بما

يجب عليه من الاتقياد والاتباع والامثال وهو الذي يجب انعمل به قوة وشرعاً وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً وسملاً وقد التزم نفسي اجراء الامر على ما تفهمه هذا المرسوم الاشراف فتي جرى ما يتاقي للمأمور به اتحدود فيه كانت الدولة لازماً لي والمواخذة مستحقة عى ما يراه صاحب الحرب ثبت الله دولته واعنى كلمته وكتب فلان بن فلان في تاريخه " اه

ومن اليهود ما صدر عن الخليفة للعباسي لرئيس اليهود قل ابن الساعي : « وفي تاريخ ذي القعدة المذكور ولي ابن وهبة رأس مشية (؟) اليهود وكتب عهده بذلك وسلم اليه فقراه على اليهود في الكنيسة وهذه نسخة : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواجب شكره الغالب امره العلي شانه القوي سلطانة السابقة نعمته البالغة حكيمته المنفردة بالجلال والاقتدار المصروف على مشيشه مجاري الاقدية والافداء الدال على وحدانيته يبدع فطرته المانع لمجانب صفته من ان تعدد في الالوهية كونه معروفاً عديدي في سبيل الرشاد من شاء من خلقه اخامي محب فذه على كل مقر يري به عارف بخلق الله اعطى شهادتي صلى الله عليه وعلى آله من اكبر الرومة والى محمد وجزيمة وشرف اعرب منعبوا وعبادها وأما بابا واعزها قبيلاً واوصحيا في اكرامه سيدلاً وارسل الى الاحمر والاسود تبيها واختاره من اصناف الامم عربياً وايداه بالحكمة آمناً وجمعه بمنصور ايماناً كتبه بحميا وابشعه بالبرهان الساطع والدليل القاطع ونسخ بشريعته المظهرة بالنور الساطعة والشرائع فتم يزل صلى الله عليه وسلم وعلى آله بامر الله صادعاً ولائف الباطل جادعاً وما ازل الله مبلغاً وجبهده في نفع الامة مستغنياً فعلى الله عليه وعلى آله وعلى صلاته وعمه ووارثه وسنواييه العباس الذي ظهره من الادناس وفرض مودتهم وطاعتهم على جميع الناس الخلفاء الراشدين وأئمة الحق للبعثدين صلاة لا انقشاع لنامها ولا انقطاع لتواصل دواهم والحمد لله الذي اسار الى خليفته في ارضه ودينه في خقه الامام المفترض الطاعة على سائر الامم الناصر لدين الله امير المؤمنين ووارث الانبياء والمرسلين حجة الله على الخلق اجمعين من مواريت انبيائه واهل بيته في ارضه وامنته هو الحق بحجزة مجده وارتداه علانته واخذ ميثاق طاعته على الامم في الازل واوزه الاواخر منه ما انزم الاول وفرض على خلقه الاقتداء به والانتقام وحاز له وراثته اخليفته عن الامام عن الامام زاده الله شرفاً الى شرفه وادام على العالمين ما منحه به من ثمول عدله وحسانه كنهه فالسلم والذمي والمعاهد في ظل اياديه الشريفة وادعون وفي رياض الامنة راتعون وبما يكلاهم من عين رافقه يقظي حاجتهم لا يكدر لم شرب ولا يذعر لم شرب وحكم عدله يوجب النظر العام في منازم امرهم وجوامع مصالحهم ورعاية جمهورهم لما وكه الله تعالى اليه من سياسة

عباده وناحه بشريف آرائه واجتهاده . ولا خسر دانيال بن العازر بن هبة الله في تربيته رأس مثنية عوضاً عن المازر بن هلال بن قه الدارج على قاعدته وجاري عادته وانتهى ما يقبل به عند اهل فحله ويتصف به واستحقاقه لما خسر فيه بحسن طويقته فيهم وسلامة مذهبه رسم اعلى الله تعالى المراسم الشريفة المقدسة المعظمة المحمّدية المكرّمة النبوية الامامية الطاهرة الزكية الناصرة لدين الله زادها الله اجلالاً تمتد الرواق وقفاً سبل في الاقطار والافاق تربيته رأس مثنية على عادة الدارج المشار اليه حيث كان ابن الدستور رأس مثنية ايضاً وان يكون له النظر في الولاية عليه من جميع الاماكن التي جرت عادته بتوليها والتصرف فيها وان يتميز عن نظرائه واشكاله بالبسة التي عهدت لاشكاله وسبيل طوائف اليهود وحكامهم بمدينة السلام واكتاف العراق الانتباه في ذلك الى الأمور به والرجوع الى قوله في توسط امورهم والعمل بموجبه وان يخرجوا اليه من الرسوم التي جرت عادة من تقدمه بها بالاماكن التي كان يصرف فيها من غير معارضة له في ذلك مع قيامه في يأتيه ويديره بشروط القيمة والتزامه ومحافظةه بالامثال وبواجب الاعتصام والاجلال ان شاء الله تعالى وبه الثقة وكتب في ناسع ذي القعدة من سنة خمس وستائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الذي ختم النبيين وهو سيد المرسلين المصطفى على سائر الخلق اجمعين » .

والخليفة الناصر لدين الله هذا هو الذي تقدم كما قال ابن الساعي « بانشاء دور ضيافة لقطور الفقراء في شهر رمضان في سائر محال بغداد شرقياً وغربياً فوقع الشروع في ذلك على يد قوام الدين نصر بن ناصر صدر الخزن الممهور وسلم الى كل ثقف من اهل محلة مقدار من العيين وأمر باثبات فقراء اهل كل محلة وان يجري لكل واحد في كل يوم وطلين من الخبز الفائق وقدر طيبج فيه نصف رطل لم شأن فاثبت في كل دار مقدار خمسمائة نفس زائداً ونافصاً فتم الفقراء والضعفاء هذه الصدقة وانتفعوا بها وتفرغ بالفم في هذا الشهر واستراحوا من السعي في تحصيل القوت والاهتمام به فآله تعالى يعمل ذلك نوراً يسرى بين يديه هذا سوى ما يفرق على الفقهاء في جميع المدارس والصوفية في سائر الربط والمنقطعين في الجوامع والمساجد والروايات من الغنم والدقيق والذهب اجزل الله بذلك ثوابه وخفف به حبابه » .





## كيف كانوا يسبحون

كتب احد الباحثين فصلاً ضافياً تحت هذا العنوان في « المجلة » فأثرنا تحصيله لجمعه بين الفائدة والفكاهة قال : ان السفر اليوم لا يمتدى حد السباق السهل اللطيف فهو قليل النفقة وفي مكنة كل انسان ان يقوم به ولم يكن كذلك في الازمان السالفة . بل كان التنقل ولا تدعو اليه الا الحوادث او الاشغال لا اللذة وحسب الانتقال يستلزم صنوفاً من المتاعب والمصاعب والمخاطر يصعب علينا الآن تصورها .

لم تكن وسائل النقل في القديم لتتمدى الحمار والحصان والجمال والخيالات والمواذج فينزل المسافرون سيفه فنادق لم تكن وافرّة العدد . ولقد كان عند العبرانيين فنادق غير مستوفية لشروط النزول فيها حتى ان ارباب الحشمة كانوا يربأون بانفسهم عن قصدها فكان لم في كل مدينة احباب يستقبلونهم فينزلون عليهم ويم يقابلونهم بالمثل وينزلونهم في بيوتهم عند ما يافروهم لاء ايضاً . دام هذا الحق بين الأسرات مرعباً ممولاً به واصبح القرى عديم من اقدس القروض ولكنه لم يلبث ان اعتوره القلب والابدال .

ولم يمض زمن حتى اقلبت كيفية الضيافة في بلاد اليونان والرومان والعبرانيين وذلك لانه من الصعب ان يؤدي الانسان كل قادم واقنصروا في ازال الضيوف على معارفهم واصحابهم ومن لم مقام سام في قومهم او يحملون وصية لا بد من تنفيذها وكذا يرسلون بين عدايم الى الخانات على نحو ما يقوم اليوم ابنا القرى في ايواء الجند وضباطهم خلال الحرب . وعمت هذه العادة على عهد الفيلسوف اليوناني تيوفراست ( ٣٧٤ — ٢٨٢ ق م ) وتند وصف المؤرخ توسيديد هذه الخانات ان المضافات بانها دور كبيرة طوعاً مائتاً قدم وهي مقسومة الى مساكن عالية وسفلية مفروشة وفيها سرر من حديد وقلاز

لم تكن تعرف الفنادق في ارض اليهودية ولكن كان منها على طريق مصر رأى بعضها موسى وامرأته صانورة على انها لم تكن ذات نهجة ونيقة بل هي عبارة عن مرابط للبهائم وبالتقرب منها آبار فيقضى على المسافران يأتي معه بجميع ما يلزم لغذائه . ولا تزال الخانات في المدن والمضافات في الارياض ببلاد الشرق الى عهدنا هذا على هذه الصورة لا تفوق القديمة بوضعها ولا باستعدادها .

وكانت فنادق الاجرة عند العبرانيين سيئة السمعة وقد صرح بلوتارك المؤرخ اليوناني بأنه لا يجب ان يتعب المرء فيها نفسه بل عليه ان يحمل ما يهوى ولا يجذل بجيرائه . فكنت ترى فيها محلاً للمائدة واصطبلًا للبهائم ومكانًا للركبات . وقد وصف افلاطون اصحاب

الخانات في عصره بانهم لصوص متجبرون اهل قحة وسلطنة يزدرون بن يعطيهم قليلاً من الاجرة وهي صورة تصدق ولا جرم على بعض اصحاب الفنادق في عصرنا .

من كان يظن ان البلاد التي نفدت في تلك الاعصر براحة السائحين فيها هي بلاد فارس ؟ فقد كان البريد ينقل فيها ( ولا يزال كذلك ) مع السعاة على الخيل فينقلون من محطة الى اخرى الاوامر وقد توفرت اسباب الرفاهية في تلك الفنادق الفاخرة . وعهد عند الرومانيين ضربان من الفنادق منها الفاخر وهو ما كان ينزل فيه السائحون والجنود وكانت تحت مراقبة الحكومة وقد ذكر المسيوكالي بانه رأى مثلاً منها عندما اقام في البوسنة والمهرسك . والحكومة النمساوية تلاحظ تلك الفنادق وتشرف عليها ولكن كانت تلك الفنادق للطبقة العالية من الناس وربما حل فيها الملوك فهل يسوغ ان ينزل هؤلاء مع الصعاكك وربما وصل اليهم منهم اذى . اما الفنادق العامة فكانت منازل حقيرة قال فيها هوراس الشاعر اللاتيني : « اذا رغب المرء ان ينزل في احد هذه الفنادق التي يراها على طريقه من كابري الى رومية فامقل ان يترحل واذارضي لنفسه النزول احياناً فلا يتزلها الا اذا بلغت به الحال ان تلوث بالوصل الى ظهره وتبلل بالمطر الى عظمه » وكنت ترى امثال هذه الاكواخ على الطريق في ايطاليا بكثرة وهي ممقوتة حتى لقد شكوا بلين العالم الروماني من ان القرش لم تكن وشيرة بل كانت محشوة ببيدان القصب على مثال الريش وكان طعامها غليظاً . ومن اجل ذلك كان الاغنياء السائحون يحملون معهم ادوات مطابخهم وبعض ارباب الشرف يسجون معهم عجالات تحمل لهم البطح والثمار التي لم تنفج لثلا يحرموا من الفاكهة ويحمل كل منهم معه اواني الدفنة كما لا تزال العادة في روسيا الى اليوم ان يأتي المسافر معه ادوات الفراش لنومه . وكانت فنادق رومية وخاناتها كثيرة ولاسيما من طريق ابيون وهي كما نالها في بلاد الغاليين سكان فرنسا الاقدمين من حيث قلة العناية وسوء الخدمة . وفي عهد المورخ بوليب اليوناني ( ٢٠٤ - ١٣٢ ق م ) احدثت طريقة اخذ شيء من الحرام من كل مسافر اجرة يبيته في احد الخانات وكان ثمن غذاء الرجل ومبيته يعادل في اليوم ثلاثة سنتيمات بسكة زماننا .

وفي القرن السابع للميلاد بدأ المسيحيون في الغرب يحجون الى الارض المقدسة وفي تأليف ادمان وويليام أسقف اشتياد سنة ٧٣٠ اشارات كثيرة تدل على ما كانت عليه اسباب التنقل في القرن السابع والثامن على ان الحج الى البت المقدس بدأ قبل ذلك العهد ببرهة طويلة . فقد كتب كل من لم يذكر اسمه منذ سنة ٣٣٣ جدولاً ذكر فيه الطريق من يوردي الى القاس ذكرًا مجرداً . وفي خلال تلك المدة كان للثورماتدين فضل السبق

على سائر الامم الاوروبية بخدمتهم في مثل هذه الزيارات يضاف اليها في اغلب رغبتهم في جمع المال والاتجار فكانوا يتحاشون تجشم احوال انجر ولذلك كانت اراهم تمنعون النساء برا فيرون بفرنسا ويجزء عظيم من ايطاليا ثم يركبون انجر من نابولي او كايث او سالرنا وهي المواث التي كانت تقايض المتاجر مع سورية . وفي السنين الاولى من القرن الحادي عشر ليلاد اجمع اربعم سائحا من النورماندين وردوا العرب على اعتقدهم عند ما انذروا على سالرنا وانشؤا لهم دولة نورماندية في جنوبي ايطاليا .

وكانت الحملات الصليبية الاولى على الشرق تسير برا من طرق متعددة . وقد ساعدت المادة في الحملة الثالثة على ادخال تسهيلات كثيرة في تسفير تلك الحملات الممثلة فاشوا يوثرون الرحيل من انجر . وكانت المدن او بعض افرادها تعهد بتقديم لوازم السفر . فقد قال ريكاردس قلب الاسد ملك الانكيز في حرب الصليب مينا . ارسيليني ان تقدم له عشرين سفينة وثمانية مراكب متوسطة الحجم لتتقدم في ارض المقدسة وكان قد تقدم في الملاحة وكثر الثمن في احدات السفن الكبيرة والدعميرة وبيع عدد الاسطول الذي اجمع في ايكومورت في الحملة الصليبية السابعة الف وخمسة سفينة وقد قضى الصليبيون الذين سافروا الى فلسطين من طريق الاستانة ثمانية اشهر .

وما لنا وتلك الحملات وما قاسته من المتاعب في قطع المسافات من اخبار الافراد الكبار ومنهم من كانوا يسجون لاشغالهم او لزيارة احق بالتدوين . فقد كانت الحوادث والمخاضات مألوفة لكبار الاغنياء يركبون في اسراتهم ولم يحملات ضخمة خاصة بهم غريبة في شكلها وبطئها ومما كانت البقر التي تجرها قوبة فانها لا تكاد تجتاز بة كيلو مترات في النهار الا بشق الانفس وذلك لوعثرة الطرق وكثرة البطائح ولطائنا اضطرت السافحين ان يحملوا على ظهورهم ما كان يحملهم .

وقد كثرت الادبار والصوامع في القرون الوسطى في اوربا فكنت تراها حيثما انقلبت في المدن والقرى تؤوي المسافرين وتطعمهم ( على نحو اديار جبال سورية الى اليوم ) واذا دفع المرء من تلقاء نفسه شيئا من الطعام للدير الذي اطعمه وآواه فانما يدفع ما لا يتجاوز القدر الذي كان ياتمه لو نزل في خان او فندق بعد ان ينزل على الرحب والسعة ويكفي المؤونة بفضل اصحاب الدير . وهذه الادبار على الصورة التي وصفناها تمدهم والحق يقال اعظم حسنات القرون الوسطى تأتيتها تلك الادبار ضاحكة مستبشرة وهي لا تريد من تسدي اليهم مروفها جزءا ولا شكورا .

ولقد كان الحاج الى البيت المقدس يدفع في القرون الوسطى خمسا وخمسين دوكا

(سكة ذهبية تختلف باختلاف البلاد) ليركب البحر من مدينة البندقية الى يافا ومن ذلك ثمن الطعام - وكان المترفون من الترفهة يزودون بالبحر والمأكول المفنذية كما يحملون الحصر والفرش والحمور والماء وتحمل السفينة مائة راكب - وقد صرفت احدى السفن سنة ١٤٨١ خمسين يوما في البحر للسفر من البندقية الى يافا وفي هذه المدينة يتلقاهم العرب وبعد ان يقوم خمسة ايام في مكان رديء يؤكبونهم الحمير الى القدس ويحسونهم من البدو ومن الباعة - قال احد الرهبان ممن رافقوا تلك العصابة ولم يكن العرب يعتنون الا على المأكولات والمشروبات يطيلون ايديهم عليها ليجلأ بطونهم .

وقد كثر التأثري في السياحات خلال القرن الخامس عشر على كثرة الاضطرابات التي حدثت فيه بحيث اصبحت اساليب النقل اكثر رفاة من القرون التالية - وشاع على عهد الملك شارل السادس (١٣٨٠ - ١٤٢٢) استعمال الجياد والبغال وكان النساء يركبن ردفيات للرجال ومن بعده كثر ولوع الناس بالغال منذ سنة ١٥٤٠ وسار الناس يسجرون على ظهورها لا فرق في ذلك بين الاساقفة وروساء الاديار والحكام ومستشاري المملكة والزعما - وسهل على الناس انشاء محطات كثيرة للبريد بين البلاد ان يسجروا بسرعة - والاثقال (العش) يحملها الخدم على ركاكب أخرى يتبعون ساداتهم ، وعلى ذلك العهد قل الامن في الطرق وشاعت الخرافات في فرنسا بما حلت اليها المانيا من الافكار فاصبح القوم يكثرون من الاعتقاد بالسحر والسحرة والطوالم السيئة وشاع ان اصحاب الفنادق على وفاق مع الشياطين ومع ذلك كان القتل يكثر في الفنادق وتزورها الارواح فيفزع السياح ولايسع اصحابها ان يأخذوا التازلين فيها الى دورهم وهم يومئذ يسمونهم بانهم دأموا معهم فلا تسطو عليهم الشياطين ويذهبون بهم ويسلمون من اساليب الهلاك والجربذة والناقصا القوم يستقدون ان الفنادق مسكونة بالجن .

وفي اواخر القرن الخامس عشر خضعت الحكومة الفرنسية بالسائحين واخذت توعز الى ارباب الفنادق ان يرفقوا بمن ينزل عليهم فحدوا اسعار المأكول والنوم وكتبوها على واجهات زلم وكانت الاجور غالية بالنسبة لتلك العصر وكانت فنادق اسبانيا سيئة الحال اذا قيست بالفنادق الفرنسية وذلك من حيث الوساخة وسوء الخدمة وكآبة الداخل من بنائها والخراج منه . اما فنادق المانيا واطاليا فكانت احسن من فنادق تينك المملكتين لكثرة اختلاف السائحين اليها .

جاء القرن السادس عشر وقد اشتهرت اوروا بنهضة الادب والفنون ولكن الاخلاق بقيت على برصتها على المبالغة في التسلط في ابداء الافكار - وكما كان ينتشر الادب والمعلم

والقلعة واللاهوت والتصويريين الناس وتصفو النفوس وتسمو الى قم الجعائى والبطنة  
والكمال كانت العادات تخط الى دركات التوحش فتكثر الحروب واللب والقتل من اجل  
امور تافهة وكل اختلاف في الاذواق يسوى مجد الخطجر والقتل نزاع ديني يكفى لتسبب  
ثورة في البلاد .

يلبس الرجال ثياب الدباج والمخمل ويزين الطرفاء آذانهم باقراط ويفطرون شعورهم  
ويسكون بايديهم الخناجر وهم يلبسون القفافيز (الكفوف) بسرو ويازي سرور من مخمل  
آنية لللبس او يروح بمروحة . اما النساء فكن يكتسبن الالبسة الحريرية والاطواق النخيلة  
الوالود والزناير المحلاة بالجواهر ولم تكن تلك الالبسة تعنى اخلاق الرجولية فهن بل كن يطلقن  
العارات النارية كما يطلقها فرسان الالمان ممن جعلوا اطلاق النار صناعة لم وعندئذ اخبت  
الاذواق تحسن في فرش الدور والصور وتسير نحو الرفاهية والملازمة يد انه لم ينشأ من  
ذلك تحسين في اسباب السياحة ولا في موارد الفنادق والمخانات وغلت على حقارتها على  
غيرها كانت عليه في القرون الماضية او أكثر

وقد كثرت اقبال الفرنسيين على السياحة في القرن السادس عشر ومن ام السياحات  
التي تؤثر من ذلك القرن سياحة الرحالة الجسور آرامون فانه خلف ايضا حادثة فاعلة عن  
زيارته للاستانة سنة ١٥٢٨ وما ادعاه ما شاهده من حلق بعض ابطال العثمانيين اذ  
ذلك ورشاقة ايديهم فقال انه رأى احدهم بلغ بيضة بدون ان يكسرها وبعد ربع ساعة  
اخرجها سالمة . ووصف القافلة عند منصرفه الى فارس فقال انه كان معهم عشرة اعلام  
واربعون جملاً وثمانية عشر بغلاً واحدى عشرة دابة اخرى وهودج يقبله بنلان وكانوا خمسة  
وخمسين سائحاً راكبين على احسن صورة مسلحين سافروا من الاستانة سنة ١٥٤٨ فرجعوا  
الى فرنسا في اوائل سنة ١٥٥٠ بعد ان زاروا البلاد العثمانية والفارسية والقدس ومصر .  
ورحل الرحالة فيليب دي فرسن سنة ١٥٧٣ الى الاستانة فرأى سوق النخاسة قائمة  
فيها والاماء والعبيد من اطراف الارض يرضون للبيع ومن اراد ابتياع أمة يكشف  
عن وجهها القناع ولكي يتمكن من معرفة سمعتها وصباغها لا يستنكف من البصاق عليه  
ليتأكد فيها اذا كان صبيحة او مؤخلة بلا تصنع . وقد سار في الطريق التي كانت متبعة  
في القرن السادس عشر للذهاب من فرنسا الى الشرق براً وهو براغوس — نوي بازار —  
اسكوب — تاتار بازار جق .

ولا ينبغي الفكر الى ان جميع السائحين كانوا يصرفون وقتاً طويلاً لتقطع المسافات  
فلم يكن جميع الناس كالرحالة موتنين في رفاهيته وبطئته يسافرون على هوام خان البارودي

لاكلود قسم الثمين وعشرين يوماً للعباب من الاستانة الى فونتينلو في فرنسا وقد عدت هذه السرعة من الغرائب التي تقف بها . وبعد ان زار برتراندون دي لاير وكبير القديس رجب راكباً من الاستانة الى فرنسا من طريق بلاد الفلاح وبلغراد وبست في خمسين يوماً وقف في الطريق اياماً مرات كثيرة .

وكانت على ذلك العهد الرحلات العظيمة فحل يعقوب كارتيه ثلاث رحلات متواليات الى كندا وطاف هناك الانكليزي الهند الغربية وطاف المولانديان بارانزو ومسكوك ليث عن منفذ الى بلاد الهند من شمالي اميركا وفي رحلته امور نالها فقد كتب رحلته سنة ١٥٩٦ وكانها دونها امس بل انك اذا تلوت ما كتبه فيجلبان لك كأنهما الرحلتان المتأخران نوردا لسكيولد ونانسن فقد اعربا فيها عن آمال كمال مدين الرحلتين وقاسيا مثل ما قاسيا من قلة وجوع ويرد ونصب .

كل هذا والمركبات قليلة فلم يكن في اوئل سنة ١٦٠٠ في باريز سوى اربع مركبات منها واحدة للملك والنفادق فيها مما يضحك ومضى قرنان بعدها واقيم في اوروبا عندتهم البغال والخيول والمركبات وسياراتهم تختلف باختلاف اغراض السائحين وبلانهم من الشجاعة حتى جاء البخار والكهرباء فقصر المسافر بعد ان كان قطعة من العذاب وبعد ان كانت تصرف الايام الطويلة في الرحلات ويتعارف الناس الى بعضهم ويقضون الايام والليالي في المحادثات اصبحوا الآن يصلون امرع من البرق الخاطف ولعل الا تمويليل الذي رغب النفوس في السفر فيه اليوم بدل السكك الحديدية سيظل بعد حين كما بطلت العربات والموادج والمخفات ويرى ابنا ابنا ما لا يخطر لنا يبال فقد اصحبت الخانات قصوراً فيها كل ما طاب ولذ الحوافل بعد ان كانت يحورها البقر والخيول اصحبت تجر بقاطرة بخارية .

### الشقاء على الشقاء

كتب فريدريك باسي احد اعضاء مجمع العلوم الاذنية والسياسية في باريز مقالة في الشقاء الانساني وتخفيف ويلاته اوزع شافاته فقال انه على كثرة الباحثين في تخفيف ويلات الانسان والكاتبين فيه ما زال الناس يقولون بان الشقاء ان لم يزد عما كان فهو لم ينقص ولم يوفق احد من اولئك العاملين الى فتح دور النعم والرغى العام . وما كان من

حسن نية واضعي القوانين وواضح الادوية فليس من السهل الاهتداء الى طريقة نهض الانسانية من كبوتها المزمنة في يوم وليلة ولا من المئين الذين القضاء على ما يحف بالبشر من الآلام والاصاب .

ومع هذا فلا ازال اقول ان هذه المعضلة ليست مما يتمنر حله وهذا الداء لا بد من شفاؤه وهو مما يجب على كل ذي ذمة يحترم طبيعته ويهتم لما يلحق عليه من اعباء المسؤولية ان يسعى الى بلوغ تلك الصالة المنشودة سعيها ويقعد ناصية الامل بشفاء الداء . ولا يتم ذلك بمن القوانين واتخاذ الترائع الخارجية للحيولة دون هذه الريالات لتقف عند حد القشور دون النفوذ الى الباب بل لا يرجى الفوز بهذه الامنية الا اذا غيرت الافكار والاخلاق ولا يدخل التغيير والاصلاح اللذان يقللان من الشر ويدفعانه الا اذا أدخل الاصلاح من الداخل لامن الخارج على من تألف منهم المجتمع . وما على من يود الوقوف على اسباب هذا الشر والشقاء الا ان يبحث ويستقصي وعندما يقبل له فيما اذا لم تكن الاسباب كلها اختيارية ومعظمها مما يدخل في طوقنا ويصدر عن ارادتنا . فاذا صحت ارادتنا وطردنا شيطان الجليل الذي يضل عقولنا وابتعدنا عن الشبهوات المتسدة والسيئات والخطيئات الملهكة وكلها مولدة للشقاء فنكون قد قضينا على الداء في موطنه واجنثنا عرق النساد من اصله .

لا ينبغي الخلط بين لفظي الشقاء والفقر واختلاف طبقات الناس فالفرنسي وليس من لوازمه ان يكون مضنيا . فقد قال البارون روتشيلد الغني المشهور سيف نحو النصف من القرن الماضي عند ما بلغم موت اغادو من اغنياء الاسبان : يا حسرتا على اغادو فقد كنت اخذه في سعة من العيش اكثر من ذلك . وذلك لانه بلغه انه لم يترك سوى ستين مليوناً من الفرنكات . وقالت عجوزة للفيلسوف جول سمبون عند ما زار منازل مدينة ليل ليبحث في حالة ساكنيها : الحمد لله على ان لنا احذية من قش . تريد ذلك تشبه نفسها بجيرانها الذين قضى عليهم ان يضطجعوا على الارض بلا غطاء ولا وطاء . ومن المحقق ان الفقر يحالفنا من بعض الوجوه اذ ليس في الناس انسان الا ويحرم من الاستمتاع بلذة شرقة ولا يصد عن امنية مطلوبة . ولكن هذا الحرمان اذا لم يبلغ حده فينا وفي الموجودات التي نزمها لا يس جزم الحياة ومتى حصلنا بفضل العمل والعناية الكثيرة اليومية على ما يلبتنا الضروريات الى حد محدود واخذنا بحظ من الطعام واللباس والسكن والمتام لنا وتوقنا . متى حصلنا بفضل الكد على ما تقدر به قدر كفاية اتقنا بانفسنا ونسحق به ان فيها فلا يحق لنا ان نتكلم في الشقاء واذا فعلنا فنكون قد جلبنا على اتقنا الالهانة . وما على المرء الا ان يضبط وهو

في ثيابه القليلة بل وعليه ان يفاخر بها ويأبى بسعادتها اذا كان غنيا عن مسألة احد على حين لا يظفر بزخارف الحياة الدنيوية والبنخ العالي الا باراقة ماء الوجه ومقاساة المصوم والغموم .

الشقاء حالة تصيب المرء بتلطلات ارتكيبها هو مباشرة او هو نتيجة ميثة لا غلاط ارتكيبها من يلوذ به او هو عقبي سوداويك سبيه الجهل والفساد والشهوة والمطامح السيئة وانحلال عرى التضامن فيصير به الانسان كلاً على غيره عاجزاً مادياً او اديباً عن كفاية نفسه وآله تنقطع حيله عن المقاومة وتحرير النفس من رجة السودية والاضطط الذي اصابه او قيل به فاسي غريقاً في لجة مزينة بالنقص الانساني وما هو الا القضيحة والالم والخطر على مجتمعاتنا . بيد اني اكرر ما قلت بان هذا الاضطط وذاك التسفل الذي يصيب كثيرين من البشر يسهل تبيين تأثيراته المفضية التي كانت سبباً فيه وان من السهل وضع الدواء لداء هذه العوارض ما خلا الحوادث والنكبات التي قد يتأتى تخفيف ويلاتها ايضاً .

قال الكاتب لا بولاي اذا اردت ان تنزع بحر الآلام البشرية فلا تحاول ان تأتي ذلك باتخاذ بعض الكووس الكبيرة تجعلها سلاحاً في يد المشرع فان البحر تجري اليه المادة على الدوام وخير ما تأتية ان تحول دون تلك المصادر التي تأتي اليه بالياء . اصلح الغلط واقتأ سورة الغضب وسدد الاميال الفاسدة واجعل الحكمة عوضاً من الجنون وحسن الالفة بدل الشقاق وجندما ينزل ذاك البحر الهجي عن معدله بالطبع وتحسن الحالة العامة . لنفهم هذه النصيحة ولننظر ما هي تلك المجاري والانهار التي تجري الى ذاك البحر الذي لا يفاث الناس فيه ويهلك من يهلك .

فالحرب هي اول المدمرات والمهلكات . اما الحرب فلا احاول ان اقضي عليها بعد الذي علم من تنافس الامم فيما تغذيه من اسباب الخنز والحيلة . وما دام يحمى شر الحريق فلا احسن من الاستسلا . الآن الى اصحاب الصحف ودفع صالغ لقضانة البيوت والجمال واذا لم نود اليهم ما يلزم لاعتالهم فلا نؤمن الا انفسنا . ولله يقال بان المال الذي يصرف في هذا السبيل فاحش ولكن اذا توصلنا الى الغناء لخطر فلا معنى اذ ذاك للاتفاق على الضامنين وارباب الصحف واذا ان خطر الحرب صعب ثقيله وهي مخاطرة يمكن توقي الوقوع فيها اكثر من خطر الحريق لان الحرب توقد نارها الحكومات والامم فهي اذا شر لا يجري دائماً بالرضى لانه كثيراً ما يعمل الناس مصائبها مكرهين وما الحرب الا صناعة تصنع ذات يوم تفصل الامم بكثرة ما تعلب التجارب الى درجة تعلم ممياً انها لا تخرج شيئاً من تحاسدها والحق الاضرار وان الاربع لما ان تحترم انفسها وتعاون وما يقال في تحاسد الامم ومناستها



وتباغضها يقال أيضاً في الاتحاد الاجتماعية وشذبتها ما سبب ما نرى من بوادي الحرب وبيادها معها كان من تجليها أو خفاتها بين الأمم والمجاعات إلا أننا نعتقد في القلب بأن الاضراب والحقوق متنايرة ويصعب بث روح السلام فيها لأن عظمة الأمة وضرتها وثرونها تجلي لنا كأنها غنائم قضي علينا أن نتحارب من أجلها وليست أرتنا عاملاً عهد الينا ثمينته يحسن المشرة والمعونة المتبادلة فبدلاً من أن نتفخ نخومنا للفتارة لتأيتنا بما يتقصنا من الفلات ونتفخ لنا مصارف نصرف فيها ما يزيد عندنا منها لا تفكر إلا في وضع العقبات في تلك انخوم لانا موقنون بأن الواحد إذا كسب يلزم عنه أن يضرر الثاني وهذا لانا لا نعلم ان رأس المال موثمة العمل وبذر لا يحفظ وينمو إلا إذا استحال الى اجور وبذلك يضم الى العمل المنتج قوة أخرى تقضي قضاءها على المصوم والاتحاد . الا فلتصلح الأفكار واتعدل الاحساس ولتحمك الرضا والمعونة المتبادلة بدلاً من التخوف والحسد

ليس ثمت غير الخطيئات العامة كعداوة الاجناس بعضها لبعض وعداوة اهل الفلات المتباينة وعداوة الدين وعداوة الطبقات وهناك خطيئات شخصية كما زادت تصعب خطيئات عامة ولا تبقى فاصرة على فاعليها . كان علماء الاخلاق هم المتشددون سابقا في التثمة على انتشار المسكرات والموبقات ولكن من منا اليوم لا يشعر بأشعروا هم به من قبل وتددوا بسيناته ليست الحكومات وحدها هي التي تبوء ببيعة أكثار الضرائب على الناس كاقال فرنكلين يل هناك ضرائب كثيرة وضعاها بانفسنا على عوائقنا وذلك ان كسلنا يتقاضانا ما يعادل تلك الضرائب وشراعتنا تدلنا ضمني ذلك ونحجبنا ثلاثة اضعافه .

وهناك سلسلة من سلاسل المصائب الانسانية هي في سبب البلاء واللاء واعني بها الخوصومات وضروب القسوة وسوء معاملة النساء والاولاد والامراض التي تنجم عن الخوصومات وقلة العفة وضعف البصر ورجفان اليد واعمال تؤدي فاعلها الى الجنون وتضعف الجنس وتورث الابناء بجهل الآباء امراضاً يجديها عليهم آباءهم . ولا ننس ان تذكر في تلك السلسلة نهب الوقت والمال وصرفها في الملاذ والبذخ والاسراف وما يصرف في الخفلات والاعياد مما جمع برق القرية وانهاك القوى وكذلك ما يجري في سباق الخيل . فان ادعي قوم بان السباق نافع للبلاد فهو ولا جرم غير نافع للناس

وصوله كان المرء يده شقاؤه ام لم يكن وهو به جديرام لم يكن فينبغي النظر الى الاصل فيه فان من الناس من يقولون بان للاقدار ايضاً يداً في اشقاء الشقي واسعاد السعيد وذلك لان العوارض والامراض والمصائب هي التي تحمل على البيوت فتخربها وتبعث بالنفوس نبشقتها . اما انا فاقول ان معظمها صادر عنا ونتيجة لازمة لسيناتنا . نحن لا نحسن

لناول الغذاء وجعل نسبة بين طبيعة الاغذية اللازمة للقوة العضلية والمصبية والدماغية وبين كيمتها . نحن لانحسن لبس الثياب ولا نجيد التصرف ولا نُفنى بامور الصحة والنظافة المطلوبة واستجمادة الهواء والسكن الذي يقينا التعرض لضروب الادواء نحن وعيادنا . لانحسن إقتراب دور نسكنها واهلنا بحيث تضمن لنا الهواء النقي والتعرض المطعوب للنور الذي يلقي الحياة . ولا نخفل بالاسباب المختلفة اللازمة للرعاية لكل حين وبدونها تهزل الحياة ولا نفور . ويعصم المرء غرضه للامراض على اختلاف انواعها كالحجيات الطيفية والرمد والغثاق والسيل . ومتى دققنا النظر في الشؤون واعملنا العناية معملا نجد اننا لو احسننا العناية والحذر والعلم لكننا نجونا من تلك السمات والؤلات .

يحي هناك شيء لا ينبغي لنا ان نفوليه لانه قليل واعني به المصائب التي لا ضامن من الوقوع فيها كالامراض التي تصيب اعقل العقلاء واكبر ارباب الانبياء . هناك الموت الذي لا يفجونه انسان والحريق الذي لا يكون ابدأ نتيجة سوء التدبير . والفرق والقيضات والمقذوفات وسقوط السكك الحديدية . فلهذه المصائب لا ينفع فيها الا التسليم وهذا ما اعنيه بقولي القضاء على الشقاء . لا تلك الضروب من الحوادث التي ليست في الحقيقة مادة الشقاء وأساس كل بلاء . على انها ليست كلها مما يصغر شفاؤه بل ان العلم بما بلغه من الارقاء قد احدث اساليب كثيرة لاستئصال شأفة تلك المواد فاذا لم نستطع ان نمنعها كلها ففي وسعك على الاقل ان تقلل صدماتها وتعدل من نتائجها . نعم ان الحذر قد لا يمنع من قدر . ولكن ليس هناك ما يمنع من التوقي منه بان يندل في سبيله ما لا بد منه من العناية ما امكن . والضمآن اذا لم يحل دون حرق المغار وضياح السفينة والموت بأخذ المرء من وسط اشغاله وعياله فهو على الاقل يهيئ السبل لاعادة بناء البيت وقم العمل والاستعاضة عن تلك السفينة فلا يدخل المرء الى داره مع الحزن الخراب والفضيحة فيكون قد اتى بحشف وسوء كيلة .

وما اسباب الشقاء في الحقيقة الا نتيجة اغلاط ناشئة من الجهل واغلاط ناشئة من سلوك اذا تدبرنا مصيرها وتعلمنا وكانت لنا ارادة في اصلاح النفس مكان في الامكان الخلاص من الشقاء . فالمسألة متوقفة على قليل من المعرفة وقليل من الارادة فليتنا ان نشير بصائرنا وبصائر غيرنا . والارادة الثابتة تحول دون الشقاء . وجماع النجاح في ثلاث كلمات : المعرفة والارادة والقدرة . والعلم والارادة تولدان القدرة . ويقول تولد في دواء الداء لا يخرج عنا وليس هو محصوراً في تدابير الادارة التي تفقدها الحكومات ولا في ادخال الاسلح على المجتمع بطريقة عرفية قاسية وما الدواء الا يبدنا بل القسم الاعظم منه فينا

فإذا أريد تحسين حالة الانسانية فالواجب أولاً تحسين حالة الانسان . وربما قام  
المشككون وقالوا وهل في الاستطاعة تغيير الناس فنقول لم نم نحن نستطيع تغييرهم بشأن  
ويجب علينا ان نسمى الى تغييرهم وهذا في الامكان .

## الرومان

### وصف ايطاليا

شعوبها القديمة — سكنت ايطاليا عدة اجناس من الامم لم يحدوا في عاداتهم ولغاتهم  
فكان يستبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الالب والابنين جزءاً من ايطاليا وهناك نزل  
شعوبهم الغائين اتوها من الشمال . فكان الاتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال  
الابنين والبحر ( هواقلم توسكانيا ) الى نهر التيبر وفي جنوبه ينزل اللاتين . ولقد سكنت  
قبائل كثيرة في جبال الابنين الوعرة وراء السهول الرومانية في الشرق والجنوب ولم تدع  
كل هذه الشعوب باسم واحد ولم تؤلف امة واحدة بل كانت تنقسم الى اومبريين وصابينيين  
وفولسكيين وايبكيين وهرنكيين ومارسيين وسامنيين ولكنهم يكادون كلهم يتكلمون بلغة  
واحدة ويصلون ارباباً واحدة ولم عادات واحدة . يتكلمون كالفرس والمهوند واليونان بلغة  
آرية ولبعدهم وراء جبالهم عن الاختلاط بنيرم احتفظوا بعاداتهم القديمة وعاشوا عصابات  
مع قطعانهم مشتبكين في الغلاء ولم يكن لهم مدن ولا حواضر بل كانوا يلجئون زمان الحرب  
الى حصون أقيمت في الجبال وقد عرفوا بالشجاعة والقتال وبسلامة الاخلاق ومقاتلتها وكان  
منهم بعد حين اعظم قوة للجيش الروماني وفي امثالهم : « من يستطيع ان يغلب على المارسيين  
اولئ ينقلب بدونهم »

جاء في احدى اساطيرهم ان المايبين نزل بهم خطب فادح فاعتقدوا ان الارباب  
ساختلون عليهم ففقدوا العزم على ان يسكتوا غضبها وان يقدموا نحيمة الى رب الحرب والموت .  
كل من يولدون من الاولاد في احدى فصول الربيع . ودعيت النحيمة « الربيع المنذور »  
فاصح جميع الاطفال الذين وضعتهم امهاتهم تلك السنة ملكاً لرب حتى اذا بلغوا سن  
الرجال غادروا البلاد وبعثوا عنها الى القاصية وألقوا عصابات فاخترت كل عصابة احد  
حيوانات ايطاليا المقدسة دليلاً من مثل الصرد والذئب والثور وهي تتبعه كأنها تتبع مرسلاً  
من الرب وحيثما وقف اخيوان نزل العصابة وتنفذه موطنها لها . وقيل ان عدة شعوب من

إيطاليا كان أصلها من تلك الأسرات من النازحين وما زالت محافظة على اسم الحيوان الذي كان أجدادها أتبعوا آثاره في القدم وذلك مثل الميرينيين ( شعب الذئب ) أو البسانثينيين ( شعب الصرد ) والسامنتيين وكانت عاصمتهم تسمى يوفيانوم أي مدينة البقرة .

السامنتيون — كان السامنتيون من أقدم تلك الشعوب وقد سكنوا في إقليم الإبروز وهو معصى حقيقي فينزلون إلى السهول المنخفضة في نابلي وبويل وينهبون المدن الأتروسكية والمدن اليونانية . جاهدوا قرنين في الرومانيين فكانوا كل مرة يردون على اعتابهم خاسرين إذ لم يكن لهم موطن ولا نظام ثم يعاودون القتال . وكان جهادهم الأخير شديداً . ولقد أتى شيخ إلى زعاء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسج من الكتان فأقاموا داخل المعسكر سوراً من نسج الكتان وجعلوا في وسطه مذبحاً والجند والقيود من حوله شاهرين سيوفهم فيدخل الجميع أحجار بين إلى السور وتؤخذ عليهم العهود أن لا يهربوا من الخضم أمام العدو وأن يقتلوا المنهزمين فأخذ من أقمى الأمانات المخلطة وكانوا ستة عشر ألفاً ليس من الكتان فتألفت منهم ( كتيبة الكتان ) وشرعت في القتال فقتلت عن آخرها .

يونان إيطاليا — سكن إيطاليا الجنوبية طواري من اليونانيين كما سكن بعضهم مدينة سياريس وكروتون وتارانت وقوي فيها أرمم وكثر صوامد . بيد أن اليونانيين لم يلقوا بانقسامهم قط إلى الوقي في التهلكة إذ أقام بقصدوا رومية خوفاً من الأتروسكيين وما عدا مدينة كوس فإن المستعمرين من أبناء يونان كانت لهم إلى القرن الثالث صلات قليلة مع الرومانيين . الأتروسكيون — أطلق اسم الأتروسكيين على إقليم توسكانيا تسمى توسكي وهو إقليم حار رطب غني للغاية . وظلت حال الأتروسكيين إلى الآن طليماً من الطلام لم تفكهم فهم لم يكونوا يشبهون جيرانهم ولا يعلم من أين أتوا بل أننا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها إلا أن إلهديتهم تشبه إلهدية اليونان ولكن الآثار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا تمكن معها من استنباط لغتهم .

كان الأتروسكيون يحسنون استخدام أرضهم في الزراعة على أنهم عرفوا بالبجارة والتجارة أيضاً وكانوا يذهبون كالفينيقيين إلى البلاد القاصية لبحث عن عاج الهند وخبير البلطيق وعن القصدير والأرجوان الفينيقي والحلي المصرية المكتوب عليها حروفهم وفيلينية وعن عيش النعام . وأتلك لقيت من جميع هذه الأشياء في قبورهم . وكانت سفنهم تنفذ نحو الجنوب حتى جزيرة صقلية . وقد كان اليونان يكرهونهم وبعدهم ( التيرينيين التوشين ) أو القرصان الأتروسكيين . وكل بحار في تلك العصور ساعدته الأحوال يأتي منه قرصان بحر فكان من مصلحة الأتروسكيين خاصة أن يردوا البجارة اليونان ويصدوم ليلوا ألم البحر في الشاطئ .

الغربي من إيطاليا ويستأثروا بتجارته . ولم يبقوا من آثارهم الا حوايط حصينة وقبوراً . وعند ما يفتح قبر احد الاتروسكيين تشاهد وراء باب ذي عمد غرقا فيها سرور وقد امتدت عليها جثث وحالياً حلي من الذهب والماج والنبر واقشة الارجوان وفرش واوان كبيرة منقوشة اما الجدران فيرسمون عليها صور حروب والمايا ولائم ومشاهد غريبة . وان ما استخرج من القبور بالالوف من الاواني الاتروسكية لازدانت به متاحفنا وصنع على مثال الاواني اليونانية هو من صنع الاتروسكيين انفسهم وفيها مشاهد ميثولوجية يونانية ولا سيما صور الحروب التي جرت حول طروادة والاشخاص نائشة حمراء على صفيح اسود وقد أسس الاتروسكيون في طوسكانيا اثني عشرة مدينة ولكل منها ملكها وحكومتها وكان لم من الجانبين مستعمرات فلم اثنا عشرة مستعمرة في اقليم كالمبانيا في جوار نابولي واثنا عشرة في سهل بو .

ديانتهم — اعتقد الاتروسكيون بارباب جبارين وربما كانوا اشراراً وارق اولئك الارباب الارباب المستورون المجهول امرهم ثم يجيء بعدهم الارباب الذين يرسلون الصاعقة وعدم اثنا عشر رباً يؤلفون مجلساً لم ويمتقدون انه يقيم تحت الارض في مدافن الاموات ارباب مشائيم وكثوياً ما كانوا يمثلون صورهم على اوان من صنع اديهم فيملكون ملك الجحيم المدعو ماتونس في صورة جبار مجنح جالس وتاج على رأسه وممثل يده كما يمثلون شياطين آخرين مسلحين بسيف او مطرقة والحيات يقبضون عليها بايديهم وهم يتلقون ارواح الموتى وامهمم الشيطان شارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم ايضاً وقد تخيلوه على صورة شيخ ذي هيئة قبيحة يحمل مطرقة ثقيلة ليضرب بها ضحاياها . ويمتقدون ان ارواح الموتى ونسي « المان » تخرج ثلاثة ايام في السنة من مقرها في عالم الظلمات وتطوف الارض تروّع الاحياء وتؤذيهم فيقدم لهم الاتروسكيون ضحايا بشرية تسكيناً لغضبهم لانهم يحبون الدم . وكانت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا دموية اكبر كما لميت في اصل نشأتها وكان للعراقين الاتروسكيين الذين دعوا بالمار وسيسيين او اهل القال قواعد يجرون عليها للتنبؤ عن المستقبل فيرصدون احشاء الفجهايا كما يرصدون الصاعقة وطيران الطير فيقف العراف ويدير وجهه نحو الشمال ماسكاً بيده عصا مقوفة ويخط خطاً يقطع به السماء شطرين فشطرين الشرق وهو على اليمين يكون فال خير وفال الشمال يكون فال شر (١) ثم يقطع الشطر الاول على قطع الصليب ويؤلف خطوطاً متوازية يكون

(١) هذا اشبه بالساح والبارخ عند العرب ولعلها اخذته عن الرومان تقول العرب : من لي بالساح بعد البارخ اي بالبارك بعد الشؤم قال ابو عبيدة سأل يونس رؤبة وانا شاهد

منها في السماء شكل مربع يدعونه المصديري العراف يصبره الى الطيور التي تمر في ذلك المربع فيضعها كالنسر علامة خير واخرى كاليمية طالع شوم.

ولقد نبأ الاتروسكيون عن مستقبلهم انفسهم فهم الشعب الوحيد من بين الشعوب القديمة الذي لم يعتقد بانه خالد وكانوا يقولون ان بلادم يدوم امرها عشرة قرون . وهذه القرون لم يكن كل واحد منها موثقاً من مئة سنة ولا تعين مدة القرن الا بعد ان يجري له قال . ففي سنة ٤٤ هـ وفي سنة وفاة قيصر ظهر في السماء نجم مذنب هائل احد العرافين من الاتروسكيين في رومية في جمع من الامة ان هذا النجم يشير الى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر وهو آخر قرن يستقيم فيه امر الاتروسكيين .

تقوذا الاتروسكيين . — كان الرومان امة نصف متوحشة فاعتدوا كثيراً بالاتروسكيين وهم اكثر منهم تمدناً واخذوا عنهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل البسة الكهنة والحكام والشعائر الدينية وعلم معرفة الغيب وزجر الطيور وعند ما كان الرومانيون يؤسسون مدينة يعمرون على شعائر الاتروسكيين فيحفظ المؤسس لها بالمحرث سوراً مربعاً وللمحرث سكة من النحاس يحورها ثور ابيض وبقرة يضاه فينجم الناس المؤسس ويلقون بتزيد العناية جميع مدر الارض من ناحية السور ونصب كل الهوة التي يشقها المحراث مقدسة لا يستطيع احد ان يتعداها للدخول في السور ولذلك اتفقي ان يقطع المؤسس تلك الاثلام او الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان يخطاه المحراث يقع فيه باب وكل فرجة لم تمسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باباً يسوغ منه الدخول . ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسم الدينية وكانت تسمى رومية المربعة ويقولون ان مؤسسها قتل اخاه عقاباً له عن تجاوز السور المقدس الذي خطه ثم جرى الاصطلاح ان تخطط اسوار المستعمرات والمسكرات الرومانية بل وحدود المساكن بحسب هذه القواعد الدينية وبخطوط نصف هندسية . وكان دين الرومانيين من اصل اتروسكي فقلوه الى ارجاء العالم القديم بأمره وتلك حق لا بلاء الكنيسة ان تسمي بلاد الاتروسكيين « ام الخرافات »

اللاتينيون — نزل اللاتينيون في بلاد الآكله والشعاب الواقعة جنوبي نهر التيبر وهي

عن الساغ والبارح فقال الساغ ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك ميامره وقال ابرعمرو الشيباني : ما جاء عن يمينك اذ يسارتك وهو اذ ولاك جانبك لايسر وهو اتيه فهو ساغ وما جاء عن يسارتك الى يمينك ولاك جانبك الاين وهو وحته فهو بارح قال ابن بري العرب تختلف في العياقة يعني في التين بالساغ والتشاؤم بالبارح فقل نجد يتيمنون بالساغ المترجم

يطلق عليها اليوم اسم بيرية رومية وكانوا قليلاً عددهم ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها أكثر من ٢٧٠ كيلومتراً مربعاً وكانوا من عنصر واحد كآثر الطليان يشبهونهم باللغة والدين والاخلاق ولكنهم يفوقونهم في التقدم بعض الشيء يزرعون الارض وينتج المكن الحبينة وينقسمون الى شعوب صغيرة مستقلة ولكل شعب ارضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعى تلك المملكة الصغيرة مدينة .

ولقد قامت ثلاثون مدينة لا تينة فالقت منها مجتمعاً دينياً يشبه مجتمع الامفكتيون اليوناني واخذوا كل عام يحتفلون احتفالاً عاماً بعيد لم وتندب كل مدينة عنها من يمثلها في مدينة الب فيذبجون ثوراً ضخمة للرب المشترك بينهم وهو كوكب المشتري اللاتيني .

### وقفة في الالهيات

احطت بليل اليأس مني غياهب	نضيء من الآمال فيها كواكب
هوجات اخيراً من همومي مخائب	فحجبت الآمال تلك السحاب
فأبانت لي الأضياء متكاثف	ولا لاح لي إلا دجج متراكب
فياك من ليل هنالك حالك	بأهواله غاقت علي المذاب
وعال الى ان لاح لي في سماه	على الافق فجر من رجائي كاذب

\*\*\*

اقول لعيني حين جفت دموعيا	أأمسك لما اجعنا التواب
لقد غاب من تهوين مرأى وجوههم	كأنهم زهر النجوم العوارب
وما كان ظني انه بعد ساعة	تجف كذا منك الدموع السواكب
جمودك يا عيني وقد وقع النوى	على غير ما وعد لم لا يناسب
واني على هذا الجمود وطوله	الومك يا عيني واني اعاقب
فلست يراض عنك يا عين بعدم	لأنك ما اديت ما هو واجب

\*\*\*

والقلب مني بعد ان كثر راجعاً	وقد رحلت اعطاهم والركائب
عهدك تمشي ايها القلب خلفهم	فقل لي لماذا انت يا قلب آيب
سألتك يا قلبي عن السبب الذي	رجعت له اني لعودك عاجب

فما لك تجشو راجعاً متغيراً  
اجئت تمزيقي لاني آسف  
فقال بصوت هز اوتاره الاسى  
تبتهم حتى ثوروا سيفه خائر  
وقفت على الاجداث حيث تغيروا  
بجنتك كينا اخبر الحال انها  
ورأيت ان نسعي معاً لقبورهم  
اصبت نعم ياقلب فيا راجع  
تقدم امامي ماشياً لشدلي

\*\*\*

فلما وصلنا ساء عيني ان ترى  
سطور قبور في العراء لناصت  
قبور بها نامت اوانس خرد  
فجاشت هناك النفس من لآلح الجوى  
هنا فيك قد غابت حسان كواكب  
وما فعلت تلك السوالف في الثرى  
الى من تشير اليوم فيك عيونها  
نجوم جمال امعت في غروبها  
وكانت مشيدات القصور يروجها  
لقد كن اما ودهن غاضر  
وفي كل يوم كان للزي مطلب  
ونكنا اليوم انتهت لتعاسي  
وكن كازهار الريع مبادياً  
قد انتزعها من حياتي يدالدى

\*\*\*

هنالك جادت اعيني بدموعها  
هنالك من قسي وصدق طويقي  
نظرت الى قلبي وكان يجاني  
فمن على الخدين مني سوارب  
تميت لو ان الموت تقارب  
اذا هو من فرط الكتابة ذائب



فلعلني ذوب القلب ثم سكبه  
والبيت في نفسي العزاء كعبد  
وفارني لي لمية مصرعي  
على جدث فيه حبيبي غائب  
قد انهد منه جانب ثم جانب  
فابعد عني في الفلا وهو هارب

\*\*\*

وجدت على الأيام والطب والفق  
واوشت الدنيا كأن يوتها  
مكثت الى ان اقبل اقليل زاحقا  
فابت الى دارى وفي شعب الجش  
وليس معي في اوتي لا نهى ولا  
سوى نفس في الصدر مني مردد  
مقسم في وجهي المذون كأنها  
وتدركني قبل الصباح ونهضه  
وقلت لم افي بطلبكم لمانب  
بيني وان كانت قصورا خرائب  
واظلم منه في عيوني الجوانب  
لميب من الحزن المبرح لاهب  
عزاة ولا قلب لشخصي يصاحب  
فذلك طول الليل آت وذاهب  
محب يسلي او صديق يراغب  
فانجي من المم الذي هو ناصب

بنداد

ج . ص .

### الصديق المضاع

علام حرمنا منذ حين نلاقيا  
عهدناك لا تلهو عن الخل ساعة  
وبالي اراك اليوم وحدك جالسا  
اتابك خطب ام عراك تمشق  
وما بال عينك اللتين اراهما  
واي جوى قد عدت اصفر فاقما  
تكلم فما هذا الوجوم فاني  
تجلد تجلد يا (سليم) ولا تكن  
ولا تبئس بالدهر ان خطوبه  
أفي سفر قد كنت ام كنت لاهيا  
فكيف علينا قد اطلت التجانيا  
ببدا عن الخلان تأبى التدانيا  
فاني ارى حزنا بوجهك ياديا  
تديران لحظك يحمل الحزن وانبا  
به بعد ان قد كنت احمر فانيا  
عهدتك غريدا بشعرك شاديا  
بما ناب من صرف الزمان مباليا  
مهابة صيف لا تدوم ثوانيا

\*\*\*

قال ولم يلك بؤادر ادمع : ثنائرت حتى خلتين لثاليا

لقد هجنتني يا (أحمد) اليوم بالامس  
 اتعجب من حزني وتعلم انني  
 لقد عشت في الدنيا اسيقا وليتني  
 وقد كنت اشكو الكاشحين من المدى  
 وما رحت استشي القلوب مدلوا  
 وداريت حتى قيل لي متعلق  
 وحتى دعاني الحزم ان خل عنهم  
 ورب اخ اوقرت قلبي بحبه  
 اراد انقيادي للهوان وما درى  
 اذا ما سمائي جاد بالذل غيها  
 الا فالك لي يا (أحمد) اليوم رحمة  
 فان احق الناس بالرحمة امروء  
 وما كان حظي وهو في الشعر ضاحك  
 ركبتم بحور الشعر رهوا وما شجا  
 وسيرت سفي في طلاب فتونه  
 وقلت اعصني يا شعر في المدح انني  
 ولو رضيت نفسي بامر بشينها  
 ومقام بني حين انشدت مادحا  
 وحكم بشرتي بالوفاء مقالة

\*\*\*

فلما بكى امسكت فضل رداه  
 وقلت له هو من عليك فانما  
 وما ضر ان اصفيت ودك معشرا  
 كفى مغفرا ان قدوفيت ولم يفوا  
 لعل الذي اشجباك يعقب راحة  
 الارب شر جر خيرا ورمنا  
 فلو ان ماء البحر لم يك مالحا  
 ولولا اختلاف الجذب والذفع لم تكن

وكفكت دما فوق خدي جاريا  
 نوب دواحي الدم من كان داهيا  
 من الناس لم يمينوا لك الود صافيا  
 فكنت الفخ الاعلى وكانوا الادانيا  
 فقد يشكر الانسان ما كان شاكيا  
 يجر تحافينا الينا الصافيا  
 لرحنا من الطرفان نشكو الغواصيا  
 نجوم بافلاك لهوت جواريا

وكيف نرى لكهرباء علواً  
تموت القوى ان لم تكن في تباين  
فلا تخبين من اتنا في تنافر  
وهيم جفوك اليوم بخلاً بؤدم  
فطر في سموات القريض مرفقاً  
فانت امروء تسلي القوافي بحقها  
يحيثك غموا ان امرت شرودها

\*\*\*

فشد بها قلباً من الوجد هانيا  
فداويت لي سقماً وهيئت ثانيا  
أمني لم مما احب الامانيا  
اظاول في العز الجبال الرواسيا  
وان كنت عنهم نازح الدار ثانيا  
اذا لم اكن للقوم في النفع ساعيا  
ولكن نصبح القوم جل مراميا  
لنشط كسلاناً وننهض ثاوي  
ولكن مري القوم من قام هاديا  
ومن اي طرق ينغوث المعاليا  
وجدد رشداً عندهم كان باليا  
يشق الطواهي او يحوب الموايا  
وان لدخيم فئنة قام رانيا

معروف الرصافي

بنداد



# الترية والتعليم

## تهذيب البنات

كنا منذ مدة نقرأ في احدى المجلات الفرنسية المصورة ان في فرنسا خمسة آلاف كاتبة وادبية ما منهن الا وقد الفت كتاباً او كتابين وخاضت عذاب الادب الى الركب وقلبت القلم يدها كل مقلب وما كدنا ننسى هذا الارتقاء والتجريب ونتمنى لو كان لهذه البلاد جزء من مئة جزء منه قطع حتى وافتنا مجلة التعليم الدولية تحمل في صدرها بحثاً خافياً لاحدى تلك الادبيات العالمات العقيلة هيلانة مونيز افاضت في وظائف المرأة الفرنسية وقصورها فقالت : من الاسف ان بعض النساء يذهبن الى انهن لا يعملن عملاً نافعا في المجتمع الا اذا خرجن عاقدتر لمن من الاعمال ودخلن في سلك اعمال الرجال وقطعن الصنائع الحرة . يزيد كل سنة عدد الادبيات والعالمات ومتاعيلات الصنائع الحرة تفقد بين ما كان يرجى منهن ان يأتينه في الحياة الاجتماعية من المساعدة على تبديل حال البلاد احسن مما هي عليه .

ان نساءنا لا يدركن في العادة معنى الحياة الاجتماعية ولا خطارتها فيتحيلن انهن لا يقدرن على الاشتراك فيها الا اذا دخلن غار السياسة فاصبحن متحبات ومتخبات ونائبات ووزيرات وكان عليهن ان يظلمن عن هذه التصورات وينصرفن الى حماية حياة الاطفال وبذلك يخذمن جنسهن ويسهرن على مستقبله ويمددن يد مسوتهن للباثسين وفي هذا حل للمسألة الاجتماعية .

ليس من الغريب ان القول ان تهذيب البنات من حيث الوجهة الاجتماعية هو اهم من تربية البنين وذلك لان الشاب اذا خرج من المدرسة يستطيع اتمام دروسه باعداد نفسه للاعمال التي يتعاطاها ويقوى عقله بدروس التجارب التي تأتية بها الحياة وعلى العكس في الفتاة اذا تعلمت وانجنت دروسها وقد تكون من بنات العملة او من اهل اليسار فلا تعود تعلم شيئاً الى حين زواجها والغالب ان أسرتها وزوجها تضربان من قلة اختبارها اذا انقطعت سلسلة تعلمها .

ان المدرس التي تعلمها في المدرسة نفسه الدروس التي يتعلمها الفتى ولكن ما يقضى عليها تعلم اكثر من غيرها في تعلمه يعني به كيفية ارضاع الطفل وحفظ صحة المولود فاذا زادت ولم الا تحسن تربيته لبعض في مواد تعليمها واذا كانت موسرة فانها لا ترضع ابنها

في الغالب وكثيراً ما تخالف القانون الذي يقتضي عليها بان ترضع طفلها الى الشهر السابع من عمره فقلب له عرضة حتى ليبتها قنواذيه لا عمالة .

البنات عندنا يتعلمن في المدارس واجباتهن نحو آبائهن وأمهاتهن وأسرهن ووطنهن ولكنهن لا يلقن أن ام واجباتهن الادبية أن يرضعن اولادهن ويربينهم ليقيمهم من العواض بثقوية ابدانهم وبذلك يخدمون البلاد بان يعطينها قوة اخرى زيادة على قوتها .

فان كان تهذيب الفتيات لا يبعدهن عندنا الى أن يشغلن في بيوتهن العمل الذي مخلق له فمن المتصور ان يرجى ان يمتحن بنيراتهن فان ما جرى عند ما أريد اشراك النساء في حماية الاولاد ليحصل بالاسف . وكان على النساء ان يدركن ان محبة الوطن ليست بالاحمال الحماسية بل ان ثوب المرأة ولو ساعة واحدة مناب ام طفل طرحته امه او ماتت عنه . ولا انكر ان ما يجبل عليه قلب المرأة من الشفقة هو غريب واخلصها لحد له .

ومتى عني المريات والمعلمات والتلميذات والفتيات والامهات بالمسائل الاجتماعية الكبرى ومددن ايديهن للبذل في الامور الخيرية العامة او الخاصة وشاركن في الخيرات والمقومات نستطيع ان تقاوم جميع الاخطار التي تهدد عنصرنا كالضعف من البؤس وكثرة موت الاطفال والسبل والالcohol .

برنامج التعليم عندنا غير ناقص ليزاد فيه مواد اخرى ولكنه يجب تخفيفه وحذف بعضه فان العناية في مدارسنا متوفرة اليوم لتوسيع حواس بناتنا العقلية ولم تصرف لتحصين ملكاتهن الاخلاقية . نعم ان فلسفة الاخلاق هي اساس تعليمهن ولكن هذه الاخلاق هي بالنظريات اشبه منها بالعمليات وهي ارق من ان تثقل على ما يستولي على نفوس الفتيات في سني الدراسة الاولى من انواع التعاليم فينبغي اشرب قلوبهن الشفقة فان الشفقة كما قال احد علماء الاخلاق من الالهان تزيد وتضاعف

يجب ان نعلم بناتنا ان كل فلسفة تؤدي الى انكار فعل الخير فلسفة كاذبة خطيرة وان نطمعن على حب الرحمة . الرحمة محبة الرباع وبها تقوى الامة باتخاذ ألوف من المخلوقات وهي تسكن احقاد الطبقات او ثقلاها .

ألا وان المخلوقات التي رزقنا جمال الطبع وحسن الخلق هي المحسنة الحقيقية للانسانية فان اهل الخير الذين عملوا الاحسان منذ كان العالم قد ساعدوا على سعادة البشر أكثر من ارباب العقول السامية الذين تمثل اسماءهم في التاريخ فلما كانت اوقت اخلاقنا منذ اوائل القرن الماضي كما ارتقت علويتنا ولو كملت قلوبنا كما كملت قوائنا العقلية لكننا منذ زمن خففنا مصائب الناس الى ادنى ما يمكن . وان يوماً توصل فيه الى تأليف انسانية كاملة لا يرى

السواد الاعظم من اعضائها يؤس فرد بدون ان يعينه من تلقاء نفسه تكون قد خفرت فيه بالسعادة على هذه الارض وحلنا بالسلم الازمة لاجتماعية التي تقودنا الى الممالك .  
وعندي ان يعم تعليم تربية الاطفال ويصل بنات المدارس ما ينبغي للرضعات وان يملن كيف يثا البائسون وارباب الادواعر يطلن على تاريخ الجحيمات العظيمة ودور الاحسان وان عمل الفرد وحده ضعيف في نتائجه ان لم يعم عمله الى عمل غيره فيكون للمجتمع اعمال منظمة بنظام الذكاء والتعل وان لا يعود البنات على الاعتقاد بفعل الخير نظرياً بل ان يعملن بالنسب في المدارس ويشتركن في اعانة المجتمع .

### مدح الثاني

كتب هنري لافدان احد اعضاء المجمع العلمي الباريزي في جريدة ( الآنال ) يندم المجلة ومدح الثاني قال : لو كنت غنياً ما تأخرت عن ان اوصي بمبلغ يخص ريعه كل سنين او ثلاث جائزة لمن يبيد في مدح الثاني وذلك لانا نرى هذه المحمدة آخذة وباللاسف بالتناقص فمن اللازم اللزب ان تعاد اليها الثقة الماضية والشرف الفرج لانا اذا غللتنا على هذه الحال نهلك بالمجلة لا محالة .

كلما قضى احدنا بضعة اشهر في الضواحي وعاد الى باريز يأخذ العجب من تموجها في اعمالها ويشعر بالقلق والاضطراب والسرة والحركة والالام وبدمش من السرة الجديدة المنظمة المرصعة في جميع اعمال الحياة . ولا يزال هذا الجنون يزداد على نسبة عتوفة ويكثر . ويزيد مضطراً من المجلة المتصلة التي تطوح بنا في هذه الملهوي النوعة التي تكاد لا نراها لسرة مرورها على بصرتنا ولان وقتنا لا يسمح لنا بامعان النظر .

نحن نسرع في كل امر وكلما حركنا جنون السرة اثبتنا ان الحكمة تقودنا فلا بقنعنا الا ان نصل قبل ان نساغر وأرأؤنا مضطربة تود السباق وتضارب تضارب اولئك السذج الذين يندافور ليلقوا قبل غيرهم رسائلهم في صندوق البريد وقد كتبوا عليها « مجلة » وما منهم اتمه اذا سارعوا الى وضعها وكتبوا عليها تلك الكلمة تصل الى مقصدها قبل غيرها على ان البريد والقدر لا يعطيان على المخاطر ولا يمتلن لرضي الناس .

ولكن من يطال الى نيل كل شيء لا يتال شيئاً . وماذا يجديده السرة الفاتقة للعادة التي تؤذيه وتضعف من قيمة كل ما ينوي القيام به . وبعد فلا يغوثنا ان قاطرة بخارية اذا تركت على سرعتها الفاتقة تنتهي بها الحال ان لا تمس قضبان الحديد ولا تكاد تقف على الارض كأنها في الغلاء . وهكذا الحال في الاعمال فان الرجل بكثرة امره في التعاب بطير ويثر بالحوادث ويقع فيها وهكذا شأنه في اوجاعه وافراحه وكل ما يناله . فهو لا

يجعل بتأثراته وشعوره ولا يتوسع فيهما بل يحبسهما مسك خفيفاً لا يأخذ منها ولا يترك ولا يستفيد الدرس النافع الذي يفيد عبرة وحكمة . فهو كالريشة بل كالغذيفة الطائشة الغيابة تطير على العماية في الفضاء الذي يتقاذفها ويخمد انقباسها في جميع المحطات التي تقف فيها من الحب والبغض والشر والخير فلا يميز بينها ويخلط فيها الى ان يناديه داعي الاجل المحتوم فلا يجعل له من الوقت متسعاً يتنفس فيه .

لا يقولون قائل اني اغالي فيما اقول فالحوادث تؤيد قولي : نحن بأكل سراعاً فلانهم قال موقنين ان الحياة تمضنا ونحن لا نمضها بل نبلمها ففتنتنا احياناً . نشرب سراعاً ونرسل الطعام ارسالاً الى معدتنا وما الغذاء الا عمل مقدس تأميه ونحن جلوس على طرف المائدة في اغلب الاوقات لا ننتقم فانا فتكلم ولا نقول كلاً طيباً ولا سيماً في البيوت فانا نتعدي ونعشي بأسرع ما يمكن كأننا في مقصف ( Buffet ) محطة سكة حديدية والمنادي ينادي لم يبق الا دقائقتان لسير القطار فنأكل ونحن سكوت لا نتكلم وقد استفرقتنا الصفحة قبل ان نستغرقها تفكر فيها بهمتنا ونغفل فيه وقد عبست جبهتنا وسدت معدتنا والقينا الطرف الى ابعد مما نحن فيه بدون ان تأخذ مقعدنا ونتناول اخيراً والفاكهة بل نقوم سراعاً ونهب نحاصاً او بطائفاً .

سقى الله ازماناً كان الناس يرتاحون فيها الى الجلوس على الموائد يتناولون طعامهم وهم يتفاجكون ويتزحرون ويقصون من الاحاديث ما يكون تسلياً لقلوبهم وراحة لنفوسهم . سقى الله اياماً كان احدنا يسير والله في المواد وقد تأبط كتاباً . ما هذا الوقار في القطار الحديدي الا ممالك المتزهين في الحقيقة بما خفف عليهم من مؤونة المشي . فقد بطلت عادة التزمة في الشوارع والازقة وباليدي عصا وبطلت المظلات او كادت كما بطلت المعصى . وبطلت عادة السير على الاقدام وعادة الراحة والغذاء على العشب . فاصبحتنا والفردي منا اذا جلس على الارض يصعب عليه النهوض بحيث تخدرت على التوالي ارجلنا ووهنت قوتنا . خلّ عنك تلك المصعدات Ascenseurs التي تحملنا من الأدنى الى الأعلى فقد نزعنا من سوقنا قوتها على العمل ومن رثائنا ما يتفهم في تصعيد السلام .

ولا اكفكم انني كلما زرت بيتاً من البيوت القديمة التي لا تزال محافظة على ادراجها وسلاسلها الرخام اجد في الصعود عليها نشأة وتقبل لي الحكمة التربية التي اعتدى اليها المهندسون وانتشروا تلك الادراج ليصعد عليها بين الزهور بدون هزة وعلى مهل . وما احلى ذلك واقعه . لاجرم انه يعينك على ان تجمع فكرك وجواسك قبل ان تقوع جرمك خارك او دار من تزوره وتختلف اليه .

ولم يقف الامر في سرعتنا عند هذا الحد بل تعداها الى كلامنا فصرنا نتكلم بايجاز ولا ايجاز صفار الزوج في كلامهم . واسمينا نسرع في نومنا ونقوم مذعورين ونحلم والضغط آخذ منا فنحن في المساء كالصباح لا نحسن الاضطجاع على سريرنا ولا نقرأ والقلم بيدنا نشير الى ما يجدر قله واتنباهه ولا نفكر الافكار النافعة بل نسرع في الراحة في سرعة .

واذا رجعنا البصر في الامور العقلية فانك تجدنا تقاخر بما يعرض لافكارنا كل يوم بل كل ساعة من التنوع . فقد خدا الكاتب لا يصيد نظره فيما يكتب فنحن مغفرون الى ان نعيد فيما نكتب كل يوم وكل من لا يؤولف روايتين في السنة او ثلاث روايات مفصصة بعد مقلات جاف القريحة . الكتب اليوم لا تؤولف بل تنساقط كما ينساقط الجوز . والنهاية ان نكتب ولا عبرة بما نكتب ونتأمله . ومما كان من اعتبار الاكثار والاختصاص فمن العقل ان نحرز ونأخذ من عنان الاقلام مخافة ان نسي لحال كلام الضميمة التي تأتي بالاولاد ضماقا محقرين . وما كل عمل جميل وعظيم الا ابن التأمل والصبر والجلادة . والطالما كان الوقت تأثير في تجويد الاحمال .

فالوقت جائزة نال باسرها والجمال اعظم العوامل فيها . فكما ان الوقت يوجد الجمال وينفيه وبقية العوادي ونحوه مناسي الكمال فكذلك الخرائب لا تكون خراب ان لم يأت عليها الزمن ويمتد لها الى ما شاء الله والايام والشهور لا تكفيها بل يقتضي لها عددا يلحصى من السنين تستحق ان تذكر بين الخرائب وان تختفي فيها الارياح وشار عليها الغبار ويبث بها الهواء وينزل عليها الماء والشمس ويبت فيها الطلح والسندس والمرش وكل ذلك من عوامل البطء والجلادة .

ثم ان الناس اصعبوا يريدون الاستمتاع والانتفاع في الحال وان يكون لهم اكثر من المصلحة قبل ان يضعوا رأس المال وان يجنوا بعد عشر دقائق من البذر . نقرأ مسرحين هذا اذا نظارنا يائنا نقرأ ونظلي نظرة على العنوان والنهرس ونقلب الطرف في بعض صفحات من الكتاب وهذا كل ما نقرأوه . اغرقنا في حب العجالة حتى صرنا لا نقطع اوراق كتابنا بيدنا بل نوزع الى الخادم او كاتب صرنا ان نقطعها لنا .

اننا اجهل ما يجيبني به الفارسي فيقول بان الكتب كثرت وكذلك الهزائد والملاذ والسجرات والواجبات وان العجالة قصيرة وان الحال تقضي بان نسترط الثلاث او الاربعة ثم في قيمة ولكن الحقيقة ليست كذلك فان الحياة كلها تضاعفت وكثرت بحيث نتجوات كان علينا ان نقتصرها ونقسم شملها . فها انه تصدر كل صباح اربعين جريدة وهذا من جملة الاسباب الداعية الى ان نهد في لواتها وكل اسبوع يصدر خمسون كتابا ونحن لا نعرف



منها الا عشرها ولكننا نعرفه احسن معرفة وهكذا فان التفكيرين اصحوا يفكرون بسرعة فتقدروا خاصة التفكير .

اصبح الواحد يحب ويغضب مزيماً ويسرع في التصديق كما يسرع الى الجحود ويعطي ويجمع كذلك غير مكترث بتصائح الليل ومواعظ النهار . واخذ الغضب يسارع اليه . ونحن لا نعرف كيف تغضب وعلى من نصب جام غضبنا . وليت شعري من يحتفل بالحب البطيء الصادر من اعماق القلب الثاني ؟ من يحبك احسن حياكة وامتنها ويألف في احكامها خطأ خطأ باليد لا بألة ؟ ومتى نرضى بالوقوف والتريث لتذوق طعم المواقف ونحجي برسم السعادة ونجلس هنية في الواحات ؟

الحياة اقصر طريق يسلك من نقطة الى اخرى ونحن نريد ان تقتصرها ايضاً ؟

## مطبوعات ومخطوطات

### غيث الام في التياث الظلم

تصنيف امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ وضعه في الامامة وإن قدمه ( كتب سنة اربع واربعين وسبعائة ) ليحتملنا على ذكر موضوعه . ومعلوم ان هذا البحث خاض فيه الخائفون ومنهم الامام الماوردي . وكتاب الجويني هذا في مثل موضوعه وقد حمل فيه علي الماوردي حملة غريبة واستفدنا منه ما كنا نعرفه عن حرية عصر المؤمن قال امام الحرمين : « وقد اتفق المؤمنون وكان من انجد الخلفاء واتقدم حجة ظهرت حقوته فيها وعسر على من بعده تلافيها فانه رأى تقرير كل ذي مذهب على رأيه فيخيب الثابتون وزاغ الزائفون ونفاق الامر وتطوق خطايا هائلاً وانتهى زلله وخطله الى ان سرخ لمعللة ان يظهر وآراءهم ورتب مترجين ليردوا كتب الاوائل الى لسان العرب وعلّم جراً الى احوال يقتصر الوصف عن ادائها ولو قلت انه مطالب بمشيات البدع والضلالات في الموقف الا حول في العرصات لم اكن مجازفاً » .

قال فيه : الحمد لله اليوم الحلي الذي بارادته كل رشد وغى وبمبشيتته كل شر وطي كل بيان في وصف جلاله حصروعي وبين عيني كل قيصر وكى من قهر تخفيره ومم وكى

(١) هذا الكتاب والتالي له من مخطوطات خزانة احمد بك تجور

فاطر السموات والارض جيل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الانعام ازواجاً يذركم فيه ليس كشله شي؟ فالقول عن عز جلاله منقول ومقاد المقدود في نمت كاله عخلوه . وبعد ان بالغ في وصف كتابه وقدمه لنظام الملك الوزير صاحب المدرسة النظامية بغداد وغيرها ذكر فيه اياتاً منها .

واني لفرس انت قلداً غرسه وريشه حتى علا وتمددا  
لا نك أغل الناس نفساً وممة واقربهم عرفاً وابدم مدى  
واورام زندا واروام غلبا واسجاسم بحرأ واسخاسم بدا  
وما انا الا دوحه قد غرسها واسقيتها حتى تمادى بها للمدى  
فلا اقشر العود منها وصوحت انتك باغصان لما تطلب التدى

وقال في موضوع كتابه : اقسام الاحكام وثفاصيل الحلال والحرام في مياغي الشرع ومقاصده ومصادره وموارده يحصرها قسيمان ويحويها في شفعين هذا المجموع نوعان احدهما ما يكون ارتباطه وانتياطه بالولاة والائمة وذوي الامر من قادة الامة فيكون منهم المبدأ والمشأ ومن الرضايا الاتسام والثمة والثاني ما يستقل به المكلفون ويستبد به المأمورون المصروفون . والكتاب في ١٣٠ ورقة تغلب عليه السحة في الجملة والثالبانه وقع في يد عالم فصحه .

### التلميذ

رسالة في معنى التلميذ للفاضل عبدالقادر البغدادي صاحب خزانة الادب بحث فيها عن لفظ التلميذ ومعناه في اسباب كتب اللغة فلم يجد فيها ما يشي فرجع الى تتبع بطون الدفاتر فوجده في كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري فانه ساق فيه شعراً للبيد بن ربيعة وفيه هذا البيت .

فالماه يحلو متونهن كما يحلو التلاميذ للؤلؤا ثقباً  
قال التلاميذ غلان الصناعات ووجده ايضا في شعر أمية بن الصلت في تصيده قال فيها :  
والارض معقلاً وكانت أمنا فيها مقامتا وفيها نولد (١)  
وبها تلاميذ على قدفاتنا حبسوا قياماً فالقرائص تروعد  
قال شارح ديوانه التلاميذ الخدم وقال أمية في هذه القصيدة  
فحصى واصعد واستبد الائمة بأولي قوى فيقتل ويمتد

قال شارحه يريد مثله أي خادم من التلاميذ وتلذ جعل للخدمة قال البغدادي  
ويؤخذ مما مضى أن تأوه أصلية وإن له فعلاً متصرفاً وهو تلذّه وتلذّذاً فهو مثله بمعنى  
خادم وذلك مثله أي جعل خادماً فأطلق التليذ على المعلم صنعة أو قراءة لانه في الغالب  
يجهد استأنف قول الناس تلذ له وتلذ منه خطأ .

### الكون والمبد

أو الذين الجميلة والكنيسة نظم الخورسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي وهي  
أرجوزة في ٣٤ صفحة مطبوعة طبعاً تقيماً بالشكل الكامل وتمثها فرتك تطلب من بيروت

### الطرف الادبية

في رسائل كثيرة في اللغة والادب لمشاهير أئمة العربية عزم محمد امين افندي الطائفي  
الكتبي أن ينشرها تباعاً في اجزاء صغيرة وقد انتهى اليها منها الآن الجزء الاول وهو يحتوي  
على كتاب فصيح اللغة لابي المباس ثعلب وشرحه لابي سهل المروزي وذيل الفصح لمبد اللطيف  
البغدادي وكتاب فلت وافعلت لابي اسحاق الزجاج وهذا لم يطبع حتى الآن فيما نعلم  
عني بتصحيحها السيد محمد بدر الدين ابوفراس النعساني وشكل محل الاشكال منها وقد  
جاءت في ١٨٨ صفحة متوسطة الحجم حرية بأن ينتفع بها المتأدبون في هذا الوضع الجديد  
وتمثها بمجلة مبعة قروش تطلب من طابعها .

### عوامل القاطع العامة

رسالة جمع فيها محمد الحسني افندي مائتين وعشرين كلمة من الكلمات العربية المتفائلة  
لبعض الالفاظ العامة مثل « بوقه » فقال انها الخوررق ومماها بعضهم بالمقص « وسكرتير »  
« ناموس » و « شكيحة » فمماها « مسقط » او « عكم » واورد الفاظاً مشهورة في الجرائد  
او بين الكتّاب الغائبين او المعاصرين مثل صيدلاني للاجراحي ومستثنى او مارستان  
للابتالية وقاز للكف وبالتركية اللون وغرفة او حجرة لاوده ومرثاً او مينا للاسكلة  
وقطر لملولاب الكتب ورتاج ملحوظة الباب ومماها للسياخ وفرسان للسواري ورجالة الليادة وحجدا  
لو يكثر من نشر مثل هذه الالفاظ بكية او فرو وينشرها في الجرائد والمجلات ليثبت صحيتها  
بالاستعمال او يسقط .



## سيرة العلم والاجتماع

## عرب الدنادشة

يبحث بعض العلماء عن اصل قبيلة الدنادشة الساكنة في متصرفية طرابلس الشام فتشوف لمعرفة اخبار حقيقية عنهم فالتحفي بعض سكان تلك الجهات بالتفصيلات الآتية فالرجاء ادراجها في مجلتيكم خدمة للعلم.

كان جد عشيرة الدنادشة من اليمن جاء البلاد الشامية ونزل حوران منذ نحو ثلثمائة سنة وساد علي تلك البلاد حتى لقب بالهيلي وأكره العربان الضاربة خيامها هنالك ان يذفوا له «خوة» ومنع العرب من غير حيه من المرور باراضيه الا اذا دفعوا له رسوماً مقطوعة من المواشي ولقد اهان مرة احد مشايخ عشيرة من العرب يدعى المسالنج من الحسيني فاعتنا هذا وشمل على كيدته فأتى يوماً وعرض عليه حضور جميع شيوخ عشيرة الحسين ليمطوه عيذاً بالخضوع له فقبل بذلك ولما وصل القوم مجموا عليه وذبحوه في بيته وفنكوا بجماعته ونهبوا متاعهم وفر من بقي منهم واتى الى جبات قضاء حصن الاكراد وسكنوا في مكان يدعى الآن بروج الدنادشة وهو فوق تل كلف مسكنهم الحالي وكان اذ ذاك مأهولاً بجماعة من المتاوله والتركمان فطردوهم واستولوا علي محالهم ورئيسهم علي ذاك العهد رجل يدعى الشيخ اسماعيل علي جانب عظيم من البسالة والشجاعة فاعطته الحكومة لقب آغا وبعثه خمس قرى وهي القنابا والحوز ومداف وحير البصل والمرح التابعة لقضاء حصن وبجانب فرمان من السلطان محمد خان الرابع عهد لاسماعيل آغا وجماعته بالمحافظة على تلك التواحي.

اما لقب دندشلي فقد سباه به التركمان من لا يزال لهم الى الآن بعض قرى يسكنونها في القضاء المذكور وذلك ان اسماعيل كان يتفنن زينة خيوله ويحلبها باقشة لما اطراف و«دنادش» فلذلك اطلق عليهم هذا الاسم ولم يدرحوا يلقبون به حتى اليوم وبعد ان سكنوا مدة قرن في تل كلف رجع احد اخوان اسماعيل آغا مع قسم من قبيلته الى حوران وبقي فيها واسم عشيرته الفحيلة وفي كل سنة يأتي من حوران جميع القبيلة لزيارة الدنادشة في ديارهم ويتوجه آخر من تل كلف الى حوران . والدنادشة الساكنون في جهات الحرمل ليس لهم قرابة مع دنادشة تل كلف هؤلاء منية واو تلك شيعة .

ثم ظهر ثلاثة اخوة من الدنادشة لهم شهرة مستقيمة واسم احدهم حمزة آغا والثاني ابراهيم آغا والثالث حمود آغا فاجبوا تقسيم املاكهم لتنع الشقاق بينهم فالتقوا قرعة ونفروا فبنى حمزة محلاً وسكن فيه ودماه باسمه اى مشق حمزة وسكن ابراهيم قرية تل كلف وسكن

حمود في محل سماه مشق حمود واسماه هذه الحال التي اصبحت الآن عامرة بذريرتهم ما فتئت باقية الى اليوم وكل من هؤلاء الثلاثة اصبح مديراً ولكل قرية الآن من هذه القرى رئيس من نسل الاخوة الثلاثة الاكبر فالأكبر ورئيس الجميع يسكن تل كنج لانها ام منازلهم وهي واقعة الى جنوبي قلعة الحصن مركز القضاء الآن تبعد عنه نحو ساعون نصف على طريق العجلات المتحد من طرابلس الى حمص واما مشق حمزة ومشق حمود فوقهما شرقي تل كنج وعلى مسافة زهاء ساعتين منه . ورئيسهم في تل كنج اليوم هو على جانب عظيم من الكرم ودعائه الاخلاق محب للفقراء والمهاجرين يشته مفتاح الابواب لكل من قصده وهو عبده الله آغا وله من العمر نحو الستين او اكثر ومنازل الاغوات مبنية على التسق الجديد ومنها ما كلف ألقاً من الليرات واملاك الدنادشة كثيرة متسعة لا سيما اراضيهم في سهل البقعة المشهور بخصبه واكثر خبزهم من طحين القدر الصفاء وقلما يستعملون دقيق الحنطة . ولكل من الاغوات «مضافة» لقبول الزائرين . ومن عاداتهم ان لا يتناولوا طعام الصباح والمساء مع حريمهم بل يأكلون في مضافاتهم وجد فيها ضيوف ام لم يوجد . ولم يلح عظيم يركوب الصافيات الجياد يعنون كثير ابتريتها وقل فيهم من لا يركبها ويتقن فيها وعند محمد بك صاحب بيت تل كنج فرس اصلها حمدانية زرقاء اللون لا يبيعها ولودفع له فيها خمسمائة ليرة وعند ركوبهم يحملون الرماح والسيوف وفي اعراسهم يدقون الطبول وينفقون على خيولهم وافراسهم نفقات باهظة . وفي منتصف حكم السلطان محمد خان الرابع الذي جلس على تخت السلطنة سنة ١٠٥٩ منهم فرماناً بملك القرى المذكورة آنفاً

بيروت

جرجي ديمتري مرسوق

### تعريف الاعلام

كتب الاستاذ تالينو مدرس اللغة العربية في كلية بلزمة حاضرة صقلية رسالة بالفرنسية في نشرة الجمعية الجغرافية الخديوية في مصر سماها ( اعلام البلدان في بلاد الاسلام ) التي فيها باسئلة كثيرة على تعريف بعض الاعلام في كتب الجغرافية والتاريخ والمصورات الحديثة تحريفاً يلبس به وجه الصواب ويضيق به تصور مواقعها وتاريخها واصلا على وجه الصحة وقال ان المنشغلين بالعربية من الافرنج قد لا يهتمون الى كثير من المواقع اذا نظروا في تلك المصورات الحديثة وقابلوها بما كان كتاب العرب يطلقونه عليها فذكر من ذلك امثلة غلط فيها بعض علماء المشرقيات فادعى ان لفظ المولوية المستعمل في حكومة مراکش مضافاً كالخفزة المولوية او القام المولوي جاءت من ملويا وهو ام نهر في بلاد مراکش يخرج عن حكم الاسرة المانكة ولذلك يطلق سلاطين المغرب على انفسهم الامراء

المولوية ليؤيدوا حكمهم على تلك البلاد التي يجتازها النهر . وقال والحقيقة ان قولهم الحضرة المولوية مشتق من المولى ونقط النهر لفظ «ملوية» . وذكر كيف ان بعضهم حروف لفظ «تل-العمارة» فجعلها «تل اسرافا» عند الترجمة وانه وقع في كتاب في التاريخ والادب قرره نظارة المعارف المصرية سنة ١٨٩٣ من الاغلاط الشائعة في اسماء الاعلام ماحرف التاريخ ولا سيما فيما يتعلق بجزيرة العرب ومثل لذلك بانه جاء فيه «زاده» بدل «صعدة» و«دراما» بدل «ظرا» و«زهاد» بدل «صحار» و«بيجا» بدل «بيشة» ثم ذكر امثلة لذلك من المصورات الجغرافية فقال انهم حرفوا اسم ذوي منيع وهي قبيلة مشهورة في المغرب الأقصى وجعلوها ذوي منية وحرفوا لفظ عهري ما ومسون فقالوا زا ومصون وحرفوا اسم قبيلة بني يزناسن فقالوا بني سناسن وقالوا عن سهل ثفراته تافواطا وحرفوا ايت سفروشن وايت شقان من بلاد المغرب فقالوا ايت سروسن وايت شكان نقلاً عن المصورات الفرنسية ونقطة ضاية المستعملة في الجزائر للقيمان التي يجتمع فيها ماء المطر في الشتاء بلفظ داية وكيكو يقيفو وغياته برياطة ومكس بمكاس والنجاة بنجا وارضم بردم وبهت بيهط وصفرو بسفرو ومدينة وازان بوزان وقبيلة غصاوة بنزواة وتافيلات بنفيلات وتعلالين بتيالالين والرتب بالرطب ومرغاد بمزاد وتادغوست تلمروشت وتدنة بطلدرة وعطة باطا وتيزمي بتزني . وقال انهم حرفوا سيم في الاعلام المغربية درعة بنذرا والفاحجة وترناطة واقة او اقا بالفحجة وترنانه وعقة والشاون او شفاون بشاون وتسنت بتيسنت وسكتانة بسقطانة ومجاط بنمجات وكليم باولم ومكديوة بسقاوة والشيامة بالشيامة ورهونة برحونة وكرفط بقرفيت وتسول بتصولوزيان يزابان ووزغت بواوزرت وكروط بقروط وشالة بشالة وقرباطة ببرج غربالة وسيدي صيد عقارب (محل في تونس) بسيدي العقاربة وبونقا بننقا وبلاد الحضري بلاد الحيدر وتلبو وكتانة وعرام بتلبو وكتنة والعرم وهداج وشعة السباعلة وغوش بمحديج وشابة الزمالة وقنوش وضيفة بتفنة وتوكابر بتكابر ومكتار بمكتار وجبل ساغرو بجبل سارو والخيثر بالكريمل وخنق الطحاح بكاركتنا والسوارقية بالسوريجية والاكرة بالمكرة والشرفة بالشرفا والحضيرة والعفينة بالخصيرة والسفينة . وقال ان المصورات الجغرافية والكتب المطبوعة في علم تقوم البلدان المترجمة حديثاً في الاساتنة وسورية مملوءة بالاغلاط الشائعة ولذلك يتحافى عن نقل شيء منها لتفاهتها وان خير طريقة يمد اليها لاصلاح هذه الاعلام ورد كل شيء الى اصله العربي عند الترجمة ان تنظر مصر في ذلك لانها تجمع العالم الاسلامي وفيها صفوة من رجال العلم

من المسلمين الذين يساعدون بعمارتهم في هذا السبيل كان فيها المجمع المصري والجمعية الجغرافية الخديوية التي سلعت كثيراً على ارتفاع المعارف الجغرافية

## الحكومات والاوبرات

تمطي حكومة برلين للاوبرا الالمانية ١٢٥٠٠٠٠ فرنك وتمطي حكومة باريز ٨٠٠٠٠٠ فرنك وحكومة درسد ٦٠٠٠٠٠٠ وحكومة فينا ٦٠٠٠٠٠٠ وتمطي حكومة مصر ١٢٥٠٠٠٠ لجوق الاوبرا ولكنه اوروبي يمثل في الشتاء للفكرة السياح فقط .

## جرائد العالم

تبين ان في ايطاليا ٣٣٣٠ جريدة ومجلة منها ١٣٤ يومية تقسم الى اقسام في مبادئها منها ٣٣٢ من حزب رجال الدين و٢٩٥ من المحافظين و٢٦٠ من الاشتراكيين . وفي المانيا ٥٠٠٠ جريدة ومجلة وفي فرنسا ٢٨١٩ وفي انكلترا نحو ٢٥٠٠ وفي الهند والمجر ١٢٠٠ وفي روسيا ٨٠٠ وفي سويسرا ٤٥٠ وفي الولايات المتحدة ٥٠٠٠٠ ( كلها ) جريدة ومجلة .

## عاصمة الالمان

يعلم المجلس البلدي في برلين الاولاد الفقراء ويكسوم ولذلك لا ترى في شوارعها شحاذين ثيابا يدعون كما في بعض عواصم اورو با انهم يبيعون جرائد او زهوراً واذا شاهد الشرطي ولداً يدخن يقطع له المفاة وهي في فمه .

## العمل بالايدي

ايران تقرير العمل في الولايات المتحدة الفرق بين ما تكلف بعض اصناف التجارة اذا صنعت بالايدي او بالادوات فظهر لها ان عشرة محارث زراعية اذا اريد صنعها بالايدي يشغل فيها عاملان يعملان فيها احد عشر نوفاً من الاعمال ويصرفان ١١٨ ساعة وتكلف ٣٧٢ فرنكاً اما بالالات فان هذه العشرة محارث يعمل فيها ٥٢ عاملاً يجامطون فيها ٩٧ عملاً مختلفاً ويصرفون في صنعها ٣٧ ساعة فتكلف ٣٩ فرنكاً . وان المثة زوج من العمال يصنعها عاملان بايديهما فتكلفها التي فرنك ولكن اذا صنعت بالالات يعمل في صنعها ١١٣ عاملاً فتكلف ١٢ فرنكاً . وهكذا فان في تقسيم العمل بفضل الادوات والالات الحديثة اعظم وفرو دخل

## العلم في مصر

صدر الامر الخديوي بان يخصص من الاوقاف الخيرية مبلغ خمسة آلاف جنيه مساهمة لمشروع المدرسة الجامعة المصرية المزمع انشاؤها في القاهرة . ووقف الامير حسين باشا كامل زهاء ٧٦ فدانا من اطيانه في البحيرة على مدرسة دمنهور الصناعية وايراد كل فدان ثمانية جنيهات في السنة فتكون قيمة ما اعطاه عشرة آلاف جنيه كما ان قيمة العقارات والاطيان التي خصصت مداخلها للجامعة تساوي مئة الف جنيه بحسب وارداتها . ولا يزال للاربعة عشر مديراً من مديري القنطر يفتنون في تشويق طلبة القوم لانشاء المكتاتيب على اساليب مختلفة فبارك الله بهذه النهضة العلمية المثمرة .

## السياح وحقائقهم

كثير من البلاد تستفح بالقادمين عليها كل سنة للسياحة ومنها سويسرا في اوربا ومصر في افريقية فان القنطر المصري يرحب كل سنة نحو مليون وربع من الجنيحات من المال الذي يصرفه فيه السياح . وقد ذكرت مجلة الجلات النيويوركية ان السياحة من اعظم المساهمات على انتقال المال من يد الى اخرى فقدرت ما يصيب فرنسا كل السنة من القادمين عليها من السياح بمليارين ونصف مليار فرنك ويصيب ايطاليا خمسمائة مليون فرنك وقد زار سويسرا سنة ١٩٠٦ اربعمائة الف سائح فصرفوا فيها مائة وخمسين مليون فرنك . وقد تعدد الاميركيين الذين كانوا في اوربا هذه السنة بمئة وخمسة وعشرين الفا الى مئة وخمسين الفا فالت من مالم انكثرا ١٢٥ مليون فرنك ونالت فرنسا ثلاثة اضعاف ذلك وبال المانيا ١٢٥ مليوناً وايطاليا ٢٥٠ مليوناً . فالانحمال هو من السواحي انكبرى في ثقل المال ومن اعظم النافع في الحياة الاقتصادية .

## البيض

قدر بعضهم ان محصول البيض في اوربا يبلغ في السنة اربعة مليارات واربعمئة مليون بيضة وزعم ان ما تخرجه انكثرا هو احسن بيض ثم يبيح بالجوقة بيض فرنسا فالدانمرك وقال ان مجموع ما يتجره في انكثرا وخارجها من البيض الانكليزي يبلغ مليارين ومائتين وسبعين مليون بيضة تساوي ستة ملايين جنيه وترسل روسيا الى انكثرا كمية وافرة من البيض الا ان بعضها دون بيض بريطانيا يحوته ومع بيض اسبانيا من اجل بيض في العالم والري من البيض يدخل الجنيحات .



## المسكرات

ثبت ان المسكرات في اوروبا هي السبب في موت ثلث الوفيات وقد قدم بعضهم الى الجمع الطبي الباريزي رسالة يقول فيها ان الالكحول هو السبب الرئيسي في عشر الوفيات والسبب المساعد على أكثر من اثنين في العشر الآخر فهو في المجانين سبب هلاك نصفهم وتأثيره في الرجال أكثر منه في النساء .

## الضرائب والموظفون

ترى بعض المجلات الباريزية ان فرنسا اذا ألغت وسام جوقه الشرف توفر عليها مالا يوازي ما تفتقاه من الضريبة على الثقب ( عيدان الكبريت ) فان عندها ٤٥ الفا يحملون هذا الوسام منهم ٣٠ الفا من رجال الجندية يتناول الفرد منهم راتباً يختلف بين ٢٥٠ فرنكاً الى ٣٠٠ فرنكاً والباقيون ملكيون . وقد بلغ عدد الموظفين في فرنسا ٨٧٠ ٥٨٩ موظفاً وقريباً يفتنون المليون فالتبها بحاجة لثة الف موظف وحريرتها لثة وخمسين الفا منهم ٣٥ الفا من الضباط الموجودين وادارات البريد والبرق لثة الف والمعارف لثة ثلاثين الفا وفي نظارة الخارجية ٩١٨

## زيت البترول

لم يكتشف منذ عشرين سنة من المواد الاولية غير صنف واحد وهو زيت البترول . فقد كان محصوله سنة ١٨٨٨ في العالم اجمع ستة ملايين طن فصار سنة ١٨٩٧ خمسة عشر مليوناً وارتقى في السنة الماضية الى ثمانية وعشرين مليوناً ويرجى ان يكون الاعتماد على البترول أكثر من غيره اذا ظلت العناية بالاتومويل متوفرة حيناً بعد آخر .

## اشد البقاع حرارة

تالت احدى المجلات الباريزية ان اشد الاصقاع حرارة في العالم هو في مدخل الخليج الفارسي في جزيرة كيشم العظمى لا يكاد الانسان يستطيع ان يسكن هناك لشدة الحرارة الا ان فيها انساناً مشتهين هنا وهناك لا يكادون يخرجون من اكواخهم المبنية بالطين ويتقنون بالاسماك خاصة ويمكن لسكان تلك البلاد ان يسكنوها من شهر نوفمبر الى مارس . وقد كان اقيم فيها محطة للسكك البحرية فترك بعد ذلك لان جميع المستقدمين قضوا تحبهم حرقاً بالشمس وبعضهم فروا ولكنهم جندوا . وقد جرى البحث في خلال الملاحظات التي جرت مؤخراً بين انكثرا وروسيا على ان تنشأ فيها « اصلاحية » الا انه لم ييسر تحقيق

هذا الفكر اذ لم يرض احد ان يحكم على نفسه بالموت سبب تلك النار الحارقة ولو مما كانت مشاهدته .

### الحيوانات البليدة

بادت عدة اجناس من الحيوانات في بعض اصقاع الكرة الارضية بعد ان كانت فيها كثيرة ومن العجيب ان العلماء يحشون عن الحيوانات النافعة فلا يجدون لها اثرًا واختلفت آراهم فيما اذا كانت تسبب هذه الابداء للانسان ام لفطرة الوجود ومقتضهم على ان السببين يدا في قرض الحيوانات فقد كان في جزيرة سانت توما احدى جزائر الارخبيل التابعة للدانمرك اربعة عشر نوعا من الابل لم يبق منها الآن الا ثمانية ولم يبق من البائدة غير وصفها الذي وصفها به السائحون الى تلك الجزر . وقد كان شأن قارة افريقية من هذا القبيل انص من شأن القارات الاربع الاخرى كما كان شأنها في استيلاء الغريب على معظم اصقاعها . فقد كان من امر الملعب الروماني المدعو كوليزة في رومية ان كانت تعرض فيه الحيوانات الكاسرة خصوصا فكان بذلك انقرض بعض الاجناس التي كانت في هذه القارة السوداء . اما قارة آسيا فقد نجت حيواناتها اكثر من افريقية اللهم الا جسا واحدا من الحيوانات وهو الفرس الوحشي ذو اللون الاشهب . ومنذ عهد شارل الاول لا يرى اثر للفنزير البري ومنذ سنة ١٨٦٠ لا يرى اثر للذئب في ايكوسيا وكان آخر ذئب وجد في ايرلندا منذ ثلاثين سنة .

### المال في اميركا

اشتدت العسرة المالية في اميركا حتى اقلعت معامل كثيرة والفلست بيوت تجارية ومالية بالثبات واضطر كثير من الاوربيين الى العودة الى بلادهم حتى بلغ عددهم هاجروا منها في الشهور الاخيرة نحو مليون رجل وقد نسب بعض الاجتماعيين هذه الازمة لاجتماع رؤوس الاموال في ايدي افراد وهو ما توفر الرئيس روزفلت في عهد رئاسته الثانية على مكافحته اشد كفاح على ما يظهر لمن يطلع على الجرائد اليومية ويؤخذ من احصاء جرى سنة ١٩٠٣ ان اثني عشر في المئة من مجموع ثروة الولايات المتحدة يدميري احتكار الفولاذ او ملوكه فهم بديرون نصف الخطوط الحديدية في اميركا الشمالية ولم اعم سلك تلغراف وهم مديرو خمس شركات كبرى للضمان ويملكون كثيرا من المناجم والمنازل وغيرها ويديرون احتكارات يتجاوز رأس مالها التسعة مليارات دولار اي ما يوازي الدين العام في انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة اذا اُضيف مما هو لاء المديرون او المحكرون م اربعة

وعشرون رجلاً زعيمهم مورغان وهو وركفاد صاحبها القول الفعول ومن اكبر قادة الاموال ومكثدا الحال في انضمام السكك الحديدية واحتكارها فقد كان عدد الشركات في الولايات المتحدة سنة ١٩٠٤ اثني عشر الف وعشرين شركة فيها ٣٢٧٨٥١ مساهماً منهم ثمانون ألفاً من الاهالي فقط . وفي الولايات المتحدة سبعة آلاف رجل يملك كل فرد منهم زهاء مليون ريال ويدعون اصحاب الملايين .

### الاعمال في ايطاليا

تشكو ايطاليا من دائين كثيرة الحامين عندها وقلة المهندسين فقد بلغ طلاب الحقوق فيها هذه السنة نحو عشرة آلاف طالب وطلاب الطب نحو خمسة آلاف وبلغ طلاب الادب ألفاً وخمسمائة طالب ومثلهم طلاب الهندسة . وتطلب نظارة الاشغال هناك مهندسين وميكانيكيين فلا يقدم حتى تمتلئ هذه السنة بعض المدايق التي تفتحها لطالبي الدخول لقلة الاكفاء والمتعلمين .

### افكار في الشقاء

كتب فريدريك باسي الذي عربنا له مقالة القضاء على الشقاء في هذا الجزء مقالة افتتاحية في مجلة الاقتصاد الاجتماعي العامة فأثرنا تعريبها ونصمها الى اختصار السالفة بياناً لتفنن الافرنج في الكتابة في موضوع واحد قال فيها ما ترجمته : يقول علماء الاخلاق المتدبون ان كل شر ينشأ من الخطيئة فهم على سداد اذا أريد بالخطيئة كل ما من شأنه الخروج عن القوانين التي يجري عليها نظام الاخلاق ونظام الماديات في العالم . ومن المحقق ان تمت شرواً لسنا نحن السبب فيها كالعواصف والزلازل والفيضانات والحرائق والابواب وآفات الفلك التي تأتي على الفلات ونقص الثروات . ومن هذه المصائب الطبيعية ما نستطيع التوفي منه او من تقليل اثره فينا الى حد محدود . وان كثيراً من الحرائق والامراض وانواع الهلاك هي نتيجة غفلتنا فاذا لم نستطع ان نعرفها قبل وقوعها في وسعنا ان نقلل من تأثيرها اذا ضمنتنا الضامنون وتعهد لنا المتعهدون . فانقاذ الفيضانات يكون على الجملة باقامة السدود واصلاح مجاري المياه . ويمكن الوقاية من الانواء بالدخول الى المرفأ او بالابتعاد عن الشواطيء الخطرة عملاً بما تنقله الاسلاك البرقية والاسلاك البحرية من الاخبار الواجب تصديقها . ونحصى الفلات والثروات من بوائق الجوع بما يعلم من الاشارات التي تؤخذ عن المراسد الجوية المؤذنة بقرب الزلازل وتنبئ الامراض بالامتناع عن التعرض لموجبات العدوى على غير ضرورة .

وتأتى النجاة من معظم اسباب القافة والالم اذا صحت عزيمة المرء وقويت ارادته لان اغلبها مناعي غير طبيعي . فالكسل هو الذي يضيع الوقت والفراغ هو الذي يسيء استعماله ويصرفه فيما لا ينفع واعظم من ذلك استعماله فيما يؤذي النفس والغير ولا يعود منه فائدة على عامل اخرق جاهل لا تقاذ في بصيرته ولا مضاء في عزمته . فقد يصرف بعضهم في المشروبات الضارة التي تنهك الصحة والعقل بقدر ما يدفنون الى خزائن الحكومة من الضرائب عن يد وهم صاغرون متحللون بل اكثر بكثير . وقد يقضون اوقاتهم وهم يفرجون على الخيل تعدو مسرعة وهم لا يعرفون منها اعيانها ولا اعيان اصحابها ويحشرون تمثيل روايات او يستمعون لشائخ وسباب او يصرفون اياماً وليالي كان في وسعهم ان يقضوها في عمل مثمر .

ترى بعضهم يلقون بالهم في المضاربات والمراهنات التي كثير اماً تكون ضرراً من ضرور السرافات المدبرة . يأ في المرء هذه المتكرات بسائق الجهل ويرى نفسه في هذه المهالك التي كان في وسعه انقاؤها فلا يظلم نفسه فقط بل يظلم المجتمع بما يرتكب من مخفف ليس هو الا اعتداء عاماً هائلاً يورث تلك المجتمعات التي هو احد افرادها ضعفاً في رفايتها ونقصاً في ثروتها بل انها كآلقواها ودفنأ لحياتها . ليس من العقل في شيء ان يسوق المرء نفسه الى مواطن الهلاك ويفادي بروحه وروح جيرانه بما يبدله من احسن موارد المالية وقواه انكسيرة فيروح بعد ذلك يتفق عن سعة على الجيوش المؤلفة من ضياعان الشبان يرايطون على الحدود ويعد اليهم ان يطردوا عن تحيطها كل وطني او غريب يريد دخولها وهو يحمل اجمة للجانين وألبسة للمريائين وادوات وآلات لمن لا سلاح لهم مواد اولية لمن يستخدمونها وسامداً للاراضي التي ضعفت قوة ائباتها ومواد كياوية للامعال الصناعية المختلفة . ولو حسن استخدام تلك الساعات الضائعة او التي تصرف في الباطل والمواد او الثروة المبددة للقضاء العام على بني الاندأان وبذل ذاك النشاط الكثير ووجهة العلم نحو القاية المقدسة التي تطلب من تحسين حالة البشر والبعاد عنهم عن فساد الاخلاق والتباغض — لو تم كل ذلك لما صعب ان يقدم لعامة من خائهم دهرهم ما يتبلغون به بل ما يصل بهم الى الرفاهية والاحترام والسعة .

فم ادع ما تقدم بما شئت من خطيئة او جهالة او جنون فالشر كل الشر الذي ابتلينا به انما جاءنا من قبل انفسنا الا ما حدث يصيب الظاهر قضاء وقدرًا ولكن يمكن على الجملة التعديل من حاله او ما نشأ من البوائق الخارجية التي هي مناط عملنا ويبدأ امرها . قالوا قديماً ان المرء لا يموت الا اذا كانت له ارادة في الموت يريدون بذلأثبات قوة الجهاد الادي . الشعوب لاتألم الا بسببئنا تركيها وهي تنزع الشفاء من اساسه متى عرفت او ارادت ان تقاها بالفعل

### صناعات الملوك

رأى بعض ملوك الارض ان الحكمة تقضي عليهم بان يجهروا لاقتسهم ويدخروا المال للطوارئ، ولذلك كان مما يملك ملك انكلترا سكة حديدية في انكلترا ولامبراطور ألمانيا معظم الاسهم في مجلدين تأنياته بوارديات وافرة والملكة هولاندة مزرعة واسعة سبغ قصرها في لوفالبا مبالغ بحسبة وضعها في مصرف انكلترا لحين الحاجة . ولكن بعض ملوك الاسلام كانوا لا يرون ان يجهروا الملك ويزارع فكان ادف فرد من حواشيهم يملك مالا اكثر منهم لان هذا من شأن الرعية . ومن ملك الرقاب يعاب عليه ان يملك المال والعروض ومن اخذ المالك لا يعمل به ان يملك قطعة ارض منها . هكذا كان شأن كثيرين ومنهم صلاح الدين يوسف ونور الدين محمود بن زنكي . وفي التذكرة الحمدونية انه كان لعمري عبدالمزيت سنية يحمل فيها الطعام من مصر الى المدينة فيبيها وهو واليها فحدثه محمد بن كعب القوطي عن النبي عليه السلام ايما عامل تجر في رعيته هلكت رعيته فامر بما في السفينة فتصدق بها وفكها وتصدق بمشيتها على الساكنين .

### التمولاذوالحديد

اذا برد الجو كثيرا وتزلت درجة الحرارة الى ٢٠ تحت الصفر نقل مقاومة التولاذ خمسة امداس ما كانت عليه من قبل وقد ثبت في الجليد الاخير انه تقطع الخطوط في السكك الحديدية والتراموايات فيتكسر الحديد المصنع كما يتكسر الزجاج ولا سبيل الى ملافاة ذلك الا باحماة الخطوط كأن يصب عليها مالا حار للغاية والا كانت حياة الركاب في القطارات التي تمر بعد ذلك عليها في خطر مبین .

### مضار الدخان

ثبت ان الدخان او التدخين يضر بالنساء اكثر من ضرره بالرجال ولا سيما في ابان حملهن وحملهن فكثيرا ما كان بعضهن يسقطن الحمل من رائحة الدخان حتى ان بعض النساء المستخدمات في معامل الدخان كن يسقطن حملهن قبل الاوان واذا ولسن فلا يولدن الا اولادا مشوهة صورهم وكثيرا ما يموتون صغارا جدا قبل غيرهم من الاولاد قال العالمان اللذان اثبتا ذلك وعلى هذا فيجب على الاطباء ان ينهوا الحباثي ان لا يدخن اثناء الحمل ان كن عن يدخن .

### قهر الشعراء

مات في لندن منذ ثلاثة اشهر في مستشفى المجاذيب شاعر اسمه فرنسيس طومسون كانت

حياته على ادب فيه اشبه بالشاعرين جيلبر الفرنسي وشارتوتون الانكليزي فقد كان ابوه طبيباً في منشستر فاراد ان ينصرف لتعاطي الكتابة وقد غلغل عنه ابواه فعاش في لندن عيشة ضئيلة فتعاطى اولاً بيع الثياب ( عيلان الكبرى ) ثم صار بواباً ثم خادماً في ابواب دور التمثيل وقد عزم ذات ليلة ان يسم نفسه الا انه ذكر قصة شاروتون الشاعر الذي سَمَّ نفسه وما جرى له فعدل عن ذلك ولم يعلم ان السعادة كانت في انتظاره من الغد وقد تناول جائزة عن قصيدة نشرتها مجلة انكليزية وبشت له بها وبعد ذلك اخذ يكتب وينظم ونظم أغنية سماها في غروب الشمس لم ينظم احسن منها منذ عهد شيلي كما قال بذلك كبار النقاد الا ان عقله قد اصيب بشيء من الخلل فقفى في مستشفى المجاذيب وبعد هذا فلا يحسن احد ان جميع الشعراء والكتاب ينمون في القرب في قرش من ورد كما يقول الفرنسيين بل طالما افض منجبتهم وخوى مريضهم.

### العملة

كتب احدكم في مجلة انكليزية ان العملة يزداد اتحادهم في القيام على ارباب الاموال في الغرب فالتازعون الى هذه الثورة م ثلاثة ملايين عامل في ألمانيا ومليون في فرنسا وثمانمائة الف في النمسا واربعمائة الف في روسيا وثلثمائة الف في البلجيك ومائتان وخمسون الف في ايطاليا ومائة الف في انكلترا ومئة الف في سويسرا وخمسة وثلاثون الفاً في الدانيرك وخمسون الفاً في السويد واربعمون الفاً في هولاندة وثلثون الفاً في اسبانيا .

### الكبراء وما يشربون

طلب احد كتاب الفرنسيين الى كبار كتاب بلاده وعلمائها وشعرائها والمفكرين فيها يسألهم ما يقولون عليه من المشروبات فكان معظمهم على ان الماء هو خير ما يسطاه الانسان وقد نشرت المجلة الباريزية اجوبتهم فجاء في اجوبة العازفين عن المشروبات الروحية كلمات حري بكل شرقي يقلد الغربيين فيها يشكون منه من العادات ان يعتبره قبح لا يتعاطون الا الكحول الا في الندر جول كلارمي فهو لا يرى انها تفيد في فتح القرائح وتوقد شعلة الذكاء كما يدعي من يتعاطون المسكرات ومثله ارست هيرت وكاميل فلاماريون وليل زولا وسولي برونم وماسنيه وجول ليمتر ومنري لافدان وفيكتورين اردو وموريس بولينا وبول بورج وادمون هاركور ودالو بول وفيكتور مارغريت وبنيامين كونستانو بيرلوتي واوجين كاربيرو اميل اوليفيه . ويكاد ان يكونوا كلهم مجمعين على ان الكحول مضر حتى القليل منه والاحسن الامتناع عنه دفعة واحدة .

## الصينيون واليابانيون

كتب احدكم في بعض المجلات الانجليزية الكبرى مقالة قابل بها بين الصينيين واليابانيين فقال انهم ليسوا من عنصر واحد فالأول من عنصر مغولي والآخرون من عنصر ماليزي واختلافهم في الاصول كان سبب اختلافهم في الفروع اي العادات والاخلاق وكان من اليابانيين ان تحرروا من قيودهم وقبلوا المدنية الغربية لانه لم يكن لهم مدنية اما الصينيون فانهم ما زالوا يتناغون بمدنييتهم ويعتمدون على قوتهم ولم من معتقداتهم ما يتفانون معه في الخضوع لهكبير والفناء فيه . ومن القواعد المتبعة في شريعة كونفوشيوس ان تكون الشفقة الاخوية اساس كل عمل فالشفقة تجمع بين الاب والاداء والشفقة تربط بين الملك ورجيته والشفقة تجمع بين الزوج وزوجته والشيخ والفقير والصاحب وصاحبه . والصينيون يرضون بالتفليل ضعاف الارادة لاشجاعة فيهم ولا يجرون ان يلقوا بانفسهم في المخاطر والمخاوف ولئن اخذوا الآن يعملون في تقليد الاوربيين في الجندية فان امرئيتهم بالاوربيين يطول . ويعصب دخول المدنية الغربية عليهم .

وعلى العكس في اليابانيين فانهم من عنصر متنوع . يفكر الياباني فيما تعرضه عليه من الانكار ويحاول ان يقتل عنك ما يليق بالمتحذنين ان يملوه من العاد والاخلاق والافتكار وهو يتروى في كلامه فيزنه في ميزان العقل ولا سيما امام الغريب عن جنسه . اليابانيون ليسوا خفافاً في حركاتهم فلا يأسون ولا تسمع لهم صوت تألم وقد يموت الياباني ولا تسمع له ركزاً بل تراه باسماً والرضى هو اساس طبيعته ولا ترى الياباني متغيراً غضوباً واذا غضب فلا ينفضب الا عن سبب قوي جداً ولا يهرق في سبيل غضبه دماً . ولئن اخذ بعض العملة في بلاد اليابان يعتصمون الآن الا ان اعتصامهم ليس كاعتصاب العملة الاوربيين قدراً يؤدي الى الخصاص وتجريد الحسام بل انه ينفض في يومه . الياباني فوج مسرور من حاله يمتد كل عيش معها كان فيه من الشطف والقتل والتصب والتصب هذا ولا يفوته ان هناك مطالب سامية وبحيثة راضية اكثر مما حوفيه ولا ترى الياباني يتنمر من اجل شيء الا اذا اصيب بما يظلم شرفه فيجتار ان يتنمر على صورة لا يسمع به احد . واعتقاد اليابانيين بتناسخ الارواح هو سبب غلبتهم الروس في كوريا ومتشوريا والتناسخ عندهم بعد موت الانسان يكون على ست صور فاذا كان الميت ممن عاش في نقي في الحياة الدنيا تنتقل روحه او تنقص في جسم امير او شريف او رئيس او وزير واذا لم تكن سيرته حسنة في الدنيا تنتقم روحه في اجسام ايامي وبتلبي وعميان وعجزة واذا كان رجلاً شراً انتقم روحه في جسم

حصان او حمار او دابة تكفيها عن سبائكها واذا كان بين بين في الشر والخير يتمص كالطيور الداجنة او غمكا او غيره من حيوانات الماء او هواما وحشرات .

### الطبومات الاشتراكية

للاشتراكيين جرائد ومجلات سيف حامة مدن اوروجا واميركا ودعوتهم ما يروح في انتشار متزايد سنة عن سنة حتى ان جريدة من جرائدهم اسمها « الدعوة الى العقل » في مدينة جبرارد من اعمال الكنساس في اميركا قد بلغ المطبوع منها كل يوم ٣٥٠ ألفا فاصبحت اكثر الجرائد الاشتراكية انتشارا وقد أسست سنة ١٨٩٥ ولا تزال في نمو .

### تقنيات الجيوش

زار احد قواد الاميركان بلاد الالمان والفرنسيس وحضر « مناورات » الجيوش فعاد يقول لامته ان جيشها من اخذك جيوش العادة اكثرها نفقة واقلها فائدة قال : خمسمائة الف جندي فرنسي يكفون امتهم في السنة خمسمائة مليون فرنك وستائة الف جندي الماني يكفون حكومتهم خمسمائة وخمسين مليون فرنك وستون الف جندي اميركاني يكفون الولايات المتحدة اربعمائة مليون فرنك واد اضيف الى ذلك ما تنفق اميركا في انشؤن العسكرية الاخرى يبلغ سبعمائة مليون مساهمة . تنفق كل هذا من اجل جيش يبلغ ١٠٠٠٠٠ من يفرون منه في السنة ستة الاف جندي .

### نساء اميركا

يؤخذ من إحصاء سنة ١٩٠٠ ان النساء في الولايات المتحدة اقل من الرجال فقد كن ٣٣ مليون امرأة مقابل ٣٤ مليوناً وثلاثمائة الف رجل وان نحو خمسة ملايين ونصف من النساء يضطرن الى الكدح لهماشهن وان عدد العاملين من الرجال ٢٣ مليوناً وبلغ النساء هناك نحو نصف الرجال في مصاطاة الاشغال العقلية فبن ٤٣٠ ألفاً تقريباً ٨٢٠ ألفاً من الرجال وعدد الملمات منهن ثلاثة اضعاف عدد العاملين فهناك ٢٧ الف معلم و١١٥ الف معلمة والقاعدة العامة في المدارس الاميركية تربية البنين مع البنات .

### محصول القناس

كان القناس عالمي الثمن في السنة الماضية وقد زاد محصوله ثلاثة اضعاف ما كان عليه منذ عشرين سنة فصار سنة ١٩٠١ - ٧٠٠ الف طن بعد ان كان سنة ١٨٨٦ - ٢١٧ الف طن كما ان استعماله في الامور الصناعية كثير على تلك الدابة على ان بعض مناجمه كانت تخرق مادتها منه فكانت قديما كورنوال في انكلترا تصدر اكبر كمية من القناس



اما الآن فالولايات المتحدة هي اكبر مصدره له وكذلك المكسيك وبيرو اما مناجم اسبانيا فانها الى النصف .

## صنع الالبان

تبين ان الطريقة المستعملة في بلادنا لصنع الجبن والسمن من الالبان المختلفة قد تخلصت منها بلاد الغرب كل الخلاص بفضل الادوات الجديدة فلم يبق احد هناك يعاني الالبان كما يعانيها فلاحنا وراعيتنا بيده ويد ذويه .

## الجراند الاميركية

ذكر وان عدد الصحف الاسبوعية في الولايات المتحدة بلغت في الخمس والعشرين سنة الاخيرة مبلغاً من الارتفاع لم يسمع به فيها ما يباع بقرش واحد ولا يكون اقل من مئة صفحة كبيرة حوت من ضروب الاعلانات كل غريب وكل ما بهم القاري، معرفته من اخبار البورصة والفضائح والهمز والافادات العالمية والحوادث المثيرة محبة كانت او خارجية والقصص والصور المزلية والادب الاولاد وصفحات تقطع لتكون كتباً في غذاء ارواح ملايين من الناس وكثيراً ما تغلا بالصحيف ولكن الامة ترغب فيها وتجعلها سمها ولذتها

## الاثنان والمحيط

رأت احدى المجلات الروسية ان حالة الانسان آخذة بالتعدل في كل مكان بفضل اساليب الارتفاع التي تكاد تكون متحدة في الامم حتى ان اهل البلد الواحد يقل بينهم الشبه اذا تعاطوا صناعات مختلفة بخلاف ما يكثر الشبه بين اهل البلاد المتناحية ممن يجايلون اهلها مثلاً فذلك تجد رجال الطب والحمامة في انكلترا والمانيا وفرنسا يشبه بعضهم بعضاً في منازلهم وعيشتهم اكثر مما يشبه الانكليزي الانكليزي والالماني الالماني والفرنسي الفرنسي وهي ترجو ان يجي على العالم زمن احسن من هذا تنتشر فيه الحضارة في جميع انحاء الارض تترفع من بين اهلها العداوة والبغضاء والانسان ابن محيطه لا ابن طبيعته .

## خزانة اديسون

ام ما اعلمه اديسون مخترع الفوتوغراف انه وفق الى اختراع خزان للكهربائية سيوضع عن قريب موضع العمل فيغير نظام الموصلات الكهربائية لانه يرخس سعرها بنقلها من مملكة الى اخرى ويقول لهل العلم ان مجالات الاتومويل ستقل انماها فيتيسر لاهل الطبقة الوسطى او الدنيا ان يقتنوها ويتركبها وهكذا ادم العلم ان يسوي بين طبقات الناس في الاستمتاع بملاد هذا الوجود ومنافسه .

### مطبوعاتنا في اميركا

يسرنا ان نبشر قراء العربية ان علماء المشرقيات من الاميركان اخذوا في العهد الاخير  
يمتون بطبع مؤلفات العرب فقد طبع ريشاردس كوتهيل Richard J. H. Gottheil  
احد اساتذة كلية كوليبيا في نيويورك كتاب تاريخ قضائهم تأليف ابى عمر محمد بن يوسف  
ابن يعقوب الكندي مع شروح لابي الحسن احمد بن عبد الرحمن بن برد عن نسخة وجدت  
في المتحف البريطاني وهو في ١٥٠ صفحة وثمنه ثمانية فرنكات .

### القسم الجبري

نشرت نشرة احصائية المجلس التجاري في انفرنس احصاء بماحلات القمح الجبري في  
العالم من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩٠٦ فدلّت على ان محصوله كان في منتصف القرن الماضي  
٨٩٨٨١٣٥٧ طنًا وما برح في نموحى بلغ سنة ١٩٠٦-١٨٩٣٢٤٩٥٥٧ طنًا اي انه زاد  
عشرة اضعاف عما كان . يستخرج من الولايات المتحدة ٣٧٥٣٩٧٠٠ طن وتجي بعده  
بريطانيا العظمى تستخرج ٢٥١٠٥٠٠٠ ثم المانيا تخرج ١٣٦٤٨٠٠٠ ثم فرنسا فالبلجيكا

### مقاومة الكيرين

سويسرا من اكثر البلاد الاوربية مقاومة للمسكرات و. رآه الامتاز فوريل احد  
اطباء المجاذيب فيها لمقاومة الكيرين وتحقيرهم ان تجعل ادارة الكك الحديدية مساء  
كل احد مركبة او مركبتين تكتب عليها « نراكب الكارى » فكل من شوهده انه  
سكران او شرب مسكرًا يدعى الى الجلوس في تينك المركبتين ان اراد السفر . وهي طريقة  
ندى لها وجوه من لم احساس من الركاب الذي يتماطون للمسكرات فيقلعون عنها .

### سكة جديد بغداد

كثر بحث الباحثين في هذه السكة ومستقبلها وجاهه يحسنون الظن بها يعلقون الآمال  
الواسعة على ما سيتم من العمران في البلاد التي تجتازها . وهذا الخط مواعظم خط حديدي  
انشيء في البلاد الثانية بل ام خط قام لانه يربط اقصى المنكدة باقصاها ويمر في اصقاع  
كان لما يجد قديم وحضارة زاخرة . وطوله اثنان وثمانمائة كيلومتر ويكلف تحتائة مليون  
فرك او اكثر ويقتضي لاسن المال والاغال والادولت والآلات والمهور والقاطرات  
وغيرها مالا يكاد يقع عليه الحصر ويتيسر ان تقطع المسافة بين الاستانة وبغداد في خمسة  
ايام وهي الآن لا تكاد تقطع في خمسين يومًا لراكب المطايا .

يقولون ان بلاد بابل واشور ستحي بعد مواتها بهذا الخط الحديدي وان آسيا المنعد

سيرجع اليها ما تهدته من اسباب العمران وسيكون من العراق مصر جديدة تزرع القطن والحنطة على شطوط الرافدين دجلة والفرات فتعصر بذلك مصر بعض وارداتها ولا سيما ان السكة البنديلة ستقوى قتل اليريد الى الهند وتختصر الطريق من البحر فتفقد السويس بعض مكانتها لان اليريد المندي ينقل عن طريق الاستانة بفقداد فالكويت فبباي في عشرة ايام وهو لا ينقل من طريق السويس باقل من اربعة عشر يوماً .

وتقول مجلة العالمين ان محبات مدينة هارون الرشيد وما يروى عنها من الافاميص الشعرية وعجري في عجلات العامة من ذكرى عظمها القريبة على عهد الخلفاء ومساجدها العربية ذات القباب والبيمان واسواقها وفنادقها — كل ذلك اثر في عقول كبار ملثمني مد هذا الخط الحديدي فحملوا بمقديده الى بغداد وما اكثر المطامع التي ابخرت هذا المشروع من القوة الى الفعل . وقد نشأت فكرة الملاحة في نهر الفرات وربط الهند ببغداد منذ ستين سنة فالت شركة انكليزية سنة ١٨٥١ امتيازاً بانشاء خط حديدي من السويدية اي صوميا القديمة في خليج الاسكندرونة الى الكويت على الخليج الفارسي واذ لم تحصل على رهن القناعات الكينومرية سقط امتيازها . وفي سنة ١٨٧٢ عاد مشروع سكة السويدية والكويت الى الحياة وقدرت نفقاته بمشرة ملايين جنيه وطوله بالف واربعائة كيلومتر ولكن لما في طريقه من البلاد العامرة التي يربحى الانفعاع منها صرفت القلوب عنه وتحدثت النش في لندن بعد فترته السويس ان تربط الاممهاجية بالكويت بخط حديدي يمر بمطري بلاد العرب وكان هذا الفكر من الاحلام ولا يبعد ان يتحقق امره بعد زمن . وحديث روسيا ان تمد سكة من طرابلس الشام الى الكويت مع انشاء ناشطة ( فرع ) منها الى كربلا بحيث يجتاز بادية الشام وطوله ثمانمائة كيلومتر فسقطت افاني الشركة التي تالفت بطبيعة الحال ثم تعاقب نيل الامتيازات في آسيا الوسطى فانشأت شركة انكليزية سنة ١٨٥٦ سكة حديد ازمبر — دينار وقامت بعدها شركة انكليزية اخرى فانشأت سكة حديد ازمبر — قسبة وهي ساردس عاصمة كوزوس ثم امتدت الى مدينة الاشهر وماتت الشركات الفرنسية والبلجيكية والمانية في الاناضول والروم ايلي ولقد شبه بعضهم البلاد التي مر بها خط اسكي شر — قونية بمضائق سويسرا اذ ضل فيها الصليبيون بظامة غودفري دي بوليون وقاسوا الاجرعين من الجوع والعطش ولذلك تجلس في دخول فيها كثراد الثالث احد ملوك الصليبيين من الالمان وفريدريك الاول الالاني الحبيب فيديروس وقيل انهما خفا الى الخروج منها .

فتشروع السكة البنديلة اليوم الماني وفي المانيا نشأ وكبر حتى اخرج من القوة الى الفعل

لأسيا بعد أن كثرت صنائع الألمان وصادراتهم وهم يلبون على مصرف يصرفون ثباته فنزلوا ذات اليوم وذات الشمال فلم يروا أحسن من هذه البلاد خصوصاً وقد نالت الشركة احتكار مخازنها ومستودعاتها والانتفاع بالشلالات والمعامل الكهر بائية والناجم المختلفة على طول هذه السكة وما يتفرع منها على مسيرة عشرين كيلو متراً من كل جهة عن يمين الطريق وشماله فاستفاد تجار الألمان ويستفيدون من هذا الخط كثيراً لأن الاقطار التي سيجتاها ما زالت بكرًا لم تمس فأسيا الصغرى لم تستثر إلا من جهتها الغربية على يد شركات انكليزية وفرنسية . أما ارمينية وبين النهرين والعراق فانها لم يدخلها إلى الآن غير علماء الآثار فقط . وما اشبه آسيا الصغرى ببلاد اسبانيا ففي محاطة بجبال شاهقة وحيث يمل المطر فتنالك الغمر . والسكان بادية رحالة يفتاتون بجواسيهم ويتنعمون لها الكلاً فهذه القطعة من تلك البلاد هي اشبه بمملكة قشتالة لقلة خصبها وامراعها ولكنك ترى فيما يحيط بتلك الشبه الجزيرة في سفوح تلك الجبال وما يحيطها حيث تنساب المياه من اعلى قم الاطواد وتخلل من تلوجها الخدائق القلب والحقول العامرة بالذرة والخنطة والشعير والكرمة والرمان والزيتون والبرتقال والتفاح فهذه البلاد اشبه ببلاد الاندلس .

ولقد عرف الرومان واليونان ان يحسنوا الانتفاع من تلك الاصحاح الفنية قديماً وسيكون من نصيب الخط البغدادي اليوم ان يعيد اليها بهاها فهو سيجتاز مملكة كركوس اي قونية وقيصرية وارغلي . وما دامت البلاد قرية من الساحل فيشرها بالرخاء وبشر حاصلاتها بالتصرف وكما بعدت عنه فهناك الشقاء المبين . ومنذ سنين كنا نسمع بان بعض العمال يحرقون الخنطة التي يأخذونها عشوراً لانهم لم يجدوا شيئاً إلى نقلها إلى البلاد التي تحتاج اليها وكذلك قل عن الفلاحين وزهدهم فيما تخرج ارضهم من الغلات والثمار بعد ان يفيض عنهم اضعاف اضعاف ما يلزمهم .

هذا ما كان من آسيا الصغرى أما بلاد ارمينية واشور وبابل فصحبها حياة طيبة بعد ان خربت منذ خمسة آلاف سنة وزيادة وبعد ان دام عمرانها القريب ثلاثة آلاف سنة فعلت من اعظم الممالك تقدناً وحضارة . هذا وشمس تلك البلاد شمسها ومياهها مياهها وارضاها ارضها . والبلاد من حلب إلى الموصل بنيت فيها القطن وفي الموصل كان يعمل الشاش الرفيع واليانسب اسمه الفريون كما نسبوا اسم القمقم عندهم إلى دمشق .

وقال بعض الباحثين في هذا الخط ان العراق كان على عهد الباسيين بثل عشرة ملايين طن من الخنطة ويعلم ستة ملايين من السكان وليس فيه اليوم أكثر من نصف مليون نسمة يعيشون في مسكنة وان السكة البغدادية منفعن الأمن والتجارة في تلك الربوع فتعود اليها حياتها السالفة وتكون بطنها وغيلها وجوبها مصرًا ثانية وتستثمر مناجم الحجر

الموجودة على الضفة الشمالية من دجلة في سفوح سلاسل جبال فارس ومنابع زيت البترول التي بعث بها الاهليون فيوقدون فيها النار للتسليه اذا مر بهم سائح عظيم ويقتضي ذلك عشرين سنة من الزمن فيأتي المليون باموالهم يستثروها في تلك البلاد كما استثروها في مصر القافاس وتركستان واسبانيا ومصر وتأني البضائع الالمانية لتصرف على اهل تلك البلاد وينهل علماء الالمان للبحث في آثارها وعظمتها ويحفلون لامتص من الفاخر مثل ما خلد ماريت وشاميليون الفرسويان في مصر من الآثار والحامد . ان الالمان في مذهبهم الخط الحديدي في بلاد يكاد يكون اكثرها خراباً الآن قد تغلبوا بها استفادوه من دروس ملوك السكك الحديدية في الولايات المتحدة امثال فندربلت وهاريمان من اثبتا لاروبا بان السكة الحديدية ولو مدت في قطر تكفي لان تحمله روضاً مرمعاً آملاً بالسكان وآية من آيات العمران .

### قدر العمر

نعت هذا العنوان نشرت بمجلة « الحياة البيتية » الفرنسية مقالة لطيفة قالت فيها ما نعر به : قال طبيب انكليزي اسمه اوسلر منذ عهد ليس يبعيد في خطاب فاه به امام طلاب احدى المدارس الجامعة في اميركا رآياً أحدث بعض الهياج في الافكار وهو ان الرجل اذا بلغ من الاربعين بقل الانتفاع به على الجملة وانا لو تأملنا مجموع الاكتشافات والاعمال البشرية واسقطنا منها ما لم تناس بعد بلوغ هذه السن لقل لنا ان عمل الناس بعد الاربعين لا يعد شيئاً مذكوراً . فالعظماء قام بها العظام قبل ان يتجاوزوا الاربعين من اعمارهم . والعمر الحقيقي الذي ينتج فيه المرء وينبغي به المجد هو ولا جرم بين الخامسة والعشرين الى الاربعين وان المرء اذا جاوز الستين ينقطع عمله ولا يستفاد منه بته . قل وقد نرى من بلغوا هذه السن في الامم الراقية يصعد اليهم بادارة الحياة السياسية او التجارية او الصناعية ولكنهم قلما اغتوا الفناء المطلوب واثمروا ثمرة جنية . على ان بعض المناصب قد يعهد بها الى اناس من ابناء الستين ولو وسدت الى اقل منهم سناً لحسن اثرها اكثر ولكن اناساً كثيرين اتوا بعنا الستين من جلائل الاعمال ما هو من مفاخر الدهر امثال غلادستون وبسمرك ومولتكه . ويديهي ان ذلك لا يثبت ان اعمال الشيوخ ارقى من الرجال الذين استكملوا قوتهم وفي ذلك ما يدل على ان الرجل قد ينضب على الستين وهو حافظ لقواه العقلية في مائة الطالب العالية .

لا جرم ان دعوى الاستاذ اوسلر منقوضة برجال جاهدوا والنفع تم على ايديهم بعد ان شابوا . ومنهم العظم منهم . ومن هذه الفئة « كانت » ملك الفلاسفة فانه لما نشر كتابه « نقد العقل المحض » كان ابن سبع وخمسين سنة . ولو صحت قضية اوسلر لكان « كانت » معدوداً في الغابرين منذ سبع عشرة سنة . ومن المحقق ان « كانت » قضى حياته كلها في

التأمل بفلسفته وليس ثمت دليل على انه قضى عمره بعد سن الاربعين منقطعاً عن كل عمل ولا يتأتى ان ندعي ان « كانت » لومات في الاربعين لا خسر العالم بموته شيئاً من كتاباته .  
واذا بحثنا في حياة لابلاس الفلكي فانا نجد قد قال رأيه في نظام العالم حوالى سن الخمسين ولم يجره الا عند ما اتف على السبعين . وكذلك الحال في حياة « ليل » العالم بطبقات الارض مجدد هذا العلم فانا نراه قد اتم معظم اعماله بعد سن الاربعين ولم يقتصر من قيود تقليد ما تعلم الا بعد ان جاوزت سنه الاربعين ودخل في دور التجديد .

وهكذا قل في داروين فانه بلغ التاسعة والاربعين ولم يكن قد اتم غير البحث وجمع الحوادث في سن الخمسين كتب كتابه « اصل الانواع » وكلنا نعلم انه نشر اهم اعماله من سن الخمسين الى السبعين وكان عمره اثنين وستين سنة عند ما كتب كتابه « اصل الانسان » . ويصدق على هيريت سبنسر ما يصدق على داروين في قوة العقل في الشيخ قوتها في الكهل والشاب او اكثر فقد بلغ هذا الحكم الاربعين من عمره ولم يعمل غير استعداد لما يريد القيام به وهو لا يتهدى الى السبيل المؤدية اليه . اتت عليه اربعون سنة وهو لم يرسم « فلسفته التأملية » الا رسماً خفيفاً وفي الثانية والاربعين نشر المبادئ الأولية وفي الثانية والخمسين نشر مبادئ « علم النفس وفي السادسة والخمسين نشر كتابه « الاجتماع » وفي الحادية والستين نشر كتاب « العدل » . يلا اتم اعماله كانت قد بلغت سنه الثمانين .  
واذا تخطينا رجال العلم والحكمة الى النظر في تراجم الساسة وارباب الرجل نجد كثيراً امثال سموك وتيرس بل وفرنكاين الذي خدم بلاده في السبعين من عمره وكان سبباً في تأسيس الوحدة الاميركية كما نجد خريستوف كويمب قد اكتشف امريكا في السادسة والخمسين من عمره وطاف ماجلان حول الارض وهو في التاسعة والاربعين . ولعل صاحب تلك الدعوى يقول انه لو كان غير هؤلاء واحضر منهم سناً مكانهم لعمل عملهم ولكن من الثابت ان من كانوا قبلهم وعلى عهدهم اصغر منهم عمراً ولم يأتوا ما أتوا .

ولا يفوتنا هنا ذكر العالم الالماني هومبولد فانه كتب اهم كتبه « الكونموس » وهو في السادسة والسبعين ولو صح قول الاستاذ المشار اليه لكان هومبولد منذ ٣٦ سنة قليل الفائدة على الجملة . وقليل في اسفار العلماء يحوي ما حواه كتاب هومبولد من بعد النظر وسعة المداكر . وكذلك كان شأن كيكي فانه كان ينف على الستين عند ما رسم نظريته في الالوان وفي الخامسة والستين انصرف الى اعمال علمية لم يكن يعانها من قبل ويرز فيها وكان في الثمانين عند ما انجز كتابه « فوست » واحسن فصوله ما كتبه في آخر امره .  
ومن جملة علماء الموسيقى وانبيد الالماني فانه لم يبلغ قم مجده الا في الخمسين ومعظم

كتبه النافذة نشرها بعد الستين وكذلك الحال في هايدن الموسيقي الالماني وهاندل .  
وفيكتر هوغو كان بعد الخمسين غيره وقبلها وكذلك باستور .  
وهكذا رأيت ان رأي الامتاذ اوسلر لا يخلو من غرابة وان كان فيه بعض الحق . فالامر  
موقوف على نوع العمل الذي يعمل والصفات التي يحرزها العامل . ومن الثابت ان كثيرين يعملون  
كثيراً في الانقطاع عن نغية قوتهم العقلية ويسخفون في مفسار فيعملون في الحال ما يلزم له  
دون ان يتمكنوا من زيادة شيء يذكر بعد ذلك فهو لاء هم من الفئة التي يعمل لها قلة الفائدة .  
ولكن الرجال الذين يشارون على التعلم الى الخمسين او الستين ويظلمون يمحشون ويوجدون  
الحقائق او يحزنون الافكار والقضايا وينسقون وضعها — الرجال الذين لا يتفكرون عن نغية  
عقولهم على الدهر بما يعانونه من الاعمال التي تستدعي اهتمام الذهن وانصراف القلب هؤلاء  
يدوم امد الانتفاع بهم ولو بلغوا اذى العمر . وكثيراً ما يتأخرون في الابداع والايحاء الى  
الاربعين والخمسين ويظلمون يدعون الى خاتمة اعمرهم اي السبعين والثمانين . وما رأيت  
من اعمال بحرك ونلا دستون ومولسك في تغيير حال السياسة في ايامهم اكبر دليل على ان  
المعمرين ليسوا بنتائج عقولهم دون من لم يعمر وا مثلبهم في النشاط والفضل وان الشيوخ لا  
يائمنون بيوتهم بدون استثناء ويجلسون الى مواقد النار للدفء وقضاء الوقت في التسلية .

### نفاضة الجراب

ويل للطفنين (١)

قامت مدينة آيري التجارية الصغيرة في جزيرة ايسلندا في مكان بهيج على لسان من  
اليابسة يدخل في البحر ويثقل للاعين خيالاً بكتنفه من التلعات والمخبرات العالية . ولم يكن  
في هذه المدينة قديماً غير محل تجاري واحد وجواز تجاري صادر عن ملك الدانمرك وهذا  
المحل يعرف من النظر اليه لأول وهلة . والمعروف في تلك البلاد انه ملك رجل اسمه كريمر  
انشأ هذا البيت التجاري في دار قديمة العهد على ما تشهد بذلك اعلامها وراياتها وكانت

(١) قصة نقلها المجلة الباريزي الى الفرنسية من اللغة الدانمركية لمؤلفها جاستور بالسون  
وهو من مشاهير ادباء ايسلندا له قصص صغيرة تتأثر بها النفس لما فيها من وصف الاخلاق  
والآداب ولقوائدها الاجتماعية المعقدة وله مجموع يضل في النفس فكل السيف ليس فيه تفرع  
وشمية بل هو مجموع حوادث شوهدت وطاشت تدخل اعماق القلوب وتؤثر فيها الاثر المطلوب .

تتماز بقلة ارتفاع حوائطها المتناسبة مع علو السقوف وكان في الشبايك السفلى الواح صغيرة من الزجاج وفي الطلقة العليا غرف صغيرة وزوايا صغيرة كأن الظلمة من عيقاتها .  
 اما الآن فان كرييور التاجر كان قد شاخ وابيضت لحيته كلها وكان ابن زهاء سيعين سنة ولكنه لم يكن في الحقيقة يعرف عمره على وجه الصحة اذ قد مضى عليه زمن طويل وهو لا يحسب ايامه واعوامه لانه قضى حياته في حساب امور اخرى ام في نظره من غيرها .  
 مضى عليه نحو نصف قرن عند ما فتح مخازنه في آييري ولم يصرف ساعة من هذا الزمن الا في ادخار المال بكل الوسائط وكان ذلك من السهل عليه اذ لم يكن ثمة احد يباريه في تجارته بل لم يخطر على بال احد ان يتاهضه . وتماقب جيلان من الناس بدون ان يحاول فرد فذ ان يقيم في تلك البلدة لينازعه في زبته ( زبائنه ) .

فكان وحده مستأثراً بجلواء الارباح عرف من اين تؤكل الكتف فلم يراع في جميع اعماله الا مصلحة نفسه فكان الحكم التحكيم في مدينته هتف قوانيها ويتصرف بجلوها ومهرها . فكل شيء يباع في محله بضعفي قيمته او بثلاثة اضعافه والبضائع التي يبيعها من الناس تساوي ثلاثة اضعاف اقل مما تساوي في اي محل من المحال التجارية في ايسلاندا وكان مع هذا الاثاق نفسه من غشز به في كمية البضائع وكيفيةها ويتقاضى عند الحساب ثمن بضائع لم يبعها ولا استلمها المتبايع . وقدك لم يكن مما يدعو الى العجب ان تقل البركة من آييري وضواحيها ولا يجد اهلها فلاحا . كل ذلك وكرييور لا يهتم لما يجني على الناس ويكتفيه على الدوام ان يزيد اعماله وارباحه .  
 ويبدعي ان كرييور لم يكن محبوباً في بلدة آييري اذ كان زبته يعرفون كيف يعاملهم قبل ان يدخلوا مخازنه التي كانت قطعة من جهنم . وقد شكوا الناس كلهم من حاله الا ان الفقراء كانوا احق بالزنا من غيرهم من السكان . وزد على ذلك فان كرييور تولى منذ زمن طويل زمام جمعية « الاحسان العام » واصبح يميز صوف الفقراء ويختلس الاموال المجموعة لاعتالهم والادار عليهم حتى لقد شاخ على اللسن بان ليس في آييري بائس بلعاً اليه الا ويرجع من لدنه اقر بما اتاه وكان من مبدل كرييور ان الفقر مفسدة ابدآ وان الخواج كلهم من الكسالى والمسرفين وكل من يطلب معونته يعامله اسوأ معاملته فلا يعود اليه بعد ما يبرحت به تجاريج الفقر المدقع . ومن اخباره ان بعض البائسين مدوا ايديهم اليه يستجدون نواله فصرهم عليها ضربة كسرها وبقي اثر الكسر بادياً عليها . يد ان المفرويين ما قط شكوا ارمم لاحد . وذلك لما وقر في قلوبهم من ان دعوام عليه لا تسمع لانه غني وتجارته ناجحة . فالتفاه ان لم يكن له فلا يكون عليه من اجل مظهره .  
 وما لا شك فيه ان كرييور كان آية في نشاطه لا يتازعه في ذلك منازع يعمل حتى



يكاد يتصب عرقاً كما يعمل الوحش الضاري وقد قبض بكلتا يديه على فريسته . فبدأ كركور الزاجر الى مخزنه قبل جميع مستخدميه ويخرج منه يعدم كلهم ويتصب نعباً لا مزيد عليه بحيث لو جمع نعبه وقبس يتصب بضعة افراد من مستخدميه لرجح نعبه لا محالة . فكان يضع يده الماحجين ويكيل يده الخمر ويزن القهوة ويخاطب الفلاحين ويمسك دفاتره بيده ليقيد فيها ولم يكن في حاجة الى التقييد والحساب لانه يأخذ ما يشاء وهو لم يتعلم ولا يحسن الكتابة الا قليلاً . ولا يتعمه ذلك من ان يضع يده الصوف والشحم في ميزان ويدفعه يده قليلاً ليرجح . ومن العادة ان يطالب المبتاع ان يحسن الكيل والوزن ولكنه اذا طالب بذلك يضحك منه كركيور ويحجبه باسماء رافعا كتفيه او مردداً بعض الالفاظ . فاذا ذهب الزبون يلتفت كركيور الى مستخدميه ويوعز اليهم ان يستعملوا الكيل والميزان كما يستعملها هو ويريدهم على ان يطفئوا ويتلاعبوا ويقول لم ان مهارتهم في ذلك متوقفة على حسن القطن بلباقة . ومع هذا فقد كان قاسياً من وراء الغاية في معاملة مستخدميه وقبلاً يتعده احد منهم عنده زمناً مع انه من الصعب إيجاد تجار آخرين يخدمونهم اذا خرجوا من محله وما كان يتادهم بنير الضفاطة والالفاظ القجة الوحشية ويطعمهم اردأ طعام ولا يمنع في الاحابين من صفهم ليثبت لم بان يده خفيفة في الضرب خفتها في النشل والنهب .

وما كان كركيور يعني بطعامه ولكنه قد يتأنق بعض الايام ويتناول قطعة من اللحم المحمر وقدحاً من الشراب وفي ذلك اليوم يدعو بعض اغنياء الفلاحين من اهل تلك الناحية لتناول الطعام معه ولكن هذه المآدب الغارقة للعادة تنتهي في الغالب على اسوأ حال وذلك ان الفلاح يذكر له في خلال الحديث الغلط الذي وقع في ورقة الحساب الذي كان بث به اليه التاجر فيصبيه كركيور بمحبة وتنتهي حالها من الكلام الى الشتائم ومن الشتائم الى الملاكمة وينتهي الضرب على المدعو ويطرد من بيت التاجر طرداً .

ومن الحق انه لم يلثم احد معه قط وقد تزوج اربع مرات وماتت ازواجه الاربع سأمًا من الحياة معه . وكان كركيور يمتري عن فقد من في الحال اذ لم تأت السنة على فقد الواحدة حتى يكون عروساً في آخرها . دام ذلك الى ان تزل للمرة الرابعة . وقد رزق ولدين من زوجه الاولى ماتا كلاهما واسم البكر آرفي كان ساقطاً حقيراً شرباً خميراً أبكره كل عمل حتى انتهت الحال بوالده ان طرده من بيته فاخذ يقرع البيوت ويستعدي الاكف في آييري وهو يسكر حيثما تزل وكينها اتجه . ثم سدت في وجهه جميع الابواب فرجع الى دار ابيه طامحاً مسكراً فطرده ابوه . ولما لم يقدر ان يقف على رجلية زحف الى السرب ( قبو ) وكان غير مقفل كما ينبغي فشرد من الغد ميتاً وهو ملقى على كوم من الصوف اما ابنه الثاني المدعو يوحنا فكان على العكس من

أخيه حسن السلوك ذكياً للغاية عاملاً لا يكل ولا يمل ولكنه غرق بينا كان يسبح في البحر في المشرين من عمره في آخر سنة له في المدرسة فكان قد غرق على كرميور أول يوم حزن فيه مدة حياته . فقد تلقى مصابه بفقد زوجته الأربع غير مكترث لما أصابه ولكنه لما كان يذكر امامه ابنه يوحنا كان وجهه يتغير على ان حزنه عليه لم يبد في وجهه اماراته بكثرة واكتفى بان يقول ان دفن الميت يكلف كثيراً وان جميع الشعائر التي تقام في الجنازة لا تفيد الميت شيئاً ومن رأيه ان يحصل الميت في تابوته وان يحمله اهله الى المقبرة بدون توسط احد من رجال الدين لما في ذلك من الاقتصاد في النفقة والتخفيف عن الميت وآله .

وكان اسم زوجته الأخيرة كودرون وهي انشط نسوانه الأربع ولما نجا بها كرميور شعر بالشجوخة وضعف الذكاء وتقهقر الاشغال . ولكنها عندما ما استلمت ادارة بيته وضعت كل شيء موضعه وسار كل شيء على نظامه واخذت تجارتها حينئذ السانفة وذلك لانها كانت تنبهة للغاية فتدخل مرات كل يوم الى المخازن على غفلة النظير المستخدمين وتنتظر في الدفاتر وتحقق الحسابات وتكلم الذين اذ كان لسانها فصيحاً كما كانت يدها رشيقة وحركتها خفيفة . على ان الشيخ كرميور لم يرض عن زوجه لانها كانت تقرأ له بانها تكلفه من النفقة اكثر مما تقدمها من زوجاته . ويعتقد انها مسرفة لانها تريد ان يكون لزوجها ما يجب ان يكون له وان يقبض كل واحد اجرته وهو بما يسميه جونا وقلة تدبير . وعند ما كانت تطلب منه دراهم كان يردد ابدأ عليها نعمة واحدة وهي : ان التليل الذي استطعت ان اقتصده سيدبر في الحال عند ما اقضي نجي . . . بيد ان طائفة . . . قط فماتت كودرون بعد اثنتي عشرة سنة من زواجها بكرميور وعاش هذا بعدها . . . ولم تخلف كودرون ولداً فاختصرت ذرية كرميور في طفل اسمه ماركوس وهو ابن ابنه يوحنا الثرفي وكان ولداً متمتعاً ولكن صورته مزروية وقليل النشاط والحركة فبينما جدجد ان فكر زمناً ان يتركه عالة على المدينة ولم يرض بقبوله في بيته الاغلب ان يكون فريداً وحيداً لا عقب له .

٢

ماتت كودرون فكان موتها فائمة سوء الطالع على كرميور فاختذ له عذمة بعد اخرى وكلما غير خادمة تزدد حال بيته اختلافاً فحين لا يعرفن الا الاتفاق ولم تجأ واحدة منهن ان تعمل له عملاً نافعا لان الشيخ كان كثير الفنون والاسارات والساووقه يمشون بامواله في كل مكان . على ان حذره لم يحل دون دخول فساد على اعماله فاخذ المستحقون لا يخافون بأسه وكل منهم يسرق من المخازن ما يروقه ناسياً بالقصد ان يقيده فدخلت تجارتها سيف في دور الانحطاط واصبح كرميور اذا غضب واراد ان يعاقب المتلاعب من كنيته وخدامه

يسكون برأيه ويديه ولا يفلونها الا اذا رضي بان يعود الى السكون ولا يمد الى العريضة  
وحدث في خريف ذلك حادث كان فيه القضاء المبرم على هذا التاجر وعمله وذلك ان تاجرين  
غربيين جاء ذلك يوم الى آبري وانشأ آ محلاً تجارياً فاخذوا كريتور يتعاون عنه واحد ابد  
واحد خفض اسلوبياته الى اخص مما يبيع ذاك التاجر ان وزاد في رواتب مستخدميه الا ان  
ما اتاه لم ياته بخلافه وارتفعت ثقة الناس من عمله منذ زمن واصبح في الحور بعد الكور وفي الخسران  
بعد الربح حتى لم يجد يرض احد الفلاحين ان يعامله بخافة ان يعود ثانية فينشب فيه مغالبه ولكن  
كرميور بذل جهده في مقاومة سوء الخبث فكان يدفع كل سنة من ماله عجزاً كبيراً .

وكان من هذا الجهاد ان قل ماله بالندرج وكل ما يصرفه من ثروته على هذه الصورة  
كان في الحقيقة لحمه ودمه فاستولى الضعف على قواه الطبيعية وحل الوهن محل القوة التي كانت  
عضده في شؤبه خلال خمسين سنة واقام عنه وكيلين لادارة اعماله ولم يكن منهما الا ان  
زادا الطين بل واخذ بسوء سلوكهما يمدان الفلاحين عن معاملة المحل كما كانوا من  
قبل وكانا يصرفان معظم النهار في ملاطفة صاحب المحل ليحلا من قلبه مكاناً يتذرمان به  
ال نيل ما ربحا منه ومن ماله فيجتالان على مدح جميع اعماله ليجرزا ثقته ولم يكن الى ذلك  
المهد قد وضعها في انسان وما اقتربا منه الا ودعواه بيا «صديق العزيز» ويقال انهما  
كانا يسرقان من الصندوق اكثر مما كانا يضمنان فيه من الدرهم .

وبعد ذلك وفق كرميور الى الظفر بخادمة على هواه ثلثي امور بيته اسمها مريم جاوزت  
الخمسين من سنها وترنت في خدمة البيوت ومماناة الرجال وكان ما يرضيه من طباعها في  
الاكثر هو انها تمت كل الفت ما كان يسميه بالنظافة والنظام اللذين لا فائدة منهما  
فلا تسمع ارض النار الا في الاعياد الكبرى ولا تكنس الغرف الا صباح الاحد ولا تغني  
يزيتها الا اذا هي لما وقت فكانت «فرشات» الثياب يطول عمرها معها لانها قلما تستعملها  
في تقص الثياب . تحف ابداً الى الاقتراب من ذاك الشيخ ونطيعه لاول كلمة يقوهها وتقص  
عليه ما يجري في الدار والخزن والمدينة وما يقال فيها وما لم يقل وتنسب سوء القصد لكل  
من كان لكرميور بعض الثقة فيهم وتزيف اقوالهم وتوردها في قالب لا يفهم منه الا عكس  
ما يراد منها ثم تعرض عليه بان الناس كلهم يسرقونه اذا لم يهد اليها بان تراقبهم .

فوقع كلامها من قلب الشيخ موقع التصديق حتى زادت ثقته بالناس ضعفاً والتفتع بانه  
معفوف بقشة لا غاية لها الا ان تنهب ماله حاشا مريم فانها الوحيدة التي ما عراه شك بـ  
لما انها ولم تكن مريم تسرق مالا بل توفر من جميع التفتقات ولا سيما من الطعام وخصوصاً  
ظلام المستخدمين فدخلوها بيت التاجر دخله الجوع . ومن المميزات التي اختصت بها مريم

انها كانت تحسن الانقناع بكل شيء وما قط طرحت بقية من بقايا العلم ولذلك كنت تسميها في غرفة كريور التي بنف فيها عندما يترك مراقبة المستخدمين وأنت كريمة منبثقة من تلك العنوم المدمرة عرفت مريم كيف تحسن معاملة زوجها وتستولي على عقله كما تحسن معاملة الناس وتحبهم وكان صوتها رقيقاً تنطلق مع الزين وتلاطف الاولاد وتوهم كل من يبكيها لتتوسط له امام كريور انها مساعده فيما يريد وانها مبرأة من كل غاية الا من النفع العام على انه لم يحدث من اثر هذه النيرة كلها ما يعود على عمل التاجر بالفلاح واخذ الاحتياط يزداد في اشغاله يوماً فيوماً على ما تبذله هذه الخامة من وسائل نجاحه .

وكان لكريور في غرفة مجاورة للغرفة التي ينام فيها خزانة من شجر الكايلي جمالياً صندوقاً لوضع ماله ولما كانت اعماله سائرة على قدم النجاح قديماً كنت ترى جرار الخزنة طالعة بالقود الذهبية والفضية وفي وسطها اكياساً ملاي فاخذت هذه الاكياس لتقص شيئاً فشيئاً منذ انحفت تجارته حتى لم يبق واحد منها بل قل ما كان في الجرار من النقود وفورغ كثير منها بته .

### ٣

حدث ذات يوم من ايام الخريف بعد ان عادت القطعان من المراعي ان مناصي كريور في تجارته باعوا من فلاحي آييري كثيراً من البضائع انهم بارباع وافرة ولما نجي الخبر اليه انزعج انزعاجاً شديداً واصابته سكتة دماغية فوقع في حفرة للاحراك به فنقل الى غرفته واضمجه في سريره واستدعوا الطبيب . وكان هذا شاباً لم تمض بعد سنوات قليلة على نيله الشهادة سكن في تلك البلدة حديثاً . نجف لفحص المريض فراه غائباً عن رشده ففنى الليل كله بالقرب من سريره وهو يحرسه ولما طلع النهار رجع الى الشيخ كريور صوابه ودام دور نقاشته طويلاً وانشأ كريور يسير على رجله قليلاً حتى استطاع ان يطوف محله زاحفاً وكان الطبيب يعني بعخته كثيراً . وكان هذا الطبيب قد حاز ثقة الجمهور لالحذقه بل لانه اشتهر بالنعيم .

وما كان الشيخ كريور اعتقاد كبير في الطب لان صحته القوية قد اعنته الالتجاء اليه على ان الدكتور «توردور» قد استولى في الحال على عقله وكما كان يزوره ينهل وجه الشيخ كريور بشراً وطلاقة . فكان النافق ينظره وهو جالس على كرسبه الكبير طول النهار ساكتاً لا يتكلم كالخجر الاصم وكانت الضربة قد اصابته في جانب فقه فالفحمة فلم يعد يحكم الا بظن شديد ولا يلفظ في الاحايين الا بعض مقاطع من الحروف كثيراً ما تكون مبهمه لا تفهم .

أشار كريجور ذات يوم بعد ان انصرف الطيب من غرفته الى خادمته مريم ان تقترب منه وسألها ان تقرأ له شيئاً فأخفت من صندوقها التوراة وكانت الكتاب الوحيد الذي احتفظت به طول حياتها ففتحت باب رؤيا القديس يوحنا الانجيلي وقرأت الآيات التي ورد فيها ذكر تعذيب من يعذبون في النار والكبريت ولا نالهم الراحة ليلاً ولا نهاراً

فقاطعها كريجور والنفس أخذ منه قائلاً : ما انحص هذا النبي يوحنا يتكلم عن هذه النار وهذا الكبريت الذين ليس لهم اساس . وحدق بها بعينيه اللتين كانتا تترقان بشرر النفس فذعرت منه حتى ارتجفت كلها وعادت فأخفت يدها الجيوب التي كانت تحبكه قبل ان تشرع في القراءة له . اما كريجور فلم يرفع نظره منها وظل ساكناً لا يتكلم واخذ وجهه يتنفس اشبع فتنفس من هنيهة الى اخرى ويمرر ذراعيه كأنه يريد ان يطرد احداً يهدده بالقبض عليه . وكانت غرفة الخادمة متصلة بغرفة سيدها فذهبت اليها عند ما رآته قد نام الا ان النوم لم يجئه في تلك الليلة ولم يتمكن من اغماض جفنيه وترك نظره يسرح وهو في قلق يبدو عليه في غرفته واخذ من وقت الى آخر ينهدد ويلفظ كلمات منقطعة .

وكانت بالقرب من سرير كريجور منضدة صغيرة يضيء عليها مصباح في الليل منذ وقع مريضاً ومن عادة مريم ان تنزل القليل للاقتصاد من الزيت وهكذا سمحت خلال مشوشة على الحائط . وفي تلك الليلة اراد كريجور مخالفة عادته في ترك القليل صغيراً بحيث لا يبطني فقط واراد ان يكبره ليكون ضوءه كثيراً لان الظلام كان يخيفه .

فظنت مريم ان الشيخ رافد واخذت تسير نحو غرفته سيراً لطيفاً فلما سمع وقع قدمها صاح والذعر أخذ منه : مريم مريم . فاجابته فقال لما انتظنين بان الموت سيأخذني ؟ فقالت له : ان الموت بعيد عنك لان صحتك تحسنت كثيراً عن ذي قبل وبما قريب ستشفى كل الشفاء فاجابها بقوله : نعم صحتي احسن وقرباً أشفى ولا اموت .

ثم سكوت وخفت مريم بالانصراف من غرفته فناداها قائلاً : اتمندين يا مريم اني سأذهب الى التارمقي حل في ريب الموت ؟ فاجابته : انت تروح الى النار ساعطك الله على مثل هذا الفكر اما انا فلا اعتقد بانه يخشي عليك من النار . ولما سمع ذلك اجابها : نعم لن اذهب الى النار . ثم غاص في بحر السكوت من جديد وعاد فقال لخادمتها : هل عملت شيئاً واركتبت كتيبة اعاقب عليها ؟ فقالت له كلا انك كنت سليم الصدر ابدأ وما قط اسأت الى انسان وعلى العكس فان كثيرين قد اسادوا اليك فنهبوا منك مالك وخدعوك بكل حيلة من احابيلهم . فاجابها بقوله : نعم ان الناس اسادوا الي . اسادوا الي هؤلاء الملاحين . ثم استولى السكوت عليه وقال بعد لحظة : انتظنين ان من خدعوني يروحون الى جهنم .

فقلت له : اذا نجنا احدهم من النار فيكون في نجاته وجه الثواب . فاجابها : ان المسألة طاهرة وستنتقم المولى لي منهم اذ يرى انني عاجز عن الانتقام بنفسي لنفسي والا لا كان ثمت عدل . فنهضت مريم وروت وصادقني كريور ووضعتهما وضعا حسنا تحت ابطيه ليفكر من الجلوس وتسرح النظر في الغرفة وبعد ذلك انصرفت لتناموا طبق كريور جننيه ولم يعد يحركه حتى فلتته قد رقد . الا انه لم يلبث هنيهة ان فتح جفنيه واخذ منه الملح وهو يحرق في زاوية الشباك ويصرخ « هناك في تلك الزاوية ضوء المجدوني ! » فقفزت مريم الى الارض واسرعت فاوقدت المصباح فبدد النور غياعب الظلمة وصارت الغرفة كأنها في رابعة النهار . وكان العرق يكل وجه كريور ويحاول ان يمسحه وهو يفيض عليه وعيناه تنضمان الى كل ناحيتين انحاء الغرفة ذات الجمين وذات الشمال وفي اعلاها واسفلها وشعره الابيض كالشبح مسترسل على جبينه وعيناه نظرتان وتحدقان والملمح أخذ من قلبه مأخذه . فاخذ يسأل مريم قائلا : يا مريم اتعتقدين بان هناك جهنم ؟ فاجابته ان سؤالك عن النار اشبه بمن يسأل عن وجود الله تعالى . فقال لها : اذاً فانت ايتها المجهنمة المقدسة تروحين اليها والناس كذلك ولا سبيل الى النجاة منها . فلم يسع مريم الا ان قالت له : لا تفكر في هذا ليس ثمت حسي لهذا الاسم ( جهنم ) . فاجابها انتم ليس ثمت جهنم . والثفت كريور الى الخائط واطبق جفنيه وقال لها : تسهرين هنا طول الليل ولا تطفئي المصباح بل اتركيه موقداً يسطع بجوره . قال هذا وهو ينظر الى السقف ثم قلبه وعند ما رأى مريم قد جاست بالقرب من سريره وانها اضاءت المصباح واوقدت مصباحاً آخر بدا عليه الاطمئنان واستغرق بعد ذلك في النوم فنام حتى الصباح .

ولما استيقظ واجلسته مريم في كرسيه حضر الطبيب فسأله عن صحته ثم كتمه في شؤون وشجون الا ان كريور كان مشغول القلب فلم يجب طبيبه نزيه « لا » و « نعم » ثم انقطع الطبيب عن كلامه فثبأ المريض ينظر الى الطبيب وحاول ان يضحك من شقفه الذي لم يفلح وقال له : يقال ايها الدكتور انك لاتعتقد بشيء . فاجابه الدكتور قائلاً : ما من احد الا وهو يعتقد بشيء يا عزيزي كريور . فتناب هذا : اعني بقومي يا حكمك انك لاتعتقد . اي انك لاتعتقد . شيطان . فاستغصت وقال وهو يدرسه ما يقول في خاطره صاحبه : او تعتقد بان الشيطان وجوداً ؟ فقال كريور : كلا . وجود الشيطان . قال هذا وحاول ان ينهض من كرسيه وامسك بيد الطبيب فقال : كنت اعرف حق المعرفة بان ليس ثمت شيطان ولا جهنم ايضاً . فقال الطبيب : نعم انا على ثقة من ان الشيطان جهنم لا وجود لها . فاجاب الشيخ المريض : انك تعرف ذلك وانت الذي درست السلام واحكمتها . فقال

لذلك : لا يعرف العلم بوجود شيطان ولا جهنم . فقال الشيخ : اذا كان العلم لا يعترف بوجودهما فذلك لانه صحيح . قال هذا وقد اخذ مقعده من كرسيه واخبط جنبه وسطح في وجهه برشق الفرح ثم همس قليلاً بصوت يكاد لا ينفه قائلاً : نعم ليس في الوجود شيطان ولا جهنم العلم يعرف ذلك ومن اعرف من العلم ينش هذه الامور . ثم فتح عينيه واخذ يحرق في الطبيب واملأت الشك نقرأ في وجهه كأنه يريد ان يبحث في ذهنه من امر لا يستر عليه ويتنظر الطبيب ان يمينه عليه .

الا ان الطبيب سكت وهو يشأم في كرويور ويشلوفي جيبته فانه يد فنيه الذي لا يكتم السر كالصبي . ثم ظهر كرويور في مقبر من زال عنه همه واخذ يد الطبيب وقال له : وماذا يقول العلم عن الحياة الثانية ؟ فاجبه الطبيب : ان لا يستطيع ان يحس حقيقة العلم الثاني فان هذه المسألة من المسائل الاعتقادية . ثم قال : وشيئاً لا يدرك . نعتقد بالآخرة ؟ كلا لا اعتقد . قدس المريض في هذين هذين . فاجبه : لا يعترف بها ولا يثبتها . ثم منك على الشيخ كرويور . ساعده وسكت واحد بينهما . فحينئذ وعنه وعنه ثم فتح ثانية ولفظه . وبدا على محنته ان في فنيه سرا يريد ان يحس مشكته وحاول الانساق وان منته شفته المفالوجة منه وقال : من البلاءة بل ناية في البلاءة ما يذكره عن الجزء بعد الموت وهل للجزء من حقيقة ؟ فاه بهذا السؤال وهو مخرج جواب ايجابي فكان جواب الطبيب له : اذا عنيت بالجزء ان على المرء ان يذكر ما قدمت يداه وان هذا هو الجزء فاني لا ارى فيه شيئاً من البلاءة ولطالما اعتقدت بان كل امرئ في ذاته بل الانسانية يجمعها يجب عليها ان يحاسبها عاجلاً او آجلاً عما انياه من الاقوال والافعال في هذه الحياة انديا . ولما سمع الشيخ هذه العبارة قال : اني لا افهم . فاجابه الطبيب : ومع هذا فانت مدرك ما اعتقده من انه لا بد من وقت يحيى في هذه حياة ايضا بكافاً فيها الخير ويعاقب الشر . فقل الشيخ يحازي في هذه الحياة بالذات هذا غير ممكن بل متمنع كل الصغر .

ولما فاه الشيخ كرويور بهذه الكلمات فاه بها بهجة انفرج وقد تمسك بذراعي الكرويور وهو يحمد الطبيب ببعده وقال : كلا انت لا تقول ما تفكر فيه ، انت الامرد لك كنت سمعته قل لي ماذا يقول العلم وما اظن العلم يقول : انت تدعيه فماد يثبت العلم ؟ فاجابه الطبيب : ليس للعلم في هذا الموضوع شأن وما انا الا مصرح لك باعقادي بعد تجاربي الخاصة ومعرفتي في الحياة . فلما سمع المريض ذلك حاول ان يقلل الشدة لانه لاحظ ان ما صرح به من معتقده قد اثر تأثيراً شديداً في المريض فاستلقى على ظهره في

الكرمي من جديد وأخذ يطبق عينيه ويفتحها ويطوف الغرفة والفرع الشديد أخذ منه واصفر وجهه أكثر من ذي قبل واصبحت يده بلا حراك على ذراعي المقعد وقال : تجاربك ايها الطبيب تجاربك تقول بذلك ؟ فقال الطبيب : نعم هذا هو اعتقادي اعتقده وأكرره وأقول غير هياب ولا وجل ان كل امريء في هذه الأرض يجازى عما قدمت يده ان خيرًا فخير وإن شرًا فشر وتؤخذ منه الفائدة ( الربا ) وفائدة الفائدة اضعاكًا مضاعفة .

فلما فاه الطبيب بهذه الجملة نظر اليه كريور نظرة من يجب الاقتناع بان هذه الافكار هي من الافكار الخاصة للدكتور ليس الا وقال : مع الفائدة وفائدة الفائدة ولكن هذا القول فظيع وهو معتقد غير مقبول .

ولما أدرك الطبيب ان هذا الحديث لا يزيد المريض الا ضيق صدره فقاطعه وقال : عليك يا صاح ان تطرد من ذهنك الافكار السيئة وان لا تفكر الا في شفاء جسمك وان تساعد على نقاهتك ما امكن وما قد أصبحت احسن صحة من ذي قبل فاعطيك الا ان تعنى بالشفاء كل العناية . ثم سلم وانصرف .

فنظر اليه كريور حتى اذا غاب عن نظره عاد يحديق في كل مكان محاولاً ان يجلس في كرسيه بحيث كان ينظر الى الغرفة يجتمعها وانه كذلك دخلت عليه الخادمة فقال لها اربني ماركوس فقد تافت نفسي الى رؤيته . فتادت مريم هذا الولد . وكان في غرفة في الطبقة العالية يستعد للذهاب الى المدرسة وكاد يأتي على صفحة من كتاب الفقه اللاتيني ويستظهرها كلها . تخف الى غرفة جده وكتابه مفتوح في يده وأخذ مقعده في زاوية من زوايا الغرفة . ولما سمع كريور بقدم حفيده سكنت نفسه بعض الشيء وأغمض عينيه ليحاول ان ينام ولكن استيقظ مرتجلاً قائلاً : يا ماركوس هل انت عندي ؟ فاجابه الولد نعم يا جده انا هنا .

ومنذ ذلك اليوم اصبح يجيء الولد الى غرفة جده كل يوم ولم تستعكس صحة هذا ولكنها لم تخف من ايضاً وعلى هذا النحو بقى الاسبوع . والطبيب يعود مريضه كل يوم وقد ظهر له ان كريور يكاد لم يستعد قواه الا ببطء شديد . ولم يعودا يميحان فباينهما من المعتقدات وقد حاول المريض ان يعود الى الخوض في هذه الموضوعات ولكن الطبيب كان يقاطعه ويدخل في شؤون اخرى .

مضت على ذلك ايام والهجوز لا يترك كرسيه الا للنوم في سريره وقد حدث انه جرت نفسه مرة وحده وساقه ضعيفة ان الى الخنزن وكان متصلاً بداره ولم يلف في الحقيقة الى ما كان يجري فيه امامه وقد هد يداه المستخدمين الذين كان يعتقد انهم يزنون ويقسسون



على الأصول وعاد فاستشاط غضباً منهم على فهو ما كان يتناطأ أيام صحته عند ما دار سيفه خله بانهم يحسنون الكيل والوزن والقياس . وانت عليه ساطت وهو يردد ما قاله لبعض مستخدميه عدد ما رآهم يزنون بالميزان وقيسون بالمقياس : لا تزنوا هكذا بل اقل من ذلك والا فانا . . . . . وبقي يردد هذه التصيحة بدون ان يكلم احداً بعينه ولكن هذا التهديد كان يبعث من فؤاده كأنه عالم لجميع من يخالفون ارادته

ولم يطل مقامه في غرفته وهو يشعر بانه احسن حالا فيها من حيث الصحة واخذ يطوف غرفته ويتسكك وكان عليه لما فيه من الضعف ان لا ينهض من سريره ولكنه كثيراً ما يمشي في ألبسته الزنة ويقف امام الشباك ويهز رأسه ويقول وهو مصوت بل يمتحن ويقول ممساً : مع الفائدة وفائدة الفائدة ! يقول هذا ثم يهز رأسه هزة غريبة وينظر الى كرسيه الكبير فيقع فيه ويطبق اجفانه وينام ولكن نومه لا يطول فيستيقظ . سيفه الحال كأن قلقاً عظيماً اخذ من نفسه مأخذاً ويسحب نفسه مثاقلاً فهو الشباك ويطل على ما وراء غرفته ويمارده تلك الكلمات التي طالما ردها وهي : مع الفائدة وفائدة الفائدة .

وكان حفيده ماركوس يتألم من اخلاق جده اكثر من غيره لانها كانت في الغالب سيئة وكان جده اذا استغرق في افكاره يكلم نفسه ثم ينادي : يا ماركوس يا ماركوس اين انت يا مفلح ؟ فيجيبه هاءنذا يا جده . ويقرب منه وفراشه ترعد فيسأله الشيخ ألم ؟ ماذا تعمل يا كسلان ؟ فيقول اتمل الخمر يا جدي . فيجابه : تعلم الخمر ومن قال هذا يمتوان اذهب وزن لي سكرأ فاعلم . يقول هذا وكأنه يمد يده الى الولد ليضغفه ولكن هذا يفعل اذنيه بيديه ليخبر من الصفع . ويذهب الى الخزن كالسهم المرسل فيأتي جده في اسرع من لمح البصر بالسكر الذي طلب منه احضاره ويحمله به حاملاً كيساً منه بكل قوته ومعه اكياس صغيرة يأخذ بيلاً وهابان يزنها في ميزان صغير وضع على منضدة فها هو الان يقول له جده لا تكثر يا نحس واجتهد بان تعطي ابداً قليلاً فالناس لا يدركون الكمية التي انت تضعها . ثم تكدهجبة الشيخ وبعد هنيهة يعود هذا فيصرخ : اين انت يا ماركوس ياغي ؟ فيخف اليه الولد وهو خائف يترقب وقد وضع يديه على أذنيه ويتقدم نحو كرسي جده قائلاً : هاءنذا يا جده . فيسأله ماذا تصنع ؟ فيقول له انني ازن سكرأ . فيعود فيقول ومن قال لك ذلك ؟ واين كتابك في الخمر ؟ فانت تزن سكرأ بدل ان تعلم دروسك يا كسلان وتظاھر بانك تتعلم مع انك لا تعلم لشيء

وعند ذلك يخرج الولد الكيس في الخزن ويرجع الى زاويته ولكن كرميز لا يتحرك زمناً مستريحاً فتارة يطلب منه وزن السكر اخرى يوزن اليه بدروسه وهكذا بدون تسلسل في افكاره ولا رابطة في اوارسه .



ولما تقه كرمور ذات يوم بعض النفاضة طرد ماركوس من غرفته واغلق الباب اغلاقاً محكماً ثم اخرج من جيبه حزمة من الفانيج وكانت ميفانيج خزانة الكايلي وما كان يفارقها قط . حتى كان يذكرها في اضيق حالات مرضه ويضعها تحت مخدته . فذهب اذ ذاك نحو الخزانة وقبضها واخرج منها الجرار واحداً بعد آخر وقد اصيبت معظمها فارغة الا قليلاً وكان بعضها فقط يحتوي على قليل من النقود الذهبية. فجردما كلها بيده ثم وضعها وهو يهمس قائلاً : قد ذهبت كلها ولم يبق الا القليل ! ثم عالج قفل صندوق كبير فاخرج غطاءه . ولم يكن فيه غير كتاب متوسط الحجم فلما رآه وقف قليلاً وهو يحرق فيه ثم اخرج القفاص من يديه وتقدم من الشباك ورفق طاقيته فوضها على المنضدة وفتح الكتاب ولم يتفقه ليعرفاً فيه بل انه لم ير صفحة اسمه وهذا الكتاب هو تفسير الكتاب المقدس باللاتيني كان لابنه الصغير عند ما كان في المدرسة . ولم يقرأ ما فيه ولكن نظره وقع على الصفحة التي كتب عليها يد طفل مبتدي هاتان الكلمتان « يوحنا كرمور » وبقي ينظر في الكتاب ملياً وهو يسكس يده وعيناه ناظرتان لهذا الاسم وهما لا تريان غيره وعندما فاضت بالعبوات فانساقطت على الاسم وعلى الصفحة وحاول ان يكفكفها بكم قميصه المنمرق . وعند ذلك اطبق الكتاب ووضع في الصندوق وادخله في الخزانة واغلقها ووضع «طاقيته» على رأسه وقفازه بيده وراح يحضر في الغرفة وسرموجه ( شيشب او صرماية ) في رجليه ليسمع صوته . ووقف اعلاً رجليه على الاخرى بالقرب من النافذة ونظرائه خارج ونهذه وهو يكلم نفسه قائلاً :

مع الفائدة وفائدة الفائدة ولعل هذا صحيح ! ثم عت وجهه الكتابة والحزن



وفي بعض الايام دخل ماركوس الصغير وهو يبكي الى المطبخ حيث كانت مريم قائلاً : ان جدي مات في كرسبه . فقالت له وكيف ذلك ولم تكن حالته في خطرانه لم يكن وجوده حملاً ثقيلاً علينا ثم قصدت الغرفة فوجدته مائتاً على الدف وقد ظهر لها انه جاءته نوبة وهو في كرسبه وادركت في الحال انه لم يمت فحملته الى سريره واستدعت الطبيب فحضر ورأى كرمور غائياً عن رشده وعيناه مغمضتان وقد فلتت جميع اعضائه . فوقع الطبيب في حيرة ولا سألته مره فيما اذا كان تمت امل في الشفاء لم يجيبها بكلمة فامر بان يوضع على رأسه خرق تبجل في ماء فاتر وان يفصل الا ان كرمور قضى الليل كله وجميع نهار الغد بدون حركة . وعند المساء فتح عينيه قليلاً ورجفت يدها وكان ماركوس جالساً على

صندوق بالقرب من سرير كريمور وعيناه تفيضان بالدمع وهو ينظر الى جده ويرى واقفة بالقرب من الشباك ترتب الكراسي فتفتح كريمور شفطيه قليلاً كأنه يريد ان يتكلم ونفس الصعداء فلم يبت منه الا حقطع واحد من مقاطع الحروف وهو الفا الفا اي الفائدة وهي الكلمة التي طالما رددوها بقوله الفائدة وفائدة الفائدة ثم اغمض عينيه وعاد الفاعل فاستولى عليه فجأة وارتمست اعمايه واخذت عينه نتيجة صوب حفيده قائلاً له : مار . . مار . . مار كوس ! فاجابه الطفل : هاء نذا يا جدي فقال وما نفع ؟ فاجابه : لا شي يا جدي

ثم ظهر كأن عينها كريمور خرجنا من بحجره واكد وجهه وقال بصوت لا يفهم : الفا . . . حان ثم عانى كثيراً وحسرت روحه ونقلعت شفتاه وحدق بعينه في السقف وراح لاحرانه به . فقدم كل من مريه ومار كوس نحو مريه . فقلت امرأة : لقد مات ! ففرغ الولد من الصندوق الذي كان حائلاً عليه ووضع يديه على وجهه وشبك بالبكاء كأن صدره اوشك ان يتصدع . اما مريه فكانت تنظر الى تلك الجثة الغامضة ولا تفكر لها الا ان تعتمش وتناكد انه مات حقيقة . ولما ثبت لديها موته ألقت يدها الى تحت مخدته وتناولت حزمة الخناجير . ثم انفلتت باب المسكن ودخلت نفي حين غرة الى الغرفة التي كانت فيها الخزانة ونصبتها . وصرفت وقتاً في معرفة كل مفنح وجزاره الا انها تمكن من ذلك بعد العناء ولما تمعتها قالت والغضب آخذ منها : فارغة كلها فارغة لمة الله عليها كلها فارغة .

ورأت في اسفل احدى الجرار بضعة نقود ذهبية وفضية فاخذتها ووضعتها في جيبيها وهي تنظر الى خلفها مخافة ان يباغتها احد . ثم نظرت ذات اليمين فبصرت بصندوق نفرت لرؤيته . اريد جيبها وقالت كنت على ان انساه ولعل فيه الخير الكثير وبعد ان طالعته طويلاً فتح لها ولكنها لم تجد فيه غير كتاب التفسير . فقالت وقد استشاطت غضباً وما هذا الكتاب العتيق وما السر يا ترى في اخفاء هذا الكتاب سيفي الصندوق الكبير فما عمت ان اخذته ولفته طعاماً للثار وانفلتت الخزانة وعادت الى غرفة الميت فقرأت مار كوس بنهب ويكي فوضعت حزمة الخناجير تحت مخددة كريمور وخرجت تاركة الباب وراءها مفتوحاً قليلاً وذهبت الى الخزن ثنادي المستخدم قائلة ان معلمك قضى نحبه فحاولوا اعينوني حتى تقوم بما يجب اكراماً له فهو الى غرفة الميت اما هي فاقتربت من مار كوس وانحنت عليه بخنان واخذته الى ناحية وقالت له : « لا تيك يا بني » ثم انشأت تمر يدها على خديه وجعل الولد يتمسك بمنقبها فقالت له بصوت كئيب : مات المحسن الينا فياهم من خطب جسم يا مار كوس عزوا فتا في اناسنا في السماء فانه رحيم وهو سيفضل علينا ذات يوم ان نشاهد من اسدى الينا اياديه . وما جدك يا ولدي الان الامع الا يوار في السموات الى !

# المقابر

الجزء الثالث من المجلد الثالث

ربيع الأول سنة ١٣٣٦ موافق ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨

## المعتزلة

من العادة ان كل فرقة او اهل مذهب اذا ارادت ان تصف الفرقة المخالفة لها بنفسها حقاً وربما نسبت اليها ما لم تقبله اعتقاداً منها بان تنفير الناس عن المخالف والدعوة الى المذهب لا يتيسران الا بهذه الطريقة النثة الباردة حتى ان بعضهم جوزوا الكذب على المخالف وما ندرى اي دين مماوي او مذهب فلسفي يجوز الكذب في امثال هذه المسائل . والمعتزلة ما خلوا عن يرميهم بما ليس فيهم خصوصاً ايام استغفرت المجادلات بينهم وبين الفرق الاخرى من اهل الاسلام ايام كانوا ممتعين على عهد اوائل الدولة العباسية بخزيتهم الدينية على اصولها ولم يلاقوا من ارباب السلطة شدة ولا عنفاً . وقد كثر بحث الفريقين في العصر الاخير عن المعتزلة ومنشأهم حتى قال بعضهم ان من سوء طالع المسلمين ان يتقرض المعتزلة فانهم كانوا معدلين لاجرة الحكومات وارباب المذاهب الاخرى اذ جروا مع العقل وطبقوا المقول على المقول ونظروا الى الجوهر اكثر من الرض ومن حكم العقل في اتواله والاعمال يحترمه احبابه ويخصومه على السواء .

ولقد استطلعتنا طلع رأي احد كبار علماء الاسلام في امر المعتزلة فاعلم علينا بالجملة التالية فكانت خلاصة احوالهم ونهاية النايات في الانصاح عنهم . قال دام قعه :

في اواخر عصر الصحابة ظهرت ثلاث فرق من فرق الاسلام اولها الطوائج وهذه الفرق من الفرق التي اعترضت على علي بن ابي طالب في تجويزه التحكيم في امر الخلافة وكانت تحكم بكفر الناسق صريحاً كشارب الخمر ونجوة فضلاً عن يسى في سبك دماء

المسلمين لاجل مأرب دنيوي ومذهبها مبني على هذه القاعدة وكان في ذلك العصر قد دخلت  
 الناس افواجاً في دين الاسلام بسبب الفتوحات العظيمة واكثرهم ممن لم يتنهى بمكارم  
 اخلاق الدين فكان الناس يسمون المتأهل في الدين فاسقاً ويجهلون من المسلمين البتة  
 وكان كثير من الناس يصرح بان الامور كانت مقدرة عليهم تخفيفاً عنهم من الملام . وفي  
 خلال ذلك هبت فرقة لم شدة تمسك بالدين وتعلل بادبه فانكروا ذلك وصرخوا بان  
 الانسان مختار في اعماله وان الله تعالى لو اجبر الانسان على عمله لم يؤاخذه عليه وجعلوا  
 الناس ثلاثة اقسام مؤمن وكافر وفاسق فالمؤمن من يقوم بجميع شروط الدين والكافر  
 الواحد مطلقاً والفاسق من اتى بكبيرة ومنعوا من تسمية الفاسق باسم المؤمن واعتزلوا مجلس  
 الحسن البصري لانه لم يرض بالتصريح بل ب اسم المؤمن عن الفاسق فسميت هذه الفرقة  
 للمعتزلة . وفي اثناء ذلك ظهرت فرقة هي بالفرقة السياسية اشبه بالفرقة الدينية وهي فرقة  
 الشيعة المناهضة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب . والشيعة حزبان حزب منهم كانوا يقولون  
 انه هو الاحق بالخلافة غير ان عوارض الاحوال اوجبت تأخيرها لكثرة اعتدائه من  
 المخالفين وغيرهم وكانوا لا يطعنون في الذين اخروه عنها وقسم يقولون انما اخروه لعداوتهم في انفسهم  
 لا رعاية للصحة الامة ثم اخذ كل مذهب دوراً من الادوار كما يعلم من التواريخ المفصلة .  
 واذ كانت الخواارج ارباب حرب وضرب وتحمس في الدين وعبادة ونسك ولم يكن  
 لهم بصيرة في العلم كانت امورهم العملية بسيطة جداً واكثر ما يقابلون به السيف . اما  
 المعتزلة فكانوا في امرهم ارباب تودة وتأن واستبصار بما يقتضيه الوقت وكان مقتضى مذهبهم  
 القيام بانكار المنكر ولو افشى الامر الى سل السيف الا ان ذلك مشروط فيه الامكان فكان  
 للمعتزلة بضيضين الى فريقين العامة والامراء اما الامراء فلما يشترطونه في الامارة من الشروط  
 التي اذا انتشرت في افكار العامة لم يتيسر لامير ان ينطلق في امر الامة بما يشاء واما العامة  
 فلانهم يخشون ممن يخرجهم عن الدين بمجرد اتيان المنكرات التي اطلق لهم الننان فيها من  
 طرف خفي امره سوء الدين يهجم ان تكون العامة ممن يعينونهم على مقاصدهم وكانت  
 هذه الفرقة اعظم الفرق في المناضلة عن الدين ورد شبه المحدثين وكان الجمهور يقولون لا  
 حاجة لنا الى الجدل فان كل من خالفنا استبقناه فن تاب فيها ونعت والا طهرنا الارض  
 بسنك دمه عليها . ولم يزل الامر كذلك حتى افضت التوبة الى المأمون وكان ممن خالف ناساً  
 منهم وكان لهم دعاء عظيم في مخالطة الطبقات العالية مع انكاشهم وشدة ورعهم فلنلف  
 المأمون افكارهم بتقويت في نفسه فلما افضت الخلافة اليه بادر الى اعلانها وكان مقتضى الحال  
 ان يدعو الى مذهبهم كما يقتضيه حال كل من اخذ بمذهب الا ان المأمون للبديل الذي

كان عليه وهو اطلاق الحرية لتوافق له والمخالف وجد من الواجب ان يطلق العنان لكل الفرق فالتى اخطأت بتيسر اقتاعها بالحجة والبرهان والتي معها الحق ينبغي ان تتبع على ما معها منه فانطلقت في عصره جميع الفرق وجعل في داره مجالس للتنازلات بين ارباب الملل والنحل وكان الصبر المتردد في ذلك .

ثم لما افصى الامر الى من بعده خف اطلاق العنان لهم . غير انه بقيت من ذلك بقية حتى افضت الثوبة الى استوكل فقام في اضطهاد الفرق المخالفة للجمهور ورعاية لمشرب العامة وخلاصاً من فرقة اذا قوي امرها في مشارق الارض ومغاربها كان فيها الخطر على امر الخلافة لانها شرطت فيها شروطاً يصعب القيام بها على كثير ولم تزل حال المعتزلة بين انخفاض وارتفاع حتى انحطت الامة انحطاطاً زائداً وقبل انقراضها كان كثير من الملوك يسمى في ابادتهم بالسيف كما يعلم من التاريخ ولم يبق لم ملجأ غير الدين فان فيه تكون حزب ذو عدة وعدة يصعب محوه وهم المسمون بالزيدية . فما الزيدية الا فرقة من فرق المعتزلة يخالفون جمهورهم في بعض مسائل الامامة ونحوها .

ومذهب المعتزلة في كون الانسان مختاراً ليس كما ينقله عنهم الفقهاء لم فاتهم يقولونه على صيغة مستبشرة بنفهمها العوام فضلاً عن اخصاوس فن ثم واقفهم عليه كثير من علماء أهل السنة كما واقفهم على كثير من مسائلهم الفرعية التي استخرجوها وكانت هذه الفرقة كثيراً ما تذكر في التاريخ بانها معتزلة مع ان المترجم يكون من المخالفين للمعتزلة في باقي مسائلهم اشد المخالفة فكان يقع للناظر في التواريخ اضطراب وحقيقة الامر فلهذا ما ذكره الساج السبكي في الطبقات فقد نقل في ترجمة انفقال عن الحافظ ابن عساكر انه قال في انفقال : بلغني انه كان ماثلاً عن الاعتدال قائلاً بالاعتزال في اول امره ثم رجع الى مذهب الاشعري . قال السبكي وهذه فائدة جليلة افترجت بها كربة عقيمة وحسكة في الصدر . جسيمة فان مذاهب شيعي عن هذا الامام في الاصول لا تتبع الا على قواعد المعتزلة وطال ما وقع البحث في ذلك حتى تورم انه معتزلي واستند الزم الى ما نقل ان ابا الحسن الصغار قال سمعت ابا سهل العمري وسئل عن تفسير الامام ابي بكر انفقال فنقل قدسه من وجهه ودنه من وجه اي دنه من جهة نعمة مذهب الاعتزال . وانفقال هو اساذ عصره قرأ عليه الاشعري علم الفقه وقرأ هو عليه علم الكلام وهو معدود من كبار شامة الشافعية وعال السبكي ذلك بقوله اعلم ان هذه الطائفة من اصحابنا ابن سريج وغيره كانوا قد برعوا في الفقه ولم يكن لهم قدم راسخ في الكلام وطالعوا على الكبر كتب المعتزلة فاستحسنوا عباراتهم .

والمعتزلة هم الذين احدثوا علم الكلام وكان الاولون يتهنون عنه كثيراً الا ان النفوس

كانت مولىة يعلم مطلقاً تأجيل عليه غيرهم والنوا فيه كثيراً وأوموا اللاتين لم بان  
الكلام الذي عه قاه هو الكلام على طريقة المعتزلة غير ان الكتب التي ألفت على طريقة  
المعتزلة امتن جداً كان في اصولهم من منع التقليد البتة ولذلك لم يكن بعضهم يقلد بعضاً وان  
كل انسان مكلف بقدر ما اداه اليه اجتهاده ووسع ولا يخفى الفرق بين التقليد والمطلق .  
وم الذين وسعوا اصول الفقه حتى ان اكثر المسائل المذكورة فيه هي من مبكراتهم  
غير ان الاصوليين لم يغيروا ان يتركها لم وهذا ظاهر لمن يتتبع فن الاصول عصر الفصراً وأما  
ما يرميهم به خصومهم من ان الاعتزال نشأ من انتشار كتب الفارغة فهي فرية لان  
الاعتزال وقواعده الاعلية نشأت قبل ترجمة كتب الفلسفة المتعلقة بالاليات بلا خلاف  
وكثير مما قلناه كسألة الاختيار المطلق ومسألة خلو المعاصي مؤبداً ونحو ذلك كان يستعين  
خصومهم في الرد عليهم بكلامهم اللاسقفونية كان دأب المعتزلة بمقتضى متانهم ان يخوضوا في  
اي شيء كان من العلوم التي كانت قبل ان يجرؤوا على ما يظن لم لا اعتقادهم وجزمهم بانه لا توجد  
حقيقة تختلف الذين فكروا اشد الناس اسراعاً في الفنون واكثر المؤلفات المهمة في  
العلوم الثبوتية ما هذا الفقه يدم فيها اصول من يدمن بختهم اجمالاً . والتاريخ يظهر ذلك باجلى  
مظاهره . وأما الله فانه اخذوا فيه بما اخذ به غيرهم لا اعتقادهم ان الشطب فيه سهل غير ان  
لم في الفقه دلت على غربة يحدوا الانسان في تضاعيف الكتب ثم مشأوها وأما الحديث  
فانهم رأوا كثرة الوضع وظنهم لم ان التميز بين الصحيح وغيره يمسر لاسياً ما روي  
من طرق غيرهم فانه لا يطمئنون اليه لا اعتقادهم ان كثيراً من اهل الورع والصدق  
من غيرهم ربما يجرؤون وضع الحديث لمصلحة وشاهدوا في عصرهم احاديث وضعت في حقهم  
مثل « القدرية يحوس هذه الامة » فتروا من الحديثين (١) وتلبوم اشد تلب ولا كان علم  
الحديث اثم علوم الدين وم اشد الناس ولوياً به ذهبوا الى قاعدة غريبة وهي ان كل حديث  
لا يخلف القرآن وهو قريب من مقاصد اشرار لو كان مما يزل على مكارم الاخلاق سلواه  
اجلاً بدون نظري في رواته وما وجدوه مخالفاً لذلك ردوه البتة ومن هذا نشأ كثرة ما تراه  
من ذكر الاحاديث في كتب مثل الجاحظ والعنبري وغيرهما من ائمة المعتزلة فهم يحضون  
عن القول لا عن رايه .

غير انهم يعتقدون ان من اخذوا بقوله كان على مذمهم ومشرهم . . قد وقع في اتوار يخ  
بتناقضات كثيرة في مسألة عمل كثير من المشهورين في العلم والفصل والسبب في ذلك  
ان كثيراً من المتعلمين كانوا لا يصرون بما يصرح به المتأخرون فكان كل فريق يدعي

ان فلاناً منهم ويظهر ذلك لمن راجع كتب مناقب المشهورين على طريقة المتقدمين فانهم كانوا يفيضون في كل شيء لا على طريقة المتأخرين الذين يطوبون كل شيء لا يوافقون رأيهم الاطّاع فلنا منهم انهم بذلك يحزنون صنفاً وكثيراً ما يذكرون مثبته وهي في الباطن مثبته وربما كانت موضوعة

ما يبلغ العاقل من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه  
هذا ما قاله نفعه بلفظه ومناه من لسان ذاك الامام الكبير وقد قال المرتضى (١) وامامنا  
اجمعوا عليه فقد اجتمعت المعتزلة على ان العالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا اله الا هو ليس يحسم  
ولا عرض ولا جوهراً عينا واحداً لا يدرك بحاسة عدلاً حكماً لا يفضل التبع ولا يريد كلف  
تعميراً للشباب ويمكن من الفعل وازاح العلة ولا بد من الجزاء وعلى وجوب البثثة حيث  
حسنت ولا بد للرسول صلى الله عليه وآله من شرع جديد او احياء مندرس او فائدة  
لم تحصل من غيره وان آخر الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن معجزته وان الايمان  
قول ومعرفة وعمل وان المؤمن من اهل الجنة وعنى المعتزلة بين المتزنتين وهو ان الفاسق لا  
يسمى مؤمناً ولا كافراً الا من يقول بالارجاء فانه يخالف في تفسير الايمان وفي المعتزلة فيقول  
الفاسق يسمى مؤمناً واجمعوا على ان فعل العبد غير مخلوق فيه واجمعوا على تولي الصحابة باختصاص  
في عثمان بعد الاحداث التي احداثها فاكثروا تولاه وتأول له واكثرهم على البراءة من معاوية  
وعمر بن العاص واجمعوا على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي تعداد علمائهم  
مصنفات عدة كالمصاييح لا ين يزداد وغيره اه . هذا ما قاله واحد منهم في حقيقة ما اجمعوا عليه .  
واليك ما قاله الشهرستاني صاحب الملل والنحل وهو ليس منهم قال : والمعتزلة ويسمون  
اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا لفظ  
القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازاً عن وصمة القدر اذ كان  
الدم به متفقاً عليه لعل النبي عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة وكانت الصفاتية  
تعارضهم بالاتفاق على ان الجبرية والقدرية متقابلتان تعادل تضاد فكيف يطلق لفظ القدر  
على الضد وقد قال النبي عليه السلام القدرية خصمه الله في القدر والخصومة بين القدر  
وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم

(١) راجع رسالة للمعتزلة التي نقلها الاستاذ توما ارنولد Prof. T. W. Arnold المشرق  
الانكليزي من كتاب الحية والامل في شرح كتاب الملل والنحل ل احمد بن يحيى بن المرتضى  
وطبعها في مطبعة دائرة المعارف النظامية بمصر آباء المذبح سنة ١٣١٦ هـ فيها تراجم  
مختصرة لائمة المعتزلة وذكر طبقاتهم على ايسر وجه .



والتوكل وإحالة الاحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم فالذي يم طائفة المعزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم والقدم اخص وصف لذاته وتقوا الصفات القديمة اسلا فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا يعلم وقدره وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو اخص الوصف لشاركته في الالمية وانفقوا على ان كلامه محدث مخلوق في عمل وهو حرف وصوت كتب امثاله في المصاحف حكايات عنه قائما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال وانفقوا على ان الارادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها وحامل معانيها وانفقوا على ان رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهة ومكاناً وصورة وجسماً وتخيلاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً واوجبوا تأويل الآيات المشابهة فيها وسما هذا انعط توحيداً وانفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق مايفعله ثواباً وعقاباً في المار الآخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفصل هو كفر ومعبية لانه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً وانفقوا على ان الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح المباد ولما الاصمخ والالطف في وجوبه خلاف عدم وسما هذا انعط عدلاً وانفقوا على ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسما هذا انعط وعداً وعيداً وانفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع والحسن والقيح يجب معرفتهما بالفعل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكليف الطاف للباري تعالى ارسلها الى المباد بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة واختلفوا في الامة والقول فيها تسماً واختياراً .

وهنا ذكر التهرستاني مقالة كل طائفة من طوائف المنزلة مثل « الواسلية » اصحاب ابي حذيفة واصل بن عطاء التزالي و « المذيلية » اصحاب ابي الهذيل حمدان بن ابي الهذيل العلاف و « النظامية » اصحاب ابراهيم بن سيار بن هاني النظام و « الحاشية » اصحاب احمد ابن حنبل و « الحديثية » اصحاب فضل بن الحداثي و « البشرية » اصحاب بشر بن المتمر و « البلمرية » اصحاب مصر بن عباد السلي و « المزدرية » اصحاب جيسى بن صبيح الكوفي بابي موسى الملقب بالمزدار و « النامية » اصحاب ثمانية بن اشروس النخيري و « المشامية » اصحاب هشام بن عمرو القروطي و « الجاحظية » اصحاب عمرو بن بحر الجاحظ و « الخياطية » اصحاب

ابي الحسين بن ابي عمرو والخياط و « الجبائية والشمسية » اصحاب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه ابي هاشم عبد السلام .

ومن رجال المعتزلة الحسنان عليهما السلام ومحمد بن الحنفية وسعيد بن المسيب وابو الاسود الدؤلي وعلقمة والاسود وشرح من اصحاب عبدالله بن مسعود والحسن البصري وعبدالله بن عمر وابو الرداء وابوذر الثفاري وعبدالله بن عباس وغيلان بن مسلم الهشبي قتل هشام بن عبد الملك وقتل صاحبه صالحاً سيفاً اشع صورة لانه انكر على بني أمية سوء سياستهم في الرعية وواصل بن عطاء وهو الذي اتفذا صحابه الى الافاق وبث دعائه في البلاد فبعث عبدالله بن الحارث الى المغرب فاجابه خلق كثير وبعث الى خراسان حنص بن سالم وبعث القاسم الى اليمن وبعث ايوب الى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وعثمان الطويل الى ارمينية . ومنهم عمرو بن عبيد وكان التصور المباهي يانه في تعظيمه ورثاه وقلا عهد ان الخليفة رثى رعية بقوله

حلى الاله عليك من متوسد      فبما مررت به على درم  
فبر نصيحتي مؤمناً متضماً      عبد الاله ودان بالقرآن  
واذا الرجال تنازعوا في شبهة      فصل الحديث بحجة وبيان  
ولو ان هذا البعير ابي صالحاً      ابق لنا عمراً ابا عثمان

ومنهم ابو الهذيل العلاف الذي قال فيه المؤمن اطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال النعام على الانعام . ومنهم ابراهيم النظام وهو الذي يقول فيه الجاحظ . الاوائل يقولون في كل الف سنة رجل لا نظيره فان كان ذلك صحيحاً فهو ابو اسحاق النظام وبشر بن الحنتر الهلالي وابو عمرو بن بحر الجاحظ وعبد الرحمن بن كيسان الاصم واحمد بن ابي دواد وثامة بن الاشرس ومنهم الجعفران المذان يضرب المثل بهما وزهدهما كما يضرب المثل في حسن السيرة بالعمريين وهما ابو محمد جعفر بن مبشر الثقفي وابو الفضل جعفر بن حرب ومنهم ابو جعفر الاسكافي وابو عبدالله الدباغ وابو علي الجبائي ومنهم ابو العباس الثاني ومحمد بن عمر الصيري والسيرافيان ابو القاسم وابو عمران وقاضي القضاء عبد الجبار المصدي ومنهم صاحب بن عباد والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني والجوهري صاحب الصحاح والشريف المرتضى وابو بكر الرازي وابو بكر الدينوري

ومما يؤثر من اخلاق ائمة المعتزلة وورعهم ما قاله الواثق لاحمد بن ابي دواد لم لا تولي اصحابي ( اي المعتزلة ) القضاء كما تولي غيرهم فقال يا امير المؤمنين ان اصحابك يتبعون من ذلك وهذا جعفر بن مبشر وجهت اليه بشرة آلاف درهم فاني ان قبلها فذمت اليه

بنفسه واستأذنت فأبى أن يأذن لي فدخلت من غير إذن فلما سيفه في وجهي وقال الآن حل لي تلك فتصرفت عنه فكيف أولي القضاء مثله . وروي أن أحد أئمتهم جعفر بن بشر أصرت به الحاجة حتى كان يقبل القليل من زكاة اخوانه فغضبه يوماً بعض التجار فتكلم بمحضرة في خطبة تكلم فاعجب به ذلك التاجر فأل عنه فأخبر بمسكنه فبعث إليه بخمسة مائة دينار فردها فقيل له قد عذرتك في رد مال السلطان للشبهة وهذا تاجر ماله من كسبه فلا وجه لذلك فقال جعفر انه استحسن كلامي اقراني ان آخذ على دعاي إلى الله تعالى وموطني ثم لم أكن قلت هذا ثم أجداني لقبيل . وروي أن بعض السلاطين وصله بشرة آلاف درهم فلم يقبل وحمل إليه بعض أصحابه بدرهمين من الزكاة فقبل فقيل له في ذلك قال تلرباب الشرة احق بهامني وانا احق بهذين الدرهمين لحاجتي اليهما وقد امتنما الله الي من خير مسألة واغناني بهما عن الشبهة والحرام .

وفي طبقات السبكي : قال ابن الصلاح هذا الماوردي عفا الله عنه بتهمة بالاعتزال وقد كنت لا أعني ذلك عليه وأنا أول له واعتذر عنه في كونه يورد في تفسيره في الآيات التي يختلف فيها أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ماهو الحق منهما وأقول لكل قصده ايراد كل ما قيل من حق أو باطل ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الأيراد حتى وجدته يختار في بعض المواضع قول المعتزلة وما نبوه على أصولهم الفاسدة ومن ذلك معجمه في الاعتراف إلى أن الله لا يشاء عبادة الاوثان قال في قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن وجهان في جعلنا احدهما معناه حكماً بانهم اعداء والثاني تركا لهم على العداوة فلم تمنعهم منها وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشهوراً بتأويلات أهل الباطل تليقاً وتديكاً على وجه لا يظن له غير أهل العلم والتحقيق مع انه تأليف رجل لا يظهر بالانقسام إلى المعتزلة بل يجهل في كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق ثم هو ليس معتزلاً مطلقاً فانه لا يوافقهم في جميع أصولهم مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره في قوله عز وجل ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وغير ذلك ويوافقهم في القدر وهي البلية التي غلبت على البصريين وصيوا بها قديماً انتهى .

هذا ما سمع به الوقت الآن من الكلام على هذه الفرقة وعسانا نوفق إلى درس كتبهم وما قيل فيهم فنعود إلى موضوعهم بإجلى بيان وأوسع برهان .



## اكرام الشعراء

ما ندرى متى نشأت في العرب الاجازة على الشعر في المديح . والغالب ان هذه القاعدة قديمة في امرائهم ورواسئهم قبل الاسلام ولما جاء كعب بن زهير الى الرسول عليه السلام وانشد بين يديه قصيدته المشهورة خلع عليه خلعة سنية . حتى اذا كان عهد الحضارة اخذ بعض الكبراء ينالون في عطاء الشعراء لما وفر في نفوسهم من تأثير اقوالهم في الناس . والشعراء يقولون كما زدتونا عطاء زدتنا كمدحنا وشاء . حتى اصبح الشعراء على عهد بعض الخلفاء والملوك والامراء اشبه بجماعة من ولاية الامر وقوام الدولة تطلق لهم الجرايات والمشاهرات ويأخذون الجوائز والاعطيات ويرجع اليهم في المعات ويشيرون النفوس في الملأ . وكبر من ملك لولا اماديج شعرائه لكان خامل الذكر لانسمع به الا في النذر وكمن شاعر شرف بمدحه بما صاغ له من عقود الشاء .

الا ان الشعراء في هذه الامة قد ابتدؤوا في العصور المتأخرة شعروهم حتى اصحت تستكشف من نجاحه . والامة اذا ضفت سياستها يصف فيها كل شيء على نبعه فكيف يتأق للشعراء ان يضعوا اماديجهم في محلها ويحيطهم كما رأيت من الانحطاط . ثم ضفت ملكة الشعر وقلت قيمته بقلة اقدار الامراء وشعرائهم حتى اصبح الشعراء والحال لم يزل لها بقية في بعض البلاد اشبه بشعائذين يستوكفون الاكف بما ينظمون ويضنون من المعاني والالفاظ ما يعد غلوا لو أطلق على اعظم رجل في الارض فما الحال بمدحهم ولو انصفهم لمعوم بدل ان يمدحوم . ثم هزل حالة الشعر واشتأزت نفوس المتأدين الحقيقيين من الاماديج فاصبحوا لا يجوزون المديح حتى على من يستحقونه وعدوه من صنف القول وهجره .

ولقد رأينا الشعراء في القرن الرابع والخامس والسادس مثلاً يصورون الشعر عن الاجتذال فكانت له قيمة عند الناس ولا سيما عند من يرجون نوالهم فكانت ترى ابا الطيب المتنبي لا يجوز ان يمدح غير لو باب الدولة والزمامة وقل ان قال شيئاً يذكر فين دونهم مع انه طالما أريد على ذلك . وان رجلاً استكف بداءة بدهان يمدح صاحب بن عباد وهو في الفضل ما هو لجديربان يوقر شعره والقول يشرف بشرف قائله والمقول فيه . ولو اجتذال المتنبي شعره في عصره ومدح به كل من يعطيه لما كان له هذا الروق والطلاوة . اجزل الامراء له العطاء على ما رأينا في صبه . فقد رأينا ابا تمام فأتاك يمش اليه بألف دينار عند ما هبط مضر بعد ابن قارق سيف الدولة بن محمد بن فلم يسفه الامامه . واتصل بكافور ملك مصر فاعطاه ومدحه ثم لما اراده على ان يولي له ولاية حميداً وكان بكافور «وطنه بولاية بعض

اعماله فلا رأى تعالىه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم إما يدعي المملكة مع كنفور فحسبكم هجاء اتبع مجيئهم لم يرضه ورحل عن مصر فبعث علي اثره من يقبض عليه ولكنه كان خلس الى بلاد أخرى . وهكذا لو استقرت احوال الشعراء في تلك المصور لوجدت شعرا يعملون على حسب اقدارهم يدعونهم من معاصريهم من الملوك وكما اقترب الشاعر من كبير كبير كما قيل جاور السعيد تسعد . ومن اعظم الشعراء الذين اشتهروا وصار لشعرهم موقع لقرينهم من الكبراء واخدم الجوائز على قضاة عمارة اليمن من اهل القرن السادس . هذا الرجل كان كالمتشي غربيا في اطواره . كان كما قال عن نفسه (١) من خطان ثم الحكم بن سعد الشيرة المذمجي من مدينة في تهامة في اليمن يقال لها مرطان من وادي وساع وبعدها من مكة في مهب الجنوب احد عشر يوما وكان اهلها بقية العرب في تهامة لانهم لا يسكنهم حضري ولا بناكوفة ولا يميزون شهادته ولا يرضون بقتله قودا باحد منهم ولذلك سلت لغتهم من الهساد واذا كان من اهل بيت مجد وعلم اتدبه صاحب الحرمين الى السفارة عنه والرسالة منه الى الدولة المصرية فقدمها في شهر ربيع الاول سنة خمسين وخمسائة والخليفة بها يومئذ الامام الفائز بن الظافر الفاطمي والوزير له الملك الصالح طلائع بن رزك فلما حضر للسلام عليهما في قاعة الذهب في قصر الخليفة اتسدها قصيدة اولها .

الحمد ليس بعد العزم والعم	حمدا يقوم بما اولت من النعم
لا اجد الحق عندي لوكاب يد	تمت العلم فيها رتبة العظم
قوتين بعد مزار العز من نظري	حتى رأيت امام العصر عن أم
ورحن من كبة البطحاء والحرم	وفدا الى كبة المعروف والكرم
فهل درى البيت اني بعد فرقته	ما صرت من حرم الا الى حرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها	بين التقيضين من عفوه من نعم
وللامامة انوار مقدسة	يجلو البنيضين من ظلم ومن ظلم
ولنبوة آيات ننص لنا	على الخفيين من حكم ومن حكم
وللحكارم اعلام تلمنا	مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
ولعل ألسن نثني محامدها	على الحميدين من فعل ومن شيم

(١) راجع كتاب التكت المصرية في اخبار الوزراء المصرية وديوانه الذي طبعه المستشرق هاروتوين دارنبرغ في مدينة شالون على نهر صون من اعمال فرنسا سنة ٨٩٧ هـ وهو من مطبوعات مطبعة اللغات الشرقية الحية

وراية الشرف البذائع ترمقها يد الزفين من مجد ومن هم  
الى آخرها مدح به الخليفة ووزيره فاقبضت عليه الخلع المنهية واعطى خمسمائة دينار  
من مال الخليفة وأخرج له مثلاً من عند السيدة الشريفة بنت الامام الحافظ وأعطت له  
من دار الضيافة رسوم لم تطلق لاحد من قبله ونهاداه امرأه الفولة الى منازلهم للولائم  
وانثالت عليه صلات الخليفة فمن بعده من الوزراء وكبار عماله وقضى في مصر تسع عشرة  
سنة والدولة الفاطمية في اواخر ايامها تضعف وتقوى وتبطل وتعلو وكما مدح كبيراً قال  
جزيلاً وجميع شعره ونبه الماعاني الجميدة المصورة اجسن تصوير يدور على غرض مدح الكبراء  
واغراض من السياسة فتقضيها حال من يدخل في غمارها .

جاء عمارة سفيراً الى ملك مصر فطلب له المقام فيها وابوصمه دار باب السلطان برآ لا على  
انه شاعر يطلب الجواز بل على انه سياسي له ضلع في احوال اليمن والحجاز وقد كان الفاطميون  
على عهده يملكون الحجاز وتطمع نفوسهم الى امتلاك اليمن فغري بين كان مثل عمارة ان  
يؤمل منه ان يسهل لهم اسباب فتحها ولذلك انتهالت عليه الصلات اي انه يبال وعاش عيشة  
امير لا عيشة شاعر . ذكر ذلك في كتاب التكت المصرية وكثيراً ما يذكر مقدار ما نجود  
به عليه ايدي الامراء من الارزاق والاموال حتى صار اذا تأخروا عنه خنوم بتابل من  
شعره فيعودون الى ما عودوه عليه . قال عمارة في مدح شاور وزير الفاطميين .

حمي الوطنيس نخاضه بزائم علق حسن الصبر من لم يصبر  
فمخير الحديد من الحديد وشاور في نصر آل محمد لم يصبر  
حلف الزمان ليأتين بثلثه حشمت بينك بازمان فكفر  
بافانها شرق البلاد وغربها ههناك انك باث الاسكتور

قال وكانت هذه الايات من احد الاسباب التي قوت عرب على الاستغناء عن عمل  
الشعر لان الناس فيما تقدم كانوا يمتنون الشعراء باليس فوقها في الجودة الى ان يقول: ورأيت (شاور)  
يوماً وقد انشرح صدره فقلت له ان لي مدة تنازعني النفس في الحديث معك في حاجة وقد  
عزمت ان اقولها لك فان قضيتها والا كنت قد ابلت عن نفسي عنك قال: وما هي .  
قلت: تعفي من عمل الشعر ونقل الجاري على الخدمة واتباً على حكم الضيافة فاني ارى  
الكسب بالشعر والنظر به نقصة في حق قال: ما منعك ان تستعفي في ايام الصالح واجه  
قلت: كانت في اسوة وسلوة بالشيخ المجلس ابن الحباب وابني الزبير الرشيد والمهذب وقد  
انقرض الجيل والنظرة قال: تعفي ثم امر بانشاء مجمل باعفاني واخذ عليه خط الخليفة  
وخطه بذلك .

وبهذا عرفت ان اخلاق عارة كانت لاول امرها تأني الدخول في زمرة الشعراء والارتزاق من طريق الشعر ولكن عاد يتناول الجوائز من الخليفة فمن دونه من ارباب الدولة الا انه لم يكن في اختلافه كالشعراء في العادة بل كان كثيراً ما ينصح للعطاء من القواطع ولا يخاف بأسهم وسوطهم قال : ولما عاد (شاوَر) من حصار الاسكندرية اكثر من سفك الدماء بغير حق وكلن بأمر يضرب الرقاب بين يديه في قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب القتلى الى خارج الدار فأتى الجماعة ان يحمل قصيدة في هذا المعنى فقلت :

الا ان حد السيف لم يبق خاطراً      من الناس الا حائراً يتردد  
ذمرت الورى حق لقد خاف مصح      على نفسه اضعاف ما خاف مفسد  
فأحمد شقار المشرفي وعد بنا      الى عادة الاحسان وهي التعمد  
فان يروق الماضيات وصوتها      رواعد منهن القرائن ترعد  
وان صليل السيف الخش نثمة      تظل تنفي في الطلى وتفرود  
تجاوز والا فالقطم خيفة      يذوب وماه النيل لاشك يحمد

ومع ما كان يترفع به رجال الفاطميين ويخوفهم من ارتكاب الظلم كانوا يرتاحون اليه هذا وهو سني غي وهم شيعة محض حتى اراده بعض أمراءه وهو الصالح بن رزيك ان يعود متشيعاً ويأخذ منه ثلاثة آلاف دينار فأبى .

ولطالما كانوا يطلقون الرواتب ويخلعون عليه الخلع ويرسلون اليه باردبات من الخنطة والشعر والبايج من السكر وكالكج كبار من الزيت الطيب وغرفان رضع سمان وله قصائد ومقطوعات يصح ان تدرج في باب الشعر الاجتماعي لما فيها من المعاني الغريبة فيما قاله في مدح شمس الدولة .

العلم مذكاف محتاج الى العلم      وشفرة السيف تستغي عن القلم  
وخير خليك ان صاحبك في شرف      عزم يفرق بين الساق والقدم  
ان العالي عروس غير واقمة      ان لم تخلق رداءها يرشح دم  
نرى سامع غر الدين تسمع ما      املاه خاطر افكاري على قلبي  
فان اصبحت قلبي حظ المصيبون      اخطأت قصدك فاعذري فولا تلم  
لا يدرك الجيد الا كل مقهم      في موج ملتطم او فوج مضطرم  
لا يقتض الخطرة الاولى بدنية      ولا يفكر في العقي من الندم  
كأما السيف افتاء وقال له      في فتح مكة حل القتل في الحرم  
ولم يراعوا الحثان ولا عمر      ولا الحسين دعام الاشهر الحرم

فما تروم سوى فتح صوارمه  
حتى كأن لسان السيف في يده  
هذا المحدث منه في ثيابك يا  
هذا ابن ثورت قد كانت بداجه  
وقد ترمى الى ان امسكت يده  
وكان اول هذا الدين من رجل  
والنيث فهو كما قد قيل اوله  
والبدريدو هلالا ثم يكشف  
نموقى الشئ والتدريج ان رزقت  
حاسب ضميرك عن رأي اناك وقل  
وقال من قصيدة

هل القلب الا بضعة يتشاب  
ام النفس الا وعدة مطرشة  
فلا تازمن الناس غير طبايعهم  
فانك ان كشفتهم ربما اغفل  
تشاركهم ما تاركوك فانهم  
ولا تغتر منهم بحسن بشاشة  
واصح الى ما قلته ننتفع به  
فما شكر الايام معرفتي بها  
واني لا أقوم بجذيل محكمك  
علم بما يرضى المروءة والتقى  
حلت افانق الزمان براحة  
وصاحب هذا الدم حتى لقد ضمت  
ودوخت اقطار البلاد حكا اني  
وعاشرت اقواما يزعمون كثرة  
فما راقتي في لوضهم قط مرتع  
تراني واياهم غريبين كلنا  
فنعدم دنيا وحددي فضيلة

به حاطر يرضى مرورا  
تفيض شعاب الهم من راس  
فتشعب من طول العناء  
رمادم عن جرة تشعب  
الى الشرمذ كانوا من الخير اقرب  
فاكثر ايامض البوارق خطب  
ولا تطرح نصحي فاني محرب  
ولا انني ادري بين وادوب  
واني لا أقوم عذيق مرجب  
خبير بما آتي وما اغيب  
تدر بها اخلافه حين تحلب  
عجائبه من خبرتي تشعب  
الى الرمح اعزى الى الخضراء نسب  
على الالف اوعد المحاربين بحسب  
ولا شافني في وردم قط مشرب  
بما هذه من عزة النفس مخب  
ولا شك ان الفضل اهل واضب



على أن ما عندى يدوم بقاؤه  
 اناس مضي صدر من العمر عندهم  
 رجوت بهد نيل النور فوجدته  
 وكل عزم المدح بعد نشاطه  
 كأن القوافي حين تدعى لشكركم  
 اقوه يحق كلما رمت ذمهم  
 واصدق الا ان اريد مدحهم  
 ولو علوا صدق المدائح فيهم

وله في الوصف اشعار منها قصيدة يذكر فيها حريق منقرة بدر بن رزيك على الخليج  
 ويذكر داره الاخرى وما فيها من الستور وتساويرها ومقاطعها قال فيها :

تحترق دار الخليج وانما  
 طلبت بفاع الارض دون وهادها  
 او هل تزور النار ساحة جنة  
 اثبات فيها للبيوت بدائعا  
 فمن الرخام بصيرا ومسما  
 والناجيت الابوس كأنه  
 قد كانت منظرها بيبا رائعا  
 وكذلك جيد الطير يحسن عاطلا  
 البستيا يفيض الستور وحرها  
 فجالس كيت رقيقا ايضا  
 لم يبق نوع صامت او ناطق  
 فيها عذائق لم تجدها ديمة  
 والظهور مذوقت على اغصانها  
 لا تصدم الابصار بين مروجها  
 انبت بولق وحشا بيباعها  
 وفيها زرقا كانت رقابها  
 نوية الشئ تريك من الما  
 بجيت على الاغصان من ايجابها

على وينى المال عنهم ويذهب  
 أصعد ظني فيهم واضوب  
 كما قيل في الامثال عقاة مغرب  
 ندى ذمه عندي من المدح اوجب  
 على الجرعتشي او على الشوك تحب  
 وما غير قول الحق لي قط مذهب  
 فاني على حكم الضرورة اكذب  
 لكنت مساعهم تهش وتطوب

ثبت لمن يسري بها نار القري  
 فنوقدت في رأس شاحمة القري  
 اجريت فيها من نذاك الكثر  
 زفت فاذهل حسنها من ابصر  
 ومغنا ومدرها ومدنزا  
 ارض من الكافور ثبتت عنبرا  
 فجعلتها بالوشي ابعي منظرا  
 ويروقك البيت الحرام مستورا  
 فانت كزهر الورد ابيض احمر  
 ومجالس كيت طميا اصغرا  
 الا خدا فيها الجيع معوزا  
 ابدًا ولا نبتت على وجه الثرى  
 وشارها لم تستطع ان تنفرا  
 ليشا ولا غلبا بوجرة احضرا  
 فظباوها لا نتي اسد الشرى  
 سمع الطول اوية تؤم المسكرا  
 رقيقا ومن يزل للمبارى مشفرا  
 فظلمها لئيه تمشي البهرا

دارت الايام دورتها وكتب لصالح الدين يوسف ان قلب الدولة الفاطمية ويدل  
منها الامر للعباسية فاصبح شاعرا هذا بعد ان كانت خطابا للفاطميين فتدق عليه عندا قافرا  
عليه في الرزق يسأل فلا يجاب ويهر الا كف فلا تندی ويرضى خاله ويرضى بنوالة فلا يراه  
له وبقي اشهرا على هذه الحال وقد انقطعت عنه النعم السابقة فلم يجد له في اهل الحل والعقد  
في مصر من يعوضه عن بعض ما كان يتناوله فصار الى الحور بعد الكور وفوذ باقه من  
زوال النعم فكشب الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف قصيدة لم ينشدها وقد ترجمها  
بشكاية المظلم ونكابة المتألم وهي تعرب عا لي من الاياقي والشذائد قال :

ايا أذن الايام ان قلت فاسمعي	ثفتة مصدور وأنة موجع
وهي كل صوت تسمعين ندائه	فلا خير في أذن تنادي فلا تبي
فناصر لي خطب الزمان وباعه	فقصر عن ذمعي وقصر اذمعي
واخرجني من موضع كنت لهله	وازلني بالجود في غير موضعي
بسيف ابن مهدي وابناء فانك	اقض من الاوطان جنبي ومنهجي
فجئت مصرأ اطلب الجاء والغنى	فكلتها في ظل عيش منع
وزرت ملوك النيل اذ زاد نيلهم	فاحمد مرثادي واخصب مرثمي
وفزت بالف من ضليلة فائز	مواعبه للصنع لا للصنع
وكم طرفتي من يد عاجدية	سرت بين يفتى من عيون وجمع
وجاد ابن رزيك من الجاء والغنى	بما زاد عن مرثي زجاني وطمحي
واوصى الله سمعي ودافع شعره	خبرته مني باكرم مودع
وليست ايادي شاور بذمجة	ولا عهدا عندي بهد مفتع
ملوك رحوا لي حرمة صار نيتها	حشأ رحه الثايبات وما رمي
وردت بهر شمس الطايا لو قدم	كما قال قوم في على وتومع
مذاهبهم في الجود منع سنة	وان خالفوني في اعتقاد الشيع
فضل لصالح الدين والعدل شأنه	من الحكم المصني الى فادي
سكت فحالت ناطقات غرورتي	اذا حلقات الباب ملقن فادمي
فادلت ادوال الحب وقلت ما	أبالي بغير الطبع لا بالطلع
وجدي من الآداب بالورشه	تبعث لي غنوة اين للفتح
لقت لك ضيفا ثلاثة المنور	القول لمدوني كما خلق وسع
لعلني ظاني مخيلي ونسوتي	بما عفت من غدر خفيف فزع

فتوايكم لو قد سفي كل بلدة  
 وكم من ضيوف الباب بمن السانه  
 مشاوع من نعماتكم زرتها وقد  
 وضاعني اهل الديون فلم يكن  
 فيلارامي الاسلام كيف تركتها  
 دهرناك من قرب وبعد فني لنا  
 الى الله اشكو من ليالي ضرورة  
 خطا ولم نسالك صبرا وعفة  
 ولما اغص الرين مجرى حلوقنا  
 فان كنت ترحى الناس للفقه وحده  
 ألم ترحمني قناني واتم  
 وفري له في حيث لانت ناصر  
 ليالي لا فقه الرق بسجس  
 كاني بها من اهل فرعون مؤمن  
 امن حسنات الدهر ام سيئاته  
 ملكك عنان التصرف خذني  
 فحالك لم توسع علي وتلفت  
 فاما لاني لست دون معاشر  
 واما ما اوضحته من زنازع  
 وردي الوف المال لم التفت لما  
 واما فمن واحد من معاشر  
 فان محنتي نفلا ظفرت بمنلق  
 طباع وفي المطبوع من خطراته  
 سالك في دين ليالك مسقه  
 وهاجرت ارجومتك اطلاق راتب  
 ولينك فمن اطلق الشرق مطلق  
 وما اتانا الا قائم السيف لم يمن  
 وبالقوة في سلك عقد مداره

تفرق شمل النائل المتوزع  
 اذا قطعوه لا يقوم باصبع  
 تكرر بالاسكندرية مشرعي  
 سوى بابكم منه ملاذي ومنزعي  
 فريقي ضياع من عرايا وجوع  
 جوابك فالباري يجيب اذا دعي  
 رجنا بها نحو الجناح المرجع  
 الى ان عدنا بلفة المتقطع  
 اتيناك تشككو غصة المتوجع  
 فنه طرازي بل لتامي وبرقي  
 اجن شفيع عند اعلى مشفع  
 بضرب عقبات ولا ضمن شرح  
 تبصر ولا ربح الثبات يزعرع  
 اصارع عن ديني وان حان مصرعي  
 رضاك عن الدنيا بما فلت معي  
 وحالي برأي من علاك وسمع  
 الي الثقات التسم المشيع  
 فحت لم باب العطاء الموسع  
 عصفت على ديني ولم انزعزع  
 ببيني ولم احبل ولم انطلق  
 هو النظم الا انه نظم مبدع  
 وان محنتي ثرا ظفرت بمصنع  
 غنى عن افانين الكلام المصنع  
 وأزمتيه بكارها غير طبع  
 قرر من ازمان كسرى وتبع  
 لتلم نبي ان عجمت وغرومي  
 يكشف ودر لم يهد من موصع  
 على خرزفت من هقيق مجزع

وكم مات فضاخ السان من الظما  
فيا واصل الارزاق كيف تركتني  
اعتدك اني كلما عطس امروء  
ظلامه مصدوع الفؤاد فهل له  
واقسم لو قالت ليايك قلدي  
غدا الامر في ايسال رزقي وقطعه  
كذلك اقدار الرجال وان غدت  
فيا زارع الاسلام في كل تربة  
فصندي اذا ما العرف ضاع غريبه  
وقد صدرت في طي ذات الظم رقعة  
أريد بها اطلاق ديني ورأيتني  
وييني وبين الجاه والعز والغنى  
وما هي الا مبدية نستلذها  
الى هاهنا انهي حديثي وانتهي  
فانك اهل الجود والبر والثقي

هذا ما قاله عارة لما ضاقت عليه الدنيا والتألم انه في تلك الحال نظم قصيدته المشهورة  
يرثي بها القاطمين ويعرض بصلاح الدين التي يقول في مطلعها ( القنيس - ٢ : ٦٤٧ )

وميت يادمر كف الحمد بالشلل وجيده بعد حل الحسن بالطلل

وفي ذاك الحين اخذ يدبر مكيده على صلاح الدين يريد وجاعة من رجال القاطمين  
الوثوب به وافترق رأيهم كما قال ابن الاثير على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام  
الى ديار مصر على شيء بذلوه لم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين  
بنفسه اليهم ثاروا م في القاهرة ومصر واعادوا الجولة العلوية وعاد من معه من المسكر الذين  
واقفهم عنه فلا بقي له مقام مقابل الا في فرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل السالكين  
اليهم ثاروا به واخذوه اخذاً باليهم لعدم الناصر له وقال لم عارة : وانما قد اصبحت اخاه الى  
الين خوفاً ان يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بهذه وارسلوا الي الفرنج وصقلية والساحل في  
ذلك ونقررت القاعدية بينهم ولم يبق الا رحيل الفرنج وكان من ابلغ الله بالسليمان بان  
الجماعة المصرية ادخلوا معهم زين الدين علي بن ابي العواظ والقاضي المعروف بابن بجة  
ورتبوا الخليفة والوزير والخاص والخاصة الا ان بني رزيت قالوا يكون الوزير  
الجلد ٣ ( ٢٣٢ )

منا ونبي شاور والقاضي قالوا يكون الوزير منا - فلما علم ابن نجاشي الحال حضر عند صلاح الدين واعلم حقيقة الامر فامره بجلازتهم ومخاطبتهم على ما يريدون يفعلونه وترفه ما يتجدد اولاً بأول ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه ثم وصل رسول ملك الفرنج بالساحل حميدة ورسالة وهو في الظاهر اليه واباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض التحدى وتأتيه رسلكم فاتي صلاح الدين من بلاد الفرنج بجيلة الحال فوضع صلاح الدين على الرسول من يثق به من الصاري وداخله فاخبره الرسول بالخير على حقيقته فقبض حينئذ على المتقدمين في هذه الحادثة ومنهم عمارة .

وذكر صاحب الكامل انه كان بين عمارة والقاضي الفاضل عداوة من ايام العاضد وقبلها فلما اراد صلاح الدين صلبه قام القاضي الفاضل وخاطب صلاح الدين في اطلاقه وظن عمارة انه يجرسه على حلاكه فقال لصلاح الدين : يا مولانا لا تسمع منه في حق ففضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة : انه كان يشفع فيك فندم ثم اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمر به على مجلس الفاضل فاجازوا به عليه فالتق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة : عبد الرحيم قد احتجب انت الخلاص هو العجب

## المرة اليتيمة

لا بن المقفع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين . قال عبد الله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجساداً واوفر مع اجسادهم احلاماً واشد قوة واحسن يقوتهم للامور اثقاً واطول اعماراً وافضل باعارهم للاشياء اختياراً فكان صاحب الدين منهم ابلغ في امر الدين علماً وعملاً من صاحب الدين منا وكان صاحب الديار على مثل ذلك من البلاغة والفضل وجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من علم الاولى والاخرة فكاتبوا به الكتب الباقية وكفونا به مؤونة التجارب والفتن وبلغ من اعتناهم بذلك أن الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم والكلمة من الصواب وهو باليد غير المأمول فيكتبه على العصور مبادرة منه للاجل وكرامية لان

يسقط ذلك على من بعده (١) فكان منجمهم في ذلك منجم الوالد الشفيق على ولده الر  
بهم الذي يجمع لم الاموال والعقد (٢) لارادة ان لا تكون عليهم مروة في الطلب وخشية  
عجزهم لو لم طلبوا فتنهى علم عالما في هذا الزمان ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محدثنا  
ان يقتدي بهرهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثا ان ينظر في كتبهم فيكون  
كأنه ايام يحاور ومنهم يستمع غير ان الذي نجد في كتبهم هو المختل في آرائهم (٣) والمختل  
من احاديثهم ولم نجد نادرنا شيئا يجدا واغـ بلـغ في صفة له مقالا لم يسبقوه اليه  
لا في تعظيمه عز وجل وترغيب فيما عنده ولا في تصغير الدنيا وتزجيد فيها ولا في تحرير  
صنوف العلم وتقسيم اقسامها وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين ما خفاها ولا سيـ وجه  
الادب وضروب الاخلاق فلم ينق في جليل من الامر لقائل بعدم مقال وقد بقيت اشياه  
من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من حكام الاولين وقولهم ومن  
ذلك بعض ما انا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

يا طالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيرا من الناس يطلبون الفصول مع  
اضاعة الاصول فلا يكون دركهم دركا ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول وان  
اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل

فاصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجنب الكبار وتؤدي القرية  
فازيم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفه عين ومن يعلم انه ان حرمة هلك ثم ان قدرت  
ان تجاوز ذلك الى الثقة في الدين والعبادة فهو افضل واكمل

واصل الامر في اصلاح الجسد ألا تحبل عليه من المأكـ كل والمشارب والباه الا خفافا  
وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو افضل  
واصل الامر في البأس ألا تحدث نفسك بالامـ دار واصحابك مقبلين على عدوم ثم ان  
قدرت ان تكون اولـ حامل وآخر منصرف من غير تضيق للمعـ فهو افضل

واصل الامر في الجود ألا تقص بالحقوق عن اعلمها ثم ان قدرت ان تزيد ذا الحق  
على حقه وتطول على من لا حق له فافضل فهو افضل

واصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ (٤) ثم ان قدرت على بارح  
الصواب فهو افضل

(١) اي يضع عليه (٢) المقد جمع مقددة وهي المقار ونحوه يقال اعتقد فلان مقددة  
اذا اشتري ضيعة او اتخذ مالا من عقار وغيره (٣) المختل المختار (٤) السقط المحذون  
الجلأ من القول والفعل ورديـ المحتاج

وأصل الامر في الهيئة ان لا تأتي عن طلب الحلال وان تحسن التقدير بما تفيد وما  
تنتفي ولا يترك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطراً احوالهم الى  
التقدير والمالوك احوج الى التقدير من السوق لان السوق قد يمشي بغير مال والمالوك لا  
قوام لم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق والعطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل  
وانا واعظك في اشياء من الاخلاق الطيبة والامور النافعة التي لو حثكتك من  
كنت خليفاً ان تعلمها ولن لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض (١)  
تسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساوئها فان الانسان قد يتبدل اليه في شبيبته  
المساوي وقد يطلب عليه ما يبدل اليه منها

ان اجليت بالامارة فتعود بالسلام واعلم ان من العجب ان يبتلى الرجل بها فيريد ان  
يتحصن من ساعات نصب وعمله فيزيد ما في ساعات دعوته وشهوته وانما الرأي لهو الحق عليه  
ان يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وجديته وطمه ونسائه فاذا  
نقلت شيئاً من الاعمال فكأن فيه احد رجلين اما رجلاً مقتبطاً به فحافظ عليه مخافة  
ان يزول عنه ولما رجلاً كارهاً فلكاره عامل في سحره اما للمالوك ان كانوا هم سلطوه واما  
له ان كان ليس فوقه غيره

اياك اذا كنت والياً ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك  
منك فتكون ثقة من التأم (٢) يتحمون عليك منها وياكاً يفتخونك منه وغيبة يتأبرونك بها  
ويضحكون منها . اعلم ان قابل للمدح كادح نفسه والمروء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي  
يحملة على رده فان الراد له محمود والقابل له معيب .

لكن حاجتك في الولاية اني ثلاث خصال رضى ربك ورضى سلطان ان كان فوقك  
ورضى صالح من تلي عليه وما عليك ان تلي (٣) عن المال والذ كرفياً تيك منهما ما يكتفي  
ويطيب واجل الخصال الثلاث يمكن ما لا بد لك منه والمال والذ كرمكان ما انت  
واجد منه جداً . (٤)

اعرف لعل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك  
ويطاعتك وتقاتلك ولا يخذلن في روعك أنك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك  
الحاجة الى رأي غيرك فانك لست تريد الرأي للاختصار به ولكن تريد للاقتناع به ولوانك

(١) راضى نفسه على الشيء اكثر من استمالها فيه ليسلس وهو من قولهم راض المهر  
رياضة (٢) الثقة في الحائط وغيره الخلل وفيها ثم مثل غرفة وغرف (٣) لمي عن الشيء  
سلا عنه وترك ذكره (٤) قد استعمل بدا هنا في الاثبات وقد قال بعضهم انه لا يعرف

مع ذلك اودت الذكركان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا يتفرّد برأيه دون استشارة ذوي الرأي

انك ان تلقى رضى جميع الناس تلقى ما لا يدرك وكيف يلقى لك رأي المخالفين وما حاجتك الى رضى من رضاء الجور والى موافقة من موافقة الضلالة والجهالة فعبك بالناس رضى الاختيار منهم وذوي العقل فانك متى نصب ذلك تضع عنك مؤنة ماسواه لا تمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سوام من الاجترار عليهم والعب لم تصرف رعبك ابوابك التي لا يبال ما عندك من الخير الا بها والابواب التي لا يخافك خائف الا من قبلها . احرص الحوص كله على ان تكون خبيراً بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان الحسن يستبشر بعلمك قبل ان يأتيه معروفك

يعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك انك لا تعاجل بالثواب ولا بالمعاقب فان ذلك ادمٌ لحوف الخائف ورجاء الراحمي

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي التعصية والتقييد برأيه قوم وينظم ولا تسهل سبيل ذلك الا لاهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجرى به به سفيه او يستغل له شأن

لا تترك مباشرة جميع امرك فيعود شأنك صغيراً ولا تلتزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً

اعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للهم وان مالك لا يفي الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق وان كرامتك لا تطبق العامة فتوخ بها اهل الفضائل (١) وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيها وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه من السنة (٢) فأحسن تقسيمه بين دعتك وعملك

واعلم انك ما شغلت من رأيك بغير المهم ازرى بالمهم (٣) وما صرفت من مائتك بالباطل فقد ته حين تريده لثقي وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اخر بك في الهجر عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازرى بك في الحاجة انك ان من الناس ناساً كثيراً يبلغ من احدم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك

استعماله الا مقروناً بالثاني يقال لا بد من كذا اي لا يحيد عنه ولا حوض منه (١) توخيت الشيء تحريته وقصدته (٢) المدة بالفتح الراحة والسكن والوديع الساكن (٣) ازريت به نصرت به وحفرت



على الكلوخ (١) والتغليب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والمقبولة لمن لم يكن بهد بعقوبته وسوء النماية باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى ان يبرح بالامر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن اعطاه ويكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالاً من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم سيف غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقله او يقبضه المش من يعاقب في غضبه غير من اغضبه ويحبو عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزاً في صفته

اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك وتزل الساخط منهم منزلة الراعي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن القليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلهب ساعة ودمار دهر .

اذا كان سلطانك عند جذوة دولة فرأيت امراً استقام بغير رأي واعواناً جزوا بغير نيل وعملاً انجح بغير حرم فلا يفرئك ذلك فلا تستنم اليه فان الامر الجديدي مما تكون له سبابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين فيعين قوم بانقسم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كُن من الامر يفي على غير اركان وثيقة ولا عماد محكم اوشك ان يتداعى ويتصدع لا تكون نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فان احدهما من الكبر والاخرى من السخف

اذا كُنت لا تضبط امرك ولا تصول على عنوك الا بقوم لست متعم على ثقة من رأي ولا حفاظ من نية فلا تنفعك نافعة حتى تحوّل ان استطعت الى الرأي والادب الذي يثله تكون الثقة او تستبدل بهد ان لم تستطع تقلع الى ما تريد ولا تفرئك قوتك بهد وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذي يهايه من نظرائه وهو لمركبه اهيب

ليس لملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته . وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد . وليس له ان يعزل لانه اقل الناس تنزراً في تخوف الفقر وليس له ان يكون حقوداً لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس . وليتق ان يكون حلاًفاً فاحق الناس باتقاء الايمان الملوكة فانما يحمل الرجل على الحلف احدى

هذه الخلال إما بهانة يجدها في نفسه وضرع<sup>١</sup> وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عي<sup>٢</sup>  
بالكلام حتى يحصل الايمان له حشواً ووصلاً واما نعمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو  
ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله الا بعد جهد اليقين واما عبث في القول اولو ارسال  
اللسان على غير روية ولا تقدير  
لا عيب على الملك في تغيثه ونعمه اذا تعهد الجسم من امره وفوض ما دون ذلك  
الى الكفاة .

كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتم نظره بين الرية وقلبه بعين المقت  
فانهما يريان الجور ويحملان على الباطل ويقيمان الحسن ويحسنان التبليغ وحق الناس  
بانهم عين الرية وعين المقت الملك الذي ما وقع في قلبه رابع ما يقبض له من تزوين  
القرناء والوزراء وحق الناس باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والبصير الوالي الذي  
ما قال او فعل كان امراً نافذاً غير مردود .

ليعلم الوالي أن الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسبات الود فليكبد قرض قولهم  
وليبتل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التي يوصفون بها  
لينفق الوالي فيما يشفق من امور الرعية فاقلة الاحرار منهم فليعمل في مدحها وطينان<sup>٣</sup>  
السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع والشم الشعبان فانما يصلي الكريم اذا  
جاع والشم اذا شبع

لا يصدقن الوالي من دونه فانه في ذلك اقل ظرواً من السوق التي اتما تحسد من  
فوقها وكل لا عذر له

لا يلومن الوالي على الزلة من ليس يتعم على المرض على رضاه الا لو لم ادب ونحوهم  
ولا يمدلن بالجهتد في رضاه البصير بما يأتي احداً فانهما اذا اجتمعا في الوفر او الصاحب  
نام الوالي واستراح وجلبت اليه حوائثه وان هدأ عنها وعمل فيما يهيمه وان نخل  
لا يولمن الوالي بسوء الظن لقول الناس وليحصل لحسن الظن من نفسه نعيماً موفوراً  
يروح به عن قلبه ويصدر به افعاله

لا يضعين الوالي الثبت عند ما يقول وعند ما يعطي وعند ما يخطي فان الرجوع  
عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع  
بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأني فيه احسن من الامساك عنه بعد  
الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى الثبت واحوجهم اليه ملوكهم الذين لهم قولهم وفعلهم  
دافع وليس عليهم معش

ليعلم الناس ان الناس على رأيه الا من لا بال له منهم فليكن للبر والمروءة عنده  
تفاق فيكسب ذلك الجور والدناءة في آفاق الارض (١)  
جامع (٢) ما يحتاج اليه الوالي رايا ان رأي قوي سلطانه ورأي يزيه سيفه الناس  
ورأي القوة لهما بالبداة (٣) واولاهما بالأثرة ورأي الذين احضرها حلاوة واكثرهما  
اعوانا مع لمن القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه  
ان شغل بصية الملوكة فليكن بطول الرابطة (٤) في غير معاتبة ولا يجد كن لك  
الاستكباب لله ولا يهاونا

اذا رأى من احدم يحملك احق فاجعله اباً ثم ان زادك فزده  
اذا تولد من ذي منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توفيراً واجلالاً  
من غير ان يمدك ودّاً ولا نصحاً وانك ترى حقاً له التوفير والاجلال وكن في مداراته  
والرفق به كاللائف (٥) ما قبله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من  
اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأيت الرجل المدر على ذي السلطان بقدمه  
قد احضر به محمه  
لا تعجز الا الى من يجب ان يجد لك عذراً ولا تستعين الا بمن يجب ان يظفر  
لك بمحبتك .

لا تحديق الا من يرى حديثك مغنياً ما لم يملك الاضطرار  
اذا غرحت من المبروف غرماً وافقت عليه نفقة فلا تفنن بالنفقة في تربية ما غرست  
فذهب النفقة الاولى ضياعاً  
اذا اعترف اليك معتذر فلقه بوجه مشرق وبشر طليق الا ان يكون ممن قطعته غنية  
اعلم ان اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . زينة في الرخاء . وعدة في الشدة .  
ومعونة في المعاش والمعاد فلا تفرطن في اكسابهم واجفاء الصلات والاسباب اليهم  
اعلم انك واجد رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الابهة (٦)  
التي قد تستري اهل المروءة تفهيم منكم كثيراً ممن يرغب في اناهم فاذا رأيت احداً من  
اولئك قد حضر به الزمان فاقفه

(١) كبد الشيء ثم ينفق لقلة الرغبات فيه ويعدى بالهمزة فيقال اكسده الله (٢) جامع  
الشيء بالكسر ما يجمعه ومنه انجر جامع الاثم (٣) البداوة اسم من بدأ واما البداية بالياء  
فهو طوي (٤) الرابطة العلقة والوصلة وهذا المعنى غير مناسب لهذا الموضع فليعلم بحرفة من  
الرياضة (٥) احتصف الشيء واستأنفه اخذ فيه وابتدأه (٦) الابهة كسكرة العظيمة والقوة

إذا عرفت نفسك من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن من المعاهد  
في كل كلمة فان ذلك شبه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما  
عظمه ووقره .

ان استطعت الا تصحب من صحبت من الولاة الاعلى شعبة من قرابة او مودة  
فافل فان اخطأك ذلك فاعلم أنك تعمل على عمل السفرة وان استطعت ان تحمل صحبتك  
لمن قد عرفك منهم بصالح مروءتك (١) قبل ولايته فافل

ان الوالي لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولي فكل الناس يلقيه  
بالتزين والتصنع وكلم يحتاج لان يثنى عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والانذال  
هم اشد له لذلك تصنعاً وعليه مكايمة وفيه قحلاً فلا يجتمع الوالي وان كان بليغ الرأي والنظر  
من ان ينزل عنده كثير من الاشرار بمنزلة الاخبار وكثير من الخائنة بمنزلة مناهو كثير  
من الفدرة بمنزلة الاوفياء ويغفل عليه امر كثير من اهل الفضل الذين يصنونون أنفسهم  
عن العمل والتصنع

لا يفرقك الولاة بالموى في بلد من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان  
تحتاج فيها الى حكاية او مشاهدة فتتهم في ذلك واذا اردت ان يقبل قولك فصمح رأيك  
ولا تشوبه بشيء من الموى فان الرأي يقبله منك المدعو والموى يرده عليك الوالي واحق  
من احترمت من ان يظن بك خلط الرأي بالموى الولاة فتأنها خديعة وخيانة وكفر

ان اجليت بصحة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم انك قد مضيت بين خلتين ليس  
بينهما خيار اما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على  
الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الحرب . واعلم أنه لا ينبغي لك وان  
كان الوالي غير مرضي السيرة اذا غلفت حبالك بجبله الا المحافظة عليه الا ان تحد الى  
الفراق الخليل سبيلاً

تبصر ما في الوالي من الاخلاق التي تحب والتي تكره وما هو عليه من الرأي الذي  
يرضى له والذي لا يرضى ثم لا تكايره بالقول له بما يحب ويكره الى ما تحب وتكره فان  
هذه رباضة صعبة تحمل على التثاني والقل

اعلم انك قلما تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالكايمة والمناقضة وان لم  
يجمع عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه ونسب له منه وتقويه فيه فاذا

(١) المروءة بضم الميم آداب قسائية تحمل الانسان على الوقوف ضد محاسن الاخلاق  
وجليل المعادات وقد تشدد فيقال مروءة

قويت منه الحسن كانت هي التي تكفه عن المساوي وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك هو الذي يعمره الخطأ بالطف من تبصرك واعتدل من حركك في نفسه فإن الصواب يريد بعضه بسفاه ويدعو بعضه الى بعض فإذا كانت له مكانة انقلع الخطأ فاحفظ هذا الباب واحكمه . ولا يكون طلبك ما عند الوالي بالمسألة ولا تستبطئه وان ابسطا ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له واستأن وإن طالت الأناة (١) فانك اذا استحققت اناك من غير طلب وإن لم تستبطئه كان اعجل له

لا تخبر الوالي أن لك عليه حقا وانك تمتد عليه بلاء وإن استطعت ان ينسحقك وبلاءك فاضل وليكن ما تذكره من ذلك تجد يدك له النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر يذكره أول بلاءك

واعلم ان ولي الامر اذا انقطع عنه الآخر نسي الاول وإن انكسر من اولئك ارحامهم مقطوعة وجواهر مصرومة الا عمن رضوا عنه واغنى عنهم في يومهم وساعتهم اياك ان يقع في قلبك تشب على الوالي او استزادة له فانه ان آتت ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليما وبدا على لسانك ان كنت سفها وان لم يزد ذلك على ان يظهر في وجهك لا من الناس عندك فلا تأمن أن يظهر ذلك للوالي فابت الناس اليه بحورات الاخوان سراخ فاذا طهر ذلك للوالي كان قلبه هو امير الى التعتب والتعزز من قلبك فحق ذلك حناتك الماضية واشرف بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستديرا وتلقى مرضاته مصعبا

اعلم ان اكثر الناس عدواً مجاهرا حاضرا جريئا واشيا وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منقوس (٢) عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غيره غير أنه يمتدح عليه ولا يمتدح على ذلك لان من حاسديه ابناء السلطان الذين يشاركونه في المدخل والمنازل وم وغيرهم . عدوه الذين هم حضاره ليسوا كعدو من فوقه الثاني عنه الجحتم منه وم لا يقطع طمعهم من الظفر به فلا يفلون عن نصب الجبابل فاعرف هذه الحال والبس لعدو القوم الذين هم اعدائك سلاح الصحة والاستقامة وزوم الحجة فيا تسر وتعلن ثم روج من قلبك كأنه لا عدو لك ولا حاسد وإن ذكرك ذا كر عند ولي الامر بسوء في وجهك اوفي غيبك فلا يرين منك الولي ولا غيره اختلاط لذلك ولا اغتيالاً ولا يقمن ذلك موقع ما يكرئك فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك امورا مشبهة

(١) استأن في الامر تأتي فيه ولم يعجل والامم منه أناة بوزن حصة (٢) نفس عليه

بغير حسده عليه ولم يره له اهلا ونفس بالشئ من به وهو من باب سلم

بالرب مذكرة لما قال فيك العائب وإن اضطرك الأمر في ذلك إلى الجواب فإياك ويزور  
الغضب والانتقام عليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تشك في أن القوة والغلبة تعلية أيد  
لا تحضر عند الوالي كلاماً لا يعني ولا يؤمر بحضوره إلا لعناية به أو يكون جواباً  
بالشيء مثلت عنه ولا تعدن شتم الوالي شيئاً ولا اغلاظه اغلاظاً فإن ربح المز قد تبسط  
الأسان بالقاف في غير مخطط ولا بأس

جانب المستوط عليه والظنين (١) به عند الولاية ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا تظهرن  
له ذرراً ولا تشين عليه خيراً عند أحد من الناس فإذا رأيته قد بلغ من الإعتاب (٢)  
مما سخط عليه فيه ما ترجوان يلين له الوالي واستيقنت أن الوالي قد استيقنت بابتدائك إياه  
وشدتك عليه فضع عنقه عند الوالي واعمل في إرضائه عنه في رفق ولطف

ليعلم الوالي أنك لا تستكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك أن تقدم إليه القول عند  
بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستطاعة من الأعمال التي يكرها ذو الدين وذو العرض  
وذو المروءة من ولاية القتل والمذاب واشباه ذلك

إذا أصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك تنفيراً على أحد من أهله  
وأعوانه ولا استغفنا عنهم فانك لا تدري متى ترى أذى جفوق فندل لم فيها وفي تلون  
الحال عند ذلك من العار ما فيه

ليكن مما تحكم من أمرك أن لا تسار أحدًا من الناس ولا تهمس إليه بشيء تحقبه  
عن السلطان فإن السرار مما ينجل إلى كل من رآه أنه المراد به فيكون ذلك في نفسه حكمة  
ووغراً وثقلاً (٣)

لا تنهون برسالة الكذبة (٤) عند الوالي أو غيره في المزل فإنها تسرع في رد  
الحق وإبطال الصدق مما تأتي به

نكب فيما بينك وبين الوالي خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء  
الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن اثر أو صواب رأي أنه هو عمل في ذلك أو اشار  
به وإقراره بذلك إذا مدحه مادم بل وإن استطعت أن يعرف صاحبك أنك نكبه (٥)

(١) الظنة بالكسر التهمة والظنين المتهم (٢) الاعتاب مصدر قولك احبني فلان إذا  
عاد إلى مسرتك راجعاً عن الاساءة (٣) الحسيكة الضغن والمداوة - الوغر شدة النيط  
وهو مأخوذ من الوغرة وهي شدة توقد الحر (٤) الكذبة بفتح الكاف وسكون التال وجمهها  
كذبات بفتح التال (٥) يقال ينجله القول إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره

صوب رأيك فقلنا عن انك تدعي حوايه وتُسند ذلك اليه وتزيه فان الذي انت  
أخذ بذلك أكثر مما انت معطر بأضعاف

إذا سأل لوالي غيرك فلا تكون أنت الجيب عنه فان استلابك الكلام خفة بك  
واستخفافك منك بالمسؤول وانسائل . وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت او  
قال لك المسؤول عند المسألة يباد له بها دونك فاجب . واذا لم ينصب السائل في المسألة  
لرجل واحد جمع بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلسة ولا تواب  
الكلام موافقة هن في ذلك مع شين التكلف والخفة أنك اذا مبيت القوم الى الكلام  
صاروا بكلامك خفاء فيستقيونه بالعيب والطعن واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم  
اعتبرت ظهورهم على عينك ثم تديرتها وفكرت فبنا عندك ثم هيأت من تفكيرك وحاسن  
ما سمعت جولي رصيا واستديرت به اقاويلهم حتى تصيح اليك الاسماع ويبدأ عنك المصوم  
وان لم يهلك لكلام حتى يكفى بنيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب  
عندك ولا من القبح في تسك فوف ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير من سوء  
وضعه وان كنت واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مئة كلمة امثالها في غير فرصها  
ومواضعها مع ان كلام الجملة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان غلب صاحبه ان  
قد اتقن واحكم .

واظن ان هذه الامور لا نزال الا برحب الدرع عند ما قيل وما لم يقل فقل الاعظام  
لا ظهر من الروعة ولم يظهر ومخافة النفس عن كثير من الصواب مخافة الاخلاف والعجالة  
والحسد والمراء

اذا كانك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا  
قلبك بمحدث نفسك واحذر هذا من تسك وتصد ما فيه

لرفق بطرائك من وزراء السلطان ودخلاته واتخذهم اخوانا ولا تتقدم اعداء ولا  
تنافس في النكته يقرّبون بها والعمل يؤمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان  
يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يدو ذلك ويحتاج اليه ويلتس منك وانت  
مجل واه ان لا يكون ذلك عندك فما انت مضرب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملايتك  
وما انت واجد في موافقتك ايام وليتك لم من موافقتهم اياك وليتهم لك افضل مما انت  
مدركه بالخاصة والمناظرة

لا تجترن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك  
فانا قد رأينا الناس يرفعون فضل الرجل ويقادون له ويشلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا

ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه في الرأي والعلم فضل فاجترأوا عليه باغلاف والنقض فان ناقضهم كان كاحدم وليس بواجب في كل حين سامعاً فعمياً وقاضياً عدلاً وان ترك مناقضهم صار مغلوب الرأي مردود القول

اذا اصبحت عند الوالي لطف منزلة لفتاه (١) يحده عندك او هو يركون له فيك فلا تعلم من كل الطامح ولا تزين لك نفسك المزايلة له عن اليقظة وموضع ثقته وسره قبلت بان ثقته وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفة قد يبتلى بها الخلاء عند الدنو من ذي السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد فضل يظنه في نفسه او نقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيبة من السوق (٢) اليقظة وانيس قد عرف روحه واطلع على قلبه فليست عليه مؤونة في تبدل جيل له عنده او رأي يستنزه منه او سر يفضيه اليه غير ان تلك الانسة (٣) وذلك التبذل يستخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدد ولو التمس ملتصق مثل ذلك عند من يستأنف ملاحظته ومؤانسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به من هو دون ذلك في الرأي من قد كفي مؤانسته ووقع على طباعه لان الانسة روج القلب والوحشة روج عليه ولا يطاق (٤) بالقلوب الا لان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امراً ذا مؤونة فاذا كلفتك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقدتها عن ذلك بعمرة فضل الايف والائيس واذا حدثتك نفسك او غيرك من لعله يكون له فضل سيف المروءة انك اولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلاته وثقاته فاذا ذكر الذي عليه من حق اليقظة وثقته وانيس في التكرمة والذي يعينه على ذلك من الرأي انه يجد عنده من الالف والانس ما ليس واجداً عند غيره فليكن هذا مما تحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عند الرجل ورأيه والرأي فيه لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على التجول دون انيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهما لك

اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبية حديث اما عن بلد من البلدان او غريب من وضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي وعند ما يقرم به الرجل من ذلك يبدو منه الضحيف ويخوف منه المهرى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند اولي الامر خاصة

(١) الفتاة بالغنى انكفافية (٢) السوقة خلاف الملك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر المؤنث ورجما جمع على سوق مثل غفيرة وغرف (٣) الانسة بالقويك ضد الوحشة (٤) الناطق الشيء بقلبه لصق به من غرط الحب



لا تشكون إلى وزراء السلطان ودخلائه ما اطلعت عليه من رأي تكبره له فانك لا تزيد على ان تظلمهم ليله وتغريهم بتزيين ذلك له والليل عليك معه اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انه يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والامور فاذا اثر ان يكره كل ما يخالفه او يمتنع من الجفوة يراها سيئة المجلس او النبوة في الحاجة او الرد للرأي او الادناء لمن لا يهوى ادناؤه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالي وغيره وكان ذلك لتساد منزلته سبباً فذلل نفسك باحتال ما خالفك من رأي الولاء وقررهما بانهم انما كانوا اولياءك للتبعية في آرائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتقضب من خلافهم اياك

اعلم ان الملوك يقبلون من وزراءهم التجليل ويعدونه منع شفقة ونظراً ويحمدونهم عليه وان كانوا اجواداً فان كنت مجتلاً غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسيحياً لم تأمن اضرار ذلك بمنزلك عنده فالرأي لك تصحيح التصحیح على وجهها والتماس المخرج فيما تركك من قبيل صاحبك بان لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلاً الى شيء من هواك ولا طلباً لغير ما ترجوان يزيه وينفعه

لا تكونن صديقك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا تكتمهم سرّاً ولا تستطلع ما كتموه وتخفي ما اطاموك عليه من الناس كلم حتى تخفي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضام والتلطف لحاجاتهم والتبذير لمقاتلتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقبال لا فعلوا اذا اساءوا وترك الاستحسان لا فعلوا اذا احسنوا وكثرة النشر لحاسنهم وحسن السراياويهم والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيداً والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بأسرهم وان لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه والتخفيف عنهم بلؤنتك والاحتياط لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالجهد فان وجدت عنهم وعن صديقتهم غنى فأغنى عن ذلك نفسك واعتزل جهدهم فان من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقيقة يحتمل القسوة في الدنيا والوزر في الآخرة . انك لا تأمن آتقهم ان اعلمتهم ولا عقوبتهم ان كتمتهم ولا تأمن غصيم ان صدقهم ولا تأمن سلوهم ان حدثتهم . ان لم تمنع لم تأمن تبرؤهم بك وان زابتهم لم تأمن عقابهم . انك ان تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . انهم ان مخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك تكلفت من

رضام ما لا تطيق فان كنت حافظك ان بلوك تجلدا ان قريوك اميتا ان التمتعك تشكرم  
ولا تكلفكم الشكر بصيرا باهوائهم مؤثر المناغم ذليلا ان ظمك راضيا ان استظوك والا  
فالبعد منهم كل البعد والخذر كل الخذر

### باب الصديق

ايذل لصديقك دمك ومالك وليرفئك رفدك ويحفرك ولعامة يشرك ويختنك ولمدوك  
عدلك واضن بدينك وعرضك عن كل احد  
ان سمعت من صاحبك كلاما او رأيا يوجب فلا تقطعه تزينا به عند الناس واكشف  
من التزين بان تجني الصواب اذا سمعته ونسبه الى صاحبه . واعلم ان افعالك ذاك محطة  
لصاحبك وان فيه مع ذلك عارا فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي الرجل يشكم بكلامه  
وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشي في الناس . ومن تمام  
حسن الخلق والادب ان تحضر نفسك لاختيك بما اتفق من كلامك ورأيتك ونسب اليه  
رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت

لا يكونن من خلقك ان تبدي حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كانك روات فيه بعد  
ابندائه وليكن تزويك فيه قبل النفوذ فان احتجنان الحديث بعد افتتاحه <sup>معه</sup> (١)  
اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل الصواب  
وانما تمام اصابة الرأي والقول باصابة الموضع فان اخطأك ذلك ادخلت الحق على علمك حتى  
تأتي به ان اتيت به في غير موضعه بهو لا بهاء ولا طلاوة له

لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول  
ان اثرت ان تفاخر احدا ممن تمتأنس اليه في هو الحديث فاجعل نتيجة ذلك الجدولا  
تعدون ان تشكم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الحد او قارب فدعه ولا تخلط بالجد هزلا  
ولا بالهزل جدا فانك ان خلطت بالجد هزلا يجهته وان خلطت بالهزل جدا يكرهه غير اني  
قد علمت موطنك واحدا ان قدرت ان تستقبل فيه الجدل بالهزل اصبت الرأي وظهرت على  
الاقران وذلك ان يتوردك متوردا بالسفه والنفس فيجبه اجابة المازل للاداب يرحب  
من الذريع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يفضيك ذلك فانما هو احد وجهين ان كان

(١) الروية الفكر والتدبر وهي كلمة جرت على السنتهم بغير معنى تحقيقا وهي من روات  
في الامر بالهزل اذا نظرت فيه . واحتجنا المال ضمه الى نفسه وامسكه

رجلاً من اخوان الثقة فانتفع مواطنك لك اقربها من عدوك لشرك يكفه عنك وعورة يسترها منك وتغاية يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلاً من غير خاصة لغناك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من يهوى .

تحفظ في مجلسك وكلامك من التناول على الاصحاب وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراةً لئلا يظن اصحابك ان ما بك التناول عليهم اذا قبل اليك مقبل يوده فسرك الا يدير عنك فلا تتم الاقبال عليه والتفتيح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن شأنه ان يرسل عن لسانك به ويلصق بين رجل عنه لا تكتم ادعاء العلم في كل ما يعرض فانك من ذلك بين فقيحتين اما ان يتزاعوك فيما ادعيت ففهم منك على الجاهالة والصلف (١) واما الا يتزاعوك ويخلوا الامور سيف يدك فيتكشف منك التصنع والمهجرة

استحي الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً او معرضاً وان استطلعت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آست من نفسك فضلاً فخرج ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقرر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يفتن عليك ان حرص الرجل على اظهار ما هده وقلة وقاره في ذلك باب من الخجل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والكرم

ان احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتغطي بحيلة المودة عند العامة وتسلك الجدد الذي لاخبار (٢) فيه ولا خثار فكن عالماً بجاهل وناطقاً كفي . فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فيفتني عنك الحسد واما المطلق اذا احتجيت اليه فيبلغ حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار

واذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تنصحه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشعاً وسوء ادب ومخافة يعرف اخوانك والعامة انك ان استطلعت ان تكون الى ان تفعل ما لا تقول اقرب

(١) الصلف بمجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً (٢) الجدد المستوي من الارض وقيل الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد امن العثار . واخبار ارض رخوة فيها حجارة وفي المثل من تجنب اخبار امن العثار

منك الى ان تقول ما لا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عارٌ وجهنةٌ وفضل الفعل عن القول زينةٌ وانت حقيق فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحضن بعض ما في نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحترزاً بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقد يكون الا مقصراً

احفظ قول الحكميم الذي قال تكن غايك في ينيك وبين عدوك العدل وفي ينيك وبين صديقك الرضى وذلك ان العدو خيم تقربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس ينيك وبينه فاعني فانما حكمه رضاه

اجعل عامة تشبثك في مؤاخاة من تواخي ومواصلة من تواصل (؟) ووطن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كلاماً التي تغلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخداؤه فان عثر الناس على انك قطعت رجلاً من اخوانك وان كنت معذراً نزل ذلك عند اكثرهم بنزلة الغيبة لا بالاحمال والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارنته على غير الرضى عاد ذلك الى العيب والقيحة فالاثاد الاثاد والتثبت والتثبت

اذا نظرت في حال من ترتبه لاثاك فان كان من اخوان الدين فليكن قبيحاً ليس بمروء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حراً ليس بمجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون احباً صادقاً لان الكذب الذي يجري على لسانه هو من فضول كذب قلبه وانما سمى الصديق من الصدق وقد يبتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شائع صاحبه

تحترز من مكر السلطة ومكر العلم ومكر المنزلة ومكر الشباب فانه ليس من هذا شيء الا وهو ربح جنة تسلب العقل وتذهب الوفا وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع اعلم ان اقتباسك عن الناس يكسبك العداوة وان قررتك لم يكسبك صديق السوء وفسولة الاصدقاء اخر من بغض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعت شاك ام القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيك ولا ينشر عذرك فان المايب نئي والماعذير لا نئي

ليس للناس لباسين ليس للماثل بدنه منها ولا عيش ولا مروءة الا بما لباس اقتباس واحتياز تلبسه العامة فلا تقنن الا متفظاً متشدداً متحزواً مستعداً ولباس انبساط واستئناس تلبسه الخاصة من الثقات مختلفاً بينات عذرك وتقضي اليهم بمسرع حديثك وتضع عنك

مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم وأهل هذه الطبقة الذين هم أهلها قليل لأن ذا الرأي لا يدخل أحدًا من نفسه هذا المدخل إلا بعد الاختبار والسير والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل .

اعلم ان لسانك أداة متغلبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك فكل غالب طيه مستخضع بموصارفه في محبة فإذا غلب عليه عقلك فهو لك وإذا غلب عليه شيء من أشباه ما سميت لك فهو لمدوك فإن استطعت ان تحفظ به فلا يكون الا لك ولا يستولي عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل

إذا قامت أخاك إحدى التوائب من زوال نعمة او تزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمؤاساة فتشاركه في البلية واما بالغلظة فتحمّل المار فالتس الخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأتي نفسك بشاركة أخيك فيها فاجعل فلل الاجمال يحسك لقلته في الناس

إذا أصاب أخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاعظم ذلك واعمل فيه

إذا كانت لك عند أحد صنعة أو كان لك عليه طول فالتس أخياء ذلك بلوائته وتضيقه بالتصغير له ولا تقصصن في قلة المن على ان تقول لا إذكره ولا اصفي بسمي الى من يذكره فان هذا قد يخفى منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن أحذر ان يكون في مجالستك اياه وما تكلم به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنعة وتكدر المروءة

احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعد لكل شيء من ذلك عنة يجاهد بها من الحلم والتفكير والروية وذكر العاقبة وطلب القبلة واعلم انك لا تصيب النجاسة الا بالجهاد وإن قلة الاعداد لمواقفة الطوائع المظلمة هو الاستسلام وانه ليس أحد الا فيه من كل طبيعة سوء غريزة واما التفاضل بين الناس في مغالبة طابع السوء فاما ان يعلم أحد من ان تكون فيه تلك الفرائز فليس في ذلك مطمع إلا ان الرجل القوي إذا كابرها بالتمسح لها كتمها كما تطلعت لم يلبث ان يمتنها حتى كأنها ليست فيه وفي في ذلك كلفة تكون النار في المود فإذا وجدت نادرة من غير علة او غلة أو هتورت كأنه ستوري عند التدح ثم لا يبدأ ضرها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التي كانت فيه ذلًا نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجلس السوء فان ذلك ما لا يكاد

أكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطراً واعلم ان اللثام اصبر الجساداً وانكرهم اصبر  
تقوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشي او بدنه قوية  
على العمل فانما هذا من صفات الجدير ولكن ان يكون للنفس غلوكاً والامور محتملاً وفي  
الضرر متجمللاً ونفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطكاً ولحمز مؤثراً وهموى تاركاً ونشئة انفي  
يرجو عاقبتها مستحقاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً وليصره بعزمه منفذاً

حب الى نفسك العلم حتى تألفه وتآزره ويكون دبرك ليدرك ولذتك وسلوكك وبلنتك . وان  
ان العلم علان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل ونفسي المحملين واجدها ان ينشط له صاحبه من  
غير ان يحرص عليه علم للمنافع ولعلم الذي هو ذكاه العقول ومقافها وجلالها فضيلة منزلة  
عند اهل الفضل في الالباب

عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاءان سخاؤ نفس الرجل بتأني يديه وسخاؤه عافي ايدي الناس  
وسخاؤه نفس الرجل بتأني يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخ فيهما خرقه فؤادك ما في ايدي  
الناس امحض في التكرم واتزم من الخس فان هوجمها فبذل وعف فقد استكمل الجود وانكره  
ليكن مما تصرف به الاذى والعتاب عن نفسك الا تكون حسوداً فان الحد خلق  
لثيم ومن لؤمه انه يوكل بالادنى فالادنى من الاقارب والا كفا واغلطاء فليكن ما تقابل  
به الحسد ان تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غلبت ان يكون  
عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقنيس من علمه وافضل منك في القوة فيفعل عنك بقوته  
وافضل منك في المال فتفيد من ماله وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهد افضل منك في  
الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه

ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تحب عدوك انك له  
عدو فتندره نفسك وتؤذنه بجربك قبل الاعداء والفرصة فتدنيه على السطح لك وتوقد  
ناره عليك

اعلم ان اعظم خطرك ان تري عدوك انك لا تتخذ عدواً فان ذلك قوة له وسبيل  
لك الى القدرة عليه فان انت قدرت فاستطعت اغتفارا لعدوته عن كذا تكافي  
بها فتلك استحكمت عظم الخطر وان كنت مكافئاً بالعدوة والفرق بينك لا تكافي بالعدوة  
السري بالعدوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والطرد واعلم مع ذلك  
انه ليس كل العداوة والضرر يكافئ بشله كالخيانة لا تكافئ بالخيانة والسرقة لا تكافئ بالسرقة

في سبيل الشغل والنجاة فإنه ليس رجل ذو طرق (١) يتنعم من مؤاخاتك إذا انتشت ذاك منه وإن كان لقوان عدوك غير ذوي طرق فلا عدوتك

لا تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معذبه ومثالبه وإتباع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك صفيرو ولا كبير من غير أن تشيع عليه فينتقم به ويستعد له أو تذكره في غير موضعه فتكون كـ تعرض اخوانك ببئس قبل إمكان الرمي

لا تغفد لمن والتم على عدوك سلاحاً فإنه لا يجرح في نفس ولا في مال ولا دين ولا منجى

إن أردت أن تكون داعياً فلا تحب أن نسي داعياً فإنه من عرف بالبداء ختل علانية وحذره الناس حتى يتنعم منه الضعيف وإن من أرب الأريب دفن أربه ما استطاع حتى يعرف بنساعة في الخليفة والطريقة ومن أربه ألا يرب الباقي المستقيم له الذي يطع على نفعه أربه فيقتله عليه

إن أردت السلامة فشر قلبك خفية للأمر من غير أن تظهر منك الخفية فيظن الناس لميتك ويحترق عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فأذهب للدارة ذلك من كتمان العجوبة وإظهار الجراءة والتباون طائفة من رايك . وإن أبليت بجرازة عدو تخالف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من استعار الخفية وإظهار الجراءة والتباون وعليت بالخذر في أمره والجريئة في قبضك حتى تملأ قلبك جراءة ويستفرغ عملك الخذر

إن من عدوك من يعمل في هلاكه ومنه من يعمل في البعد عنه فأعرفهم على منازلهم ومن أقوى القوة لك على عدوتك واعز انتصارك في الغلبة أن تحمي على نفسك العيوب والعورات كما أحصيتها على عدوك ونظر عند كل عيب تراه أو تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله أو مشاكه فإن كنت قارفت منه شيئاً فأحصه فيما تحمي على نفسك إذا احصيت ذلك كله فكبر عدوك بإصلاح عيوبك وتحسين عوراتك وأحراز مقاتلك وخد نفسك بذلك عسى مصححاً فإذا آتيت منها دفعة بذلك أو تهاوت به فاعد نفسك عاجزاً ضائعاً جانياً معوراً لعدوك ممكناً له من رميك وإن جعل من عيوبك بعض ما لا تقدر على إصلاحه من أمر قد مضى يهيك عند الناس ولا تراه أنت عيباً فأحفظ ذلك وما عسى أن يقول فيه قاتل من حسبك أو مثالب آباءك أو عيب أخوانك ثم اجعل ذلك كسب عينيته وإن لم يكن عدوك مر يدك بذلك فلا تغفل عن التنبؤ له والأعداد لقوتك ومجبتك وحيلتك فيه سرّاً

(١) الطرق يفتح فسكون ضعف العقل وقد طرق كني فهو مطروق ويقال فلان به طريقة أي خرج . وطرق فلان وأخذ في الطريق إذا احتال

وعلاية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدين له ولا تشتغلن به فانه لا ينجي  
 ما لم يقع واذا وقع اشمل

اعلم انه قلما يدر احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطعم في اخفائه عن الدس  
 فيعيده به معبر عند السلطان او غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعينه ولسانه لئلا يذني  
 يذمنه عند ذلك والذي يكون من انكساره وقصوره عند تلك البداة فاحذر هذه وتصنع  
 لها وخذ اهبتك لبقائها

اعلم ان من اوقع الامور في الدين وانبكها بالجسد وانتلقها للبال واضعها بالعقل وامرعاها  
 في ذهاب الجلالة والوقار الترام بالنساء ومن البلاء على المكرم حين انه لا ينفك يأجج ما  
 عنده وتطمع عيناه الى ما ليس عنده فمنهن . وانما النساء اشياء وما يرى في العين والفتوب  
 من فضل عجولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما  
 عنده افضل مما تشوق اليه نفسه وانما المترغب عما في رحله منهن الى ما سيفي رجال الناس  
 كما مترغب عن طعام يبتع الى ما في بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام  
 وما في رحل الناس من الاطعمة اشد تفاضلا وتفوقا مما في رحلهم من النساء . ومن  
 العجب ان الرجل الذي لا بأس في ليه يرى المرأة من بعيد متلفعة في ثيابها فيصورها  
 في قلبه الحسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها  
 على اتبع القبح وادم الدعامة فلا يسطه ذلك عن امثاله ولا يزال مشغوقا بالما يذوق حتى لو لم  
 يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأنا غير شأن ما ذاق وهذا هو الحق  
 والشقا ومن لم يحم نفسه ويطلقها ويحجبها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات  
 شهرته وقدرته كان ايسر ما يعصيه من وبال امره انقطاع تلك الكذبات عنه بمحمود نار  
 شهرته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا مخادعا لنفسه في امر جسده عند الطعام  
 والشراب والحمية والدواء وفي امر مروءته عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند  
 الروبة والشبهة والطمع

ان استطلعت ان تنزل نفسك دون غايته في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل  
 فانفل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحب اليك نفسك وتقربهم اياك في المجلس  
 الذي تباعدت عنه وتطغيهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك ما لم  
 تزين هو الجمال

لا يجهنك العالم ما يكن عالما بخواص ما يملك . ان تذل . الى الكلام وقتا فلا تقلبن  
 على السكوت فانه لعله يكون المرء واعرفه ولا يجهنك حذر المرء من حسن المناظرة والمجادلة



واعلم ان الماري هو الذي لا يجب ان يتعلم ولا يتعلم منه فلن زعم زاعم انه انما يجادل سيفه  
الباطل عن الحق فلن المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه يخاضع الى غير قاض  
وانما قاضيه الذي لا يعدو بالمقصومة الا اليه عدل صاحبه وعقله فان آنس او رجا من  
صاحبه عدلاً يقضي به على نفسه فقد اصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممارياً  
ان استطعت ان لا تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا وانت محتجج عنه بعض  
ذلك التماساً لفضل الفعل على القول واستعداداً للتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل  
الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل حجة وان احكام هذه الخلة من غرائب الخلل  
اذا تراكت الاعمال عليك فلا تلتبس الروح في مدافعتها بالروغان منها فانه لا راحة  
لك الا في اصداؤها وان الصبر عليها هو يخففها وان الفهم منها هو يراكمها عليك فنعمد من  
ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تستري بعض اصحاب الاعمال ان الرجل يكون سيفه امر  
من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شغل من الناس يكره تأخيرهم فيكدر ذلك بنفسه  
تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم واحداً منهما فان ورد عليك مثل  
ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به الامور ثم اختر اولي الامرين بشغلك فاشتغل به  
حتى تفرغ منه ولا يعظم عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر اذا عملت الرأي مملو وجعلت  
شغلك في حقه

اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الناية  
في العبادات صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في  
تكلف رضى الناس والخلة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحشود  
اعلم ان بعض الطيبة لؤم وبعض البيان عي وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا  
يكون عطاؤك خوراً ولا بيانك هنراً ولا علمك جهلاً فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائحة فاذا اعجبتك كنت خليفاً بان  
تحتفظها فان الحفظ موكل بما راع وتختص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك  
التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجباً لغيرك وانما نشرت ذلك مرة او مرتين  
فلم تره وقع من السامعين موقته منك فازدجر عن العود فان احبب من غير معجب سمخ  
شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يتمه قلة قبول  
اصحابه له من ان يعود ثم يعود

اياك والاخبار الرائعة ويحتفظ منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما  
ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق

ومزارة بالرأي فان استطلعت الاً تغير بشيء الا وانت به معديق وألاً يكون متديقك  
الا ببرهان فافعل

ولا نقل كما يقول السفهاء أخبر بما سمعت فان الكذب اكثر مما انت سامع وانت  
السفهاء اكثر من هو قائل وانت ان صرت الاحاديث واعياً وحاملاً كان ما تسمي وتعمل  
عن العامة اكثر مما يجتريع المخترع باضعاف

انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بساطان ومنزلة ومن دون ذلك من  
اغلطاء والا كفاه والاخوان فوض نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتصفح نفسك  
عما اعتاص مما قبله غير معاتب ولا مستبطل ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وانت  
الاستزادة من الجشع وان الرضي بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل مالتوق اليه نفسك  
مع بقاء العرض والمودة والمروءة

اعلم انك ستبلى من اقوام بسفه وان سفه السفه سيطلع لك منه فان عارضته او كلفته  
بالسفه فكأنك قد رضيت ما اقر به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموم  
لحقى ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تذمه وتمثله فليس ذلك لك

لا تصاحب احداً وان استأنست به احا قرابة او احا مودة ولا والداً ولا ولداً الا  
ببروة فان كثيراً من اهل المروءة قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يهيجوا كثيراً  
من اغلطاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروءة وفارها احبته في قلبه  
رقة شأن وخفة منزلة

لا تلمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة وراي ولا تجترئن على تقريره وتبكيته  
بظفرك اذا استبان وصحتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك  
على ان يتعقبوا الكلمة بعد ما نئى فيلتقوا فيها الحجة ثم يستعليها بها على الاصحاب وذلك  
خسف في العقل ولؤم في الاخلاق

لا يعجبك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشكت امور الدنيا زوالاً  
ولا يعجبك اكرامهم اياك بالنسب فان الانساب اقل مناقب الخيرة غنة عن اهلها في الدين  
والدنيا ولكن اذا أكرمت على دين او مروءة فذلك فيلجيك فانب المروءة لا تزيالك في  
الدنيا والدين لا يزيالك في الآخرة

انظر ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظرفيا رأيت لو سمعت أمن قتل في القتال  
مقبلاً اكثر ام من قتل مديراً وانظر أمن يطلب اليك بالاجمال والتكريم احق ان تسخر  
اليك نفسك بطلبتهام من يطلب اليك بالشره

اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسره وذكرته انت بخبر ينفعه ذلك او يضره فلا يستحقك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بك في موطن المحاماة لم يخجل بما تركت مما سوى ذلك وبك يمكن له عليك سبيل لانه وان الاحزم في امر عدوك ان لا تذكره الا حيث يضره والا تعد سير القصر خيرا اعلم ان الرجل قد يكون حليبا فيحمله الحرص على ان يقال جليد والخافه ان يقال مبهين على ان ينكف الجبن وقد يكون الرجل زميتا فيحمله الحرص على ان يقال لسن والخافه من ان يقال عي على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرا فاعرف هذا واشباهه واحترز منه كله

اذا بدت امران لا تدري ايها اصبوب فانظر ايها اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الموى

تجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقار اليه في لين كملك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك لا تجالس امرا بغير حريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجاهل بالفقه والعي باليان لم تدري ان تضع عقلك وتؤدي جليستك بجمالك عليه ثقل ما لا يعرف وعمرك اياه بثل ما يهتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من غير تذكر عند غير اهله الا عاذوه ونصبوا له وتقصوه عليك وحرصوا على ان يحملوه جبلا حتى ان كثيرا من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيقتل عليه ويقتل به - ليعلم صاحبك انك تحرب على صاحبه واياك ان تشارك امرؤ ورائحك ان لا يرى منك باحد من اصحابه واخذانه رافة فان ذلك يأخذ من القلوب مأخذاً وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقفاً من لطفك به بنفسه

اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق ويشكر للمكثب اعلم انك متسمع من جلسائك الرأي والحديث تذكره وتسقيبه من يحدث عن نفسه او عن غيره فلا يكون منك التكذيب ولا التخفيف شيء مما يأتي به جليستك ولا يحرثك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه يستعص (٢) من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في قلبه ذلك القول خطأ تناب ان يسعد عليه او مضرة تنحاشها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون اسر للنقض وابعد للبغضة

(١) الزميت كامبروسكيت الحكيم الساكن القليل الكلام كالصميت (٢) امتنع من الشيء  
ه وشق عليه

واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتا فان الصمت يدعوها اليك  
وناطقا بالحسنى فان المتعلق الحسن يزيد في ود الصديق ويسل<sup>١</sup> سخيمة (١) اوغر  
واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح وشي<sup>٢</sup> القصد من دواعي المودة اذا لم يتخلط ذلك  
بأو<sup>٣</sup> (٢) ولا يحب اما المحب فهو من دواعي المقت والثبات

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المحكم حتى  
يقضي حديثه وقلة التفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المحكم والوعي لما يقول .  
واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غرر<sup>٤</sup> لان امور الدنيا  
ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امورها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل  
ربما اعيى الحزمة ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبة على ما كنت  
تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوما وعدلا<sup>٥</sup> تقول انت فعلت هذا بي وانت امرتي ولولا انت ولا  
جرم لا اطيعك فان هذا كله خبر ولوم وخفة وان كنت انت البشير فعمل برأيك او ترك  
فبدا صوابك فلا تمن ولا تكثر<sup>٦</sup> ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان  
في تركه ضررا<sup>٧</sup> تقول : ألم اقل لك ألم افضل فان هذا محاب لادب الحكيم

اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجن صواب ما تأتي به وينهب بهجه ويذري بقبوله  
عملتك في ذلك قبل ان يقضي اليك بذات نفسه . ومن الاخلاق السيئة على كل حال منالية  
الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التي انت جدير بتركها اذا  
حدث الرجل خديعا<sup>٨</sup> تعرفه الا تساقه اليه وتفتح عليه وتشاركه فيه حتى كأنك تظهر للناس  
بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك ان تهنته بذلك وتفرده به وهذا  
الباب من ابواب الجمل وابوابه الفاضة كثيرة

واذا كنت في قوم ليسوا بلقاء ولا نصحاء فدرج التناول طيم في البلاغة او الفصاحة  
اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الانقاء تدعو اليك ما لنتي  
ان رأيت نفسك تصاغر<sup>٩</sup> اليها (٣) الدنيا ودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها  
عليك لا يفرتك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها خبير واستحيذا<sup>١٠</sup> (٤)  
وتغير نفس عند ما يحجزك من الدنيا وغضب<sup>١١</sup> منك عليها مما التوى عليك منها ولو تمت على  
رفضها وامسكت عن طلبها اوشكت ان ترى من نفسك من الضمير والجوع اشد من ضميرك  
الاول باضاف ولكن اذا دعيتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها

(١) السخيمة الضغن والحقد والفرشدة النيط (٢) البأو والكبر والقهر (٣) تصاغر اليه  
الشيء صار صغيرا عنده (٤) والاستحيذا<sup>١٢</sup> الخضوع

اعرف عورتك واباك ان تعرض باحد فيا شاركها واذا ذكرت من احد خليفته فلا تداخل عنه مناضلة المدافع عن نفسه فتتهم بثلها ولا تلج كل الاحاح وليكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب. واذا كنت في جماعة قوم ابداً فلا تمن جيلاً من الناس او امة بشتم ولا ذم فانك لا تدري لعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم .. ولا نعلم مع ذلك اسماً من امماء الرجال او النساء بان نقول ان هذا لقيح من الامماء فانك لا تدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك في بعض امماء الاهلين والحرم ولا تستصنن من هذا شيئاً فكله يجرح في القلب وجرح اللسان أشد من جرح اليد

اعلم ان الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في الناس مثالهم ومساوئهم وتقييمهم وكل ذلك ابين عند سامعيه من وسميح الصبح فلا تكون من ذلك في غرور ولا تجملن نفسك من اهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان رأس ما أعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتري مالا يبيد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤونة ولا يستقب له رأياً ولا يدنا وكان خارجاً من سلطان الجاهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذا (١) القائلين كان يرى متضعاً مستضعاً (٢) فاذا جاء الجلد فهو الليث عادياً وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مراد ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً وكان لا يام احداً على ما قد يكون المدر في مثله حتى يعلم ما احتذاره وكان لا يشكو وجماً الا الى من يرجو عنده البرء ولا يعصب الا من يرجو عنده النصيحة لما جيساً وكان لا يتبرم (٣) ولا يتحفظ ولا يتشهى ولا يتشكى ولا يتقم من الولي ولا ينقل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بمجملته وقوته فليكن بهذه الاخلاق ان احققت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خيراً من ترك الجميع وبالله التوفيق

(١) بذم سبقهم وظلمهم

(٢) استضعفه وتضعفه عنه ضعيفاً كضعفه

(٣) يبرم وتبرم تفخيم



## بيضة ثانية

لاين المقنع -

وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيها إذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبل ' هي البيضة بعينها أم هي بيضة ثانية لاين المقنع ويؤول هذا التناقض إذا لوحظ ما قاله امام المشككين ابوبكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة فإنه ذكر في كتابه اعجاز القرآن ان الدررة البيضة كتابان احدهما يتضمن حكماً منقولة والاخر في شيء من الديانات . غير انه بقي هناك اشكال في انه ليس في احدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات كما قال الباقلاني وإذا رضىنا بالظن فنقول ان هذا الاسم وضعه اناس لبعض رسائل اين المقنع ومن هنا نشأ الاشتباه فمدها الناظرون . ويعداوت يقال ان اين المقنع سمي الرسالتين معاً باسم واحد لخالفته في الظاهر لغرض الحكمة . ولو قلنا انه سمي احدى الرسائل فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في السمي مع شدة عنايتهم بجميع ما قال . اما الرسالة الثانية فنقول عن كتاب المنشور والمنظوم المحفوظ في دار الكتب المصرية لمؤلفه ابي الفضل

احمد بن ابي طاهر طيفور من ابناء خراسان ولد كما جاء في فهرستها سنة ٢٠٤

وتوفي سنة ٢٨٠ وهاك ما اورده ولم نحذف منه الا بعض جل اشرفها

بحرف ( د ) لانها محرفة جداً لم نهند الى وجه الصواب فيها قال

ابو الفضل احمد بن ابي طاهر : ومن الرسائل المقدرات اللواتي لا

نظير لها ولا اشباه وهي اركان البلاغة ومنها استقى البلاغة

لانها نهاية في المختار من الكلام وحسن التأليف والنظام

الرسالة التي لاين المقنع وهي البيضة فان الناس

جميعاً يجمعون انه لم يمر احد عن مثلها ولا

تقسمها من الكلام شيء ثم عجلها ومن

فصلها قوله في صدرها ولم نكتبها

على تمامها شهرتها وكثرتها

في ايدي الرواة

فمن فصلها

قوله في

صدرها

وقد اصبح الناس الا قليلاً ممن عهم الله مدخولين متقوصين فقائلهم باغ وسامعهم عياب وسائلهم تمتعت ومجيبهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالقل وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه ومصطبر للحق بما يسمع ومستشارهم غير مأون على النش والحسد وان يكون مهتاكاً لآسرو مشيعاً للفاحشة مؤثراً للهوى والامين منهم غير متحفظ من اثبات الخونة والبدوق غير محترس من حديث الكذبة وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة وبتقارضون الثناء وبتريقون الدول ويعيون بالمعز يكاد احزهم رأياً يلقته عن رأيه ادنى الرضا وادنى السخط ويكاد يكون امتهم عوداً ان تنخره الكلمة وينكره العقلة وقد اجتليت ان اكون قائلاً واجتليت ان تكونوا سامعين ولا خير في القول الا ما انتفع به ولا ينفع الا بالصدق ولا صدق الا مع الرأي ولا رأي الا في موضعه وعند الحاجة اليه فان خير القائلين من لم يكن الباطل غايته ثم لم القصد والحواب وغير السامعين من لم يكن ذلك منه سمعة ولا رياء ولم يتخذ ما يسمع عوناً على دفع الهدى ولا بلغة الى حاجة دنيا فان اجتمع للقائل والسامع ان يرزق القائل من الناس مقة وقبولاً على ما يقوله ويرزق السامع اتعاضاً بما يسمع في امر دنياه وقد صلحت نيابتهما في غير ذلك فسي ذلك ان يكون من اخير الذي يبلغه الله عباده ويحجل لم من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من حسنة الآخرة كما ان المرید بكلامه ان يحجب الناس قد يجتمع عليه حرمان ما طلب مع سوء النية وحمل الوزر . وقد وافقتم من مسارعة فيما سألتموني فطمعاً في ان ينفع الله بذلك من يشاء فانه ما يشاء يقع .

اما سؤاكنم عن الزمان فان الزمان الناس . والناس رجلان والى ومولى عليه . والازمنة اربعة على اختلاف حالات الناس فخير الازمنة ما اجتمع فيه صلاح الراعي والرعية فكان الامام مؤدياً الى الرعية حقهم في الرد عنهم والفيظ على علوم والجهاد من وراء يضتهم والاختيار لحكامهم وتولية صلحائهم والتوسعة عليهم في معاشهم واقافة الامن فيهم والمتابعة في الحق لم والعدل في القسمة بينهم والتقويم لاودم والاخذ لم بحقوق الله عز وجل عليهم وكانت الرعية مؤدية الى الامام حقه في المودة والمناصحة والمخالطة وترك المنازعة في امره والصبر عند مكروه طاعته والمعونة له على انفسهم والشدة على من اخذ بحقه وخالف امره غير مؤثرين في ذلك آباءهم ولا ابناءهم ولا لابسين عليه احداً . فاذا اجتمع ذلك في الامام والرعية تم صلاح الزمان ونعمة الله ثم الصالحات ثم ان الزمان الذي يليه ان اصل الامام نفسه ويفسد الناس ولا قوة بالامام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم في انفسهم على ان يبلغ ذات نفسه في صلاحهم وذلك اعظم ما تكون نعمة الله على الراعي

وحجة الله على الرعية بالهمم قبلهم ان يؤخذوا باعمالهم وما اخلقهم ان لا تصيبهم فتنة او عذاب اليم .

والزمان الثالث صلاح الناس وفساد الوالي وهذا دون الذي قبله فان لؤلاة الناس بدأ في الخير والشر ومكاناً ليس لاحد وقد عرفناه فيما يستبر به ان الف رجل كلهم مفسد واميرهم مصلح اقل فساداً من الف رجل كلهم مصلح واميرهم مفسد . والوالي انى ان يصلح ادبه الرعية اقرب من الرعية الى ان يصلح الله بهم الوالي . وذلك لانهم لا يستطيعون معانته وثقوبه مع استطائهم بالسلطان والحمية التي تملوه . وشر الزمان ما اجتمع فيه فساد الوالي والرعية ( ف ) فتولي في هذا الزمان انه الا يكن خير الزمان فليس على واليك ذنب والا يكن شر الزمان فليس لكم حمد ذلك غير انا بحمد الله قد اصبحنا زجولاً نفسنا الفساح بصلاح اماننا ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا قد رأينا حظاً من الله عز وجل في الثبوت والعصمة فلم يبرح الله يزيد به خيراً ويزيد به رعيته مذ ولاء فعدنا من هذا وثائق من غير وينات ونخشب من الله عز وجل ان لا يزال اماننا يسارع فيمضاه فربه بالاستصلاح لرعيته والصبر على ما يستكر منهم وقلة المؤاخنة لم بذنوبهم حتى يقرب الله له بصلاحه قلوبهم ويفتح له اسماهم وابصارهم فيجمع ألفتهم ويقوم اودم ويلزهم مراشد امورهم ونتم نعمة الله على امير المؤمنين بان يصلح له وعلى يديه فيكونوا رعية خير راعٍ ويكون راعي خير رعية ان شاء الله وبه الثقة .

والذي يحمد من امير المؤمنين انا ذا كرما تيسر منه ( ف ) وقلنا تلقى من اهل العقل والمعاينة منكرًا لتنمة الله بامير المؤمنين على المسلمين ( ف ) ومن اشد جهلاً واقطع عنرا ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية ففوذ بالله ان تكون من الذين لا يبقون فتفهموا ما انا ذا كر لكم وتديروه بالحق والعدل فان المرء ناظر باحدى عيون ثلث وما الفاشتان والصادقة وهي التي لا تكاد توجد . عين مودة تربه القبيح حسناً . وعين شنان تربه الحسن قبيحاً . وعين طدل تربه حسناً حسناً قبيحاً . فتشكر وافيا جمع الله لامير المؤمنين في معذنه وفي سيرته وفي ظاهركم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل ان يتغي فيه الغمز والمقال قلهمري ان الشيطان من احوال الناس والستهم في الامر لمصيب وان له لمستر احاً حين يستوفي أميته ويصدق عليهم ظنه ويوحى اليهم بكايده فيجعل الله كيدهم ضميماً وحزبه مغلوباً وجعله واياهم نصيباً لجهنم من اجزائه المقسومة لا بوابها وحطبا وتودها وحسبها ليداً لما فن كان سائلاً عن حتى امير المؤمنين في معذنه فان اعظم حقوق الناس منزلة واكرمها نسبة واولاها بالفضل حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وامام



الهدى ووارث الكتاب والنسب والمعين عليهما وخاتم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعنه الله بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ثم هو باعته يوم القيامة مقاماً محموداً شرع الله به دينه واتم به نوره على عهده وبحق به رؤوس الضلالة وجباية الكفر وخوله الشفاعة وجمله في الرقيق الاعلى صلى الله عليه وسلم

## الصنائع الاسلامية

نشرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية فصلاً معاً للمسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات في الادوار التي تقلبت على الصنائع الاسلامية قال : اصدر كل من المسيو سولادين والمسيو ميمون مختصراً في الصنائع الاسلامية وقع في مجلدين ضخمين احدهما في الهندسة الاسلامية والاخر في فن التصوير والنقش . ولقد الفت انظار الناس معرض الصنائع الاسلامية الذي أقيم في قسم مرسات سنة ١٩٠٣ والمعرض الذي وافق وقته زمن انعقاد مؤتمر المستشرقين الدولي في الجزائر سنة ١٩٠٥ لاهلاق الصنائع الاسلامية التي كانت حتى الان مزهوداً فيها اللهم الا عند بعض غلاة في جمها ممن حصلوا على مجاميع بديمة منها . ففي البحث في هذا الموضوع نقبل لنا القرون الوسطى في الشرق وتحيا اماننا على مثل ما كانت عليه . وما من احد يصدق اليوم بان العاديات القديمة تستحق إعجاب ارباب الصنائع والمولعين في اقتنائها فقط بل ان ارتفاع فن الآثار ارتفاعاً خارقاً للعادة بفضل الاكتشافات المدهشة في السنين الاخيرة والبحث في آثار القرون الوسطى اليونانية والغربية قد وجه انظار المتعلمين . فن الواجب من ثم ان يحفل حظ عظيم من البحث للقرون الوسطى الاسلامية لانها من اجمل الادوار التي يتأق للانسانية ان تقاخر بها وكانت مراكز الحضارة التي انشأتها قديماً تلك المدينة في آسيا حلقة ضرورية لنا تربط اوروبا بالشرق بل تقرب بين القرون الحديثة والقرون القديمة وتصل عمران البحر المتوسط بتمدن آسيا العليا .

ان درس الصنائع المصورة اليوم هو من الثمات الضرورية للتاريخ كما كانت الجغرافية ولا تزال كذلك . فدرسها نافع للنظر في الآثار القديمة التي عرفناها منذ القدم كما هو انتم الوقوف على حال القرون الوسطى التي شرع بالبحث فيها منذ حين ولا سيما فيما له علاقة بالشرق معاهوموضوع الابحاث الاخيرة . وقبل ان يبدأ بها لم يكف يعرف عنها شي . وقد جعل المؤلفان . التبيين المشار اليهما من التصوير الشمسي اكبر مساهد لهما في كتابهما الوجيز

فجاء الاول من نوعه وكانت من هذين الجبلين مجموعة تصاوير اذا قصها المرء نبتل لعينه مصانع الشرق وشؤونها عيانا ان لم يكن رآها من قبل ويتذكرها باعيانها اذا كان أتبع لها ان منع نظره فيها ذات يوم . سهلت اسباب التنقل واصبحت قريبة المثال فقدت الاستانة والقاهرة والمند غير بعيدة المزار كما كانت وربما نعت كذلك طهران واصفهان عما قريب ولذلك جاء الزمن الذي تعرض فيه على الجمهور في صورة كتاب مجموع الاطراف زبدتها يعرف عن ارتفاع الصنائع وترتيب المصانع الاسلامية:

لم يتأت والاسلام في مبدل ظهوره وشمعته الاولى محصور في حدود شبه جزيرة العرب ولم ينتشر بعد في البلاد المجاورة ان ينشأ شيء من الصنائع في تلك الاصقاع المغفرة التي تطولها العرب الرحالة على قلة مدنها وبلدانها ويقضي فيها التجار عيشة بسيطة : اية عن أبهة الحضارة . وكان للمبد العظيم في الحجاز عبارة عن مكعب من الصخر خال . وقد بقي زمنا طويلا بدون سقف ثم غطي بسقف من الخشب على يد عامل من القيد من سفينة يونانية غرقت فالتفته الاقدار في بلاد العرب وجذبته مكة اليها لاحوال غير معروفة . وكانت القوافل عند عودتها من سورية وقد مرحت الطرف في المصانع العظيمة فيها على العهد الامبراطوري فقص احاديث مجيبة عما رأت فأثارت نفوس الشعب تلك القصص وكان منها ان اتنوا في صحاري شمالي بلاد اليمن جنات النعم وهي ارم ذات العباد القريبة وقد بُنيت في غالب الظن على مثال دمشق وتدمر وببلبك . وكانت العرب الرحالة ترى ان القبور التي تحتها في الصخر في مدائن صالح جماعة من المستعمرين الاراميين في صميم بلاد العرب انها بيوت النوبيين وذكرها محمد ( عليه السلام ) بان الغضب الالهي نالها لانها انكرت ان ناقة صالح غير مقدسة . وكانت المصانع التي خلفتها الشعوب القديمة البائدة تنسب الى عاديين بادوا فلم يبقوا من الآثار غير ما خلقوه من اعالم التي حيرت عقول البدو اما الآن ليشتمل القاريه الفاتحين من العرب يجولون في اكناف سورية ومصر وفارس وافريقية الشمالية واسبانيا وكلها بلاد متحضرة مملوءة بيدائع الصنائع واعمال الهندسة . ولكن كان العربي الرحالة يندش عند ما كان يقع نظره على بيوت ذات ثلاث طبقات في مكة ويثرب فثرا . اى له انها قلاع وهو لا عهد له من قبل الا بجمجمة الدوا والذكاء المصنوعة من وير العنز . وبعد ان كان المسجد البسيط الذي يسع اثني واصحابه وهو عبارة عن كوخ خال من الزخرف ميني بالين وجذوع النخل ليس فيه سائر من المصاعلي التعراب الموصوص ظهر للحال بانه غير كاف لاستيعاب جمهور من دانوا بالاسلام وغير لائق (١) بان يكون

(١) نحن نترجم بالحرف ونترك البحث في بعض تعليقات الكتاب لارباب النظر

بيت الواحد الاحد . وزد على ذلك فان الفاتحين من المسلمين كانوا يشاهدون الكنائس الجميلة  
 التي انشأها النصارى ويقابلون بين التاتق فيها وبين شقائقهم في سكنى البادية .  
 اكتفى الخلفاء الاول بان سكنوا بيوتهم التي يابون اليها كما فعل امبراطرة رومية  
 الاول لان المسجد كان لم ميداناً وحكمة ونفوة . ولا صار الامر الى معاوية طمحت  
 بهم نفوسهم الى اتخاذ القصور بممدون اليها ليستروا فيها غفلتهم وبذخهم وزهوم .  
 فبالهندسة بدأ نحو الصنائع التي دبا اليها الفتح الاسلامي وما كان للعرب صنائع خاصة  
 بل استفهموا يادي يد من المهندسين وارباب الصنائع من وجدوم في البلاد التي افتتحوها  
 فكان اسلوب البناء الاسلامي في اول الامر سورياً في سورية وقبطياً في مصر وبيزنطياً  
 في آسيا الصغرى ورومانياً بيريخيا في افريقية ورومانياً ايبيريا في اسبانيا وبارتيا (١)  
 وسانانيا في فارس وبين النهرين .

رأينا صوراً من الهندسة الآسيوية لنقل الى البلاد المغلوبة على امرها عدد ما كان  
 الشرق اولاً ميداناً للفاتحين . وانك لتشاهد في اقدم الصنائع المنقوشة المزينة في المغرب والمجدد  
 الاعظم في قرطبة ومسجد سيدي عقبة في القيروان مسحة من الزينة الشرقية نقلها اليها  
 حناج صميمها الفاتحين او نسجت على مثال صور الافنة والزرايب المطرزة والبسط المغلوبة  
 من الشدة . .

هيزات الهندسة الاسلامية القبة ذات الشكل البيضوي وهي متقولة بلامر ادم  
 من جاء من بين النهرين اي اشوري بابلي . وقد بقي منها نموذج سالم من الصور البارزة  
 في قيونجني (٢) زمن الدولة الساسانية كما هو المشاهد من صورة اقواس المدائن وساروستان  
 وفيروزآباد فبين بهذا ان ماضي الهندسة الاسلامية كان عظيماً والتقدم الاساسي . جدد  
 استعمالها . واتا لنجد منارات جوامع سامرا وابن طولون في القاهرة ابراجاً دار ادراج  
 على شكل حاروفي وبديد لا نصترف فيما رأينا بانها بقايا من معابد رصد الافلاك الكلدانية  
 التي نجد برج بابل مثلاً مشهوراً منها .

رأت العرب في سورية ومصر الصناعة البيزنطية ودرسوها عن أم وما هي الا تشويه

- (١) البارتيون هم سكان اعالي آسيا الواقعة بين الفرات غرباً وبحر الخزر شمالاً ونهر  
 جيحون شرقاً وبحر الهند جنوباً وهم مدتهم الدامتان « هيكتوميلاوس » والمدائن « كتيبيفون »
- (٢) قرية وتلال واقعة على الشاطئ الشمالي من دجلة قبالة الموصل وهي في البقعة التي  
 كانت فيها نينوى وقد اغتشت متاحف اوربا واميركا بما اخرج من آثارها ونماثيلها ونقوشها  
 والواحها الخزفية وهي صادرة عن ملوك اشور

آسيوي للصناعة الرومية الرومانية ام آثارها جامع اياصوفيا في الاسكندرية . وبقيت الصناعة اليونانية آخذة بالتبدل بد قنوتات الاسكندر وظلت كذلك الى ان خطر للملك قسطنطين ان ينقل عاصمة المملكة الى ضفاف البوسفور ولا يخفى ما حدث من السرعة في تآزج المنصر اليوناني بالناصر اللاتينية واللغة اللاتينية . فالتقاليد العسكرية والقضائية والادارية فقط بقيت زمنا قصيرا مجالها اما الصلوات المصلاة التي كانت للمملكة الروم « بيزانس » مع المملكة الفارسية فقد كان منها ان بدلت الصنائع بتأثيرات آسيوية وتقدمت فيها تقدما هائلا حتى ان الالبسة وتزيين الابنية الداخلي وقصور الامبراطرة وادوات نعيمهم وبدخهم كلها لم يكن فيها شيء يشير الى انه روماني .

سملت عدة مصانع ومعاهد من اوائل الهندسة الاسلامية واعجبها المسجد الاقصى في القدس وان شئت فقل قبة الصخرة اذا اردت ان نسميها باسمها الحقيقي . وليس هذا المسجد في الواقع . اذ لان هذا النوع من الابنية معروف بما يائنه مثل مسجد عمرو بن العاص في القاهرة الذي انشيء سنة ٦٤٢ م وهو عبارة عن حائط له عدة محارب لضبط سمت القبلة التي توجه اليها الوجوه للصلاة . وكانت القبلة الى القدس اولا فاصبحت منذ الف وثلاثمائة وخمسة وعشرين عاما الى مكة ثم هناك صفوف من الاعمدة ومكان مربع مكشوف وفي وسطه صهريج ماء للوضوء . وعلى العكس في قبة الصخرة كما يستفاد من اسمها على ما هو المعروف فانها تشغل فسحة المبد . وهذا الشكل وطني جعل على رسم كنيسة العذراء في انطاكية في شكل بيت مدور ذي قباب وعده المسعودي المؤرخ من اعاجيب الدنيا . ويوجد من هذا الشكل ايضا في اواسط سورية وحوران وآسيا الصغرى وقد انشيء هذا البناء على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي سنة ٦٨٢ ولما ربح بعضه الوليد سنة ٧٠٧ جعل من خارجه القيسية صنعها له صناع يونان يث بهر اليه امبراطور القسطنطينية . وعلى عهد السلطان سليمان القانوني استمض عن اعجاز القيسية بكاشاني محلي بالينا . فالبقية والحالة هذه هي صوان او وعاء مقدس للصخرة والمسجد الحقيقي هو الذي يشرف على حوائط المكان في الجنوب ويدعى بالمسجد الاقصى وقد اشير اليه في القرآن والمراد به معبد سليمان .

بقيت المساجد في المغرب على مثال جامع عمرو . فجامع الزيتونة في تونس المؤسس سنة ٧٢٢ مؤلف من اربعة موازية لحائط المحراب وقناه (صحن) اوسط كبير وصفوف من العمود مؤلفة من مواد قديمة او بيزنطية جاءت من قرطاجنة الرومانية . وانشيء المسجد الاعظم في قرطبة سنة ٧٨٥ على ذلك المثال ولكن تزيينه يختلف عن غيره من المساجد اختلافا كبيرا

فان القطع المعديدة التي بقيت من آثار النوط الغربيين واستخدمت في البناء تدلنا على ان الصانع السجيج في اسبانيا قبل القرن الثامن كان لما اثر كبير في انشاء الهندسة العربية الاصلية .  
والجيث في الهندسة الفارسية نافع على وجه خاص وذلك لانها حفظت لنا تقاليد قديمة لها علاقة بالهندسة فاحسنت الانتفاع بها ورقتها واكتمتها . فان بناء القباب كانت الطريقة التي اختيرت من بين اساليب البناء لقلة الخشب الذي يصلح للبناء في معظم اقطار تلك البلاد .

ويبلغ من حلق القوس الغريب انهم يتخللون لعينيك اذا نظرت الى ابنتهم كأنهم يلعبون بالمصاب لعباً . ولم تبلغ امة من الامم مبلغهم في ايجاد طرق متنوعة غريبة في القباب على اشكال غير متناهية الا فرنسا فانها قلدهم في القرون الوسطى . والى القوس يرجع الفضل في اختراع المقرنصة . وهي من الصنائع الغريبة ذات النقوش التي تستر البناء البارز المشبك . واكثر ما فاقته به فارس لغتها في تزيين الابنية بالكاشاني (القيشاني) وهونقش رائع الا انه سريع العطب يتبع به العيون ما دام الملاط (المونة) الذي يلصقه بالبناء الاصيل على حاله متمسكاً فاذا قلغ لقلة العناية به وسقط ونثر من آفات اصابته ودفن في الارض نبت البيون عنه واستوحشت من النظر اليه .

وصناعة الكاشاني قديمة جداً في البلاد الايرانية فقد زين ملوك الاخمينيين قصورهم بنقوشها البديعة التي تجعل بعضها في قاعات متحف اللوفر المظلمة ولا يزال بأسف على الهواء المضيء والشمس المشرقة في سهول فارس . وبدأ استعمال الكاشاني في فارس بعد ظهور الاسلام فيها فجعل القرميد اولاً يحلى بالمينا في اطراف الاجمار مفصلاً من داخله بأجر او بملاط من الجير والرخام ثم استعملوا نوعاً من البناء ملوناً مؤلفاً من قطع صغيرة مجزأة موضوعاً بعضه بجانب بعض . كما فعلوا في ابنية الرخام او الخشب في ايطاليا توصلاً الى تزيينها بصفايح من الكاشاني على سطوح متسعة وقد شوهدت منذ القديم عديم بنايات بارزة داخلها ازرق كالقزموز او ابيض كالمالج ويكثر انكاس الاشعة التي تلح فيها كعماق السيوف كما تشهد في «امام زاده يحيى» في ورامين (١) وهو من القرن الثالث عشر . وابنية اصفهان التي انشئت على عهد الشاه عباس الاول اجمل مثال من هذه النقوش العجيبة وثمة ارتفاع طويل في الصناعة . ويتيسر تتبع ادوار هذه الصناعة اذا بحث في مصانع السجوجيين في قرية التي أنشئت في القرن الثالث عشرو في البناجين اللتين أنشئتا على الطرز الفارسي في مدينة يوزسة وفي المسجد الاخضر وقبر محمد الاول اللذين أسسا في القرن الخامس عشر .

بنت جميع المساجد التي انشأها سلاطين بني عثمان على مثال كنيسة اياصوفيا . وقد كثر البناء على هذا الشكل في جميع المساجد التي اُسست في المملكة العثمانية بعد القرن السادس عشر بالصورة الاصلية من هذا البناء هي اذاً بيزنطية ولكن الاسلوب الفارسي يظهر في بعض انواع الزينة كالابواب والكوى المقرصة مثلاً . ومسجد بايزيد اقدم اسلوب من هذا النوع عمره المهندس خير الدين . ومسجد محمد الثاني الغازي انشاء خريستودولونج كنيسة الحواريين وخرب كله يزوال سنة ١٧٦٣ ثم أعيد انشاؤه على عهد السطان مصطفى الثالث الا انه لم يرجع الى ما كان عليه من اسلوب البناء .

واقدم الصنائع الاسلامية في الهند مسجداً دلهي واجمير اللذان انشأا في القرن الثالث عشر . وهما من الصنائع التي قامت على اسلوب جيتا Djaina (١) كما اثبت ذلك الرحالة غوسن والرسم العام منه هندي ثم اثرت فيه الاساليب الايرانية والفربية وظهرت في اشجارها وهي تذكر بقصر ماشيتا (٢) وهو ساساني او بعض محال من اياصوفيا .

وقد كان اول سلطان لبيجاپور ( كذا ) ابن السطان العثماني مراد الثاني الذي ارتقى من رتبة ضابط في الحرس الى عرش الملك فانشأ له دولة وبني حفيد حفيده عادل شاه اجمير من مصانع تلك المدينة . وطرز بنائها مأخوذ من اسلوب غربي حتى لقد ذهب الرحالة فرغوسن عند ما ذكر اصل هذه الدولة وكيفية نشأتها الى انها اختارت من الصنائع فرساً واتراكاً . ودخل الهندن الايراني والصناعة الفارسية الى الهند على عهد فتح باهر ( ظاهر الدين محمد من اسفاد تيمورلنك ) وتأسيس مملكة المغول العظمى . وعلى عهد السطان اكبر انتشر الاسلوب الهندي في البناء فظهر بظهور بديع مع المحافظة على اشكاله الفربية وعرف كيف يمزج في الصنائع التي لها صورة خاصة الظرف والبهجة عن الفرس وينسجها الى متانة الاسلوب الجيني والافغاني . فقد قال مورخ فنون البناء الهندية ( فرغوسن ) لهم كانوا يبنون كالجبابرة وينقشون كالصباغ . ولا يفوتنا النظر هنا بان استعمال الكاشاني على طريقة نامة لم يبق له اثر في تلك البلاد بل اخفت الهند تبي بالحجارة والرخام وهو ادل على البراعة في الصناعة وامتن واغنى . اما النقش الفارسي على جماله قليل البقاء وبالاخص اشبه بزنة مسرح التمثيل تزول اذا صغر لها من عهدت اليه ادارة حركة التمثيل ليحصل غيرها مكانها . ولا يعلم لاي امة ينسب مهندس بناء تاج محل في آكرا ( اخند ) ولكن المعلم ان السطان محمد الرابع بعث الى شاه جهان مهندساً يني له في احمد آباد قبة نور محل ولا ينبغي

(١) الجيتا احد مذاهب الهندو يبلغ اهله نحو مليون نسمة وهم معروفون بجزء تقوسهم وامانتهم ولهم هم المقصودون هنا (٢) ينسب للملك خسرو

العجب اذا رأيتنا من بعد هذا العصر الاشكال الفارسية مطبقة على البناء من الرخام في حجم كبير . ويقال ايضا ان رجلاً فرنسويًا من يوردو اسمه اوستين او اوغوستين الذي لقب نادر العصر قد عهد اليه النظر في اعمال ترصيع الحجارة الكريمة التي ازدان بها تاج محل من داخله وخارجة . ولذلك كان الحق مع المسوسلادين في قوله بأنه يظهر بان يد مهندس اوروبي قد رسمت الصور الواضحة ورسوم جانب البناء الكثيرة التدقيق في هذا المنصع ولعل هناك اثرًا من التأثير الغربي .

اما في الصين فان هندسة الجوامع صينية محضة ولم تنقبس شيئًا عن البلاد التي يتكلم اهلها بالعربية ولا عن فارس ولا الهند .

لم يكن النقش اذا قيس بالهندسة شأنًا ظاهرًا . ولا يسعنا هنا ان نبحث في استعماله للتزيين فان ما لدينا منه قليل لا يعتد به وقد ازدانت حوائط قصير عمرا بالنقوش ولكنها بيزنطية . وكان ملوك الفاطميين يزوقون قصورهم في القاهرة بصور ذات ارواح كما قال المقرئ . وجلب اليازوري وزير المستنصر بالله الى مصر ابن عبد العزيز والقصور وما تقاشان مشهوران الاول من البصرة والثاني من العراق فكنا يتنلان بما ينقشان نساء يرقصن ومشاهد مأخوذة من التواريخ المقتولة عن التوراة على نحو ما اوردها القرآن ولكن لم يبق شيء مما نقشاه . وما على من اراد ان يتمثل كيف كان النقش عند العرب الا ان ينظر الى نقش المخطوطات ولا سيما " ر المصنوعة التي تستعمل فيها رسوم الاشخاص والحيوانات دليلًا . ويرتقي عهد اقدم المخطوطات العربية من هذا النوع الى صلاح الدين وبمبارة ثانية الى الدولة الايوبية وهي من اصل بيزنطي على ما يتجلى منها كل التجلي . ومن ام الامثلة في هذا الباب كتاب مقامار زيري المخطوط وهو مما ملكه شقر ( العالم الفرنسي ) وألحق بمجامع خزائن كتب الامة يباريز كتب كاتبه اسمه في آخر ورقة منه واسمه يحيى بن محمود بن يحيى بن ابي الحسن نشأ في واسط من بلاد بين النهرين . وبما سواه صفحة تمثل جيشًا للعباسيين يحملون العلم الاسود ويفريون بابواق ضخمة فارسية كما رسمت فيه ايضا مشاهد من غير هذا الشكل ويحمد فيها كلها اثرًا ظاهرًا من تأثيرات الرسم البيزنطي وذلك للتوسع في صنعها الذي يشبه رسوم الحيطان على الكنائس الكبرى .

ان ما كتب في مصر من المصاحف هو من الصنائع البديعة فتراها محلاة بالمناوين المزوقة والنقوش المدورة الموضوعة في الحواشي من اجل ما تخط يد وهي من زمن المالك . ولا يعرف المرء بماذا يعجب في صناعة مزج النصب بالالوان بدقة الرسم ولطفه او بالتدقيق العظيم الذي اوجد الوقتًا من التراكيب المزينة الهندسية . وقد اقتصر الرسم المصغر في فارس

اكثر من غيرها فظهرت الكتب المزينة بالرسوم بظهور دولة المغول التي اسسها هولاكو حفيد جنكيزخان . وربما كانت هذا النقش قد ظهر بتأثير الصنائع الصينية ( لانه كانت لاسامانيين كتب مزينة بصور لم يذكر عنها كتاب جمل التولرج غير اخبار ريككة ) اما الاكتشافات الحديثة في خوقند التي لم يطلع عليها المؤلفان المشار اليهما ( ظهر مصنف المسيو ستين حديثا ) فقد اوردت لنا امثلة من الصناعة البوذية والفارسية معاً ويجب ان يبحث فيها عن الاصل الذي اخذت منه فارس طريقتها في النقش وعلى هذا فتكون تركستان الصينية هي الطريق التي دخل منها الى ايران تأثير آسيا الشرقية .

ومما يمكن من منشاها فن المحتمل ان فارس نقلت طريقة التصوير المصغر عن مملكة ايلخان . وبذلك ساغ لنا ان نجعل الرسم ثلاث طرق او ثلاثة مذاهب وهي المغولي والتمجوري والصنوي ومن الجنس الاول الصورة المصغرة الواحدة التي رسمت في تاريخ جهان خوشايفي لعلاء الدين الجويني ( المخطوطة في مكتبة الامة بباريز ) وهي تمثل المؤلف بقدم نسخة من كتابه الى آراغون . وقد تجلّى تأثير الصين كل التجلي بعد عهد نيوريجي ان النفس تحدث المرء اذا نظر الى رسوم ذلك الدور فيما اذا كان هناك اناس من ارباب الصنائع من الفرس يخرجوا على ايدي اناس من الصينيين او ان هؤلاء النقاشين هم صينيون في الاصل . جيء بهم الى فارس فرضعوا ما رسموا

بين العصر الماضي وهذا العصر يون بعيد لانه دور التوسع الصناعي الموافق للعهد الذي كانت فيه بلاد الفرس وتركستان خاصة يبدائع المصانع . ولقد غصت بخارا وخيوه وطاشقند بالصنائع الذين ازدادت بمصنوعاتهم دور الكتب في اوربا . ثم ان عصر الصنوية السعيد قد ازهرت فيه صناعة بدعية غريبة بقلم اربابها في سمرقند وبخارا والانتقلت الى الهند مع سلاطين المغول همايون واكبر وجهانكير واورنگ زيب انشأت فيها بدائع في الرسم والنقش بأسلوب يتنافس الناس في اوربا في الحصول عليه . وما هذه الرسوم الا مستندات ثينة لا تقدر بثمن سواء اكلن من حيث التاريخ او الوقوف على الاحوال الاجتماعية في الهند في القرن السابع عشر والثامن عشر . والصناعة الصنوية لينة سهلة تجلّى فيها المواطن الرفيعة ذات بهجة فائقة . واشتهرت النقوش التي كتبت بقلم الرصاص بوضوح الخطاطيع وثبات الشكل والصورة

وانتقل النقش على عهد الشاه عباس الاول الذي كان يحب الالهة وهو على شيء من الافكار العالية والمبارك الواسعة من الكتب المخطوطة الى حرايط القصور في اصفهان وما يزال بين هذه النقوش بما في قصر علي قيو وقصر الارمين همودا . وقد كان



السائح الروماني « ييترو دلافال » استعجب منه نقاشاً في رحلته الى بلاد فارس فمن الممكن ان يكون الشاه اخذ رأي هذا النقاش وباحته في الرسوم الكبرى التي احتاد الطليان رسمها على الجدران فحبه فكره الى ان يزوق قصوره على مثالمه . ولكن هذا من القياس الفرضي وكان على ييترو وقد اطال في رحلته بوصف ما عمل ورأى ان لا يقصر في ذكر ذلك . على ان كثيراً من النقوش الفارسية تشر بجائزات النقش الايطالي . وكثيراً ما تكون جلود الكتب غاية في الجمال ومن الغمارة ان مؤلفي كتاب الوجيز يشار اليهما لم يدخلوا في تفصيل ذلك . ولقد شاهدت في الاستانة بعض المؤلفين بالآثار يأخذون الجلود القديمة كافة ليصاوموا في المتاحف مثلاً من امثلة الخدق في الصنائع . والجلود المصقفة عند الفرس غاية في الجمال ويألف من بعضها جداول حقيقية .  
( الباقي لآتي )

## اللغة والذخيل

في مصر اليوم حركة فكرية مدارها الائتثار فيما وصلت اليه اللغة العربية في هذا العهد من العزيم والتقصير والنظر فيما ينشطها من عقلمها ويخرج بها من هذا المأزق المرجع بعد ما استحدثت من المخترعات والمكتشفات والمصطلحات العلمية ما ضاق عطنها عن قبوله . فكاتب الكتائون في ذلك ما كتبوا وذهب كل مذهبه وابان عن رأيه حتى اوشكت هذه الفكرة ان تصدى حد القول فيؤذن مؤذن الفلاح يحيى على خير العمل . ولنا في النهضة الكريمة التي قام بها رجال نادي دار العلوم خير شاهد على ما نقول .

وقد كنت ممن خاض هذا التيار واجال القلم في هذا الغمار فشرت في صحيفة المؤيد عشرين كلمة من العاصي والذخيل اردفتها بما يرادفها من الرمي الصحيح وقصدت بذلك عرضها للتقد والتعويض حتى يتبين الصحيح من الزائف اذ لا ينبغي للقرء الواحد ان يتبدل بمثل هذا العمل . ثم عن لي ان انضم اليها عشر أخرى وانشرها في المنشئ الاخر ليطلع عليها افاضل العلماء والكتاتب في الانحاء العزيزة فيمدونا بأرائهم فيها خدمة لهذه اللغة الشريفة وهي :

( ملء القلم ) المدة بضم اوله وهي ما ياتي بالقلم من المداد بعد غمره في الدوام  
( بوية الجرم او طلالة الاحذية ) البيرندج او الارندج فمقتنين وهو السواد يسوده الخلف

( صعية الورد ) الطاقة وفي الحزمة من الريحان ونحوه ولعلها اقرب لفظة لمعنى الصعية  
 وقد اصطلح الكتاب على تسميتها بالباقة وهو خطأ لان الباقة خاصة بمزقة البقل  
 ( ثنان التلميم ) البريئة بفتح فكسرو في الحلقة يتعلم الراعي عليها .  
 ( الكشك ) اصله بالفارسية كوشك وهو القصر الصغير وقد عربوه بالجوسق .  
 ( المطفة ) الرطب بفتح الزاء وسكون الدال وهو الطريق الذي لا ينفذ .  
 ( المدبل ) السلف او الغلاب من المظابة وفي ابن يزوج انسان بامرأة ويتزوج  
 آخر باختها . اما التجاب بتشديد الباء من باب التفاعل فهو ان يتزوج كل من الرجلين باخت الآخر .  
 ( قشرة الجرح ) الجليلة بضم فسكون وفي القشرة تلعو الجرح عند البرد  
 ( الطافية ) السكية بفتح فسكون وهي خرقعة تقور للرأس كالشبكة .  
 ( ناظر المارة او مقدم القملة ) الوهين كامير وهو الرجل يكون مع الاجير يمشي على العمل .  
 ( اليشقي ) القمام بكسر اوله وهو انقلب يكون على طرف الانف فان كان على النم فهو الثام .  
 ( السردين ) الصير بكسر اوله وهو كما في القاموس السميكات الملوحة يعمل منها الصحناء  
 وفسر الصحناء بانه ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلى للعدة . فعل هذا يجوز اطلاق الصحناء  
 على كل ما يقدم امام الطعام من المشبهات كالصير ونحوه المسمى عند الاجام ( Hors d'œuvre )  
 ويمكن ان يسمى السردين ايضاً بالطريخ كسكين وهو ممك صغار تعالج بالملح وتؤكل .  
 ( الزبة ) كأنها محرفة عن الزوبة بالفتح وهي الارض البعيدة المضرب الى انكلا  
 وضواها الضيعة وهي الارض المغلة وقد استعملت قديماً بمعنى ( الزبة ) واغلظا مستعملة  
 الى الآن بهذا المعنى بالبلاد الشامية .  
 ( مضرب الكورة ) الطبطابة بفتح فسكون وهي خشبة عريضة يغرب بها بالكورة ويقال  
 لها ايضاً الحيار بكسر اوله وهو كما في المخصص الصولجان الذي تغرب به الكورة .  
 ( المزة ) القفل بالفتح او بالتحريك وهو ما يثبت به الشارب او يشقل به على شرايه من  
 فأكهة ونحوها . والعامية تقول تقل بضم فسكون وهو خطأ قديم فيه عليه اثمة اللغة .  
 ( اللباس الرسمي ) السواد وهو لون اتخذته بنو العباس شعاراً لهم ثم اطلق عند دم على  
 لباس اسود خاص بالامراء والماء وذوي الاخطار وكان الرجل اذا اراد القهاب الى ديوانه  
 او مقابلة خليفته قال لغلامه علي بسوادي وسني .  
 ( ثياب الحزن ) السلاب بكسر اوله وهي ثياب سود تلبسها النساء في المأتم واحداثها  
 سلبة بفتحين وتلبت المرأة وسلبت بتشديد اللام اذا لبستها وهو مثل احدثت الا ان  
 الاحداث يكون على الزوج خاصة والتسلب على الزوج وغيره .

( الحبل للحاجز في الطريق ) عند اصلاحها او في احتفال كبير . الماصر وهو كما في مخضر العين الريدي جبل على طريق او نهر تحبس به السفن او السابلة . واقتصر سيفه الانسان على الله الحبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير .  
( للعدة ) للمبر كمنبر وهو المركب الذي يعبر به .  
( عقدة وشيطة ) الانشوطه بضم فسكون وهي عقدة يسهل اغلالها اذا مددت باحد طرفها انحلت . وتقول تشلت الانشوطه من باب نصر اذا عقدتها وانشطتها اذا حلتها .  
( الحصان البوني ponet او Poney ) المكبون والاقنى المكبونة وهو القرس القصير القوائم الزحيب الجوف الثخث العظام ولا يكون المكبون اقنس ومعنى الاقنس في اغليل المظمن الصهوة المرشح القطة .

( الشال ) الطليسان وقد فسره القويون بانه ضرب من الاكسية واقتصرواعلى ذلك الا ان الشيخ ابراهيم السجيني فسره في كتابه المسى بالمسى الا كبر في عين من انكر لبس الاصفر بانه ثوب طويل عريض كالرداء يحمل على الرأس فوق نحو عمامة . ويغطي اكثر الوجه ثم يدار طرفه تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلقى طرفاه على الكتفين اه وهو كما ترى قريب جداً من معنى الشال .

( رخو الكرباج ) الشيب بكسر اوله وهو سير السوط . وفي الاسان وشيبا السوط سيران في راحته وشيب السوط معروف عربي فصيح اه  
( الجرسون او السرجي ) لم اقف على لفظ مفرد يدل دلالة تامة على ( الجرسون ) وقد ذكر القويون التدل بصحتين وفسروه بخدم الدعوة قالوا سموا ندلاً لانهم يتقلون الطعام الى من حضر الدعوة واصله من ندل يتدل اذا تناول اه . الا انهم لم يذكروا مفردة فارجو عن وقف على لفظة اخرى او على مفرد التدل ان يتفضل بنشره افادة للجمهور . على اني رأيت بهامش اللسان ان هذا اللفظ وجد مضبوطاً بخط الصاغاني بفتحين وعليه فلا يبعد ان يكون اسم جمع لتادل ككادم وخدم الا ان مثل هذا لا ينبغي الحكم فيه الا بالنص الصريح .  
( القطن لآزر ) اصطلاح المصريون على تسمية القطن قبل حمله بالزهر وعريته القصية المكمل بصفة اسم المفعول وهو كما في القاموس القطن ما دام فيه الحب . والقطن الخليج كما ميرهوما استخراج حبه ويسميه المصريون بالثعر . اما شجرة القطن فتسمى الزجل . يفتح واله وثاقه وسكون ثانيه .

( السارة ) الثمن يتج اوله او كسره وهي حديدة حفافه يصاد بها السمك . واما الصنارة بكسر الصاد المعجمة وتخفيف النون ومنع في اللسان تشديدها فهي الحديدة الدقيقة

المعقفة التي في رأس الخنزير فاستعارتها العامة لمصيدة السمك وابدلوا صيدها سينا ولا داعي للاستعارة متى وجدت الكلمة الموضوعة

( الجاكيتة Jaquette ) اصطلاح الكتاب على تسمية « البالطو » بالمعطف ومن المعلوم ان الجاكيتة كالبالطو الصغير فلا حرج اذا سميتها بالمعطف تصغير ترخيخ للمعطف .  
( البيرة السوداء ) البيرة خمر الشعير وعريتها الجملة وزان حبة فيجوز ان يقال الجملة السوداء الا ان العرب سمت الخمر السوداء بام ليل فما المانع من اطلاقها على هذا النوع من البيرة ( عمود الغاز ) المائلة وهي منارة للمسرح كما في القاموس  
( البونية Coup de poing ) الجمع بضم فسكون وهو من الكف حين نقبها قال طرفة بن العبد .

بطي عن الجلي سريع الى الخفا ذلول بأجاء الرجال ملبد  
ويقال فيه ايضاً الصقب بفتح فسكون ومقبه اي ضربه يجمع كفه . والله اعلم .  
القاهرة احمد بن

## مطبوعات ومخطوطات

### كتاب البدء والتاريخ

لم نكد نقرأ بحث الصنائع الاسلامية الذي تفتاه الى العربية في هذا الجزء حتى جاءنا البريد من باريس يحمل الجزء الرابع من كتاب البدء والتاريخ لابي زيد احمد بن سهل البلخي الذي نشره السيوكمان هوار كاتب تلك الرسالة واحداً سائده مدرسية الالسنه الشرقية الحية في باريس مترجماً بقله الى الافرنسية . اخذه عن نسخة وحيدة في مكتبة الاماماد ايراهيم باشا بالاستانة وطبع في الاجزاء الاربع التي صدرت منه الى الان نحو ثلثيه وبقي الثلث الاخر وقد كان ناشره الملامه يرى اولاً ان الكتاب البلخي لان النسخة المنقول عنها كتب عليها اسمه ثم تبين من بعض القرائن التي ذكرها في مقدمة الجزء الثاني والثالث ان الكتاب للطاهر بن طاهر القدسي المقيم بدمشق من احوال ميجستان . ساعد على هذا الشك امور منها ان ابن النديم صاحب الفهرست لم يذكر كتاب البدء والتاريخ في حجة مصنفات البلخي ومنها ان كتاب خريدة العجائب المنسوب لابن الوردي الذي اقتطع بعض فقرات من البدء والتاريخ وان قال انه للبلخي الا ان ابا منصور الجعالي في كتابه الفهرست في سير الملوك واخبارهم ذكر كتاب البدء والتاريخ مرتين وقال انه للطاهر بن طاهر . والتعالي ثقة مقدمه . فقد كان

بعد تأليف البدء والتاريخ بثمانين سنة وابن الوردي كان في القرن التاسع الهجرية . وان  
ياقوت الرومي يقول في كتابه معجم الادباء ان البخاري توفي سنة ٣٢٢ على حين انتهى هذا  
الكتاب الى سنة ٣٥٥ يدان من نسب اليه الكتاب مشهور بين اهل العلم في عصره بالفضل  
والفلسفة واحكام اليوم والرحلة وله مصنفات في الجغرافية وغيرها والمطهر بن طاهر غير  
معروف ولم يثر له على ترجمة .

وكيف كان الحال فقد بذل ناشره جزاء الله خيراً من العناية بتصحيحه ما وصل اليه  
ذخره مستعيناً ببعض ائمة التاريخ والادب العربي من علماء المشرقيات في اوربامثال كوي  
المولاندي وغولسمير المجري ومرجليوث الانكليزي ودارنيون غوبار يه دي مينار الفرنسيين .  
كل هذه العناية وقد اعترف عن نفسه وعدة منها جرأة ان ينشر كتاباً من القرن الرابع منقولاً  
عن نسخة مخطوطة واحدة فقال انه لم يبدأ من نقل العبارة بنصها وعلى غلاتها بل على  
اغلاطها النحوية وان يقتصر على التصحيح الظاهر مشيراً في الحاشية للاصل وكيف ورد .  
قال المؤلف في المقدمة : « تسلق الزائغون عن الحق في التليس على الضعفاء وتعلق  
المخرفون عن نصح الحق في افساد عقيدة الاغنياء من طريق مبادي الخلق ومبايه وما اليه  
ما له تعلقاً به يبهون غرة الغافل ويحيدون فطنة العاقل وذلك من انكي مكايديم للدين واشحن  
للبغهم في اقتحام الموحدين ويأبى الله الا ان يتم نوره ويملئ كلمته ويبلغ سمعته ولو كره  
الكافرون وان من اعظم الآفة على عوام الامة تصديقهم لمناظرة من ناظرهم بما تخيل في  
اوهامهم وانتصب في نفوسهم من غير ارتياض بطرق العلم ولا معرفة باوضاع القول ولا  
تحكمك بادب الجدل ولا بصيرة بمخاتق الكلام ثم القاؤهم بايديهم عند اول صاكة تصك  
انهامهم وقارعة تفرع اسماعهم ضارعين خاشعين مستقيدين مستقلين (؟) الى ما لاح لم بلا  
اجالة روية ولا تقير عن خيثة وعلى اهل العرف والشرف منهم التخصيص بالنادر الغريب  
والرغبة عن الظاهر المستفيض والايحاب بقواض الافاظ الرائقة والكلم الرائقة وان كانت  
ناحلة الماني خيفة المنافي ضعيفة التأثير واهية القواعد فقصارى نظرم الاستقفاف بالشرائع  
والاديان التي هي وثاق الله تعالى في سياسة خلقه وملاك امره ونظام الآلة بين عباده وقوام  
معاشهم والنهية على معادهم الرادع لم عن التباغي والتظالم والميل بهر الى التماطف والتواصل  
والباعث لم على اعتقاد القذاخر من مشكوراتنا الماجل ومحمد ثواب الآجل .

الى ان قال : وجمعت ما وجدت في ذكر مبتدئ الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص  
الانبياء عليهم السلام واخبار الام والاجيال وتواريخ الملوك ذوي الاخطار من العرب والعجم  
وما روي من امر الخلفاء من لدن قيام الساعة الى زماننا هذا وهو سنة ثلثائة وخمسة وخمسين

من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما حكمي انه واقع بعد من النكاثن والفتن والنجائب بين يدي الساعة على نحو ما بين فصل في انكتب المقدمة والاخبار المؤرخة من الخلق والخلائق واديان اصناف الامم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى في الاسلا من المغازي والفنوح وغير ذلك اغ وبتخل الكتاب على اثنين وعشرين فصلاً يجمع كل فصل ابواباً واذكاراً من جنس ما يدل عليه . قدمه مؤلفه الى احد ملوك عصره الا انه لم يذكر اسمه ويرى الناشر ان المقدم اليه ربما كان وزير التصور بن نوح الساماني .

والجزء الرابع الذي أهدي الينا يبدأ من الفصل الثاني عشر بذكر ادیان اهل الارض ونظمهم ومذاهبهم وآرائهم من اهل الكتاب وغيرهم وانتهى بالسادس عشر لسنة احدى عشرة من الهجرة قال في ذكر المصلحة او الملاحدة او الدهرية او الزنادقة او الممثلة : وقط ما انتشروا في امة من الامم ولا اقروا في وقت من الاوقات انتشارهم في هذه الامة لاعطائهم الاقرار بالديانة ظاهراً ( هو ما نسميه اليوم بجمرية لاديان ) وحقق الشريعة دم من انجاب اليها وهم هؤلاء الباطنية الباطلية الذين تخلفوا عن الاديان ومرجوا نقوسهم في ميادين الشهوات فخطوا عند الظلمة بترخيصهم لم في ارتكاب ما يهون وتهوينهم عليهم عوالب ما يحذرون حتى ترى الظلم قد فشت والقلوب قد قست والشكرات ظهرت والقواش كثر وتوارفت الامانة وغلبت الخيانة وعطلت المروءة واستخف بالربانيين واحتفم المستضعفون وأميت العدل وأحيى الجور فظهر ما لم يذكر في عهد ملك من الملوك في قدم الدهر وحديثه ولا في زمن نبي من الانبياء عليهم السلام . . .

وفي انكتاب فوائد كثيرة جغرافية وتاريخية واجتماعية وعمرانية وهو من اهم انكتب في الفحل والمثل وخوضه فيها يدل على ان المؤلف هو البلخي لما عرف من ترجمته انه طالما اجتمع بزعماء ارباب الملل واستوصفهم معتقداتهم قال في طور سيناء : « يخرج الرجل من معرلى قازم في ثلاثة ايام ومن قازم الى الطور طريقان احدهما في البحر والاخر في البر وهما جميعاً يؤديان الى فارن وهي مدينة العالقة ثم يسير منها الى الطور في يومين فاذا انتهى اليه معد ستة آلاف وستائه وستا وستين مرقاة وفي نصف الجبل كنيسة ذليلا النبي وفي قمة الجبل كنيسة مبنية باسم موسى عليه السلام باساطين من رخام وزينب من صخر وهو الموضع الذي كلم الله عز وجل فيه موسى وقطع منه الاواح للتوراة ولا يكون فيها الا راهب واحد القديمة ويزعمون انه لا يقدر احد ان يبيت فيها فيبي له بيت صغير من خارج بنا . فيه » .

والكتاب كما رأيت لطيف الاسلوب في انشائه . وانشاء القرن الرابع مما لمخط ارق من

انشاء العصر التي تليه . وقد انتفجح مؤلفه معتزلي من نسبة الاختيار المطلق للانسان ورعاية الاصالح لله سبحانه وتعالى ونحو ذلك مما ذكره في المراج النبوي فانه قال : والوجه في هذا وما اشبهه ان لا يجاوز فيه نص انكتاب ومسنقيض السنة مع المخالف المتكر المستعمل لما يخرج عن العادة المهودة والطبع القوي وقال ان المسرى قد يكون بالروح والجسم وانه لا خلاف بين اهل اللغة ان الرؤيا في المنام لا غير وان كان جاء في التفسير انه رؤيا العين فحكم الماقل ان مخاطب كلاً على قدر فهمه .

فهذا الكلام يدل على ان المؤلف معتزلي فان كان المطهر الذي نسب اليه التأليف معتزلياً بقوى الشبهة في ان الكتاب له والا فيبقى هناك مجال للقول في انه للبلخي . ولعل الذي احيا هذا الكتاب الذي كاد يذفن يورق الى تفتيح بمض ما يشترع من مصنفات الخطي فيقابل بين اسلوبه فيها واسلوبه في كتاب البدء والتاريخ ليتجلى له ان كان هذا المؤلف له او نسب اليه وهو لغيره فان المدقق لا يثبت ان يدرك من بعض اللفاظ والتعابير ان المؤلف واحد ولكل كاتب اللفاظ تكاد تكون خلسة به يستعملها في معقل ما تخطه براعته .

وقد تصفحنا جملة مباحلة من الترجمة الافرنسية فرائها موافقة للاثر العربي اللهم الا اذا كان في هذا بعض التباين فبيننا المترجم يعسر لا محالة . ومعهم يكن فاننا نهي في المسيو هوار على احياه هذا الاثر النفيس وهـ اخرى ان تكون مبالغة في العناية بانشر معمة لطابعينا ومؤلفينا كيف طبع انكتب اذا أريد بها النفع الحقيقي لا مجرد التسمي والافتاء للطبع كيفما اتفق . ونشكر للدرسة اللغات الشرقية على طبعها هذا السفر الجليل ونرجو ان يوفق امثال المسيو هوار وغيره من وصفائه الجهابذة الى نشر كثير من آثار الشرق على النحو الذي طبع به هذا الكتاب من الاتقان والجودة . وكل جزء منه يباع بعشرين فرنكا . فتمت طلاب العلم والادب على اقتنائه فانه من خير الكتب التي تزين المكتاب والقفاطر ويسر بوضعها وطبعها الخاطر والناظر ومن جملة فوائد انه يبين من اراد ان يعلم الترجمة من الافرنسية الى العربية وبالعكس .

### بلاغات النساء

هو كتاب حوى طرائف كلام النساء وملح نوادرهن واخبار ذلن الأي منهن واشعارهن في انجالية وصدر الاسلام تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر الشوفي سنة ٢٨٠ هـ نقله عن نسخة مخطوطة في خزانة الكتب الخديوية احمد افندي الا في من افاضل ادباء عصره وقدم له مقدمة رشيقة وصف فيها الاصل الذي اعتدى اليه وحافظ على كلام المؤلف فلم يحذف منه ما لا ينطبق مثلاً على عادات هذا العصر في التأليف فاني قسم المجون بمجالة « لانه

داخل في انواع الاحوال الاجتماعية والبلاغات القوية المروية عن النساء ليم نطالع الاشراف على هذه الاحوال والبلاغات في قسميها الجدي والقكامي » وقد يستغرق المطالع في مطالعة هذا الاثر النفيس فيمار في التفضيل ولا غرو فان كلام عائشة وفاطمة وزينب وام كلثوم وحفصة واروى بنت الحارث وسودة بنت عمار والزرقاء بنت عدي وبكارة الهلالية وام الخير بنت الحريش البارقية والحجانة بنت المهاجر وام مبيد ورقية بنت بنانة وامرأة ابي الاسود الدبلي وصفية بنت هشام المخزومية وجمعة وهند بنتا الحسن وآمنة بنت الشريد وام صنان بنت خنثة بن خرسه وثالثة بنت القرافصة وعائشة بنت عثمان بن عفان وفاطمة بنت عبد الملك وعكرشة بنت الاطش والدارمية الجعونية وجروة بنت مرد بن غالب وام البراء بنت صفوان الى غيرهن من الادبيات الحكيمات — هو اللبلة مميّنة وعلى الادب اكبر معين يقل وقوع مثله للرجال دع عنك ربات الحجال . وقد جاء الكتاب في زهاء مئتي صفحة مطبوعة طبعاً جيداً وعلق عليه ناشره تفسير بعض الالفاظ العربية وبذل الجهد في ارجاع النصوص الى الصواب ما يمكن لان النسخة الاصلية محرفة تحريفاً شديداً فجاء الله خيراً .

الكتاب يطلب من المكتاتب الشهيرة بصر وثمنه عشرة قروش .

## سير العلم والاجتماع

### قوة الحياة في المالمين

ادعى جون بورغوس من مشاهير علماء الطبيعة في اميركا ان الاحياء من الانسان والحيوان هي في اوربا اقوى واعظم واكثر نسلًا مما هي في اميركا فاثبت الرئيس روزفلت عكس هذه القضية ونشر كل من المدعي والمنكر مجلدات في هذا الصدد فقال روزفلت : ان كثيراً من الحيوانات والطيور التي تنسب بان اصلها من اوربا قد وردت عليها سيفة الحقيقة من بلاد اخرى كما هاجرت الى الولايات المتحدة واستراليا مثال ذلك الارنب والجرذ والفأر فثابتها كانت تاوي باديء بدء الى شمالي افريقية او جنوبي آسيا . واستنتج من ذلك ان الضعف في هذه الحيوانات اذا قيس بالحيوان الاميريكي لا تكون منه قاصمة كما يكون وجه الشبه بين الحيوانات المتوحشة التي ما زالت في فرنسا والمالينا واتكلترا . اما ذوات الثدييين من الحيوانات فلا يعرف ! اذا كانت في اميركا تتمايز عن بنات نوعها في مكان آخر من حيث القوة والنشاط . فترى الويل والايل في اميركا اعظم جثة مما هي في



اوربا وهكذا الحال في كلب الماء وجرذ الخقل فانك تشاهد اعظمها جثة ما كان اصغر ابقع وهو يكثر في جون هودسون . ولئن كان الارنب الاميركاني في الشمال احط بقوته وجراته من الارنب في شمالي اوربا وآسيا فان السب الاميركي ارقى من السب الاسف الاوربي . واذا بدا البقر الوحشي في اوربا وآسيا وافريقية انه اصخم من البقر الذي من جنسه في اميركا فالاي في اميركا اعظم من الذي من جنسه في غيرها . ويكاد الثعلب الاميركي يكون مساويا في قده للثعلب الفرنسي واصغر من الارنب الايكوسي ولكن هذا دون الارنب في اعالي ميسوري . وما من شيء يدعو الى الاعتقاد بان الثعلب الاحمر جيء به من اوربا الى اميركا لان سكان كندا كانوا يصيدون الثعلب منذ ازمان متطاولة ويجرون بفروها . هذا رأي الرئيس روزفلت في الحيوانات واما في الانسان فقد استعان على صحة مدعاه بالاحصاءات الطبية من عود حرب الرقيق لانه اشتركت فيها ام من جميع اهل اوز باوعامة انطار الولايات المتحدة وجرى البحث في اجسامهم على طريقة طبية تشريحية فتج من البحث ان الجسم الانساني في شرقي الولايات المتحدة قد فسد فسادا محسوسا . فقامت سكان ولاية نيويورك مثلاً اصغر من قامات الانكليز والاييرنديين واتساع صدورهم اقل . واجمل الناس صورة هم سكان ولايتي كنتيكي وتينيسي ثم السويديون والايكوسيون والاميركون في ويسكنسن ومينوتا ويلهم الايرلنديون والالمن والانكليز ثم الفرنسيين الهم الامسكان كندا منهم . واكثر الناس سلاسا سكان كنتيكي وتينيسي وفيرجينيا وكروينا وكندا . واستنتج الرئيس من ذلك ان ليس ثمة قاعدة مطردة بتأق السير عليها فحكم على قوة الحياة في الحيوان والانسان اذا كان الاستعداد في ذلك على هواه البلاد فقط . ونحن نستنتج مجيبين بالرئيس روزفلت الذي يباري العلماء ويذهب في تلهم كما هو اعظم سياسي . فنجان من خص رؤساء الغرب بالعلم والعمل وخص رؤساءنا بالدعوى والكسل حتى اصبحنا نقول الرئيس روزفلت بعد ان كنا نقول الرئيس ابن سينات .

### مزارع النعام

لئن كان اصل النعام من سهول افريقية وبلاد العرب الرملية فقد ربي في الناطال سنة ١٨٧٤ وكثرت الاستفادة منه حتى بلغ رأس المال المخصص لتربيته سنة ١٨٧٩ ثمانية ملايين جنيه ويصدر منه كل سنة زهاء خمسة وعشرين مليون ريشة الا ان حرب الزولو لاند وغيرها من الحوادث قضت بتغريب تلك المزارع فانتقل بعض اصحابها الى زلاند الجديدة فالحفوا بربون النعام وقد انشئت شركة سويسرية لتربية النعام فيها اتت باراح وافرة واقتدى بهم بعض الناس في اوستراليا فاصبح فيها زهاء الف نعامه وتباع الواحدة

التي يبلغ عمرها ثلاثة اشهر بخمسة جبهات ويباع زوج من ذكر النعام واثناه بثمة جنيه وما زال في غو. والنعام ثروة لم يره ولكن لا في افريقية .

### المستعمرات الفرنسية

كتب احد اعضاء مجلس النواب الفرنسي تقريراً قال فيه ان المستعمرات الفرنسية اخذت تزيد باراضها وسكانها وضاعها فلم يكن لفرنسا سنة ١٨٧٠ ما خلا الجزائر وتونس غير مستعمرات لا يتجاوز سكانها المليونين ونصفاً اما اليوم فسكانها يثلثون خمسة وثلاثين مليوناً نصفهم في الهند الصينية وهي اكثر البلاد الآهلة بالسكان وافريقية الغربية والكونغو اوسع المستعمرات الفرنسية . وذكر ما قصرت فيه الحكومة في مدغشكر من اعمار سكانها على حين اخذ مرسو البرتسانت من الانكليز والفرنسيس يكثرون من المد التلاميذ اكثر مما في مدارس الحكومة . وقد رد عليه بعضهم فقال : ما اخص يحنق على من يأتي الخير لانه اتاه باسم الدين وما على الطبيب الطيب الا ان .! في نفسه ماذا يهر من الدواء اذا كان فيه الشفاء .

### دعاة الدين

يقولون ان ايطاليا اليوم تحارب رجال الدين كما حاربتم فرنسا من قبل ولكن الدين مع هذا لم يبرح متغلبه يكثرون في عدة جهات وان قلوا في بعضها فقد كان عدد من دانوا بالبرتستانية في النما ٣٤٣١ في السنة الماضية وبلغ مجموع من اتهموا هناك في تسع سنين ٤٥ الفا وفي فينا دان سنة ١٩٠٧ - ٢٢٧ اسرائيلياً بالنصرانية منهم بالبرتستانية ومنهم بنبرها . وذكروا ان في الجليك اليوم ٢٤٧٤ جمعية دينية على حين ليس فيها سوى ٢٦٢٣ مركزاً .

### حجر السماء

اكتشف بالعرض احد سكان كليفورنيا جوهراً جديداً معدنياً لم يكن من قبل معروفًا وسننافس عا قريب احجار الياقوت والزمرد وهو ازرق كالصفيح او الياقوت الازرق وزرقته كزرق السماء في الصيف . وقد كتم المكتشف مرا اكتشافه الا انه عرضت بعض الاحجار تنافس فيها غلاة الجواهر من كبار اغنياء الاميركان . وفي تلك الناحية من كليفورنيا اكتشف منذ عشر سنين زمرد اخضر كما اكتشف حديثاً في تلك البقعة قصبها حجر الكونزيت الذي يختلف بلونه من الارجوان الى الوردي .

## أكبر بلخورة

أكبر بلخورة تدير في الانارمي التي صنعتها اميركا وتستخدم للملاحة قريباً سيفه جون هودسون وهي تحمل خمسة آلاف راكب بطولها ١٢٠ متراً وعمقها ١٣ ومجموع علوها ٢٤ وتقطع ٢٨ كيلومتراً في الساعة . يزيد قطر دوليها على سبعة امتار .

## تجارة تونس

أصبحت تجارة الصادرات والواردات معاً في القطر التونسي سنة ١٩٠٦ فبلغ مجموعها ١٧٠ مليون فرنك منها ٩٠ مليوناً للواردات والباقي للصادرات وقد كانت الواردات سنة ١٩٠١ - ٦٥ مليوناً والصادرات ١٠٥ ملايين وما يرح الارتفاع في الواردات أخذاً في التوروام المالك التي تعامل تونس فرنسا وإيطاليا وأنكلترا والجزائر ثم البلجيك والمانيا والولايات المتحدة . يصيب كل مملكة منها بحسب نشاط افرادها وما لديهم من الثلات والمصنوعات .

## تطهير الكتب

اخترعت عدة طرق لتطهير الكتب من الجراثيم التي يلحقها بها الماطلون من ارباب الامراض المعدية ولكنهم لم تأت بالفرض المقصود وقد اخترع الدكتور بوليوز الفرنسي آلة جديدة اسهل على العمل واخمين للنتيجة من جميع ما اخترع من نوعها وذلك بان تبخر الكتب بائل خاص على درجة من الحرارة لا تقل عن ٧٥ وبدون ضغط على الكتاب ولا فتح لاوراقه ولا ضرر على جلده وورقه والكتب المجلدة تجليداً قديماً يكتفى بتغليفها بورقة رفيعة فيذهب بذلك من الكتب كل جرثومة ضارة الى ان هذا العمل بها يساعد على زيادة بقائها وحفظها .

## الزراعة في انكلترا

افضلت زراعة انكلترا انخطاطاً هائلاً فكانت سنة ١٨٧٠ تقوم باعام نصف الامة ولم تعد تكفي سنة ١٩٠٠ لغير طعام عشر سكانها وقلت الاراضي التي تزرع حبوباً قلة محسوسة فاجتعت انكلترا عالة على مستعمراتها اذا قطعت عنها هذه مادة حياتها وحدث ما اخرير يطانيا عن الاستعمار بسلطة البحار يسود حالها لا محالة . اثبتت ذلك اللجنة الزراعية الانكليزية في العام الماضي فقالت ان عدد العاملين في الزراعة كان سنة ١٨٧١ - ١٦٨٥٠٠٠ فاصحوا سنة ١٩٠١ - ٩٠٠٠٠٠ واكدوا ان زراعة انكلترا ابطت الزراعات في ام الارض كلها .

# المقنيس

الجزء الرابع من المجلد الثالث

ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ موافق مايو ( ايار ) سنة ١٩٠٨

## رسالة ابن المقفع في الصحابة (١)

اما بعد اصلى الله امير المؤمنين وأتم عليه التهمة والبسه المعافاة والرحمة فان امير المؤمنين حفظه الله يجمع مع علمه المسألة والاستماع كما كان ولاية الشر يجمعون مع جهلهم العجب والاستغناء ويستوثق لنفسه بالحجة وينفذها على رعيته فيما يلطف له من الفحص عن امورهم كما كان اولئك يكتفون بالدعة ويرضون بدحوض الحجة وانقطاع العذر في الامتناع ان يجتري عليهم احد يرأى او خبر مع تسليط الديان . وقد عصم الله امير المؤمنين حين اهلك عدوه وشق غليله ومكن له في الارض وآتاه ملكه وخزائنها من ان يشغل نفسه بالتمتع والتفتيش والتأمل والاخلاق وان يرضى من آوى بالمتاع به وقضاء حاجة النفس منه واكرم

(١) ظفرنا بهذه الرسالة والتاليات لها في كتاب المنشور والمنظوم لاحمد بن ابي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ المحفوظ في دار الكتب المصرية فاثبتناها في المقنيس بعد ان صححتا ما امكننا تصحيحه من الفاظها واذهلب قليل من القهر يفت على هذا المخطوط النفيس الاصل ولا نعرف نسخة اخرى نقابل عليها بل ولا شذرات من هذه الرسائل قلها فيما نذكر بعض مؤلفي انكتب المتداوله في الادب والمحاورة اكتفينا بتركها على ما وجدناها صو ان يهدينا بعض اهل العلم بالبحثين في الاقطار الى اصل نمارض به هذه الاعلاق النفيسة التي اجتمعت الايام من قلم ابن المقفع . اما رسالة الصحابة فالظاهر من سياقها ان المقصود بالصحابة اصحاب السلطان واطلاق الصحابة على اصحاب السلطان غير ما لوف لنا ولعلها رسالته المشهورة في السياسة

الله أمير المؤمنين باستهانة ذلك واستصنائه إياه وذلك من إيبين علامات السعادة والنجاح الاعوان على الخير . وقد قمن أقمم وجل علينا من بليو يوسف مع يعقوب انه لما تمت نعمة الله عليه وآتاه الملك وعلمه من تأويل الاحاديث وجمع له شمله وافر عينه بأبويه وأخوته انتهى على أقمم وجل نعمته ثم سلا عما كان فيه وعرف ان الموت وما بعده هو اولى فقال : توفي مسلماً والحقني بالصالحين .

وفي الذي قد عرضنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على تناوله بالخبرة فيما ظن انه لم يبلغه إياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه ولا يزيد صاحب الرأي على ان يكون مُخْبِراً او مذكراً . وكل عند أمير المؤمنين مقبول ان شاء الله . مع ان مما يزيد ذوي الالباب نشاطاً الى اعمال ذوي الرأي فيما يصلح الله به الامة في يومها او غير دهرها الذي أصبحوا قد طعموا فيه (٢) ولعل ذلك ان يكون على يدي أمير المؤمنين فان مع الطمع الجذع ومع اليأس التئوت . ولما ضعف الرجاء الاذهب الرخاء . وطلب المويس عجز وطلب الطامع حزم . ولم تترك الناس نحن وآبائنا الا وهم يرون فيها خلا لا يقطع الرأي ويمسك بالافواه من حال وال لم يهجه الاصلاح او يحميه ذلك ولم يثق فيه بفضل رأي او كان ذا رأي ليس مع رأيه صول بصرامة او حزم او كان ذلك استئثاراً منه على الناس بنسب او قلة تقدم لما يجمع او يقسم او حال اعوان ينيل بهم الولاة ليسوا على الخير باعوان وليس له الى اقتلاعهم سبيل لمكانهم من الامر ومخافة الدول والفساد ان هوأجهم او انقص ما في ايديهم او حال رعية مثزرة ليس لها من امرها النصف في نفسها فان أخذت بالشدّة حمت وان أخذت باللين طغت . وكل هذه الخلائق قد طهر الله منها أمير المؤمنين فأتاه الله ما آتاه في نيته ومقدوره وعزمه ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منه جهالم فضلاً عن طلائهم . وصنع الله لأمير المؤمنين اللطف الصنع في اقتلاع من كان يشركه في امره على غير طريقته ورأيه حتى اراحه الله وآمنه منهم بما جأوا من الحيلة والسبيل على انفسهم وما قوى الله عليه أمير المؤمنين في رأيه واتباعه مرضاته واذل الله لأمير المؤمنين رعيته بما جمع له من اللين والعرفان لان لاحد منهم في الاثنان (٣) له شهيد على ان ذلك ليس بضعف ولا مصانعة وان اشتد على أحد منهم في العفو شهيد على ان ذلك ليس ببنف ولا خرق مع امور سوى ذلك يكفى عن ذكرها كرامة ان يكون كأننا نصبنا المدح . فما اخلق هذه الاشياء ان تكون عتاداً لكل جسم من الخير في الدنيا والآخرة واليوم والغد والخاصة والعامّة . وما ارجانا لان يكون أمير المؤمنين بما اصلى الله الامة من بعده اشد اهتماماً من بعض الولاة بما لا يصلح رعيته في سلطانه وما اشد ما قد استبان لئان أمير المؤمنين اطول

بامر الامة حناية ولها نظراً وتقديراً من الرجل مناجاة صاعده في دون هذا ما يثبت الامل وينشط العمل ولا قوة الا بالله والله الحمد وعلي الله التمام .

فمن الامور التي يذكرها امير المؤمنين امتع الله به امر هذا الجند من اهل خراسان فانهم جند لم يدرك منهم في الاسلام وفيهم منعة بها يتم فضلهم ان شاء الله . امام فاعل بصير بالطاعة وفضل عند الناس وعفاف نقوس وفروج وكف عن الفساد وذل الولاة فبهذه حال لا نعلمها توجد عند احد غيرهم . واما ما يختص به في الامانة من ذلك فنقوم اليه به رؤسهم وكلاهم فان في ذلك اليوم اختلاطاً من رأس مفروط غال وتابع متغير شائع . ومن كان انما يصل على الناس يقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة فهو كراكب الاسد الذي يوجل من رآه والراكب اشدّ وجللاً . فلوان امير المؤمنين كتب لم اماناً معروفاً بليفاً وجيزاً محيطاً بكل شيء ويجب ان يقول فيه ويكفوا عنه بالقائ في الحجة قاصراً عن الغلو فيفضله رؤسناهم حتى يقود به دماءهم ويشهد به منهم من لا يؤبه له من عرض الناس لكان ذلك ان شاء الله لرأيهم صلاحاً وعلي من سوام حجة وعند الله عزراً . فان كثيراً من المتكلمين من قواد امير المؤمنين اليوم انما عامة كلامهم فيما يؤمر الامر ويرغم الرغى ان امير المؤمنين لو امر الجبال ان تسير سارت ولو امر ان تستدير القبله بالصلاة فعل ذلك وهذا كلام قلما (يرفضه) من كان مخافاً وقلما يرد في سمع السامع الا احسث في قلبه ربة وشكاً . والذي يقول اهل القصد من المسلمين هو اقوى للامر واعز للسلطان واقبح للمخالف وارضى للموافق واثبت للعد عند الله عز وجل .

فانا قد سمعنا فريقاً من الناس يقولون لا طاعة للخلق في معصية الخالق . بنوا قولهم هذا بناء معوجاً فقالوا ان امرنا الامام بمعصية الله فهو اهل ان يعصى وان امرنا الامام بطاعة الله فهو اهل ان يطاع . فاذا كان الامام يعصى في المعصية وكان غير الامام يطاع في الطاعة فالامام ومن سواه على حق الطاعة سواء . وهذا قول معلوم بحجده السلطان ذريعة ان الطاعة والذي فيه امنيته لئلا يكون للناس نظائر ولا يقوم بامرهم امام ولا يكون على عدوهم منهم قتل . سمعنا آخرين يقولون بل نطيع الائمة في كل امورنا ولا نقش عن طاعة الله ولا معصيته ولا يكون احد منا عليهم حسيباً هم ولا الة الامر واهل العلم ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والتسليم . وليس هذا القول باقل ضرراً في توهين السلطان وتجيئ الطاعة من القول بالذي قبله لانه ينتهي الى القليح المتفاحش من الامر في استجلال معصية الله جواراً صراحاً . وقال اهل الفضل والصواب : قد اصاب الدين قالوا : لا طاعة للخلق في معصية الله التي وصى بها في تعظيم طاعة الائمة وتبجيلهم اباها واصاب الدين اقروا بطاعة الائمة لما حقوا منها ولم

يصيبروا ما اجهوا من ذلك في الامور كلها فاما اقرارنا فانه لا يطاع الامام في معصية الله فانما ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليها سلطاناً . ولوان الامام نهى عن الصلاة والصيام والحج او منع الحدود واباح ما حرم الله لم يكن له في ذلك امر . فاما اثباتنا للامام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره فان ذلك في الرأي والتدبير والامر الذي جعل الله ازمته وعراه بايدي الائمة ليس لاحد فيه امر ولا طاعة من الغزو والقول والجمع والقسم والاستعمال والترك والحكم بالرأي فيما لم يكن فيه اثر وامضاء الحدود والاحكام على الكتاب والسنة ومعارضة المدعي ومخادعته والاخذ للمسلمين والاعطاء عليهم . وهذه الامور واشباهاها من طاعة الله عز وجل الواجبة وليس لاحد من الناس فيها حق الا الامام ومن عصى الامام فيها او خذله فقد اوقع نفسه . وليس يفترق هذان الامران الا ببرهان من الله عز وجل عظيم . وذلك ان الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين الدين والعقل ولم تكن عقولهم وان كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها بالغة معرفة الهدى ولا مبغضة اهلها رضوان الله الا ما اكل لهم من النعمة بالدين الذي شرع لهم وشرح به صدرهم من اراد هداة منهم ثم لوان الدين جاء من الله لم يفادر حرقاً من الاحكام والرأي والامر وجميع ما هو وارسل الناس وجار فيهم مذبح الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه الا جاء فيه بزعامة لكانوا قد كفوا غير وسعهم فضيق عليهم في دينهم وآثام ما لم تسع اسماهم لاستقامه ولا ظهورهم لقمهم ولطارت عقولهم والباهم التي امتن الله بها عليهم وبكانت لغوا لا يحتاجون اليها في شيء ولا يعلمونها الا في امر قد اتاهم به تنزيل ولكن الله من عليهم بدينهم الذي لم يكن يسمه رأيهم كما قال عباد الله المتقون : ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

ثم جعل ما سوى ذلك من الامر والتدبير الى الرأي وجعل الرأي الى ولاية الامر ليس للناس في ذلك الامر شيء الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة والتصحية بظهور النيب . ولا يستحق الرائي هذه الطاعة الا باقامة العزائم والسنن مما هو في معنى ذلك . ثم ليس من وجوه القول وحده يلتبس فيه ملتبس اثبات فضل اهل بيت امير المؤمنين على اهل بيت (من سواه) وغير ذلك مما يحتاج الناس الى ذكره الا وهو موجود فيه من الكلام الداخل المعروف مما هو ابلغنا يتعرفه القائلون فان الحجة ثابتة والامر واتبع بحمد الله ونعمته .

وما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولي احداً منهم شيئاً من الخروج فان ولاية الخروج مفسدة للغاناة . ولم يزل الناس يحامون ذلك منهم ويخونون عنهم لانهم اهل ذلك ودعوى بلاء واذا خلا بالهرام والدنانير اجترأ عليها واذا وقع في الحياطة جارك كل امرئ مدخولا

نصيحتهم وطاعته فان حيلينه وبين رفضه امرضته الحجة مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وعقوبة وهوان . وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة والالطف . وما ينظر فيه من ارم من ان منهم من المجهولين من هو افضل من بعض قادتهم فالواقصوا وصنعوا كانوا غدة وقوة وكان ذلك صلاحا لمن قوتهم من القادة ومن دونهم من العامة .

ومن ذلك تعهد اديهم في تعليم الكتاب والتفقه في السنة والامانة والعصمة والمباينة لاهل الهوى وان يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب زي المترفين وشكهم مثل الذي يأخذ به امير المؤمنين في امر نفسه . ولا يزال يطلع من امير المؤمنين ويخرج منه القول ما يعرف مقتضى للاتراف والاسراف واعلموا بحجته القصد والتواضع ومن اخذ بهما حتى يعلموا ان معروف امير المؤمنين محظور عمن يكثره بخلاف ان ينفقه سرفاسية العطر واللباس والمغالة بالساء والمرايب فان امير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهه المعروف والمواثاة . ومن ذلك امر ارزاقهم ان يوقت لم امير المؤمنين فيها وقتا يعرفونه في كل ثلاثة اشهر او اربعة او ما بدا له وان يعلم طاعتهم الصدر الذي في ذلك من اقامة ديارهم وتحمل اسمائهم ويعلموا الوقت الذي يأخذون فيه فينقطع الاستبطاء والشكوى . فان الكلمة الواحدة تخرج من احدهم في ذلك اهل ان تستعظم فان باب ذلك جدير ان يحسم مع ان امير المؤمنين قد علم كثرة ارزاقهم وكثرة المال الذي يخرج لم وان هذا الخراج ان يكن راجعا لفلاء السرفانه لا بد من الكساد والكسر وان لكل شيء درة وغزارة وانما درور خراج العراق بارتفاع الاسعار وانما يحتاج الجند اليوم الى ما يحتاجون اليه من كثرة الرزق لفلاء السرفان حسن التقدير ان شاء الله ان لا يدخل على الارض ضرر ولا بيت المال نقصان من قبل الرحمن الا دخل ذلك عليهم في ارزاقهم مع انه ليس عليهم في ذلك نقصان لانهم يشترون بالقليل مثل ما كانوا يشترون بالكثير . فاقول لو ان امير المؤمنين ما خلا شيئا من الرزق فيحصل بضه طعاما ويحصل بضه علفا فاعطوه باصنافهم فان قومت لم قيمة يخرج ما يخرج على حسابه قيمة الطعام والعلف لم يكن في ارزاقهم لذلك نقصان طاهر يستكرهه وكان ذلك . . تزامم لحل المدو وانصاف بيت المال من انفسهم فيما يستبطئون مع انه ان زاد السعر اخذوا بمصتهم من فضل ذلك . ومن جماع الامر وقوامه باذن الله ان لا يخفى على امير المؤمنين شيء من اخبارهم وحالاتهم وبطن ارمم بخراسان والعسكر والاطراف وان يحقر في ذلك النفقة ولا يستعين فيه الا بالثقات الصالح فان ترك ذلك واشباهه احزم بتاركة من الاستمانة فيه بغير الثقة فتصير رجعة للجهالة والكذب

وما يذكر به امير المؤمنين امتع الله به امر حدين الحسين فانهم ببداهل خراسان اقرب الناس



المان يكونوا شيعة ومعينيه مع اختلاطهم بأهل خراسان وانهم منهم وهامتهم وانما ينظر امير المؤمنين منهم . . صدق ولزبطتهم او ما اراد من امورهم معرفته استئصال اهل خراسان ذلك لم من امرهم مع القدي في ذلك من جمال الامر واختلاط الناس بالناس العرب بالهم وأهل خراسان بالمصريين.

ان في اهل العراق يا امير المؤمنين من الفقه والعفاف والالباب والالسة شيئاً لا يكاد يشك انه ليس في جميع من سوام من اهل القبلة مثله ولا مثل نصفه فلواراد امير المؤمنين ان يكتفي بهم في جميع ما يتيسر له اهل الطبقة من الناس رجوعاً ان يكون ذلك فيهم موجوداً . وقد ازرى بأهل العراق في تلك الطبقة ان ولاية العراق فيما مضى كانوا اشرار الولاة وان اعوانهم من اهل امصارهم (كذلك) فحمل جميع اهل العراق على ما ظهر من اولئك الفسول وتعلق بذلك اصدائهم من اهل الشام فتعوه عليهم ثم كانت هذه الدولة فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والعمال الا بالاقرب فالاقرب بما دنا منهم او وجدوه بسبيل شيء من الامر فوق رجال مواقع شائنة لجميع اهل العراق حيث ما وقفوا من صحابة خليفة او ولاية عمل او موضع امانة او موطن جهاد وكان من رأي اهل الفضل ان يقصدوا حتى يلتبسوا فابطاً ذلك بهم ان يعرفوا وينتفع بهم وان كان صاحب السلطان لمن لم يعرف الناس قبل ان يليهم ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ولم يستثبت في استقصائهم فزال الامور عن مراكمها وتزلت الرجال عن منازلهم لان الناس لا يلقونه الا متصنعين باحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام غير ان اهل التقصم اشد تصنعاً واحلى السنة وارفق تطلقاً للوزراء او تعلاً لان يشي عليهم من وراء وراء . فاذا آثر الوالي ان يستخلص رجلاً واحداً عن ليس لذلك اهلاً دعا الى نفسه جميع ذلك الشرح وطمعوا فيه واجتأروا عليه وتوردوه وزحوا على ما عنده واذا رأى ذلك اهل الفضل كفوا عنه وباعدوا منه وكروهوا ان يروا في غير موضعهم او يزاحوا غير نظرائهم .

وبما ينظر امير المؤمنين فيه من امر هذين المصريين وغيرهما من الامصار والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امراً عظيماً في الدماء والفروج والاموال فيستحل الدم والفروج بالحيلة وما يحرم بالكدوة ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكدوة فيسجل في ناحية منها ما ينجم في ناحية اخرى غير انه على كثرة الرأيه نافذ على المسلمين في دمايتهم وحرمهم يقضي به قضاء جائز امرهم وحكمهم مع انه ليس بما ينظر في ذلك من اهل العراق واهل الحجاز فريق الا قد حجبهم بالفي ايديم . والاستحقاق من سوام بالخمهم ذلك في الامور التي يشفع بها من سمعها من ذوي الالباب .

اما من يدعي لزوم السنة منهم فيحمل ما ليس له سنة سنة حتى يبلغ ذلك به الى ان يسفك  
الدم بغير بيعة ولا جمعة على الامر الذي يزعم انه سنة واذا شئنا عن ذلك لم نستطع ان  
يقول 'حريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثمة الهدى من بعده . واذا  
قيل له اي دم سفك على هذه السنة التي تزعمون قالوا: فعل ذلك عبد الملك بن مروان او  
امير من بعض اولئك الامراء وانما من يأخذ بالرأي فيبلغ به الاعتزام عن رأيه ان يقول  
في الامر الجسيم من امر المسلمين قولاً لا يوافق عليه احد من المسلمين ثم لا يستوحش لانتزاعه  
بذلك وامضائه الحكم عليه وهو مقرانه رأي منه لا يحتاج بكتاب ولا سنة . فلورأى امير  
المؤمنين ان يأمر بهذه القضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب ويرفع معها ما يحتاج به  
كل قوم من سنة او قياس ثم انظر امير المؤمنين في ذلك وامض في كل قضية رأيه الذي  
بالمه الله ويعزم له عليه وينهي عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتاباً جامعاً عزماً لرجونا  
ان يحصل الله هذه الاحكام المختلفة الصواب باعظم حكماً واحداً صواباً ورجونا ان يكون  
جتماع السير قريبة لاجماع الامر رأي امير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر  
آخر الدهر ان شاء الله .

فاما اختلاف الاحكام اما شيء ما ثور عن السلف غير مجمع عليه يديره قوم على وجه  
ويديره آخرون على وجه آخر فينظر فيه الى احق الفريقين بالتصديق واشبه الامرين  
بالعدل . واما رأي اجراءه على القياس فاختلف وانتشر ما ينط في اصل القياسة وابتدأ  
امر على غير مثالة . واما الطول ملازمته القياس فان من لراد ان يلزم القياس ولا يفارقه ابداً  
في امر الدين والحكم وقع في الورطات ومضى على الشبهات وغمض على التبع الذي يعرفه  
وبصره فاني ان يتركه كراهة ترك القياس . وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن فاذا  
كان ما يقود اليه حسناً معروفاً أخذ به واذا قاد الى التبع المستنكر ترك لان المتبعي ليس  
غير القياس ينبغي ولكن محاسن الامور ومعروفها وما الحق الحق باعله . ولو ان شيئاً مستحباً  
على الناس ومقتداً حيث قيد لكان الصدق هو ذلك اولي ان يعتبر بالقوانين فانه لو اراد ان  
يقوده الصدق لم ينقد له . وذلك ان رجلاً لو قال: اتأمرني ان اصدق فلا اكذب كذبة  
ابداً لكان جوابه ان يقول نعم ثم لو التمس منه قود ذلك فقال: اتصدق في كذا وكذا حتى  
يلعب به ان يقول الصدق في رجل هارب استدلي عليه طالب ليظلمه فيقتله لكسر عليه قياده  
وكان الرأي له ان يترك ذلك وينصرف الى الجمع عليه المعروف المستحسن .

وما يذكره امير المؤمنين اهل الشام فانهم اشد الناس مؤونة واخوفهم عداوة  
وبائقة . وليس يؤاخذهم امير المؤمنين بالعداوة ولا يطمع منهم في الاستبصار على المودة فن

الرأي في امرهم ان يختص امير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحاً او يعرف منه نصيحة او وفاة فان اولئك لا يلبثون ان يتفصلوا عن اصحابهم في الرأي والهوى ويدخلوا فيما حملا عليه من امورهم فقد رأينا اشياء اولئك من اهل العراق الذين استدخلهم اهل الشام وليس احد في امر اهل السلم على القصاص (٢) حرموا كما كانوا يحرمون الناس وجعل فيهم الى غيرهم كما كان فيه غيرهم اليهم ونفخوا عن المنابر والمجالس والاعمال كما كانوا ينفخون عن ذلك من لا يجاهلون فضله في السابعة والمواضع ومنعت منهم المرافق كما كانوا ينعون الناس ان يتالوا معهم اكله من الطعام الذي يصنعه امراؤهم للعامة . فان رغب امير المؤمنين لنفسه عن هذه السهوة وما اشبهها فلم يمرض ما عاب ولم يثل ما سخط كان العدل ان يقتصر بهم على فيهم فيعمل ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقات وما خرج من مصر فضلاً عن حقوق اهل المدينة ومكة بان يحصل امير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم او يزيادوا ينقص غير انه يأخذ اهل القوة والثناء وخفة المؤونة والعفة في الطاعة ولا يفضل احداً منهم على احد الا على خاصة معلومة ويكون الديوان كالنقض المستأنف ويأمر لكل جند من اجناد اهل الشام بعدة من الخيال يترعون عليها ويسوي بينهم فيما لم يكونوا أسوة فيه فيمن مات من عيالهم ولا يصنع باحد من المسلمين .

واما ما يخوف الخوفون من تزواتهم فللعري لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم خلقتهم ان يكون لم تزوات وتزفات ولكننا على مثل اليقين بحمد الله من انهم لم يشركوا بذلك الا انفسهم وان الدائرة لامير المؤمنين طليم آخر الدهر ان شاء الله . فانه لم يخرج الملك من قوم الا بقيت فيهم بقية جوثيون بها ثم كان ذلك التوثب هو سبب استبصارهم وتدريجهم .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر اصحابه فان من اولى امر الوالي منه بالثبوت والتحيز امر اصحابه الذين هم بهاء فخاته وزينة مجلسه والسنة رعيته والاعوان على رأيه ومواضع كرامته واخلاصة من عاتته فان امر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزارة والكاتب قبل خلافة امير المؤمنين عملاً قبيحاً مفرط القبح مفسداً للصب والادب والسياسة داعياً للاشرار طارداً للاخيار فصارت صحة الخليلط امراً صريحاً قطع فيه الاوغاد وتزهد فيه من كان يربح فيما دونه حتى اذا التقينا ابا العباس رحمة الله عليه وكنت في ناس من صلحاء اهل البصرة وجوههم فكنت في عصاية منهم ابوا ان يأتوه فقم من تنبذ فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختياراً للخصية على سوء الموضع لا يعتدرون في ذلك الا بضيايح المكتتب والدعوة والمداخل يقولون هذه منزلة كان من هو اشرف من ابناءنا يرضون

فيا هو دونها عند من هو اصفر امراء ولاننا اليوم ولكنها قد كانت مكرمة وحسباً اذ الناس يظنون ويسأل عنهم فاما اليوم ونحن نرى فلاناً وفلاناً ينفر باسمهم على غير قدم سائب ولا بلاه حدث فمن يرغب فيها هاتنا امير المؤمنين كرم الله امانه يصير المدل كله الى تقوى الله عز وجل وانزال الامور منازلها فان الاول قال

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالم سادوا

وقال هم سودوا نصراً وكل قبيلة يبين عن احلها من يسودها .

وان امر هذه الصحابة قد كان فيه اعاجيب دخلت فيه مظالم . اما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول ما رأينا اعجوبة قط اعجب من هذه الصحابة ممن لا يتبعي الى ادب ذي نبأ ولا حجب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في اهل مصر قد غير عامة دهره صانفاً يعمل بيده ولا يتد مع ذلك يبلد ولا غناه الا انه مكنه من الامر حاجه فاحتوى حيث احب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من ابناء المهاجرين والانصار وقبل قرابة امير المؤمنين واهل بيوت العرب ويحري عليه من الرزق الضعيف مما يجري على كثير من بني هاشم وغيره من سروات قريش ويخرج له من المعونة على نحو ذلك لم يضعه بهذا الموضع رعاية رسم ولا فقه في دين ولا بلاه في سياسة عدو معروفة ماضية متتابعة قديمة ولا غناه حديث ولا حاجة اليه في شيء من الاشياء ولا عدة يستعد بها وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة الا انه خدم كاتباً او حاجباً فاعبر ان الذين لا يقوم الا به حتى كتب كيف شاء ودخل حيث شاء .

واما المظلمة التي دخلت في ذلك فمظلمة قد خست قريشاً وعمت كثيراً من الناس وادخلت على الاحساب والمروآت محنة شديدة وضياء كثيراً فان في اذن الخليفة والمدخل عليه والمجلس عنده وما يجري على صحابته من الرزق والمعونة وتفضيل بعضهم على بعض في ذلك حكماً عظيماً على ان الناس في انسابهم واخطارهم وبلاء اهل اللبلاء منهم وليس ذلك كخواص المعروف ولطيف المنازل او الاعمال التي يختص بها المولى من احب ولكنه باب من القضاء جسيم عام بقفي فيه للماضين من اهل السوابق والمآثر من اهل الباقين واهل البلاء والنساء بالعدل او بما يحال فيه عليهم فان احق المظالم بتجليل الرفع والتفجير ما سلكه ضره عاتباً وكان للسلطان شائناً ثم لم يكن في رفعة مؤونة ولا شجب ولا توغير بصدور طاعة ولا لقوة ولا اضرار سبب (٢) .

والصحابه امير المؤمنين اكرمه الله مزية وفضل وهي مكرمة سنية جارية ان تكون شرفاً لاهلها وحسباً لاعقابهم حقيقة ان تصان وتحظر ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من

الحصان ومن رجل له عند امير المؤمنين خاصة بقرابة او بلاء او رجل يكون شرفه ورأيه وعمله اعلیٰ من امير المؤمنين وحديثه ومشورته او صاحب نجدة يعرف بها ويستمد لها يجمع مع نجدته حسبا وعفافا فيرفع من الجند الى الصحابة ورجل فقيه مصلح يوضع بين اظهر الناس ليستنصروا بصلاحه وبقه او رجل شريف لا يفسد نفسه او غيرها فاما من توسل بالشفاعات فانه يكتفى او يكتفى له بالمعروف والبر فإيا لا يهجن رأيا ولا يزيل امرًا عن مرتبته ثم تكون تلك الصحابة المخصصة على منازلها ومداخلها الا يكون للكاتب فيها امر في رفع رزق ولا وضعه ولا للحاجب في تقديم اذن ولا تأخير.

وما يذكر به امير المؤمنين امر فتان اهل بيته وبني ابيه وبني علي وبني العباس فان فيهم رجالا لو تمسوا بحسام الامور والاعمال سدوا وجوها وكانوا عدة لا خرى .  
وما يذكر به امير المؤمنين امر الارض والمخرج فان اجسم ذلك واعظمه خطرا واشده مؤثمة واقربه من الضياع ما بين سهل وجهه ليس لما تفسير على الرساتيق والقرى فليس للعمال امر يتهون اليه ولا يحاسبون عليه ويحول بينهم وبين الحكم على اهل الارض بعدما يتأقنون لما في العارة ويرجون لما فضل ما تعمل ايديهم . فسيره العمال فيهم احدى ثنتين اما رجل أخذ بانغرق والذف من حيث وجد وتبع الرجال والرساتيق بالملأاة من وجد واما رجل صاحب مساحة يستخرج من زرع ويترك من لم يزرع فيحمر من عمره ويسلم من اجرب مع ان اصول الوظائف على الكور لم يكن لها ثبت ولا علم وليس من كورة الا وقد غيرت وظيفتها مرارا تخفيت وظائف بعضها وبقيت وظائف بعض فلو ان امير المؤمنين اعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والارضين وظائف معلومة وتدوين الله او ين بذلك واثبات الاصول حتى لا يؤخذ رجل الا بوظيفة قد عرفها وضمنها ولا يجتهد في عمارة الا كان له فضلا ونفعها لرجونا ان يكون في ذلك صلاح للربة وعمارة للارض وحسم لايواب الحيانة وغشم المال . وهذا رأي مؤثمة شديدة ورجاله قليل وقته متأخر . وليس بسد هذا في امر المخرج الا رأي قد رأينا امير المؤمنين اخذ به ولم نره من احد قبله من نخير العمال وتتقدم والاستعاب لم والاستبدال بهم

وما نذكر به امير المؤمنين جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك ان يكون من رأي امير المؤمنين اذا سجت نفسه عن اموالها من الصدقات وغيرها ان يختار لولايتها الخيار من اهل بيته وغيرهم لان ذلك من تمام السيرة العادلة والكلمة الحسنة التي قد رزق الله امير المؤمنين واكرمه بها من الرأي الذي هو باذن الله حي ونظام لهذه لامور كلها في الامصار والاجناد والثغور والكور . ان بالناس من الاستغراج والله ادا ماعد

علم امير المؤمنين وبهم من الحاجة الى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو اشد من حاجتهم الى اقواتهم التي يعيشون بها واهل كل مصر وجند او ثغر قراء الى ان يكون لهم من اهل الله والسنه والسير والصيحة مؤيدون مقومون يذكرون ويعصرون اخطأ ويظنون عن الجليل ويؤمنون عن البديع ويحذرون الفتن ويتفقدون امور عامة من هو بين اظهرهم حتى لا يخفى عليهم منها مهم ثم يستلحون ذلك ويماجلون على ما استكروا منه بالرأي والرفق واتبعوا ويرفون ما اعينهم الى ما يرجون قوته عليهم مأمونين على سير ذلك وتخصيته بصراء بالرأي حين يبدو او اطباء باستنصاله قبل ان يتمكن . وفي كل قوم خواص رجال عديم على هذا معونة اذا صنعوا لذلك وتلطف لهم وأعينوا على رأيهم وقوا على ماشهم ببعض ما يفرغهم لذلك ويسلمهم له . وخطر هذا جسم في امرين احدهما رجوع اهل الفساد الى الصلاح واهل الفرقه الى الالفه والامر الاخر ان لا يتحرك متحرك في امر من امور العامة الا وعين ناصية ترمقه ولا يهمل هامل الا واخذ شفيقة نصيح نوره . واذا كانت ذلك لم يقدر اهل الفساد على تريض الامور وتقيحها واذا لم تلحق كان ناسجها باذن الله مأمونا .

وقد علمنا علماً لا يخاطله شك ان عامة قط لم تصلح من قبل اتسبها ولم يأتمها الصلاح الا من قبل خاصتها . وان خاصة قط لم تصلح من قبل اتسبها وانها لم يأتمها الصلاح الا من قبل امامها . وذلك لان عدد الناس في فسقهم وجهالم الذين لا يستقون برأي انفسهم ولا يحملون العلم ولا يتقدمون في الامور فاذا جعل الله فيهم خواص من اهل الدين والعقول ينظرون اليهم ويسمعون منهم اهتمت خواصهم بامور عوامهم واقبلوا عليه بمجد ونصح ومثابرة وقوة جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم وسبباً لاهل الصلاح من خواصهم وزيادة فيما اتهم الله به عليهم وبلاغاً الى الخير كله . وحاجة الخواص الى الامام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة الى خواصهم واعظم من ذلك . فبالامام يجمع الله امروهم ويكتب اهل الطعن عليهم ويجمع رأيهم ويكتبهم ويبين لهم عن العامة منزلتهم ويجعل لهم الحجة والايد والمقال على من نكب عن سبيل حقهم . فلما رأينا هذه الامور ينظم بعضها بعض وعرفنا من امر امير المؤمنين ما يجله جميع الله خواص المسلمين على الرغبة في حسن المداونة والمؤازرة والذي في صلاح عامتهم طمنا لم في ذلك يا امير المؤمنين وطمنا فيه لعامتهم ورجونا ان لا يعمل بهذا الامر احد الا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه . فان الامر اذا اعان على نفسه جعل للقاتل مقالة ومياً للساعي نجاحاً . ولا حول ولا قوة الا بالله وهو رب الخلق وولي الامر يقضي في امورهم يدبر امره بقدرة عزيزة وعلم سابق فسناه ان يعزم لامير المؤمنين على المرائد ويحصنه بالحفظ والتمت والاسلام والله الحمد والشكر .

## تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذي لا يجهز شيء ولا يتمتع منه ولا يدفع قضاؤه ولا امره وانما قوله اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه ودير الامور بحكمه واقذف فيما اختار واصطنى منها عزمه بقدرة منه عليها ومملكة منه لما لا معقب لحكمه ولا شريك له في شيء من الامور يخلق ما يشاء ويختار ما كان للناس الخيرة في شيء من امورهم سبحانه الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الذي جعل صفو ما اختار من الامور دينه الذي ارتضى لنفسه ولن اراد كرامته من عبادته فقام به ملائكته المقربون يعظمون جلاله ويقدون اسماءه ويذكرون آلاؤه لا يستحسنون عن عبادته ولا يستكبرون بسجود الليل والنهار لا يفترون وقام به من اختار من انبيائه وخلائئه واوليائه في ارضه يطيعون امره ويذبحون عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون بحججه ويجاهدون عدوه وكان لهم عند ما وعدم من تصديقه قولهم وافلاجه سميتهم واعزازته دينهم واطهاره حقهم وتمكينه لهم وكان لعدوه وطعومهم عندما وعدم من خزيه واحلاله بأسهم وانتقامه منهم وغضبه عليهم معنى على ذلك امره ونفذه فيه قضاؤه فيامضي وهو بمغضيه ومنفذه على ذلك فيما بقي ليمت نوره ولو كره الكافرون ليحى الحق ويبطل الباطل ولو كره الجبرمون والحمد لله الذي لا يقضي في الامور ولا يديرها غيره ابتدأها بعلمه وامضها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولي الخيرة فيها والامضاء لما احب ان يمضي منها يخلق ما يشاء ويختار ما كان لم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذي المن والطول والقدرة والحول الذي لا يمسك الا فتح لا وليائه من رحمته ولا دافع لما انزل باعدائه من قهقهته ولا راد لامره في ذلك وقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . والحمد لله المنيب يحمد منه اجداؤه والتم بشكوه وعليه جزاؤه والمثني بالايان وهو عطاؤه

\*\*\*

كتب ابن المقفع الى صديق ولدت له جارية :

بارك الله لكم في الابنة المستفادة وجعلها لكم زيناً واجرى لكم بها خيراً فلانصركمها فانهن الامهات والاخوات والعمات والحالات ومنهن الباقيات الصالحات . ورب غلام ساء اهله بعد مسرتهم ورب جارية فرحت اهله بعد مساءتهم .

تعزية لابن المقفع عن ولده :

اعظم الله على الحسبة اجرک واحسن على جليل الرزء ثوابک ومجل لك الخلف فيه وذخر لك الثواب عليه .

وله :

انما يستوجب على الله وعده من صبره بجهته فلا تجتمعن الى ما تجعت به . من وادرك  
الجميع بالاجر عليه والعرض منه . فانما اعظم للمصيبين عليك وانكى المرزبين لك . اخلف  
الله عليك بخير وذخر لك جزيل الثواب .

وتعزية له عن بنت :

لا ينقص الله عددك ولا ينزع عنك نعمته التي البسك واحسن العوض لك وجعل  
الخلف لك خيراً مما رزأك به وما اعطاك خيراً مما قبض منك :

وله تعزية عن ابنة :

جدد الله لك من جهته ما يكون خلفك تبارزته وعوضاً من المصيبة به ورزقك من الثواب  
عليه اضعاف ما رزأك به منها . فاقبل كثير الدنيا في قليل الآخرة مع فناء هذه ودوام تلك .

وتعزية له ايضاً :

اعظم الله اجرك في كل مصيبة واودعك الشكر على كل نعمة . اعرف الله حقه واعتم  
بما امر به من الصبر تظفر بما وعد من عظيم الاجر .

وتعزية لابن المقفع :

اما بعد فان امر الآخرة والدنيا بيد الله هو يديرهما ويقضي فيهما ما يشاء لا ارادة لغضائه  
ولا مقب لحكمه فان الله خلق الخلق بقدرته ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لئلا يطمع  
احد من خلقه في خلد الدنيا ووقت لكل شيء ميقات اجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا  
يستقدمون فليس احد من خلقه الا وهو مستيقن بالموت لا يرجو بان يخلصه من ذلك احد .  
نسأل الله خير المتقلب . وبلغني وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب  
ثوابها من ربنا الذي اليه متقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا فليكن بتقوى الله والصبر وحسن الظن  
بالله فانه جعل لاهل الصبر صلوات منه ورحمة وجعلهم من المبتدئين .

ولابن المقفع في السلامة :

اما بعد فقد اتاني كتابك فيما اخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح ما قبلك وفي الذي  
ذكرت من ذلك نعمة مجللة عظيمة فيحمد عليها ولها النعم المفضل الم محمود ونسأله ان يلهمنا  
واباك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها . وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن  
على حال لو اطميت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء لنعمة ولا اعتراف بكنهه الحق فترغب  
الى الذي تزداد نعمه علينا في كل يوم ولاة تظلمراً ألا يحمل شكرنا منك ولا مدخولاً  
وان يوزن فامع كل نعمة كما دعاهم من المعرفة بفضلها فيها والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدير .



وله كتاب التقي في السلامة :

اما بعد . فان علمتني الله به مناقبك الكريمة المحمودة الثانية عن القول والوصف انك موضع المؤونات عن اخوانك حال عنهم افعال الامور ما وضعت عنه المؤونة ارتفاعك عن الامور التي يطأها اليها الكلام على السنة الناس اذ اباحوه وبهرجوه وضيعوا القول ونسوا القصد فيه واخذوا به في كل فن واصفوا بصفوته غير اهلها فيما لا ينبغي لم من التشبيه والتوفير والتفضيل . كان من خبري بمدك اني قدمت يدك كذا فتها لي بعض ما شخصت له والمحمود على ذلك الله عز وجل وابا على ان يأتي خبرك محتاج فاما جملة خبري في فراقك فقلبي مكة كل ما سواك حرام فيها .

وله جواب في السلامة :

اما بعد فقد اتاني كتاب الامير رجعة كتابي اليه فكان فيه تصديق الظن وثبوت الرأي ودرك البنية والله محمود فامتنع الله بالامير وامتنعه بصالح ما آتاه وزاده من الخيرات مستمرا له فيه مستملا بطاعته التي بها يفوز الفائزون والذي رزق الله من الامير فهو عندي عظيم تقبس وكل الذي قبلي عن مكافأته فقصر الا انه ليس في النية تقصير ولا بلوغ لشيء من الامور الا جوفيق الله عز وجل ومعونته والسلام .

وله في السلامة جواب ايضا :

اما بعد فلقد اتاني كتابك فيما اخبرتني عنه من صلاحك وصلاح ما قبلك وفي الذي ذكرت نعمة مجللة عظيمة محمد عليها الله (١) المنعم بها المحمود وسأله ان يلهنا وانيك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها (٢) نحن من عافية الله وكفائته ودفاعه على حال لو اطمئت في ذكرهما لم يكن في ذلك احصاء فنسمة ولا اعتراف (٣) لكنه الحق فترغب الى الذي يزيد في نعمه طينا تظاهرا الا يحيل شكرنا منقوصا ولا مدخولا وان يرزقنا مع كل نعمة كفاها (٤) من المعرفة بفضلها فيها والعمل في اداء حقها .

وفي السلامة ايضا ( ولم يقل انها له ) :

كتبت اليك وامير المؤمنين وما يأتيه من لين الطاعة واتساق الكلمة عمت في الداني

(١) هذا الكتاب ورد في الاصل مرتين وفي المرة الثانية ورد ( محمد عليها وليا المنعم المفضل المحمود ) الخ (٢) هنا في الصورة الثانية وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن على حال الخ (٣) في النسخة الثانية ولكنه الحق فترغب الى الذي تزداد نعمه علينا كل يوم وليلة تظاهرا (٤) في الصورة الثانية : كفاءها من المعرفة بفضلها فيها والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدير .

والقاصي من بلدانه وحوادثي سلطانه على ما يحمد الله عليه فان نعمة الله على امير المؤمنين تجري على اذلالها وثقاده في اسهل سبيلها .

قال المؤلف : ومن مغنار ما كتب به من باب الشكر ولم اعرف . ان كانت له اول غيره لانه اورد كتب بضم اولها ومع هذا فهذه هي الرسالة :

اما بعد فما اعجز تعدادي عما اتعرف منك واتعرفه بك دانيًا وقانيًا وما ادري ما ابتدائي به من معروفك ارحم لشكري ام ما ثبت به من برك لبدتك بنايتك على تأييك ام ما البستي جماله على لسانك باطرائك وثنائك ام ما عقدته لي عند غيرك بتلفك وقانيك غير اني اعلم انك لم تقصر في استحقاق شكر علي وارجو الا اكون مقصرًا في معرفة ذلك منك ومن لم يقصر عمله ولم يؤث في شكره الا من عظم المعروف عنده مع جهده فقد دخل بالعلم والجد في الشاكرين . غير ان الذي استحي به من رفدك وتوطيدك قد زادني وحشة اليك وان حفظ من حفتي فيك وان لم يكن مقصرًا وقد جدد لي المعرفة بوقاركم كما في عندك واند بلغت ان اصححت لي الامور والرجال واصححتني الى صلاحك لنفسك فليس كتابي هذا باستبطاء لاحد حتى يتبسطه ولا شكري حتى يكون البده منك ولكن روحت عن نفسي بذرك وزيتها بشكرك وزكيتها بالاقرار بفضلك .

ولابن المقفع :

ان الناس لم يمدوا ان يطلبوا الحوائج الى الخواص من الاخوان وان يتواصلوا بالحقوق ويرغبوا الى اهل المقامات ويتوسلوا الى الاكفاء وانت يحمد الله ونعمته من اهل الخير ومن اعان عليه وبذل لاهل ثقته المصافين وان بذل النفوس فيه واعطاء الرغيب ليس منك يكر ولا طريق بل هو تليد اتلده اولكم لآخركم واورثه اكبركم اصاغركم ومن حاجتي كذا وانت احق من طلبت اليه واستعنته على حوادث الدهر ازلت بملهي تقرب نسبك وكرمك حبك ونياعتك وعلو منزلتك وجسم طبائعك وعوام اياديك الى عشيرتك وغيرها فليكن من رأيك ما حملتك من حاجتي على قدر قسم الله لك من فضله وما عودك من منته ووسع غيري من نعمائك واحسانك .

ولابن المقفع ايضا :

اما بعد فان من قضى الحوائج لاخوانه واستوجب بذلك الشكر عليهم فلفظه عمل لا لم . والمروف اذا وضع عدد من لا يشكره فهو زرع لا بد لزراعته من حصاده او لقبه من بعده . وكتبت اليك ولحائنا التي نحن بها فيما نذكره حاجة اول ما فيها معروف تستوجب به الشكر علينا وتدخر به الايادي قبلنا .

ولم يلد الله من القفيع الى يحيى بن زياد (الحارثي) اجداء في المؤاخاة :

اما بعد فان اهل الفضل في القلب والوفاء في الود والكرم في الخلق لهم من النعمة والحسن في الناس لسان صدق يشهد بفضلهم ويخبر عن صحة وديم وثقة مؤاخاتهم فيغير اليهم رغبة الاخوان ويصطي لهم سلامة صدورهم ويحتفي لهم ثمرة قلوبهم فلا مثني افضل لقريناً ولا مخبر اصدق لحدوة منه . وقد لزم من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة محمودة نسبت الى مزاج في الفضل وحمل بها ثأرك في الذكر وشهد لك بها لسان الصدق فعرفت يتناقبا وسمعت يجاسنا فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مستبقين يتدرون ودك ويصلون حبك اجدا لاهل الناس في حظ رغب نصبت لهم غاية يجري اليها الطالبون وينوز بها السابقون فمن اثبت الله عندك بموضع الحرز والثقة وملأ بك يده من اخي وفاءه وصلة واستنام منك الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغوراً بفضلك عليه في الود يتعاطى من مكانائك ما لا يستطيع ويطلب من اثرك في ذلك غاية بلوغها شديد . فلو كنت لا ترواخي من الاخوان الا من كافأ بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت احداً ولا مرت من الاخوان صراً ولكن اخوانك يقرون لك بالفضل وتقبل انت ميسورهم من الود ولا تجشهم كلف مكانائك ولا يلوح فضلك فيما بينك وبينهم فانما مثلك في ذلك ومثلهم كما قال الاول .

ومن يذازع سعيد الخير في حسب ينزع طلبها ويقهر قبه الصعد

ولم أرد بهذا التواء عليك تركيتك ليكون ذلك قرينة عندك وأخية لي لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق ونسكت الاثم والباطل فان القليل من الصدق البريء من الكتب افضل من كثير الصدق المشوب بالباطل . ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك واني لآخاف الفتنة طيك حين تسمع بتزكية نفسك وذكرى ما ذكرت من فضلك لان للدم مفسدة للقلب مبعثة لهيب . ثم رجوت لك المنعة والمعزة لاني لم اذكر الا حقاً والحق جني من اليبس العجب وخيلاء الكبر ويحمله على الاقتصاد والتواضع . وقد رأيت اذ كنت في الفضل والوفاء على ما وصفت منك ان آخذ بنصيبي من ودك واصل وثيقة حلي بمحلك فيجري بيننا من الاخاء او اصر الاسباب التي بها يستحكم الود ويدوم العهد وعلمت ان تركي ذلك خيب واضاعي اياه جهل لان التارك لحظ داخل في الفتن والمائد عن الرشد موجب الى التي فارغب من ودي فيما رغبت فيه من ودك فاني لم ادع شيئاً استعلي به منك الرغبة واجتر به منك المودة الا وقد اقتدت اليك ذريسته واتملت نجومك مطيته اترى حرصي على مودتك ورغبتني في مؤاخاتك والسلام .

جواب من يحيى بن زياد في صفة الاخاء :

اما بعد فاننا لما رأينا موضع الاخاء ممن يحتمله في تأنيسه من الوحشة ونفريه لذي البعدة ومشاركته بين ذوي الارحام في القرية لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبه فنبينا الاخاء فوجدناه في نسبه لا يستحق اسم الاخاء الا بالوفاء فلما انتقلنا عنه الى الوفاء فنبناه انتسب لنا الى الصبر فوجدناه محتوياً على الكرم والتجدة والصدق والحياء والتجابة والفراسة وسائر ما لا يأتي عليه العدد من الامام ثم انحدرنا فيما احعدنا فيه من هذا النسب فعدنا الى الاخاء فوجدناه لا يقوم به الا من هذه الخصال كلها اخلاقه . ولما استوجب الاخاء مسالك المحمدة كلها رأينا ان تغيير له المواضع في صواب التوزير وانحكام التقدير وعلمنا ان الاحتباس به احسن من التدم بمدله واستوجب اذ كان جماع المحامد ان تغيير له محامله التي كان يحمل عليها فكان الناس فيما احتسبنا به عنهم من الاخاء على صنفين فصنف عذرونا بالقبس التغيير اذ كان التغيير من شأنهم وصنف ذوو مصرة الى الاخاء ومصرة في الانباء فقدموا اللامعة واستجلبوا بالمودة وتركوا باب التروية واستحلوا عاجل المحبة ولمواعن اجل الثقة فكانوا بذلك اهل لائمة ولم يجدوا المذنبين الا الصبر على تلك والاستعمال للرأي والاستعداد بالمعذر عند الحاجة . وقد نعمت كتابك الي بالمودة واستجناك اياي في الاخوة وما دونت به من جرمة المحبة فنازعت اليك نفسي بثل الذي نازعت به الي نفسي فلو اثبتت عادة الاستعمال لتروية في الخبرة والتحير للمحبة فجأت عن كتابك جولة غير نافرة ثم راجعت مقاربتك فقلت التي الي اسباب المودة قبل كشف القطر بالخبرة فخشيت ان تمزقك بالتقدم وحدث الزيادة التصسف بالجهالة عند الخبرة فجأت عن هذا جولة كالجولة الاولى ثم طردت اسما فقلت وطاعة الشوق ومعصية التحير ثم قلت ما حال من جعل الغن دون اليقين والتقدم قبل الوثيقة فلما كان الرأي لي خصماً تنكبت الوقوع في خلافه فلم اجد الا الادبار عن اقبالك سبيلاً ولا مع ذلك في طاعة الشوق حجة فتخفيت السبيل بين ذلك الى اعطائك طرف جبل الاخاء في غير الخروج من سبيل التغيير وكرهت ان تستعبدني بالاخاء قبل ان اعرفك بحسن الملكة وان تستظفري على الاعداء قبل ان اعرفك بسبل السيرة وان تستضيء بي في ظلم الجبل قبل ان اعرفك بعقد اللب وان تستمكن بي في المطالب قبل ان اعرفك بقصد المحبة فتقدمت اليك الترحيب والعدة واحسنت عنك المناوضة والثقة ونظرت ان نمر لي فاذا جوناك فاعرفك بالمذاقة في العلم اما لا قطعاً واما مستبلاً فان كان النقط لم اكن من الرأي في قلبه وان كان الاستبلاغ ذو وقتك ما تشوقت اليه بمادعيت مني بالخبرة واول ما انما اعتبر به منك المواظبة على استفتاح ما سألت او السأمة له فان كانت المواظبة فاحد الشهود المعدلين وان كانت السأمة فانت عن حمل ما تعطي اضعف منك عن جيل ما تطلب . طالعني بكتبك فانك قد حلت قبلي عقداً من التحفظ وعقدت عقداً من التقرب والسلام .

## الصنائع الاسلامية

تابع ما قبله

إذا أطلقنا نطق النقش عند المسلمين فلا ينبغي ان يفهم منه انه يراد به تمثيل صورة ذات روح بل قد تكون تلك الصور نقوشاً يراد بها امر آخر . وما يجب له انه يوجد في هذا الكتاب الوجيز اشارة ضعيفة لصورة فارس يسك رمحه بيده . نقش على القبة في مسجد بغداد . ولم يزد المجهلون بان هذا الفارس يشير الى الناحية التي يجي منها الهواء . فكان هذا التمثال ضرباً من دوائر على الهواء صنعت من الحديد المصنوع وجعلت في الهواء تمثل فارساً والرمح بيده وقد ذكروا أسطورة بشأنها . فكان العامة يعتقدون ان هذا الفارس يدل بقوة تعويذة معه على الناحية التي تنشأ فيها ثورة من مملكة الخلفاء العباسيين وليس النقش عند المسلمين الا خادماً خاضعاً للهندسة على نحو ما كانت الفلسفة من علم الكلام في القرون الوسطى . والاسود التي رآها ابن بطوطة قد صنعت من الرخام المستخرج من افروجا « فرجيا » في آسيا الوسطى حيث يكثر فيها . وبلغ من احترام السلاجقة للنقش ان كانوا ينزلونه في الحوائط . وليس للتأثيل من الخشب التي صنعها صنائع من المسلمين بامر الطولبيين علاقة بالصنائع الاسلامية بل هي فرع متأخر من فروع الصناعة الوطنية . وقد بدأت في مصر صناعة النقش للزينة باستعمال الكلس والرخام غير المسحوق بالآلة بل بيد «صنع الايدي» . واقدم ما وجد من ضربها شكل مهندس مزوج بعروق خيالية ظريفة . اما الحجر فزينة قلما يوجد الا في المساجد التي يرد عهدها الى القرن الرابع عشر وعلى العكس في اسبانيا فانا نرى هذه الصناعة مزهرة فيها منذ اوائل الخلافة الاموية .

وقد بقي لنا شاهد واحد منها وهو مغسل الوضوء المصنوع من الرخام ولا يزال محفوظاً الى الآن في متحف الآثار في مدريد . وجرت الرخام وحوض الاسود في قصر الحمراء المعروفان في الانب تزئين المصانع ما كان الا من الجبس موضوعاً في القوالب موضعاً محكماً بما يبدو في هيئة بديعة تفوق اجمل نموذجات الهندسة . وان قصر الحمراء على جماله لم يعمل الا من مهجور الجبس .

لا يأخذنا الحجب اذا رأينا السلجوقيين في آسيا الوسطى قد ابقوا ناصوراً تمثل الصورة الانسانية . ولئن كان المهندسون في زمنهم موربين او روميين فان الافكار السائدة في بلاط قوية ان منشأها ايراني زادت انتشاراً بما كان شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي الصوفيون العظيمين من النفوذ وكان الاول صاحب السر والثاني مؤسس طريقة

الدرافيش المملوكية . وكان سلاطين المماليك يسمون أشد التهوس بكل ما هو من أصل فارسي حتى أنهم كانوا يدعون أبناءهم بأب . استخرجوا من قصص الإبطال في الملاحم . وظلت الصناعة التي انتشرت بهذا التأثير محصورة في آسيا الصغرى ولم تنتشر في سائر البلاد الإسلامية .

أخذت العرب صناعة الفسيفساء عن البيزنطيين فاستجلب من الاستانة الخليفة عبد الرحمن إلى قرطبة صناعات من الروم ليزين مسجدها . وخير الوليد ملك القسطنطينية ليبعث إليه بالعملة والمواد اللازمة لتزويق المسجد الأموي في دمشق وهي كنيسة القديس يوحنا الدمشقي القديمة . تدمير هذا المسجد ولم يبق منه حريق سنة ١٨٩٣ م كان سلم من آثاره . وفي سنة ١٨١٨ هـ ( ١٠٢٧ م ) جرى إصلاح فيفساء قبة الصخرة كما قرأت ذلك في الصورة الشمسية من الصفحة الثالثة والثمانين من الجزء الثاني . الرسم ٧٣ . وقد كسي داخل المصانع الإسلامية في القاهرة بأنواع من الزينة صنعت من الرخام على أربع صورة وأزهارها .



ان ما يرى في مصر من الخشب المنقوش لا يتأتى إلا ان يكون مجلوباً من سورية او من آسيا الصغرى . وعلوم ان في مصر صناعة خاصة بها لا يرى لها اثر في غيرها من الاقطار الا وهي صناعة المشريات وهي اقفاص نوافذ على طنف بارزة بحيث تكون للنوافذ التي تطل على الشوارع اقفاص لئلا يتطلع الى ما وراءها متطلع ولو بدون قصد . من اجل هذا يستعمل القوم « شعريات » من اقفاص خشب رقيق . وفي مصر يستعمل خشب غليظ خرط بالخرطة وجعل على صورة بنقن فيها كل التنقن . وفي القنص العربي في القاهرة حشوات منقوشة غاية في الجمال ومن جعلتها ثلاثة محاريب توفر المسير رافيس على البحث فيها وهي من عهد الفاطميين . وقد كانت الحشوات في القرن الثالث عشر اصغر مما هي الآن وخطوطها ادق واشكالها اكثر ثوباً وصورها التزيينية مطلقة . وصورت على ابواب البيارستان الغلاووفي صور ذات ارواح . والفرق ظاهر بين طريقة هذه المصانع في الصنع والحشوات التي جعلت على القبور الفارغة في ذلك العهد والصورة العامة مربعة في هذه وذات خط مستدير في ابواب البيارستان . ويحلى الفرق الانظار بالمقابلة بين النقوش الصغيرة التي وردت في صفحة ١٠٠ و ١٠١ الموضوع احداها بجانب الاخرى . فن الحشوات صنعة عربية مصرية اما الابواب فصناعة فارسية . ومن هنا أنت الصور ذات الارواح . وظاهر انه كان في ذلك العهد في القاهرة طريقة فارسية في السجرات جاءت زيادة على ما كان فيها من الصناعة الوطنية وليس ذلك من ارتفاع الصناعة المحلية كما لاحظ ذلك المسير

ميمون . وارىح لم يبن رأيه على صورة بانه كافيه وان شئت قل على صورة ظاهرة . المنبر في المسجد من المواد التي لا يستغنى عنها فنه ما يبنى بالحجر مثل منبر مسجد بروج في الصحراء بالقرب من القاهرة . ومن العادة ان يعمل المنبر من الخشب . وقد عرفت من المنابر نموذجان بدية كنبر مسجد ابن طولون الذي امر ببنائه احد سلاطين المماليك السلطان لاجين ولا تزال حشواته العمودية مخنوخة في لندرا ومثل منبر قايتباي ومسجد علاء الدين الاول فاي قرياد في قونية وجامع الزيتونة سيف تونس وغيرها . وهناك شي آخر خاص بمساجد مصر واعني به الكرسي او الخزانة المدسة الزوايا والاضلاع كانوا يضعون عليها المصاحف للتلاوة فاذا فرغوا خبثوها في داخلها وكانت حشواتها مزينة بتطعيم ( تنزيل ) من العاج ومن خشب ملون .

ويوضع المصحف في المساجد المئانية مفترحا او مطبوعا على دعامة تطبق على شكل نسي «رحلانية» . وقد فات المسيو ميمون ان يذكر هذا المتاع الذي يعمل من خشب الجوز المتين ويطم بأشكال من عرق اللؤلؤ والعاج ( صنع الاستانة ) على نمط الاخونة الواطئة التي يقال لها « اسكلة » .

وفي اسبانيا اجمل النماذج من النقش على العاج اخذها المسلمون عن الفوط الغربيين ولم يستطع احد ان يوفق بين معامل هذه الصناعة ومراكر اخراجها بل ثبت من لخص هذه المنتجات التي لا تزال محفوظة بكية ووفرة انها صناعة محكمة تدل على فرط مهارة فنية ثقلت عليها الاحوال باهوالها ومنها الشرقي ومنها البيزنطي . واللوحان البديعان من العاج اللذان يبرح محفوظين في مجموعة كاران في متحف بارجلو في فلورنسة هما من اصل يختلف احدهما عن الآخر ولا نعلم من امرها شيئا يذكر . بيد ان التسور والاسود المرسومة على اللوحين هي من اصل اشوري وقد رسمت عليهما رسما دل على مهارة تحملنا على المقارنة بينها وبين فحاس الموصل وشواطيء دجلة حيث بقيت التقاليد الصناعية القديمة محفوظة بحالها خلال القرون الوسطى .

اما الصياغة فقديم المهد رأى الشاعر الرحالة الفارسي ناصر خسرو في مدينة صور ثريات من الذهب والفضة وفي القدس ابوابا مقطاة بالواح من النحاس بدية الصنع وفي القاهرة عرش المستنصر الفاطمي معمولا من الذهب والفضة الخالصة وقد نقش عليه كتابات وصورت صور . يد وقص . وان سقط العاج في كنيسة بايو ( فرنسا ) الملبسة بالفضة المنقورة ( المحرمة ) واسقاط كنيسة كوار ( سويسرا ) وسان سيرفي ( فرنسا ) وما يسترخ ( هولاندة ) وسان مارك في البندقية لتثل لانظارنا ما كانت عليه صناعة الصياغة من البهاء في

القرن الثاني عشر . وإلى ذلك العهد يرتقي صنع النحاس الجميل اللبس الذي حفظ الى اليوم ولكن مما لا شك فيه ان ازدهار هذه الصناعة اقدم من ذلك وإن ما نشر عليه من ذلك التاريخ من الاعلاق النفيسة ليس الا زبدة قرون طويلة وابحاث متصلة . ولقد تساءل بعضهم عن السبب الرئيسي في انتشار صناعة النحاس المحفور يبلاد بين النهرين ولا سيما الموصل . ويؤكد ان يكون ذلك من مجاورة معادن ارغني (١) والخابور والقرب من مناجم الخابور جبل مزارات (٢) الذي يستخرج منه النحاس الخام وينوب ثم ينقل الى جميع بلاد آسيا قديماً .

وتبين من عرض هذه المصانع بعضها في جانب الآخر ان التزيين المحفور في صور بارزة هو اقدم طرق النقش على المصنوعات النحاسية . اما تنزيل الذهب والفضة فلم يحدث الا مؤخراً . وقد تقلبت صور البشر والحيوانات في الموصل مما يدل على ان الصناعة فارسية الاصل حفظ فيها الساسانيون تقاليد المصانع التي يرد عهدا كما قال لونكبريه الى عهد العصور البارزة الاشورية .

وقد ساق البحث المسيو ما كس فان يرشم فخل الكتابات التي كتبت على اجمل هذه المصنوعات وقسمها قسمين رئيسين او مجموعتين اساسيتين احدهما شرقية انتشرت في خراسان بكما انتشرت في الموصل والثانية غربية اي سورية مصرية وهي عبارة عن نحاس صنع في زمن الايوبيين في اوائل القرن الثالث عشر . وكان من غارات الغول ان قطعت زمناً قصيراً سلسلة هذه الاعمال وجاء المماليك في القرنين التاليين فرفعوا هذه الصناعة باعمال اتصل بنا عليها وهي كثيرة . وما صنع الشام ومصر الا تلاميذ صناع الموصل وبهت تفخروا .

واذا بحثنا في القلار ( النحاس الاحمر ) نذهل من رؤية المصانع النخطة بمجاهل صورة النقاء في بيز التي جلبت من مصر على عهد الصليبيين بصورة الايل من صنع الفاطميين الموجود في متحف الامة في ميونخ والمواد المحفوظة في متحف قرطبة والطسوت المحمولة على شكل الاوز والمباخر على شكل البيئات المحفوظة في متحف اللوفر . وما اعجب مصابيح المساجد المصنوعة من القلار والحديد كالتي لا تزال محفوظة في المتحف الاثري في مدريد وقد جيء بها من غرناطة ومثل الموجودة في دار الآثار العربية بالقاهرة المأخوذة من جامع السلطان حسن وكثير امثالها .

اما الاسلحة فلم يمر حتى الآن ننظم تاريخها ولم يذكر هذا المختصر الذي نحن بصدد

(١) قرية صغيرة من اعوان ديار بكر الآن

(٢) لعله اراراط وهو جبل الجودي في ارمينية الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام



سوى اشارات موجزة بشأنها . ويرجى ان يطلعنا المسيو موزر ذات يوم على ما وقف عليه وجمعه من الايضاحات بشأن صنع الفولاذ فتكون اعماله مساعدة لنا على تنظيم المعلومات البهمة التي حصلنا عليها حتى الآن . ولطالما تكلم الناس عن فولاذ دمشق لغزابة سقايتة . ولا ارسل السلطان يبرس من سلاطين المالك هدايا سياسية الى باراق سلطان المغول في تركستان يث اليه بالسلحة دمشقية . ولا استولى نيورنك على دمشق اخذ معه الى سمرفند صانع الفولاذ الدمشقي . وقد كان في القاهرة في شارع النجاسين الحالي بين القصرين سوق للسلاح رائعة كثيراً الا اننا لا نعلم شيئاً عن اصل الاسلحة التي كانت تباع فيها . وليس ثمة ما يدل على انه كان في مصر معامل لصنع نصال الفولاذ وربما كانت تصنع فيها مقابض سيوف واغداد وبعطونها على النحو الذي اختاروه وهذا عمل غير عمل نصال الفولاذ ويجب ان يميز عند تتبع هذه الآثار في المستقبل بين معامل صنع النصال ومعامل تركيبها . ولم تعرض لذلك كتاب الوجيز ولا يستطيع ان يتكلم الآن الا على المعامل المتأخرة . ومع هذا فقد توصل المسيو بونين بعد البحث في المقابلة بين النصال الى ان المعمول منها في دمشق : هو مزيج من الحديد والفولاذ وانه في الاغلب من سكب بلاد الفرس واذا كانت النصال في الهند ذات لمعة بنو بانها فهي منقوشة بالطرق . وقبل اتفق العربي كانت طليطة في اسبانيا مشهورة بسقي نصالها . فتح عبد الرحمن الثاني في مملأها (٨٢٣-٨٥٢) ولم يبق ولا حسام اسباني مغربي من قبل القرن الخامس عشر وما بقي منها ما يردصنه الى ذلك العهد جيء به من غرناطة . وتاريخ الاسلحة في بلاد فارس والمملكة المنيانية غريب والمعلومات عنه اغرب . وكنا نود ان تكون اغزر مما وصلنا ولكن تاريخ الاسلحة كما قلت سابقاً لم يوضع بعد .

يعرف من يسبحون في الشرق اسم الخنجر والقامة ومع هذا لا نجد لها ذكرًا بين الاسلحة المنيانية والفارسية . ولم يقولوا كلمة عن الزمان والمكان الذي استعيب فيه عن السيف القديم المستقيم بصل معوج . وان اسنة الرماح والنادق والبنجات وقطع الخيل (كوبانيتها) على خطارتها عند الساسانيين والمصورين بالخطوط اللطيفة من الفرس مما بقي كثير من امثالها في طي الخفة قد كان يرجى ان تعرف عنها شيئاً يركن اليه لخطارتها وقائدها للتاريخ . على انه قد اطليل البحث في صنع الاواني الخزفية وهي صناعة جديدة بأن يفاخر فيها . اصلها من فارس وان لم يذكر ذلك المسيو ميخون ذكرًا تاماً . وتدل مصانع الاخمينيين في سوس على ذلك دلالة حريجة . وربما كانت هذه المصانع موروثة لم عن الصنائع الاشورية .

وتتاز مساجد ورامين واصفهان بما جعل على جدرانها من الطلاء الذي يعكس اشعة ذهبية ولكنها عبارة عن قشرة رقيقة من الفخاس . وقد سجلت المربعات الموضوعة الزينة في مساجد سيدي عفة في القبروان من مدينه بغداد وفي المدينة التي انشأها العباسيون بتأثيرات فارسية وكان الفرس الذين آتى بهم ابو مسلم م سبب رفقها ) جلبها الى افريقية مؤسس دولة الاغلبية سنة ٨٩٤ وصنعت معامل مدينة الرقة على الفرات بضع قطع سلت الى هذا العهد وكثيراً من بقايا الخزف . وقد الف المسيو فاليس عدة كتب للتوسع في البحث عن الاواني المجلوة في فارس واصلبا من الري التي كانت تعرف قديماً باسم راجينس . واذ كثر البحث في هذا الموضوع ساع لنا ان نبين تاريخ حدوث هذه الصناعة فقد ذكر احب الباحثين في هذا الشأن واسمه المسيو اوتونون ذلك في كتابه صناعة الكاشاني القديمان الراجح الزجاج الملونة البراقة التي بقيت من القرن الثالث عشر في ايران هي دهان على سطح مستو وان الصفحات التي كتبت عليها كتابات بارزة لم تظهر الا في القرن الرابع عشر . ودامت صناعة التلجج خلال القرون الثلاثة وبلغت درجة من التفتن غريبة . وان تلجج بعض القطع برفع الحرارة فيها الى درجة عالية قد جعلها كالصيني على ما يظن ذلك فيها . وقد بدت على عهد المغول تأثيرات الصنعة الصينية فانتشرت صور التتبن والهاغول وغصن الطوخ وهو مزهر وكل ذلك من اصل صيني . ولنا ما عثر عليه في مصر في سهل القسطاط او مصر العتيقة على ما كانت عليه صناعة الخزف على عهد الفاطميين . وصل نقوشها على الاقل فارسية وان كان صنعها يختلف على ان المواد الاولية هي من مصر نفسها . وقد اثبت الرحالة ناصر خسرو امراً غريباً من الاواني الخزفية ذات الالوان المتغيرة التي شاهدها في القاهرة وهذه الالوان هي من صفات الكاش في لذي يلج كحد النصل ونبيه فيمنه من ذلك انظر هذا السائح الفارسي . يقع في بلاده على ما يتألفا وان ما وجد منه في الري لا يرتقي عهده في الحقيقة الا الى اواخر القرن الثاني عشر . على ان ناصر خسرو رحل في الحادي عشر . وتوجد من هذا النوع صناعة شامية مصرية .

وفي داخل مساجد السجوقيين في قونية وكلها من القرن الثالث عشر صور متأنق في صنعها من المربعات على الكاشاني . وكان محمد بن عثمان المعلم الذي كسا الحوائط بهذا النوع من الفسيفساء ( اي الخزف المطلي ) والكاشاني المقطع ، في مدرسة صرت شانو Syrtchal من مدينة طوس في خراسان وهي المدينة التي اصبحت مدينة المشهد . وفي من ذلك العهد هذا القرب من الزينة في بورصة والاستانة من البلاد العثمانية .

بدي ، بالبحث في الكاشاني الانباني المترقي منذ عهد صلي . وفي سنة ١٨٤٤ اظهره

ريكو أمين خفف السير للزينة الاولى . اما اليوم فقد ثبت تاريخه احسن ثبوت . والظاهر ان هذه الصنعة جاءت من تباد . وربما كان ذلك عن طريق القديوان لا تواء . وتمد اواني قصر الحمراء من بدائع صناعة مالقة . ويظهر انها نشأت في القرن الرابع عشر وهو العهد الذي زلزلت بطولته في هذه المدينة المنمئل التي كانت تصنع فيها الاواني الخزفية الجميلة او الصيني للذهب . والزينة بتصوير الوعول تدل على بقاء شكل قديم لا يتأق صدوره الا من الشرق .

اما صناعة الاقداح المزينة بالمينا فلا يليق اغفال الكلام عليها لخطرها . وقد كانت هذه الفخوذجات من الاقداح في اوائل الفنوحات العربية تستعمل للعمار على صورة اقراص انجبون الكبير كتبت عليها التواريخ ودرسها المسبو كازانوا للوقوف على حقيقتها . ثم انك تجد اكوابا ملوطة بصبوب الالوان كفوس قزح لطول بقائها في الارض . وربما اختلطت احيانا بالاكواب القدعية والاكواب التي نقشت عليها صور مطبوعة يرغب فيها ارباب الفن رغبة خاصة مثل الكأس الصغيرة المرسوم عليها اسود ووعول وقد اقتناها مؤخرًا متحف القلور . وتشير الاقداح المزينة بالمينا ولاسيما مصابيح المساجد المصنوعة من الزجاج التي ربما كانت مأخوذة عن مملكة الروم البيزنطية الى مهارة صناعها الغربية على حين تدل مادة الزجاج الملونة بالفضة والذهب على انها ما كانت يجودتها ابدًا من الطراز الاول . ومن هذه المصابيح مجموعة فيها ستون قطعة في متحف الآثار العربية في القاهرة وهي اتم مجموعة وجدت . ومن المتصل ان هذا الزجاج لم يصنع في مصر حيث اخترع الزجاج على قول سياح الروم . وتكلم مؤلفو العرب على زجاج صور وذكر الرحالة بياض دي توديل ايضا شيئًا عنها وقال انه صادف اثنا عشرة معامل للزجاج في انطاكية كما قال يعقوب دي فيتري انه رأى منها في عكا . وقد هلك هذه الصناعة من صور الى دمشق وفيها رأى الرحالة بوجيومي سنة ١٢٤٦ معامل للزجاج تستغل على طول المسجد الأموي وقد اخذ تيمورلنك صناع الزجاج الى سمرقند كما فعل بصناع الفولاذ . واثبت كتاب العرب والفرس انه كان في حلب والعراق معامل للزجاج ايضا .

يبين من الاقشة العربية انها كانت باديء بدء مصنوعة على طرز ساساني او قبلي اورومي ويستفاد من حفريات انصنا (١) ان الاقشة الرومية والقبليية صارت كلها شيئًا

(١) سألنا عن اسم Latinoe احمد زكي بك العالم المصري الشهير فقال انها انصان من مدن مصر الوسطى قبالة الاسمنين بمركز ملوي من مديرية اسيوط دثرت الآن وقد وردت هذه النقطة في كتاب البدو والتاريخ فقلها مترجمة كاتب هذه المقالة الى الافرنسية بلفظها العربي

واحدًا بعد وكان التأثير الساساني فيه ' مستحكما فان صور الحروب والصيود وصور الفرسان الذين يعدون مسرعين ويرمون الابل والظباء بالشباب هي من الكتابات الفارسية . وقد امتلأت ذخائر كناننا بقطع من الاقشة بقيت زمانا لم تعرف البلد التي صنعت فيه وما هي في الحقيقة الا من صنع الشرق في القرون الوسطى . ثم اشتهرت فارس بعد حين بالاطلس والمحمل ( القطيفة ) المقطع وقد رسمت عليه صور اشخاص وسط الازهار المتكاثفة واشتهرت مدينة كاشان بصنع الاستبرق والحبر .

ولما فتح السلطان سليمان طوريس اخذ ذراج الحرير الى البلاد العثمانية وانتشروا فيها معامل صنعت هذه الاقشة الحريرية والمحمل المكش و اشتهرت باسم حرير بورصة . وانتقلت هذه المصنوعات من آسيا الصغرى الى البندقية وفلورنسة وجين وفرنسا . ولم يعودوا يرمون عليها صور اشخاص واقتصر في تزيين الاقشة على الازهار جعلوها بلا معنى وضعي كما في قطع الاواني الخزفية . ويستفاد مما قاله عماري ( العالم الايطالي ) انه كان في عقليته قبل الفتح النورماندي فندق فرش بالوشى وكان ملاصقا لقصر الامراء الذين كانوا يحكمون على الجزيرة باسم الفاطميين . ودعت حملات روجر الثاني على بلاد اليونان الى ان يجلب معه الى بلزمة صناع الحرير واسم ( مانيانزي ) الذي يطلق بالفرنسية على معامل الحرير جاءنا في الاصل من مدينة مان احدى مدن جنوبي بلاد المورة اليونانية .

ولما غلب هوقل خسرو الثاني عثر الجيش الروماني في قصر يزجرد ( داسكارات الملك ) على طنائس مطرزة بالايرة ووقع في ايدي العرب عندما فتحوا المدائن بسط منسوجة بالذهب والفضة ومرصعة بالاشجار الكريمة . ويعتقدون ان البسط ذات الورب اكبر من اصل فارسي ومن فارس يجب ان تطلب الا انه لم يبق شيء من تلك المصور المتوخلة في القدم . ولاجل تنسيق تاريخ البسط رأوا ان يرتبوا بحسب اشكالها والتواريخ التي اهتمت اليها من صور اساليب التصوير الفلامندي والهولاندي والايطالي . واخترع هذه الطريقة البديعة المسمى لسيف سنة ١٨٧٧ . وكانت اوربا اذ ذاك غامرة بالبسط التي تجلبها البندقية وبروج فاننن المصبرون بلطافة الفوانها وجودة نقشها وبادروا الى ادخالها في قروشهم ورسومهم . ويظهر ان البساط القديم المزين بالصور على اسلوب بديع الذي دخل من آخر اسياف ملك متحف الامبراطور فريدريك في برلين واهتم به كل من الميسو كاراباسيك والميسو ريجيل كان اصله من قونية من مختلفات سلاطين السلجوقيين الذي حكموا فيها . ثم ما صنع في القرن الثالث عشر . اما البسط الجمجمة المرسوم عليها صور الطيور فانها من بدائع ما حاكمه كبار صنع الابدعي . وكذلك الحال في البسط المخوشة بالازمار الكبيرة ومعاصم المساجد والاواني

فانها تؤلف طبقة بديعة ايضاً وعلى العكس في البسط المزينة بصور مهندسة فانها من مصنوعات آسيا الصغرى وما زالت الى اليوم كل من مدينتي جيورودس وGuerrudes وعشاق من مراكرها العظيمة .

\*\*\*

وبعد فهل من الممكن ان نشير الى ما اثرته الصناعة الاسلامية في صنائع الغرب . نعم اذا اريد بذلك جمع الصنائع الماخضية صبرة واحدة وتوحيدها كلها معاً على نحو ما كانت على عهد القنخ العربي وكما يحدث ابدأ عند ما نشأ عمالك كبيرة متسعة . واذا بدل هذا القنخ وجه الشرق كلن الداعي الى اختلاط آسيا العليا بالغرب في عدة اماكن . وانك تجد النقوش المسماة ( هوم ) بلا دواع وقد رسمت عليها الشجرة المقدسة او حياة الاشوريين على نحو ما اقتبسها الساسانيون سواء كانت وحدها او جعل على جانبيها حيوانات قائمة او رابضة وكذلك الطريقة القديمة في صراع الحيوانات .

ولقد كانت سفن العرب تتقدم الى البحر الاثلاثيني منذ عهد الأسرة الكارولنجية (١) فحملت تقود الأمويين بواسطة الصلات التجارية الى روسيا وبولونيا والدانمرك والسويد ووجعت انسجة مكتوب عليها كتابات كوفية محوكة في أطراف ابواب الكنائس في نوردام في بوى اقالمي وفي كنيسة فوت شيهان الفرنسيين وعلى كثير من المصانع وفي بعض المحال كما عثر على مثل ذلك في ايراج كاندراية شارتر وتقل المصورون بعض الصور الشرقية بالحرف . يرى الميسو ميخون ان يدرس مناخنا تلك الصنائع لانها بقوة جمال اشكالها ودقة وضعها وصنعها المعقول ولعان ألوانها ليس لها ما يشبهها بكثرة الصور والطف الداعي . وقد جرب بعضهم تقليد تلك الصنائع فافلحوا في اقتباسها على نحو ما فعلوا في قباب زاوية قصر المرض العام سنة ١٨٨٩ فوضعوا فوق الحديد الذي يحول بين الاقسام واتخذوه حيطاناً مصفحات من النكاشاني ذي النقوش الفارسية فكانت بذلك اول تجربة نجحت في هذا السبيل .

كان بذخ ملوك المسلمين من الدواعي للصناع ان يرقوا الاساليب التي كانوا يأخذونها تقليداً عن اجدادهم شفاهاً فجددوها ونفثوا فيها فارتقت مع عدة اشكال قديمة بعضها من اصل بيزنطي وهي وارثة اليونان ورومية والآخرة ساساني من اخلاف الدولة الاخمانية ولا سيما ( في الامور الصناعية ) واشوري او بابلي . ارتقت عدة فروع من الصنائع الاسلامية النوعية الاساليب وهي ليست من اصل بيزنطي ولا فارسي فيفضل بعضهم التزيين المهندس او النقوش التي تحمل على هيئة النباتات والاوراق وهو النمط الوحيد الذي بقي في الحقيقة

حيث تأصل مذنب اهل السنة . ويمزج بعضهم فيه صور حيوانات ذات روح وهذه ينبغي نسبتها في اكثر الاحوال الى تأثير فارس . ومن درس الصنائع القابلة للتشكل والتحول كالمهندسة والصنائع اليدوية تثبت لبنيه القرون الوسطى في الشرق بما اتى به من تمدنه الخاص وما هو الا مثال المجتمع الذي اوجده القرآن في صورة ظاهرة مؤثرة . فاذا اضيفت الى ذلك اقوال المؤرخين والجغرافيين لا تلبث ان تطلع على هذا النظام الاجتماعي الذي يختلف من عدة وجوه عن نظامنا وكان ثقلاً على اوراكما كان صلة بين المصور القديمة والمصور الحالية .

## المسلمون والذميون والمعاهدون (١)

### الاحساس دليل الحياة !

التضامن رائد العمران !

يا بني أمي اوباني عمي !  
تدبروا رعاكم الله فيما ترونه عن أيمانكم . وتصوروا فيما تبعدونه عن شماكم . وتفكروا فيما بين ايديكم . ثم خبروني ماذا تجدون !  
تجدون الشعور القومي قد تجسم منه . حتى كادت اليد لتقرأه . والعين تراه .  
والاحساس ليمر دليل على الحياة .  
ثم ثوبوا الى انفسكم وانظروا كيف كنا الى عهد قريب متنافرين متفككين لانتمسك بجبل متين من جهة الدنيا او من جهة الدين حتى قال فينا فيلسوف المشرق : انا اثقتنا على ان لا ننفق .

فاليوم احمد الله اليكم يا بني مصر فقد اراد بكم الخبر اذ وفقك الى سبيل الاتفاق .  
اليوم بدأنا نطرح تلك الاهواء التي جعلتنا شيئاً متفرقة . - شغفنا الله ! بل جعلت كل فرد منا منفصلاً بنفسه منفصلاً عن سائر بني جنسه .  
اليوم بدأنا نخالف ما ألقناه من تلك الاختلافات التي علمتنا افاكين العداوات وتبشت بكيان الامة .

(١) هي خطبة القاها في دار التمثيل العربي احمد بك زكي من كبار علماء مصر يوم ٢٤ صفر سنة ١٣٢٦ هجرية الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٠٨ ميلادية و ١٧ برمهات سنة ١٦٢٤ قبطية

اليوم بدأ الافراد يتضامون بعضهم الى بعض فنألت منهم الفواج وجماعات بحسب  
 المشارب والاميلل والغايات .  
 اليوم بدأنا هذه الجماعات نتجاذب وتربط بما فيه توثيق عرى الجامعة القومية واظهار  
 الامة في مظهرها الصحيح .  
 اليوم اخذت تلك الجماعات في وضع الحجر الاول من هذا البنيان . حتى . فان  
 اجتماعنا الآن دليل على اننا قد ادركنا : « ان التضامن رائد العمران » .

\*\*\*

أيما أمة تولد فيها الاحتناس وسعى افرادها الى التضامن فبشرها بخير قريب وفلاح عاجل .  
 ولكن هناك شرطاً لامندوحة عنه : وهو ان يعتمد اهل الرأي فيها وأولو العزم منها  
 هذا المظهر الجديد حتى لا يتغلب الشوك فيقتل البنت الصالح الذي يأتي بالثمر الشهي النافع .  
 ذلك واجب مقدس نقيم علينا جميعاً ان نقوم به نظيرنا جميعاً : فكل فرد منا هو سيف  
 الحقيقة خادم للمجموع كما ان المجموع يتكفل بخدمة كل فرد على السواء .

\*\*\*

دعاني أولو الفضل الذين تتألف منهم هذه الجمعية « جمعية الرابطة المسيحية » لاقف  
 خطيباً يتكلم وتروكوا لي اختيار الموضوع كما أشتعي وأريد . فلم أرَ افضل من المثول بين قومي  
 وهم بنو أمي وجوهمي داعياً الى انضمام المتصرين اللذين يتألف منهما كيان الامة المصرية  
 راجياً ان يقوم غيري من الخطباء المؤهين فينسخون على هذا النوال حتى تتوصل لتقويض  
 دعائم التفريق التي جعلتنا مضغة في الافواه وصيرتنا عبرة للناظرين .  
 لا ينبغي لي ان اقول ان المقام ضيق وا المركز حرج لاني وجدت مجال القول ذا سعة  
 ولكن هذه السعة كانت سبباً في حيرتي فصرت اتردد واردد المثل السيار الذي صر به  
 الفرنسيون وهو : انما الحيرة في الاختيار .

يدعاني بعد اتمام النظر رأيت أن اجعل خطابي على شكل محاضرة في صورة مفاكهة  
 لجاذبكم بها الحديث بذكر نوادر واختبار حفظها التاريخي . وليس لي من امل سوى ان  
 نتوصل لجعل الاختلاف يرددون عنا شيئاً شبيهاً بما سأذكره لكم من مآثر الاسلاف فيكون  
 لنا لسان صدق في الآخرين : اذ يشتركون مع ارواحنا بسلام واعتباط في تحية هذا اليوم  
 الذي هو باكورة الارتباط بين المسلمين والاقباط .

\*\*\*

المسلم والقبطي : واذ اثنتم قلت لكم القبطي والمسلم . فالاولون الآخرون والآخرون والاولون .

ليس لها إلا أم واحدة : هي مصر . وليس لها إلا أب واحد : هو النيل . فها متولون بل شقيقان قد فرق بينهما الزمان حينما فسدت الاخلاق ونكرت الحارث في هذه البلاد فتحكم فيها الاجنبى والطاريى والدخيل سواء كانوا من هذا الدين او من ذلك الدين . بل تعالوا الى كلمة سواء ينفوا بينكم : ان لا تقول بغير الوطن وان لا تنزع لغیر الجامعة القومية . هذا تاريخنا وتاريخكم يشهد لاجدادنا واجدادكم ويشهد علينا وعليكم . فباثنا لا نرجع لسنة الاسلاف وقد كان فيها مجدنا ومجدكم ؟

سيقولون ان المسلمين اضطهدوا الاقباط . كبرت كلمة تخرج من افواههم فكلمها اغلاط في اغلاط .

هلموا يا بني أمي ويا بني عمي الى قاضي التحقيق او الى قاضي الاحالة ليأمر بحفظ هذه القضية لانها لم تتوفر فيها اقل دلالة بل لانها مبنية على الضلالة لا محالة .

\*\*\*

من هم المضطهدون ومن هم المضطهدون ؟

اولئك نفر قليل من الحكام الغرباء الذين لم يرغبوا إلا ولا ذمة لا في المسلمين ولا في اهل الذمة . المضطهدون ( بنوع الماء ) هم المسلمون والاقباط على السواء : اللهم الا ان يقال على سبيل البسط ان الاضطهاد والضغط كانا اشد وقعا على رءس القبط : لان اسمهم جاء على حرف الطاء .

كان الحاكم الظالم اذا تولى على مصر ( والظالم لا دين له ) يستنزف الاموال ويستعبد الرجال لا يفرق بين فريق وفريق ولكن اثره لا يظهر ظهورا واضحا في المسلمين لانهم اكثر مالا واعز نفرا بخلاف الاقباط فان اقل حيف يقع عليهم يكون اثره اشنع وانقطع لقلة عديدهم . فلو كان لي تسون نجمة وكان لابي عشر ثم وقع وباء اهلك ثلثي ما املك وخمس ما لابي لكانت مصيبي اجل واكبر وان كانت لا تذكر ولا تظهر في جنب ما حاق بابي الاصر اذا بقي لي ثلاثون ويقل له ثمان . ولو كان ثوب خروعة عشرة اشبار في عشرة اشبار وله ثوب قدره شبر في شبر ثم وقمت قطعة من الزيت على كل من الثوبين لكان وقها على ثوبه اعظم اثرا فان كنا قد تساوتنا ضررا .

فك في حقيقة الحال وان كان هناك بعض شذوذ فاذن لا حكم له . فباثنا لا تناسى الاضغان ان كان هناك اضغان ؟ بل ينبغي لنا ان لا نكون اقل في العقل واحط في الادراك من ذلك الشرطي وذلك الحوزي : اذ انذ الاول مرة الثاني ليجر فيه « محضر الخالفة » فاخذ الثاني مرة الاول يشكو الى العظيم الذي استوفقه . فقال له « اسمع وانا اسمع »



إليك الآن احاديث الرسول وما ورد في شريعة المسلمين مشفوعة بشفعة من اخبار  
الماضين عليها تكون عبرة وتذكرة وعسى ان يكون من وراثتها ما نرجوه من الرجوع الى  
توثيق علائق الارتباط بين المسلمين والاقباط  
ورد في الآثار الناجية الصحيحة انه قال :

- (١) « ستمتحنون مصر وهي ارض يسمى فيها القبط فاستوصوا باهلها خيراً فان لم ذمة ورحماً »
- (٢) « اذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فان لم ذمة ورحماً »
- (٣) « ان الله سيبغض عليكم بعدي مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فان لكم منهم صبراً وذمة »
- (٤) « استوصوا بالقبط خيراً فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم »
- (٥) « اتقوا الله في القبط لا تأكلوا من اكل الخضر »

وأبلغ من ذلك :

(٦) ان الرسول مرض فاشفي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالأدوم الجعد ثم اغشي عليه  
الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم اغشي عليه الثالثة فقال مثل ذلك . فقال القوم : لو آتاه  
من الادوم الجعد فافاق فسالوه فقال : قبط مصر »

وابلغ من ذلك :

(٧) ( قبط مصر اكرم الاعاجم كلها واسمهم يدًا وفضلهم عنصراً والقريبهم رحماً  
بالعرب عامة وبقرش خاصة ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فيلنظر  
الى ارض مصر حين يخرج زرعها وتؤثر ثمارها »

وابلغ من ذلك :

(٨) انه قال عند وفاته « الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم  
عدة واعواناً في سبيل الله »

(٩) وفي الحديث عن شفي بن عبيد الاصمعي « بلد مصر بلد مهابة من الفتن لا يريد  
احد هلكهم الا اهلكه الله »

(١٠) وفي الحديث ايضاً « اهل مصر الجند الضعيف ما كان في احد الا كفاهم الله ، وولته »  
تلك هي احاديث الرسول . وجل بعد هذه الوصايا المنكورة من حفاوة ظاهرة . اللهم  
انها آية تجعل المسلمين انفسهم يغطون عليها اخوانهم الاقباط .

\*\*\*

ولنتظر الآن الى ما جاء في الشرح وقرره الفقهاء :

وجه اهل المسيية سواء الى الامام مالك فقالوا انا نخرج في بلاد الروم ( آسيا

الصفري) فخلق الطمع منهم مقبلاً إلينا فاذا اخذناه قال : اننا جئت اطلب الامان فهل صدقه ؟ فقال مالك : هذه امور مشكلة ارى ان يرد الى مأمته .

وبناء على ذلك اتفق علماء الاسلام بان الرومي اذا حل بساحل المسلمين تاجراً وتزل قبل ان يعطي الامان وقال : ظننت انكم لا تعرضون لمن جاءكم ببيارة حتى يبيع تجارتهم وينصرف عنكم : فقالوا بان يقبل منه قوله او يرد الى مأمته (مدونة جزء ٣ صفحة ١٠) فهل بعد هذا بيان في مبالغة المسلمين بالحرص على التجارة وحماية اصحابها ولو اتخفوها حيلة بل افلا يقال بانهم السابقون الى فتح سياسة الباب المفتوح قبل ان يفتح اهل اوربا في هذه الايام .

انهم توسعوا في سياسة هذا الباب المفتوح فقد ورد عن الامام مالك ايضا في الجزء المذكور صفحة ١١) في حق الروم ينزلون بساحل المسلمين بامان معهم اتجارا فيبيعون ويشتررون ثم يركبون البحر راجعين الى بلادهم فاذا امنوا في البحر رهنهم الرجاء الى بعض بلدان المسلمين غير البلاد التي كانوا اخذوا فيها الامان . قال مالك : ارى لم الامان ابدا ما داموا في تجرم حتى يرجعوا الى بلادهم ولا ارى ان يهاجروا .

وانفق بان الذي اذا امره المحاربون المسلمين ثم غنم المسلمون فلا يكون فينا بل ترجع له حريته كما كانت ويرد الى ذمته واهله وماله . وقد قرر ايضا بان اموال اهل النعمة واماوالم المسلمين سواء فاذا غنم المحاربون شيئا من اموال الفريقين ثم تغلب المسلمون وغنموا هذه الاموال في جملة مغناهم وادركها صاحبها قبل القسمة سواء كان مسلماً او ذمياً كان هذا اولى بها بغير شيء واذا ادركها بعد القسمة اخذها بنصف وان عرف اهل الاسلام انها اموال اهل النعمة لم يقسموها في القسمة ويردونها اليهم اذا عرفوها فمثلهم في ذلك مثل المسلمين سواء بسواء ( راجع المدونة في الجزء المذكور صفحة ١٣ و ١٤ ) .

ورأيت في كتاب « الذخائر الاشرفية في ألغاز الخفية » المطبوع على هامش « كثر البيان صفحة ١٢٦ » : اذا مات ام الولد وهو رضيع فاعطاه ابوه لليهودية ترغمة مع ابن لها وغاب ابوه وماتت اليهودية واشتبه الحال ايها ولد المسلم ولم يحصل تغيير بوجه ولنا على اليهودية فابن المسلم مسلم تبعا وقد ارتدت ولا يلزم احدها بالاسلام للاشتباه فاحدها مرتد ولا يلزم بالاسلام لعدم تعيينه . وفيه ايضا انه اذا كان لعدو حصن وفيه واحد من اهل النعمة لا يعرف وقد اتفق المسلمون على حقه ولم يؤمنوا من فيه لا يحل لم تكلم بسبب هذا الذي الواحد الذي لا يمكن تعيينه وذلك لقيام المانع بطريقة يفتية وهو وجود رجل غير معين له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وله في عتقهم عهد وذمة .

ولا يلزم اليهودي بالحضور الى مجلس القضاء في يوم السبت الا اضطراراً بحيث لا يكون المقصود إقناع الضرر به تعمداً بهذه الوسيلة ومن المقرر ايضاً انه اذا دعت الحال لتعليق التبين فيكون ذلك في المحل المعظم وهو المسجد الجامع للمسلم ولا يقوم مقامه مطلق مسجداً ويحلف اليهودي في بيعته والنصراني في كنيسه والمجوسي في بيت النار وقال الشيخ سراج الدين عمر الحنفي قاريه الهداية اذا بنى النبي داراً عالية بين دور المسلمين وجعل لها طاقات وشبابيك تشرف على جيرانه هل يمكن من ذلك فاجاب بقوله : اهل الذمة سيفي المعاملات كالمسلمين وما جاز للمسلمين جاز لهم وانما يمنع النبي من تعلية داره اذا حصل لجاره ضرر من منع ضوء او هواء هذا هو ظاهر المذهب انتهى : وحكم المسلم كذلك ايضاً في حكم الضرر بالجيران .

وحسي هذه الشواهد الآن لانني لست بتنفقه ولا متشرع كما انني لا ابغي اغتنام هذه الفرصة لالقاء درس في الشريعة الاسلامية الصريحة السميحة فاسمحوا لي اذن بان اطرق باب التاريخ وفيه غناء وكفاً بل هو الموعظة الباقية والحجة الدامغة .



لا حاجة للاشارة الى اليهود الكريمة والنخ الجلييلة التي اتخف بها نبي الاسلام كثيراً من النصارى . فارها مقرر معلوم وهي اشهر من ان تذكر . قال المؤرخ القبطي الشهير بالمكنين ما نصه : « ورد في تواريخ النصارى انه كان مؤثراً لم رؤوفاً بهر . . . وقال لعمران تقوسهم كنفوسنا واموالهم كاموالنا واعراضهم كاعراضنا . ذكر هذا الحديث صاحب كتاب المذهب واسمه ( اسنده ) الى مسلم وهو حجة الامام الي حنيئة في قتل المسلم بالنبي . وقد عليه بعض اكابر النصارى ققام له واكرمه . فقالوا له في ذلك فقال : اذا اتاكم كرم قوم فاكرموه وهذا كبير قومه . . . وقال من ظلم ذمياً كنت خصمه يوم القيامة . وقال من آذى ذمياً فقد آذاني » . ولكني لا ارى بدءاً من التلعيح الى العهد انمري الذي جعله عمر بن الخطاب في رقبة المسلمين والكتائبين ما داموا مرتبطين بعروة الوطن التي لا انقسام لها . فان ثاني الخلفاء الراشدين هو اول من اشتبكت في ايامه مصالح المسلمين وغير المسلمين . فقد روى المقرئزي عن « علماء الاخبار من النصارى ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى اماناً على انفسهم واولادهم ونسائهم واموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن . وانه جلس وسط حصن كنيسة القيامة ولما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك : لو صليت داخل الكنيسة لاختفها المسلمون من بعدي

من النصارى وقالوا: صلى عمر . وكتب كتاباً يتضمن أنه لا يصلي أحد من المسلمين على الدرجة إلا واحداً واحداً . ولا يجتمع المسلمون للصلاة فيها ولا يؤذنون عليها . وأنه أشار عليه بطرك بالتخاذ موضع العنصرة مسجداً وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه فتبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء . وعمر الشيخ الأدهى إمام العنصرة (١) ثم إن عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم ومضى في كنيسة عند الخنية التي ولد فيها المسيح . وكتب سجلاً بأيدي النصارى : إن لا يصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنون عليه .

وكثيراً ما يشير اللو رخن إلى اليهود النمرية وقد ألف أبو الباس أحمد بن محمد بن المطار الدينسري المتوفى سنة ٧٩٤ كتاباً سماه « اليهود النمرية في اليهود والنصارى » . وفيه أظفر بشيء سوى اسمه في كشف الظنون الذي نفاذنا صاحبه أيضاً هو والخفاري في « الثبر المسبوك » أن المقرئ له كتاب اسمه « شذور القود » وكل صاحب اكتشف اسمه في موضع آخر بأنه « عقود في تاريخ اليهود » (٢) وجلبها لم تصلنا لسوء الحظ .

\*\*\*

فلما ظهر الاسلام وارتفعت مكانته كانت مصر في يد الروم دولة الشريعة وكان عددهم فيها ثلثمائة ألف نفس توزعوا وظائف الدولة فيما بينهم وكانت الامة كلها مبهومة الحقوق ليس لها سوى الاحتراف بالكتابة في الدواوين والتجارة والبيع والشراء والزراعة والفلاحة والخدمة والمنفعة هذا فضلاً عن خدمة الدين فكان الاساقفة والقساوسة وغيرهم من الاقطاع فلما قدم عمرو بجيوش المسلمين قاتلهم الروم حماية للملكهم ودفعاً لهم عن بلادهم حتى نلجهم عمرو على امرهم فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها واقدم على ما بأيديهم من الاراضي وغيرها وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم وكتب عمرو لبنيامين بطرك البعاقبة اماناً في سنة عشرين من الهجرة فسرّه ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته .

ولما توجه عمرو لفتح الاسكندرية خرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد اعلموا للمسلمين الطرق واقاموا لهم الجسور ( القناطر ) والاوق واقصارت لم القبط اعواناً على ما ارادوا من قتال الروم حتى تم فتح الاسكندرية ورجع عمرو قاصداً القسطنطينية فجاز بناحية

(١) هي العنصرة التي كلم الله عليها يعقوب فلما كانت ايام عبد الملك بن مروان ادخل العنصرة في حرم الاقدس وذلك سنة ٦٥ من الهجرة (٢) وذكر في كشف الظنون كتاباً آخر بهذا الاسم للإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٩٠٧ وهو محفوظ بكتبة بالاستانة

الطراثة فاستقبله بها سبعون ألف واهب خرجوا من وادي النطرون ويد كل واحد عكاز  
وعلبوا منه الامان على انفسهم واديارهم فكاتب لهم بذلك اماناً بي عندهم وكتب ايضا بحماية  
الوجه البحري فاستمرت بايديهم وقد بلغت في احدى السنين ما يزيد على خمسة آلاف اردب .  
قال علي باشا مبارك انها لا تزيد الآن عن مائة اردب . وقال المقرئزي ان دير ابي مقار  
الموجود بوادي النطرون فيه انكساب الذي كتبه عمرو بن العاص لاولئك الرهبان بحماية  
نواحي الوجه البحري على ما اخبره من اخبر برؤيته فيه . وقد توجهت الى تلك الجهة في شهر  
يوليو سنة ١٨٩٤ بناية الاب الجليل الثالث القبطه كيرلس الخامس بابا الكنيسة المرقسية  
وبمساعدة المطران النيل يوانس مطران البحيرة والاسكندرية وزرت هذه الدياران  
كلها وتقتب فيها من الفرائز والزكائب والمجالاتي الموضوعة فيها الاوراق فاكتب والمصاحف  
املاً في العثور على ذلك انكساب فلم اغفره مطلقاً والغالب على الظن انه ضاع او تعلقه  
احد سياح الافرنج فكان مثل الاقباط مثل المسلمين في التفريط بذخائر الاجداد . فاهل  
مصر كلهم في ذلك سواء . والا فابن المعاهدات والمكتابات السولية التي تبادلها ملوك مصر مع  
أشكالهم في اوربا وغيرها ؟ اننا اذا اردنا العثور على شيء من هذا القبيل كنا عالة في اخص  
خصائصنا على الافرنج الذين حافظوا على ما وصلهم منا وقد نشره بعض علمائهم في القرن  
الماضي . فالتفريط والافراط يستوي فيهما المسلمون والاقباط . فما بالهم لا يتساوون في  
احكام علائق الارتباط ؟

اتسع بعد ذلك ملك الاسلام وانتشرت اعلامه في سائر الآفاق . فكانت الخلفاء  
والسلطان حماة للمسيحيين يدفعون عنهم الاذى ويجوونهم باصناف الرعاية والاكرام  
ويعاملونهم مثل المسلمين بتمام المساواة بل ربما زادوا في تعظيمهم وتغريمهم بما لا يكاد  
يصل اليه سراة المسلمين .

هل اتاكم حديث عمرو بن العاص داهية العرب مع يحيى المروفي عند النصارى  
يفرما بطيوس اي النحوي ؟ دخل هذا الفيلسوف على الامير وقد عرف موضعه من العلوم  
فاكرمه وسنم من الفاضله الفلسفية التي لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتت به . قال  
المؤرخ النصراني الفاضل غريغوريوس ابو الفرج المروفي باين العبري في كتاب « مختصر  
الدول » : كان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه .

وعندي ان يحيى كان يحسن التكلم بالعربية دون عمرو فقد اثبت لنا التاريخ فيجعله باللغة  
الرومية وذلك في حادثة الارطيون التي وقعت له بالشام وفي حديث اسره بالاسكندرية  
وسنذكره فيما بعد فانه لم يظن للمكيدة التي دبرها الروم لاغتياله لولا معرفة صاحبه في

الاول ومولاه في الثاني بتلك اللغة وحسن نطقها في انقاده من التهلكة .  
 هل اتاكم حديث الحجاج بن يوسف ذلك الداهية الثاني فقد كان ملازماً  
 لتيادوق وشيادون النصرانيين ولها مكرماً . دخل الثاني عليه يوماً فقال له الحجاج :  
 اي شيء دواء اكل الطين . فقال : عزيمة مثلك ايها الامير . فرمى الحجاج بالطين ولم  
 يمد الى اكله بعدها .

وهل اتاكم حديث الدواوين في صدر الاسلام ؟ فقد كان القيمون عليها كتاباً من  
 النصارى وكانوا يكتبون الدفاتر باللغة الرومية حتى جاء عبد الملك بن مروان فازمهم  
 باستخدام اللغة العربية .

وهل سمعتم في دولة من الدول او هل جاءكم نبأ عز ملة من الملل يثقل ما حصل  
 للاخلط ؟ فان هذا الشاعر النعصراني كان في خصام مستديم مع شعراء المسلمين بل خاض في  
 حق الهاشميين وتهجم عليهم بالشلب والمطاعن وهو على نفسه وماله آمن .  
 هذا بعض ما امكنني استحضاره الآن مما يتلقى بالدولة الاموية .

\*\*\*

اما الدولة العباسية فحدث عن الجرح ولا حرج فقد كان في هذا الباب ما هو اعجب واغرب  
 انظروا ماذا جرى لخليفة المنصور ومجده مشهور حتى في التاريخ . في الدواوين وبالروبيقي  
 اكرم طبيباً جيورجيس بن جبريل بن بختيشوع وامر له بمجلة جليلة واتر له في اجماع موضع من  
 دوره واكرمه كما يكرم اخوه منه . فلما مرض الرجل خرج الخليفة بنفسه ماشياً اليه  
 وتعرف خبره . ولشدة شغفه به وثقائه في حبه قال له : يا حكيم انتق الله واسلم وانا اضمن  
 لك الجنة فقال : قد رضى حيث آتاني في الجنة او في النار . فتضح المنصور وامر له  
 بشرة آلاف دينار .

والمنصور كاتب حازم الرأي قد عركته الدهور وخافت الايام سطوته وروى العلم  
 وعرف الحلال والحرام لا يدخله فنور عند حادثة ولا تعرض له ونية عند غفوة فيقيد بالاموال  
 حتى يقال هو اسمح الناس ويمنع في الاوقات حتى يقال هو ايجل الناس ويؤسس سياسة  
 انثوذك ويشب وثوب الاسد العادي لا يبالى ان يجرس ملكه ببلالك غيره ويخضع من الاموال  
 ما لم يمتنع منه خليفة قبله ولا بعده وهو تسعة الف الف وستون الف الف ففرق المهدي  
 جميع ذلك حين افق الامر اليه .

وشبه بذلك ما حدث بمصر القاهرة في سنة ٣٨٥ فان الطبيب ابا اتقى منصور بن  
 مقشّر التبطي كان له منزلة سامية من اصحاب القصر وانفق انه اعتل وتأخر عن الركوب

ف، ثمائل كتب اليه العزيز بخطه : « بسم الله الرحمن الرحيم : طيبينا سلمه الله سلام الله الطيب واتي التمتع عليه . وصلت اليها البشارة بما وجهه الله من عافية الطيب و يرثه . والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا . اذ لك الله العثرة واعادك الى افضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته » . وقد دخل ابن مقفر في خدمة الحاكم بامر الله وكان مكيناً في دولته وبلغ معه اعلى المنازل واستأناها . وكان له منه الصلات الكثيرة والمطايا العظيمة فلما مرض عاده الحاكم بنفسه ولما مات لم يفيض على تركته كما جرت بها العادة على كبار المسلمين والنصارى بل ابتاعها كلها لورثته واطلق لهم مالا وافراً من خزينته .

وشبه بذلك بل ابلغ منه ما وقع للمعتصم العباسي مع طبيبه سلمويه فنه مرض فعاده الخليفة وبكى هذا الملم الجبار عنده وهو الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن وشدة بأس وشجاعة قلب وكرم اخلاق وقال له : اشرع لي بمدك بمن يصلحني فقال عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه واذا وصف لك شيئاً خذ اقله اخلاطاً . فلما مات سلمويه قال المعتصم : سألني به لانه كان يملك حياتي ويدبر جسمي . وامتنع عن الاكل في ذلك اليوم وامر باحضار جنازته الى الدار وان يصل عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى ففعل ذلك وهو يراه وهو خليفة المسلمين . فهل سمعتم بمثل ذلك عند غير اهل الاسلام . نعم سمعنا في هذه الايام بان ملك الانكليز وهو مسيحي يرتدنا في قد انتقل الى الكنيسة الكاثوليكية في لوندرة لحضور الصلاة عن نفس ملك البرتغال فقامت عليه اقامة من جمهور الانكليز وسوادهم الاعظم وكادوا يجاهرون بمخلع طاعته لانه خالف الدستور .

نرجع بالحديث الى المنصور العباسي فقد كان في خدمته نوبخت النخمي الفارسي النصراني فطلب ما يسميه الآن « الاحالة على الماش » فسأله الخليفة عن مخطفه فاشار بولده فاستقدمه فاستنميه فقال انمي خرشاذماه طباذاه ما بازار خسر وانشاء . فقال المنصور كل ما ذكرت فهو اسمك قال نعم . فتبسم الخليفة وقال : اختر مني احدي حلتين اما ان اتعربك من كل ما ذكرت على طباذاه واما ان تجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل . فقال رضيت بانكنية . فبقيت كنيته وبطل اسمه .

ومن ذلك العهد الى قرب دخول الدولة العثمانية في مصر كانت النصارى واليهود والصابئة يكنون (١) بابائي على وابي الحسن وابي الفضل وابي القهم وابي الخير وابي القريج وابي

(١) قال الريحشري في ربيع الابرار لم تكن انكني لشيء من الامم الا للعرب خاصة وهي من مفاخرها . والكنية اعظام وما كان يؤهل لها الا ذو شرف من قومه الذين دجهم

أكرم وإني البقا وإني بشر وإني الحسين وإني الفضل وإني العلاء وإني المكارم وإني النصر  
 وإني الفتح وإني المنا وإني الحجاج وإني الدائر وإني المجد وإني المالكي وإني الميركات وإني الفخر  
 وإني الرجا . ويتلقبون بموفق الدين وجمال الكفاة وصنيعة الخلافة وعهاد الرؤساء وأمين  
 الملك وصنيعة الملك وسيف الدولة وشمس الرياسة وركن الدين وكرم الدين ونغر الدين  
 وشرف الدين وواحد الدين وأمين الدولة ونغر الدولة وغرس النعمة ويستوف بالحسن  
 والحسين والعباس والفضل وعلي .

ونحو ذلك من عنوانات الشرف التي نظن نحن وانتم انها وقف على المسلمين على أنها اسماء  
 لرجال ورد تاريخهم في عيون الانباء وفي طبقات الحكماء وفي مختصر الدول وفي الكامل  
 والمقرئزي وغيرها من المؤلفات المعتبرة .

\*\*\*

ومن ألطف ما يدل على دلال أهل الفضل في تلك الدولة ولو كانوا من غير الملة ان  
 المهدي العباسي م بالخروج الى ماسبذان ( من اقلم الجبل بارس ) فتقدم الى حسنة  
 حظيته ان تخرج معه . فارسلت الى رئيس الفقيمين وهو توفيل بن توما النصراني الماروني  
 قائلة له : انك اشترت على امير المؤمنين بهذا السفر لجسحتنا سفراً لم يكن في الحساب فجعل  
 الله موتك واراحتنا منك . فقال للجارية التي ائتمته بالرسالة : ارجعي اليها وقولي لها ان هذه  
 الاشارة ليست مني . واما دعاؤك علي بتجيب الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموقي  
 مريع . فلا اتوهمي ان دعوتك استجيبت . ولكن اعطي نفسك ثواباً كثيراً فاذا انا  
 مت فاجعليه على رأسك . زالت متوقعة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعده  
 بشهرين يوماً . وتوفيل الزهاوي هذا هو الذي نقل كتابي اوامير وس الشاعر على فتح مدينة  
 ايلبون ( ترودة ) في قدم النهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة  
 وقد نقل العلامة سليمان البستاني احدها في ايامنا هذه الى اللغة العربية فجاء آية في باب  
 ولما جاء زمن الرشيد كان من اطبائه يوحنا بن ماسويه السرياني وخدم ابيه المأمون  
 الى ايام المتوكل وكان معظماً ينفذ جليل القدر وكان يقعد مجلساً للنظر ويمر في فيه من  
 كل نوع من العلوم القديمة باحسن عبارة وكان يدرس ويجمع اليه تلاميذ كثيرون .  
 وكان فيه دابة شديدة يحضره من يحضره لاجلها في الاكثر . وكان من ضيق الصدر  
 وشدة الحدة بحيث تصدر عنه الفاظ مضحكة . شكاه الى رجل علة فاشار عليه بالقصد فقال

الى التكنية الاجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ثم ترقوا من الكنى الى  
 الالقاب الحسنة .



لم آتدعه قتل يوحنا : ولا احسبك اعتذت العلة من بطن امك . وصار اليه قيسه وقال :  
 قد فعدت معدتي علي فقال له استعمل جوارش الخوزي فقال له : قد فعلت : قال :  
 واستعمل الكوفي قال : استعملت منه ارطالاً . فامر به باستعمال البنداذيقون فقال : قد  
 شربت منه جرة . قال : استعمل المروسي . فقال : قد فعلت واكثر . فغضب يوحنا  
 وقال له : يا ابانا يا قيس ان اردت ان تبرا فادخل في دين الاسلام فانه يصلح المدة .  
 وفي ايام المامون وهي الايام البيض التي يتفخر بها الاسلام كان الحكماء والعلماء وكلهم  
 مقربون لديه لا يفرق بين احد وآخر بسبب دين او مذهب . والافاضة في هذا الموضوع  
 تطول ولكنني اقتصر على امر واحد يدل على عداوة اهل الفن . فقد كان في زمنه من  
 الاطباء سهل بن سايور فارسي نصراني في لسانه لكنه خوزية وكان اذا اجتمع مع يوحنا بن  
 ماسويه وجيورجيس بن بختيشوع وعيسى بن الحكم وذكروا بالطيفوري فصر عنهم في العبارة ولم  
 يقصر في العلاج . ولكنه كان يأخذ بثأره بطريق السبابات . فمن ذلك انه تمارض واحضر شهوداً  
 يشهد على وصيته وكتب كتاباً اثبت فيه اولاده وجعل اولهم جيورجيس بن بختيشوع  
 والثاني يوحنا بن ماسويه . وارجو اعفائي من السبب الذي اتهمه لذلك . ففرض لجيورجيس  
 زعم من النفيظ وكان كثير الالتفات فقال سهل : « مصري وهك المسبه اخروا في اذنه  
 آيه خرمي » أراد بالجملة التي فيه : صرع وحق المسح اقرؤا في اذنه آية الكرسي . ومن  
 دعاياته انه خرج في يوم الله نين يريد المواضع التي تخرج اليها النصارى . فرأى يوحنا بن  
 ماسويه في هيئة احزن من هيئته فحسده على ذلك فصار الى « احب مسلحة الذاحية ( اي  
 القرع قول ) وقل له ان ابني بعقي وان انت ضربته عشرين درة موعة اعطيتك عشرين  
 ديناراً ثم اخرجها فدفعها الى من وثق به صاحب المسلحة . ثم اعتزل ناحية الى ان بلغ يوحنا  
 الموضع الذي هو فيه فقدمه الى صاحب المسلحة وقال : هذا ابني بعقي واستخر بي فخذ ان  
 يكون ابنه وقل بهذي هذا . قال سهل انظر يا سيدي . فغضب صاحب المسلحة ورمى يوحنا  
 من دابته وشربه عشرين مقرة ضرباً موجعاً مبرحاً .

تلك امور مما يتعلق بالافراد وستمود الى شيء منها فيما بعد ولكن لا بأس من توجيه  
 النظر الى المجموع . ففي ايام الرشيد خطب وزيره الفضل بن يحيى البرمكي بنت خاقان الخزر  
 فارسلها في تحمل عظيم ولكن منيتها وافتها في مدينة برذعة فاوم اعداء الخلافة ابان ان  
 ذلك كان بدسيسة عليه للتشكيل به فخرج في سنة ١٨٣ من مدينة باب الابواب في جيوش  
 كثيفة من قومه فاوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف نفس وانهكو  
 امر عظيم لا يسع بمثل في الخافقين .

والتاريخ يحدثنا بان بابكا الخزي خرج على خلفاء الاسلام واطى في المسلمين ومثل بهم وكاد يهدم خلافتهم ويحبي ائرم من الوجود . وكان اصحابه لا يدعون رجلاً ولا امرأة ولا صبي ولا طفلاً مسلماً او ذمياً الا قطعوه وقتلوه واحده في عدد القتل بايديهم (انظروا) فكان ٢٥٠٠٠ انسان . فوجه المتصم بالله عنايته لاستئصال شأفته وقطع جرثومته حتى ضيق في وجهه الخائف واخذ عليه المتأفد وسد دونه المسالك . فخرج الخارجي الى بلاد الروم هارباً في زى التجار ومعه اهله نفره سهل بن سباط الارمني البطريق فاسره فاقتدى نفسه منه بال عظيم فلم يقبل وبشه الى قائد جيوش المسلمين بعد ما ركب الارمن من امه واخته وامراته الفاحشة بين يديه وكذا كان يفعل الملعون بالناس اذا اسرم مع حرمهم فكان اهل الذمة يمدون منه بقدر وجد اهل الاسلام . اذ كانوا سواسية عنده يرتكب فيهم المحارم والآثام . ولولا اخلاص النسي ما تخلص من هذا الفاسق انكاروا اهل الاسلام . وكان المسلمون اذا حاربوا اعداءهم في الملك والسياسة وم الروم لا يستيرون بعمارة اهل الذمة فكان هؤلاء يصيهم ما يحل بالمسلمين من ظفر او نكاية . ولعلنا اخذ الروم من اهل الذمة أسارى وعاملهم بنفس القسوة التي يعامل بها اسارى المسلمين ولكن اذا وقع الفداء بين المخاربين كان اول ما يشترطه المسلمين استخلاص النصارى القسيسين ايضاً . فقد روى التاريخ انه في سنة ٢٣١ هجرية في ايام الوائى ابن المتصم كان الفداء بين المسلمين والروم على يد خاقان خادم الرشيد . فاجتمع المسلمون على نهر اللامسا اعلى مسيرة يوم من طرسوس وامر الوائى بان يكون فداء اهل الذمة مطلقاً وبلا قيد ولا شرط . واما فداء المسلمين فقد امر خليفته بامتحنهم قبل فكهم من الاسرفين قال يخلق القرآن وان الله لا يرى في الآخرة فودي به بانسير روي وأعطى ديناراً . ومن لم يقل ذلك ترك في ايدي الريم . فسمعوا واعجبوا . فلما كان في يوم عاشوراء انت الروم ومن معهم من الاسارى فكان المسلمون هم البادئون بهذا الخبير فيطلقون الاسير فيطلق الروم اسيراً فيلقين في وسط البحر فاذا وصل الاسير الى المسلمين صاحوا : الله اكبر . واذا وصل الروم الى قومه صاحوا كبير باليون . حتى فرغوا فكان عدة اسارى المسلمين اربعة آلاف واربعائة وستين نفساً والصبيان ثمانمائة واهل ذمة المسلمين مائة نفس .

وفي سنة ٢٣٨ هجرية هجم الروم على دمياط في ثلاثمائة مركب فنهبوا واهرقوا دورها وجامعها وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستائة امرأة فلم تشفع الذميات مقولتين بالاقانم الثلاثة عند اولئك الذين قالوا انا نصارى . بل كن والمسلمات سوا . في البؤس والشقاء .

وفي سنة ٢٨٣ سارت الصقابة الى الروم غاصروا القسطنطينية وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً وخربوا البلاد . فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من اسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألم معونته على انعقابه فمضوا وكشفوهم وازاحوهم عن القسطنطينية وانظروا مكافأته لم على هذه النجدة العربية والشهامة الاسلامية . لما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فاخذ سلاحهم وفرقهم في البلدان حذراً من جنائهم عليه فدعا ذلك اخليفة الباسي وهو المستضد بن الموفق الى السبي في الفداء فتم الامر وبلغ جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان القين وخمسمائة واربعه انفس .

وهل يجمع لنا ان تقابل تلك الغزوة الشرقية بما فعله الافرنج القيمين ( لا الاسارى ) بالقسطنطينية ؟ في سنة ٦٠٠ هجرية حاصرها ملك الفرنج فروى ابن العبري ان الافرنج القيمين بها كان عددهم ثلاثين الفا ففاوضوا مع الافرنج المحاصرين لها ووئبوا سيفه البلد والتوا فيه النار فاحترق نحو ربع البلد فاشتغل الروم بذلك ففتح الفرنج الابواب ودخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وقتلوا حتى الاساقفة والربان والقسيد بن الذين خرجوا اليهم من كنيسة أياصوفيا العظمى وبايديهم الاناجيل والصلبان يتوسلون بها ليقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلهم اجمعين ونهبوا الكنيسة . فابن فعلهم من فعل عمرو بن العاص مع رهبان النطرون .

هذا وقد كانت القرن توالى ببغداد تفرقتها فشرع ضد الدولة سنة ٣٦٩ في عارثها فحمر المساجد والاسواق وادر الاموال على الائمة والعلماء والقراء والفرباء والضمفاء الذين يأوون الى المناجد وجد ما دثر من الانهار واعاد حفرها وتسويتها . ولكن هل وقف ذلك الامير المسلم عند هذا الحد في عاصمة حواصم الاسلام ؟ كلا : فقد ذكر ابن الاثير سيفه الكامل انه اذن لوزيره نصر بن هارون ( وكان نصرانياً ) في عارة البيع والاديرة واغلاق في الاموال لغنائمهم . فكان المسلمون والنصارى في هذا الرخاء سواء . بل ان المجوس انفسهم وهم لا ذمة لم ولا كتاب قالوا من عدل الرجل وانصافه ما خلدته الدفاتر مع الثناء الوافر . فقد وقعت في تلك السنة فتنة في شيراز بين عامة المسلمين وعامة المجوس فنهب الاولون دور مواطنهم وضربوا وقتلوا جماعة منهم . فسير ضد الدولة من جمع له كل من له اثر في ذلك وضربهم وبالغ في تأديبهم وزجهم لانهم لم يراعوا حرمة الوطن والجار .

وما يدل على ارتباط المسلمين باهل الذمة عند حلول الشدائد بهم جميعاً ما وقع سنة ٦٤٠ في ملطية بآسيا الصغرى عند هجوم التار وتوالي نكباتهم بالارض وباهل الارض . فان المسلمين والنصارى اجتمعوا في البيعة الكبرى وتحالفوا ان لا يخون بعضهم بعضاً ولا

يخالفوا المطران في جميع ما يقدم اليهم من مداراة التنازل والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على اسوارها وكف اهل الشر عن الفساد .

وفي حدود سنة ٦٥٦ هجرية ازاح التنازل اميراً مسلماً عن ملطية فلما رحلوا عنها رجع هذا الامير اليها واسمه علي بهادر . فانطلق اهلها الايواب في وجهه ولم يمكنوه من الدخول خوفاً من التنازل . فشد عليها الحصار حتى ضجر الناس وضقت بهم الحيلة . فقتله العوام احد الايواب فدخل المدينة عنوة . وكان اول همه انه لم يتربص حتى يجيء الصباح فاصعد بالليل على المنابر جماعة ينادون ويقولون : ان الامير قد امن الرعية الصاري منهم والمسلمين فيخرج كل واحد الى عمله ودكانه وليستغل بيبعه وشرائه فانما كلامه مع الحكام .

\*\*\*

ولنرجع الى ذكر الافراد لشير الى مقدار عناية ملوك الاسلام بفضلاء الصاري واحتياهم منهم ما لا يمكن ان يتصوره عقلنا في هذه الايام . فقد روى التاريخ ان يوحنا بن ماسويه الذي اشرفنا اليه فيما سبق كان مع الخليفة العباسي الواثق في دكان ( اي دكة مبنية للجلوس عليها ) وكان مع الواثق قصبة فيها شص وقد القاهما في دجلة ليصيد بها السمك فحرم الصيد . فالتفت الى يوحنا وكان على يمينه وقال : قم يا مشووم عن يميني . فقال يوحنا : « يا امير المؤمنين لا تتكلم . جال . يوحنا ابوه ماسويه الخواري . وانه رسالة الصليبية المتبادلة بثلاثمائة درهم واقبلت به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرم وعشيرم حتى غمرته الدنيا فقال منها ما لم يلفه امله . فن اعظم المجال ان يكون هذا مشووماً . ولكن ان احب الامير ان اخبره بالمشووم من هو اخبرته » فقال من هو ؟ فقال « من ولده اربعة خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة . ترك خلفه وقصورها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجلة لا يأمن عصف الريح عليه فيغرقه . ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وشرهم وهم صيادو السمك » فهاذا فعل الخليفة ؟ فنجع فيه الكلام ولكن نشاغل مدة ثم قل ليوحنا وهو على ذلك الدكان : يا يوحنا الا انجبتك من خلة ؟ قال : وماهي ؟ قال : « ان الصياد ليطلب اليد مقدار ساعة فيصيد من السمك ما يساوي ديناراً وما اشبه ذلك . وانا اقدم منذ غداة الى الليل فلا اصيد ما يساوي درهماً » فقال يوحنا « امير المؤمنين وضع التعجب في غير موضعه . ان الله جعل رزق الصياد من سيد السمك . فرزقه يأتيه لانه قوته وقوت عياله . ورزق امير المؤمنين بالخلافة فهو غني عن ان يرزق بشيء من السمك . فلو كان رزق من الصيد لوافاه مثل ما يوافي الصياد »

ومثل ذلك ما حدث للمتوكل الذي تولى الخلافة بعد الواثق هذا . فقد جرى على سنة

اسلافه في تعظيم اهل الفضل معا كانت عقيدتهم . كان الطبيب مجتهد . وع اذا دخل عليه في داره الخاصة جلس بجانبه على السدة : وهي منزلة لم يصل اليها وزير من المسلمين . فاتفق يوماً ان الخليفة رأى فتناً في ذيل دراعة الطبيب وكانت من ديباج رومي . فاخذ يحادثه ويبحث بذلك المتنى حتى بلغ الى حد التيقن ( وهو الموضع المتسع في السراويل والقميص ) . ودار بينهما كلام اقضى ان سأل المتوكل بجيتشوع : بماذا تعملون ان الموسوس يحتاج اني السدة . قال بجيتشوع : اذا بلغ في فتى دراعة طبيبه الى حد التيقن شددناه . ففحصك المتوكل حتى استلقى على ظهره وامر له بجملة حسنة ومال جزيل .

وكان بجيتشوع هذا قد بلغ في ايام المتوكل العباسي من الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال مبلغاً يفوق الوصف مع كمال المروءة حتى انه كان يباري الخليفة في لباس والزي والطيب والفرش والضيافات والتسجيم في النفقات .

وهل معتم برؤية اسلم في مسلم او نصراني في مسلم مثل المربية البارعة التي نظمها الشريف الرضي في ابني اسحاق ابراهيم الصائفي المتوفى في شوال سنة ٣٨٤ ومطلمها :  
ارأيت من حملوا على الاحواد ارأيت كيف خبا ضياء النادى

وهي من غرر اشعاره وايانها كلها عائرة تبلغ الثلاثين بيتاً . وقد عاتبه بعضهم في ذلك لكونه شريكاً يرثي صائباً فقال : انما رثيت فضله . وناهيك بتمام الرضي لانه كان مرثياً للخلافة حتى خاطب خليفته القادر بالله بقوله :

عطفك أمير المؤمنين فانتا في دوحة العلياء لا تنفرد

ما يفتنا يوم العلاء تفاوت ابداً كلانا في العلامة معرق

الا الخلافة ميزتك فاني اناعاطل منها وانت مطوق

وكان للنصارى واليهود في بغداد كلمة نافذة وقول مسموع في شؤون الدولة العامة والسياسية يشهد بذلك ما حدثنا به صاحب تاريخ الوزراء عن يوسف بن فيحاس ابو نفحاس اليهودي وزكريا بن يوحنا والى عمرو سعيد بن القرطخا النصراني وعمران اليهودي وبشر بن علي النصراني وابي مهمل نصر بن علي النصراني وابي نصر بن بشر بن عبد الله الانباري النصراني وابي الفضل بنان بن بنان النصراني وعلي بن عيسى الزنداني النصراني بل النساء النصرانيات كان لهن يد في سياسة الملك مثل فرج النصرانية فقد كان الخليفة القنذر الباسي ينفذها في امور الدولة ويعمل برأيها ويرسل خاتمه معها الى من يريد تقليده الوزارة وامثال ذلك كثيرة حتى ان الناصر لدين الله قلد الجيش امراة النصارى كاتبه والمتنشد بالله ملك ابن الوليد النصراني كاتب بدر الولاية العامة على الجيش . وكذلك فعل الوزير الكبير ابن الفرات فانه قلد الولاية

العامه على جيش المسلمين لرجل نصراني وجعل انصار الدين وحماة البيعة بقيت يده  
ويعتلون امره بسبب هذه الوظيفة .

وكان بيت مال المسلمين تخرج منه الانصاف الدينية لا كابر اكتاب من النصارى  
وتقدرها بالمائة الف دينار كما وقع لاصطنع بن يعقوب كاتب بيت مال الخامة في ايام  
ابن الترات ويعقوب ابنه حتى بلغت ثروتهما الف الف دينار .

وكان ابن الترات قد رسم بان يدعى في كل يوم الى طامه خمسة من اصحابه المسلمين  
وم : ابوالحسن موسى بن خا - وابوعلي محمد بن علي بن مقله وابو الطيب محمد بن احمد  
الكلوذاني وابوعبدالله محمد بن صالح وابوعبدالله الذي روى وله هذه القصة وهو ابوالقاسم  
ابن زنجي . واربعة من اخصائه النصارى وم : ابوبشر عبدالله القرخان النصراني وابوالحسن  
سعيد بن ابراهيم التستري النصراني وابومنصور عبدالله بن جبير النصراني وابوعمر سعيد بن القرخان  
النصراني . فكانوا يحضرون مجلسه في وقته من جانبيه وبين يديه ويقدم الى كل واحد منهم  
طبق فيه اصناف الفاكة الموجودة في الوقت من خير كل شيء . ثم يجعل في الوسط طبق  
كبير يشتمل على جميع الاصناف وكل طبق فيه . كين يقطع بها صاحبه ما يحتاج الى قطعه  
من سفرجل وخوخ وكثري ومعه طست زجاج يري فيه الثفل فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم  
واستوفوا كفايتهم شلت الاطباق وقدمت الطسوت والابريق ففسلوا ايديهم اُحضرت  
المائدة مشاة بديقي فوق مكبة خيازر ومن تحتها سفرة ادم فاضلة عليها وحواليها مناديل  
الغمر من الثياب المصورة . فاذا وضعت رفعت المكبة والاغشية واخذ القوم في الاكل  
وابوالحسن ابن الترات يمدحهم ويواسطهم ويؤانسهم . فلا يزال على ذلك والالوان توضع  
وترفع اكثر من ساعتين . ثم ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ويسلمون  
ايديهم والفراشون قيام يصبون الماء عليهم والخدم وقوف على ايديهم المناديل الدبيقية  
ورطيات ماء الورد لمسح ايديهم وصبه على وجوههم .

وقد ذكرت هذه العجالة لاطهر ما كان القوم من رفاة وتأنق في داخلتهم كما كان  
لمن من عظمة وجلال في خارجيتهم فقل هذا النظام لو حدثنا به احد لاتيحمنا به بانه يصور  
لنا شيئاً مما يجري في منازل عظام اوربا واميركا لولا انه منقول بالحرف الواحد من كتاب  
« تحفة الاسراء في تاريخ الوزراء » للصابي .

\*\*\*

ومن المقرر في الشريعة الاسلامية بناء على ما جاء في القرآن ونة الرسول و عمر بن الخطاب  
وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن العباس وعبدالله بن مسعود ومن اتبعهم من ائمة الهدى ان ذوي

الارحام ترد عليهم مواريتهم . وقد كان العمل في ذلك جارياً على هذه القاعدة بصرف النظر عن ملة الوارث سواء كان مسلماً او ذمياً . ولكن السنة قد تخفني في بعض الدول فيبطلها الحكم ظلاً وعدواناً . فقد وقع ان بيت المال اغتصب حقوق هؤلاء الوارثين من مسلمين وذميين فامر المعتضد بالله ثم المستكفي بالله بالرجوع اليها في حق كل منهما ثم انكرت هذه السنة الشريعة فاعادها المعتذر بالله واصدر منشوراً جليلاً امر باظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام وارسله الى جميع اصحاب الاعمال في الآفاق وبما ورد فيه بنوع التضييع قوله : «وان يرد تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثاً على اهل ملته » .

وكان النصارى وانتمهم يعرفون حق المسلمين عليهم ويؤازرونهم في الشدة كما يستفيدون منهم في الرخاء فقد اتفق في ايام المعتذر بالله في اوائل القرن الرابع للهجرة ان القسطنطينية تولى على ملكها حدثان ففسدا اسارى المسلمين وشهدا في التنكيل بهم واجاعام واعريام وطالبام بالنصر ولم ير الوزير علي بن عيسى مساعدة من : اب الخليفة على اتفاق الاموال وتجهيز الجيوش . فاشار عليه بعض جلسائه لتعريفهم عنه بان يوسط عظيم النصارى بانطاكية وهو البطرك وعظيمهم بالقدس وهو القائلق او القائلق لاث امرها ينفذ على ملوك الروم ولا يتم لهم امر الا بهما والطاعة لانهم جمهور رعيتهما الا بقولها وربما حرم الواحد منهم فيجزم عتدهم فما هو الا ان ارسل اليهما الوزير علي يدي عامليه في انطاكية والقدس حتى يادر علياً النصرانية الى اقتاذ رسول عنهما مع رسول من المعامل الى ملكي الروم وكتبنا لما مانسه : « انكما قد فعلتما باسارى المسلمين عندكما ما هو محرم عليكم ومخالف لوصية المسيح عليه السلام في امثلهم وامره فيمن جرى مجرام . فاما زلتنا عن هذه الطريقة وعدلتنا عنها الى ما تخفضيه السنة المأثورة واحسنا الى من في ايديكما وتركناهم على اديانهم ولم تكروهم على خلاف آرائهم والا لعنا كما وتبرأنا منكنا وحرمانا كما » فلما وصل الرسولان الى القسطنطينية اوصل رسول البطرك والقائلق الى الملكين وحجب صاحبه . وبعد ايام اذن له الملكان في الشول بين يديهما وقالاه : الذي أدى الى ملك العرب من فعلنا باسارى المسلمين كذب وشناعة وقد اذنا في دخولك دار البلاط لتشاهدنا ونسمع شكرهم وتعلم استخالة ما ذكر لك في امرهم . فذهب فرأهم كأنما هم خارجون من القبور وقائمون الى النشور وجوبهم دالة على ما كانوا فيه من الضر والذاب الا انهم في حالة صيانة مستأنفة ورفاهة مستعدة . قال الرسول : فقامت ثيابهم فكانت جدداً كلها فتبينت اني اخبرت ذلك التأخير حتى غير امرهم وجهد زهرهم . وقالوا لي : نحن شاكرون للملكين . فلما الله بهما

وصنع مع ايمانهم الي بان حالم كانت على ما تأدى اليها وانما خفف عنهم وأحسن اليهم بعد حصولي هناك . وة لوالا لي في عرض قولم : كيف عرفت صورتنا ومن ننبه على مرأنا حتى اتقذك من اجلنا . قتل ولّي الوزارة الوزير ابو الحسن علي بن عيسى . فبلغه خبره فاتفق وفضل كذا وكذا ففجئوا بالدعاء له . وسمعت امرأة منهم تقول : مر يا علي بن عيسى لانسى الله لك ذلك الفعل . فشد ذلك بكى الوزير بكاء شديدا ثم سجد لله تعالى شاكرًا وحامدًا .

والبلاط المذكور هنا هو دار كانت بالقسطنطينية مخصوصة لاسارى المسلمين (١) ذكره المتنبى وابوفراس وغيرهما في اشعارهم وقد ذكره ابو العباس الصفي شاعر سيف الدولة وكان محبوباً وضربه مثلاً .

اراني سيف جسي مقبلاً كأنني ولم اغزُ في دار البلاط مقيم

\*\*\*

ومجل القول ان افاضل الروم والسريان والكلدان والياقبة والفوس وسانر النصارى على اختلاف ملهم واليهود والمجوس والصابئة كانوا في ايام خلفاء بني العباس موضع التحية والاعزاز والاحترام ووصلوا بعتابة الخلفاء واكابر الدولة من المسلمين الى مقام محمود ودرجة لم يكن لها نظير في دولة اخرى شرقية او غربية حتى ولا في هذه الايام التي انتشرت فيها اعلام الحربة وانطلقت الافكار من قيودها القديمة التقليدية .

فكان الخلفاء وملوك المسلمين وامراؤهم يجعلون فقتهم فيهم ويسلمون اليهم طيهم وطب نسائهم ويأتمنونهم على حريمهم واموالهم ويفضون اليهم باسرار الدولة الاسلامية ويودعون عندهم اموالهم وذخائرهم ولا يجعلون بينهم وبينهم حجاباً بل يستقبلونهم في كل وقت وينفذ اذن مثل المسيحي نزير بغداد وامحقق بن حنين بن امحقق ويختشرون بن جورجيس واليه الكرم صاعد بن توما المعروف بامير الدولة واشباههم ممن لا ترى حاجة لسرد اسمائهم .

(١) وقال المسعودي « والبلاط القصر ويعرف بالاتبار وفي هذا البلاط ميناخيه سلسلة ينزل فيه رسل العرب اذا قدموا للقاء » والبلاط تعريب Balatium من اللغة اللاتينية المامية ومنه في اللغة الفرنسية القديمة Balot و Balay و Balé واصله مشتق من اللاتينية القبطية Palatium التي اخذ الافرنج منها Palais الفرنسية و Palazzo العلياينة و Palacio الاسبانية و Palace الانجليزية وهكذا ومعناها في كل تلك اللغات القصر والسراي . من كلمة بلاط تبني القصر الملكي اخذنا نحن كلمة البلاط او البلاط الملكي . واما الاتبار فهو تعريب لكلمة يونانية لاتاريو



وكان اكابر علماء المسلمين يتلقون العلم عن افاضل النصارى وغيرهم عملاً بالحديث الشريف كما كان النصارى واليهود وغيرهم يتلقون العلوم الفلسفية وغيرها عن علماء الاسلام فان محمد بن موسى بن شاكر الذي كان من اوفر الناس حظاً في الهندسة والتجويد في ايام المأمون كانت له دار في بغداد ككعبة لطلاب الفضل وعشاق العلم وقد تعلم فيها كثيرون ممن جعلوا لتلك الدولة بهاء ورواء وعطروا اسم الشرق والاسلام . نكتفي الآن بذكر ثابت بن قرة بن مروان الصابي، الحاراني تزيل بغداد فان ابن شاكر المسلم لم يكتشف بتفريجه في العلم بنفسه والاتفاق عليه من ماله حتى اكمل دروسه في داره عن الاساتذة الذين كان بدر عليهم الارزاق لتتوיד الازمان بل رأى ان لهذا الصابي حقاً عليه بهذا الجوارقوصله بالخليفة المعتضد وادخله في جملة التجمين فظهر فضله حتى بلغ عنده اجل المراتب واطل المنازل وكان يجلس بمحضته في كل وقت ويمدحه طويلاً ويفضحه وخليفة يشبل عليه دون وزرائه وخاصته .

وقريب من ذلك ما وقع في مصر اذ اتجأ اليها موسى بن ميمون اليهودي المشهور بمد ما كره في الاندلس على الاسلام فظهره وحفظ القرآن واشغل بالفقهاء واسر اليهودية حتى اذا تمخضت الفرصة خرج الى مصر في اواخر ايام الفاطميين فلما استقر الامر فيها الصلاح الدين الايوبي اخذه القاضي الفاضل ( عبدالرحيم بن علي اليبساني ) تحت حمايته واشتغل عليه وقدره رزقاً من خزانة الدولة لما رآه فيه من العلم الواسع والفضل الكامل . فانه كان اوجد زمانه في صناعة الطب علماً وعملاً وكان متفتناً في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة وكان الناصر صلاح الدين وولده الملك الافضل يجلان قدره كثيراً ويعتمدان علي رأيه في الطب وقد تولى الرياسة العامة على جميع اليهود بديار مصر . ولقد ابتلي موسى هذا في آخر زمانه برجل من الاندلس فقيه يعرف بابي العرب وصل الى مصر وحاققه على اسلامه ورأى اذاه فتمعه عنه القاضي الفاضل وقال له : رجل يكره على الاسلام لا يصح اسلامه شرعاً . وقد مدحه القاضي السعيد بن سناء الملك فقال :

ارى طب جالينوس لجسم وحده      وطب ابي عمران للعقل والجسم  
فلو انه طب الزمان بعلمه      لا يراه من داء الجهالة بالعلم  
ولو كان بدر التم من يشطبه      اثم له ما يدعيه من التم  
وداواه يوم التم من كلف به      وايماء يوم السرار من القم

وافادنا التاريخ ان الفارابي وهو المعلم الذاتي ( لان المعلم الاول هو ارسطو طاليس ) دخل العراق واستوطن بغداد وقرأ بها العلم الحكيم على يوحنا بن حيلان النصارى وانه هو اقرأ

يحيى بن عدي النصراني البعلبكي الذي انتهت اليه رئاسة اهل المنطق في زمانه . وقيل ان اباسهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني هو معلم الشيخ الرئيس ابن سينا صناعة الطب وان كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز ومهر فيها وفي العلوم الحكيمة حتى صنف كتباً للمسيحي وجعلها باسمه . هذا وانتم تعلمون ان يحيى ابن عيسى بن جازلة النصراني قرأ الطب على النصارى واراد قراءة المنطق فلم يكن فيهم من يقوم بهذا الشأن وذكر له ابو علي بن الوليد شيخ المعتزلة بانه عالم بعلم الكلام ومعرفة الالفاظ المنطقية فلازمه لقراءة المنطق ثم حسن الشيخ له الاسلام حتى استجاب وكان يطلب اهل محله وسائر معارفه بنفي اجرة ولا جمالة بل احتساباً وبروءة ويحمل اليهم الادوية بنفي عوض . وعن درس على شيوخ الادب المسلمين يحيى بن سعيد ابن مالك النصراني فقد برز في هذا الفن حتى صنف ستين مقامة على مثال البديع والحريري فاحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب .

وهذا باب كبير جداً يتسع فيه المجال لشرة امثال هذا المثال غير انني التمس الاذن من حضرات السامعين لاقص نبأ عليهم من اغرب الابهاء :

اعرف في باريس رجلاً يهودياً من الذين توفروا على درس المشرق وآدابه وتوارى عنه وعُتوا بالتحقيق عن كل شؤونه ونشروا كثيراً من ما اثره الخالدة واسفاره المتبعة وتزجوا بعضها الى اللغات الاجنبية . ذلك الرجل هو زميلي وصديقي العلامة الفاضل هرتويغ درنيورخ ولست الآن في مكان تقرظه وتعيد حسناته وانما اقول لكم اني رايت في باريس ذمماً بتفسير القرآن الكريم على جماعة الطلبة الفرنسيين في مدرسة اللغات الشرقية فعبت في نفسي من امر هذا اليهودي الذي يشرح للنصارى في باريس ولسان الفرنسي كتاب المسلمين . ولكنني تذكرت تاريخ اجدادي وبه سيطل اعجابكم كما بطل اعجابي . فقد كانت الشيخ المؤرخ نبي الدين ابوالعباس المغربي المشهور صاحب كتاب الخطط المتوفى سنة ٨٤٥ من الهجرة له المام تام بذهاب اهل انكتاب حتى كان افاضلهم يترددون اليه للاستفادة منه فيما يتعلق بامور دينهم وشرح مذاهبهم ومعرفة ارار ملتهم . وقد ألف كتاباً سماه « شارع النجاة » يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من اصول ديانتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها وهذا يختلف ما نراه من البيانات المتبدلة الكثيرة في كتابه المشهور بالخط الذي طبعه الخواجه روثايل عيد التبطل وقداخذ الفرنسيون يترجمونه في هذه الايام الى لغتهم بمعرفة العلامة اوربان يوريان وبمعرفة العلامة كازانوفا المقم بين ظهرانينا الآن لا كمال هذا العمل الجليل الذي برز في عالم المطبوعات قسم كبير منه .

ولكن ابن المقريزي وابن عثمة من الفقيه الشافعي كمال الدين ابن يونس الذي نفقه في الموصل ثم توجه الى بغداد ثم رجع الى الموصل ومات بها رابع عشر شعبان سنة ٦٣٩ فقد كان آية ولا كآيات وعجوبة ولا كالعاجيب وموسوعة ولا كال موسوعات تبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يحصمه احد وتفرّد بعلم الرياضة وافق الفقهاء على القول بانه يدري اربعة وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك مذهب الشافعي فكان فيه اوجد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشغلون عليه بمذيعهم ويحل لم مسائل « الجامع الكبير » احسن حل مع ما هي عليه من الاشكال المهور وكان يتقن فن الخلاف المراقي ( اي على مذهب الشافعي ) والبخاري ( اي على مذهب الحنفي ) واحول الفقه واصول الدين والارسلت كتب فخر الدين الرازي الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم احد منهم اصطلاحه فيها سواء وكذلك كتاب الارشاد للامام ركن الدين العميدي لما وقف عليه حل اصطلاحاته في ليلة واحدة واقرأها على ما قالوه وكان يدري فن الحكمة والمخاطبة ( اي كتب ارسطوطاليس الشطبية الثانية ) والطبي والالهي وكذلك فنون الرياضة من افليدس ( اي كتبه الرياضية ) والميتة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ( اي الفلك ) وانواع الحساب : المفوض منه ( اي علم العدد ) والجبر والمقابلة والارتماضي وطريقة الخطايف والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخراج في علم الافاق طرقا لم يتد إليها احد وكان يبحث سيف العربية والتصرف بحثا تاما حتى انه كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابن علي الفارسي والفصل للزخشري وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التاريخ واما العرب وقائعهم والاشعار والمحاضرات شيئا كثيرا وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواء لقوته فيه وبالجمله فان مجموع ما يحلمه من الفنون لم يسمع عن احد ممن تقدمه انه جمعه ولقد كان كبار المشايخ الذين لم تقدم الراحة في العلم يأخذون الكتاب ويجلسون بين يديه ويقرؤن عليه مع ان لم من الكتب الفائقة ما يشغل به الناس والطلاب بل كانوا يتركون بلادهم وتدرسهم ويحضرون اليه للتلمي عليه ولقد خرج عليه خلق كثير في كل فن . وليس كل ذلك شيئا يذكر بجانب امر صغير كبير قد اشتهر عنه وهو الذي سادت ان اغتخلص اليه بهذه المناسبة . وذلك ان علماء النصراني واليهود كانوا يقرؤن عليه الطب والفلسفة وغيرها من العلوم التي اعتاد اهل ذلك العصر عصر النور ان يقرئوها لاهل الكتاب ولا يتمتعونها . فليس في هذا شيء من الغرابة وانما الغريب انه مع كونه معدودا من الفقهاء والمفسرين كان كارهوا ابن خلكان

وهو حجة ثقة يحمي إليه اهل الذمة من اليهود والنصارى ويقرؤون عليه التوراة والانجيل وقد شرح لما هذين الكتابين شرحاً يمتدحون انهم لا يحدون من يوضحها لهم مثله . ولو وقع مثل هذا في عصرنا لمدَّ غريباً جداً . ومن قرأ عليه الحكيم تاذري الانطاكي العقدي الذي احكم اللغة السريانية واللاطينية بانطاكية وشدا بها شيئاً من علوم الاوائل ثم هاجر الى الموصل وقرأ على كمال الدين بن يونس مصنفات الفارابي وابن سينا وحل اوقليدس والمجسطي . ثم عاد الى انطاكية ولم يطل للكث بها لما رأى في نه من التفسير سيف التحصيل فعاد مرة ثانية الى ابن يونس وانفتح ما استنهأ من علمه وانحدر الى بغداد والقفن علم الطب وقيد اوابده وتضيد شوارده وقصد السلطان علاء الدين لخدمه فاستغربه ولم يقبل عليه فرحل الى الارمن وخدم قسطنطين ابا الملك حاتم ولم يستطع عشرتهم فسار مع رسول كان هناك للامبرور ملك النرويج ( هو فريديريكوس الثاني ) فقال منه اقتضالا . ووجد له به نوالاً واقطعه مدينة باعانا . فلما صلح حاله وكثر ماله اشتاق الى بلده واهله فليؤذن له بالتوجه فاقام الى ان امكنه الفرصة بخروج الملك في بعض غزواته الى بلاد المغرب فم اطرافه وجمع امواله وركب سفينة كان قد اعدها لهربه وسار في البحر مع من معه من خدمه يطلبون بر عكة . فينما هم سائرون اذ هبت ريح رمت بهم الى مدينة كان الملك قد ارمى بها فلما اخبر تاذري بذلك تناول شيئاً من سم كان معه ومات خجلاً لا وجللاً لان الملك لم يكن يسمح باهلاك مثله .

ومن جرى على ذلك النحوي العلامة برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ فانه فسر القرآن في كتاب له اسمه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من امرار القرآن ما تحار فيه الدول وهو محفوظ بالمكتبة الخديوية وفي كثير من مكاتب القسطنطينية . ولكي يكون هذا المسر المحقق على بصيرة من امره استمد كثيراً من الامور والبيانات من التوراة والانجيل وقد اشار في اوله الى التوراة التي استمد عليها فقال ما نسه : « واعلم ان اكثر ما ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت لي لم ادر اسم مترجمها وعلى حواشي فصولها الاوقات التي قرأ فيها والظواهر انها نسخة اليهود وهي قديمة جداً فكان في الورقة الاولى منها نحو في اطراف الاسطر فكلت من نسخة اليعاقبة ثم قابلت نسخة كلها مع بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم احسن التراجم فوجدت نسخة اقرب الى حقائق اللفظ العبراني ومترجمها اقبه من سعيد في لغة العرب » وسعيد هو المشهور باسم سعديا . وقد ذكره صاحب كتاب الفهرست

وكان البقاعي كما ذكره كرقصة مما ورد في القرآن تتعلق باهل الكتاب شرح امرها من التوراة

وغيرها من صحف الملل المتقدمة مثال ذلك انه اشار في بعض المواضع الى احدى القصص فشرح امرها من التوراة فقال ما نصه : « في آخر السفر الرابع منها في النسخ الموجودة بين اظهر اليهود الآن في هذا القرن التاسع فيما قرأته في نسخة وترجمة بالعربية وخطها كذلك وعليه آثار قراءتهم لها ويان الاوقات التي يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى مع شخص منهم وكان هو القاريء ما نصه : وهذه مظاعن بني اسرائيل حيث خرجوا من ارض مصر باجنادم علي يدي موسى وهرون وكتب موسى مخارجهم ومراحلم عن قول الرب : ظفخوا من رعمسيس ( وفي نسخة من عين شمس ) في خمسة عشر يوماً من التهر الاول » .  
ولذلك قام عليه بعض الجملية من اهل عصره وقبحوا طريقته فبجهم الله واهانوه وسعوا به لدى الحكام وقوه واضطهدوه بكل ما في وسعهم ولكن الرجل ثبت في عمله حتى اتم تفسيره وصنف ايضاً بسبب ذلك كتابين احدهما « مساعد النظر في الاشراف على مقاصد السور » والثاني « الاقوال القويعة في حكم النقل من الكتب القديمة » وهو محفوظ بالكتبخانة الخديوية .

تأ في البقية

## حكم متنوعة

حكم في سيرة الحياة

ملخصة من كتب ديانة المنود القديمة

تطهير النفس بمعرفة الذات وضبطها عن الشر وبالاستقامة والادب والدين  
الام اثقل من الارض والاب اعلى من السموات والعقل اسرع من الريح والانكار  
اكثر عدداً من الشب

صديق رب البيت الزوجة . وصديق الثريب في بلاد بعيدة . الرفيق وصديق المريض  
الطيب . وصديق المشرف على الموت الصدقة

اعظم خير للفضل الكرم . والشهرة العطاء والسماء الحق . والسمادة السيرة الحسنة  
الابن هو نفس الانسان . والزوجة عطية من الله . واخص معيشة الانسان من العيوم  
خير ما يمدح الخلق وخير ما يقني العلم وخير ما يكسب العافية وخير انواع السعادة القناعة  
اعظم ما يجب على الانسان الامتناع عن الاضرار بالناس

إذا إلى الإنسان الكبرياء كان ميموباً وإذا إلى النضب فلا يتدم وإذا إلى الموى صار غنياً وإذا إلى الطمع كان سعيداً

زجر النفس حق الزجر . الصبح يقوم بالصبر على العداوة . والابتعاد عن كل عمل معيب يتخلص من الجبل والمار . والرحمة فائقة بطلب الخير لكل . والبساطة راحة القلب الغضب عدو لا يتلب والطمع داء لا دواء له . والصادق من يريد الخير للخلق عامة وغير الصادق من لا رحمة فيه

الجهل الحقيقي هو الجهل بما يجب عمله . والكمال عدم القيام بما يجب عمله  
البسل الحقيقي غسل القلب من اوساخه . والصدقة مساعدة كل مخلوق محتاج

العالم من علم ما يجب عليه . والحسد ليس الا حزن للقلب

الجهل الاعشى هو الكبرياء . والشر كلام السود في الخير

من يمد ولا يفي والفي الذي لا يعطي ولا يتفق على نفسه بخلا كلاه في النار الخالدة  
من يقول قولاً شبيهاً صار شبيهاً عند الكل ومن عمل بالحزم نال ما طلب ومن كان له  
خلان كثيرون كان سعيداً ومن تابع الفضل كان له نصيب سعيد في الآخرة

السعيد من لا دين عليه ومن يلزم بيته

ينهب اليوم بعد اليوم اناس لا يحصى عددهم الى منازل الموت واما الاحياء المتأخرون  
فيظنون انفسهم خالدين في الحياة

خير العمل الصالح يبلغ عنان السماء وينتشر في الارض فما داه هذا الخير كأنما يدعى  
الرجل رجلاً

من استوى عند الطيب والمكره والخير والشر والمافي والحاضر فهو المالك لعامة  
انواع الثروة

من اقوال الفلاسفة القدماء

الحواس كالشمس فكما ان الشمس تخفي السموات وتجلي رؤية الارض هكذا الحواس  
تخفي الاشياء الساجية وتظهر الاشياء الارضية

الاسم الحسن كالنار اذا اشتعلت مرة سهل دوام اشتعالها واذا انطفأت لم تسهل  
اعادة اشتعالها

الحب الذي لا نهاية له هو الحب الذي لا غرض دفي منه

احوج ما في العلم لفائدة الحياة نسيان ما هو غير صحيح

يتعلم الحكماء من الجهال اكثر مما يتعلم الجهال من الحكماء

يست الرحمة صفة مغسوبة بل هي آتية من السماء كالطر الرذاذ الى ما تحتها . ويركتها  
بركتان بركة للعطي وبركة للاخذ . وهي اجدر بالملك الجالس على عرشه من تاجه . وهي  
صفة ذات الله فخصير القوة الارضية اشبه بقوة الله متى لطف الرحمة العدل . وان كان  
العدل جحمتك فاعلم ان من هذا الوجه لا يرى احد من انجزة عند الله الا اننا لنفجي الى رحمته  
وهذا الانجاء . يعلمنا جميعا اعمال الرحمة ( شكسبير )

يوحنا وربات

بيروت

### حكم عصرية

للمأسوف عليها العقيلة « انيسة » كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني

احقر الناس جاهل ابن عالم وفقير ابن غني  
ميراث كبير تمويد الولد العمل واجتناب المحرمات  
من احرز العلم بلغ ذروة الشرف  
الفتي الجاهل اغرس في مجالس العلماء  
اجل الناس من جمع بين العلم والمال والفضيلة  
افضل رجال الدين من نمت في جوارم الفضائل وانتشرت في مفاشرهم ففحات الصلاح  
معاشره العلماء خيلاء ومعاشره الجهال ظلام  
جرائد كل عصر اصدق شاهد على اخلاق اهله وطبقاتهم في العلم  
لا مؤونة للعلم واللسان بعد اللغة كالتاريخ والجغرافية  
حافظ التاريخ والجغرافية ولطيف الشعر والامثال والحكم زينة المجالس وفاكهة المحاضرات  
لا يصفى العدل والدين الا متى كان زمامها في ايدي اعدائهما  
ما نظر الحكم في شيء الا استخرج منه فائدة  
لا يبعد الا من اعتصم بحبل الله  
الفضلاء في الزمان كالجواهر في الحجاره  
قيمة العلماء في الالام الشائخة قيمة المصابيح عند العميان  
لا يطلب الحق وان قل انصاره  
من افزع الماران يخالف الديانة من يسود باسم الديانة  
الوعظ في ثم الشرير كلام الطاهر في المجرى النجس  
افضل ما تمهله المدارس اختيار الفضلاء البارعين للتربية والتعالم  
اثمن الهدايا فصائح الحكماء

مجاورة الصالحين كمجاورة النيات المطرية  
 املك الناس للقلوب مهذب حميد السيرة  
 من احكم علماً عاش به  
 اولى الناس بالتزام السيرة الصالحة الحاكم والكاهن والطبيب فكل منهم مقتضى  
 استفهام الفقير اتق من الصدق عليه  
 جدّة المبادي كالشباب وقدامتها كاشيخوخة فاصحاب المبادي الجديدة ذوو هم  
 قوية واصحاب المبادي القديمة ضعاف العلم  
 من احسن وسائل التقويم الترغيب في حسن الذكر  
 من افضل الكتب التي تسمن عليها الآداب كتاب تليماك  
 الدين كاللوزة اجتناب المحرمات له والتكاليف قشره والحفاظة علي القشر بعد  
 اتلاف اللب رياء

افضل المنشئين من لا تبلي العهور كلامهم

### جوامع الكلم

منقولة عن الانكليزية

خشية الله اصل المعرفة والمجنون من يزدي بها  
 (رأس الحكمة مخافة الله)

فطرنا على حب الحياة ولوانها قليلة الذات

(رجلنا على حب الحياة وانها مخيفة احلام اطافت بحالم)

جانب الشزير ولا تسري سبيل اهل الدائرة فهم لا يأكلون غير طعام الخبث ولا  
 يكرهون الا من نبذ القسوة

لكل انسان ان يعيش على الدهر اذا كانت حياته روحية لاجسدية : اذا كانت حياته  
 في طلب الحكمة وتخليد المآثر . وهذه حياة عطاء الرجال تؤكده لنا ذلك .

الناس دون جهادهم موقوا . كن الا الى عملوا الى احياء  
 وفي هذا المعنى قال الزاوي ايضاً :

وما غير العظام باقيات يكرر ذكرها في كل آن

يمثل المرء في حياته اما اعمالاً حسنة او سيئة وعلى قدر ذلك يترتب هناؤه واتعسه في الوجود  
 النجاح لا يقع اختياره الا على رجل واحد من الناس لا يصاحب سواه وهذا الرجل  
 هو الذي لا يعمل عملاً قبل ان يعمل فكره فيه



قال ولم شكبير : انما العالم مسرح والناس من رجال ونساء ليسوا سوى ممثلين يظهر كل عليه ويختفي . والمرء في حياته يمثل سبعة ادوار . فالدور الاول وهو زمن الطفولة اذ يكون رضيعاً بصريخ ويبكي بين ذراعي مرضعه . والثاني حين يصبح تليذاً يجعل قطره وجهه يفيض بشراً وسناً في الصباح يقفز كطير الجبج ويتنظم من الذهاب الى المدرسة . والثالث دور الهوى وهو الزمن الذي يكون فيه عاشقاً ينهد نهدات حارة تحكي زفرات الاثنان وهو ينشد اغاني مطربة يخاطب بها لحاظ مألوفة فؤاده . والدور الرابع وهو دور الشهادة والاقدام حين يكون جندياً يقسم الايمانات ولبسته تشبه لحية النمر : يفار على الشرف ويقسم الفارات بمخبة باحثاً عما يجديه فخاراً ولو في فوهات المدافع — هذا الفخار الذي اراه كجيب الماء لا يدوم ولا يلبث . والخامس وهو الدور الذي يجلس فيه على صريد الاحكام وبقي بين الناس ويطنه مخنيئ مستدير وبصره حاد ولبسته مقصوفة قصاً مغموصاً : عقله راجح وفكره ملم بكثير من الحوادث واعلم ما صدر فيها من الاحكام . والسادس يبدأ باكتسائه الابدية الرفيعة القماش الواسعة الحجم ووضعه المنظار امام عينيه وتعليقه كيساً بجانبه وقد غشت جواربه التي كان يلبسها وقت الصغر غير ملائمة لرجليه لكبر حجمها وصوته ضئيلاً متلثملاً يحاكي صوت الاطفال

اما المنظر الاخير الذي ينتهي به هذا التاريخ الحزين الغريب فهو الطفولة الثانية « يعني الشجنوخة » والحبل المتناهي يتبعه فقد الاستان والبصر والنوق بل وتضمض جميع الجسد . وقال كذلك على لسان ما كيت

انطفيء بأذا السراج انطفيء فان الحياة خيال يسير  
وقال ايضاً : تأمل كثيراً وتكلم قليلاً ولا تشرع في تحقيق رأي يجهز عقلك دونه .  
عامل الناس بالعرف وراعي واجبات الصداقة وضم من صادقهم وتحقق اخلاصهم الى قلبك وعقلهم به باطواق من الحديد ولا تضع كل انسان حديث العهد بالمعرفة بك موضعاً علياً فتعلق بيدك الاكدار . حاذر من الشاكر مع احد اذا قدر لك هذا فاجتهد في ارحاب خصمك . أعر كل انسان سمعك ولا تدع صوتك يقرع الا آذان فئة قليلة من الناس .  
وقال يوحنا رسكن : خلق الانسان لثلاثة دواع وهي العمل والامى ( الحزن ) والسرور وكل من هذه الثلاثة له درجتان : وضيفة ورفيعة . فذاك عمل وضيع وعمل رفيع .  
ومعناك حزن هين وآخر شديد . وكذلك فرح قليل وسرور مفرط فيلزمك ان لا تنأى عن الجمع بين هذي الثلاث علماً منك انه يتأق لك ان تحيا بدونها فليست هناك نفس خلت من التثبث بها فالتجبر وهما . والعمل بدون السرور رديء وهو بدون الحزن كذلك .

والحزن من غير العمل قتال وكذلك الجور بدون العمل . وقال : تواضع على قدره ارتض .  
فليس التواضع يؤذي لانسان ولكن خلل شريك في العمل الاول . وقال : لا يتقدم في سبيل  
الحياة الا من كان قلبه آخذاً يزداد ليناً ودمه حرارةً وخاطره سرعةً ونفسه رغبةً في ان يمش  
مع السلام واولئك الذين يوجد فيهم هذا الشعور هم — لا غيرهم — الامراء والملوك  
الحقيقيون في الارض .

القاهرة

١٠٥٠

## الساعة

وغرساء لم ينطق بحرف لسانها  
حكمت لمحة التمام لحظاً ولم تكن  
لها ضربان في الحشاق حكمت به  
جرت حركات البحر في ضربانها  
علي وجهها خلعت علا ثم تهتدي  
مشت بين آفات الزمان نقيه  
بها ينقضي الناس ما يوعدهونه  
غدت كأخي الايمان تأكل في معاً  
تدور عليها عقرب دور حائر  
ترك مكان الشمس في دورانها  
فأعجب بها معجوبة جاء صنعها  
بنتها النقي في النابرين بسيطة  
تنادي بني الايام في قراتها  
ولا تهملوا الاوقات فهي بوار

سوى صوت عرق نبض بمشاهها  
تضعف الا بالزمان لذلها  
فواداً نقشاه لغوى وحكاهها  
وبانت مواقيت الورى ببعاهها  
بها الناس في اوقاتها لذلها  
وما هو الا مشيه وخطاهها  
ويرشد ضلال الزمان هدهاها  
وما أكلها الا التواء معاهها  
بتيهاء غمت في الضلال مسواها  
اذا حجبت عنك القيوم ضيهاها  
فنتيجة انكار الورى وحجهاها  
فتع على موز الزمان بسلها  
أن اسعوا بمجد القين مدلهها  
تقطع اوصال الحياة شياها

معروف الرصافي

بغداد

## للشرق

رعى الله عهداً بالحق ليس يرجع  
 وقد كفن فيه من أقاموا يخدم  
 وشادوا قصور الزكومات وأصلعوا  
 وقد غربت في الغرب شمس طويها  
 فأناعدنا الشمس تحجب ليلته  
 فما بالها تقضي القرون ولا ترى  
 فهل لشرق يا نور الوجود ضئيلة  
 سلوك فاسلوك المراج بعد ما  
 وما الشرق الا منزل تام لعه  
 فيأعلما العصر اشكو اليك  
 فان لم تحبب داعي الله للمنى  
 وهل راجع ما ذات واقوم شجع  
 ارا كين مجده دونها اتقوم شخ  
 بدور تلوم ما لها اليوم مطلع  
 فهل بعد ما تقضي الليالة تطلع  
 ولو لبثت عنا ليالي نجزع  
 جمال عجاها على الشرق يسلمع  
 على اهل ام هم الى الله نزع  
 سفوت لم دهرأ وما لك برقع  
 طويلاً فما يدرون الناس تمنع  
 فهل عندك التسكو باقوم موضع  
 « فلاصبر ان لم ينفع التسكو » اوسع  
 يدوت

الغلابني

## مطبوعات ومخطوطات

## مبادي اللغة

فتح الامام ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكاني المتوفى سنة ٥٤٢١ هـ مع  
 شرحه له عني بتصحيح السيد محمد بن الحسين النصابي الحلبي وطبع على نفقة احمد اندي  
 ناجي الجمالي ومحمد امين اندي الطائفي واخيه بصير عن نسخة جيء بها من بغداد وقد وجد  
 في الاصل القول عنه : هذا الكتاب اعني مبادي اللغة مستخرج من كتاب الدين للخليل  
 ونوادير ابن الاثير وحروف ابن عمرو الشيباني ومصنف ابي زيد وجهرة ابن دريد  
 الازدي . وفي الكتاب كثير من التصحيح الذي اخذه صاحب فقه اللغة وهو ما ينتفع به  
 المترجمون والمؤلفون في هذا الحرف وفيه تصحيح كثيرة وردت في ابواب منه مثل باب الكسوة  
 ويدخل تحتها امتاف الثياب والملابس وباب البسط والفرش ونحوها وباب الحلي والجواهر  
 وباب الاواني والسراج وابواب الطعام والطبخ والالبان والشراب وآلات البيت والادوات

وآلات الكتاب والزراع والسلاح وغير ذلك مما يلزم الخطاطين في سفرهم ومقننهم. ولما  
ونهارهم ويوتهم وأعمالهم وحضارتهم وتأخرهم . وحذا الواضف اليه طابعوه فيرسا ينداء  
ابوابه ويان فوائده وشوارده وأوابده . وقد وقع في ٢٠٤ صفحات وثنته سبعة قروش مجدداً

### توفيق المواد النظامية

#### لاحكام الشريعة المحمدية

هي رسالة للرحوم الشيخ محمد الشطي المتوفى سنة ١٣٠٧ ذكر فيها ما في مادة ما وافق  
فيها القانون العثماني الشرع الاسلامي قال في مقدمتها : « ولا نشأ من تفصيل بعض العلوم  
على الملوك السابقين جعل الحكم على قسمين شرعي ونظامي تبادر الى الاذان ان الحكم  
النظامي يخالف للشريعة المطهرة المأخوذة من القرآن والسنة ومن تتبع احوال الائمة المجتهدين  
والاحكام الصحابة والتابعين وجد ان الاحكام كلها مأخوذة عن سيد المرسلين » والرسالة مطبوعة  
طبعاً جيداً في مطبعة الشيخ فرج الله زكي بمصر .

### تقويم المؤيد

صدر تقويم المؤيد عن سنة ١٣٣٦ وهي السنة الحادية عشرة له تأليف محمد افندي  
مسعود المعروف بسعة اطلاعه وعلمه وادبه حافلاً بأجل الفوائد التي يحتاج اليها الخاصة والعامة  
والرجال والنساء والمصريون والغرباء ولا عجب اذا قلنا انه صورة مصغرة من تاريخ مصر  
وما يلزم لها كتبها خصوصاً بل لها كن البلاد العربية عامة من المعلومات الفلكية والفنية  
والادبية واخبار الملوك والمالك والحوادث والمعاهدات الدولية والمسائل السياسية واحوال  
الزراعة وتبدير المنزل وما تم من اساليب الارتقاء المادي والادبي في مصر في السنة الماضية  
وقد طبع في مطبعة المؤيد طبعاً جيداً ويطلب من ادارتها وثمته خمسة قروش نفث على اقتنائه  
ونرجو ان يوفق مؤلفه الى اصداره سنين كثيرة ليزيده ارتقاء فوق ارتقائه خدمة للغة واحلها .

### مجموعة خطب

الشيخ جمال الدين القاسمي وهي خطب جمعة متبرية مقتبسة من خطب نبوية وصحابة  
وائمة مشاهير موضوعها العقائد والعبادات والمعاملات والمائل والاوار والزواجر والآداب  
والاخلاق والمواظع واحوال الماد وهي في نحو ١٣٠ صفحة صغيرة جميلة الرضع والانتخاب  
وكنا نود لو كانت كلها مما كتب قبل القرن السادس لتجمع الفائدة كما هي نافعة في  
الدارين . تطلب من طابعها محمد افندي هاشم الكنتي في دمشق .

## سياحة في التبت

ترجم عن التركية حكمت بك شريف سياحة مختصرة في بعض مجاهل آسيا كما ترجم من قبل تاريخ زنجبار وسيام فضاء يترجم او يواف لنا رحلة او تاريخاً عن هذا الشرق الأدنى او القريب فيكتب بعد ثبت عن العراق وفجد والحجاز واليمن ويحدثنا بعد زنجبار وسيام باخبار آسيا الكبرى وبلاد الشام . نطلب الرحلة من المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام

## دليل السلام

اصدرت ادارة جريدة السلام التي تطبع بالعربية في بونس ايرس عاصمة الارجننتين ( الجمهورية الفضية ) دليلاً حوى اهم القوائد التجارية والاحصائية والتاريخية والحسابية والاخبار والنكاهات بالعربية والاسبانية جاء فيه ان عدد السوريين في تلك البلاد يربو على ٤٥ الفاً وان عدد الجرائد والمجلات التي صدرت بالعربية منذ سنة ١٨٩١ في ا. الشمالية والجنوبية قد بلغت الى الآن اربعين يي منها حياً ٢١ وفي هذا الدليل فهرس لتجار السوريين في الارجننتين وفيه صور كثيرة وقوائد غزيرة واعلانات جمّة وجاء فيه ان احوال الجالية هناك على احسن ما يكون من الارتقاء فنذ بضع سنين كان ينذر ان تجد محلاً تجارياً قائماً بما يتطلبه نظام التجارة من ضبط دفاتر وحسابات واليوم ترى مثل هذه المحال مئات ومنذ بضع سنوات كانت نثقي السرّات ولا نسمع بجمعية أسست ومشروع قام وفي ايماننا لا تخفى سنة من عشرات المشاريع يقوم بها المتنبهون عن كفاءة وشغور .

## اللباب

في مجلة علمية فلسفية طبية زراعية تصدر في الناصرة في اول كل شهر اصحابها م ١٠١٠ ن ومديرها خليل افندي مولود جاءتنا الاجزاء الثلاثة الاولى منها فقرأنا فيها عدة مقالات مختصرة في المعنى الذي ترمي اليه قالت: في مقدمتها: « اننا نرعى في كلامنا على بطء سير حركة العلم ونضوب معين الافلام في التقدير على استيلاء الحقائق واتحط الذي اسباب ادمغة رجال الافلام وارباب الكتابة والتأليف ولم يتناول جميع انظار المصرية التي عثقت بها ارحام الافلام واجدبت عن لئبائها رياض الافهام وغدت بها مجالات العلم والادب عالة على النقل والتعريب عن منشآت صحب اوربا حالة ان مجال الكتابة ارحب من الفضاء وموضوع عمرانا اغزر من الدأماه ولم نجد الالسنه قد اتفقت الا لتزيين التقليد والتفاد عن ركوب خطة التوليد ولم نرا الخواطر قد اتقدحت الا لاختراع ضروب النقل والسخ

مكاثرة لهذا النوع من الكتابة التي جرت على العربية وآدابها معرفة النقص واور - صناعة الادب كساداً واي كساد »

وانا لندعوان توفيق رصيفتنا الجديدة الى سد هذا النقص الخ - وس في اللغة العربية ونعني به التوليد والاختراع والبعد عن مواطن التقليد والجود من نقل وتعریب . وفي كل جزء من الاجزاء الثلاثة مقالة للامير شكيب ارسلان الكاتب الشهير الاولى في الانتقاد والثانية في حقيقة التعريب والثالثة في تركمة النقل اخذ الاثار . والمجلة سلسة العبارة لطيفة المنزعة تصدر في ٢٥ صفحة في حرف واشتج جلي وطبع سليم نقي وقيمة اشتراكها سنة القطر خمسون قرشاً وسبعون في سائر الاقطار فترحب بها وتنتهي لما الثبات في خدمة اللغة والآداب والاقبال الذي نسحقه .

### شورا

في مجلة عليية ادبية فيها بعض البحوث دينية تصدر مرتين في الشهر باللغة التركية في مدينة اورنيبورغ من اعمال روسيا لصاحبها محمد شاكر افندي ومحمد ذكرا افندي راميف ومحررها رضاء الدين فندي بن نغرايدين صدر منها الى الآن ستة اجزاء فتلونها مسرورين من نشاط اخواننا الروسين في خدمة المعارف والآداب وشراستها تركية تربية يسي كاتبها الى تربية من التركية المثنية ليم الانتفاع بها . وفيه هذه الاجزاء مقالات لطيفة تدل على سلامة ذوق الكاتب ودبه الجم وفيها بعض صور مشاهير الروسين المسلمين ممن كان لهم اثر في تموضهم الاجتماعي والطني مثل الشيخ شاه وغيره وزايج موجزة ولم وقيمة اشتراكها اربعة روبلات واذا اشترك المشتركين بها مع جريدة وقت يؤخذ منه - بمقروبولات وباجندا لوجملت هذه المجلة ملازمة واحدة منها باللغة العربية تنقل فيها اهم ما يبر الامة من اخبار تلك البلاد ونهضتها العلمية والادبية تحفظاً محققاً في كل جزء من اجزائها فيكون لها شأن بين قراء العربية كما لها شأن بين قراء التتارية والتركية .

### المفضليات

طبع الشيخ ابو بكر بن عمر داغستاني و الشيخ حمزة امين حناني مختارات الفضل القوي التي اختارها من شعر العرب لمهدي بطلب من امير المؤمنين لتصور فخامت في نحو مئتي صفحة متوسطة مشكوكة كلها ما خلا الشرح الخفيف الذي - به عليها الشيخ ابو بكر الموماليه والمفضليات غنية عن التعريف وهي تطلب من مكتبة مصفى افندي البجلي الحلبي واخره في مصر ستة قروش .

## تقرير المجمع العلمي الشملوني السنوي

Annual report of the Board of regents of the Smithsonian Institution 1906

من اعظم فمجم علمية في الولايات المتحدة المجمع الشملوني الذي أسس في نيويورك سنة ١٨٤٦ ميل جاد به رجل اسمه شملون ولا تزال اعماله في نجاح سنة عن سنة كما يفهم من تقاريره السنوية . واما المنة الآن تقريره عن سنة ١٩٠٦ شرحت فيه الجمعية ميزانيتها التي بلغت مئة الف دولارات وذكرت اسماء من تبرعوا لها بالاموال وفيه مقالات كثيرة لشاهير ككتاب الطبيعة وانكبياء والثلث والحيوان والنبات من اميركان وفرنسيس وغيرهم مما تنشر منه كل سنة ليكون عوناً للناس على التلم والاستنارة (والقارير يقع في نحو ٥٥٠ صفحة جيد الطبع جداً قيس الورق وهو حاو لرسوم علمية ومصورات جغرافية كثيرة فني في على رجال هذا المجمع بما هم له وتنفق لشرفنا المسكون ولو مجمعا واحداً من مثل مجمعه النافع .

### نادي دار العلوم

لحسن هذا النادي بان ضج ما ألقى فيه من الخطب هذا الشتاء في موضوع اللغة العربية وتسميته تسميات الحديثة فان فيها من الباحث ما هو جدي بان لتناقضه كل يد في كل بلد وقد قرر النادي حلاً لهذا الاشكال ان يبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائرة لغة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستأر اللغز الأعجمي بعد صفه ووضع على مناهج اللغة العربية . فترجون بوفق القائمون بهذا المشروع الى تأليف المجمع الذي يتوون تأسيسه للنظر في هذا الغرض الشريف

## سير العلم والاجتماع

### التعليم والذكاء

من المعروف الشائع ان التعلم يزيد الذكاء حدة ويقوي الفهم الان ذكابين فطاسيين قد بحثا بحثاً حويلاً في ذلك فبين لهما ان الولد ينفى بعد خمس سنين من سنه ما تعلمه من قبل نسباً تاماً فالفكرة كما يتوفر على نميتها في المدارس لا يبقى فيها شيء بل ان العقل لا يحاول ان يعرف ما يحيل وقيل من الاولاد من حازوا من المعارف قطعا لم يتعلموه في المدارس وما يعرفونه كله مبدي ويزول اثره من الفهم في الغالب . وقد سأل احد الدكتورين

تسعة وثلاثين تليذاً من الصفوف المالية وتسعة وثلاثين تليذاً من الصفوف الواحدة وثلاثية وخمسين تليذاً من الكليات اسئلة كلها بسيطة فلم يكن الجواب الا التسهيل عليهم بالجمل المطبق وفي المسائل التي كان ينبغي لها شيء من صحة الحكم كان سكوتهم عليها محزوناً فاستنتج من ذلك ان التعليم لا يساعد الا قليلاً جداً على تقوية العقل وينبغي اصلاحه على صورة عملية اكثر من الان . وهذا الرأي موافق لرأي هـرون غورست الذي يرى المعارف المدرسية للذكاء اشبه بسم حقيقي ولذلك يطلب ان يكون الامتحان محدوداً معيناً وان كل من يعاني صناعة بموجب شهادة يده يجب عليه ان يفحص امام جماعة من المحكمين كل خمس سنين وما هذا الا لان التعليم اليوم يقتصر فيه على الاكثار من الكتب والاكثار من الامتحان الشفاهي وتعلم الالفاظ والجمل واهمال التزود من الافكار وتغرين العقل على التفنن فيها وايجادها .

### التفروزين

La téphrosine

هـونبات ينبت في جزيرة سيلان وكوليا واميركا الوسطى وهو يستعمل للصباغ ويخرج منه نوع صباغ من التيلة ويكون منه مسهل ويسمى الاميركان لدخول السمك ليسهل صيده وقد قرأ احدثهم في جمع العلوم الباريزي تقريراً جاء فيه ان هذا النبات من السموم الشديدة وان الصيادين لا يسكرون السمك به بل يسممونهم ورأى ان يناقشوا الحساب في استعماله ويمنع بيعه ان امكن .

### بعد الشمس

ثبت ان الشمس بعيدة عن الارض اكثر مما كان معروفاً فبعد رصد ٢٦٠٠ مرة بالتلسكوب و ١١٠٠ مرة بالصور الشمسية تبين ان الشمس بعيدة عنا ١٤٩٤٧١٠٠٠ كيلومتر وكانوا يقولون منذ عهد كبلر انها بعيدة ١٤٨٥٠٠٠٠٠ كيلومتر والفضل في هذا التحقيق يرجع الى ما اكتشفه المرصد الفلكي في برلين سنة ١٨٩٨ من نجم مذبذب صغير لم يكن معروفاً من قبل سموه ( ايروس ) وهو يقترب من الارض بعد الاحابين فساعد هذا النجم على حساب بعد الشمس .

### الأرق

اثبت احد رواد الانكليز في خلال صعوده جبل كون كون في بلاد كشمير شمالي



لمند ان التوم على علو سبعة آلاف متر يقل، ويخالف السهاد المقل لان الاكسيجين يندر  
والتنفس يصعب فلا يلبث المرء ان يغرق حتى يستيقظ كالمدعور.

### اغنى كلية

اغنى كلية في العالم هي كلية هارفرد الجامعة في الولايات المتحدة فان رأس مالم خمسة  
وعشرون مليون جنيه فاذا اضيف اليه ثمن اراضيها واما كتبها وخزائن كتبها ومستشفياتها  
بلغ مجموعها نحو ثمانية وثلاثين مليوناً وهذه المدرسة بعيدة عن مدينة نيويورك بـ ٥٠ وفي هذه  
الولاية يحظر بيع المشروبات الروحية . ويقبض رئيسها راتباً في السنة ستة آلاف دولار وكل  
استاذ ثمانية جنيه وكل مساعد استاذ اربعمائة جنيه وفيها نحو ٥٠٠ استاذ و ٤٠٠٠ طالب

### تبرج النساء

كتب باولو لومبروزو العالم الايطالي مقالة في هذا الموضوع قال فيها انه ثبت ان اصل  
التبرج للمشهود في النساء كان في اول الامر مألوفاً لمن نأخذن بمعدن اليه استمالة لقلوب  
الرجال وما زلن في فتنهن حتى صار فيهن على كرور الاعصار عادة وجبلة . فقد شوهد ان  
النساء المجنونات يفقدن لاول عهدهن بالجنون الرقة والحشمة والطهارة على ان حسب التبرج  
يبقى مغروساً فيهن لمجوسن عليه . والتبرج لما عمت به البلوى كل النساء بدونت استثناء  
فتراه عند الاميرة الكبيرة كما تراه عند الزنجية الفقيرة ولهن في الفتن بذلك اساليب حتى  
ان احدى الفتيات الكبيرات في اميركا اراد ان يزورها ذات يوم احد الامراء من بعض  
الاسرات المتكئة فتأهبت لذلك بان او.ت على قفطانين جيباين احدهما وردي والاخر  
ايض صرفت فيهما التي جنبه . ولكن كيف السبيل الى ان تظهر امام الامير بالتفطانتين في  
آن واحد فاعزت الى خادمها وهي على المائدة ان يلقى عليها شيئاً من المرق من صلصة  
يحملها فعندما انسلت الى غرفة تبرجها وليست القفطان الاخر فتم لما مازادت من الظهور  
امام الامير في ثوبين ثمينين في آن واحد . وليست المرأة محبة لتبرج في جميع طبقات المجتمع  
الآن بل كانت كذلك منذ المصور المتطاولة في زمن يكاد يكون فيه اختراع السكة  
واغرات جديداً اي في العصر الذي كان الانسان يمكن فيه المغاور . فقد عثروا في بعض  
انكوف على اقراط وحلق واساور . وترى النساء المتوحشات لا يبالين بالالم ويفادين بكل  
عزيز في سبيل تبرجهن فيضمن الوشم على اكثر اطراف اجسامهن تأثراً كالشم والصدر  
ويقطن آذانهن وانوفهن وشفاهن ويدخلن في لثنتين قطعة من الخشب ويقطن اسنانهن  
ويضغطن على رؤوسهن لتكون مستطيلة ويصفرن ارجلهن . تساوي في ذلك الشابات

والنخازن. وانك تترى بنات السنين يذكرن ايام شبابهن ولا يقصرن في التمرير في  
الطفلة الصغيرة اول ما تفتح عينها عليه انواع التبرج والزينة . ومن غريب ما شاهد في  
تبرج النساء ان امرأتين في احدى مستشفيات الجاذيب توصلن الى ان يضمن عليهما بجمعه  
الابيض والاحمر مع انه يحظر على المجنوبات كثير ان يوقى العين بشيء من التبرج  
الابيض والمطور وغيرها من ادوات الزينة فاخذت احداهن او بعضهن تختبئ باستن  
كاس حيطان غرفهن وجمعهن فصبغن به وجوههن ايضاً فاصفاً اما لجمرة فعمدت احداهن  
الى قميصها وهو قميص المستشفى وكان فيه بعض خيوط حمراء فاخذت تنسجها حتى اتت ثياباً ثم  
وضعتها في اناء وصبت عليها ماء فاخلل صباغه فصبغت به وجوهاً . وقد رعت احدى ثلاث  
الشعور الى ان صنعت لنفسها مشدداً من اسلاك الحديد تشد به خصرها فكانت تذبذب مرات  
عمداً حتى تسبح في مكان بعيد عن رفيقاتها وراء حائط من اسلاك الحديد فتدبل كل  
مرة سلكاً حتى تجمع لها ما ارادت . وقد جرب بعضهم ادخال ثلاثة اصناف من الالبسة  
الى احدى مستشفيات المجنوبات اعلى والوسط وادنى وقران من كانت منهن حسنة  
الدلوك تعطى الثوب الاعلى فما كان منهن كهن الا ان حسن سواكن ليأخذن ثياباً من  
انخط الجيد

النساء وان يكن لا يرين في التبرج حرجاً عليهن الا انهن لا يردن ان يقال عنهن  
متبرجات ويظهرون بانهن لا يصرفن في التبرج اوقاتاً كثيرة . ان اكثر اوقاتهن تصرف  
في اعداد معدات التبرج وما شأنهن في ذلك الا شأن اولئك المراء الذين يحدقون  
ويثبتون من قصائد عشرين مرة ثم يدعون انهم ارتحلوها ارتجالاً . ولطالما تحمل النساء  
صنوف الازواج في سبيل ما يورثن بهجة ويعدنه من آيات التبرج مثل اولئك الصينيات  
اللاتي يضعن ارجلهن في قوالب خاصة ليصفر حجبها ولكن ذلك يورثن اموالاً واوصافاً  
اقلها انهن يمين قفراً مشية الكركي الاشلى وكذلك النساء في شبه جزيرة لغة فانهن يرين  
من آيات الجمال ان يكون عنق المرأة طويلاً فعنمن لذلك كلابات يضعن فيها رؤوسهن  
ليورثن بذلك طولاً لا عناقهن حتى تصير كاعنق الزرافة . والنساء النيجيات في غانية  
الجديدة وبريطانيا الجديدة في المحيط الكبير يملن اسنانهن يظهرن اكثر جمالاً بزعين  
بل ان النساء في تونس يملن الارز يصحن كالاوز السمين بحيث لا يستطعن الحركة  
وكذلك نساء الافرنج يملن كل مشقة في سبيل وضع المشد على خصورهن . وعلى كثرة  
تحذير الاطباء لمن عاقبة ضغط المشد ما برح اكثر النساء يستعملنه ويصبن بامراض الكبد  
وتشوه الجسم واحياناً يفضي بهن الى الموت ومن لا يتبين بن يصبرن على الآلام المشد حبر

ايوب علي بلواه ويكمن لا يتفنن طول ليلة باسرها ومن مع الرجال في الاندية . كل هذا مما يستدل به على ضبط النساء لهواهن وقمعن انفسهن  
وهنا استنتج بان التبرج مطلوب للنساء وانهن في حل مما يقمن به وانهن كن قبل ستائة سنة لا يقرآن ولا يكتبن في اوربا ومع هذا كن يعتمن بالتبرج ولمن فيه اساليب اخترعنها وتعلمن فيها بحسب الازمان شأن النساء الموهلات الى اليوم في التوحش من الامم فانك تراهن قد يغيرن اساليب التبرج وان كانت آتيتن وماعونهن وخرثين على الصورة الاصلية .  
فالتبرج ضروري للاجتماع يورثه بهجة ونشأة ولولا النساء وتبرجهن ماتحت لمينيك البيوت والقصور ذات بهجة فالنساء بتبرجهن يدخلن السرور على القلوب والنظام على الاماكن واذا قارنت بين ميت لا نساء فيه يزدنه بهجة ويزين غرفه ومقاعده وحوائطه وبين دير ليس فيه الا الضروريات من لوازم الحياة تجد الفرق بين التبرج وعدمه وزينة النساء وتقيضها مثل الشمس ظاهراً فالتزين والتبرج مطهراً على كل حال في حياتنا الاجتماعية ولها وقع عظيم فيها لان فيهما اللذة وسعادة العيش الخفيل .

### ما كل العظماء ومشاربهم

بحثت المجلة الباريزية فيما يأكله العلماء والكتاب وارباب الفنون في انكنا فقلت ان من صفات الانكليزي والايطاليين والالمان والارلانديين من ثألف منهم بريطانيا العظمى في الاكثر الثبات وتحمل شدة الهواء فيرون في الاغلب التنزه في الهواء الطلق من الواجبات العممية مثال ذلك اللورد انبوري المعروف باسم السير جون لوبوك فان قوة جسمه ناشئة عن جمعه الرياضات الطبيعية والسياحة الى الاعتدال والنقل وقول ان سبب طول حياته محتايه بقواعد فن الحياة فيأكل ما كل بسيطة قليلة ويتناول شيئاً قليلاً جداً من الاكلحول او انه يكاد لا يتناولها ولا يدخن وهو مشهور بالسياسة والعلم يتعب كثيراً في اعماله وعمره اربع وسبعون سنة . وقال السير ويليام كروكس وهو من كبار العلماء الذين لا يتفكون عن البحث والدرس والتأليف والاختراع وهو الآن في الخامسة والسبعين من عمره انه يأكل بسرور كل ما يستطيعه على المائدة ولكن باعتدال ويشرب الخمر ويدخن وكانت صحته في جميع اطوار حياته جيدة جداً . ومثله في عدم الكلال من العمل فريدريك هاريسون العالم المؤرخ الفيلسوف وهو اليوم في السابعة والسبعين من عمره يقتصر في مأكله على اللحم ولكنه مقل من تناوله كما يأكل البقول والبن والبيض . قال واري ان سبب الهرم العاجل الذي يصيب الطبقة المالية الغنية هو ما يتناولونه من المأكول لا ما يتناولونه من المشارب ومن بلغوا سن السبعين يجب عليهم ان يقللوا كمية طعامهم الى

النصف مما كانوا يأكلون في قوتهم . واول قاعدة في الصحة جريت عليها هي ان اخبري من المائدة بدون ان تكون قابليتي للطعام قد سكنت . وانا مسلم من حيث تناول الاشربة الروحية فلا اتناولها طول نهاري اللهم الا في المساء فاني اتناول قدحا او قدحين من خمر المانيا الايض او غيره ولكن لا على انه يعين القوى الطبيعية او العقلية . ولا يعني الا ان امدح الاعتدال في تناول الشاي والقهوة في النهار لا في الليل او المساء . وانا لا ادخن وامقت هذه العادة واعدها بما يتقزز منه ويضر بالحاضرين . فالتدخين كاستعمال السعوط والسكر وحلف الأيمان كلها من الماديات الفاسدة الضارة . وانا اعرف كثيرا من الناس اثرت في صحتم عادة استعمال التدخين . انا اليوم في السابعة والسبعين من عمري لم امرض في حياتي منذ كشت في التاسعة وقد اصبت بالجذراء وما قط عزفت نفسي عن العمل والكتابة فانا اليوم اقدم المفروض علي للطابع من الكتابة بنشاط اكثر من نشاطي ايام حياتي الماضية وعندي ان طول حياتي كان لتقلي وعنايتي بالرياضة كل يوم في الهواء الطلق وربما صعدت الجبل اذا اتسع لي الوقت وما قط نمت من العمل ولا عملت بدون مرور . وقال انكونت روبرنس وهو الآن في السادسة والسبعين خدّم الجندية وقامى الاحوال في حياته واكل الجش وبشرب المكر وتعرض لللاريا والامراض وحضر حصار اللد ومعاركة الابطال ومع هذا فهو في اجود صحة : ان سبب طول حيل اجدته اني : من انه يدخن قليلا اولا يدخن وانه يأكل ويشرب بالاعتدال . والسير ويليام ميكائيل روزني هو الآن في التاسعة والسبعين من عمره عالم واديب سئل عن القواعد التي يراها لدوام الصحة فقال ان الاعتدال في مأكله ومشربه هو سبب صحته وقد اعتدت التدخين منذ صباي وانا اعد مكثرا منه وارى انه يشوش علي المهضم في الاحابين ولكنني لست مصابا بسوء المهضم وقال السير شارل ستانلي وهو من كبار الممثلين والمثنيين وعمره الآن ٧٤ سنة انه يأكل كل ما يشتهي ويشرب ويدخن كذلك ولكن باعتدال . وقال المستر جورج برنار شواف وهو في الثانية والخمسين من عمره خطيب كاتب ادب ناقد قصصي وهو ممن يركب الدراجات ويعاني السياحات والسيارات : اني لم اتناول اللحم منذ ٢٧ سنة واني لا اشرب الكحول وارى انها ضارة في ارباب الاقلام فهي ليست مقوية على العمل بل تخدرة وشاربها لا ينفخ عليه بالافكار بل يضع منها اما التدخين فلا اناطاه واره قدرا . وترى العقيلة الين تري المثلة وهي الآن في الستين ولكنها اذا ظهرت على محل التثيل فلا تظن الا انها في السابعة عشرة من عمرها ان احس قاعدة للصحة ان يأكل الانسان في اوقات معينة قالت حاولت ان اتقطع مرة عن اللحم فضعف جسمي بعد شهر ثم حاولت مرة اخرى

ان امتنع عنها فلم اقدر فظهرت لي صحة ما يقال من ان ما ينفع واحداً قد يكون سماً لغيره ولا اتناول مشروباً على الطعام واتا على ثقة من ان الماء احسن شراب ولكنني اشرب كمية قليلة من الخمر والويسكي على انني اراها اضر على الانسان من طينحة مملوءة بالخرطوش في ايدي اناس لا يحسنون ان يشبطوا انفسهم ولا ادخن وان حاولت التدخين . وقال الاستاذ الفودر ولس والاس وهو من ابناء التسعين وخمسين داروين في مذهب النشوء اشتغل بمذهب الانتخاب الطبيعي والجغرافية الجيولوجية ويبحث في المادقة والصحة الاجتماعية والتنويم المغناطيسي فقال انه الى السبعين من سنة كان يأكل كما يهوى وكان هضمه جيداً ثم ضعف هضمه فاضطر ان يغير نظام طعامه ويقلل من كيته فانقى بذلك مرض الربو المزمن وكان لاول امره يشرب المشروبات الروحية باعتدال وفي الخامسة والعشرين من عمره امتنع عنها كل الامتناع فجادت صحته وقال ان التجارب والنظر دلته على ان المرء اذا قرب ان يشيخ ينبغي له ان يمتنع عن الاكحول كل الامتناع لانها تضر به لاسمحالة وان يقلل من الطعام وانا اتناول الشاي والقهوة واحسن اوقات عملي في الصباح والمساء بعد ان اتناول كأساً من الشاي ومدة صباي لم ادخن قرفت من التدخين لما رأيت من سوء اثره في المدخن .

### نوم النباتات وقطتها

يختلف ميعاد نوم النباتات بحسب اجناسها فالبلابل الاحمر يفتح عند الفسق ونبات زهر الربيع يزهر في الشمس عند مغيبها وازهار النوفر ( عرائس النيل ) تطبق زمراتها الملوثة في آخر النهار وتغوص في الماء من الليل .

### الثقاب في يابان

يشغل في صنع الثقاب او الكبريت في بلاد اليابان ١٣٠ الف نسمة فليصدر يابان منه بما قيمته ستة وعشرون مليوناً وربع مليون فرنك هذا مع ان المواد الاولية لصنعه لا توجد في يابان ومع تشدد اليابانيين في ان لا يوقدوا المصابيح التي يوقدونها لاجدادهم الا من شعلة نار صافية ما يرح استعمال الثقاب يزداد في الاستعمال بين اليابانيين .

### الممثلون في اميركا

يشكو الممثلون في اوربا من قلة ارباحهم بالنسبة للممثلين في اميركا فان كاروزو يتناول خمسمائة الف فرنك فتمثيل ثماني ليال واكثر من مائتي الف فرنك لاغان تغني امام آلة التراموفون ومثل ذلك في الليالي الخاصة ثم انه يأخذ في الاسبوع ربع مليون فرنك لتفنته الخاصة في الفندق والمطعم ويربح المثل بادرفسكي في شغل شتاء ٦٢٥ الفاً وكوبليك

نصف مليون وبالنظر لكثرة المتخرجين في اميركا وفلاذ اجور التثليل فالبيلة ترجح في السنة الجديد عشرة اضعاف ما ترجح في العالم القديم .

### تقاحة هائلة -

عرف علماء النبات اكبر شجرة تفلح في العالم وهي في شهبير من ولاية كنشكيت في اميركا الشمالية غلظتها خمسة اطنار وعلوها خمسة وعشرون متراً وعمرها مائتا سنة وهي تعطي اثنين وخمسين هيكتوتراً من الثمر في السنة وخمسة من اغصانها تعطي ثمرًا سنة واحدة والثلاثة الاغصان الباقية تعطي في السنة التالية الا ان تقاحها صغير ويكاد يكون خالياً من طعم .

### سمن قديم

عثر اثناء الحفر في احدى الحافر في ايرلاندا على عدة اواق من السمن تبين بالتحص انه قديم جداً ظاهره ابيض وكان فيه جوب وباطنه استجبال كتلة شمعية وان ما وجد ثمت من جلود البقر ازال كل شك في ان السمن اصلي لا شائبة فيه .

### اطباء يابان

راجت صناعة الطب في يابان وامي رواج فيينا تجد في فرنسا وهي عش الاطباء خمسين طبيباً لكل مئة الف نسمة ترى في يابان تسعين طبيباً لكل مئة الف وقد زاد اطباء يابان في سنة ١٩٠٧ وحدها ٢٥٠ طبيباً .

### وقف على العلم

وقف حسن بك زايد من سرارة مصر زهاء خمسين فدائاً من اجود اطيانه في التوفية على مشروع الجامعة المصرية . وهذه الاطيان تساوي احد عشر الف جنيه بارك الله بانها واكثر فينا من امثلة .

### هبة محمود

تبرع احد محسنى الاجانب في مصر بمئة مائة جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية ولم يجب ان يذكر اسمه مثل الذي كان تبرع لها في السنة الماضية بمئة الف جنيه ولم يجب ان يذكر اسمه .

### مدرسة صناعية بالقيوم

نجز بناء مدرسة صناعية للبنين في القيوم كلفت عشرة آلاف جنيه جمها الامان ومنها الف جنيه اعانة من الاوقاف ومدة الدراسة فيها ست سنين ثلاث للقسم العلمي

ثلاث الصناعات التي تمل فيها النقش والتجارة والبرادة والغراطة والحدادة والسروجية  
وتستغف المعارف ٨٥٠ جنياً اعانة سنوية لادارتها ويدفع الاهلون ٣٥٠ جنياً لهذا الغرض

### مناجم البترول

مناجم البترول كتابهم الحجري آخذة بالانحسار شيئاً فشيئاً فقد نزل معدل ما  
يستخرج من مناجم ابالاش ولوهيو وفيرجينيا والتكساس ولوزيانا في الولايات المتحدة كما  
قل معدلها في غاليسيا من بلاد النمسا وكذلك الحال في القوقاز من بلاد الروس فان ما  
يستخرج منه نزل الى ثلث ما كان يستخرج منه بايديهم

### الياف الخشب

أخذوا ينسجون من الياف الخشب نسيجاً يقوم مقام القطن والكتان ويكلف اقل منها  
في الثمن بل اقل من الحرير كما اخذوا ينسجون قماشاً اشبه بالصوف من بعض مواد يزرعونها  
بباد البحر .

### الزرنيخ والحلي

اثبت احد الاختصاصيين من الاطباء ان الزرنيخ هو الدواء الوحيد الذي بقي من الحلي  
الصفراء فقال ان التي شخص في اورليان الجديدة استعملوا الزرنيخ سنة ١٩٠٥ فنجوا كلهم  
من هذه الحلي الخطيرة وهم معرضون للعدوى من كل جانب

### مجهر جديد

اخترع مجهر ( ميكروسكوب ) جديد ترى فيه ادق التفاصيل بحيث يكون الانفتاح به  
ضعفي المجهر الحالي فيه ترى كيف تكبر الجراثيم وكيف تسير العدوى وكيف يسري القاح  
في الجسم .

### التصوير البارز

اخترع احدهم طريقة لتصوير الشمسي البارز ويقولون انها ستكون داعية لتغيير التصوير  
ظهوراً ليلناً الا ان الصور التي ترسم على هذا النحو لاتصور الطبيعة في منظرها الحقيقي كله

### عداد جديد

كان باسكال اول من اخترع العداد زمال المشتغلون متوفرين على تحسينه وآخر  
عداد اخترع كان لمهندس روسي ظهرت فوائده العديدة لانه يحد من الارقام من عشرة  
الى عشرين في وقت واحد ولا يحمل فيه خطأ ولا يتعب عقل المشتغل به

### القطط والكلاب

اخذت الحاجر الصحية منذ مدة تتوفر على ابادء الجرذان والفيران في السفن لانه تبين انها ناقلة لعدوى الاوبئة للبشر وقد اتبته اءء اطباء نيو يورك الى الاضرار التي تلحق من القطط والكلاب بنقلها في وبرها بعض الجرثائم والديدان التي تجلب الضرر على الصحة واءرد على ذلك عدة ادلة منها انه حدث سنة ١٨٨٧ وباء كبير بين القطط في لندرا فكان القط يحمل الى اخيه العدوى وبالتالي تسري الى الاولاد الذين يلعبون مع تلك القطط وحدث في سنة ١٩٠١ ان الطاعون اشتد في الاسكندرية وما كانت جراثيمه تنقل اولا من ملاح الى ملاح على الباءرة الا بواسطة قط كانوا يدلون به ويجبونه . وترى بعض الامم المتدنة الان ان تعدل عن حب القطط والكلاب حباً بالتوقي وحرصاً على الصحة وقد بدأت المانيا فطرت دخول الكلاب والقطط الى الصيدليات وياجبذا لءحظر دخولها الى المازر والمغاز والصيدليات والمطاعم

### بطامء اميركا

ستوافق حكومة الولايات المتحدة على تبجيف البطامء في ولاياتها فيكون منها من الارض القابلة للزراعة ما يكي لاعالة اثني عشر مليوناً من النفوس على ان يكون لكل واحد منهم ستة عشر هكتاراً من الارض وتساوي هذه الاطيان ملياراً من الجنيتات ويستلزم ذلك اتفاق عشرة ملايين فرنك

### حفظ المخطوطات

بعد ان اءترقت مكتبة تورين في ايطاليا وذهبت فيها الوف من المخطوطات النادرة اخذ اهل العلم في اوربا واميركا يفكرون في طريقة لحفظ المخطوطات لانها تكون في الغالب غير متعددة فاذا وءد في اءدى للمكاتب مخطوط يعد في نظر العلماء كنزاً لانه لا مثيل له وقد ارتأى بعضهم في قتل صورة من كل مخطوط نادر تطابق الاصل بشكلها وخطها الا ان هذا العمل يحتاج الى نفقات طائلة وتقدم المسترغولي الى حكومة الولايات المتحدة مؤخراً ان ييممل مصفحات ( كليشئات ) المخطوطات وامهات الطوابع والنقءد في مكان واحد وان ييممل منها مسوءات ( بروفات ) يشاؤها العلماء ويستعمرونها للاستفادة منها لقاء ثمن بئس والغالب ان مكاتب اوربا تضطر بعد حين الى الجري على هذه الطريقة لحفظ الكتب النادرة .



### مرض جديد

اكتشف مرض في افريقية جديد اسمه البالري La Baléri يشبه التوام اي مرض التوم وهو عبارة عن تقاعبات تصيب الحيوانات كالخيل والكلاب والحمير والقطط والغنازير فيصاب الحيوان بغزة في اتفه واذنه فيضعف في الحال . ويستند هذا المرض بالقرب من الانهار بحيث لايجسر تربية هذه الحيوانات الا على بعد خمسة عشر كيلومترا عن المياه ولم يجدوا له حتى الآن دواء

### سرعة البواخر

تجارى كل من انكلترا والمانيا والولايات المتحدة في سرعة البواخر والبوارج التي تنشأ كل واحدة منهم بحيث يتسائل العارفون قائلين : اما لهذه المباراة في السرعة من حد تقف عنده . اما زيادة السرعة فلا تنأى الا بزيادة القوة المحركة فان قطع اثني عشرة عقدة وحمل ستة عشر الف طن تقتضي قوة ٤٥٠٠ حصان وسرعة خمس عشرة عقدة تقتضي قوة ٨٧٠٠ حصان و ٢٠ عقدة يلزم لها ٢٠٠٠٠ و ٢٢ عقدة يقتضي لها ٢٥٠٠٠ وهكذا يزيد معدل الاتفاق زيادة هائلة

### آلة للكتابة

اخترع احد آلة سماها الستينوتيبيا La sténotypie وهي تنقل الكلام بدون استعمال اشارات الاختزال المعروفة وهذه الطريقة تلغي عدة آلات اخترعت من هذا القبيل لنقل الكلام فيقرأ الانسان الكلام فيها بسرعة كأنه يقرأ املاء صحيحا او طبعا حجريا عاديا

### خسائر مصر

تقلت مصر في الاشهر الثلاثة الاخيرة ثلاثة رجال كان لهم أثر مهم في الخطابة والكتابة والتأثير وهم ابراهيم بك القفاني ومصطفى باشا كامل وقاسم بك امين

### زوجان معمران

احتفل في احدى قرى بلاد المغرب ورور مئة سنة على زواج رجل عمره الآن ١٢٦ سنة وامرأة عمرها ١١٦ سنة وقد بلغ عدد اولادها واحفادها واحفادها ٧١٢ نسلا وهنا ما الاميراطور فرنسيس يوسف ببيدما المثوي .

## الكلاب والكلب

احصيت الكلاب في باريس وضاحتها فكان عددها ١٦٣٣٥٢ كلباً اصيب بالكلب منها ٣٠ عقت ٢٠٨ أشخاص لم يمت منهم احد وبذلك ثبت ان العضات البشرية تشفى باقل سرعة مما تشفى عضة الكلاب .

## اشجار اميركا

قدروا انه لا تخفي خمسون سنة حتى لا يبقى في اميركا الشمالية صقع مشجر لان المقطوع منها يربي على المغروس فعدل النمو ٢٣ ونصف في المئة ومعدل النقص ٩٤ في المئة وبعد خمس وعشرين سنة يفني الصنوبر الاصفر ذو الورق الطويل كل ذلك لما تقتضيه الصناعة هناك من الاخشاب .

## الحى التيفوئيدية

كان الاطباء يقولون ان اغلاء الماء قبل شربه خير واق من الحيات والابوة الا ان ابحاث اللجنة الصحية في نيويورك ادت الى ان الحى التيفوئيدية فيها قد انتشرت في الناس بواسطة الذباب اذ ثبت ان ظهور الذباب يسبق انتشار هذه الحى كل سنة بايام قلائل وثبت لديها ان هذا المرض الخبيث يكثر حيث يكثر الذباب في المستودعات المجهزة الكبرى وعلى الارصفة ورأت بالمجهز ( الميكروسكوب ) على رجل كل ذبابة وفيها الوقت من الجراثيم الخبيثة فاذا زارت ذبابة وجهك او طعامك ولو قليلاً ترك فيه اثراً لها وذكري سيئته وتبقى جرثومة معدية تنبعا حتى مهلكة .

## الجراد في افريقية

ذهب احد الانكليز في افريقية الجنوبية الى بعض الاماكن التي انتشر فيها الجراد انتشاراً هائلاً فعمي عليه طريقه ولم يعد يعرف اين يذهب وقد حسب الجراد الذي سقط على ساق شجرة واحدة فكان خمسمائة جرادة فاذا انتشر الجراد في قطر بهذه الكثرة لا يتبقى نصف نهار حتى يجرد جميع غلاتها وثمراتها ويحبل حاصلاتها وخيراتها اثراً بعد عين .

## مدرسة للامهات

أسس بعض اعيان الانكليز واطباؤهم لجنة ناطلوا بها تعليم الامهات الفقيرات اللاتي لم يسعدن الحظ ان يتعلمن في صغرهن ما يتفهمن في كبرهن . والتعليم الذي يتعلمه تعليم عملي يلقى عليهن خطباً تدور على تربية الاطفال وحفظ الصحة وتدبير المنزل وتفصيل ثياب

ازواجهن بحيث تصلح ليلبسها ابناؤهن ثم ان الآباء يذهبون ايضا الى تلك المدارس مرة في الاسبوع وتلقى عليهم دروس ننفعهم وننفع ذويهم كالتي تلقى على ازواجهم وقد اسفرت هذه المدارس عن نفع عظيم في التربية وقللت من الوفيات بين الاطفال وبفكر رجال الانكليز ان يكبروا من هذه المدارس في جميع اصقاع انكلترا

### صحافة المانيا واميركا

بلغت الصحافة في المانيا ارقى درجات الارتفاع فحسب احصاء اخير ٨٦٦٨ جريدة ومجلة منها ٢٨٩٤ صحيفة تنشر باللغات الاجنبية واولدم جريدة في المانيا هي جريدة فريكنفورث اُنشئت سنة ١٦١٥ وجريدة ماكوبورغ اُنشئت سنة ١٦٣٦ . ويحبج المراقبون الحركة الاجتماعية اليوم من ارتفاع الصحافة الاسبوعية في الولايات المتحدة وهي الجرائد التي تصدر ايام الاحاد فان ما نطبعه كل واحدة منها يختلف من نصف مليون نسخة الى مليون وفي نيويورك وحدها من هذا القرب من الجرائد ١ جريدة وفي فيلادلفيا ١١ ومثلها في شيكاغو وهي من احسن النماذج في الحقيقة لانها تصدر في مئة صفحة وتحتوي على اربعين صفحة اعلانات والباقي مواد علمية واقتصادية واجتماعية وسياسية وادبية وغيرها من كل ما يرقى العقل ويهدي السبيل

### محاكم الاطفال

تألفت في بروسيا لجان لحماية الاطفال تقوم بوظيفة مستنطق وهي مؤلفة من اساتذة وقس فاذا ارتكب طفل ذنباً ننظر في جرمه لتحقيق فيما اذا كان ارتكبه عن جهل او خبث فاذا رآته مسؤولاً عما جنت يداه تحيله الى المحاكم واذا كان ارتكب ما ارتكب بدون تمييز ترسله الى الاصلاحية على ان حكومة المانيا تفكر في اثناء محاكم نظامية للاطفال

### الاكحول والجرائم

ثبت لاحد قضاة فرنسا ان الجرائم تزيد في اكثر مقاطعاتها على نسبة ازدياد المشروبات الروحية وان معدل السن التي كانت ترتكب فيها الجرائم كان ثلاثين فاصبح اليوم عشرين سنة وان طرد الانقيار يزيد وان كثرة الجنون زادت زيادة هائلة فكان منذ خمسين سنة في فرنسا ٣٢ مختل الشعور في كل مئة الف ساكن فاصبح سنة ١٩٠٥ - ١٤٢ بل بلغ في بعض المقاطعات ٢٣٤ والسبب في ذلك انه كان في فرنسا خمارة واحدة لكل ١١٣ ساكناً سنة ١٨٨٠ فاصبح فيها هذه السنة خمارة لكل ٧٨ فقط

# المقبر

الجزء الخامس من المجلد الثالث

جمادى الاولى سنة ١٣٢٦ موافق يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨

## رسالة عبد الحميد الكاتب

في نصيحة ولي العهد

قال ابو الفضل احمد بن ابي طاهر في كتابه المنشور والمنظوم ومن الرسائل المفردات رسالة عبد الحميد بن يحيى الى عبيد الله بن مروان حين وجه لمحاربة الفحاك اغاريجي (١) في نصيحة الحروب فانه يقال انها لا مثل لما في معناها : (٢)

(١) هو الفحاك بن قيس الشيباني الغاريجي كان له شأن في اواخر الدولة الاموية في الكوفة وواسط خرج سنة سبع وعشرين ومائة واستولى على الموصل وكورها قال ابن الاثير في حوادث سنة ثمان وعشرين ومائة وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشغل بقتال اهلها فكاتب الى ابنه عبيد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه لينزع الفحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها في سبعة آلاف او ثمانية آلاف وسار الفحاك الى نصيبين فحضر عبيد الله فيها وكان مع الفحاك ما يزيد على مائة الف ثم مروان سار الى الفحاك فالتقوا بنواحي كفتوتونا من اعمال ماردين فقاتله يومه اجمع فاحدقت بالفحاك واصحابه خيول مروان والحواء عليهم في القتال حتى قتلوه . قلنا وكثرة ظهور الخوارج على الامويين في آخر امرهم دعت مروان الى ان يكتب الى ابنه بهذه الرسالة من انشاء كاتبه عبد الحميد والدهشة ياديه على سطورها من امر الفحاك وجنده

(٢) نشرنا هذه الرسالة على ما فيها من التحريف حرصا على فوائدها الظاهرة بحفاظين

اما بعد فان امير المؤمنين عند ما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الحلف الجافي  
الأعراقي المسكج في حيرة الجهالة وظلم الفتنه وسهاوي الملكة ووراعه الذين عاثوا في الارض  
فسادا وانتهمكوا حرمه استحقاقا وبدلوا نعم الله كفرا واستحلوا دماء اهل سلمه جهلا احب ان  
يعهد اليك في لطائف امورك وعوام شؤونك ودخائل احوالك ومضطر تنقلك عهدا يحملك  
فيه ادبه ويشرع لك عظمتك وان كنت والحمد لله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعتك  
الله لولاية العهد عنصمك لك بذلك دون لحتك وبني ابيك

ولولا ما امر الله به ذالا عليه بتقديم المعرفة لمن كانوا اولي سابقة في ( الدين )  
وخصيمي ( ١ ) في العلم لا يعتمد امير المؤمنين منك على اصطناع الله اياك بما يراك اهله في محلك  
من امير المؤمنين وسبقك الى رغائب اخلاقه وانتزاعك محمود شيمه واستيلائك على تشابه  
تدبيره .

ولو كان المؤدبون اخذوا العلم من عند انفسهم ولقنوه الهاما من تلقائهم ولم يتعلموا  
شيئا من عند غيرهم لتعلمهم علم الغيب ووضعهم بمنزلة خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم  
يوحدانيتهم وفردانيتهم في الاهيته واحتجاجا ( ٢ ) منهم لتعقب في حكمه وثبت في سلطانه  
وتفويض ارادته على سابق مشيئته ولكن العالم الموفق لغير الخصوص بالفضل المحبوب بجزية العلم  
ادركه معاداة عليه بلطف يحبه واذلال كنفه وصحة فهمه وهجر سآمته .

وقد تقدم امير المؤمنين اليك اخذا بالحجة عليك موذيا حق الله الواجب عليه في  
ارشادك وقضاء حقتك وما ينظر الوالد المعني الشفيق لولده . وامير المؤمنين يرجو ان ينزهك  
الله عن كل شي وقبح يفسد له طمع وان يصحبك من كل مكروه حاق باحد وان يحصنك  
من كل آفة استولت على امري في دين او خلق وان يلقه فيك احسن ما لم يزل يعود  
ويؤيه من آثار نعمة سامية بك الى ذروة الشرف ونجحة لك يسطة الكرم لآخرة بك في  
ازهر مهالي الادب . والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يصحبك من زيف الهوى  
ويحضرك دواعي التوفيق معانا على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا مو  
اعلم ان محكمه سالك نفي مضايق اوائلها بين أسها سالكاً وركب خيارها قاصداً

على عباراتها ولم تصح منها الا ما كان من قبيل الاشياء الظاهرة واجبتنا ساثرها على ما  
وجدناه نفس ان يشترح على نسخة اخرى فيصح ما نعدر علينا تصحيحه وقد اشرنا الى  
محال الاشكال منها بلامه استفهام وفسرنا المبهم من الفاظها

( ١ ) يقال خصه بالشيء خصاً وخصوصاً وخصوصية وخصيمي ( بالفتح والقصر ويد )  
وخصية ونخسة فضله ولا نظير لها الا المكشي

الى سعة عاقبتها وأمن مرحها وشرف عزها وانها لا تعاف بسخف الخفة ولا تنسى بنفريط  
النفلة ولا يتعدى فيها بأمن حد (٢) وقد تفلتلك اخلاق الحكمة من كل جهة بغضها من غير  
نعب البعث في ادراكها ولا متناول المال لقرونها بل تأتلك (١) منها اكرام معانيها واستغلت  
منها اعتق جواهرها ثم شمرت الى ثياب مصاصها وحرزت منفس (٣) ذخائر هافه مدمما حرزت  
ونافس فيها أصبت .

واعلم ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله في جميع امورك مؤثرا  
لها واصطبارك على طاعته واعظام انعم به عليك شاكرها لما مرتبطك للزيد بحسن الخياطة له  
والذب عنه ان تدخلك منه سامة دلال او غفلة او ضياع او سنة تهاون او جهالة مرفقة  
فان ذلك احق ما يدي به ونظر فيه معتمدا عليه من القوة والآلة والاقتراء . مصاب  
والحماة (٣) فتمسك به لاجئ اليه واعتمد عليه مؤثرا له والنجي الى كنهه مخمرا به انه ابغى  
ما يطلب به رنا الله وانجحه مسأله واجزله ثوابا واعوده مسيا وامعه صلاحا وارشدك الله  
لحظك ونعمك مداده واخذ بقلبك الى محمود .

ثم اجعل قه في كل صباح ينعم عليك بيلونه ويظهر منك السلامة في اشراقه من نفسك  
نصيبا تجمله قه شكرا على ابلانه ايك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نهم وظهور  
كرامة وان نقرأ من كتب الله عز وجل جزأ تردد رأيك في ادبه وتزيت لفظك  
بقرائنه ويحضره عقلك ناظرا في محكمه ونغمه منكمرا في متشابهه فان فيه شفاء القلوب  
من امراضها وجلالة وساوس الشيطان وسفاسفه وضياع معام التور تبيانا لكل شيء وعدى  
ورحة لقوم يؤمنون ثم تعهد نفسك بجادة هواك فانه مغلاق الحسنة ومفتتح السيئات  
واعلم ان كل عندك لك عدو يحاول هنكتك ويعترض غفلتك لانها خدع اليمس وحبائل  
مكره ومضائد مكيدته فاحذرهما عناية وتوقيا محترسا منها واستمد بالله من شرهما واجاهداهما  
اذا ناصرت (٤) عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم فائد لا مشنوية (٥) لزيك بعد  
اصداره عليك وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضادة صانمة لا اذنة معاونية صحيحة  
لا خلفة (٦) شك فيها فان ذلك ظهري (٧) صدق ثبت على ردها عنك وقطعها دون ما  
تنتفع اليه منك وهي واقية لك منخطة ربك داعية لك رضا العظمة سائرة عليك عيب من  
دونك فازدن به ملتقيا واصب باخلاصك مواضعها الحميدة منها وتوق عليها التي تقطعك عن

١١١ اكتسبت وجمعت (٢) شيء تقيس ومنوس ومنفس كمنخرج اذا كان يتنافس فيه  
(٣) الاقارب (٤) ناصرت الاخبار صدق بعضها ايضا (٥) استثناء (٦) اضطرار (٧) الظهري  
ما يجعله المرة عدة له عند من الحاجة اليه

بلوغها وتقصيرك عن ساميها تحاول بلوغ غايته محمراً لما يسبق الطلب الى اصابة الموضع  
محسناً لا عيبك من العجب فانه رأس الهوى واول الغواية ومقاد الملحة حارساً اخلاقك من  
الآفات المتصلة بشاريها والمعادن وذمها اثارها من حيث انت الغفلة وانتشر الضياع ودخل  
الوهم فتوق الآفات على عقلك فان شواهد الحق مستظهر باماراتها تصديق رأيك عند ذوي  
النهي وحال الرأي ونقص النظر . فاجتلب لنفسك محموداً لذكره وبقي لسان الصدق بالخبر  
لما تقدم اليك فيه امير المؤمنين مفرزاً من دخول الآفات عليك من حيث امنك وقلة ثقتك بمحكمها .  
ومنها ان تلك امورك بالفساد وتحبوت سرك بالكتمان وتداري جندك بالانصاف  
وتنكس قسك بالعدل وتحسن عيوبك بتقويم اودك . وانك فو قها الملل وفوت العمل  
ومصائب قدرها (١) رؤية النظر واكتنفها بأناة الخلد وخلواتك فحرسها من الغفلة واعتاد  
الراحة وصحتك فانف عنه عي اللفظ وخف فيه سوء القالة (١) واستاعك فأرعه (٢)  
حسن التنبه وقوة باشهاد المكر . وعطاءك فأنه له (٣) بيوتات الشرف وذوي الحسب  
وتحز في من الشرف . وحياةك فامنع من الخجل وحلت فزعه عن التهاون وأحضره قوة  
الشكيلة (٤) وهوبك فقصر بها عن الافراط وأحمد بها اهل الاستحقاق وعفونك فلا تدخله  
تعطيل الحقوق فغذبه واجب المفترض وانته به أود الدين . واستثناءك فامنع منه البذاءة  
وسوء المشافقة فحذر من امورك فغذبه اوقه . وقدره سنوات لا يسفره قوتك ويستدعي ساء ملك .  
وعزمتك فانف عنها عجز الرئي والجاجة الاقدار . وفروحاتك فاشكها عن البطور وقيدها عن  
الزهو . وروعتك فخطها من دهر الرئي واستسلم الخفوع وحذارك فاحضرها عن الجبن  
واعمد بها فحزم ورجائك فقيده بخوف الفات وامنع من أمن الطلب  
هذه جوامع دخائل النقص منها واصل الى العقل بلطائف الله وتصاريف حوله فأحكمها  
طريقاً وتقدم في الحفظ لما معتزماً على الاخذ بتراشدها والانتباه منها الى حيث بلغت بك  
عظة امير المؤمنين وادبه ان شا الله

ثم ليكن بعاتتك وجلساتك في خلواتك ودخالاتك في سرك اهل الفقه والورع من  
اهل بيتك وعامة قوادك من قد حنكته السن بتصاريف الامور وخيطة فصاها بين قرائن  
البزل (٥) وقلبت الامور في فنونها وركب اطوارها تارفاً بحاسن الامور ومواقع الرأي  
مأمون التعمية مطوي القمير على الطاعة

(١) يطلق القول في الخير والقال والتبيل والقالة في الله (٢) يقال ارعني سمعك وراعني  
سمعك استمع لثاقلي (٣) نهد المديبة عظمها واخضعها (٤) الشكيلة قوة القلب (٥) البازل في  
الاصل البعير اذا ظهر ثابه ومن الحجاز البازل للرجل الكامل في مجربته تشبهاً بالبعير البازل

ثم أحضرهم من نفسك وقاراً أنتدعي منهم بك الهيبة واستشاساً يعطف اليك منهم بالمودة وانصافاً يغل أفاضلهم منك عما نكره ان ينتشر عنك من مخافة الرأي ويقطعت دون الفكر .

وتعلم ان خلوت بسر فالتيت دونه ستورك وأغلقت عليه ابوابك فذلك لاسمالة مكشوف للامة ظاهر عنك وان استترت بما ولعل وما أرى اذاعة ذلك . فاعلم بما يرون من حلات من 'ينقطع به في تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك وسد خله عنك فانه ليس احد اسرع اليه سوء القالة ولعل العامة يجيز او شر من كان في مثل حالك ومكانك الذي اصبحت به من دين الله والامل المرجو المنتظر . واياك ان يغمز (١) فيك احد من عامتك وبطانة خدمك بضعفة يحيد بها مساعداً الى النطق عندك بما لا يستر لك عيبه ولا تخون من لائمه ولا تأمن سوء القالة فيه ان نجم ظاهراً وعلم بادياً ولن يجتروا على تلك عندك الا ان يروا منك اصفاً اليها وقبولاً لها وترجيحاً بها

ثم اياك ان يذعن عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والفضاحك التي يخفف بها اهل البطالة ويتسرع نحوها ذؤو الجهالة ويحسد فيها اهل الحسد مقالاً لليب يرفضونه ولطعن في حق يمجّدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي وذن العرض وهمم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طبايع السوء الكامنة في بني آدم ككون النار في الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره ولهب في وميضه ووقد تقرمه . وليست في احد اقوى سطوة واطهر توقفاً واعلى كونا واسرع اليه بالغيب منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوي المنفوان في الهداية الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لائحتها ظاهراً عليهم ومهما لم تحضهم شهادتها مظهرة للعامة فضلهم مذبذبة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصمت في الحركة مستحبات (٢) يدفعون به عن انفسهم نواطق السن اهل البني ومواد ابصار اهل الحسد .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من اهل السلطان والقدرة من افطار (?) النزع وشخوة التيه فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتبعين عقولهم في مواطن حجة منها فلة اقتدارهم على ضبط انفسهم في مواكبتهم ومسايرتهم العامة . فمن مقلقل شخصه بكثير الالتفات تزديده الخفة وبطره اجلاب (٣) . لرجال حوله . ومن مقبل في موكبه على

والجمع بزل كركم وكتب (١) اغمز في فلان اذا طابه واستضعفه وصغر شأنه  
(٢) الجلب اختلاط الاصوات كالبالية واجلبوا وجلبوا فلان من الجلب بمعنى الصياح  
وجماعة الناس



مداغة مساره بالصاحبة له والتضاحك اليه والايحاف في السر مهرجاً ( ١ ) وتحريك  
الجوارح مستسرّاً يخال له ان ذلك اسرع له واخف لمخيطته فلتحسن في ذلك هيئتك وتجميل  
فيه رعيته وليقلّ على مسائلك اقبالك الا وانت مضرّ نظر غير ملتفت الى محدث ولا  
مقبل عليه يوجهك في موكبك لمحدثه ولا تخفّ في " " ناقل جوارحك بالتحريك .  
فان حسن مساره الوائي وابتداعه في تلك من حاله دليل على كثير من غيوب امره  
ومستتر احواله

واعلم ان اقواماً سيسرعون اليك بالسعاية وياتونك من قبل النصيحة ويستملونك باظهار  
الشفقة ويستدعونك بالاغراء والشبهة ويوظفونك عشوة (٢) الحيرة ليصلوك لهم ذريعة الى  
استيصال (٣) العامة بتوضيح منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة  
او امرعوا بك في امره الى الغفلة فلا يصلن الى منافذك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا  
منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع سيفك دينك ويحملك على رعيته ما لا حقيقه فيه  
ويحملك على اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما اقدم به عليهم ساعياً واطهر لك منهم

ويكن صاحب شركك ومن احببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتباه ذلك وهو  
انصوب لاولئك واستمع لافاويلهم والفاحص عن ناصحهم ثم لينه ذلك اليك على مايرفع  
اليه منه لتأمره بامر فيه وثقه (٤) على رأيك من غير ان يظهر ذلك العامة فان كان  
صواباً ذلك حصوله ون كن خطأ اقدم به جاحل او فرقة يسى بها كاذب فالت الباغي  
منها واخضع عقوبة وبذر من واليك اليه نكال لم يعصب (٥) ذلك الخطأ بك ولم ينسب  
ان تحريظه وخلفت من موضه التزم فيه

فان رأيت عليه سبيلاً للحبس او مجازاً لعقوبة امرته فتولى ذلك من غير ادخال له طريقته حتى يرفع اليك امره وينهي اليك قضيته على جية الصدق ومعنى الحق .

(١) الممرجة اثقة والسرعة ولقط الناس والاختلاط في المني والمهلجة سير الدابة في ميرة ويجترة (٢) المشوة القلعة كالأشواء وركب فلان المشواء اذا خبط سيفه امره (٣) من قولهم استأكل الضعفاء اذا اخذ الموالم (٤) وقف يتعدى بنفسه قال تعالى وقومهم انهم مسؤولون اما وقتته توقيفاً واولاً فقد انكره الجمهور وقالوا انهما غير مسموعين له غداً فصيح (٥) مصب يقرر

عليك ولا مشافهة منك له فكان المتولي لذلك ولم يحجر على يدك مكروه ولا نلظ عقوبة وإن وجدت إلى العقوبة سبيلاً وكان مما قرف به خلياً كنت انت المتولي بالإعانة عليه بتغذية سبيله والصريح عنه باطلاق اسمه فتوليت أجر ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك ففرت خصلتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة .

ثم اياك وأنت يصل اليك احد من جنودك وجلسائك وخاصتك وبعثتكم بمسألة يكشفها لك او حاجة يدهك (١) يطلبها حتى يرفعها قبل الى كاتبك الذي اهدفته لذلك ونصبت له فيعرضها عليك 'منياً' لما على جهة صدقها ويكون على معرفة من قدرها فان اردت اسمائه ونجاح ما سأل منها اذنت له في طلبها اسماً له ككتفك مقبلاً عليه بوجهك مع ظهور سرور منك بما سألك بنفسه رأي وبسطة ذوق وطيب نفس . وإن كرهت فقله حاجته واحببت رده عن طلبته (٢) وثقل عليك اسمائه بها امرت كاتبك فصغحه عنها ومنعه من مواجهتك بها غفقت عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذكر وحمل على كتابك لائحة انت منها بريء الساحة .

وكذلك فليكن رأيك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود واناك من الرسل فلا يصل اليك احد منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهة ما هو مكمل وقدر ما هو سائلك اياه اذا هو وصل اليك فاصدرت رأيك في جوابه واجلت فكرك في اسمه وانفذت مصدر رويته في مرجوع مسأله قبل ما دخوله عليك وعلمه بوصول حاله اليك فرفعت عنه مؤونة البديهة وارخيت عن نفسك خناق الروية فاقدمه على رد جوابه بعد النظر والفكرة فان دخل عليك احد منهم فكذلك بخلاف ما انهي الى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفته عنك دفماً جميلاً ومنعته جوابك ممناً ودفعاً ثم امرت حاجبك باختيار الجفوة له والنظلة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك مما يحكم لك تلك الاشياء صاراً عنك مؤونتها ان شاء الله .

احذر تضييع رأيك واهمال ادبك في مسالك الرضا والنفس واعتواهما اليك فلا يزدريهنا افراط عجب تستجيبك رواثه ويستهيوك منظره ولا يدرن منك ذلك خطأ وتزق خفة لمكروه وإن حل بك او حادث وإن طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجلج تفرز به من آفات الردى وتستعده (٣) في مهم نازل وتتعقب به امورك في التدبير فان احتجت الى مادة من عقلك وروية من فكرك او اتساع من منطقك كان اخيارك الى ظهرك

(١) بدعه بالامر استقبله به مفاجأة (٢) الغلبة بكسر اللام ما طلبته (٣) استعده قديراً من نفسه ضمنه حوادث نفسه

مزداداً عما حبيت الاستياريته وان استديرت من امورك برادر لهل او مفي زل او معاندة حق او خطي تدبير كان ما احتجت من رأيك عنراً لك عند تقسك وظهري قوة على رد ما كرهت وتفتيها لثوثة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر وحنناً من غلب الآفات على اخلاقك لي شاء الله .

وامنع الحق بطانتك وخاص خدمك وعامة رعيتك من استلحام (١) اعراض الناس عندك بالنية والتقرب اليك بالسماية والاغراء من بعض يعرض والنعمة اليك بشيء من احوال المستحق عنك او التحميل لك على احد منهم بوجه النعيمة ومذهب الشفقة . فانه يبلغ سمواً الى مثال الشرف واعون لك على محمود الذكر واطلق لئان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

وامالك تهتك عن الانبساط في التمهك والانتهاق (٢) وعن القطوب باظهار الغضب وتقله فلن ذلك ضعف من سورة الجبل وخروج من التخال اسم الفيل .

وليكن تمحك تبساً او كبراً (٣) في احايين ذلك واوقاته وعند كل رأى ملهي ومستغف مطهر وقطوبك اطرافاً في موضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السلوة ولا اسراء الى الطيرة دون ان يكتفها روية الحلم وتلك عليها بادرة الجهل .

اذا كنت في مجلس ملاك وحضور العامة بمجلسك فايك والري يعبرك الى خاص من قوادك او ذي اثره من حشمك . وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واعارتك سمعك ذا الحديث بقصد عادية ووقار حسن وحضور فهم مستجمع وقلة تفجير بالمحدث ثم لا يبرح وجهك الى بعض قوادك وحرمك متوجهاً بنظر ركين وتفقدهمض فان وجه احد منهم نظره محدثاً اورماك يعمه ملهاً فاختفض عنه اطرافاً جميلاً بابداع وسكون . واياك والسرع في الاغراق والحفة في تصارييف النظر والالحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك راقماً بنظره

واعلم ان تمحك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقد ذلك عارفاً بن حصرك وغلبك طاملاً بمواضعهم من مجلسك ثم اعد بهم عن ذلك سائلاً عن اشغالهم التي منعتهم من حضورك وطاقتهم بالتخلف عنك ان شاء الله

ان كان احد من اعدائك وحشمك ثثق منه بنيب ضميره وتعرف منه لين طاعة وشرف منه على صحة رأي واثمته على مشورتك فايك والاقبال عليه في حادث يرد او التوجه نحوه

(١) استلم الطريق اذا تبعه ولزمه واستلحمه الخطب اذا نشب فيه (٢) الانتهاق في الشيء الوضع فيه

بنظرك عند طوارق ذلك او ان توبه او احداً من اهل مجملك ان بك اليه حاجة موحشة  
وان ليس بك عنه غنى في التدبير او انك لا تنقصي دونه رأياً اشراكاً له في رؤيتك وادخلا  
له في مشورتك واضطراراً الى رأيه فان ذلك من دخائل العيوب المنتشر بها سوء الفطنة  
عن نظراتك وانها عن نفسك خائفاً لا غفلاً ذكرك واحجبها عن رؤيتك قاطعاً اصحاب  
اولئك عن مثلها عندك او غلبتهم عليك منك

واعلم ان للشورة موضع اخلا واقتراء النظر فابنها محرزاً لها وربما طالبا لبيانها وياك  
والقصور عن غايتها والاغراط في طلبها

احذر الاعتزام بكثرة السؤال عن حديث اما يحبك او امر اما ازدهاك والقطع  
لحديث من ارادك بمجديته حتى تنقصه عليه بالاخذ في غيره او المسألة عما ليس منه فان  
ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الادب عن تناول محاسن الامور والمعرفة  
لساوتها وانصت لمحدثك وأرعه سمحك حتى يعلم انك قد فهمت عنه واحطت معرفة بقوله  
فان اردت اجابته فمن معرفة حاله وبمد علم بطلته والا كنت عند انقضاء كلامه  
كالتعلل من حديثه بالتبسم والاغضاء فاجري عنك الجواب وقطع عنك السن المتب

اياك وان يظهر منك نهر مجملك وتفتخر بين حضرك وعليك بالتبش عند سؤره  
النصب وحمة الأنف وملال الصبر في الامر تستجبل به والامل تأمر بانفاذه فان ذلك  
مخفف سائر وخفة مردية وجهالة بادية . وعليك بشيوت المنطق ووقار المجلس وسكون الريح  
والرفض لحشو الكلام وترديد فضوله والاعتزام بالزيادات في منطلق والترديد للفتك  
من نحو اسمع او اعجل او ألا ترى او ما يلحق به من هذه الفصول المقتصرة باحل العقل  
المخسوبة اليهم بالمي المردية لهم في الذكر . وخصال من معائب الملوك والسوقة عيبها ( ؟ )  
عند النظر الا من عرفها من اهل الادب وقلها حامل لما مضطلع بشقلها اخذ لنفسه بجومها  
فانها عن نفسك بالتخفظ منها واملك عنها اعتقادك معنيها ( ؟ ) كثرة التثني والتبزيق  
والتنحس والتناوب والجشاء والتعطي وتنقيض الاصابع وتحريكها والبش بالهية والشارب  
والمنصرة وذوابة السيف والايماض بالنظر والاشارة بالطرف الى احد من خدمك بأمر ان  
اردته والسرار في مجملك والاستجبال في طمعك وشريك

ليكن مطعمك مبتدعاً ( ١ ) وشربك انقاساً وجرعك مصاواياك والتسرع في الأيمان  
فيا صغروا كبر من الامور او الشبهة بالبن الميية او الحمرة ( ؟ ) لاحد من خدمك وخاصتك  
بتسويتهم مقارفة الفسوق بمحضرك او في دارك وبنائك فان ذلك مما يفتج ذكره ويسوء موقع

( ١ ) ابداع الشيء انشاء واختراعه والمراد بالطعام المبتدع الحديث

القول فيه ويحمل عليك معانيه وينالك شينه وينشر عنك سوء بليوه فاعرف ذلك متوقفا له واحذره مجانباً لسوء عاقبته

استكثر من فوائد الخير فأنها تنشر المحمدة وتقبل العثرة . واصطبر على النفيظ فانه يورث العز ويؤمن الساحة . وتعمد العامة بمعرفة دخلهم وينظر احوالهم واستشارة دفائنهم حتى يكون على مرأى العين ويقين الخبرة فتتمتع عديهم وتجبر كسيرهم وتقيم أودم وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدم فان ذلك من فلك يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان صدق في العامة ويمحز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة وقلوبهم المستبقة عنك . (وميز) بين منازل اهل الفضل في الدين والحسبي والرأي والمقل والتدبير والصيت في الامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والجلود عنه نناها (١) ياهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتجمع لك اقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درج الشرف في الاحوال المتصرف بك فاعتمد عليهم مستخدلاً لهم وآثرهم نينا . مستمكاً منهم واباك وتضييعهم مفرداً لهم واهالهم مضيقاً

هذه جوامع من خصال قد تلخصها لك امير المؤمنين وجمع شواهدا مؤلفا واهداها لك مرشد تقف عند اوامرها وتنتهي عند زواجرها وتثبت في مجامعها وتحذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتتل انفس الحفظ ومزية الشرف واعلى درج الذكر . والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الامل وان يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوءك اياها وعافية يهلك اكنافها ونعمة يلهيك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفايح الخير ويده الملك وهو على كل شيء قدير

فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على لغائهم واخذت امة قتالهم فاجعل دعائك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترجي به مثال الظفر وتكتف (١) به لمخالف الحذر تقوي الله عز وجل مستشعراً له بمراقبته والاعتصام بطاعته متبهاً لامره والاجتناب لمساخطه محتذياً سننه والوقفي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتمدي شرائمه متوكلاً عليه فيما صمدت (٢) له واثقاً بنصره فيما وجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلفاك من عز راغباً فيما آهاب (٣) بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند الله عز وجل من قتال عدو الله المسلمين اكلمهم عليهم

(١) اكثفت وتكف لزم الكهف والكهف المغارة والوزير والجلي (٢) صمد الامر قصده ممتدأ عليه (٣) آهاب بصاحبه دعاه

واظهرهم عداوة لم وافدهم ثقلاً لعاتبتهم واخذت بريقهم (١) واعلاء عليهم بنيًا واظهره فيهم فسقا وجوراً واشده على فيهم الذي اصاره الله لم مؤنة

ثم خذ من ملك من تباك وجندك بكف - تمرتهم ورد مستعلي جرورم واحكام خلتهم وضم منتشر قواصيم ولم - شعث اطرافهم وخضم بين مروا به من اهل ذنك ومذك بحسن السيرة ( رعة ) الطعمة ودعة الوفار وهدي الدعة وجام (٢) ( النفس ) محكما ذلك . منهم متفقداً لم فيه تفقدك اياه من نفسك

ثم احمد بحدوك التسمي بالاسلام خارجا من جماعة اهل التخل ولاية الدين محتلا لدماه اوليائه طاعنا عليهم راجيا عن سنتهم مفارقا لشرائعهم ينيهم النوائل وينصبهم المكايذا صرم حقدًا عليهم وارصد عداوة لم من الترك وامم الشرك وطواغي الملل يدعوا الى العصية والفرقة والمروق من الدين الى الفتنة مخترعا بهواه الى الاديان التخلية والبديع المتفرقة خسارا وتغصيرا وضلالا واضلالا بغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كبت يدها به الله بظلام للبيدوش ماسولت له نفسه الامارة بالسوء والله من ورائه بالرصاد وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون .

حض جندك واشكم نفسك في مجاهدة اعداء الله وارح نصره ونبيز موعده متقدما في طلب ثوابه على جهادهم معتزما في ابتغاء الوسيلة اليه على لقائهم فان طاعتك اياه فيهم ومراقبتك له ورجاءك لنصره مهمل لك وعوده واعصمك من كل سيئة ونهيك من كل هوة وناعتك من كل صرعة ومقياك من كل كبرة وداري : عنك كل شبهة ومذهب عنك لطفة كل شك ومقويك بكل أيد (٣) ومكيدة ومؤيدك في كل جمع لغاد وحالفك من كل شبهة مردية والله وليك وولي امير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفران احدهما اعم منقصة والبلغ في حسن الذكر قالة والحولة سلامة واتمه عافية واعوده عاقبة واحسن في الامور موردا واسمحه في الرواية حزما واسهله عند العامة مصدرا ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة وبين التقية (٤) بغير اخطار (٥) الجيوش في وقعة جمة الحرب ومنازلة الفرسان في معترك الموت وان ساعدك ( الحظ ) ونالك مزية السعادة في الشرف في غلاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض السيوف وآلم الجراح وقصاص الحروب وسجلاها بعاورة (٦) ابطلنا على انك لا تدري لاي

(١) الرقعة جبل يوضع في المنق وجمه ربق (٢) الخيام كصهاب الراحة (٣) الابد القوة (٤) التقية النفس يقال انه يمين التقية منج الصال مظفر للطلب (٥) اخطر جهنم في خطر (٦) يقال تاور القوم فلانا اذا تماوزوا عليه بالنسب واحدا بعد واحد

الفرقيين الظفر في البديهة من المتلوب في الدولة ولعلك ان تكون المتلوب بالتحصيل فحاول  
ابلقها في سلامة جندك ورعيتهك واشهرها ٠٠٠ في بادي رأيك واجمعها لالفة وليك  
وعدوك واعونها على صلاح رعيتهك واهل مملكك واقوامها في حربك واهدما من وصم  
عزمك واجزئها ثواباً عندك ٠ وابدأ بالاعذار والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة واسر الجماعة  
وعرى الالفة آخذاً بالحجة عليهم متقدماً بالانذار لهم باسطة امانك لمن لجأ اليه منهم  
داعياً لهم اليه بالين لطفك والغف تحيلك متعطفاً عليهم برأفك مترقفاً بهم في دعائك  
مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم واحاطة الملكة بهم منفذاً رسلك اليهم بعد الانذار تعدم  
كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق وبسط كل امان سألوه لانفسهم ومن معهم من  
تبعهم موطناً قسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك والصبر على ما اعطيتهم من  
وثائق عهدك قابلاً توبة نازعهم (١) عن الضلالة ومراجعة مسيئتهم الى الطاعة مُرمداً  
للعنفاز الى فئة المسلمين وجماعتهم اجابة الى ما دعوتهم اليه وبصرته من حقتك وطاعتك  
بفضل المنزلة واكرام المثوى وتشريف الحال ليظهر من اثرك عليه واحسانك اليه ما يرغب  
في مثله لصارف عنك المعسر على خلافك ومعصيتك ويدعو الى الاعتلاق بمجمل النجاة وما  
هو امالك به في الاعتصام به عاجلاً وانجي له من المقاب آجلاً واحوط على دينه ومجته  
بداءً وعاقبة فان ذلك مما يستدعي نصر الله عز وجل به عليهم وتعتصم به في مقدمة الحجة  
اليهم معذراً ومنذراً ان شاء الله ٠

ثم اذكر حيونك (٢) على عدوك متطاعاً لعلم احوالهم التي ينتقلون فيها ومتازلم التي هم  
بها ومطامعهم التي مدوا بها اعتاقهم نحوها ٠ واي الامور ادعى لهم الى الصلح واقودها الرضام  
الى العافية ومن اي الوجوه ما اتاهم من قبل الشدة والمتافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب  
والابعاد والترغيب والاطماع مستكفاً في انرك مخفياً في رويك متمكناً من رأيك مستشيراً  
لتدوي النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم (٣) الحروب متسرباً في حرك آخذاً  
بالحزم في سره الظن معداً لغير محترماً من الفرة كأنك منزل كله ومتازلك جمع مواقف  
لعدوك رأي عين لنظر حملاتهم وخوف غاراتهم معداً اقوى مكيدتك واجد تشهيرك وارهب  
عتادك مغلماً لاسر عدوك لاكثرها ٠٠٠ بفرط تبعه له (٤) من الاحتراس عظيماً من  
المكيدة قوياً من غير ان يثأرك (٥) عن احكام امورك وتدير رأيك واصدار رويك  
والجأب لحريك مصنع له بعد استشعار الخضر وامتحان الحزم واعمال الروية واعداد الأبهة

(١) المنتهي عن الضلالة (٢) العين الجاسوس واذا كها ابقظها (٣) نجذته التجارب  
احكمته (٤) يسكنك

فان لقيت عدوك كليل الجند ومع النجوم نقيض الوفر (١) لم يضرك ما احدثت له من قوة واخذت به من حزم ولم يزدك ذلك الا جزءا عليه وتسرع الى لقائه وان التيته متوقدا بجر مستكشف النجم قوي الجمع مستعلي سورة الجهل معه من اعوان الفتنة وتبع اليك من يوقد لمب الفتنة ممرّا ويتقدم الى لقاء ابطالها متسرعا كنت لاخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط في الرأي ولا متلف على اضعاف تدبير ولا محتاج الى الاعداد ومجمل التأهب مبادرة تدعشك خوفا يقلقك ومتى تعزم على تريق التوقير وتأخذ بالهوية في امر عدوك لتصرف المصفرين ينشر عليك رأيك ويكون فيه انتقاض (١) امرك ومن تدبيرك واهمال الحزم في جندك وتضييع له وهو ممكن الاصحاح ربحا المطلب قوي العمدة فسيح المضطرب مع ما يدخل رعينك من الاغترار والتفلة عن احكام امراهم وضبط مراكرهم لا يرون من استقامتك الى الفرة وركونك الى الامن وتهاونك بالتدبير فيعود ذلك عليك في انتشار الاطراف وضياح الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما ياتونك به من اخبار عدوك واياك ومعاينة احد منهم على خبر انك به اهتمته فيه او سوء ظنا عليه واتاك غيره بخلافه وان تكذبه فيه وترده عليه ولعله ان يكون من محضك الصحيحة وصدقك الخبر وكذبك الاول او خرج جاسوسك الاول متقدما قبل وصول هذا من عند عدوك . ولقد ايرموا امرا وحاولوا لك مكيدة وازدادوا منك غرة وان دضوا اليك في الامر ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم فاوردوا رأيا واحدوا مكيدة واظهروا قوة وضربوا موعدا واموا مسلحا لعدد اتاهم او قوة حدث لهم او بصيرة في ضلالة شغلهم فالاحوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات ولكن البهم ( ٢ ) جميعا على الانتصاح وأرجع لهم المطامع فانك لم تستعدهم بمثل . وعدم جزالة الثواب في غير ما استقامة منك الى امر عدوك والاغترار بما لم يأتوك به دون ان تعمل رويتك في الاخذ بالحزم والاستكثار من المدة واجعلهم اوثق من يدرك عليه ان استطعت ذلك وآمن من تسكن الى ناحيته ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم دليلا عندك ان استطعت فتقتض عليهم تدبيرك ورأيك ما لم يرموا (٣) وتأنيبهم من حيث اقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا

واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك عليك فنعصوا لك وغشوا عدوك وغشوا عدوك وكثير ما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدن منك فرطة في عقوبة الى احد منهم ولا تجعل بسوء الظن الى من اهتمته بتلي ذلك وأبسط من

(١) الانتقاض الانتكاث (٢) لا بس فلانا خالطه (٣) رم الشيء اصلحه



أعلم فيك من غير أن تري احداً منهم أنك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت على رأيه عمل الصادر عنه او رددته عليه رد المكذب له والمتهم المستخف بما أتاك منه فتصد بذلك نصيحتة وتستدعي غشه وتجتعداوته

احذر ان يعرف جواسيسك في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرّك ويكون هو الموجه لم والمدخل عليك من اردت متافئته منهم واعلم ان لدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كائنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايد به وسيتال لك كاحتيالك له ويعدّ لك كاعتدادك له فاحذر ان يشعر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك و يعرف موضعه فيعدله المراءد ويحتال به بالمكاييد فان ظفربه واطهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن نطلب الاخبار من معانها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا الى اخذها عن عرض من غير الثقة ولا معاينة لنعاطها (؟) بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة

واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لا تأمن تواطؤهم عليك وبمالاتهم عدوك واجتاثهم على غشك وكذبك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك وأحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وطليهم مدار حريك وهو اول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وجب (؟) رجاءك به نيل املك من عدوك وقوتك على قتالهم وانتهاز فرصه ان شاء الله فاذا احسنت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه قول شرطك وامر عسكرك اوثق قوادك عندك وأمنهم نصيحة واقدمهم بصيرة في طاعتك واقوام شكيمة في امرك وامضام صريخة واصدقهم عفافاً واجراًهم (جنائاً) واكفاهم امانة واصمهم ضميراً وارضاهم صبراً واحمدهم خلقاً واعظمهم على جماعتهم رأفة واحسنهم لم نظراً واشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فرض اليه متوالياً وابسط من امله مظهرأ عنه الرضا حامداً منه الابتلاء . وليكن علمك ببرا كز الجنود بصيراً بتقديم المنازل مجرباً ذاراي وتجربة وحزم في الكيدة له نياحة في التدكر وصيت في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه في ضبط معسكره واذا كاد احراسه في آنا ليله ونهاره ثم حذره ان يكون له اذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم للطائفة فيصاب منهم غرة يجتري بها عدوك ويسرع اقداماً عليك ويكسر من اقدمة جنودك ويودن من قوتهم فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطعم لم منك مقوّم على شجذ اتباعهم عليك وتصغيرهم امرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكون منه افراط في التضييق عليهم والمصر لم فيصعد ازاله وبشملهم ضنكه ويسره عليه حالم وتشد به المؤولة عليهم

وتجبت له ظنونهم . ولكن ( موضع ) انزاله ايام مستديراً ضاماً جامعا ولا يكون منشراً  
ممتداً فيشقى ذلك على اصحاب الاحراس ويكون فيه التهمة للعدو والبعيد من المادة ان طروق  
طارق في لجان الليل وبنتاته . وادعز اليه في أحراسه ومرة فليقول عليهم رجلا ركننا  
مجرماً جريء الاقدام ذكي الصرامة جلد الجوارح بصيراً بتوضع أحراسه غير مصانع ولا  
مشفع للناس في النجى الى الرفاهة والسعة وتقدم المسكروا التأخر عنه فان ذلك مما يضعف  
الوالي ويوهنه لامتاتته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم ان موضع الاحراس من موضعك ومكانها من جندك بحيث القضاء عنهم والرد  
عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن يقتهم طارفاً وارادهم متقاتلاً ومراصدها المنسل منها الآبق  
من ارفائهم واعبدتهم وحفظ السيون والجواميس من عدوم (؟) واحذر ان يغرب على يديه  
او يشكه على الصرامة لمواصرتك في كل امر حادث وطارق الا في المزمع انزل والحدث العام  
فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى تعجبك واستويت على محض ضميره في طاعتك واجهد  
نفسه في ترتيبك واناثك وكان ثقلاً . وزيدك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكيدة عدوك  
مربحاً نفسك من هم ذلك والتمابة به ملق عنك مؤونة باهظة وساعة فادحة ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بكمكان ليس به شيء من الاحكام ولا يثله احد من الولاة  
لا يجري على يديه من مفاظ الاحكام ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء بين اهل  
المسكر من ذوي الخير في القناعة والمغاف والتزاهة والقيم والوقار والمعصية والورع والبصر  
بوجوه القضايا ومواقفها قد حكمته السن وايدته التجربة واحكمته الامور ممن لا يتصنع  
للولاية ويستعد للنهزة ويمتري على المحابة في الحكم والمداهنة في القضاء عدل الامانة  
عفيف الطعمة حسن الانصات فهد القلب وروع الفمير مخضع السميت هادي الوقار محتسباً  
الخير ثم أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه وفرغه لا حملته وأعنه على ما وليته فانك  
قد عرضته لهلكة الدنيا وثواب الآخرة او شرف العاجزة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته  
وصدقت رويته وصحت مربيته وسلط حكم الله على رعيته منفذاً قضاءه في خلقه عاملاً  
بسننه في شرائعه آخذاً بمجوده وفرائضه

واعلم انه من جندك ومعسكرك بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية احكامه عليهم  
اتافدة اقتضيه بينهم فاعرف من توليه ذلك وتسنده اليه ان شاء الله

ثم تقدم في طلائعك فانها اول مكيدتك ورأس حرك ودعامة امرك فانغيب لها من  
كل قادة وصحابة رجالا ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة وحماة كفاءة قد صلوا بالحرب

وتذاوقوا مجلها وشربوا من مرارة كؤوسها وتجرعوا غصص درتها وزينتهم (١) بتكرارها  
وحملهم على اصعب رآكياتهم اتبعهم على عينك واعرض كراهم (٢) بنفسك وتوخ في انتقامهم  
ظهور الجلود وبجاجة الخلق رجال الآلة واباك ان قبل من دويهم الا اناث الخيول مهالبة (٣)  
فانها اسرع طلبا وانجي مهربا وابعد في الحقوق غاية واصبر في معترك الابطال اقداما  
وتجذم من السلاح بابدان الدروع ماذية الحديد شاكاة السخ منقاربة الخلق متلاحمة  
المسامير واسوق الحديد بمومة الركب بحكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندي  
وصوغها فارسي رفاق المعطف بأكف وافية وعمل محكم ويلق البيض مذهبة ومجودة  
فارسية الصوغ خالصة الجوهر سافنة الملبس وافية اللين مستديرة الطبع مبهمة السرد  
وافية الوزن كترك (٤) العام في الصنعة معلة بأصناف الحرير واللوان الصيغ فانها اميب  
لعدوم وانت لا عفاذ (٥) من لقيمهم والملم مخشي مخذور له بدية وادعة معية السيوف الهندية  
وذكور البيض البانية رفاق الشفرات مسنونة الشخذ غير كلية الشخذ مشعبة الضراب  
متدلة الجواهر افية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا تابها امت الصوغ ولا شانها خفة  
الوزن ولا فذح حاملها بهور الثقل قد اشروعوا لن القنا طوال الهوادي (٦) زرق الاسنة  
مستوية الثعالب وميضها متوقد وشخذها متلبب ماقص (٧) عقدتها منقوتة ووصم اودها  
مقوم اجناسها مختلفة وكومها جمدة وعقدتها حنكة شطبة الاستان بحكمة  
الجلاء بمومة الاطراف مستحبة الجنيات دقاق الاطراف ليس فيها التواء اود ولا امت  
وصم ولا لما سقط عيب ولا عنها وقوع امنية مستحبة كنان النبل وقسي الشوخط والنبع  
(٨) اعرابية التعقيب رومية النصول فانها ابليغ في الذاية وانفذ في الدروع واشك في الحديد  
سامطين حقائبهم على متون خيولهم مستحقين من الآلة والامتنعة الا ما لاغناءهم عنه  
واخذوا نكل مباشرة عرضهم الى احد من اعوانك او كتابك فانك ان وكلت اليهم  
اضمت موضع الحرم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الحزم ودخل عملاك ضياع الوهن  
وخلص اليك عيب الخباة وقاله فساد المداحنة وغلط عليه من لا يصلح ان يكون طليعة  
المسلمين ولا عدة ولا حصنا يدرون به ويكتفون بموضعه

«١» الزين الدفع «٢» الكراع اسم يجمع الخيل «٣» المقطوعة الذنب «٤» التريكة  
البيضة بعد ان يخرج منها الفرخ او يخص بالنعام والجمع نرائك وتريك «٥» فت في ساعده  
اضعه «٦» الهادي الضيق والجمع هوادي «٧» المعقص كبر السهم الموع وما يتكسر فصله  
فيبقى سنبه في السهم فيخرج ويضرب حتى يطول «٨» الشوخط شجر نخذ منه القسي او  
ضرب من النبع اوها والنبع مثله

واعلم ان الطلائع عيون وحصون للمسلمين فهم اول مكيدتك وعروة امرك وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك ثم انخب لهم رجلا للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل بنيه الذكرك له في العدو وقفات معروفة وايام طوال وصولات متقدّمات قد عرفت نكاته وحذرت شوكته وهيب صوته وثكنك لغزوه امين السريرة ناصح الغيب قد بليت منه مايسكنك الى ناحيته من لين طباعه وخالص المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واجتماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه في حسن سياستهم واستئصال طاعتهم واجتلاب موداتهم واستعداد (?) ضمائرهم وأجر عليهم ارزاقا نسعهم وقد من اطاعهم سوى ارزاقهم في العامة وفي ذلك من القوة لثابته والاستقامة الى ما قبلهم

واعلم انهم في امم الاماكن لك واعظمها غناه عنك وعمن معك واقمعها كتمان (?) وانجي لدوك ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنعيمية حيث وصفت لك وامرترك به تضع عنك مؤونة المم وترخي عن خناتك دروع الخوف ونتيجي الى امرتين وظهر قوي وامر حازم تأمن به فجأت عدوك وبصير اليك عن احوالهم ومتقدّمات خيولهم فانقبهم رأي عين وقوم بما يصلحهم من الخالات والاطماع والارزاق واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علامتك «؟» وحصانة كهوفك وقوة سيارة عسكرك واباك ان تدخل فيهم احدا بشفاعته او تحمله على هواة (١) او تقدمه منهم لأثرة وان يكون مع احد منهم بغل نقل او فضل من الظهور او ثقل فادح فيشتد عليهم مؤونة انفسهم ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من ألقالم ويشغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه رافع او فاجأهم لهم طليعة فنفق ذلك محكما له وتقدم فيه آخذاً بالحزم في امضائه ارشدك الله لاصابة الحظ ووفقك ليعن التدبير

ولـ دراجة عسكرك واخراج اهله الى مصافهم ومرا كرم رجلا من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروف النجدة ذا سن وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون السريرة له بصيرة في الحق تقدمه ونية صادقة عن الادهان (٢) تجبزه واضم اليه عدة من ثقات جنحك وذوي أستانهم يكونون شرطة معه ثم تقدم اليه في اخراج العصابة واقامة الاحراس واذكاء الميوز وحفظ الاطراف وشدة الحذر ومروه فليضع القواد ينقسم مع اصحابهم في مصافهم كل قائد بازاء موضعه وحيث منزله قد شد ما ينه وبين مباحه بالرماح شارعة

«١» الهواة الذين وما يرجي به الصلاح والرخصة «٢» المداهنة والفش

والقراص موضونة (١) والرجال راصدة ذاكية الاحراس وجلة الروح خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره ان يخرج كل ليلة قائداً من اصحابه او عدة منهم ان كانوا كثيراً على غنة او غوتين من عسكريك محيطاً بمنزلك ذاكية احراسه قلقة التردد مفردة الحذر معدة للروح متأهبة للقتال آخذة على اطراف المسكون ونواحيه متفرقين في اخلافهم كردوساً كردوساً (٢) يستقبل بعضهم بعضاً في الاختلاف ويكسع (٣) متقدماً في التردد فاجعل ذلك بين قوادك واعل عسكريك نوباً معروفة وحصصاً مفروضة لا يعد منه مزدلفاً بمودة ولا يتحمل على احد فيه بموجدة ان شاء الله .

فوض الى امراء جندك وقوادم امور اصحابهم والاخذ على ايديهم رياضة منك لم على السمع والطاعة لارائهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم الى امراء الاجناد في التواب التي الرتم اياها والاعمال التي استنبطتها لها والاسلحة والكرع التي كتبها عليهم واحذر اعتلال احد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين جندك وتقويم لطاعتك وقمع عن الاخلال بما كرم لشيء مما وكلوا به من اعمالهم فان ذلك مفسدة للجند معي لقواد عن الجد والمخاصمة والتقدم في الاحكام .

واعلم ان استحقاقهم بقوادم وتضييعهم امرهم دخول الضياع على اعمالك واستحقاقهم بامرك الذي يأتون به ورأيت الذي ترتي واوعز الى القواد ان لا يقدم احد منهم على عقوبة احد من اصحابه الا عقوبة تأديب وتقويم ميل وثقيف أود فاما عقوبة تبلغ تلف المهجة واقامة الحد في قطع او افراط في ضرب او اخذ مال او عقوبة في سفر فلا يلين ذلك من جندك احد غيرك او صاحب شرطك بامرك وعن رأيك واذنك ومق لم تذلل الجند لقوادم وتضرعهم (٤) لارائهم بوجوب عليك لم الحجة بتضييع (٥) وان كان منهم لامرك خلال ان تهاونوا به من عملك او عجز ان فرط منهم في شيء وكلتم اليه او اسندته اليهم ولم تجد الى اقدام عليهم باليد وعض العقوبة مجازاً تصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تدليل اصحابهم لم وافسادك ايام عليهم فانظر في ذلك نظراً محكماً وتقدم فيه تقدماً بليفاً . واياك ان بدخل حزمك وهن او عزمك اماراً (٦) من رأيك ضياع . والله استودع ديناً في نفسك .

اذا كنت من عدوك على مسافة دانية ومن لعداء عنصر وكان من عسكريك مقرباً قد شامت طلائعك مقدمات خللك وحماة فلنته فتأهب اهبة المناجزة وأعد اعداد الحذر

(١) وضن الشيء يضمنه فهو مضمون ووضين ثني بعضه على بعض وضاعفه ونفسه  
(٢) كردوس الخيل جعلها كشيبة كشيبة والكردوسة بالضم قطعة عظيمة من الخيل  
المجم كرايس (٣) كسعه كمنعه ضرب دبره يده او بصدر قدمه (٤) تذللهم

وكتب خيولك وعب جنودك وإياك والمسير الا مقدمة وميمنة وميسرة وساقة قد شهروا بالاسلحة ونشروا البغود والاعلام وعرف جندك مراكرم سائرين تحت ألوهم قد اخذوا أهمية القتال واستعدوا للقاء لمحيين الى مواقعهم عارفين بتواضعهم من مديهم ومسكرهم . ولكن ترجلهم وتنزلهم على راياتهم واعلامهم ومراكرم . وعرف كل قائد واصحابه وموتهم من القيمة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لما غير مطلقين بما يستجبتهم له ولا متهاونين . بما اعبت بهم اليه حتى تكون عصا كرم في كل منهل تصل اليه ومسافة تختارها كأنه عسكر واحد في اجتماعها على العدة واخذها بالحزم ومسيرها على راياتها وتزولها على مراكرمها ومعرفتها بمواضعها . ان اضلت دابة موضعا عرف اهل العسكر من اي المراكم هي ومن صاحبها وفي اي المحل حلوله منها فردت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها . فان تقدمك في ذلك واحكامك له اطراح عن جندك مؤونة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الغالة . ثم اجعل على ساقئك اوثق اهل عسكرك في تنسك صرامة وتقاداً ورضا في العامة وتماثلاً من نفسه للرعية واخذاً بالحق في المدلة مستشعراً تقوى الله وطاعته اخذاً بهديك وادبك واقفاً عند امرك ونهيك معتزماً على مناصحتك وتزيينك نظيراً لك في الحال وشبيهاً بك في سيف الشرف وعديلاً في المواضع ومقارباً في الصيت ثم اكشف معه الجمع وابده بالقوة وقوة الظهير واعنه بالاموال وانعمه بالسلاح ومره بالمطف على ذوي الضعف من جندك ومن رخت به (١) دابته واصابته نكبة من مرض او رجلة او آفة من غير ان تأذن لاحد منهم في التفتي عن عسكره او التخلّف بعد ترجله الا المجهود او الملهوق بافة ثم تقدم اليه بمجدراً ومره زاجراً وانته مغلظاً بالشدّة على من مرّ به منعزلاً عن مسرك من جندك بنير جوارك شاداً لهم اسراً وموقراً حديداً ومعاقبهم موجماً او موجههم اليك فتمكهم عقوبة وتحملهم لغيرهم من جندك عظة .

واعلم انه ان لم يكن بذاك الموضع من تسكن اليه ايثماً يستجيبه عارفاً يديره قد بلوت منه امانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مبادئه وتقاداً في امرك يرخي غنق خناق الخوف سيفه اضاعه لم آمن تسلك الجند عنك لواداً (١٢) ورفضهم مراكرم والاعلام بتواضعهم وتخلّفهم عن اعمالهم آمنين تغيير ذاك عليهم والشدّة على من اخترهم منهم ما . . . ذلك في وهناك واخذ من قوتك وقلل من كثرتك .

اجعل خلف ساقئك رجلاً من وجوه قوادك جليداً مانياً عفيفاً صلواً شرم الرأي

(١) استرخت

(٢) اللوذ بالشيء الاستئثار والاحتضان به كاللواذ مثلكة واليااذ والملاوذة

شديد الحذر شكيم القوة غير مدامن في عقوبة ولا مهين في قوة في خمسين فارساً من خيلك تحضر اليك جندك ويلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ في عقوبتهم والنهك لم والتنكيل بهم ولكن لقوتك في المنزل الذي ترحل عنه والمنهل الذي لتقوض منه مفرطاً في النقض والتبع لمن تخلف عنك مشيداً في اهل المنهل وساكنه بالتقدم موعزاً اليهم في ازعاج الجند عن منازلهم وإخراجهم من مكائدهم . ابعاد العقوبة الموجعة والتكال المتبيل في الاشعار واصفاء الاموال وهلم المقار لمن آوى منهم أحداً او ستر موضعه واخفى محله وحذر عقوبتك اياه في الترخيص لاحد والمجاوبة لذي قرابة والاختصاص بذلك لذي اثره او هواده .

وليكن فرسانه منتخبين في القوة معروفين بالتمجدة عليهم سوانح السروع دونها شعار الحشو وحب الاحتياط (٩) منقلدين سيوفهم سامطين كنانتهم مستعدين لميخ ان يدهم او كين ان يظهر لهم واياك ان تقبل في دوابهم الا فرساً قويا او برزوتاً وثجياً فان ذلك من القوى القوة لم واحسن الظهور على عدوم ان شاء الله .

ليكن رحيالك اياتاً ووقفاً معلوماً تخفف المؤونة بذلك على جندك وبلغوا اوان رحيلهم فيقلعوا فيما يريدون من معالجة اضمتهم وأعطاف دوابهم وتسكن انشدتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ويلتصم ذوو (الحاجات) اباان الرحيل ومتى يكون رحيالك مختلفاً تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ويغفلوا براكهم ولا يزال ذوو السفه والتفك يترحلون بالارحاف وينزلون بالترحل حتى لا ينفع ذو رأي بنوم ولا طائفة .

اباك ان ثنائي برحيل من منزل تكون فيه حتى يأمر صاحب تعييتك بالوقوف على معسكرك اخذاً بقومة جنبته بالاحتتم عدة لامران حضر ومفاجأة من طليعة العدو ان اراد نهزة اولهت عندك غرة . ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنتك واقية حتى اذا استقلتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتهم على تعييتكم بسكون ريح وهدر وحيلة وحسن دعة .

فاذا انتهيت الى منزل اردت نزوله او هممت بالمعسكر به فاياك ونزوله الا بعد العلم بان تعرف لك احواله او يسير علم دفينه ويستبين علم اموره ثم ينهبها اليك وما صارت اليه لتعلم كيف احتمال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وهل لك اذا اردت مقاماً به او مطاولة عدوك ومكايده فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن ان يهجم على منزل يزعمجك منه ضيق مكانه وقلة مياهه واقطاع مواده ان اردت بعدوك مكيدة واجتجت من امرهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غرضاً

لعدوك ولم تجدد الى المحاربة والاخطار سبيلا . وان ائتت به ائتت على مشقة حصر وفي انزل (١١)  
وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه

فاذا اردت نزولا امرت صاحب الخيل التي رحلت الناس فوقت منقبة من ممسكك  
عدة لمرات راعك ومفرقا ليدية ان راعتك قد امنت باذن الله وحوله فجاء عدوك  
وعرفت موقعها من حرك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الاثقال مواضعها وبأيتك خبر  
طلاتك وتخرج دباباتك (٢) من عسكرك دبابا يحيطين بعسكرك وعدة لك ان احتجت  
اليهم . ولكن دباب جندك بعسكرك اهل جلد وقوة قائد او اثنين او ثلاثة باصحابهم في  
كل ليلة ويوم نوباً بينهم فاذا غربت الشمس ووجب (٣) نورها اخرج اليهم صاحب  
تعبيتك ابداهم عسكاً بالليل في اقرب من مواضع دباب النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً  
بلا محاباة لاحد منهم فيه ولا ادهان ان شاء الله

اياك ان يكون منزلك الا في خندق او حصن تأمن به بيات عدوك وتستقيم فيه الى  
الحزم من مكيدته . اذا وضعت الاثقال وخططت ابنية اهل العسكر لم يمدحباة ولم ينصب  
بناء حتى يقطع لكل قائد ذرع معلوم من الارض بقدر اصحابه فيجتفوه عليهم (وينون)  
بعد ذلك خنادق الحسك طارحين لما دون اشجار الرماح ونصب الترس لما يبان قد وكلت  
بعد يحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من اصحابه فاذا فرغ من الخندق  
كان ذلك القائد اهل لذلك المركز (ومو) اضع تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس  
لذلك الموضعين ندالي (٤) الرفاهة والسعة وتقدم العسكر او التأخر عنه فان ذلك مما يضعف  
الوالي ويوهنه لاستقامته الى من ولاء ذلك وامنه به على جيشه  
واعلم انك اذا امنت باذن الله طوارق عدوك وبنائهم فاذا راموا ذلك منك كنت  
قد احكمت ذلك واخذت بالجد فيه وتقدمت في الاعداد له ورثت نخوف الفتق منه  
ان شاء الله

اذا اجليت بيات عدوك او طرقت رائعا في ... خفراً معداً مشمراً عن سافلك مسرباً  
لحربك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ما وصفت لك . التي قدرت لك وطلاتك  
حيث امرتك وجندك حيث عبات قد خطرت عليهم بنف لك وتقدم الى جندك ان (طرق)  
طارق او فاجأهم عدو الا يتكلم احد منهم رافعاً صوته بالكبير مستغفراً (٥) في اجلاب معلنا  
للارهاب الا اهل الناحية ( التي ) يقع بها العدو طارقاً وليشعروا واماحهم مادين لما في

(١) الازل الضيق والشدة (٢) الدباباة مشددة آلة تفخذ الحروب تندفع في امل  
الحسن فيقتبون وهم في جوفها (٣) وجبت الشمس غابت



وجوهم ويرشقهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمراكرهم ٠٠ قدم عن موضعها ولا يهازين  
الى غير مركزهم وليكبوا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون ٠٠ عدوك من  
معسكرهم فتد اهل تلك الناحية بالرجال من اعوانك وشرطك ومن انقبت قبل ذلك عدة  
للسدائد وتدمس لهم الشباب والرماح واياك ان يشهروا سيفاً يخاللون به وتقدم اليهم فلا  
يكون قتالهم بالليل في تلك المواضع من طرقهم الا بالرماح مسندين لها الى صدورهم والشباب  
راشقين به وجوهم قد ابدوا بالترسة واستجنوا بالبيض والقوا عليهم سوابغ الدروع وحباب  
الحشوفان صد العدو عنهم حاملين على ناحية اخرى كبر اهل تلك الناحية الاولى وبقية  
العسكر سكوت والناحية التي صدر عنها العدو لازمة لمراكزها فعلت في تقويتهم وامدادهم  
بمثل صنيعك باخوانهم واياك وان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فأجمعها  
ساعراً لها وأوقدها حطباً جزلاً يعرف بها اهل العسكر مكانك وموضع رواقك ويسكن نافر  
قلوبهم ويقوى وامن قوتهم ويشدد فخلل ظهورهم ولا يرجفون فيك بالظنون ويميلون لك  
آراء السوء وذلك من فلكك رد عدوك بفيظه ولم يشغل منك بظفر ولم يبلع من نكايتك  
سروراً ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك وتكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على خيل  
او كانت لك خيل معدة وكتيبة منتجة قدرت ان تركيب بهم اكتافهم وتحملهم على سننهم  
فتبعضهم جريد خيل عليها الثقاق من فر، انك واولو النجدة من حمائك فنتك ترحق عدوك  
وقد آمن يياتك وشغل بكاذله عن التمرز منك والاخذ بابواب معسكره والقبض لمخارسه  
موهنة حماهم لنية (١) ابطالهم للالفوك عليه من الشخير والجد قد عقر الله فيهم واصاب منهم  
وجرح من مقاتلتهم وكسر من اماني ضلائهم ورد من مستعلي جماعهم . وتقدم الى من توجه  
في طلبهم وتبعه ( ان يكونوا ) هم في سكون الرمح وقلة الرث وكثرة استبيح والتهيل  
واستنصار الله عز وجل بقلوبهم والستهم سرا وجهراً لا لجلب ضخمة ولا ارتفاع ضواغدون  
ان يردوا على مطلبهم ويتنزوا فرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فان غايبية  
رائمة وديهة مخوفة لا يقوم لها في بهمة الليل الا البطل المحارب وذو البصيرة الحامي استجبت  
القتال وقيل ما عند تلك المواضع ان شاء الله

ليكن اول ما تقدم به في التهيو لعدوك والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكرك  
وحماة جندك ذوي البأس والحقكة والجد والصرامة من قد ( احتا ) دطراد الكفاة وكشر  
عن ناجذه في الحرب وقام على ساق في منازلة الاقران ثقف الفرامة مستجيع القوة مستخدم

المريّة صبوراً على احوال الليل عارفاً بتهام الفرس لم تنهه الحسكة ضعفاً ولا ابقت به السن ملالاً ولا اسكرته غرة الهداة تجهلاً ولا ابطرته نجدة الاغار صلحاً جريئاً على مخاطرة التلغ منقذاً على ادراع الموت مكابراً لمهوب الهول منقحاً مخشي الخوف خائفاً غمرات المهاك برأي يؤيده الحزم ونية لا يخلجها الشك واهواً مجتمعة وقلوب موقنة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل اهلها من التأيد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأي عين على كراعمهم واسلحتهم ولكن دوابهم اثاث عتاق الخيول واسلحتهم سوابق السروع وكال آفة الحارب منقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والفضة من معادن الاجناس هندية الحديد او بدنية بمانية الطبع رفاق المضارب مستوية الشخذ مستطبة الضربة لمبلدين باترسة الفارسية صينية التعقيب عملة المقابض بمحلق الحديد انشاؤها مربعة ومحارزها بالتجليد مضاعفة ومجملها مستخف وكثائن النيل وجعاب القسي قد استجبوا وقسي الشريان والبع اعراية انة مختلفة الاجناس معككة الحمل ونصول النيل مسومة وتركيبها عراقي وتريشها بدوي ة الصوغ في الطبع شئ الاعمال في التشطيب والاستزادة ولكن الفارسية مقبولة المقابض منسطة السنة سهلة الانعطاف مقربة الانحناء ممكنة المرمى واسعة الاسهم فرضها سهلة الورد معاطفها غير ممنون (١) المواتة

ثم قول على كل مائة رجل منهم رجلاً من اهل خاصتك وثقاتك ونصائحك وتقدم اليهم في ضبطهم وكث ٠٠ واستنزل نصائحهم واستعداد ضاعتهم واستخلاص ضيقتهم وتعيد كراعمهم واسلحتهم معنياً لم من التواب انني يقيم اهل المعسكر ونمة جندك ثم اجنبه عدة لامر ان فاجاك او طارق يبتك ٠ ومروهم ان يكونوا على اهبة معدة وحزم فالتك لاتدري اي الساعات من ليالك ونهارك تكوب اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في الشهور والتردد وسرعة الاجابة فالتك عيب ان لاتجد عند جماعة جندك مثل تلك الروعة والمباغحة ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معدة بل ذلك كذلك فاذا ذكرها ولي الذين لبثت ؟ اعدتك وقوتك تقويًا قد قطعت على القواد الذين ولبنتهم امورهم فسميت اولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت فيما يبدحك ويطرقك لبث واحد كان معدا لم تحتج فيه الى امتحانهم في ساعتهم تلك وقطع البعث عليهم عندما يهرفك وان احتجت الى اثنين وثلاث وجهت منهم ارادتك ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلاً أميناً صالحاً ذارِعاً ديناً قاضٍ واجل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزهاً وترحلاً مع خزائنك وتقدم اليه في حفظها والتوفر عليها وانها من يستولي على شيء منها على اضعافه والتهاون به والشدة على من دنا منها في مسير اوضاعها

في منزل . ولكن عامة الجند والجيش الا من استعملت المسير معها متعين عنها مجابئين لما فانه ربما كانت الجولة وحدث الفرقة فان لم يكن للفرائض ممن يوكل بها اهل حفظ لما وذب عنها اسرع الجند اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهم الى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فان لعل الفتن وسوء السيرة كثير وانما هممتهم الشر فاياك وان يكون لاحد في خزانك ودواوينك ويوت اموالك معلمه او يجردوا الى اغتيالها ومررتها ١٩١ ان شاء الله .

اعلم ان لحسن مكيدتك اثرًا في العامة وابعدنا صوتا في حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحسن الروية وحزم التدبير ولطف الحيلة فلتكن رويتك في ذلك وحركك على اصابتها لا بالقتال واخطار التلف . وادسس الى عدوك وكاتب رؤوسهم وقادتهم وعدم المبالاة ومنهم الولايت وسوغهم التراب وضع عنهم الاحز واقطع عنهم اعناقهم بالمطاعم واملا قلوبهم بالترغيب وان امكنتك منهم الدوائر واصار بهم اليك الرواجع وادعم الى الوثوب بصالحهم او اعتزله ان لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتبًا كأنها جوابات كتب لم اليك وتكتب على الستهم كتبًا اليك يدفعها اليهم ويحمل بها صاحبهم عليهم وتزلم عنده منزلة التهمة فلعل مكيدتك في ذلك ان يكون فيها افتراق كتبتهم وتشتت جماعتهم واحش قلوبهم سوء الفتن من واليهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على انفسهم اذا اقتربا بانها متايام فان بسط يده بقتلهم واوله في دمائهم سيفه واسرع في الوثوب بهم اشعرهم جميعًا بالخوف وشغلهم الرعب ودعاهم اليك الحرب وتهيأوا لنجوك بالنعيمية وان كان متأنياً محصلاً رجوت ان تسهيل اليك بعضهم وتستدعي بالطمع ذوي الشر منهم وننال بذلك ما تحب من اخبارهم ان شاء الله .

اذا تدانى الصفان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب فعبأت اصحابك لقتال عدوم فاكثروا لا حول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله والتفويض اليه ومسأله توفيقك وارشادك ولن يزعم لك على الرشد والعصمة الكائنة والحيلة الشاملة .

ومر جندك بالعمى وقلة التلفت الى المشار له وكثرة التكبير سيفه انفسهم والتسبيح بضائرهم والا يظهروا تكبيراً الا في الكرات والحللات وعند كل زفة يردونها غاموهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن . وليكثروا من لا حول ولا قوة الا بالله حسناً لله ونعم الوكيل . اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي واكفنا شوكة المستعدين وايدنا بسلامتك الغالبين واعصمنا بموتك من القتل والعجز انك ارحم الراحمين .

وليكن في عسرك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوم ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ويذكرونهم الجنة

ورخاء أهلها وسكانها ويقولون اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم . وإن استعنت  
 أن تكون أنت المباشرة لصبيته جندك ووضعهم من راياتك ومعك رجال من ثقات فرسانك  
 ذوو سن وتجربة ومجدة على التمية وامير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه هذا ان شاء  
 الله ايدك الله بالتصرو غلب لك على القوة واعانك على الرشد وعصمك من الزيف واوجب  
 لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته  
 ومن الرسائل المفردات في الشطر في رسالة عبد الحميد

اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبيله وايضاح معاليله باظهار قرائنه وبعث رساله  
 الى خلقه دلالة لم علي ربيوته واحتياجاً عليهم برسالاته ومقدماً اليهم بتأذره ووعيده  
 ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم ختم بنيه صلى الله عليه وحيه وفقى به  
 رسله وابتعث لحياء دينه الدارس مرتضياً له على حين انطمست له الاعلام مخفية وتشتت  
 السبل متفرقة وعفت آثار الدين دارة وسطع ربح الفتن واعتلى مقام الظلم واستنهد (١)  
 الشرك واسد (٢) الكفر وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ونطق زعيم الباطن  
 بسكرة الحق واستطرق الجور واستكبح (٣) الصدوق عن الحق واقطر (٤) السلب (٥)  
 الفتنة واستفصرم لقاحها وطبقت الارض ظلمة كفر وغيابة فساد فصدع بالحق مأموراً وبأن  
 الرسالة معصوماً ونصح الاسلام واهله دالاً لم علي المرشد وقائداً لم الى الهداية ومنيراً لم  
 اعلام الحق ضاحية مرشداً لم الى استفتاح باب الرحمة واعلان عروة النجاة موضحاً لم سبل  
 النوايا زاجراً لم عن طريق الضلالة محذراً لم المهلكة موعزاً اليهم في المقدمة خارباً لم  
 الحدود على ما ينتقون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون صابراً نفسه على  
 الاذى والتكذيب داعياً لم بالترغيب والترهيب حزيناً عليهم مقتنئاً على كافتهم عزيزاً  
 عليه تهنئهم رؤوفاً بهم رحماً تقدمه شفقتهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه  
 فيها بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى  
 الله عليه ناصحاً منتهاها اميناً مأموراً قد بلغ الرسالة وادى التهمة وقام بالحق وعدل عمود  
 الدين حتى اعتدل ميله واذل الشرك واهله وانجز الله له وعده واره صدق اسبابه في اكاله  
 للمسلمين دينه واستقامة سننه فيهم وظهور شرائعه عليهم قد ابان لم موبقات الاعمال  
 ومفطحات الذنوب ومبطلات الاوزار وظلم التبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان ونسبهم

(١) نهد الرجل نهض ولعدوه صمد له والمناجدة المناهضة في الحرب (٢) اسد اظلم  
 (٣) يقال نكح الناس عينه عليها (٤) اقطراشتد (٥) السلب الغنول من الرجال ومن  
 الخيل ما عظم وكاد

الجزء ٥

(٤١)

المجلد ٣ من المقتضب

به التوايات ووضح لهم اعلام الحق ومنازل المرائد وطرق الهدى وابواب النجاة ومعالق  
الصحة غير مدخولهم فصحا ولا ممتنع في ارشادهم غنا  
فكان مما قدم اليهم فيه نبيه واعلمهم سوء عاقبته وحذرهم اصره واوعز اليهم ناهيا واعظا  
وزاجرا الاعتكاف على هذه التائيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الاثم  
وموبق الوزر مع مشقتها عن طلب المعاش واخرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات  
في موافقتها مع جميع المسلمين وقد بلغ امير المؤمنين ان ناسا ممن قبلك من اهل الاسلام  
قد الهجهم الشيطان بها وجمعهم عليها والف بينهم فيها فهم متكفون عليها من لدن  
صبيهم الى ممسام مليية لم عن الصلوات شاغلة لم عما مروا به من القيام بسنن دينهم واقترض  
عليهم من شرائع اعالمهم مع مداعتهم فيها وسوء لفظهم عليها وان ذلك من فعلهم ظاهر في  
الاندية والمجالس غير منكر ولا معيب ولا مستفطع عند اهل الفقه وذوي الورع والادبان  
والاستنان منهم فا كبر امير المؤمنين ذلك واعظمه وكرهه واستكبره وعلم ان الشيطان عند  
ما يش منه من بلوغ ارادته في ماضي الله عز وجل بهصر المسلمين وجمعهم صراحا وجبارا  
اقدم بهم على شبهة مهلكة وزين لهم ورطة موبقة وغرم بمكيكة حيله ارادة لاستهوانهم  
بالخدع واجتياهم (بالشبه والمراصد الخفية المشككة بكل مقيم على معصية الله صفرت او كبرت  
مستحلا لما مشيدا بها مظهرا لارتكابه اياها غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ولا  
خائف مكروها فيها ولا رعب من حلول سلطوته عليها حتى تلحقه النية فتغلبه وهو مضر  
عليها غير نائب الى الله منها ولا مستغفر من ارتكابه اياها فك قد اقام على موبات الاثم  
وكبار الذنوب حتى مد به مخرم ايامه .

وقد احب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما يلغى عنهم وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم  
ما في اغفانهم عليها وما لم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فاذن (٢)  
بذلك فيهم واشده في اسواقهم وجميع اندبتهم واوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطك  
في انهاك العقوبة لمن رجع اليه من اهل الاعتكاف عليها والاضمار للعب بها واطالة جسسه  
في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين وانفطهم عما هجوا به من ذلك  
والتمس بشدتك عليهم فيه وانهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع امير المؤمنين  
ورأيه ولا يجهن احد عندك هواده في التقصير في حق الله عز وجل والتبدي لاحكامه  
فقل بنفسك ما يسوءك عاقبة مغيبته وتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله واكتب الى امير  
المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام .

(١) اجتالم حوالم عن طريق قصد (٢) آذنه الامر وبه اعلم

وله تحميد في أبي العلاء الحروري :

الحمد لله الناصر لدينه وأوليائه وخلفائه انظر لحق واهله والمذل لأعدائه واهل  
البدعة والضلالة الذي لم يجمع بين حق وباطل واهل طاعة ومعصية الا جعل البصرة واتباعه  
والعاقبة لاهل حقه وطاعته وجعل الخزي والذلّة والصغار على اهل الباطل والخلاف والمعصية  
حمداً يقبله ويرضاه ويوجب به لأمير المؤمنين واهل طاعته الزيادة التي وعد من شكره .  
والحمد لله على ما يتولى من اعزاز أمير المؤمنين ونصره وافتلاحه واظهار حقه على ما وقع  
باطلانه واهل معصيته والخلاف عليه من سطواته ونقياته وبأسه فيما ولي أمير المؤمنين من  
موالاة من والاه وعداوة من بنى عليه وعاداه لا يكفه في شيء من الامور الى نفسه ولا الى  
حوله وقوته ومكيدته فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به .

تحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العلي مكانه الخير برهانه العزيز سلطانه الناجية كلمته الشافية آياته النافذة  
قضاؤه الصادق وعده الذي قدّر على خلقه بذلك وعزّ في سماواته بعظمته ودير الامور بعله  
وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه مبتدعاً لها بانثائه اياها وقدرته عليها واستصنائه  
عليها نافذاً ارادته فيها لا تجري الا على تقديره ولا ننتهي الا الى تأجيله ولا تقع الا على  
سبق من حتمه كل ذلك بلطفه وقدرته ونصريف رحيه لا تعدل لما عده ولا سبيل لما  
غيره ولا على احد بجنائياها ومعادها الا هو فانه يقول في كتابه الصادق وعنده مفاتيح الغيب  
الى آخر الآية .

ولعبد الحميد في فتح بمظلم فيه امر الاسلام

اما بعد فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام ديناً رضي شرافه وبين احكامه ونور هداة  
ثم كنفه بالزمويد وايدته بالظفر القاهر وآزره بالسعادة التقيية وجعل من قام به داعياً  
اليه من جنده الغالبين والناصره المسلمين كلماً قهر بهم مشاؤونا ورشهم باعهم المأهولة واموالهم  
المثرية ودارهم المنسية ودولتهم المطولة امراً حتمه على نفسه ثم حل من عاقدهم وابتنى غير  
سبيلهم مسلماً قد استهوته ذلة الكفر بظلمها وحيرة الجباله بجوارها وتيه الشقاء بفناؤه وكلما  
ازدادوا لدعوة الحق اياه ازداد الحق اليهم ازدلالاً وعليهم عدوكاً وفيهم اقامة الى ان يحل  
بهم عزّ النبله ونجاة التقاؤهم داعين فيما شوقهم اليه محافظين على ما تدبّرهم به قد بذلوا في  
طاعة الله دماءهم وقبلوا المروض عليهم في مبايعة ربه لم ياتسبهم الجنة محمود صبرهم مهبل  
بهم عزمهم الى خير الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذي أكرم محمداً صلى الله عليه بما حفظ له من امور امتهم واختار لولايته

نبوته ما اصرار الى امير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به وشجع عليه ومنافعة فيه ان قل وقيل (?)

والحمد لله الذي تم وعده لرسوله وخليفته في امة نبية مسددا له فيما اعترزم عليه . والحمد لله للمزليته للتولي نصرامة نبية التقي عمن عاداهم وناوهم حمدا يزيد به من رضي شكره وحدا يلوحده الحامدين من اوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف وجلت اباديه فلا تحصى الذي حملنا ما لا قوة بنا على شكره الا بعونه وباقه يدعمين امير المؤمنين على ذلك واليه يرغب انه على كل شيء قدير .

ولعبد الحميد ايضا

لما بعد فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وارفضاه ديناً للملائكته واهل طاعته من عباده وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه واكرمهم وفضلهم وجعلهم بما اتمه عليهم منه اوليائه المقربين وحزبه الغالبين وجنده المنصورين وثوكلهم بالظهور والعلج وقضى لهم بالعلو واتسكين وجعل من خالفه وعزب عنه وابغى سبيل غيره انداءه الاقلين واوليائه الشيطان الاخسرين واهل الضلالة الاسفلين مع ما عليهم في دنياهم من القتل والعنار . فاعجل لهم فيها من الغفلان والانتقام الى ما عند الله في آخرتهم من انظري والمغولان المقيم والمذاب الاليم انه عزيز ذو انتقام

وكتب عبد الحميد الى اخ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان

اما بعد فان مما اعترف من مواهب الله نعمة خصصت بزيئها وأصنفت بخصيئتها كانت أسرى من هبة الله لي ولدي اسميته فلاناً واملت يقائه بدي حياة وذكرى وحسن خلافة في حرمتي واشرا كه اياي في دعائه شافاً لي الى ربه عند خلواته في صلاته ومجده وكل موطن من موطن طاعته فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجددي وظهر به سروري وتسلطت عليه مني أنسة الولد وتولت عني به وحشة الوحدة فانا به جذل في منيبي ومشهدي أحول مس جسده يدي في الظلم وتارة اعانته وارشفه ليس يبدله عندي عظيمات القوائد ولا منقبات الرغائب . سرني به ولعبه لي على حين حاجتي فشد به أزرعي وحملني من شكره فيه ما قد أدني بقتل حمل النعم السالفة اليه به المترونة سراياها في العجب بطرات ما يدركني به من رقة الشفقة عليه مخافة مجاذبة المنايا اياه ووجلاً من عواصف الايام عليه

فأسأل الله الذي امتن علينا بحسن صنعه في الارحام تأديبه بالزكاء وحرصه بالمناية ان يوزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره وان يحبل ما يهب لنا من سلامته والمدة في عمره

موصولاً بالزيادة مقروناً بالمافية محوطاً من المكره فانه اللتان بالمواهب والواهب للثى لاشريز.  
له . حملني على الكتاب اليك لعل ما سررت به علي يحاكك فيه وشركتك اياي في كل  
نعمة اسداها الي . ولي التعم واهل الشكر اولى بالزيد من الله جل ذكره والسلام عليك  
وكتب عبد الحميد عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلافة  
فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه وبلائه عنده في ولده واهل  
المنته والخاص من اموره والعام والجنود والقواصي والثغور والديار من المسلمين على ما  
يزل ولي بالتم (٩) فتولاه من امير المؤمنين حافظاً له فيه ومكرماً له بالمياطة لا الهمة  
الله فيه من امر رعيته وعلى اعظم واحسن واكل ما كان يحوطه فيه ويدب له عنه والله  
محمود مشكور اليه فيه مرغوب . احب امير المؤمنين لعمه بسرورك به ان يكتب اليك  
بذلك لحمد الله عليه وتشكره به فان الشكر من الله باحسن الموانع واعظم الشاغل فازدد  
منه تردد به وحافظ عليه وتحفظ به وارغب فيه بيد اليك مزيد الخيرة وفدائس المواهب  
وبقاء النعم فاقرني على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ليسر به جندك ورعينك ومن  
حمله الله النعم بامير المؤمنين ليعمدوا ربههم على ما رزق الله عباداً من سلامة امير المؤمنين  
في بدنه ورأته بهم واعزائه بامورهم فان زيادة الله تملو شكر الشاكرين والسلام  
ولعبد الحميد الى مروان في حاجة

ان الله بجمته علي لا رزقي للثقة من امير المؤمنين جعل نعماً شكرها مقروناً بها  
لثى بالزيادة والشكر مصاحب لما فليست تدخلني وحشة من ابتاه حاجتي وانا اعلم انه  
ر وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغناني عن استزادته ولكني تكنتني مؤن استغفرت  
ما في يدي وكنت خلفك من الله منتظراً فاني انما اقلب في نعمه واقترع في فوائده واعتصم  
بسالف معروفه كان عندي

ولعبد الحميد في وصف الاخاء

فان اولى ما اعترم عليه ذور الاخاء وتوصل اليه اهل المودات ما دعا اسبابه صدق  
التقوى وبنيت دعائمه على اساس البر ثم انهذ الينا حزين (٩) التواصل وشيده مستعذب  
العشرة فادعم قوياً وصني مرتقا وبخاسه (٩) الحققة منمنطة وسكنت به القلوب ائبسة وسمت  
من مواصلة الهمم مستعيلة عن كل زائغ معتاف وخوف عارض يحترم مسكة الاخاء  
ويختار مريبوب المقة ضناً بما استمدوا من محمد وثاقه واذاً فاداً فيا تحلقوا بهمن حلاوة جناه  
فاذا استحك لهم مدخور الصفاء بثبات اواخيه وظهور اعلامه ومحصول غيرة وثقة مواده كان  
سرورهم باعتلاقه وابتهاجهم بوجدانه وانما هم صلته وبفلم رعايته وحياطتهم بمحودة بحيث



نالوا من معرفته حظوته واستولوا عليه من مزية كرمه وتعرفوا من ذخيرة عائدته ومأمون  
حفاظه وكشف لهم عن نفسه مظهرًا اعلامه مبدئياً دفينته طارحاً قناع سره معلناً مكنون  
ضميره في تأتي الدار وجدان (٣) المجتمع باظهار ما استتر من الخامن وبث في الحقب من  
المكارم قياماً لم بالنصرة وحياطاً للمودة وترغيباً في العشرة فكان اكف لجلاء واحرز حصن  
واحصن حجة واعين ظهير وايضاً ذخيرة واعظم فائدة واشرف كنز وانغرس صنيعة وآتى منظر  
واينع زهرة اكثر الاشياء ريباً وانماها وصلاباً وامدها سبباً واقواها ايدياً واحلاها ذوقاً  
وادعمها ثباتاً واراسها ركناً لا يدخل مستحقها سامة ملال ولا كلال مهنة ولا تشيط ونية  
ولا ضعف خور لتقول باثقة او طروق طارقة من عوارض الافئدة وحوادث الزمان بل  
مواسياً في ازدهارها غمرات قمحها (١) متدرجاً هائل يوائها مستلجماً (٢) نواظر مقاطعها  
حتى تصير به الاقدار الى ثنائها ويبلغ به الفضاض مقدار غير منان النصره ولا يبرم التعب  
يرى قبه غنىاً وقبه دقة وكلفه فائدة وعمله مقصراً وسعيه مفرطاً واجتهاده مضيقاً عدل  
الولد في يره والوالد في شفقته والاخ في نصرته والجار في حفظه والذخر في ملكه فابن  
المعدل عن مثله او كيف الاصابة لشبهه او انى عوض من فقدته جمعنا الله وياك على طاعته  
والثنا بجلاله وجل اخوتنا في ذاته

قد حدثت لك اي اخي الاخاء متشعباً ووصفته لك مخلصاً وانتهيت بك الى غاية اهل  
العقل منه وما تواصل اهل الرأي عليه ودعا اليه الاخاء من نفسه منتطقاً به ضامناً له ما  
فرط في ذلك تقصير من اهله وداخله تفصيل من حملته او حاطه احكام وكلفه حفاظ  
من رعاته .

واقاني كتابك تأسأت من ذلك وعقلي مصور ورأيت منقسم وذهني ليا يتأهب به  
الامير . . . والله من خور الترك واختلاف رسله الى جبال اللان والطبران وما والاها  
بجوافذ امره ومخارج ربه فانا مصيب السمع لفظه عقل العقل عن سوى امره محتضر الذهن  
في تدبيرهم ذهل القلب عن تفنين القول وتشعب الكلام في تصنيف طبقات الرجال ومن  
ابن دخل عليهم نقص الاخاء وكيف خانهم موثق الصفاء وقد صرحت لك عن رأي ذوي  
الصفاء وكشفت لك خبايا الاخاء وجمعت لك الف مودة اهل المحبي فلنقاً ما وصفت لك  
بقلب فهم عقول ذي ميزة يقظان وذهن جامع حافظ ذي ثقافة راع احضرك الله عصمة  
التوفيق وسدك الله لامابة الرشد ومكن لك صدق المزينة والسلام .

(١) القصة بضم القاف الاقحام في الشيء والمهلكة

(٢) استلم بمجولاً روعى في القتال

ومن رسائل عبد الحميد ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياها (١) ان الله تعالى اتمم امير المؤمنين من انسيته وقربته متاعاً مده الى اجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعارفته قبض اليه العارية ثم اعطى امير المؤمنين من الشكر عند قبائها والسير عند ذهابها انقصر منها في القلب وارجح في الميزان واسنى في العوض فالحمد لله وانا اليه راجعون . وكتب موصياً بشخص يقول :

حق موصل كتابي اليك كحقه علي اذ جعلتك موضعاً لامله وراي اهللاً لحاجته وقد اغتربت حاجته فصدق امله .

وكتب في فتنه بعض المال من رسالة :

حتى اعتراني حنادس جهالة ومهاوي سبل ضلاله ذللاً لسباقه وسلماني قياده الى تزل من حميم وتصلية جسيم سوى ما اتقمت الحفيظة في نفسه من عوائد الحدك وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالناتبة ومبارزة لامير المؤمنين بالحاربة وبجاهرة للمسلمين بالخالفه الى ان اصبح بفلاة قفرونية صفر بريدة الخاط يطع دونها التياط وكذلك الله يفعل بالظالمين ويترجمهم من حيث لا يعلمون .

وكتب من رسالة اخرى الى اهلله وهو متميز مع مروان :

اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده انحط فيها سكن اليها ومن غشته بنائها منها ساخطاً عليها وشكاهها مستزبداً لها وقد كانت اذا قلنا القويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورحمتنا مولية فطلع عندها وخشن لينها فابعدتنا عن الاوضاع وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً واليك وجداً فان ثم البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من اظفار من يليكم ترجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار . نسأل الله الذي يميز من يشاء ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم اللفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابواب والادبان فانه رب العالمين وارحم الراحمين .

وله من رسالة (١) كتب بها عن آخر خلفاء بني لمية وهو مروان الجعدي لفرق العرب حين فاض النجم من خراسان بشعار السواد قُئِمَ بالدولة العباسية .

فلا تمكنوا ناصية الدولة العرية من يد اللفة الضميمة واثبتوا ريثما نطلي هذه النمرة ونهجو من هذه السكرة فينبض السيل ونحى آية الليل والله مع الصابرين والماتبة للثقلين

(١) هذه الرسائل الاربع منقولة عن شرح رسالة ابن زيدون (٢) اوردها صاحب كتاب

عنوان المرقصات والمطريات

## الحجاسة البصرية (١)

تقدم لهم بقلم الطائي فيناحسب غيره من زعماء القريض وحمله رايات الادب فجمع ما وقع اختياره عليهم من شعر العرب المر بأوسماه (الحجاسة) وأخذ أحذوه غيره في ضم شقيت شعر العرب ولكل اختياره ومنهم الشيخ أبو الحسن صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري الف حسانه يرسم الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر سنة ٦٤٧ هجرية وسماها الحجاسة البصرية . قال في مقدمته : توخيت في تحرير مجموع يعتز على قلائد اشعارهم (العرب) وغرر اخبارهم بمجنبات الاطلالة والاطناب بما يحسنه ابواب الكتاب كاملا في السلاء وحاسات الادياء ودواوين الشعراء من فحول الحديثين وجواهر الكلام غير انهم قد نسبوا فيها اشياء الى غير قائمها ولم يقيدوا الكتاب بترجمة ابواب ففقدت فرائدهم جديدة الا لانظام مستصعبة على الحفظ والافهام فجاء مشتتاً على غرائب البديع وملح الصريف والتوصيح ثم ان الشعر على اختلاف ما ناه واصله وبنايه ينقسم الى نعوت واصواف فما وصف به الانسان من الشجاعة والتسدة في الحرب والصديق في موطنها يسمى حسانه وبسالة وما وصف به من حسبه كرم وطيب محمد سمي مدحا ونقرا يظا ونقرا او ما نثني عليه بشي من ذلك ميثا يسمى رثاء وتأيينا وما وعفت به اخلاقه المحموده من حياده وعفة واغشاده عن الفحشاء ومساحه الاخلاء سمي ادبا وما وصف به الفساده من حسن وجمال وغرامهم سمي غزلا ونسيبا وما وصف به من ايقاد النيران ونباح الكلاب سمي نحرى وضيافة وما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونجاسة سمي هجاء وما وصف به الاشياء على اختلاف اجناسها وانواعها سمي نمثا ووصفا وملحاً وما ذكر به الاشارة الى الله تعالى ورفض الدنيا سمي زهدا أو هجلا . وما كغوذجات منه قال رجل من غم يحرض الاسود الفضي وذلك انه كانت حرب بين ملوك هملن وملوك العراق وهم غم فظفر الفسائيون بالقميين وقتلوا جماعة منهم ثم في آخر السنة التقوا في ذلك الموضع وكان قد جمع القميين جماعة عظيمة فظفر وابالفسائيين وامر وامنهم جماعة واراد ملكهم ابن الخضر الاسود البقاء عليهم فقام رجل من قومه وكان قد قتل له اخ يجره على قتلهم فقال .

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا	ولا يسوغه المقدار ما وهبا
واحزم الناس من ان نال فرصه	لم يحصل السبب الموصول مقننبا
وانصف الناس في كل المواطن من	سقا المعادين بالكأس الذي شربا
ومنها لا تقطعن ذنب الافى وترسلها	ان كنت شحاً فالحق رأسها الذنبا
ومنها هم اهله غسان ومجدم	حال فان حاولوا ملكاً فلا عجبنا
وعرضوا بقداه واصفين لنا	خيلاً والبلا تروق العجم والعربنا
المجلبون دما منا ونحلبهم	رسلاً لقد شرفونا في الوري حلبا

## المتحفان المصريان

## المتحف المصري القديم

من طاف في أرجائه وتجول بين معروضاته وحقق نظره في عذريته وغرائب آثاره — أدرك لأول وهلة عجزه عن ان يفي تلك الآثار حقها من الوصف وبيان المعنى الذي وضعت له والغرض التي اتخذت من أجله . وان ذلك المتحف بما حواه من الآثار الجنية التي كادت تنفوق الحصر كالبحر الزاخر المتلاطم بالامواج : ففيه أدوات وهنات ( خرداوت ) لا يكاد يتبينها الخرف لدقتها وصغر حجمها كما ان فيه من الحاريب والتماثيل الهائلة . والعهد الممددة أو الماثلة . ما ينوء بالعصبة أو لي القوة ويحتاج في زحزحته من مكانه إلى تعصيد الآلات وأعمال الماكينات فكيف يتسنى للكاتب ان يودع أوصافاً وملاحظات غير محدودة في مقالة محدودة . ذات سطور معدودة . مثل بعض الزعاعظ عن معنى قوله تعالى « والسماء ذات الجنبك » فأجاب بقوله : السماء هي التي نشاهدها فوق رؤوسنا وأما الجنبك فهو شيء لانعرفه لانحن ولا أنتم . وهكذا أراني عاملاً في الاعتذار لأديب كلفني وصف المتحف وآثاره : فاقول : المتحف بناء جليل بجوار قصر النيل وأما العاديات التي فيه فشيء لا أعرفه . ولا يتيسر لي وصفه : المتحف المصري مكتبة تاريخ ومعم هير وغليف ومعرض صناعة وهيكل عبادة . والباحث في عاديته يلزمه ان يعرف — عدا عما ذكر — التاريخ الطبيعى والكيمياء والهندسة وان يكون له ذوق خاص في الفنون الجميلة كالنحت والنقش والتصوير والا كان شأنه ان يدخل فيرى كل شيء ثم يخرج فلا يبقى في ذهنه شيء اللهم الا وقفة على رأس « رعمسيس الثاني » تنزع المرء من عالم الشهادة الى عالم النيب . وتقذفه فيها أمواج اليقين على صخور الريب .

إذا دلنا النيل بصراحة على أن الامة المصرية القديمة أمة زراعية بطبيعتها فإن هذا التحف يدلنا بأكثر صراحة على أنها كانت أيضاً أمة صناعية ضربت في اتقان الصنائع وأحكامها بسهم وافر

أما الكهانة والديانة والعبادة وسر الروح والموت والحساب والعقاب فهذا يكاد ينطق به كل أثر وقع عينك عليه في هذا التحف .

وقد راعت الحكومة النظير في البناء الذي شيدته لتلك الآثار . فكان نغمًا منغمًا مثلها : بل ربما قاسمها اعجاب الزائرين . ولفت اليه عنها أنظار المتفرجين . والتحف قسبان : وقد وضع في القسم السفلى العاديات الضخمة الهائلة : ففيه ألواح وصفائح حجرية كبيرة جدا وقد رسم عليها بالخط البرهائي صور طيور وحيوانات واشارات ورموز أخر وتخللها صور شيوخ أيضاً . وهذه النقوش تراها منبثة على ظاهر التوابيت والنواويس والتماثيل وقلما يخلو أثر منها . وأكثر ما يرى بين تلك النقوش من الحيوانات صور الجملان والمجول والبربان ثم القروذ والبواشق وبنات آوى . ولا أذكر أنني رأيت ما بين تلك الصور صورة فرس أو فارس فكأن المصريين القدماء ما كانوا يقتنون الخيول ولا يزاولون الفروسية . وقد ترى على ظاهر التابوت الحجري صورة بقرة يحملها رجل وقد ربط عجلها من مقوده بأحدي قوائمها كيلا يفلت ويضل .

والفرق بين التابوت والنواوس أن الأول على هيئة الصندوق من الحجر أو الخشب ويوضع على الأرض كما يوضع الصندوق . أما النواوس فوضعه عمودي وقمته على طول الانسان المقابل له بحيث يمكنه أن يدخل تلك الفتحة كما يدخل من باب الدار . وترى بين المعروضات موائد من حجر على أشكال مختلفة . وهي كذائم يضم عليها كهنة المصريين الادوات التي يمارسون بها طقوس عبادتهم .

ورى تماثيل حجرية هائلة جدا منها ماهو على اسم المعبودات ومنها ماهو على اسم الملوك والفراعة . وشأن المصريين كشأن اليونان الاقدمين : من حيث ان القبطيين مزجوا بين معبوداتهم وملوكهم حتى اختلط حابلهم بنابلهم . وقد خدوا من حجر الغرانيت سفينة سموها مقدسة . وكان المقدسة عندهم هي التي يتخذونها للجنائز ونقل الموتى من شاطئ الى آخر . ويوجد من تلك السفن زورقان كبيران كالزوارق الاعتيادية وباقيا مثل صغيرة تمثل الكيرة في سواريتها وأشرعتها وملاحيا . وهي في الدور العلوي وليس الاكثر من التوايت الحجرية والخشبية والاولى مغطاة بالحجارة منحوتة على شكل الانسان تمثل الميت المودع فيها أما الاخرى الخشبية فيرسم على غطائها صور ذات ألوان وأصباغ تمثل الميت أيضاً . وفي هذا القسم كثير من الاجسام المختلفة في الحجم والشكل فمنها العمودي ومنها الهرمي وكثير منها شظايا حفظت لتجمع مع ما يواظمها ويألف معها أما الدور العلوي فيه معظم العاديات وأنفس ذخائرهما وأمن كنوزها : ومن ذلك مجموعة الحلي والمصوغات . ومجموعة المومياءات البشرية . وأخرى للمومياءات الحيوانية . وتماثيل النسيج والخزف وأجناس المعبودات والتوايت والامثلة والادوات والحُرثيـ في نظير ذلك مما كان المصريون القدماء يرتفقون به في منازلهم ويعتدون عليه في قضاء مصالحهم ومزاولة مختلف منهن . وأعمالهم . والمومياء كناية عن جثة الميت تعالج بالأدوية والعقاقير ثم تشد وتلف بقطع ونقش من النسيج شداً ولقفاً محكمين على شكل خاص فيحفظ بذلك من البلى وتصل سليمة الى الدار الاخرى ويوجد في المتحف من تلك المومياءات زهاء عشرين مومياء ما بين ملوك وملكات وقواد وكهان وأطفال صغار . وفيها مومياء أعظم وأجل ملك قام في تاريخ مصر القديم وهو رمسيس الثاني من ملوك العائلة التاسعة عشرة واذ انظرت

الى تلك الجثث رأيت عجبا وباعثا على الاتعاض والدهشة الى حد الدهول وانفعال  
المشاعر. ولم يبق من تلك التجاليد الا رق من جلد على فخ من عظم. وقد تتراى  
لك نزع (قطع) اللحم محمرة أو كامدة اللون لكنهن لاثقة على الاعضاء والانفاذ  
حتى عادت كالجلد اليابس. ومن تلك الجثث ما هو سليم تام الجوارح ومنها ما تشوه  
بهت أسنانه أو صم آذانه أو سمل عينه أو هشم أنفه. ومنها ما أمسى لونه أسود  
كالزنجي. ومنها المحمر والرصاصي اللون وما استولت عليه الكدمة

وقد قال أبو النجم الشاعر العربي ان جذب الليالي وكروا الايام عليه حلت  
شعر رأسه وميزت عنه قزعاً عن قزع فماذا يقول هؤلاء الفراخنة وقد كرت  
عليهم آلاف من السنين فوق الارض وتحته ثم فوقها ثانية اذا رأينا شعورهم  
مدلاة خصلا وقنازع ذات ألوان منكبة لا يدري هل هي طبيعية أو نشأت  
عن جذب دهر الدهارير. أو تأثير الادوية والمقابر

وأذا رأى المرء هذه المومياءات تذكر ما قاله ابن خلدون من أن الاقدمين  
ما كانوا اضمخ مناجثة ولا أطول قامة الى الحد الذي وصفه القصاص والممخرفون  
واتمام اسم أمثالنا بدليل تلك المومياءات التي عثروا عليها في المدافن والنواويس.  
كما ان قلب الفكر في هذه الجثث يوحى الى النفس بان العذاب الذي أوعده  
انكفرون في برازهم لا يصيب الا الروح. والا فيلزمنا القول بان أموات  
المصريين الاقدمين كانوا على عقيدة صحيحة تهيمهم من عذاب البرزخ. أو انهم  
لم تبلغهم دعوة رسول فماتوا معذيين. أو يقال ان صناعة التحنيط المصرية كانت  
تحول بين القدرة الالهية وبين التكيل بهذه المومياءات فلا يصيبها شر ولا يلحقها  
أذى. اللهم غفرا. أما المومياءات الحيوانية فلها مستودع خاص بها. وترى هناك  
تمساحين طوال الواحد زهاء أربعة أمتار. وسمكة طولها أكثر من متر وطير

ماء ودجاج وأفراخ وكلاب وقطط وقرود وغزلان ووعل وخرقان وهذه الاجناس  
 الاخيرة ماثلة امام النظارة هيا كل عظام مجردة عن اللحم . كما ان بعض الخيول  
 والقرود لها نواويس تناسب حجمها قد أودعت فيها . وبين هذه الموميאות كثير  
 من الاصداف والابواق والقواقع البحرية وعدة قطع من الذبل (عظم السلاحف)  
 ومن بيض الدجاج وبيض آخر أكبر منه وأصغر من بيض النعام . وقد الحقوا  
 بهذه الموميאות الحيوانية موميات نباتية فترى غصوناً وأوراق أشجار وأثمارا  
 وضروباً اخرى من النبات وحبوباً وبذوراً وعدة أقراص من الخبز وقرص عسل  
 من شمع النحل . وكلها معالجة بالادوية والعقاقير ومحفوظة بذلك من الاندثار  
 واذا حفظ المصريون أجساداً موتاهم من البلى لتقوم سليمة ساعة الحشر والانشور  
 فلا بدع اذا تداركوا لهم من أطايب الزاد وشهي الأثمار مايقوون به على تحمل  
 اعباء الحساب . ولكن ما الغرض من حفظ جثث الكلاب والقطط والقرود  
 ياترى ؟ وقد خصصوا في المتحف مكاناً للحلي وأدوات الزينة وانك لترى فيها  
 قطعاً نفيسة جدا . واذا أدركت كنه بعضها وقصته الغرض الذي تتخذ لاجله  
 كالاسورة والعقود والحواتيم — فانك ترى منها مالا تعرف له مغزى ولا تفقه له  
 غرضاً بل اذا حاول المرء وصفه بقلمه أو لسانه فلا يقدر عليه . ومن ثمة كانت  
 الزائرات من نساء الافرنج يصورون ما يستحسنه من تلك القطع في مذكراتهن  
 تصويراً . وقد رأيت فتاة تصور خنجرا له مقبض جميل مطوق بالذهب ومرصع  
 بالاحجار الكريمة . واخرى تصور عقدا مؤلفاً من عدة أسلاك نظمت فيها  
 الاحجار الكريمة وفصلت بالجلتان وخيوط الذهب تفصيلاً . وليست تلك الاحجار  
 الكريمة مما نعهده بيننا اليوم كاللاس واللؤلؤ والياقوت والمرجان وإنما هي أجناس  
 اخر ليست منها وليس لها بريقها وبصيصها . ثم اذا طفت في ارجاء ذلك المتحف



وقلبت طرفك بين عاديته وذخائره بصرت بأشياء وأدوات كثيرة : منها ماله  
مثال في مرافقنا وتكاليف مدينتنا كالجرار والاسرة والمسارج. ومنها ما ليس له مثال  
كقطع من خزف أو طين على هيئة مخروط لا يعرف المرء منفعتها مما قلب فيها الطرف  
وأخرى متخذة من الخبز والابريز والزجاج والمرمر والحجر والعاج وغير ذلك بحيث  
لا يدري ان كانت تستعمل في مرافق منزلية او صناعية. وترى أواني خزفية عليها  
كتابة فينيقية مما يدل على اتصال المعاملة والمتاجرة بين تينك الامتين القديمتين  
وزوارق من خشب لها سوار وأشرعة على غير الوضع المعهود في زماننا وفي تلك  
الزوارق صور رجال تمثل الملاحين والنواخذة وشرازم جنود بايديهم الدرق  
والرماح وآخرون بايديهم السهام والسيوف

وهناك تمثال شخص منح على ركبتيه ويداه في اجانة أو وعاء أمامه كأنه  
يعجن أو يصل. وآخر يده حجر كأنه يسحق به عقارا. وخدم على رؤوسهم  
كيشة الصناديق يمشون بها. ونعال من جلد أو خوص ومراوح من خوص وقماش.  
وكراسي ومقاعد وعربات على شكل غير معهود عندنا وصحاف وازيار واسرة لوضع  
الموميات في الاحتفالات الجنائزية. وأمتعة وأوان غريبة الشكل منقوشة ومكتبة  
بالقلم البربائي. وأدوات وآلات للصناع وأرباب الحرف كالبنائين والتجارين  
وموازن ومقاييس ومكايل ومثاقيل ومغازل وصناديق صغيرة من خشب  
مطعمة بالعاج والعظم. كما ان أخشاب التوايت والزوارق مجموعة على طريقة  
الحشية المروقة لدى أرباب هذه الصناعة اليوم. ورقوق وأدراج من البردي عليها  
نقوش وتصاوير ملونة بالأصباغ الزاهية ودمى وتماثيل صغيرة من مواد مختلفة من  
مثل الذهب الى مثل الخزف تمثل موميات الاموات وكأنهم يحفظونها كندكار  
لامواتهم. وأكثر ما ترى بين التماثيل المثبوتة في فجنيات التحف تمثال الجمل

والجبل. وهناك تماثيل اخر على شكل القراب والباشق وابن أوى والقرد وهم تارة  
يختونها من الحشب والحجر وطورا يصنعونها من المادن والفلز وآونة من اللازورد  
والجزع واليشب. وانك لتري الحجر الفخم مجتم حجر الرحي الكبيرة وقد نحت  
فيه من أعلاه صورة جعل كبير طوله نصف ذراع أو أكثر. وقد ينقشون الجبل  
تذكارا لبعض الحوادث والامور كالجعل الذي نقش تذكارا لاقتران «أمنوتس»  
الثالث تبي

أما الجبل أليس فقد أبدعوا في تمثيله وتصويره وتفتوا في الرمز الى احواله  
وأطواره: أليس واقف - أليس رابض - أليس على شكل رجل برأس ثور - أليس  
على يمينه «أسيس» وخلفه «نفيس» الى غير ذلك. وتماثيل العبودات مختلفات  
الهيئات متعددة الاشكال: فعبودة «صا الحجر» يخالف شكلها معبودة «عين  
شمس» وتماثيل المعبودة «سلكيت» على وضع غير وضع تماثيل المعبودة «صا محور»  
وغير تماثيل المعبودة «نفيس». هنا معبودة في حجر هاطل ترضعه. وهناك معبود  
له جناحان وقد نجم في رأسه قرنان كقرني الشيطان وقد أشرق من بينهما مثال  
الشمس او القمر. وثمة آخر يرفع يديه الى السماء بمنعها أن تسقط على الارض  
وأمامه معبود رأسه رأس كبش ووراءه آخر برأس سبع. وما هذا المعبود الذي  
أمسك بكل يد من يديه ثعبانين وعقر بأوغز الا وأسدا وقد وطي بأخصيه رؤوس  
تمساحين؟ وما هذه المعبودات الاخرى التي نصفها الاسفل أففى والاعلى امرأته ولها  
مكان اليدين جناحا نسر وكأنه قد بسطهما،

هذا ما وعته الذكره أيها الاديب من أمر ذلك المشهد العجيب فان كان  
بما يعجبك. والا فاني قائل ما قاله الواعظ في «الحبك»

### دار الآثار العربية

يتوقف الممكن من علم او صناعة على معرفة تاريخ ذلك العلم أو هذه الصناعة. فان في هذه المعرفة ما يدعو المرء الى التوسع في علمه أو تحسين صناعته وزيادة البصيرة فيها . وكان التاريخ في القديم مسطورا ومقروءا . أما الآن فقد تنبه الافرنج الى نوع من التاريخ أقرب تناولا من الأول وأكثر فائدة منه . ويصلح أن نسميه التاريخ المائل المنظور - ذلك ان التاريخ هو ما يعرض على طلبة هذا الفن في المعارض وفي دور الآثار القديمة : فمن أراد ان يدرس تاريخ صناعة الكاشاني مثلا كان عليه أن لا يقتصر على قراءة ذلك في اسطورة والاسفار بل يزور ما حفظ منها ونفذ في دور الآثار : فهي تعرض عليه ما وجد من آثار تلك الصناعة من أول نشأتها وكيف تدرجت الى أن وصلت الى حالتها الحاضرة وهذا النوع من التاريخ أثقنه الاوروبيون وشادوا له المباني الفخيمة . والمبور العظيمة . وقد تنبهنا نحن الى ذلك في الازمنة المتأخرة . فكان في الاستانة وفي القاهرة بعض الشيء من ذلك

ومن الاسف ان دار الآثار العربية في القاهرة كما أنشئت للاوربيين وللشعيلين بالتاريخ والصناعة منهم : فهم الذين يزورونها ويفقدون معروضاتها ويستفيدون منها وقلما ترى زائرا لها من أهل البلاد أو من أهل الحرف والصناعات فيها

واذا سألت عن السبب في وضع « فهرست » لتلك الآثار باللغة الافرنجية من دون العربية اعتذروا اليك بما قلناه من أن الافرنج هم الذين يتداولون الفهرست ويحرصون على الاستفادة مما فيه . أما أبناء العرب فاذا وجد منهم بضعة آحاد يجذون حذواً ولتلك فهم في الغالب على معرفة من اللغة الاجنبية تمكنهم من

الارتفاع بما سطر في فهرست. ومعظم الآثار الموجودة في «دار الآثار العربية» يرجع عهده الى القرن السابع والثامن والتاسع من الهجرة: أي هي من خلفات أمراء المماليك والجراكسة الذي عاشوا بين الدولتين الصلاحية والعثمانية فمن نظر في آثار تلك القرون الثلاثة تبين له من حسنها وفنائها واتقان العمل فيها - ما يحكم معه بأن عصر أولئك المماليك كان عصر عمران وترف في الصناعة والذوق والترف . وانه امتاز عن الصور التي سبقت وخلفت في ذلك ويمكن تقسيم الآثار الى خمسة مجاميع

(١) مجموعة الحجر والرخام : ومعظمها يتألف من شواهد قبور وازيار ماء وبينها صفيحة حجر ضخمة عثروا عليها في الاسكندرية . ومكتوب عليها ما يفيد أن البناء التي كانت فيه مما أمر بإنشائه السلطان صلاح الدين . وشاهدة قبر محمد بك أبي الذهب مملوك محمد بك الالفي . وهي مذهبة ومكتوب عليها شعر يدل على اسمه ووفاته في سنة ١١٨٩

ومعظم الازيار من رخام . ولها أحواض خاصة بها ترتكز عليها . ومما هو من الغرابة بمكان أن ترى حجرا ضخما من الرخام تحت منزهة كبير مستطيل أو كروي الشكل . وقد جوف تجويفا تاما يحار العقل في الطريقة التي اتخذها صانعه في تجويفه ثم تحت على ظاهره أشكال نافرة ورسوم متناسبة أو أضلاع مستوية كلها غاية في الحسن ودقة الصنعة . وأحد تلك الازيار النفيسة اصطنع برسم الخاتون «تاتار» ابنة السلطان قلاوون وهناك صفايح من الرخام كبيرة حفر على سطوحها قوش متعرجة متناسبة . وتسمى الصفيحة من تلك الصفايح «السلسيل» والترض منها أن يسيل الماء عليها من انبوبة فوقها وفي أثناء سيلانه يتكسر بسبب ما تحته من التعاريج ويكون ذلك وسيلة الى امتزاجه بالهواء ثم

الجزء ٥ (٤٣) المجلد ٣ من المقتبس

يصل الى حوض رخامي صغير في أسفل الصفيحة فيكون ماء صحيحاً صالحاً للشرب كذا قالوا . وعندى ان السلسيل ونحدر الماء عليه مما اتخذ لترويح النفس وامتاع النظر كما اتخذوا لذلك الفساقى ونوافرها . والسلسيل في اللغة يوصف به الماء والثيراب السائغ السهل المدخل في الحلق

(٢) مجموعة الاخشاب وهي تحتوي على محاريب ومنابر وأبواب وشبابيك ورواشن وكرامى للصاحف وغيرها منها ماهو جاف غليظ ومنها ما يبلغ منتهى الدقة والحسن . وقد ترى أغلاق الابواب والنوافذ مؤلفة من قطع صغيرة من الحشب ذي الالوان المختلفة بحيث يقوم اختلاف تلك الالوان مقام الدهن بالاصباغ . وتلك القطع متناسقة ومرتبة على أشكال وأوضاع هندسية كصناعة الفيسفاء في الزجاج والرخام . وهي متماسكة الاجزاء لابلالمسامير وانما بطريق الجمع والتحشية

فهل كانت المسامير أو مادة الحديد عزيزة وقليلة الوجود في تلك الاعصر الى هذا الحد ؟ أو ان الصناع يريدون أن يظهرها مهارة وبراعة في صناعتهم بحيث يستغنون عما لا غنية عنه في العادة ؟

(٣) مجموعة المعدن والبرونز : وهي تضمن أدوات كثيرة وأشياء مختلفة من ذلك - اثريات الحماسية التي قد تحمل الواحدة منها زهاء ٣٦٠ مصباحا . ومنها كرسيان عاليلان من نحاس شغل تفريغ مكتب بالذهب والفضة وهما مما صنعها الصناع برسم ابن قلاوون . ومن الآثار النفيسة في هذه المجموعة مقلاة الفزالي وهي علبة مستطيلة من النحاس كان الامام يضع فيها دواته وأقلامه ومكتوب على ظاهرها شيخ الاسلام محمد الفزالي الخ وهناك قطعة من الحلي ضخمة محدبة الشكل على هيئة نصف كرة من فضة وذهب ومرصعة بالياقوت

والماس أهداها الى دار الآثار حضرة محمد مجدي بك مستشار الاستشفاء بمصر  
ويقال ان صاحبها في القديم كان يعبرها أو يوجرها الى أهل العرس يزنون  
بها عروسهم ليلة اهدائها الى زوجها

(٤) مجموعة الكاشاني والزجاج : ومعظم هذه المجموعة يتألف من مشكاوات  
( جمع مشكاة ) وقطع آجر منقوشة ومكتبة وملونة بالاصباغ المختلفة. وقد اختلفوا  
في معنى المشكاة في القرآن اختلافاً كثيراً وأشهر الاقوال فيها أنها الكوة غير  
النافذة أما المشكاة في دار الآثار فلا خلاف في أنها وعاء من زجاج منقح  
البطن مخصر العنق له عرى حول عنقه يشد منها بالسلاسل الى السقف ويوضع  
في جوفه الزجاجات التي يكون فيها المصباح. والمشكاوات في دار الآثار تبلغ  
المئة. وانك ترى ظاهرها منقوشة ومصبغة بالالوان وبعضها مكتبة بالآيات مثل  
«الله نور السموات» الى قوله تعالى المصباح في زجاجة. ومن نقاش هذه  
هذه المجموعة قطعة من الكاشاني نصف ذراع في مثله - صورت عليها مكة  
وحرمها ومعاهدها وضواحيها فهي بمثابة خارطة جغرافية تلك البقاع المباركة  
وقد نقشت بالاصباغ والالوان المختلفة وعليها كتابات تنبيء بأسماء المعاهد  
ومكتوب عليها اسم صانعها - كل ذلك بمادة المينا أو بالدهان الملون الذي يشوى  
على سطح الخرف شياً

وفي هذه المجموعة زير من خرف ضخم - كري الشكل مدهون بدهان  
قائم شديد اللعان وقد غثروا عليه وهم يحفرون في بعض جدران جامع الازهر  
وهناك أواني لوضع الزهور ( زهريات ) وهي كالزير انصغير ولها أعناق مستطيلة  
على شكل الزهريات التي تصنع في شرقي آسيا وقد صنعت برسم السلطان حسن  
صاحب الجامع المشهور

وما تضمنته تلك المجموعة هنات مدورة من راح - كما يستعملونها في الموازين  
مكان الصنوج المعدنية لان هذه يركبها نجر - كما في قنبريد أو تنقص واما  
تلك فلا تزيد ولا تنقص

(٥) مجموعة التسيج : فيها قطعة من ثوب مكتوب عليه اسم قلاوون. وأنفس  
ما في هذه المجموعة بل أثمن تحفة تنافس - في الآثار العربية سائر الدور  
الآخرى - قطعة من حاشية تسيج كان حيك في مصر يرسم خليفة الامين العباسي  
ابن هرون الرشيد المتوفى في أخريات القرن الثاني من الهجرة وقد كتب على  
هذا التسيج بخيوط الداء واللحمة مانعه : باسمه بركة من الله لعبد الله الامين  
محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعه في دار النعامة بمصر - الفصل  
ابن الربيع مولى أمير المؤمنين - والفصل هذا كان ورر للامين. وقد أريد بطراز  
العامة « دار الطراز » التي كان يصنع بها. وانحر - من حيث الخلفاء وشعائهم وهو  
ان ترمم أسماؤهم أو علامات يخصون به - في حواشي أثوابهم التي  
يلبسونها - بخيوط من ذهب أوحرير ملون فيدب صر رعي لابس كما تدل شرائط  
القصب والحرير الملون على مراتب ضباط الجند بعدد. وكان لتسيج الطراز مصانع  
خاصة به تسمى دور الطراز والقيم الذي يشرف عليه يسمى ص حب الطراز ويؤخذ  
مما كتب على قطعة التسيج المذكورة ان دار الطراز - حلة - هذين في زمن الامين -  
كانت في مصر.

هذا مثال مما يمكن أن يقال عن دار الآلات - من حسن عناية ولاة  
الامور بتلك الدار ان اختاروا لها من أبناء - من امة ممن يعرف كيف  
يرتب تلك الآلات ويقرأ الكتابات المختلفة التي عليها - من الرمز التي تقرأ  
فيها ثم يشرح كل ذلك للوافدين فيكثر ان شاء الله - نذكره - من تغايعهم بها المغربي

## الفقر والسقام

أي مضى يدها باكتئاب      أنة تترك الحشا في الثياب  
يتشكى والليل وحف الالهاب      ضمن ينت جثا على الاعقاب  
صفته فال كف الخراب

تسمع الأذن منه صوتاً حزيناً      واجفاً في حشا الظلام كينا  
يملاً الليل باندعاء أنينا      رب كن لي على الحياة معينا  
رب ان الحياة أصل عذابي

وجع في مفاصلي دق عظمي      ودهاني ولم يرق لعدي  
عاقني عن تكسبي قوت يومي      رب فارحم فقري بصحة جسدي  
ان فقري أشد من أوصابي

يا طيباً وأين مني الطيب      حال دون الطيب فقر عصب  
لا أصاب الفقير داء مصيب      ان سم الفقير شيء عجب  
بطلت فيه حكمة الاسباب

— . —

رجل مصر يسمى بشيرا      كان يسمى طول النهار أجيرا  
كاسباً قوته زهيدا يسيرا      مالكا في المعاش قلباً شكورا  
راجيا في المعاد حسن المآب

وله أخت حكته خلقاً زهياً      عانس تجاوز الزواج سنيا  
لزمت بيت أمها وأبيها      مع أخيها تعيش عند أخيها  
مثله في طعامه والشراب



كل يوم له ذهاب ومآنى في معاش من كده يتآنى  
هكذا ذأبه مصيفاً ومشتى فاعتراه ذاء المفاصل حتى  
عاقه عن تمشي واكتساب

بينما كان في قواه صحيحاً ساعياً في ارتزاقه مستميجاً  
اذ عراه الضنى فعاد طليحاً ورمته يد السقام طريحاً  
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي اذا له الليل آوى بصون من السهاد نشاوى  
فترى وهو بالبكا يتداوى قطرات من عينه تنهذى  
كشباب ينقض اثر شهاب

ان سقاماً به وعدمًا الما تركاه يذوب يوماً فيوما  
فهو حيناً يشكو الى السقم عدماً وهو يشكو حيناً الى العدم سقاماً  
باكياً من كليهما باتحاب

ظلّ يشكو للاخت ضعفاً وعجزاً اذ تعزّيه وهو لا يتعزى  
أيها الاخت عزّ صبري عزّاً ان للداء في المفاصل وخزاً  
مثل طعن القنا وخز الحراب

قد تمادى به السقام وطالاً وראى له الشفاء محالاً  
اذ قلاباً به السقام استحلالاً كان حيناً فصار ذاء عضالاً  
ناشياً في الفؤاد كالنشاب

ظل ملقى واعوزته المطاعم موتفا من سقامه بالادام

منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحته من غزلها الاخت فاطم

قبل ان يتلى بهذا المصاب

قال والاخت أخبرته بان قد كرت عندها الدراهم تنفذ

اخبرني السقم على يتبعدها أيها السقم خل عيشي التكد

لا تعني في عيشي عن طلاي

مرضني شقيقي مرضني وعلى الكسب في غد حرضني

واذا مسك الطوى فارفضني أو على الناس للبيع أعرضني

علمهم يشرونني مما بي

رام خبزنا والجوع اذكى الاوارا في حشا فعلته انتظارا

ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل المساء وهو يطفيء نارا

يطفيء الجوع ذا كيا في التهاب

خرجت فاطم الى جارتها وهي تذري الدموع من مقلتيها

فابانت برقة حاليها من سقام ومن سار لبيها

وشكت بعد ذا خلوة الوطاب

فأثنت وهي بين ذل وعز تحمل التمر في يد فوق خبز

وبأخرى دهنا وبعض أرز منحوها به وذو العرش يحزي

من أعان الفقير حسن الثواب

— . —

لياة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفرا

ذا هزيم يمج في الاذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تترى

كهرباثة مبرت في السحاب

مد فيها ذاك المريض الا كفا      في فراش به على الموت أوفى  
طرفه كالسها يبين ويغنى      حيث ينضي طرفا ويقع طرفا  
عاجزا عن تكلم وخطاب

فدعته والعين تذري الدموعا      أخته وهي قلبها قد ريعا  
يا أخي أنت ساكت أجوعا      ساكت أنت يا أخي أم هجوعا  
فاشغني يا أخي برجع الجواب

قرأت منه انه لا يجب      فتدانت والدمع منها صيب  
ثم أصغت وفي الفؤاد وجيب      ثم هابت والموت شيء مريب  
ثم قامت بخشية وارتباب

خرجت فاطم من البيت ليلا      حيث أرخى الغلام سدلا فسدلا  
وهي تبكي والنيث بهطل هطلا      مثل دمع من مقلتيها استهلا  
أوكله جرى من الميزاب

رب ادرك باللطف منك شقيقي      وامنع الفيث ان يكون معيقي  
ومر البرق أن يضيء طريقي      يبريق يديه اثر بريقي  
فسي اهتدي به في ذهابي

قرعت في الظلام باب الجار      وهي تبكي الاسى بدمع الجار  
ثم نادى برقة وانكسار      أم سلمي الا بحق الجوار  
فاقبحني اني أنا في الباب

فأثمتا سمدى وقد عرفتها      وعن الخطب في الدجى سألتها  
ثم سأرت من بعدما أعتتها      فتفتتها وبنتها تبعها  
فتخطين في الدجى بانسياب

جئن والسحب أقلت عن حياها وكذاك الرعود قل رغاها  
حيث يأتي شبه الأنين صداها غير ان البروق كان ضياها  
مومضاً في الساء بين الرباب

فدخلن المحل وهو مخيف حيث ان السكوت فيه كئيف  
وضياء السراج زر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف  
دب منه الحمام في الاعصاب

قالت الاخت أم سلى نظريه ثكت روح أمه وأبيه  
فراأت منه اذ دنت نحو فيه نفساً مبطئ التردد فيه  
ثم قد غاله الردى باقضاب

وجت حيرة وبعد قليل رمت فاطماً بطرف كليل  
فيه حمل على العزاء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل  
وبكت طول ليلا بالتمحاب

فاستمرت حتى الصباح توالي زفرات بنارها القلب صال  
فأثاما ودمعها في انهمال بعض جارأها وبعض رجال  
من صعاليك أهل ذاك الجناب

وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه قعلا به المعيشة تشقى  
فأروا دمع فاطم ليس يرقا وأخوها ميت على الارض ملقى  
مدرج في رثاء الاتواب

فضدت فاطم ترت رنينا يكاء أبكت به الواقفينا  
ثم قالت لهم مقالا حزينا أيها الواقفون هبل رحمونا  
من مصاب دها وأبي مصاب

أيها الواقفون لآتملوه      دونكم أدمعي بهن اغسلوه  
ثم بالثوب ضافياً كفنوه      وادفنوه لكن بقلبي ادفنوه  
لأنواروا جينته بالتراب

بعد ان ظلّ لافتقاد المال      وهو ملقى إلى أوان الزوال  
جاد شخص عليه بعد سؤال      بريال وزاد نصف ريال  
رجل حاضر من الأنجاب

كفنوه من بعد ماتم غسلا      وتمشوا به الى القبر حملا  
فترى نعشه غداة استقلا      نعش من كان في الحياة مقلا  
دون ستر مكسر الاجناب

ناحت الاخـت حين ساروصاحت      أختك اليوم لوقضت لاسترحت  
ثم سارت مدهوشة ثم طاحت      ثم قامت ترنوا له ثم راحت  
تسكب الدمع أيما تسكاب

أيها الحاملوه لإمشي ركض      ان هذا يوم الفراق الممض  
فاسألوه عن قصده أين يمضي      انه قد قضى ولم يك يقضي  
واجبات الصبا وشرح الشباب

ان قلبي على كريم السجايا      طاح والله من أساء شظايا  
قاتل الله يا ابن امي المنايا      أنا من قبل مذ حسبت الرزايا  
لم يكن رزه موتكم في حسابي

ان ليلى ولست من راقديه      كلما جاءني وذ كرينه  
قلت والدمع قاتل لي ايه      يا ققيدا أعاب الموت فيه  
يكناني وهل يفيد عتابي

رحت يوماً وقد مضت سنتان . أتمشى • بشوارع الميدن  
مشي حيران خطوه متدان . أتملته الحياة بالاحزان •  
وسقته كأساً كطعم الصباب

بينما كنت هكذا أتمشى . عرضت نظره فابصرت نعشا  
بادياً للميون غير مشي . تمش القمر فيه للحزن نعشا  
فبدأ الروح أبؤس واكتئاب

قلت سرا والنفس يقرب مني . أيها النفس أنت أنعمت حزني  
للأسمى فيك حالة ناسبتني . أن بدا اليوم فيك حزن فاني  
أنا الحزن دائماً ذواتساب

رحت أسمى وراءه مذ تعدى . مسرعاً في خطاي لم آل جهداً  
مع رجال كأنهم النعش عداً . هم به سائرون سيراً مجدداً  
فتراه يمر مر السحاب

مذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا . قات والممع بلّ مني ردنا  
ان هذا هو الذي قد وعدنا . فأينوا من الذي قد لحدنا  
فقصدي منهم فتى لجوابي

قال ان الدفين أخت بشير . أخت ذاك المسكين ذاك الفقير  
بقيت بعده يعيش عسير . وبطرف بك وقلب كبير  
وقضت مثله بدء القلاب

قلت قصر عن الكلام لحسي . منك هذا فقد تزلزل قلبي  
ثم ناجيت والضراعة نوبي . رب رحماك رب رحماك رب  
رب رشداً الى طريق الصواب

ربّ ان العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربّ عفوا وفضلا  
فاعف عن أخذهم وان كان عدلا أنت يا ربّ أنت بالعفو أولى  
منك بالآخذ والجزا والعقاب

قد وردنا والارض العيش حوض واحد كلنا لنا فيه خوض  
فلما ذا به مشوب ومحمض عظمت حكمة الآله فبعض  
في نعم وبعضنا في عذاب

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما ان رحمتم  
سهر البائسون جوعا ونهم بهناء من بعد ما قد طعمتم  
من طعام متنوع وشراب

كم بذلتم أموالكم في الملاحى وركبتم بها متون السفاه  
وبخلتم منها بحق الله أيها الموسرون بعض اتقوا  
أقدرون انكم في تباب

معروف الرصافي

بغداد

## الفتوة والفتيان

قرأت ما نقلتموه عن تاريخ ابن الساعي من أمر الفتوة والفتيان وذهبتهم الى  
أنها أشبه بجمعية سياسية والاليق أن يقال انها جمعية للانسانية تعاهد المنتظمون  
في سلوكها على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقوم الموعظة واثارة الملهوف  
وقرى الضيف وما أشبه ذلك من مكارم الاخلاق ولما كان لا بد لمن نصب نفسه  
للقيام بهذه المقاصد من فرط القوة والنجدة وتوفر الحمية والحفيظة فكان لا بد في

هذه الحالة من أن تنور تلك الحمية التي قد تنقلب أحياناً حمية جاهلية وتدخل فيها المنافسات والمناظرات والتساجل بقوة الساعد ووثاقة العضل أو حسن الرماية أو اتقان المضاربة والمطاعنة مما قد يبعد بالجمعية عن أصل وضعها ويصيرها نوعاً مما يقال له « مشيخة شباب » في بلادنا فيلبس لها الفتيان سراويلات مخصوصة ويتنافسون في اموري محض جهالة ودعارة وان كان أصل المقصد سامياً شريفاً فقد احتوت هذه الجمعية في وقتها على ما يمدح ويذم شأن سواها من الجمعيات وقد كان يعاب على الخليفة الناصر العباسي اشتغاله بهذه المسائل فقرأت في تاريخ أبي الفداء صاحب حماة في حوادث سنة سبع وستمائة انه وردت في تلك السنة رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف أن يشرىوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وان ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم اه لاجرم ان هذا مما يترفع عنه الخلفاء ولا يليق بأصحاب هاتيك المقامات ثم انه يقول عند ذكر وفاة الخليفة المذكور انه كان قبيح السيرة منصرف المهمة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق الا من ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انساناً واحداً يقال له ابن السفت وهرب من بغداد الى الشام اه ثم اتنا وجدنا آثار هذه الجمعية في القرون المتأخرة فقد أخبر ابن بطوطة من أهل القرن الثامن بوجودها في الاناضول وهي متلونة هناك بلون انائها من كرم الخلق وحسن السريرة فان الجمعيات تدخل كل البلاد فتتلون في كل بلد بأخلاق أهله وتحمل طباعهم ولهذا امتدحها السامع الطنجي امتداحاً فائقاً في رحلته الشهيرة فقال : ذكر الاخيه الفتيان واحد الاخيه أخى على لفظ الاخ اذا أضافه المتكلم الى نفسه وهم يجتمعون في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد



احتفالاً بالغباء من الناس وأسرع إلى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر والاختي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمجربين ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً ويبنى زاوية ويجعل فيها الفرش والسرير وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهار في طلب معاشهم ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيسترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك مما ينطق في الزاوية فإن ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافة لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وإن لم يرد ورد اجتمعوا هم على طعاهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وأنصرفوا إلى صناعتهم بالدور وأتوا بعد العصر إلى مقدمهم بما اجتمع لهم ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الاختي ولم أرى في الدنيا أجمل أفعالا منهم ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز وأصفهان إلا أن هؤلاء أحب في التوارد والصادر وأعظمهم إكراماً له وشفقة عليه وفي الثاني من يوم وصولنا إلى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان لي الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه أثواب خالقة وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ: أتلم ما يقول هذا الرجل قلت: لا أعلم ما قال فقال لي: إنه يدعوك إلى ضيافته أنت وأصحابك فحبيت منه وقلت له: نعم فلما انصرف قلت لشيخ: هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا نريد أن نكلفه فضحك الشيخ وقال لي: هذا أحد شيوخ الفتيان الاختية وهو من الخرازين وفيه كرم نفس وأصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية للضيافة وما يجتمع لهم بالنهار أنفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد النيا ذلك الرجل وذهبنا معه إلى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان

وبها الكثير من تريات الزجاج العراقي وفي المجلس خمسة من اليايس واليايسوس  
شبه المنارة من النحاس له أربع ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي  
وسطه أنبوب الفتيلة ويملاً من الشمع المذاب وإلى جانبه آنية نحاس ملانة  
بالشمع وفيها مقراض لاصلاح القليل وأحدهم موكل بها ويسمى عندهم الخراجي  
(الجرانجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الافية وفي  
أرجلهم الاخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسطه سكين في طول ذراعين وعلى  
رؤوسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول  
ذراع وعرض اصبعين فاذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته  
ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة اخرى من الزردخاني وسواه حسنة  
المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين ولما استقر بنا المجلس عندهم  
أتوا بالطعام الكثير والفاكهة والحلواء ثم اخذوا في الفناء والرقص فرأينا حاتم  
وطال عجينا من سماحهم وكرم أنفسهم وأنصرفت عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم  
بيروت ش

## مطبوعات ومخطوطات

العمدة

نص ابن خلدون في المقدمة عند كلامه على صناعة الشعر ووجه تعلمه ان  
كتاب العمدة لابن رشيقي (المتوفى سنة ٤٦٣) مستوفى في هذه الصناعة وتعلمها  
وفيه البقية من ذلك . وقد كان طبع الجزء الاول منه في تونس فانعيد طبعه  
الآن وأضيف اليه الجزء الثاني مصححاً بقلم الشيخ محمد بدر الدين النعساني وذكر  
في الصفحة الاولى منه انه قوبل على ثلاث نسخ وكنّا نود لو عرفنا هذه النسخ

باعيائها وتوازيها يظهر فضل العناية . والكتاب سهل الانشاء متين العبارة  
 آخذ بأطراف الموضوع الذي طرقه ابن رشيق والادب غرض والنفس مولعة به .  
 نشأ مؤلفه في مدينة القيروان خامس مدينة في الاسلام ولما خربت رحل عنها  
 الى صقلية وتلميحك بمن يقول فيه الصلاح الصفدي وفي مصنفاته وأكثرها في  
 الشعر والادب : وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها  
 فوجدتها تدل على نبحه في الادب واطلاعه على كلام الناس وقلة لمواد هذا  
 الفن ونبحه في النقد . والكتاب لا يسأم المطالع من النظر فيه خصوصاً مع جودة  
 طبعه الآن لان مؤلفه لا يطيل الابواب والفصول ويتنقل فيه الناظر من فكاهة  
 الى أطروفة الى أدب وعلم وشعر وكله مما يروّج به الانسان عن نفسه وفيه  
 قصص لطيفة تصور حالة العرب في اجتماعهم وتنافسهم في الشعر والادب قبل  
 الاسلام وبعده وقد وقع الكتاب في مجلدين ويطلب من مكتبة طابعه أمين  
 افندي الخاتمي بالحلوجي

ديوان الخليل

أعفنا خليل افندي مطران الشاعر الكاتب المشهور في خدمة الادب  
 والصحافة نسخة من الجزء الاول من ديوانه الذي طبعه مؤخرًا في زهاء ثلثمائة  
 صفحة في النزل والنسب والمديح والثناء والتهنئة ووقائع أحوال وأحسن ما يقال  
 فيه إن نورد للقراء نموذجاً من هذا الشعر العصري المتسجم قال في وصف  
 قلعة بعلبك

م . جفر الحياة بالادبار	فاذا مرّ فحي في الآثار
والصبي كالكرى نعيم ولكن	ينقضي والفتى به غير دارى
يضم المرء عيشه في صباه	فاذا بان عاش بالتذكار

ايد آثار بملك سلام  
 ووقيت الفاء من عساته  
 ذكرني طفولي واعيدني  
 مستطاب الحالين صفواً وشجواً  
 يوم امشي على الطاول السواجي  
 نزقاً بينهن غراً لعوبا  
 مستقلاً عظيمها مستقفاً  
 يوم اخلو بهند نلهو ونزهو  
 نتياري عدواً كأننا فراشا  
 نلتي تارة ونشرد اخرى  
 فاذا البعد طال طرفة عين  
 وعداد الحاظ نصفو ونشقي  
 ليس في الدهر محض سعد ولكن  
 كلما نلتي اعتنقنا ككأنا  
 قبلات على عفاف تحاكي  
 واشتباك كفهم غصن اخاه  
 قلبنا طاهر وليس خليلاً  
 كان ذاك الهوى سلاماً ويرداً  
 حينذا هند ذلك المهد لكن  
 هده عزمي النوى وقوض جسمي

\*\*\*

خرب حارت البرية فيها  
 معجزات من البناء كبار  
 البنتها الشمس نفويص در  
 وتحت من الليال بشاما  
 وسقامها الندي رشاش دموع  
 زادها الشيب حرمة وجلالا  
 رب شيب اتم حسناً واولى

مبدع للاسرار قام ولكن  
مثل القوم كل شيء عجيب  
صنعوا من جماده ثمراً ي  
وضروباً من كل زهر انيق  
وشموساً مضبوطة وشعاعاً  
وضيوراً ذواهباً آيات  
في جنان مطلقات زواه  
واسوداً يخشى التجزئ منها  
عابسات الوجوه غير غضاب  
في عرائنها دخان مثار  
تلك آياتهم وما برحت في  
ضمها كلها بديع نظام  
في مقام الحسن بعد ا  
منعنى ما يجاد رسماً وابهى

صنعه كان اعظم الاسرار  
فيه تمثيل حكمة واقدار  
في ولكن بالقل والابصار  
لم تفتها نصارة الازهار  
باهران لكنها من حجار  
خالصات الفسوة والابكار  
بصنوف النجوم والانوار  
ويروج الحكمة كالزآر  
باديات الانياب غير ضواري  
وبالحاظها سيول شرار  
كل آت روائع الزوار  
دق حتى كأنها في انتشار  
مقل فيه والعقل بعد الباري  
ما تبحر القلوب في الانظار

\*\*\*

اهل فينقيا سلام عليكم  
لكم الارض خالدين عليها  
خضتم البحر يوم كان عصيا  
وركبتم منه جواداً حروناً  
ان تنادى عدواً بهم كبحوه  
واذا ما طغى بهم اوشكوا ان  
غير مصب تخليد ذكر على الار  
شيدوها للشمس دار صلاة  
م دعاة الفلاح في ذلك العه  
نحتوا الراسيات تحت مخور  
واجادوا النسي لجاز عليهم  
سجدوا للنسي م صنعوه  
بعد هذا اذابة قديري

يوم تفتى بقية الادمهار  
بمظلم الاعمال والآثار  
لم يسخر لقوة من بخار  
قلقاً بالمرس المغوار  
واقالوه ان كبا من عثار  
ياخذوا لاعيب بالاقمار  
ض لمن خلده فوق البحار  
واتم الرومان حلج الدار  
مروا على العمران في الامصار  
وابانوا دقائق الانكار  
انها الامرات في الاقدار  
سجدات الاجلال والاكبار  
لتعلم ام مطعم في الغفار

نظرت هند حسنين ففارت انت ابعى يا هند من ان تفاري  
كل هذي البس التي عبدوها لك يارب الجمال جواري

## رواية هملت

رواية هملت من الروايات التمثيلية منسوبة لشكسبير شاعر الانكليز كان نقلها الى  
المرية ثراً ونظماً الشيخ امين الحداد المشهور بشعره وثوره وجرى تمثيلها مرات كثيرة وقد  
طبعت الآن في ٧٠ صفحة جاء فيها على لسان هملت ما نشره نموذجاً من شعر الحداد قوله

نجده والدهر بنا يلعب لا مانع منه ولا مهرب  
والحب يقتاد الفتي مكرهاً فكيف ما يكره يستعذب  
تخلو الاماني وتحققها وهي اذا ما حققت تعذب  
ضاعت حقيقات الفتي في الوري فلم تعد تعرف اذ تنسب  
والوحش لو انصفت ادرى بها اذ انها عند الظلم تشرب  
ونحن نستأني بمجاننا والحس لا يهل اذ يطلب  
فاترك غداً ان غداً مدة بعيدة فيها الردى الاقرب  
واقض الذي تهوى بدنياك لا يتمتع الجاه ولا المتصعب  
ولا تبث مدخراً فالتي ترايح ما بت بها تشعب  
ان انت اعيتك سوء الات من ترى قل في القرب من غيبوا  
وقل لمن بات غداً ناظراً يرقب الموت له يرقب  
المس بكفك تصدق متى شككت ان الحس لا يكتفب  
اجدادنا هذي واما انسا تلك وذا الابن وهذا الاب  
لاحقة مفقودة بينهم بطرحها في الجمع من يحسب  
كانوا دليلاً في سبيل الردى لنا على آثارهم فذهب  
اذا ذوى الاصل غدا فرعه يخفك منه المطر الصيب  
وقل لمن تاه على غيره بنعمة من غيره تسلب  
تحت الثرى المثرى غدا واغدى في الثربة النار والموتوب  
هذا هو الحق الذي ما اتقصى نفلساً ذا العجب الاعجب  
دعني اطلب باقني جاهداً انهبها من قبل ان تنهب  
وخذ حياتي وابقي لي منه ما يمنع ضرر الناس اذ ارغب  
لومنع الضرر الحيا في الوري اذن تساوى الكف والمخلف

يا لها الرأس الذي في يدي      هل كنت رأسي في الوري تهرب  
 ام كنت جباراً تذلل العدى      ام كاتباً يتقل ما تكتب  
 ام فيلسوفاً فافهماً علمه      تغضب الدنيا ولا يغضب  
 ام جاهلاً ما اهتم في دهره      يخسر فيها عاش ام يكسب  
 حقيقة الاشياء مجهولة      كل على مذهبه يذهب  
 حقيقة ناعت عقول الوري      في كنهها واستنجد العرب  
 جالحم في الترب مزروعة      يحصل من التمل والجندب  
 بل اتقى في الترب مغرسة      اثارها موعظة تخطب  
 لصورة اخرى تحولت      قد كان ماء في الثرى الطلپ  
 ثم اسفح الكرم حتى اغتدى      خرا لارباب الوري تسلب  
 دائرة لا ينتهي حدما      نمشي عليها الدهر لا نتعب

### اعلام الموقعين

للملأمة شمس الدين أبي بكر محمد بن قيم الجوزية المتوفى سنة احدى وخمسين وسبعمائة  
 شهرة فائقة بقوة البيان والميل للاخذ بالحجة والبرهان حتى كثر انتفاع الموافق والمخالف  
 بكتبه وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى . وكتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين من اهم  
 كتبه لورده فيه علم الفقه على اسلوب قل ان يمد في كتاب آخر وذلك انه نقل المسائل  
 المشهورة واختلاف العلماء فيها ثم رجع فيه ما قام عليه الدليل بحسب ما ظهر له بدون  
 التزام مذهب معين وقد اكثر من ايراد الملل وكان مولماً برعاية المصالح . وكتابه هذا  
 اصح نادر الوجود فسى في احيائه اناس من اهل المند قاموا بجمع اجزائه وطبعها غير ان  
 نسخة مع قلة ورودها الى هذه البلاد منسوجة على الاسلوب العرف في طبع اهل المند  
 فصدى الشيخ فوج الفقه الزكي الكردي بمصر لاعادة طبعه فطبعه على ورق جيد مع استحضار  
 نسخ خطية ليم تصحيح انكتاب على طريقة حسنة فجاء وافياً بالمراد ظاهرة عليه علائم الجدة  
 والاجتهاد وقد جعله في ثلاثة اجزاء تقع في زهاء ١٤٠٠ صفحة كبيرة بحرف واضح جلي  
 واذان اليه كتاب حادي الارواح للوالف فشتي على الطابع بما استحقه عنايته وهو يطلب  
 منه بخمسين قرشاً

### تاريخ آداب اللغة العربية

هذا الكتاب في موضوع صعب يحتاج فيه الى اطلاع وافر وقسط من فنون الادب

تصدى لجمعه محمد بك دياب المشهور بالفضل والادب في مصر فاودعه من بدائع الفوائد ماثره به عين المطالع وضمنه مطالب شتى يحتاج اليها طالب الادب . قال المؤلف في بيان سبب تأليفه ان احد اصدقائه اخبره ان مبشر في الامان وكذلك فضل مستشرقو الانكليز والفرنسيين والاطليان والروس وغيرهم )عنوا بتاريخ آداب لغتنا فوضعوا فيه كتابا ذا اسفار مطبوعا بلغتهم وود لو يؤلف بالعربية مثله فلاح بخاطري ان اشق عباب هذا الموضوع الجليل فسرت في سبيله فتجشنا الصعاب بضعة اعوام الى ان اهتديت الى وضع مؤلف جامع لاشائنه المتفرقة في بطون مئين من امهات الكتب ذات الاعتبار وقد شرحت فيه نشأة العلوم الادبية وسيرها في مختلف العصور والكتب التي الفت فيها وازمانها وحياة مؤلفيها وذكرت فصولا من كل فن اقتضاهما سير التأليف . والكتاب يقع في نحو ٤٤٠ صفحة جملت في مجلدين و يطلب من مؤلفه بالقاهرة فتشكر له هديته ومهته

### الانجيل برنابا

اعترفت الكنيسة بالانجيل اربعة وهي الانجيل متى والانجيل مرقس والانجيل لوقا والانجيل يوحنا وابطلت ما عداها من الاناجيل او عدته مزورا ومن جملة الاناجيل التي ابطلها البابا في القرن الخامس للمسيح الانجيل برنابا . وبرنابا هذا يهودي من ساكني قبرص دان بالانصرانية وكان من اثواب بولس الرسول طاف آسيا الصغرى وسورية وبلاد اليونان وقتل في قبرص نحو سنة ٦٣ للمسيح . وقد وجدت نسخة من الانجيل ينسب اليه في مكتبة فينا الامبراطورية كتب كما رجح العارفون في القرن السادس عشر باللغة الابطالية القديمة وعليه حواش بالعربية فقال بعضهم ان لهذا الانجيل اصلا عربيا نقل عنه الا ان العارفين من المبشرين امثال الاستاذ مرجليوث وغيره نقوا ذلك وقالوا انه ليس في العربية كتاب من هذا القبيل ولا اشارة اليه . وقد ترجم في السنة الماضية باللغة الانكليزية ونقله الى العربية الدكتور خليل بك سعادة ووضع له مقدمة مطولة ونشره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغربي وقد احسن المترجم بنقله بالحرف وان خالف الاسلوب العربي احيانا لأن اللغة العربية يجب ان يكون فيها كل شيء ولا سيما مثل هذا السفر الذي رددت الالسن ذكره وتشوفت النفوس الى الوقوف عليه . وقد جاء في ٣٢٥ صفحة مطبوعا طبعا حسنا في مطبعة المنار ومنها يطلب بخمسة عشر قرشا فتشكر للناسر مهتما





## سير العلم والاجتماع

### لغات العالم

أحصي عدد المتكلمين باللغات الرئيسة في العالم فكان المتكلمون بالانكليزية ١٣٦ مليوناً من البشر أي ٢٧ في المئة من مجموع سكان العالم والمتكلمون بالألمانية ٨٢ مليوناً أي ١٦ في المئة ويتكلم بالصينية ١٤ في المئة والمتكلمون بالفرنسية ٢٨ مليوناً (كذلك) ثم ياتي عدد المتكلمين باللغات الاخرى فهي الروسية والبرية والايطالية والاسبانية والسويدية .

### جهم الحروب

كتب احد اطباء نيويورك مقالاً يصف فيه الامراض الكثيرة التي تسوط على اجسام المتحاربين اكثر من ادوات القتال واسلحة التزال فأثبت انه مات في الحرب الروسية العثمانية ثمانون ألفاً بالاولية على حين لم يمض سوى عشرين ألفاً مجروحين وانه هلك في حرب الرقيق في الولايات المتحدة اربعمائة الف بالامراض على حين هلك مئة الف سبب القتال واهلك المرض في حرب جنوبي الرقيقة عشرة اضعاف ما هلك المدفع وكان معظم الاسباب التي دعت الى كثرة الماتكين في الحرب الاسبانية الاميركية قلة العناية الطبية على العكس في الحرب الروسية اليابانية فان اليابانيين لم يفقد منهم سوى سبعة وعشرين ألفاً في المستشفيات لقاء سبعة وخمسين ألفاً قضوا في ساحة الوغى .

### مصور الزمن

استلمت ألمانيا منذ سنة ١٩٠٦ ديواناً خاصاً تنقل اليه من اطراف الامبراطورية الالمانية اخبار الجو والهواء يوزع فيها وينشرها في نشرة توزع في اطراف البلاد كأنه اشترى الانباء البرقية العمة وتوزع خاصة على الجرائد وبذلك يتيسر للفلاحين ان يعرفوا احوال الجو يوماً بيوماً .

### بريد الهند

سيتم بريد الهند عما قريب من البر ليكون القصد في الوقت منه عن طريق البحر فتصل لندن بكالكتوتا بالمتكك الحديدية عن طريق فارسوليا في بولونيا فيسافر هذا الخط من كالكتوتا حيث تصل صادرات اوستراليا بالسفن الى مدينة دعلي فتندهار فترات فكوتشكا فسمر قندفرو فكاراسنوفودسك لبأكو فكييه - فكارسوليا فابن فكلونيا فكلالي فكلندرا ومنه ما تصل الركاب والبضائع الى كراسنوفودسك تنقل على سفن سريعة بدفعة الى العدو الثانية من باكو

### السفهاء الاميركي

بلغ ما جاد به الكرماء من الاميركان سنة ١٩٠٧ على العلم والتربية ٣٥٤ مليون فرنك وما جادوا به على المعاهد الدينية ٤١ مليوناً وما نفقوه للمتاحف ودور الكتب ١٠٠ مليون ولا شك ان هذا السفهاء متناسب مع تلك الثروة الهائلة .

#### مبرة مصرية

وقف مصطفى بك الجورجي عشرة منازل في كفر الزيات في الوجه البحري لمدرسته الثلاثين انشأها بماله وبلغ ما انفق على تشييدها نحو خمسة آلاف جنيه فلما الآت ايراد سنوي يربو على الف جنيه كما انشأ مدرستين في بريم ووقف عليهما املاكاً تبعثان به

#### ناد للمعارف

تبرع الامير يوسف كمال بالف ومائتي متر في المنيرة احدى احياء القاهرة لإنشاء فيها ناد للمعارف يختلف اليه اهل العلم وطلابه وجاد لانشائها بالنفي جنيه وبمكتبة عربية وافرنجية وهذه النحة لا تقل عن ثمانية آلاف جنيه .

### رواج الكتب

معدل ما يباع سنوياً من كتب شكسبير الشهير الانكليزي ثلاثة ملايين نسخة . ومن غريب ما يبدل على رواج الكتب في المانيا ان احدى جرائد ليبيك الاسبوعية ستختل في اكتوبر المقبل بمرور السنة الخامسة والعشرين على تأسيسها فوضع مديرها ثلاثين الف مارك جائزة لمن يكتب احسن رواية ومعلوم انه اذا لم يكن موفقاً بالرواج ما جاد هذا الجود المحمود على ارباب الافلام والذين يحكون في الجائزة بعض كبار النقاد من ادياء الالمان .

### السلك البرقي النظار

يجرب احدم معدن السالانيوم بان يجعله يتأثر بالنور فاذا تمت تجاربه كما يريد اصبح الانسان يحاطب صديقه على لسان البرق وهو يراه ويسمعه .

### بسطة العيش

افتتح مؤخراً ناد للنساء في نيويورك ليس له مثيل في اندية الارض ينفذه بل برشاء الحياة فيه فان كل شيء فيه حتى المائدة وما يتبعها تدار بواسطة الكهربية ففيه غرف باردة لتوضع فيها القراء وقد جعلت حشوات المواضع التي تنشط بها الشياطين من خشب ثقيل راحته المثل .

## ديون الممالك

تزيد ديون الممالك الاوروبية يوماً عن يوم فدين فرنسا اكثر من جميع الممالك فهي مدينة بسبعة وعشرين ملياراً من الفرنكات وتجيء بعدها روسيا تبليغ ديونها ٢٣ ملياراً ودين ألمانيا ٢١ ملياراً ودين بريطانيا ١٩ ودين إيطاليا ١٣ ودين النمسا ١ مليارات ودين اسبانيا ٩

## مدارس الفلاحة

فتحت في مدينة شارتونبرغ في ألمانيا منذ بضع سنين مدارس في الضواحي اشبه بان تكون مدارس تشتغل في السطلة المدرسية فهي لا تفتح الا سبعة اشهر في السنة فقط وتقبل البنين والبنات وتعلمهم معاً كل ما يلزمهم لقاء قرشين في النهار يأكلون بها ويشربون فيركبون القراموي الساعة السادسة صباحاً ويعودون بهم في المساء واكثر الاولاد من الفقراء والغالب ان بعض مدن ألمانيا وغيرها ستسرع على متوال هذه المدرسة .

## حركة العالم التجارية

أسمي مجموع الحركة التجارية والبحرية في العالم مدة العشر سنين الاخيرة فكان مجموع صادرات ألمانيا ووارداتها ١١٦٠٣٠٠٠٠٠٠ فرنك سنة ١٨٩٧ فبلغت سنة ١٩٠٦ ١٠٩٤٠٠٠٠٠٠ واتفقت وزارة البحرية لحماية هذه الحركة في سنة ٩٧ — ١٠٩٤٠٠٠٠٠ فرنك وبلغ ما انتفقه سنة ١٩٠٦ — ٣٣١٣٠٠٠٠٠ فرنك وكان مجموع حركة الصادرات والواردات معاً في فرنسا سنة ١٨٩٧ — ١٠٧٨٢١٥٠٠٠٠ فرنك وانفقت بحريتها ٢٦٥٢٥٠٠٠٠ فرنك وبلغ مجموع تلك الحركة فيها سنة ١٩٠٦ — ١٤٤٨٠٠٢٥٠٠٠ فرنك وما انتفقه البحرية في تلك السنة ٤١٢٣٢٥٠٠٠ فرنك وبلغ مجموع تجارة انكلترا سنة ٩٧ — ٢٥٣٠٤٢٢٥٠٠٠ فرنك وارفق سنة ١٩٠٦ الى ٤٧٦٥٦٩٠٠٠٠٠ وكان مجموع نفقاتها البحرية سنة ١٨٩٧ ٥٥٦٧٥٠٠٠ فاصبحت سنة ١٩٠٦ — ٨٣٩٣٧٥٠٠٠ وبذلك تبين ان التجارة الألمانية تضاعفت في عشرين سنة على حين نفقاتها البحرية زادت ثلاثة اضعاف وان انكلترا كانت سنة ١٨٩٧ تنفق على بحريتها خمس مرات ما تنفقه ألمانيا ولكنها في سنة ١٩٠٦ لم تنفق في هذا السيل بالنسبة الا ثلاثة اضعاف ما كانت تنفقه فزادت من نفقاتها البحرية خمسين في المئة على حين زادت نفقات ألمانيا ثلثائه في المئة ولا يزال النمو في ألمانيا يتزايد واي زيادة كل سنة .

# المقتبس

الجزء السادس من المجلد الثالث

جمادى الثانية سنة ١٣٣٦ موافق يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨

## عبد الله بن المقفع والتمتيع

عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى

نشأ العربية في ارض الفرس الثاني للهجرة كاتبان بليغان يصح ان يدعى واضعي اساس الانشاء العربي . واهمي طريقة الكتابة المرسلة فكانا منارا يهتدى به الى يوم اتاس هذا ونعني بهما عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب . ظهر هذان الامان واللغة في ندرتها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة اعظم مساعد لهما على النبوغ وزادت شهرتهما لاتصافهما بالخلقاء والامراء ومرانهما على الكتابة في الاغراض الكثيرة التي كانت تطلب اليهما فيخوضان عباها بحليين مبرزين .

نشأ ابن المقفع في العراق على ما ينشأ عليه ابناة السار وكان وائده يتحمل نخلة مجوس الفرس وولي خراج فارس لهجاج بن يوسف الثقفي في الدولة الاموية . ولقب بالمقفع لان الهجاج ضربه فشققت يده اي تشبعت لمدها لاختد الاموال على ما يقال . وولي ابنه عبد الله تربية اسلامية واولع بالعلم وهو مكفي المؤونة فجاء منه في سن العشرين ما يندر ان يكون مثله لابناء الاربيين والخمسين . واصل يعيسى بن علي عم السلاج والمتصور الخلفيتين الاولين من بني العباس وكتب له واختص به واراد ان يدين بالاسلام فجاء الى عيسى

ابن علي وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك . فقال له عيسى :  
ليكن ذلك بمحض من القواد وجوه الناس فاذا كان الند فاحضر . ثم حضر طعام عيسى  
عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة الجوس فقال له عيسى : انزيم  
وانت على عزم الاسلام فقال : اكره ان ايت على غير دين . فلما اصبح اسلم على يده فسمي  
بعبداهه وكفي بابي محمد .

اهم كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كليله ودمنة الذي نقله عن الفارسية  
ورسائله المعروفة بالبيتمية في طاعة السلطان . قال القفطي وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية  
بترجمة الكتب المنطقية لابن جعفر المنصور وترجم كتب ارسطو طاليس المنطقية الثلاثة وهي كتاب  
قاطيغورياس وكتاب باري ارمينياس ( اوبارميناس ) وكتاب اناطوطيقا وذكر انه ترجم  
ايساغوجي تأليف فرفوريوس السوري . والارجم انه نقل هذه الكتب عن الفارسية او نقلها له  
ناقل عن اليونانية وماغها هو في قالب عربي فنسبت له اذ لم يثبت انه كاتب يعرف غير  
الفارسية من اللغات . وعبارة ابن ابني اصبعة في تاريخ الاطباء تشبه قول القفطي في تراجم  
الحكماء والغالب انهما نقلا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتهما .

قال ابن النديم واسمه بالفارسية روزبه وهو عبداهه بن المقفع ويكنى قبل اسلامه  
اباعمره فلما اسلم اكنى بابي محمد والمقفع ابن المبارك انه قطع لان الخجاج بن يوسف  
ضربه بالبصرة في مال اخيجه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فنقضت يده واصله من خوز  
مدينة من كوز فارس وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لميسى بن علي  
على كرمان وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذي عمل شرط عبداهه  
ابن علي على المنصور وتصب في احتياطه فيه فاحفظ ذلك ابا جعفر لما قتله سفيان بن معاوية  
حرقاً بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطلب بثاره وطلّ دمه وكان احد النقلة  
من اللسان الفارسي الى العربي مضطرباً باللغتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب  
الفرس منها كتاب خدائنامه في السير كتاب آيين نامه في الاصر كتاب كليله ودمنة كتاب  
مزدك كتاب التاج في سيرة انوشروان كتاب الآداب الكبير ويعرف بافراحييس كتاب  
الادب الصغير كتاب البيتمية في الرسائل .

وقال ان ابنا الجاموس ثور بن يزيد اعرابي كان بفد البصرة على آل سليمان بن علي  
وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال : بلقاء الناس عشرة عبداهه بن المقفع .  
عمارة بن حمزة . مجمر بن محمد . محمد بن حجر . انس بن ابني شيخ . وعليه اتفق احمد بن  
يوسف الكاتب . سالم . مسعدة المري . عبد الجبار بن حدي . احمد بن يوسف . وذكره

في الشراء الكتاب فقال انه مقل وقال وقد كانت الفرس تقلت في القديس شيئاً من كتب المنطق والطب ان اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره وقال في الكتب الصنعة في الاسماء والمخارقات ان عبدالله بن المقفع من جملة من كان يهتم بالامور والمخارقات على السنة الناس والطير والبهائم .

والراجح ان الحد غلت مراجعته في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان نسبوا اليه ما نسبوا من الزندقة لقصوره عن بلوغ شأوه او لحرصه في انفسهم قال ابن خلدون نقلاً عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يهتمون في دينهم قال بعضهم : كيف نسي الجاحظ نفسه . قلنا وعجابه الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط ذاته قال :

فصل ومن الملمين ثم من البلاء المتأدبين عبدالله بن المقفع ويكنى ابا عمرو وكان يتولى لآل الهمم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جواداً فارساً جليلاً وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لافقلاً ولا كثيراً وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من ابن عمر المغتر ووثق الواقفي واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظاريين فاعتبر ذلك بان نظري في آخر رسالته الهاشمية فانك تجد جيد الحكاية لهوى القوم رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الزلل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعا احد ائمتها الى ان يصدر عنه هذا الحكم الغريب ولكن الجاحظ ايضا على ثبوت تدنيه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر وعصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال ابرياء والا فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جربنا مع الدليل . وليست الزندقة شيئاً عما يغمره الانسان في نفسه لان مثل هذا لا يطلع عليه الا الله تعالى ويكنى ان يقال هلاً شقت عن قلبه . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام ويسوء ان يقال عن فلان انه زنديق امور تقوم عليها بذات ظاهرة من اقوال وافعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى في رسائله .

ولو كان متمسكاً سبيل ما ينسب اليه لاسيما مع غضب المنصور عليه لكان الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بثل ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء القليل من العلو بحيث ينقذ منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة في قتله جهاراً بهذه التهمة . اما

انهم ابن المنقذ بمعارضة القرآن فتدبر على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نظن القاضي عياض والباذلي في الاقوالين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهم اقالوا انه اناب .  
 التهمة بالزندقة امر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يحل منها مثل الامم الغزالي الذي كان اعظم انصار المذموم فنظر الى كتاب فيعدل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الله في الرد على اولئك الذين سبوا اليه مانسبوا ان فيه الفناء واغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (١) ابن حبان البقي امام المحدثين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب المتمعة الكثيرة واستحصال الامر يقتله لو لم ينبغ من ذلك سوا عرض لا تختل في البال

ومعارضة القرآن اكثر ما نسب للزندقة المشهورين بالادب والقض: يشيع ذلك اناس يقصدون لعلائك عدوم بأي وسيلة كانت او اناس هم اقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان أبا العلاء المري علي اضطراب الاقوال في نهاية امره مع ما علم به من احواله قد عزى اليه كتب كان معروفًا في بلاد المغرب يسمى بالمفصول والغايات ولا يتوقف من كن قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير ممن يميلون الى أبي العلاء المري من اهل المغرب يعجبون بما وقع فيه من مخالفة القول الذي يخط عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب مر الفصاحة وكلامه في رسالة القرآن ينادي بخلاف ذلك (٢)

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المنقذ لا تثبت بوجه من الوجوه التي تعقل في اثباتها واذا نظرنا الى ما يعلق بالنسب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعا سفي معرفة ما

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بست

(٢) قال المري في رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندي الزندي الذي صنف في الرد على القرآن : بس ما نسب الي راوند فهل قدح في دباوند انما هتك قيصة وابان لتناظر خيصة واجمع ملحد وهتد وتاكب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولبي عدوه بالأرجاز ما حذي على مثال ولا اتبه غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا مبعج الكهنة ذوي الارب وجاء كاشمس اللائحة نوراً للمسرة والباحثة لو فهمه المذهب الراكد لتصدع او الوحول المسحمة لراق الذرة والصدع وتلك الامثال تضرها للناس لهمم ينفكرون وان الآية منه او بعض الآية لتعرض في اضعف كلم يقدر عليه للخلقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جندوب ذات نسق فبارك الله احسن المتقين

ينطرون عليه سواء لانه لم يذهب احد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد  
عن الشارع في شخص معين اثبات الايمان او لوازمه لرجل بعينه .  
وبتهم الزندقة الشنعة كثيراً ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة امثال ابن رشد والفارابي  
وابن الصائغ وابن سينا ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة في رد ائمة من  
اقرى عليه ذلك . ومن هنا نظير لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن الزندقة قد اوجب  
من المضار ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ بخبر ما كان عصر المأمون اقرب الى قلة الزندقة في الحقيقة من  
العصور التي كثر انهماء معظم المفكرين بها وغيرهم ممن يراد الانتقام منهم .  
عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذات  
الباب . قال المرتضى في اماليه روى ابن شبة قال : حدثني من سمع ابن المقفع وقد رآه في  
نار لجحوس بعد ان اسلم فلعنه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي اتزل حذر العدى وبك القوادم وكر  
اني لا منك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لا مين

وقال صاحب الاغانى نقلاً عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن ابان ومنه  
ابن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن ابان ووردة وابن المقفع ويونس بن الجفوة وحماد بن محمد وعني بن  
الخليل وحماد بن الجليلي الراوية وابن الزرقان وعارة بن حمزة ويزيد بن القيس وجميل بن جعفر  
وبشار المروعي وابان الاحقي ندماً يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترون  
ويجوع بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلمهم منهم في دينه . قلنا واجتماع المشاككين قديماً في الناس  
والغالب انهم يتخرجون من ادخال من ليس على شاككتهم في زمرة فيتمون بجام منه يراد كما  
انهم جماعة ابى حيان التوحيدي الذي نقل بعض مجالسهم الفلسفية في مقابلاته وكانوا من  
اهل الفحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم والفلسفة كما جمعت بين ابن المقفع واصحابه جامعة  
الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على شراب واتهمهم بالمرق . وفي كتاب البيان والتبيين  
لجاحظ ذكر اناس كانوا شديدي التصافي والاتحام مع شدة التباين في المذاهب .  
اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد اجمع مترجموه على انه كان بسبب كتابته اماناً لعبد الله  
ابن علي قال فيه : ومضى غدر امير المؤمنين بمه عبد الله فساؤه طوائق ودوابه حُبس  
وعبيده احرار والسطون في حل من يمته . فاشتد ذلك على المنصور جداً وخاصة امر اليعنة  
وكتب الى سفيان بن معاوية المهلب وهو امير البصرة من قبله . فقتله وكان سفيان هذا شديد  
الحق عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه ويستحق به حتى عزم على ان يقتله  
فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سراً في داره ويقال انه عاش ستاً وثلاثين سنة . وسأل



سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصاه الى المنصور  
واحضره اليه مقيداً وحضر اليهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة  
عند المنصور فقال لهم المنصور : انا انظر في هذا الامر . ثم قال لهم : ارايت ان قتل سفيان به ثم  
خرج ابن المقفع من هذا البيت وأشار الى باب خلفه وخطبكم ما روي صائفاً بكم أأقتلكم بسفيان .  
فوجدوا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور  
ولابن المقفع شر قليل ولكنه جيد ثقل له صاحب الحماة ثلاثة آيات . يقال انه  
رأى بها يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رأى بها ابن ابي العوجا وهي  
رزئنا ابا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بين وقع  
فان تلك قد فارقتنا وتركنا ذوي خلة ما في انسدادها طمع  
لقد خبرتكم فقدنا لك اتنا أماناً على كل الرزايا من الجزع  
قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبه في ان الخير مزوج بالشر والشر مزوج بالخير - فناء مل .  
وما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغانى وغيره قال حدثني اليزيدي قال  
حدثني عمي عبيد الله قال حدثني احمد قال سمعت جدي ابا محمد يقول : كنت الى الخليل  
ابن احمد فيقول لي احب ان يجمع بيني وبين عبيد الله بن المقفع فجمعت بينهما فمر لنا  
احسن مجلس واكثره علماً ثم افرقنا فلبيت الخليل فقلت له : يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت  
صاحبك قال : ما شئت من علم وادب الا اني رأيت عليه اكثر من عقله . ثم اقيمت ابن  
المقفع فقلت له : كيف رأيت صاحبك قال : ما شئت من علم وادب الا ان عقله اكثر من  
علمه . وقال المرتضى ان من جمعها كان عباد بن عباد المهلبى ففادنا ثلاثة ايام ولياليهن .  
قال الاصمعي : قيل لابن المقفع من ادبك فقال : نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتبته  
وان رأيت فجيراً اتبته . ودعا عيسى بن علي للفداء فقال : اعز الله الامير لست يومئذ للكرام اكلاماً  
قال : ولم ؟ قال : لاني ذكرتكم الزكاة فيجاء الجوار مائة من عشرة الاحرار . ومن كلامه : شرت  
من الخطب ريكاً ولم اضبط لها ريكاً ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاما وليس غيرها كلاماً .  
وما يؤثر عنه وهو ما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب : اياك والتبع  
لوحشي انكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو الي - الا كبر . وقال لاخر : عليك بنا  
سهل من الالفاظ مع تجنب الالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل  
ظن انه يحسن مثلها .

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن فوهة انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع  
احد قط . مثل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة . فمنها ما يكون

في السكوت . ومنها ما يكون في الاستماع . ومنها ما يكون في الإشارة . ومنها ما يكون في الحديث . ومنها ما يكون في الاحتجاج . ومنها ما يكون جواباً . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون شراً . ومنها ما يكون حمداً وخطباً . ومنها ما يكون رسائل . فاعلم ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة الى المعنى والابحاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السامعين وفي اصلاح ذات البين فالاكثر في غير خطب والاضافة في غير الملل . قال : وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كان خير ايات الشرائع الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كأنه يقول فرق بين صدر خطبة التكلم وبين صدر خطبة البعد وخطبة الصلح وخطبة المراكب حتى يكون لكل من ذلك مدبر بدل على عجزه فانه لاخير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير الى مفواك . والى احمد الذي اليه قصدت والنرض الذي اليه نزلت .

قال قيل له : فان ملّ السمع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف : اعطيت كل مقام حقه وقت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيان شي . واما الجاعل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شيء لاثنا له وقد كان يقال رضا الناس شيء لا يزال وقال عبدالمعظم بن أبي اليمصير في تحرير التحرير في باب التهذيب والتأديب : قد كان المتقدمون لا يمتنعون بالجمع جملة ولا يقصدونه بشيء الا ما انت به القضاة في اثناء الكلام وانفق من غيره مدولا اكتساب وان كانت كفايتهم متوازنة والفاظهم مناسبة ومناهيهم قاصعة وعباراتهم راتقة وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام علي عليه السلام يوم اثنى ائمة من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وابي عثمان الجاحظ وغير هؤلاء من النعماء والبلقاء . وقال الامين المحيي فيما يؤول عليه في المضاف والمضاف اليه : نيتة ابن المقفع - يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشأها وهي رسالة في نهاية الحسن تستل على محاسن من الادب وقد ذكرها ابو تمام واجراها مثلاً في قوله الحسن ابن وهب

ولقد شهدتك والكلام لآتي  
تؤم فبكر في الكلام وتب  
فكان قسا في عكاظ يخطب  
وكان ليلى الاحيلة تندب  
وكثير عزة يوم بين ينسب  
وابن المقفع في البيعة بسب

وقال جلال الدين في الزهر قتل عن ابي الطيب عبد الواحد القوي في مراتب القويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكي من الخليل بن احمد ولا اجمع ولا كان في الجمع اذكي من ابن المقفع ولا اجمع

وقال النحوي في عبث الوليد : كان المتقدمون من اهل العلم يتكبرون ادخال الالف واللام على كى وبعض وروى الاصمعي انه قال كلاما معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها خطأ الا في موضع واحد وهو قوله : العلم اكبر من ان يحاط بكلمة تغذوا البعض وروى في بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : الفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاة وخصل يائه كغالا . وسمع ابو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كان يياته لؤلؤة منشور وروض ممطور . وقال جعفر بن يحيى : عبد الحميد اصل وسهر بن هارون نزع وابن المقفع عمر واحد بن يوسف زهر .

وعبد الحميد هذا هو الذي يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل : فقتت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن الصميد . وكان احمد بن يوسف يقول في رسائل عبد الحميد الفاظ محكمة وتجارب محكمة . قال صاحب الوفيات وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماما وهو من اهل الشام وكان اولاً معلماً صبية ينتقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون وطريقته لزوا ولا تارة القوم وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل وبمجموع رسائله مقدار الف ورقة وقال ابن نباتة : انه الباك الى اعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في اول عمره معلماً صبيان بالكوفة ثم اتصل بمرwan الجعدي قبل ان يعزل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد اصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجد فقال : ومن اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال : اذا تطير معي قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته .

وهو اول من اخذ التجميعات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الایجاز البالغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال . فمن الایجاز ان بعض عمال مروان اهدى اليه هبداً اسود فأمره بالاجابة ذاماً مختصراً فكتب : « لو وجدت لوتاً شراً من السواد وعدداً اقل من الواحد لاهدبته » . واما الاسهاب فانه لما ظهر ابومسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستيله ويغمنه الموقري ، لا وقع الاختلاف بين اصحاب النعمان وكان من كبر حجمه يحمل على حمل ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان بك ذلك والا فاهلاك فلما ورد الكتاب على ابني مسلم لم يقرأه وامر بنار فاحرقه وكتب على جازاة منه الى مروان

عما السيف اسطار البلاغة وانتهى عليك ليوث الغائب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتناهت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد : القوم محتاجون

اليك لادبك وان اجماعهم بك يدغوم الى حسن الظن بك فاستامن اليهم و . بر اندري  
فلمالك نفعني في حياتي اوبد حماي فقال عبد الحميد

أسر وفاة ثم اظهر غيرة فن لي بعذر يوسع الناس ظاهره  
ثم قال يا امير المؤمنين ان الذي امرني به انفع الامر من اليك واقصها بي ولكني  
اصبر حتى ينتج الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استحق عبد الحميد فغضب عليه الجزيرة  
عند ابن المنفع وكان صديقه وفاجأها الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : ايكم عبد الحميد  
فقتل كل واحد منهما : اناخوقا على صاحبه . الى ان عرف عبد الحميد فاخذ وصلى المنفع الى  
عبد الجبار صاحب شرفته فكان يحمي له طشقا ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين  
وثلاثين ومئة وقيل انه قتل مع مروان في معسكر قال المسعودي انهم رأى له عقبة . غطاط معمر  
يعرفون بي مباحر وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون . وكان ابو جعفر انصور يقول :  
غلبنا بنو أمية بثلاثة اشياء بالحجاج وعبد الحميد وانوذن البعلبي . وقيل لعبد الحميد : ما الذي  
مكنك من البلاغة قل : حفظ كلام الاصلح يعني امير المؤمنين عي بن ابي طالب كره الله  
وجبه . وقيل له اما احب اليك اخوك ام صديقك قل : انا احب اخي اذا كان صديقي : وقال  
اكرموا الكتاب فان الله تعالى اجري الارزاق على ايديهم . وقال : القلم شجرة ثمرتها  
الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه خير الكلام ما كان لقظه خلاقا ومعناه بكر  
قال صاحب الوفيات الاحيان وكان كثيرا ما ينشد :

اذا خرج الكتاب كانت دويهم قسما واقلام الدوي لها نبلا  
وما تله عنه انه ساير يوما مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه فقال له  
مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال : يا امير المؤمنين ان من بركة الدابة طول  
صحبتها وقلة علفها فقال له : فكيف سيرها فقال : همها امامها وسوطها اعنانها وما غربت قط الا ظملا  
ولعبد الحميد كصديقه وضريعه عبد الله بن المنفع شعر نادر فنه  
كفى حزنا اني ارى من احبه قريبا ولا غير الميوت تترجم  
فانقسم لو ابصرنا حين نلتقي ونحن مكوت نخلتنا نكلا  
هذا ما وصلنا من اخبار هذين الامامين ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما اثبتناها هنا  
ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلامهما الحسن مترجم عنها ذلك كلام المرء قطعة من عذله .

## رسالة عبد الحميد الى الكتاب (١)

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين ملوكا لله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين اصنافا (٢) وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وفروب المحاولات الى اسباب معاشهم (٣) وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والروايات (٤) والعلم والزانة بكم لتنظم الخلافة محاسنها وتسقيم امورها وبتصالحكم يصلح الله لخلق سلطانهم وبهر بلادهم (٥) لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كافر الا منكم فوقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يسمرون والسنتهم التي بها يظفون وايديهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما اخفاه من الثمعة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحدودة وخصال الفضل المذكورة المودودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكتاب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهات اموره ان يكون مليحا في موضع الحلم فريحا (٦) في موضع الحكم (٧) مقداما في موضع الاقدام صحابا (٨) في وضع الاحكام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيك عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم (٩) يحكمه اخذ منه بتقدير (١٠) من الحسن واحتال على صراجه (١١) عما بهواه من التقيج (١٢) بالطف حيلة واجمل وسية وقد علم ان سانس البهيمية اذا كان بصيرا بدياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت جموحا (١٣) لم يبعها اذا ركبها وان كانت شوبكا انقاهها من بين ايديها (١٤) وان خاف منها شردا توة لها من ناحية رأسها وان كانت حرونا فح يرفق هواها في طريقها فان استمرت عنقها يسيرا فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل (١٥) لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم (١٦) ودخلهم والكتاب بفضل (١٧) ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره

(١) عارضنا هذه الرسالة التي اخذناها عن مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطتين من المقدمة احداهما في مكتبة احمد زكي بك والثانية في خزانة كتب احمد تيمور بك (٢) نسخة : اضيفا (٣) خ في معاشهم (٤) خ المروءة (٥) خ بلادهم (٦) خ فعها (٧) خ انهم (٨) خ محجبا (٩) خ فان لم (١٠) خ مقدار (١١) خ لصرفه (١٢) خ من التقيج (١٣) خ رموحا (١٤) خ من قبل يديها (١٥) خ دليل (١٦) خ وخدمهم (١٧) خ لفضل

من الناس ويأخذه ويفهم عنه أو يخاف سطوته أو يفرق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائنس البهيمة التي لا تحجر جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الرأكب عليها .

الا فاروقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحتهم النبوة والاستقلال والجفوة يصير منكم الى الموافقة وتصيرون منه الى الموافقة والتسقة ان شاء الله تعالى .

ولا يحاوزن الرجل منكم في هيئة مجلده وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حظه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف مستعبر خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستميناوا على عفافكم بالتقص في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحفروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يمتقان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب . واللامور اشياء وبضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤنث اهلها بما سبقت اليه تجربتكم ثم سلخوا من مسالك التدبير اوفهها بحجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة . واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن اتقاد علمه وروية فليقتصد الرجل منكم في مجلده قصد الكفي من منطقة ويبرز في ابتدائه وجواه وليأخذ بجماع حجبته فان ذلك ملحقة لقلعه ومدفعة للشاغل ١١١ عن اكثاره . وليفخرج الى الله سبحة صلاة ترفيته وامداه بتدبيره مخافة وقوعه في الغلط المضر بدينه وعقله وادبه فانه ان غلب منكم ظان او قال قائل ان الذي برز من جميل صنعه وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحن تدبيره فقد تعرض بفضله (٢) او مثله (٣) الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف . ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لاسب ما يكفي به يعرف بفرصة عقله وحن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وتاقية ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل امرئته وعتاده ويهي لكل وجه هيشته وعادته . فتناشوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب ونفقوا في الدين وابدوا بهلم كتاب الله عز وجل والقرآن ثم العربية فانها ثقاف السننكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والهجج واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما نسو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخواص وارغبوا بانفسكم عن المطامع سننها ودنيا وسفاسف الامور ومحافرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب

ونزهوا صناعتكم عن الدناءة (١) واربابوا بانفسكم عن السعاية والتسعية وما فيه اصل الجهالات  
واياكم والكبر والحقف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل  
في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البق لاهل (٢) الفضل والمدل والبل من سلفكم وان  
نبا الزمان يرجع منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقم  
احداً (٣) منكم الكبير عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظبروا بفضل  
تجربته وقدم معرفته ولكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظبر به ليوم حاجته اليه احوط  
منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان  
عرضت مذمة فاجعلها من دونك ولتخدر السقطة والزلة والائل عند تغير الحال فان العيب  
اليك معشر الكتاب اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لما . فقد علم ان الرجل منكم  
اذا صحبه من يذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من  
وفائه وشكره واحتياله وخيره (٥) ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ما هو جزة لحقه  
ويصدق (٦) ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلك  
وفكر الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة واخرمان والمؤانسة والاحسان والسر والفرار  
فنهضت التسعية هذه من (٧) وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة . واذا ولي الرجل منكم  
او صير اليه من امر خلق الله وعياله اسر فليراقب (٨) الله عز وجل وليؤثر طاعته ويكون  
علي الضعيف رفيقاً وللظالم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبب اليه ارفعهم بماله .  
ثم ليكن بالعدل حاكماً وللأشراف مكرماً وللفي وموفاً وللبلاء عامراً وللرعية متألماً  
وعن اذامهم متفلاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سمجات خواجه واستقصاء (٩) حقوقه  
رفيقاً واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلائفة فاذا عرف حسنها وفقيها اعانه على ما يوافقه  
التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته . فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب  
من رمى بالحبج وراعه ظهره ورأى ان صاحبه اعقل . واجمل (١٠) في طريقته . وعلى كل  
واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه  
ولا يكثر (١١) على اخيه او نظيره ومصاحبه وعشيرته .

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعفته والتذلل لعره والتحدث بنعمته . واما  
اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلذه الحقيقة بلذنه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب

- (١) خ الدناءة (٢) خ باهل (٣) خ احدكم الكبير (٤) خ ينفها (٥) خ وصبره  
(٦) خ ويقصد ذلك بماله (٧) خ لمن (٨) خ فليراقب ربه (٩) خ استقصاء (١٠) خ احمد  
(١١) خ ولا تكاثر على

وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعله آخره وثمنه به . تولانا الله  
وياك يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بأسماده وأرشاده فان ذلك اليه  
ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## العامة من الفصحى

كثير بحث الباحثين هذه الايام في المقارنة بين اللغة الفصحى واللغة العامية وقد خفرتنا  
بكتاب (١) القول المختضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغة العرب تأليف شيخ محمد  
ابن ابي السرور الصديقي من اهل القرن الحادي عشر قال مؤلفه في مقدمته : وبعد فاني لما  
حُلِمت كتاب رفع الاصراع عن كلام اهل مصر للعلامة الكامل شيخ اهل الادب الراقية  
الى انز الرتب الشيخ يوسف المغربي رأيته اتق فيه بالهجب العجائب غير انه اسهب فيه غاية  
الاسهاب باستطراده ( الى ) بعض الالفاظ اللغوية التي ليست من شرط الكتاب مع ذكره  
اشعاراً وحكايات من قسم الاستطراد لا معنى لها في هذا التصنيف ولا مدخل لذكرها في  
هذا التأليف فخطر لي ان اغلص من محاسنه والنقط درة من محاسنه ولم اذكر فيه من اللغة  
الا ما له اصل في اللغة العربية الناطق بها اهل الديار المصرية مرتباً ذلك على ترتيب القاموس  
كامله وسميته القول المختضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغة العرب . والكتاب مرتب  
على حروف المعجم وهو في بضعة كراريس وهالك نموذجاً منه تقلناه وبعضه لا يخلو مما ينتقد  
يقولون اوى قال في المجرى لا يقال اوى وانما يقال اوماً اي اشار اليه قلنا  
ويقول العامة في الشام فلان كلم فلاناً بالوى اي بالاشارة . ويقولون لغاصد  
القلعة بابا وفي اللغة العربية بابا الرجل اذا اسرع فيمكن ان يكون البابا منه لانه يسرع  
لقضاء الحاجة . ويقولون لاولد الصغير اذا اراد المشي تانا قال في القاموس تانا الطفل  
مشى والتجتر في الحرب . ويقولون عند سقي القهوة جيا وهي قرية باليمن بصير  
فيها البن الصبري وهو عجيب في الحسن فكان الساقى اذا قال جيا اي هذه قهوة بن جيا .  
ويقولون في سوق الحمار حاحا قال في القاموس حاحا اذا دعي الحمار للشرب وأهل مصر  
نقول ذلك له اذا ارادوا مشيه ونصيفه جاً جاً (٢) قال في القاموس متنا حمار وثاب . ويقولون  
لا ننتكأ كاد اي لا نتأخر عن السير . ويقولون هاها بالابل اي زجرها عند ورودها

(١) في خزانة كتب احمد بك تيمور



الماء وهما رجل ضحك . ويقولون ياماعمل له اصل في اللغة وهو من باب التعجب .  
 ويقولون الاب والاشخ مثلاً فيشدون الباء وليس هو خطأ بل له اصل في لغات العرب .  
 ويقولون ييه قال المجدي هو حكاية صوت الصبي والشاب المتعلي لحماً وصفة الاحمق .  
 ويقولون حوبة قال المجدي ومعناه الضعيف عن الشيء والحوبة البعثة والاخت ورقة فواد  
 الام والم والحاجة والمرأة والسرية كل ذلك يقال له حوبة . ويقولون دُرابة وهو كناية  
 على احد الواح الدكان وله اصل في اللغة كذا نقله صاحب كتاب المجرد في اللغة . ويقولون  
 رجب المرجب اي المعظم وهو صحيح . ويقولون سبب قال بعض ائمة اللغة اي باع واشترى  
 في الشيء . ويقولون شقلبه اي غيره من حال الى آخر . ويقولون ططب قال في القاموس  
 الطبطبة صوت الماء وصوت نلاطم الدبل وطبطب صوت . ويقولون طاب وهو اسم لما  
 يلعبون به واسم الكرة ايضاً ويقولون عرقب في حق الدابة اذا قطع عرقوبها وله اصل في  
 اللغة . ويقولون علب قال في القاموس العلبة بالكسر آنية من الشجر غليظة يتخذ منها وعاء  
 للشيء فذئدة: العلبة بالضم الخفة الطويلة وقدر شعير من جلود الابل او من خشب يحلب فيها .  
 ويقولون قب جدي منه اذا اشعر واه اصل في كتب اللغة . ويقولون قطب له المزين وهو  
 في صحيح كتب اللغة يقال قطب الشيء قطعه ثم جمعه وقطب فلان اي غضب . ويقولون  
 للمنزّل عن الناس قطرب وهو صحيح لانه جنس من الامراض السوداء وصاحبه يجب الانفراد  
 من الناس وله ممان كلها قبيحة وهو بالضم اللعس والفأرة والذئب الامعط والجاهل والجبان  
 والسفيه والمصروع وصغار الكلاب وطائر ودوية لا تستريح نهاراً سعيماً . ويقولون فلان  
 اكرب علينا قال في القاموس اي امرنا بالسرعة . ويقولون كركبه قال المجدي معناه الحركة  
 ويقولون نت قال المجدي معناه اقمه وهو صحيح ورد في بعض كتب اللغة . ويقولون  
 ضربته حته معناه حتى اكتفيت فيه معنى في كتب اللغة والحيت الجواد من الخيل والسريع  
 من الابل وما يلتزق من التمر والميت من الجراد كل ذلك معنى حته . ويقولون الشيت وهو  
 من الاقشة قال المجدي والثيت نوع من الاقشة الهندية . ويقولون فلان يشفت مرادم  
 ينهر من شدة غيظه وهو صحيح . ويقولون غت علي بمعنى ادخل علي سوءاً وهو صحيح  
 وارد في كتب اللغة . ويقولون للملاج النواني قال في الزاهر النواني الملاحون بالبحر الواحد  
 نوتي . ويقولون هت علي وهو صحيح في كتب اللغة معناه اسرع في الكلام او سرد كلامه .  
 ويقولون فلان هفت من الجرح اي سقط ومنه تهافت التراف في الفيلة اي تساقط عليها  
 فكأنه لكثرة جوعه يسقط كذا نقله بعض ائمة اللغة . ويقولون هيت علينا اي خوفنا وهو

صحيح ورد في بعض كتب اللغة هيت به صاح به ودعاه وهيت قرية بالعراق تنسب اليها الخمرة الطيبة ومنه قول ابي نواس

هات اسقي قهوة صفراء صافية منسوبة لقري هيت وعانات

ويقولون على لون من العلم عجة قال بعض ائمة اللغة العجة بالقسم طعام من البيض . ويقولون لآلة الدراس نورج وهو صحيح لغوي ويقال ذلك ايضا لآلة الحرث والنورة والنبجة الاختلاف اقبالا وادبارا والنبرج التام . ويقولون اذا ألقي انسان على وجهه بطنه وهو صحيح لغوي ويراد منه ايضا القرب والقبوبة عند ذلك . ويقولون طرحة قال سيف القاموس الطرحة الطيلسان واما لفظ طراحة فليس له اصل في اللغة . ويقولون برينة لشيء الذي توضع عليه الحجرة وهو صحيح لغوي وهو ايضا اسم لجرى الماء والبرينة يقال لها برينة قال ذلك في القاموس . ويقولون في المريض عا مثل الفخ والفخ المصيدة وهه مثل القوس وهو لين فثبه به المريض اي صار مثل القوس البنية . ويقولون للاطفال بنحي الإجرحة نقل حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاحياء ان الامام الحسين عليه السلام اخذ ثمرة من تمر الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كخ فرمى بها من يده . ويقول زرد عنيه اذا خفه وهو صحيح وارد في كتب اللغة . ويقولون زرد انهمه اذا ابتلعها وزرد كفه حقه والزرد المدرع . ويقولون فلان مرد اذا حصل له النعاس قال في الزاهر السرد يطلق على النعاس في بعض الاحيان . ويقولون همر علينا اذا وثب وصاح وهو صحيح لغوي . ويقولون فلان واكر عند فلان اذا كان ملازما له وهو صحيح لغوي مأخوذ من وكر الطائر اخذ له وكرًا وكذلك هذا الرجل اتخذ صاحبه مثل وكر الطائر في الملازمة . ويقولون راز الشيء ، يروزه يعرف قدره وله اصل في اللغة راز الشيء ، روزًا جربه ليعرف قدره والراز رئيس البنزين . ويقولون اكطنا عند فلان بيسة قال في القاموس البيسة اتخاذ الويق لواء الدقيق او الأقط بالسمن والزيت . ويقولون فلان دحس قال المجدي الدحس هو الذي يخفي الاشياء مكرًا وقال في القاموس الدحس اندساس شيء في التراب . ويقولون فلان عنده تهممة اي شدة قال في القاموس التهممة الاخذ بالثبدة والجفاء والعنف والغلظة . ويقولون تهمومة شيء يعمل من القماش يدخلون فيه في زمن التمت . وهو صحيح لغوي والقاموس عريسة الامم والناسوس جبريل عليه السلام . ويقولون فلان هلس وهو صحيح لغوي ومعناه اذا تكلم كلاما غيما وتعلم ويطلق على سلب العقل وعلى الخزال . ويقولون فلان خربشي باخفاه اي اذاني بها وهو صحيح قال في مختصر الصحاح الخربشة والخرفشة والخرمشة كلها بمعنى واحد ويقولون طواشي على الحصى وهو صحيح لغوي واراد في بعض كتب اللغة والذي في القاموس الطوش خفة العقل . ويقولون غفش وهو صحيح لغوي

يقال عتسه يفتسه جمعه ومن الناس من لاخير فيه . ويقولون نتش وهو صحيح لنوي قال في الزاهر  
 التش كالضرب استخراج الذوكة بنحوها ونشت اليوم كذا وكذا اي اكتسبت . ويقولون فلان  
 يصبص لي اي نظرائي نظراً بعد نظروهم صحيح لنوي قال في الزاهر البصاصة العين لانها تبص  
 وبصص الكلب حذو ذنبه والجرو فتح عينيه . ويقولون فلان ممصوص قال في القاموس المصوص  
 الرجل المزول وله مصوعة المرأة المزولة . ويقولون ساباط قال في مختصر الصحاح الساباط سقيفة بين  
 حائطين تحتها طريق والجمع سوابط وساباطا وفي لغة الشام الآن سيباط وبلعة مصر سبط .  
 ويقولون فوط قال في القاموس الفوط شيء يجلب من بلاد الهند وهي ما زر غبطة فصار يطلق على  
 غيره مجازاً . ويقولون فلان قطعاطي قال بعض ائمة اللغة هو الاعوج القليل الثبات او الذي يتكلم  
 بكلام لا يفهم . ويقولون فلان عنده دلاءة قال في القاموس الدلاءة الغاية في الحق والغداة والنصار  
 وخروج النصارى . ويقولون اخضر مرعي قال في الزاهر المرعي النكاح الحسن في الاعتدال والزرعة  
 خطر لرب ما دعه في علي وجد الارض وترعي تحرك واتت اورع عدا الله انجته . ويقولون فلان مننع  
 اي عنده عدم في قوته قال في القاموس المنعة ضعف العزم بعد قوته والرتة في الله ان النعناع نبات  
 معروف . ويقولون وكثير ما يقع من الاروام غوة قال بعض ائمة اللغة الغوغا الشر والحرب والغوغا  
 الجراد وشي يشبه البومض لضفنه وبسعي الغوغا من الناس . ويقولون فلان مفع في كلامه اذا  
 بينه قال في القاموس مفع الخمضه ولم يعل كلامه لم بينه . ويقولون فلان شلاف قال انجدي  
 الشلاف هو الذي يأخذ الشيء من غير حساب . ويقولون شاف الشيء اي نظره قال في القاموس  
 شاف الشيء اي نظره وشا شوافلونه ودينار مشوف محلول . ويقولون فلان نتيف واعطاني نفقة  
 وكلاما صحيح خوي الا انهم يحرفونها فيكسرون النون والصحيح النتم قال بعض ائمة اللغة نتف  
 ماتنتفه باصبعك من شمر او نبت والنتفة الشيء اليسير . ويقولون شقة قماش قال في القاموس  
 الشقة من اثياب المستحيلة . ويقولون خفقه قال في المجر دغقه يعني امسكه ويقولون عفاق قال في  
 مختصر الصحاح العفاق الرجل الطويل المسترخي والمعلق الخنم المسترخي والمرأة الخرواء الشيعة  
 العمل والمعلق وانجل الاحق . ويقولون فلان ربي على قلبي دلة قال في مختصر الصحاح الدليل  
 الطامون ويطلق على الداهية وعلى الجبل الصغير . ويقولون فلان زول قال في المجر الزول الميعة  
 العظيمة والزول المحب والجراد والكلأ والخفيف الظريف الضن . ويقولون حزام قال في المجر  
 الحزام ما يشبه الوسط . ويقولون طارمة قال في مختصر الصحاح الطارمة بيت من خشب والذلب  
 ان يكون ذلك في المراكب وحارة بصر يقال لها اصطبل الطارمة اي الاصطبل الذي فيه  
 بيت من الخشب . هذا غيض من فيض اوردها على سبيل المثال فسي ان يبادر القارئون  
 بخدمة اللغة العربية الى نشر هذا الكتاب بالطبع .

## الكتاب

إذا بلغت الحضارة أوجها في أمة يتفنن أهل العلم في التأليف المفيد فيضعون المصنفات في الموضوعات التي لا تخاطر على بال أحد في مجتمع غير راق . ومن كان يظن أن أبا عمرو بن عمر الجاحظ البصري يؤلف كتاباً في مدح الكتب والحث على جمعها (١) عدا ما وقع له من ذكرها مرات في كتبه قبل زهاء ألف سنة ولكن ما كتبه الجاحظ في تلك الأزمان يكتبه مؤلف هذه الأيام ببيان أشق ومادة أوسع لارتقاء هذه الصور باختراع الطباعة التي عمت بها المطبوعات وسهل بها التأليف والنشر ولا سيما على من كان مثل مؤلف «الكتاب» الذي صدر هذا الشهر في خمس مجلدات للسيو البرسيم مكتبة نظارة البريد والبرق في باريس .

قسم كتابه إلى أقسام فتكلم على حب الكتب والمطالعة والكتب في الأزمان ١١ والقرون الوسطى منذ اختراع الطباعة إلى عصرنا هذا وتميز بعض المؤرخين على بعض وما يجب أن يطالع من الكتب وكيف يجب أن يطالع أو ينصح وتؤخذ مفكرات بالخط على بعض الكتب وهل ينبغي الاستكثار من الكتب أو الإقلال منها وكيف يختار الكتب وهل يجب الاكثار من المطالعة أو الاكثار من إعادة المطالعة . وتكلم على الكتب الزينة والكتب البسيطة . والقديمة والحديثة والاستشفاء بالكتب وتاريخ الكتب وذكر الروايات والصحف وتكلم على الجانبين بالكتب (٧) Bibliomanes والمهامين بالكتب Bibliolâtres ويميز في الكتب Biblioclastes وأعداء الكتب Bibliophobes

(١) المجلد ٢ - ٦١ - ٦٠١

(٢) المجلد ١ - ٨٥

الجزء ٥

(٤٨)

المجلد ٣ من المجلد

وعد النساء من أعداء الكتب وإطال في إغارة الكتب وفي ورقها وقطعها وطبعها  
وتصويرها ونجليدها وابتاعها وترتيبها في قاطرها والعناية بفرستها وتنسيقها وكيفية  
استعمالها وحفظها وطبعها واختصارها .

هذه أم ما تدور عليه أبحاث هذه المجلدات الخمسة الممتعة ويرى مؤلفها  
ان لا يقتصر في الكتاب على الباسه لباس الظرف وحفظه في الزجاج والنظر  
اليه باعجاب وانعطاف بل انه خلق ليقراً ويتدبر مافيه ويتلذذ به قال : فانا  
أأخذ بمثابة اداة للدرس والتسلية والتعزية وقرة عين بل هو واسطة للكمال  
العقلي والادبي فانا من ثم لأفصل بين محبة الكتب ومحبة الآداب بحال وان  
شئت فقل بين محبة الجمال والخير والعدل والحق فيين هذه الامور تشابه

وقد اعتذر المؤلف عن ان معظم كتابه ليس من قلمه بل هو عبارة عن  
استشهاد بأقوال أئمة العلم والادب في كل عصر ومصر وذلك لان الاستشهاد  
بكلام الرجل بعينه يصوره كما هو وله من الوقع في النفس اكثر من احالة  
المطالع على الرجوع الى ما كتبه المؤلف كما قال سانت بوف العالم . وقال  
شاتوبريان الفرنسي الكاتب : لا يجب الاعتقاد بأن معرفة ايراد الشواهد  
هو ما يسع كل أحد من أرباب العقول الضعيفة أن يفعله ممن فرغ وطابهم  
من كل علم فيستقون من موارد غيرهم مارقهم وما الاستشهاد حيث يجب الا  
دليل العلم . فالذاكرة التي تدخر الشواهد لحين الحاجة هي في الحقيقة قرينة  
الذكاء بل هي أم الذكاء وجوده الذهن . وقد غذى كبار كتاب عصر لويس الرابع  
عشر غقولهم بالشواهد وكان شيشرون الخطيب الروماني الذي لم تكن له الا  
لهجة واحدة يلهم بها ويتوفر عليها بكثير من الاستشهادوا تأيضاً (شاتوبريان)  
لاقص في هذا السبيل

ولذا سار مؤلفنا في مصنفه الجليل على هذه الطريقة شأنه معاصرونا الذين لا يكتبون الا بصحيح الاسناد ويراد الشواهد والشوارد فيقرأ انقاريء فيه من أسماء الكتب المؤلفة بالافرنجية في هذا البحث مايدل على ان الفريين اليوم سابقون في كل محدة ويسجل بما بذله بنفسه من الدرس والبحث حتى جاء كتابه آخذاً من كل شجرة ثمرة ومن كل حديقة زهرة

قال في تاريخ الكتب انه لم يعرف في الحقيقة الا منذ ثلاثة آلاف سنة وان قال أحد علماء الالمان بوجود الكتب قبل الطوفان ووضع لذلك مصنفات. فتاريخ الكتب يرد الى عهد ملك مصر اوسياندياس الذي يرى علماء الآثار المصرية اليوم انه هو رمسيس الثاني! وسزوستريس وكان له خزنة كتب جعلها في قصره في ثيبة كما قال المؤرخ ديودور الصقلي وقد حكم هذا بوجودها من أن كان مزبورا على الحجر في أعلى باب هذه المكتبة وهو قوله « هنا أدوية النفس » فوصف بذلك الكتب أجمل وصف وأوجزه عرف ولا يثنأ أن يقال أحسن منه . ومضت على هذا الوصف الازمن حتى جاء الفيلسوف موتسكيو في القرن الثامن عشر فقال: ماقط حزننا الا وتبدد حزني بساعة من المطالعة أروح بها عن نفسي ثم جاء بعده القصصي الانكليزي بولور لينون في القرن التاسع عشر ووصف مطالعة بعض المصنفات لشفاء بعض الامراض فرأى المداواة بالكتب كأنها بعض العقاقير والعناصر . وكل من قال كلمة في هذا الباب لم يخرج في وصفه للاسفار عن حد الحكمة التي علقها ملك مصر على مكتبته أو شرحها والمبالغة فيها . وأسس الفلام بيزيترات (٥٦١-٥٢٧ ق.م) مكتبة عامة في آثينة وهي أول مكتبة من نوعها جمع فيها أشعار هوميروس ولم تكن نعيها من قبل الا ذاكرة العصا صين والمتشاعرين . ويؤخذ من بيت

للشاعر اريستوفان ( قبل المسيح بخمسة قرون ) أن الكتب كانت منتشرة جدا في زمنه بمدينة آثينة . وقال كسينوفون في تذكرة سقراط شيئا عن الكتب والمجاميع ومخارجها

واسمعل السبيادس على نحو ذلك الزمن ( ٤٥٠ - ٤٠٤ ق . م ) طريقة لأتخلو من قلة ذوق ليحبب أبناء وطنه في الكتب فدخل مدرسة خاصة بدراسة النحو وسأل المعلم أن يأتيه ببعض كتب هوميروس فاجابه ان ليس عنده ولا واحد منها فصغره وخرج . وكان الاسكندر الكبير ( ٣٥٦ - ٣٢٥ ق . م ) مولعا من وراء الغاية بدرس اشعار هوميروس وبعد ان هزم دارا ملك الفرس وقع اليه سخط كان بين اسلاب المغلوبين فسأل خاصته ماذا ينبغي ان يجعل فيه من مال أو متاع فاختلف آراؤهم أما هو فقال لهم : انه يضع فيه الياذة هوميروس لحفظ فيه حفظا جديرا بها . وكان الاسكندر أثناء رحلته الى آسيا أمر بأن تجلب له تواريح فيليبست وفاجعات اوريدس وسوقلسر واشيل وغيرهم ويجب اسناذه ارسطو كما يجب اباد لان هذا سبب حياته وذلك سبب سعادته . وأنشأ بطليموس موترا أحد خلفاء الاسكندر الذي استأثر بملك مصر عند ما قسمت المملكة اليونانية مكتبة الاسكندرية وهي شهر واغنى مكتبة في الازمان السالفة وكان ذلك بإشارة ديمتريوس دي فالير ( ٣٤٥ - ٢٨٣ ق . م ) البحوي المؤرخ اليوناني حاكم آثينة الذي غدا اول قيم على هذه المكتبة وجرى خلفاؤه من البطالسة على العناية بهذه المكتبة ولا سيما بطليموس الثاني فيلادلفس ( ٢٨٥ - ٢٤٧ ) و بطليموس الثالث افرجيتس . وكانوا ينشطون زراعة ورق البردي ليتوفر الورق لديهم ويستخدمون كثيرا من النساخ وربما لم يكونوا يستنكفون من السرقة لزيادة ما عندهم من الكتب كما فعل احدهم فاستعار من

مكتبة آتينة كتباً لشعرائهم وفلاسفتهم فاستنسخها ولم يرجع الاصل بل ارجع نسخاً ثانية منها وبطليموس الثاني فيلادلفس - لعله لقب بذلك استهزاء به لانه قتل أخوته أولانه تزوج أخته - هو الذي أمر بترجمة كتب العبرانيين المقدسة الى الرومية بمعرفة سبعين من علماء بني اسرائيل وكانت ترجمتهم السبعينية من أهم حوادث التاريخ لانها سهلت السبيل الى انتشار اليهودية ومهدت للتصراية

ولم تحرق مكتبة الاسكندرية التي قال بعضهم انه كان فيها نحو سبعة آلاف مجلد على يد الامام عمر (١) ولا بأمره كما جاء في بعض التقاليد فان هذه الدعوى من الاغلاط التاريخية العظيمة اذ لم يكن أثر هذه المكتبة عند ما فتحت الحرب مدينة الاسكندرية سنة ٦٤٠ وعلى عهد البطالسة اصبح أمر المكتبة الى ضعف فقسمت شطرين جعل كل منهما في مكان مستقل فخرق القسم الاول قضاء وقدرًا عند ما استولى يوليوس قيصر على الاسكندرية سنة ٤٧ قبل المسيح وذهب القسم الثاني وكان جعل في معبد سيرابيس على يد الاسقف تيوفيل بعد ذلك التاريخ بأربعمائة سنة عقيب الامر الصادر عن تيودوس بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها

ومن المكاتب الشهيرة في القديم مكتبة فرغمس « برغامة » في آسيا الصغرى أسسها اومينوس الثاني ابن اتال الاول قبل المسيح بمائتي سنة ويقول بلوتارك انه كان فيها مائتا الف مجلد بسيطة أهدها نطونيوس أحد حكام اليونان الى كلوبطرة ملكة مصر من نسل البطالسة . وقد قل كثير من الكتب من مكاتب آتينة والشرق الى ايطاليا وكانت المكاتب عند الرومان



تبنى بالقرب من معابدهم وأول مكتبة أنشئت في رومية على يد ازينوس بولتيوس. واطالما تنافس ملوكهم في الاكثار منها وفيهم من جعلوا خزان الكتب العامة في قصورهم. تساوى في الغلو بحب الكتب عالمهم وجاهلهم وعادلهم وظالمهم وتكلم على الكتب على عهد البرابرة والهونس والقوط والغوط الغربيين والفندالين وعلى غلاتهم من الافرنج في القرون المتأخرة (١) وأجاد ما شاء وشاء بيانه في اختيار المصنفات واتقاء الاجود منها فأتى على ذلك بشئ مما قاله أهل العلم والحكمة منذ الزمن القديم الى عهدنا هذا فقال ان توسديد حضر مجلساً لهيرودس المؤرخ اليوناني يتلوفيه على بعض أهل آمنة شيئاً من تاريخه فاهتز وطرب ولم يمالك ان يبكي وكان عمره خمس عشرة سنة وكان ديموستين يغالي في النوع بتاريخ توسديد نسجه بخضه الجميل ثماني مرات ليرسخ انشاؤه في ذهنه ويطلع عليه . وكان الاسكندر الكبير مهوياً بالياذة هو ميروس يصحبها معه حيث ذهب ويضعها تحت المخذة مع سلاحه عند ما ينام وكان شيشرون يرى ديموستين أخطب خطيب في كل ضرب من ضروب الخطابة ويعنى بما كتبه ارسطو وأفلاطون وتيوفراست كل العناية

وكان شارلمان (٧٤٢-٨١٤) ملك فرنسا مولعاً بتلاوة كتاب مدينة الله القديس أوغستينس كما ان الفريد الكبير ملك انجلترا (٨٤٩-٩٠٠) يوتر مطالعة قصص ازوب وترجمها شعراً الى اللغة السكسونية وكان يرى تيودور كازا النحوي اليوناني المشهور (١٣٩٨-١٤٧٨) ان كتب القدماء لو أُلقيت كلها في النار لاختار ان يخلص منها كتب بلوتارك . وجعل شارل لكان (١٥٠٠-١٥٥٨) كتب توسديد رفيقته في أعماله وكان يقرأ تذكرات كومن المؤرخ بولم شديد.

وكان كاتم السرفرنسيس باكون (١٥٦١-١٦٢٦) يقول ليست الكتب  
الا تكراراً فابحث في كتب اليونان والرومان والعرب وجميع مؤلفي القرون  
الحديثة فلا ترى فيها كلها شيئاً يتعدى ما قاله الفلاسفة ارسطو وأفلاطون  
واقليدس وبطليموس. وكان ملتون الشاعر الانكليزي (١٦٠٨-١٦٧٤) الاعمى  
يقرأ في الصباح شيئاً من التوراة بالعبرية ثم يدرس شعر هوميروس ويقال انه  
استظهره كله وعلم بناته الثلاث ثماني لغات يقرأن فيها عليه بدون ان يفهمها  
وكان يقول ان البنت تكفيها لغة واحدة ولكنه لم ير بداً من تعليمهن ليقرن  
له ما يجب

وكان كورنيل الشاعر الفرنسي (١٦١٦-١٦٨٤) يؤثر مطالعة تاسيت  
وتيت ليف المؤرخين اللاتينيين ولغنى عناية خاصة بلوكين الشاعر اللاتيني وسينيك  
الفيلسوف وسمع لافوتين الشاعر الفرنسي (١٦٢١-١٦٩٥) وهو في الثانية  
والعشرين نشيداً للشاعر مالرب فاخذة العجب باقوال هذا الشاعر ثم انصرف الى  
مطالعة هوراس وفرجيل ويرانس وكتيلين واختار من مؤلفي الفرنسيين رايلي ومارو  
ودورفي وفواتور وقرأ من الايطاليين اريوست وبوكاس وما كيا فيل وتاس  
وشغفت العقيدة دي سيفنية الكاتبة الفرنسية (١٦٢٦-١٦٩٦) بمطالعة أدب  
نيكول ثم كورنيل وبوردالو. وكان الاخلاقي لارويير (١٦٦٩-١٦٩٦) يرى  
ان موسى وهوميروس وأفلاطون وفرجيل وهوزاس لا يفوقون غيرهم من الكتاب  
والشعراء الا بمجودة تعابيرهم وتصوراتهم

وكان الشاعر راسين (١٦٣٩-١٦٩٩) استغنى وهو في السادسة عشرة  
أو السابعة عشرة اشعار سقولس وارييدس وقرأ أفلاطون وبلوتارك على  
الاصل اليوناني وكان وهو في المدرسة يقرأ رواية تيوجين وشاريكله لجليودور

اليوناني ففاجأه معلمه فتناول الكتاب من يده وألقاه في النار ثم اجتهد راسين ان يحصل على نسخة ثانية من هذه الرواية فعامله استاذُه بمثل ذلك ثم استحصل نسخة ثالثة واخذ يحفظها سرا ولما اتى عليها حمل النسخة الى معلمه وقال له :لك ان تحرق هذه كبحرق اختيا لاني لاحاجة بي اليها

وقال الكاتب الفرنسي سان أفرموند (١٦١٣ - ١٧٠٣) ان رواية دون كيشوت لسرفاتيس هي من المصنفات التي استطيع تلاوتها طول عمري دون أن امل ساعة وكنت أود أن أكون مؤلف دون كيشوت من بين جميع الكتب التي طالعناها من رأيي انه ليس من كتاب يساعد كثيرا على تحسين ذوقنا في كل الاثر. والله. ويظهر ان كوفيدو من حذاق المؤلفين واني لا اعتبره زيادة لانه اراد أن يحرق جميع كتبه عندما قرأ دون كيشوت وكان يؤثر لولم يؤلفها قال ثم اني رأيت بما يلذني طول حياتي كتب موتيتين وأشعار ماريب وفاجعات كورنيل ومصنفات فواتور

سئل الشاعر يوسويه (١٦٢٧ - ١٧٠٤) عن المصنفات التي يتبنى لو قدر له أن يؤلف مثلها فقال كتاب « رسائل الولايات لباسكال » وكان يؤثر شعر هوراس وكان بواله (١٦٣٦ - ١٧١١) يجعل لشعر هوراس المقام الاول ثم لثيرانس ويفضل مشاهير القدماء على مشاهير المحدثين ما خلا لباسكال فانه عده في مصاف العظماء وكانت مكتبة لايبنز الفيلسوف الالماني (١٦٤٦ - ١٧١٦) عبارة عن مصنفات أفلاطون وارسطو وبلوتارك وسكتوس امبيريكوس واقليدس وارخيدس وبلين وشيشرون وسيتيك وقد درس منذ نعومة أظفاره اللغات القديمة وآثر التوفر على الاخذ من الشعارين تيت ليف وفرجيل حتى انه كان في شيوخته يسملك ماقاله فرجيل بالحرف الواحد

وكان مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥) جعل قراءة كتابات تاسيت هيراه وقال من نفسه: اتي لاعترف ان ذوقي في القدماء وان الزمن القديم يبهني وانا اقول ابدا ما قاله بلين انكم ياهولاء تذهبون الى آئنة فاحترموا الارباب . وكان يحتفل من وراء الغاية بكتاب تليماك كما يأنس بكتب اشيل وارييد وسوقلس وبلوتارك وارسطو وافلاطون وشيشرون وسويتون وفرجيل ويختار من المحدثين كريليون وموتين ولاروشفوكولد ويمتدات أعظم الشعراء افلاطون ومالبرنش وشافتر بوري وموتين

و كنت ترى على منضدة فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) رواية اتالي لراسين وكتاب الصوم الصغير لاسيليون وقال الفيلسوف ديدرو الفرنسي (١٧١٣-١٧٨٤) في كلامه على القصصي الانكليزي ريشارسون ان مطالعة كتبك هي سلوتي في جميع أوقاتي فلو قضت علي الضرورة أن أبيع كتبتي لاعلم ثمنها أولادي لاستيتك منها وابقيتك لي أنت واسفار موسى وهوميروس وارييدس وسوقلس وانا بواب قراءة مرات . وكان العالم بوفون (١٧٠٧-١٧٨٨) يوصي بقراءة أعظم أرباب القرائم والقول وقد حصرهم في خمسة وهم نيوتن وباكون ولايز ومونتسكيو وهو في جملتهم

وكان « كانت » الفيلسوف (١٧٢٤-١٨٠٤) يرى ان الارق اذا استولى على اريئ فليس لصاحبه الا أن يحصر فكره في موضوع واحد أما هو فكان يجلب الناس الى عينه بأن يصور شيشرون وحياته وكتاباته . وكان كيتي (١٧٤٩-١٨٣٤) يرى ان خير ما يقرأ ما خطه افامل مولير وفولتير وقال عن هذا انه صفوة امته كما ان لويس الرابع عشر صفوته في السياسة وذلك لان كلاهما اذا طال عليها الهد يسلسل منها غرد يجمع جميع صفات اجداده

(٤٩)

الجزء ٥

المجلد ٣ من القنبر

وكلاهما وهكذا كان فولير أعظم كاتب كانت بينه وبين امته مناسبة وهو أعظم  
أديب على اختلاف الصور وأعجب مؤلف في الطبيعة  
وسنحدث القراء بشي من فوائد « الكتاب » بعد

### مجامع الغرب

اشتقت لفظة الجمع التي هي تعريب « أكاديميا » الا فرنجية من أكاديموس  
بطل آثينة فكانت الاكاديميا هناك عبارة عن بيت خاص أو ملعب محاط  
بالاشجار حوى عدة محال لتقديس الارباب ومنها محراب لربة الشعر أنشأه  
الفيلسوف أفلاطون فكان يتنزه تحت ظلال أشجاره مع تلاميذه ويذاكرهم  
في المسائل العلمية ولما هلك دفن في حديقة مجاورة لذلك المكان فتولى سبوزين  
بعده أمر الجمع ثم توسع في معنى الاكاديميا فصارت يطلق على فريق رجال الادب  
والعلم وأرباب الفنون يجتمعون للبحث في موضوعات عامة نافعة

هكذا كان شأن جمع البطالسة في الاسكندرية وجمع الاسرائيليين وجمع  
الخلفاء العباسيين في بغداد والامويين في الاندلس وجمع شارلمان والفرد الكبير  
الفرنسيين . وكانت بعض هذه الجامعات أشبه بمدارس منها بمجامع عليا كاترى  
المجامع اليوم

نشأت في أوروبا خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر مجامع عليية نظرية  
مثل مجمع فلورنسا احدى مدن ايطاليا (١٢٧٠) وجمع المناظرات البديعة في طولوز  
من فرنسا (١٣٢٣) ولم يكن في ذنك المجمعين بغير الشعر لما ان الشعر والادب  
هما أول ما تعانيه الامة وتجرح من عليه ليكون سلما الى سائر العلوم التي هي قوام  
الاجتمعات البشرية

أما الحركة التي أدت الى احداث المجامع الحالية في الغرب فيجتمع اليها خاصة أهل كل بلد وتظهر في المكتشفات والفتريات المهمة فقر ساليها وتبذل سقيمها فترجع الى عهد النهضة التي نشأت من إيطاليا والنهضة اذا أطلقت في أوربا يرادها دخول الآداب في طورها الجديد والقيام على الصنائع والعلوم التي نشأت فيها في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر. ومما ساعد على احيائها اكتشاف الطباعة واختراع النقش وهما الاختراعتان اللذان عمما الآداب والصنائع

نشأت تلك الحركة من إيطاليا فكثرت فيها المجامع العلمية أي كثيرة فلم تكن فيها مدينة الا وفيها جمع واحد على الاقل وربما كان في المدن الكبرى عشرون مجعاً أو تزيد. ومن المجامع الايطالية التي أشبهت المجمع العلمي الحالي مجمع كروسكا ولم يكتب البقاء لما عدها من المجامع العلمية الاية. نشأت في القرن السادس عشر والسابع عشر وقبلها كانت تلك المجامع تدوم بعد مؤسسها. وفي القرن السابع عشر حذت فرنسا حذو إيطاليا في مجامعها فكثرت فيها المجامع وحسنت حالها لان الحكومة في فرنسا أخذت يدها فكانت تنشأها في بلاد غني فيها بأمرها. فأنشأ ريشليو الوزير الفرنسي المجمع العلمي وأنشأ لويز الرابع عشر مجمع العلوم والآثار وفروعه التي نشأ منها مجمع الفنون الجميلة

اختلف بعضهم في فوائد المجامع العلمية ومما قاله رينان الفيلسوف الفرنسي "كثيراً ما يصفى صوت العلم النافع ويتضاءل أمام هجمة المهاجمين وقحة البجاليين. واللعلم صوت متى سكن ضجيج تلك الظواهر يظل ذلك الصوت يسمع فلا يموت أحد يسمع غيره ومن أجل هذا ترى المجامع العلمية على كثرة

شكوى أهل الافكار النحلة منها فائزة بفضل القلبة لانها حارسة حسن الترتيب  
الحقيقي وهي قليلة ولكنها مفتحة وليس لغير العقل سلطة تبقى « اه  
كانت المجامع العلمية الفرنسية من أعظم المجامع التي نشأت في عواصم  
أوروبا وعليها نسج التاجيمون وبمثالها اقتدى المقتدون

نشأ المجمع العلمي الباريزي الذي هو مفخر من مفخر القرنينس سنة ١٦٢٩  
على يد بضعة أشخاص من أهل الطبقة الوسطى كانوا يجتمعون مرة أو مرتين في  
الاسبوع في منزل فالنتين كوزرار أمين سر الملك فيباحثون كأنهم في زيارة  
عادية في الاخبار والآداب وإذا ألف أحدكم كتاباً يعرضه على غيره عن طيب  
خاطر فيقولون فيه رأيهم بحرية وكانوا ثمانية رجال ومعظمهم من أهل الادب  
ومن أرباب الذوق وأهل الشعور كما تدل عليه مصنفاتهم فضى عليهم نحو أربع  
أو خمس سنين وهم يوالون اجتماعهم على هذا النحو والسرور شامل لهم والفائدة  
يقتطفون من ثمراتها كل جني هي فاقصل خبرهم بريشليو وقد نم على جمعيتهم  
الصغيرة أحد أصحابه ولعل هذا الوزير أراخ أن يكون مرجعاً في كل شيء شأن  
كبار المستبدن فرض عليهم اذا كانوا يحبون أن يجتمعوا اجتماعاً عاماً ويتألفوا  
جماعة وكان ذلك في أوائل سنة ١٦٣٤ فتردد أولئك المجتمعون أولاً ثم أجابوا  
دعوة ريشليو فدعاهم أولاً الى تكثير سوادهم فبعد ان كانوا من تسعة الى اثني عشر  
رجلاً أصبحوا ثمانية وعشرين ثم تفاوضوا في الشكل الذي يجري عليه المجمع وفي  
مواده وعمله وهو عبارة عن تحسين اللغة الفرنسية وتأليف معجم لها وكتاب  
نحو وشعر وبيان لعم اللغة الافرنسية ويكون لها من الشأن ما كان في القديم  
للتنين اللاتينية واليونانية

مات ريشليو وخلفه في الرئاسة سيكويه من أصحاب السلطان وأ:- المجمع

العلمي صورة من صور ديوان رسمي ثم أخذوا بعد حين ينشرون محضر جلساته واصطلحوا على أن يلقي كل منتخب من زمرة أعضائه خطاباً . وفي سنة ١٧٠٢ قرر المجمع قبول النساء العالمات فيه . وفي رواية ان النساء كن يقبلن في مجمع التصوير والنقش الملوكي في باريس بصفتن أعضاء منذ عهد بعيد ولكن لا يقبلن في المجمع العلمي الايدي أكثر من غيره . ولطالما كافأ هذا المجمع النساء على ما جادت به قرائنهن من الكتب والرسائل ولم يفكر في إيجاد بعض كراسي لهن يجلسن عليها وكان النساء في مجمع التصوير والنقش ومازلن تمتعن بنفس الحقوق التي يتمتع بها الرجال وكان العقلاء يشكون في بعض الاحايين من دخول بعض الاعضاء في المجمع العلمي بالشفاعة والوساطة لعظم اقدارهم ولكن كانت الاكثرية في الغالب لارباب العلم النافعين ممن امتازوا بشيء أو كتبوا آثاراً نافعة ولم يحرم من الدخول في هذا المجمع من رجال العلم الا أفراد قلائل امتنعوا هم عن الدخول أو كان المانع من دخولهم سبباً ظاهراً

نفع المجمع العلمي اللغة الفرنسية بجاموسه فكانت أقواله محترمة معمولاً بها من الامة ولطالما أسف الانكليز والالمان أنفسهم على عدم توقّعهم لإيجاد مثل هذا المجمع فكانت لفتام لعدم المسيطرين عليها مادة رخوة قابلة لكل تغير يتصرف فيها على ما يشاء

وعلى ما يشتغل به المجمع من تنقيح اللغة وتهذيبها ينظر في المصنفات التي تعرض عليه ويكافيء عليها المحسنين بالجوائز . وله الآن ثلاث وعشرون جائزة يعطيها كل سنة . منها سبع عشرة جائزة أدبية وما عداها جوائز سموها جوائز الفضيلة

أما مجمع الآثار الفرنسي فقد انشئ سنة ١٦٦٣ من أربعة أعضاء من



أهل المجمع العلمي السالف ذكره وجعل أعماله النظر في حل الآثار والشعار والايقونات وان تحمل للماديات القديمة بساطة وذوق تعظم بهما قيمتها الحقيقية وفي سنة ١٧٠١ نظمه قانون ذلك المجمع مؤلفاً من أربعين عضواً يقسمون الى اربع طبقات . ويجتمع هذا المجمع مرتين في الاسبوع وأهم عمله البحث في الآثار الفرنسية والتاريخ الفرنسي كما يعنى بالآثار الشرقية والغربية كالاشورية والبابلية والسامية والمصرية وغيرها وفيه فحول من الاعضاء المحضين في كل علم من هذه العلوم وهو يعطي جوائز كسائر الاكاديميات الفرنسية ويتخب رئيسه لسنة كما في سائر المجمع ما عدا العلمي الكبير ويعاونه كاتم أسرار دائم وهو محسوب من جملة الاعضاء الاربعين

أما مجمع العلوم في فرنسا فنشؤه مجهول ولم يعرف له تاريخ في الحقيقة الا سنة ١٦٦٦ أيام رخص له الوزير كولبر بأن يجتمع في خزانة كتب الملك لما رأى في أعماله من خدمة الامة وفي هذا المجمع الفلكيون وعلماء التشريح والنبات والكيمائيون والمهندسون والميكانيكيون والطبيعيون . زاره لويس الرابع عشر فوقت زيارته له موقفاً حسناً . وقد خصصت له فرنسا منذ اول نشأته اثني عشر الف ليلة افرنسية لا يتبايع الادوات والآلات اللازمة لتجارب الكيماء والطبيعة وغيرها وعدد أعضائه اربعون أيضاً كالمجمعين السالفين وهم يقسمون أقساماً

اما مجمع العلوم الادبية والسياسية فلم يكن له كيان قبل الثورة الفرنسية وغاية ما في الامر انه أسس نادي « الاترسول » للبحث في هذه العلوم على يد الراهب دي لونكور في سنة ١٧٢٠ فكان يجتمع أعضاؤه وهم مائة من العلماء كل سبت ثلاث ساعات يقضون الساعة الاولى في تلاوة بعض اوراق مقطعة من الجرائد ويتباحثون في الساعة الثانية في الشؤون السياسية ويصرفون الساعة الثالثة

في قراءة بمفكرات . فظننت الحكومة الفرنسية فيه سوءاً فأمرت بإلغائه سنة ١٧٣١ حتى اذا كانت سنة ١٧٩٥ سن قانون لهذا المجمع ينقسم الى أقسام قسم العلوم الطبيعية والرياضية وقسم العلوم الادبية والسياسية وقسم الآداب والفنون الجميلة . وينقسم قسم العلوم الادبية والسياسية الى ستة أقسام لكل منها ستة أعضاء في باريس وستة مشتركين في الولايات يشتغلون في تحليل الأفكار والعواطف وهو قسم الفلسفة . والثاني قسم الاخلاق وقسم العلوم الاجتماعية والتشريعية كالتقنين والحقوق العامة والفقه . وقسم الاقتصاد السياسي كالمسائل المالية والاحصائية . وقسم للتاريخ العام والفلسفي وقسم للجغرافيا . ولما قبض نابوليون بوناپرت على قياد المملكة الفرنسية أراد أن يلغي هذا المجمع مخافة أن يثير حركة في القلوب الجالدة الا انه عاد بعد فتجددت حياته ولما تغيرت أنواع الحكومات في فرنسا تغيرت الاحوال على جميع العلوم الادبية والسياسية ثم انحصرت أعمال هذا المجمع بعد التثا والتي في الاشتغال بخمسة أقسام وهي الفلسفة والاخلاق والتشريع ( الحقوق العامة والفقه ) والاقتصاد السياسي والاحصائيات والتاريخ العام والتاريخ الفلسفي . وقد كثر ماجاد اهل الخير له بالاموال ومن رصدوا له الاوقاف فضلاً عما وضعته الحكومة الفرنسية من الاعتمادات من اجله فصار يتأتى له بذلك ان يكافيء المحسنين من المؤلفين . اما جمع الفنون الجميلة في فرنسا ايضاً فانه قام مقام عدة مجامع قبله انشئت منذ عهد لويز الرابع عشر فاضيف الى جمع التصوير والنقش مجمع للموسيقى وجمع للرقص . ومن المجامع الفرنسية مجمع التصوير والنقش الملوكي انشيء سنة ١٦٤٨ والنفي سنة ١٧٩٣

وهناك كثير من المجامع مثل اكاديمية سان دوك المؤسسة سنة ١٦٤٩

واللغة سنة ١٧٧٧ ثم المجمع الملكي للرسم الذي أسس سنة ١٦٧١ في باريز وألني سنة ١٧٩٢ ثم مجمع الفنون الجميلة وقد أسس سنة ١٧٩٥ ولا يزال حياً . وفي ولايات فرنسا كثير من المجمع العلمية للتصوير والنقش كما فيها مجمع علي لوسيتي ومجمع للرقص وآخر للجراحة وغيره للطب وهناك جمعيات علمية أيضاً

قلنا ان إيطاليا كانت مبعث المجمع الادبية والعلمية على الطراز الحديث وانها كثرت كثرة عظيمة وكانت هذه المجمع لاول أمرها عبارة عن اجتماع أشخاص انصرفوا الى العلوم والآداب والفنون وظهرت بأسماء غريبة دام بعضها وبعضها انقض أعضاءه والزمن جامع ومفروق . وأهم مجمع قام في إيطاليا المجمع الاثني في مدينة فلورنسا بسعد كوسم دي ميديسي كبير دوقات طوسكانا في عصره وكان ثم هذا المجمع درس أقوال افلاطون ثم تفرق اعضاؤه أيدي سباعب حوادث سنة ١٥٢١ ولم يعودوا يجتمعون ثم أسست بمجمع في نابولي ورومية غيت بالآداب والتمثيل والشعر واول جمعية اسست في إيطاليا للبحث في العلوم الطبيعية نشأت في نابولي سنة ١٥٦٠ على يد باتيست بورتا وكانت داره اول مجمع لاجتماع المحايين في العلم وهم كانوا سداء ولحمته وقد غيت بالبحث في الطب والفلسفة الطبيعية . ثم اتهم هذا المجمع بالسحر فاضطر مؤسسه ان يذهب الى حضرة البابا اليز الثالث ويريء نفسه مما عزي اليه وانحل المجمع وخلفه في رومية سنة ١٦٠٣ مجمع لنسي . وكان من جملة اعضائه غاليله صاحب الرأي المشهور في دورات الارض الذي ارداه الجهل في عصره . ثم انشأ البابا بيوس التاسع سنة ١٨٤٧ مجمعاً علياً في رومية سماه المجمع البابوي النيسي الجديد وبهد سنة ١٨٧٠ نظم هذا المجمع واطلق عليه اسمه القديم « المجمع النيسي » وهو الآن تحت حماية الحكومة الايطالية ويتناول نحو عشرين الف جنبه في

السنة من الحكومة وهو قسم العلوم الادبية والسياسية وفروع العلوم الطبيعية والظواهر الجوية

وفي سنة ١٦٥٧ أنشأ الامير ليوبولد دي ميديسي في فلورنسا مجمع سيمتو  
 فبحث في العلوم الطبيعية ثم انحل وأنشئ في مدينة فلورنسا مجمع كروسكا سنة  
 ١٥٨٢ وهو مجمع أدبي أسسه أشهر شعرائها وعني بتصحيح قاموس اللغة الايطالية  
 وهذا المجمع هو حجة الطليان في لغتهم كمعجم المجمع العلمي الباريزي باللغة الانترنسية.  
 وقد ضعف هذا المجمع بعض الضعف ولكنه مازال موجودا وأعضاؤه على قلتهم  
 نشروا الآن الطبعة الخامسة من معجمه وفي كل من بولونيا وتورين وميلان  
 والبندقية مجامع عليّة أدبية كما فيها مجامع خاصة في أمهات المدن الايطالية ومنها  
 ما يرد تاريخه الى سنة ١٥٠٠

أما مجامع الفنون الجميلة فهي بلا شك وافرة في بلدان ايطاليا وكيف وهي  
 أم الصنائع النفيسة والتفنن والدق وأهم المجامع من هذا النوع مجمع ميلان أسس  
 سنة ١٤٨٣ ومجمع الفنون الجميلة في ميلان ومجمع بولونيا المعروف بالمجمع الكليمتي  
 نسبة للبابا كليمان ومجمع جين اللتوي أسس سنة ١٧٥١ ومجمع تورين ومجمع البندقية  
 ومجمع نابولي ومجمع بارم ومجمع مودين ومجمع لوك ومجمع سين وأهم المجامع المجمع  
 الروماني لسان دوك أسس سنة ١٥٨٨ ومجمع الفنون والتصوير أسس سنة ١٨٦٠ في  
 فلورنسا وكان أسس على عهد كوسم الاول امير ميديسي وغيرها من المجامع  
 الصغيرة وفيه بعض أعضاء من الاجانب ولا سيما من الاسبانيين .

أما مجامع اسبانيا فهي همة أيضاً . فقد أسس الدوق اسكلونا في مدريد  
 سنة ١٧١٣ مجعاً علياً على نسق المجمع العلمي الفرنسي والايطالي وذلك لنشر  
 اللغة الاسبانية وحفظها فكان أعضاؤه بادئ بدء ثمانية ثم أصبحوا أربعة وعشرين  
 الجزء • (٥٠) المجلد ٣ من المجلد

وله رئيس ينتخب كل سنة وكان أسرار دائم وقد نشر معجما . وهناك المجمع التاريخي أسس سنة ١٧٣٨ وكان لأول أمره جمعية خاصة جعلها الملك تحت حمايته وهو يعني بالمباحث التاريخية وعاديات البلاد الاسبانية . وكان أسس في مدريد مجمع للطبيعات واتقضى بعد سنين خلفه مجمع العلوم الذي أسس سنة ١٨٤٧ وقد جروا فيه على مثال مجمع العلوم في باريس وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام العلوم الرياضية والطبيعية والظواهر . وفي سنة ١٨٥٨ انبثوا في مدريد مجمعا على مثال المجمع العلمي الفرنسي للعلوم الادبية . وفيها مجمع للفنون الجميلة أيضا

ولحكومة البرتغال في لشبونة عاصمتها مجمع للبحث في التاريخ الترتالي أسس سنة ١٧٢٠ على يد الملك يوحنا الخامس وازافت اليه الملكة ماري سنة ١٧٧٨ مجمعا للعلوم الزراعية والفنون والتجارة والاقتصاد العام . وقد نظم المجمع العلمي سنة ١٨٥١ وهو قسمان أحدهما للعلوم الصرفة والثاني للادب والتاريخ والحقوق والعلوم الادبية والسياسية وأخذ منذ سنة ١٨٧٨ ينشر مذكرات أدبية برتغالية ومجاميع تاريخية مخطوطة ومفكرات اقتصادية

وتجد في اميركا الجنوبية مجامع علمية في كل عاصمة من عواصم جمهورياتها وأهمها مجمع الفنون الجميلة في ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل اسسها الملك يوحنا السادس البرتغالي وكان مديره واساتذته من الفرنسيين أولا

وأُسست البلجيك سنة ١٧٧٢ المجمع الملكي البلجيكي في بروكسل على يد الامبراطورة ماري تريز ملكة بلاد القاع وهو يبحث في العلوم والادب ومازال الى اليوم سائرا على قدم النجاح وقد ضم اليه كل مافي بلاد البلجيك من اهل العلم وجملة لواء الادب وفي كل سنة يعين الملك رئيسا للمجمع من أحد اقسامه الثلاثة في الادب والفنون الجميلة والعلوم . وينتسب اليه أوروبيا بأسرها

تزهر بالعلوم والآداب على عهد النهضة والاصلاح كانت البليجيك ومن  
اذاك بلاد القاع الاسبانية قد خربت ومنى سكانها بالحروب المدينية وزان  
من اوج السعادة الى حضيض الذلة المحزنة . دامت على ذلك طول القرن السابع  
عشر وفي تلك الحال التي كانت فيها بلاد البليجيك على جانب من ضعف القوى الطبيعية  
والعقلية سلت ولاياتها انمسا بموجب معاهدة اوترخت سنة (١٧١٣) وكانت  
الاداب والفنون قد اضمحلت فيها ولم يبق فيها اثر للعلم الا في كلية لوفين والتعليم  
فيها على ضعف . فارق الفنى تلك الامة وان لم يفارقها نشاطها واحتفظت بتقاليدها  
وبفضل الملكة ماري تريز هبت البلاد من رقتها وانعكس ذاك السبات  
الطويل الى يقظة تامة وأعضاء ذاك المجمع ٤٨

وفي البليجيك مجمع طبي أسس سنة ١٨٤١ أعضاءه أربعون وقبل أعضاء  
شرف بقدر ما يستنسه وأعضاء مراسلين يبلغ مئتين رجل منهم ٢٠  
بلجيكيًا و٦٠ أجنبيًا . كما ان فيها مجمعا عليا للفنون الجميلة في مدينة انفرس وفيها  
مجامع للصنائع النفيسة في أمهات المدن البلجيكية . ولكن لمجمع انفرس فضل  
التقدم على سائر المجامع التي من نوعه لان تلك المدينة نفسها امتازت بالصنائع  
والتفنن فيها منذ خمسة قرون وقد أصبح هذا المجمع بفضل الدروس التي يلقيها  
في التصوير والنقش والحفر والهندسة كعبة التعداد من مئات من الطلاب في  
بلاد البليجيك وغيرها . وفي هولاندة مجمان أحدهما يدعى مجمع بلاد القاع أسسه  
سنة ١٨٠٨ الملك لويز بونابرت واستحال سنة ١٨٥٢ الى مجمع العلوم والثاني مجمع  
ليدن أنشئ سنة ١٧٦٦

ومن اعظم المجامع العلمية في المانيا المجمع الذي اسس في فينا سنة ١٦٥٢  
على مثال المجمع الايطالية وليس له مدينة معينة يجتمع فيها بل يغير مقره بحسب

ارادة رئيسه ولكن خزانة كتبه لم تزل باقية في درسد عاصمة سكسونيا وقد نشر منذ سنة ١٨٩٥ سلسلة مفكرات تحت اسماء شتى كلها في العلم والطب . ومع انتشار العلم في بلاد الالمان وكثرة الكليات فيها لم يشعر فيها بالحاجة الى المجامع العلمية لاول ارتهاها فلم تؤسس المجامع في قواعد بلادها الا في القرن الثاني عشر على مثال المجامع الفرنسية وذلك في مدن برلين ومونيخ وليزيك وغوتنغن اسس الفيلسوف الالماني لاينز في برلين بمساعيه وفضل صوفيا شارلوت حامية الآداب والعلوم في عصرها مجمعا للعلوم . فصدر الامر بانشائه سنة ١٧٠٠ ولم يرض فريدريك الاول ان يعد هذا المجمع من جملة دواوين الحكومة الا بعد اللتيا والتي واجابة لرغائب زوجته حامية الآداب والعلم فخرى المجمع منذ ذاك العهد على مثال مجمي لندن وباريز وذلك بجمع المعارف المتفرقة في العالم وتقريبها من الازهان وتنظيمها وجعل مجموعة لها واضحة سديدة وان تُنى ويزاد عليها وتوضع موضع الاستعمال ويم امرها وتشربها النفوس على طريقة امينة مشروعة . قال لاينز الحكيم في قانون هذا المجمع وهو من انشائه ان الاسباب التي تبلغ بنا هذا الغرض الذي نري اليه هي التأمل ومراقبة صنع الله وعجائبه في الكون ووصف الاكتشافات والاختراعات وما صاغته يد الانسان من النفائس والعناية بما عني به الناس واعتقدوه من عقائدهم وعلى الجملة النظر في جميع هذه الدروس وتطبيقها على العمل فهي كثر العلم والعمران الاجتماعي وهي المادة التي تساعد على الخير العام والتوفر على الفضيلة وبث الحقيقة وتمجيد الخالق « التي ان قال : » ألا وانه يجب تطبيق العلم على العمل وتكامل الصنائع والعلوم بأعمالها والعناية بكل ما ينفع البلاد والشعب في الزراعة والصناعة والتجارة بل في الطعام والادام ويعني شأن المانيا »

وما برحت حال هذا الجمع في ارتقاء وملوك المانيا يضدونه مدفوعين الى ذلك بدافع طبيعي من حبهم للعلم أو بدافع حب الظهور والتباهي في الكالات حتى جاء زمن على الجمع في القرن الثامن عشر أبدل فيه اللغة اللاتينية التي كان يكتب بها أعماله باللغة الفرنسية لان هذه كانت لغة العلم اذ ذاك ولكن استعمال الفرنسية لم يدم غير عشر سنين ثم خلفها الالمانية وكثرت وارادات الجمع كثيرة مهمة بما فتحة به الحكومة الا ان كلية برلين قد غطت على شهرته بمقامت به من الاعمال العلمية ومع هذا دام له شأن يذكر بين الخاصة ولاسيما عند علماء الارض الذين يقدرون أعماله العلمية قدرها وهو اليوم أهم مجمع للباحث اللغوية والتاريخية وله عناية خاصة بالعربية والسنسكريتية .

وفي برلين مجمع للصنائع الجميلة أنشئ سنة ١٧٠٣ وكان مديره فرنسوين بادي بدء . وفي بافيرا مجمع للعلوم اسمه الجمع الملكي هو في الدرجة الثانية عن الاكاديميات الا أنه تفة محترم أسس في مونخ سنة ١٧٥٩ واشتغل لاول أمره بالمباحث التاريخية وفي سنة ١٨٠٩ نظم شؤونه تنظيما حسنا وعهد برئاسته الى الفيلسوف جاكوبى وقسم أعماله الى ثلاثة أقسام وهي الفلسفة واصل اللغات والعلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية

وفي مونخ مجمع للفنون الجميلة . وفي اماره ساكس مجمع للعلوم أنشئ في درسد عاصمتها الا أن مدينة ليزيك مركزه الحقيقي وقد أنشئ سنة ١٨٤٦ وعدد أعضائه سبعون عضوا يتقسمون الى قسمين القسم الرياضي والطبيعي والقسم التاريخي واللغوي . وفي كل من ليزيك ودرسد مجمع للفنون الجميلة . وأنشئ في غوتغن مجمع للعلوم انتظم أمره سنة ١٧٧٠ وهو ذو ثلاث شعب : الرياضيات والطبيعات والتاريخيات وللشعبة الطبيعية فيه أثر مهم في الحركة العلمية الالمانية



ويمكن أن يلحق بتجامع ألمانيا مجمع فيينا عاصمة النمسا اليوم ولقبة الألمانية وفي فيينا منذ ذلك المجمع على امبراطوري وضع مشروعه لاينز الفيلسوف ولكنه لم يؤسس إلا سنة ١٨٤٦ على يد الامبراطور فرديناند الاول وهو شعبتان شعبة للرياضيات والطبيعات وشعبة للتاريخ واللغة وله ٦٠ عضوا مواظين و٢٤ نضوا بالشرف و١٢٠ عضوا مراسلين وكان أول رئيس له المستشرق الكبير هارم بورجستال . وأسس في فيينا سنة ١٧٠٤ مجمع للفنون الجميلة

وفي بريطانيا العظمى وايرلندا تطلق لفظة مجمع على المجال التي تعنى بالفنون الجميلة وما عداها من الجمعيات التي يشترك فيها كثير من رجال العلم والادب لتقصد يقصدونه وعلم ينمونه وأدب يشدونه يدعى جمعيات . فالجمعية الملكية في لندن لا تاهل عن المجمع العلمي في باريس وبرلين ويرد عهد تأسيسها الى سنة ١٦٦٦ وقد كان شأن هذه الجمعية على عهد جان الاول وشارل الاول من الضعف على جانب . وكان باكون الفيلسوف اعتاد أن يجتمع هو وأصحابه من أهل العلم والحكمة في اكسفورد على الدوام للبحث في الموضوعات التي لها علاقة بالعلوم العملية ولما ارتقى شارل الاول الى عرش انكلترا أصدر اليهم أمرا يعترف بجمعيتهم وعندها بدأ أمرها بالظهور وما زال شأن هذه الجمعية العلمية زاهرا طول القرن الثامن عشر والتاسع عشر واشترك فيها كثير من نبلاء البلاد الانكليزية وجميع علمائها ولكن بدون ان يعطى النبلاء لقباً علمياً . وما برحت منذ سنة ١٦٦٥ تنشر كتباً تحت عنوان القضايا الفلسفية وقد بلغت الى الآن زهاء مائتي مجلد . وفي لندن مجمع الفنون الجميلة الامبراطوري أنشئ في خلال القرن الثامن عشر وفي ايكوسيا مجمع التصوير اسمه مجمع ادمبرغ وفي دوبلين عاصمة ايرلندا مجمع اسمه المجمع الملكي الارلندي أسس سنة ١٧٨٦ بجانب كليتها وفيها مجمع للفنون الجميلة . وفي بعض

المستعمرات الانكليزية بمجامع عليّة مثل المجمع العلمي في مدينة فيكتوريا من أستراليا وفي بلاد السويد والنرويج بمجامع عليّة كثيرة جروا فيها على قدم المجمع الفرنسي وهي ناجحة للغاية . وفي استوكهلم ثلاثة مجامع فيها ثلاث شعب كالمجمع العلمي الباريزي وفيها المجمع العلمي التاريخي وجمع لغوي يبحث في محسن لغة السويد وفيها مجمع عليّ للفنون الجميلة أسس سنة ١٧٣٣ وهو كمفهم المجمع اني من شكله عبارة عن مدرسة للفنون الجميلة مع متحف وأساتذة وتلاميذ معدل عددهم أربع مائة

وفي استوكهلم مجمع عليّ على مثال مجمع العلوم في باريز وبرلين أسس سنة ١٧٣٥ على يد العالم تريوالد المشهور في عصره اجابة لدعوة أحد رجال تلك البلاد وعلى نفقائه وكان دعاه الى لقاء محاضرات عامة في الطبيعة العملية فحذا جذو تريوالد كثير من أهل الادب حتى اذا كانت سنة ١٧٣٩ أنشأ هؤلاء العلماء في استوكهلم جمعية صغرى غايتها البحث في المباحث العلمية وتعميمها ثم انتظموا في شكل مجمع عليّ يجتمع في أوقات معلومة ولا يكتبني بالمحاضرات فجمع في شؤونه ونشر كما تنشر المجامع العلمية خلاصة بأعماله ونبي خبره الى فريدريك الرابع ملك السويد فجعله تحت حمايته ودعاه بجمع العلوم الامبراطوري في السويد واذ لم يصدق الملك على هذا المجمع شيئاً من مال الحكومة بقي حراً في حكم نفسه بنفسه وادارة شؤونه مستقلاً عن الحكومة وهو الآن يتناول وارداته من الوصايا ومن يحسنون عليه بالاموال وينجونه الترخ من أهل الخير . ويتعاقب الاعضاء القيمين في استوكهلم رئاسة المجمع كل ثلاثة أشهر وأعضاؤه من السويديين وغيرهم من الاجانب . وكان هذا المجتمع ينقسم سنة ١٧٩٩ الى سبعة أقسام وهي الاقتصاد السياسي والزراعي والتجارة والصنائع الميكانيكية والطبيعة والتاريخ

الطبيعي الوطني والطبيعة والتاريخ الطبيعي الاجنبي والعلوم الرياضية والطب والادب والتاريخ واللغات

وفي اوبسال احدى مدن السويد جمع اسمه مجمع العلوم الامبراطوري أسس سنة ١٧١٠ ولكنه لم يعترف به رسمياً الا سنة ١٧٢٨ وكانت كيفية انشائه غريبة وذلك ان طاعوناً جارفاً انتشر في اوبسال سنة ١٧١٠ فانفض طلاب مدرستها الجامعة واقطعت ألسن المدرسين عن التدريس وخلت المنابر من أصوات الخطباء وساد الملح والقلق في ارجاء البلاد فرأى أحد علماء اوبسال المدعواريك برزيلوس خازن كتب الكلية وهو مؤرخ وقفيه مشهور في قومه أن يجتمع أساتذة الكلية في المدرسة مرة في الاسبوع في قاعة المكتبة ليقضوا الوقت في المحاورات الودية ويخوضوا في الموضوعات الادبية ويطردوا عنهم كما قالوا شيطان الموم ويقضوا الوقت بلا ملل فاجتمعوا لأول مرة وسموا مجعهم مجمع الفضوليين وكان هذا الاجتماع أساس المجمع العلمي الحالي . ثم غير اسمه وأخذ بفضل أعضائه ينشر كسائر المجامع مذكراته وأعماله ورسائله ولكن باللغة اللاتينية أولاً وما برحت تصدر مذكراتهم باللاتينية الى اليوم وان كان معظم الاعضاء يكتبون مقالاتهم بالالمانية أو بالانكليزية أو بالفرنسية

وفي بلاد النرويج مجامع علمية وان لم تكن في الغاية بموقعها فهي مفيدة وحرية بأن يشار اليها . ففي كرسثيانيا جمع أسس سنة ١٨٥٧ ومثله في دورتيم أسس سنة ١٨٦٠ يعني بالبحث في الصنائع والتجارة لا بالعلم المحض . وفي كوبنهاغن جمع العلوم الامبراطوري أيضاً أسس سنة ١٧٤٢ على عهد كرسثيان السادس وهو شعبتان الفلسفة والتاريخ والعلوم الرياضية الطبيعية وينشر مذكرات من أمتع مايؤلف وينشر . وفيها أيضاً مجمع للفنون الجميلة أسس سنة ١٧٣٨

وفي بطرسبرج عاصمة روسيا جمع للعلوم كان الباذني بإنشائه بطرس  
الاكبر تأسس سنة ١٧٢٤ من ثلاث شعب وهي الرياضيات والتاريخ الطبيعي  
والتاريخ والفقه ويقضى على أعضائه ان ينصرفوا للتعليم ويعنوا بتخريج تلاميذ  
يختارونهم من شبان الصقالية «السلافيين» الاجانب . وكان جميع أعضائه من  
غير الروسين لاول أمره أي من السويسريين والالمان . وقد خدم تاريخ روسيا  
وعلم آثارها أجل خدمة في منتصف القرن الثامن عشر وكان أول عضو روسي  
فيه الشاعر لومونوروف ورأسه الاميرة داشكوف من سنة ١٨٨٣ الى ١٨٩٤ وهي  
التي نظمت جلساته وجعلتها باللغة الروسية وشرعت في نشر عدة مجلات بالروسية .  
وانشئت فيه شعب للعلوم التاريخية والاحصائية والسياسية وقسم للغات الشرقية  
وقد خدم العلم أعظم خدمة ونشر عدة كتب ولا سيما قاموسه السلافي الروسي  
وقل بعد ذلك عدد الاعضاء الروسين فيه وقام بعدة بعثات علمية مهمة . وفي  
بطرسبرج أيضاً جمع للفنون الجميلة أسس على عهد الامبراطورة اليزابت سنة ١٧٥٧  
وكان أساتذته من الاجانب لاول عهده

ولقد أنشأت الامم النازلة في الجنوب الغربي من أوروبا في القرن التاسع  
عشر وهي الامم التي أحرزت الاستقلال أو تحاول نيله مجامع علمية لتدلل بها على  
وطنيتها ويجمع شمل العلماء الذين يخاطبون أوروبا في أمورها ومن تلك المجامع المجمع  
المجري أسس سنة ١٨٣١ وعاقته حوادث سنة ١٨٤٨ فلم يصبح عاملاً الا في سنة  
١٨٥٨ ثم قام دعاء الوطنية وأخذوا يستوكفون الاكف فاشترك في الجودله  
رجال مختلف طبقاتهم من البارون سينا الذي تبرع بثمانين ألف فلوريني الى  
الحدام والحادامات الذين كانوا يمجودون بالقروش الصغيرة فأنتشي المجمع من  
جديد وافتتح بناؤه سنة ١٨٦٥ في بقعة من أجل بقاع الارض على ضفاف الطونة  
الجزء ٥ (٥١) المجلد ٣ من المقتبس

بين مدينتي بودابست - وهو خمسة أقسام قسم في أصل اللغات وآخر في التاريخ الادبي وثالث في التاريخ ورابع في الاقتصاد السيامي وخامس في الرياضيات والتاريخ الطبيعي وعلم الآثار وله دخل وافر يمكنه من العناية على العلم وهو يمين ثلاث مجالات مجرية بقدر من المال . منها مجلة بودابست وهي أشبه بمجلة المجالات الافرنسية تقوم على نشر العلم بين الطبقات المختلفة وتغطي جوائز كبعض المجامع العلمية لمن يبرز في الادب والعلوم

وقد أسس سنة ١٧٦٧ في آغرام مجمع دعي المجمع الجنوبي السلافي في آغرام نشر كثيرا من الكتب المهمة لقدماء كتاب الكرواسيين والصقليين . وفي بلغراد من بلاد الصرب مجمع للعلوم أسس سنة ١٨٤٦ يعنى بالتاريخ والعلم واللغة ولا سيما تاريخ بلاد الصرب وجيولوجيتها وفي كراكوفيا مجمع لهم أنشي سنة ١٨١٦ وجعل سنة ١٨٧٢ مجمعا على مثال المجامع العلمية . وأسست في بولونيا عدة مجامع في القرن الثامن عشر ولكنها لم تهم لها قائمة لأسباب سياسية وكانت تحل بعد اجتماعها بقليل

وفي رومانيا مجمع علي أنشأه الوطنيين من الرومانيين لبيان الآداب الرومانية ووضع حدود لهذه اللغة وقواعدها لها ولا سيما بعد ان انضمت امارتا مودلافيا الى الافلاق واشتغل هذا المجمع زمنا بترتيب اللغة الرومانية وتصفيها من الشوائب والبحث في اللغة القديمة واللغة الحديث .

وفي الولايات المتحدة عدة مجامع علمية مهمة منها مجمع نيويورك ومجمع الفنون الجميلة ومجمع الموسيقى . وأول مجمع علي أنشي فيها من على يد العالم فرنكلين سنة ١٧٤٣ ارتأى تعميم المعارف الزراعية فأسس المجمع الفارسير الاميركي وقد انضم اليه مجمع آخر فتقوى به وما زال فرنكلين رئيسه يجدد انفعاله كل

سنة حتى مات ولجميع مكتبة فيها زهاء ثلاثين ألف مجلد . وأسس سنة ١٨١٢ مجمع العلوم الطبيعية في فيلادلفيا . وهو من أم الجامع الاميركية وقد جمع له متحف ومكتبة لانظير لما وفي خزانه كتبه زهاء ثلثمائة ألف مجلد وفيها كثير من الكتب في التاريخ الطبيعي للولايات المتحدة ومتحفه مفرد في بابه . وأسس في بوستون مجمع للفنون والعلوم سنة ١٧٨٠ سموه المجمع الاميركي وغايته تنشيط الدروس الالترية ودرس التاريخ الطبيعي وتطبيق المواد الطبيعية على صنائع البلاد وعلومها وله مكتبة فيها عشرون ألف مجلد وأقيم في بوستون أيضاً سنة ١٨١٤ مجمع للتاريخ الطبيعي ثم خلفه مجمع آخر سنة ١٨٣٠ وله مكتبة مهمة ومتحف وينشر كتباً ومفكرات . وفي نوهافن مجمع للعلوم والفنون وفي نيويورك مجمع للعلوم

وفي سالم من ولاية ماساشوسيت مجمع للعلوم أنشأه الكريم بابودي ففتح مائة وأربعين ألف دولار . وفي سان لري مجمع للعلوم وفي شيكاغو كذلك كما في سينيائي مجمع للتاريخ الطبيعي وفي كليفورنيا كذلك ومجمع هذه يكبر بكثرة ما يمنح من عطايا الاسخياء . وفي ايوفا مجمع للعلوم الطبيعية أسسته عقيلات دافانبور بالمهن . وفي فلادلفيا مجمع لترقية العلوم غرضه أن يطوف أعضاؤه في البلاد ويتباحثوا ويتبادلوا الافكار . وفي أميركا أيضاً مجمع للعلوم اسمه مجمع العلوم الوطني أعضاؤه مائة يجتمع في واشنطن وفي هذه المدينة المجمع السميثوني أسس سنة ١٨٤٦ بما وقفه عليه جايكس سميثون المتوفى سنة ١٨٢٩ وهو من أم مجامع الولايات المتحدة وله متحف طبيعي من أعظم متاحف العالم قام بفضل سخاء الاسخياء عليه وهناك عشرات من الجمعيات والجامع في أمهات المدن الاميركية سواء كان في الكليات أو غيرها تنشر الكتب وتغني يث العلم والافراد ينحونها

المنافع السنية • هذه نبذة في الجامع على اختلاف مقاصدها في العالم المتمدن  
لخصناها عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ورمزنا بزيادة عددها الآن أكثر من  
ذلك فحسب أن يكون فيها للشرق درس نافع

### كلمة معتبر

أقوى مصيف القوم والمربع	فالدار قفر بعدم بلقع
سارت بنا الأرض إلى غاية	لنا وللأرض هي المرجع
ونحن كالماء جرى نابهاً	لكن علينا خفي المنبع
والعلم قد أنكر منها جنا	ولم ين أين هو المهيح
خرقت يا علم رداء لنا	كنا ارتديناه فهل ترفع
فجست يا علم في أمرنا	أعتب أنت إذا نجزع
قد طفت حيرة أهل النهى	هل فيك يا علم لها مردع
كم تشرب الظن فلا ترتوي	ونأكل الخدس فلا نشبع
والناس ويل الناس في غفلة	ترتع والموت بهم يرتع
والكون قد لاح بمرآته	للميش وجه شاحب أسفع
وإن في البدر لحطبا به	في البدر لاحت بقع أربع
فالعين ما يورث حزناً ترى	والأذن ما يزعمها تسمع
والأرض في منقلب بالورى	والشمس من مشرقها تطلع
حتى إذا ما بلغت شوطها	لاحت نجوم في الدجى تلج
وهكذا الظلمة تتلو الضياء	والضوء للظلمة يستبج
ونحن في ذاك وفي هذه	بالنوم واليقظة نستمتع

مايين مسعود يميت الفجى	نوماً ومنكود فلا يهجع
ومسرع يسبقه مبطي	ومبطي يسبقه مسرع
وشامت يضحك من حادث	حلّ يياك قلبه موجع
لو كان للقسوة عين وقد	رأته كانت عينها تدمع
والكل في شغب لهم دائم	لم يقلعوا عنه ولن يقلعوا
والماء يمسي وشلا تارة	وحوضه آوثة مترع
والريح تجري وهي ريدانة	حيناً وحيناً عاصف زعزع
وبعضهم تمرع وديانه	وبعضهم واديه لا يمرع



قد يحسب الانسان آماله	والموت مصغ نحوه يسمع
حتى اذا اكمل حسابها	واقاه ما ليس له مدغم
نخر للجنب صريعاً به	وأبي جنب ماله مصرع
وظل فوق الارض في حالة	يزور عنها الحسب الارفع
لا تعمل الاقلام في كفه	وكان من قبل بها يصدع
ولم تمد تقطع أسيافه	من بعد ما كان بها يقطع
فاستل مثل السيف من مطرف	طرائق الوشي به تلمع
ولف في ثوب له واحد	ليس له رقم ولا ميدع
واها له ثوب البلى انه	يلى مع الجسم ولا ينزع
ودس حيث الارض أمست له	ملحودة ضاق بها الضممع
حيث البلى يزيمه حتى اذا	لم يبق في قوس البلى منزع
خاطط ترب الارض جثمانه	مطحونة منه بها الاضلع



لله در الموت من خطة      فيها استوى ذوالبي والمصقع  
 يخون فيها القول منطقته      كما تخون البطل الادرع  
 ما اقدر الموت فن هوله      لم ينج لا كسرى ولا تبع  
 يارافع البنيان كم للردى      من سلم يدرك ما ترفع  
 ويا طبيب القوم لا تؤذهم      ان دواء الموت لا ينجع  
 لا بد للفرور من مندم      بالعض تدى عنده الاصبع  
 وما عسى تفني وقد حشرجت      ندامة ليست اذا تنفع  
 يابرقع الخلفة واهاً لا      فيك واهاً منك يابرقع  
 قد زاعت الابصار فيما تري      اذ فات عنها مرك المودع  
 وليس في الامكان عند النهي      ابدع ما خلق المبدع  
 بغداد      معروف الرصافي

## سیر العلم والاجتماع

### مستقبل علم الاجتماع

نشرت احدى المجلات الاجتماعية آراء خمسة عشر عالماً من كبار علماء  
 الاجتماع في اوروبا وأميركا سألهم عن مستقبل هذا العلم الحديث الذي نشأ في  
 الحقيقة منذ ثلاثة ارباع قرن عند مائشر اوغست كوت الفيلسوف الفرنسي  
 فلسفته الحسية وكان بها واضع أساس علم الاجتماع فكانت أجوبتهم على ان هذا  
 العلم مازال في حدائمه الاولى ويرجى أن يكون له بعد أجيال اساس راسخ وان  
 القرن التاسع اورث هذا القرن فيما أورث من تركته الضخمة مشكلة كبيرة فان  
 ترك له ماتم من الارتقاء في العلوم الطبيعية واكتشاف قوانين النشوء التي تشمل

العالم فان أهم مشكلة علمية ترك للقرن العشرين حلها هي تحديد الصلات بين الاسباب وقوانين النشوء السارية على الانسانية وان تقسيم العلوم التي يقوم عليها علم الاجتماع والتوفر على خدماتها سيجعل لهذا العلم شأنًا غير شأنه الحاضر ويكون كفيلا بأعظم النتائج وأخص هذه العلوم هي تاريخ الحقوق وعلم الاقتصاد السياسي وعلم الاديان والصنائع والفنون والتاريخ قال أحدهم ان الغاية من علم الاجتماع أن نفهم منه النظم الاجتماعية الحاضرة بحيث يتجلى لنا ما يكون من أمرها بعد وما نريد ان نحولها اليه ولا بد أولاً لفهم قانون من القوانين من معرفة كيفية تركيبه فالنظام الاجتماعي مركب من اجزاء فيتحتم حل هذه الاجزاء بمفرداتها نيتاً في الحكب على كل منها على حدته ولا يكفي في اظهار ذلك ان ننظر الى القمانين من حيث انتهى اليه حاله فانه بذلك لا نعرف العناصر المختلفة المؤلف منها كما اننا لارى بالعين المجردة الخلايا التي تتألف منها الانسجة في الاحياء او الذرات التي تتألف منها الاجسام فيقتضي اداة للبحث لاظهار ذلك ولا سبيل اليه الا بالتاريخ فبه نعرف تلك القوانين التي تألفت قطعة قطعة وكيف جاء بعضها أثر بعض والتاريخ مقام في نظام الحقائق الاجتماعية يشبه مقام الميكروسكوب في نظام الحقائق الطبيعية

سم الدخان

انشأ باعة الدخان في فرنسا يبيعون دخاناً خالياً من النيكوتين اي المادة السمية الموجودة فيه وقد جرب احد علماءهم هذا الدخان في القافات والغلايين فبين له انه لا يضر أصلاً كالكاف الخان الانكليزي الذي حق بمقوعه بعض الحيوانات فاصيبت بعد ٣٨ الى ٥٦ يوماً بالتهاب الشريان (الابهر الشمالي) المزمن أما المحقونة بالدخان الفرنسي الخالي من النيكوتين فخنقت مستين مرة فلم ترد به الاستمنا ولم يظهر عليها عرض من أعراض الامراض

## لغة الاسبرانتو

قبلت مدرسة فرنسا في باريز هذه اللغة التي اخترعها الدكتور زمنهوف الروسي منذ نحو عشرين سنة بصفتها لغة مساعدة عامة وقد اصبح الذين قبلوا هذه اللغة ٣٠٧ جمعيات علمية وغيرها كما تعلمها ١٠١١ عالماً من علماء الارض على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم

## حداثك الاطفال

أنشئت في منشستر حداثك من الرمل يلعب فيها صغار الاطفال الضعاف البنية فيحضرون اليها يحملون محافروسطولا ( كرا دل ) يحفرون ويسقون وتلاحظهم احدى النساء وفي الايام الممطرة ينتقلون الى مكان مسقوف وقدرأى الباحثون ان هذه الطريقة نافعة لتقوية أجسام الضعاف .

## التثيل في آسيا

قال احد علماء الاجتماع ان الامم الكبرى المتمدنة في آسيا ترتاح الى التثيل ارتياح الامم الاوروبية اليه ومع هذا فان رواياتها التمثيلية منخطة عن روايات الغرب اللهم الا اليابان في الهند والصين لارى في الروايات التمثيلية اثر من الآثار التي تشير الى المطامع الكبيرة التي تسوق اصحابها الى القتل ولا ابطلا يقدمون على المصاعب ويعاندون الاقدار في احكامها بل انهم يكتفون هناك بتمثيل فاجعات عامية تصور اضطرابات الحياة اليومية او عيشة العمالة الا ان الروايات الاوروبية قد اثرت الآن في الهند وان كان بعض أدبائها يريدون حباً بوطنيتهم ان يحسوا بما كاد ينتثر من آدابهم القديمة مما يدعو الى الامل بأن التمثيل الهندي سيجع عما قريب الى صورته السالفة التي كان عليها أما الصين فان الذي يعلب عليها في التمثيل ذكر الحياة اليومية وأحوالها والفقر ومشاكله

المؤثرة وتصوير الصدق والخديعة ويرجى التمثيل في الصين ارتفاعاً لاسيا اذا دخلت البلاد بفضل الحركة الثورية التي تهاز الآن اعصابها في قن وطنية كبرى . والتمثيل سيفي في سيام يجمع الى تمثيل الحقائق كما تمثلها الصين والافكار الدينية والفنية كما هي في الهند . وكوريا متنازة بوسيقاها . اما يابان فان التمثيل فيها صورة صحيحة من صور المطاعم التي تجول في دور اليابانيين والاعمال التي تدور عليها حياتهم فقيده مثالا من تهازل الافكار وعراك الرجال وتأثيرات الجمال والشرف يظهر كل مرة بمظهر امام المتفرجين . قال ومضى اكثر المترجمين في اوربا من روايات يابان اكثر مما ترجوا لتثقل للنظار شعور ذلك النعصر وشعره ومقدنه فتري ذلك النعصر الذي هو اعظم مثل في استقلاله كيف يتقرب من تمدنا وشعرنا وشعورنا .

### مقاومة الالكحول

قدم احد علماء الالمان الى مؤتمر مقاومة المشروبات الروحية الاخير تقريراً قال فيه ان الناس كانوا على ان قليلاً من المسكرات لا يضران لم ينفع اما هو فقد بين ان لتأولها حتى باعتدال مضر جداً بالنسل وذلك بتجارب كثيرة اجراها على الارانب والكلاب وكان كل حيوان منها يتناوره بالاختبار ويحتمه بالالكحول من مائتين الى ثلاثمائة يوم فبين ان نسلها يضعف فقيب ذلك ضعفاً محسوساً .

### الجمال في الامم

كتب احد الباحثين رسالة فيما يراه كل عنصر من عناصر الارض من اسباب الجمال فقال ان الجمال يختلف الحكم عليه وان ما اجمع الدس على استحسانه قوة الرجال ومرونتهم فقبائل الهونوت يرون ان من كانت وجنتها اكثر تنوءاً من غيرها تعد ربة الجمال عندهم وزوج ارقبية يتبرون الانداء المستطيلة الرخوة والزخفيات في شواطئ بحيرة تنغايكا يحاولن تقف صدورهن ليكن بذلك محل الاعجاب ومن العادة ان تكون شفاء السود مبرومة ولكي تزيد قبائل الكاسونكي والسيرير شفاهها برطمة يدخلن شوكة فيها فيحدث فيها التهاب يؤدي الى انساق القلب المفرط . والفكوك في قبائل الولف سيفي السنيغال نائفة كثيراً ويزيدها نسائهم تنوء بان يكرهوا التنايا عند ما تطلع ان تكون بارزة الى الامام وذلك بان يضغطن عليها بالستمن . ومع ان انوف قبائل المالايو والقرغيز والهونوت والبوسمين مقلحة يزيدها نسائهم قلعطة وقبائل الايتوس في جزيرة يزوعلى كثرة شعورهم فان نسائهم يزدن الماء شعور وجوههن بواسطة خضاب لتكون لمن شبات غزيرة وهنود اميركا

الجزء ٦ (٥٢) المجلد ٣ من المقتبس

على ان معظمهم مجرد قليلو الشعر يتوفرون على ثنف شنباتهم وسبلاتهم ولحام على ما نفعل  
الام المتدنة من الافرنج . وانف الفارسي اتقى رقيق ومع هذا يزیده من ذلك بالضغط  
عليه كثيراً وللصيرين القدماء عيون نجل ومع هذا كانوا يزیدون شرطتها بطلا مخصوص  
والسياميون ارباب اهداب مقوسة ولا تعد المرأة جميلة عديم الا اذا كانت اهدابها كهلال القمر .

### المعارف في روسيا

عرفت روسيا منذ خمسين سنة انها كتحت مدرسة في بلادها أغلق سجن من سجونها  
لان المعارف خير ذريعة الى التقوى واصلاح النفس ثم ادركت ان الغلب الحقيقي سيف  
مركة سادوفا بين الالمان والفرنسيين كان بفضل معلم المدرسة الجرماني فالعلم يكون الامة  
في سياستها واجتماعها ولذلك بدأت في الاتفاق على المعارف ولكن سكانها الآن ١٤٤  
مليون وبلادها متناثرة الاطراف واسعة المعالم والمجاهل يصعب اعداد معدات تعليمها سيف  
بضع ستين او عشرات ولا بد من ايام غرواجيال نقرض حتى يأتي من جمهور الامه اناس  
منورون على النحو الذي تريده الحكومة .

كانت روسيا لما بدأت في عدد أميها دون اسبانيا واطاليا وعلى مستوى البلاد العشائية  
فكانت مدارسها الابتدائية والثانوية قليلة جداً وان تكن كلياتها ومدارسها العالية غاصة  
بطلابها . فكانت روسيا في تعليمها اشبه بيت زيت ظاهره وبهرجت ادراجها وحواططه  
وموت مقوفه ولكنها لم تنظر الى اساس الطبقة السفلى منه .

بقت المنايا التي خصصت لروسيا للمدارس الابتدائية حتى سنة ١٨٩٧ - ١٤٨٤٦٧٢  
روبل وهو مبلغ زهيد جداً بالنسبة لذاك الملك الغني فاصبحت سنة ١٩٠٢ - ٨٢٨٥٠٠٠  
روبل ماضيا الاعتمادات التي تنفقها سيف الاحاين لاقامة المدارس وصار عدد مدارسها  
الابتدائية سنة ١٩٠٤ تسعين الف مدرسة فيما نحو مائتي الف معلم ومعلمة بين كنة وعامة  
( علميين وعالميين ) وبمجموع ما فيها من التلاميذ خمسة ملايين وثلاثمائة وتسعون الفا . ومع هذا  
فاذا حسب حساب المتعلمين بالنسبة للسكان كان الواجب ان يكون عددهم نحو ثلاثة عشر مليوناً  
وقد طلب ناظر المعارف من مجلس الامة الآن ان يقرر في الميزانية ستة ملايين  
وتسعة الف روبل زيادة على ميزانية الكتاتيب لتكون اساساً في جعل التعليم اجبارياً  
في روسيا كما ان الجمع المقدس يصرف في السنة عشرة ملايين روبل على مدارسه الدينية  
ويقول المحيرون ان روسيا اذا ارادت جعل التعليم اجبارياً في بلادها كالمانيا  
وقرنا مثلاً كان عليها ان تصرف كل سنة ١٢٠ مليون روبل وهو ما لا تقوى ميزانيتها  
على تحمله هذا عدا ما يلزم لها من الاراضى واقامة تلك المعاهد اللازمة والالوف من المعلمين

من يقلون في ابتائنا . وكيفا دارت الحال فان روسيا تلعب على طرق تجبر الافراد فيها على التعلم قضمهم وقضمهم وذكرهم واتهمهم .

### جوب العالم :-

اصدرت الغرفة التجارية في لندن احصاء ذكرت فيه ما يستخرج من الجيوب في العالم فقالت ان محصول الخنطة ٣١٦٠ مليون مكبال تعادل ٨٦٠٠٠٠٠٠ طن (والمكبال عبارة عن ٣٦ لتراً و ٣٥ ووزنه في الخنطة ٢٧ كيلوغراماً وكسر قليل ) ونصف هذا القدر يخرج من ثلاث ممالك فقط الولايات المتحدة ٦٦٠ مليون مكبال وتغلب املاك روسيا في اوروبا ٥٤١ مليوناً وتغلب فرنسا ٣٢٨ مليوناً واهم البلاد التي تغلب النصف الآخر في الهند تغلب ٢٨٦ مليوناً وايطاليا تغلب ١٥٩ مليوناً والمانيا تغلب ١٢٨ مليوناً والمجر تغلب ١٢٠ مليوناً واسبانيا ١١٥ مليوناً والجمهورية الفضية ١٠١ مليون واليابان تغلب المالك الاخرى

ويقدر محصول القدر في العالم ب ٢٨٩٦ مليون مكبال او ٢٣٥٠٠٠٠٠٧ طنات تغلب الولايات المتحدة ثلاثة ارباعها اي ٢٢٨٦ مليون مكبال وتغلب المجر ١٩٦ مليون مكبال وفرنسا ٢٣٧١ مليون مكبال او ٤٩٠٠٠٠٠٠ طن تخرج الولايات المتحدة منها ٨٧١ مليوناً وروسيا ٨٣٥ والمانيا ٤٩٤ وفرنسا ٢٦٨ وكندا ٢٠٤ والنمسا والمجر ١٩٦ وتغلب روسيا نصف الجاودار في العالم فتنخرج ٨٩٠ مليون مكبال ومن المانيا ٣٧٢ وتغلب روسيا من الشعير ٢٩٧ مليون مكبال والمانيا ١٤٥ والولايات المتحدة ١١٤ واليابان ٨٠ وتغلب الصين من الارز ٢٤٥٠٠٠٠٠ طن والهند ١٢٧٠٠٠٠٠ و محصول الارز في العالم قريب من محصول الخنطة ويخرج من الدخن من بلاد الهند ٥٤٣ مليون مكبال ومن الصين نحو ٥٠٠ مليون ومن بلاد روسيا في اوروبا ٧٨ ومن بلاد روسيا في آسيا ١٥ ومن اليابان ١٢ ومن الولايات المتحدة . وفي هذا الاحصاء لم يجر ذكر لهر والشام والعراق وآسيا الصغرى ولا تونس والمجرات لان محصولاتها من بعض هذه الجيوب تعد حقيرة جداً بالنسبة لتلك المكابيل الضخمة في تلك الممالك الضخمة .

### ثلاثة علماء

فقدت المانيا المستشرق ادوار غلازار المعروف بالآثار الكتابية التي استخرجها من جنوبي جزيرة العرب وفقدت فرنسا الاستاذين باريه دي ميتار وهرتويغ دارنيورغ من علماء المشرقيات المعروفين بمجتمعة اللغة العربية وادابها .

## الموسيقى والحيوانات

كان ميشله المورخ اذا أراد ذكر الحيوانات قال « اخواننا المخطون » وقد كتب كاتب مقالة في تأثير الموسيقى في الحيوانات قال من توغل في البحث في التاريخ والسير يشهد ان الموسيقى طالما كانت تؤثر آثارها في الحيوانات . ومن فتح سفر أيوب يجد ان جواد الحرب يحفر الارض في حركته واضطرابه ولا يتألك اذا ضرب البوق . كما يقرأ فيه أيضاً : متى ضرب البوق يصل الجواد ويشعر بالحرب من بعيد وبقيادة الرؤساء وصوت الادوات . وفي الاساطير اليونانية اخبار عن الحيوانات وتأثراتها بالنغمات والالخان . وقد ثبت غير ما مره ان العنكبوت تتأثر بالالخان ومن لا يذكر عنكبوتة ييلسون الاديب الفرنسي الذي سخن في الباستين فكان يتسلق بفرب الكعكجة فتقرب منه وتتمزى به حتى انها لكثرة طربها ذات يوم اغشي عليها فجاء اسمان ومهتها . و يظهر ان الحشرات وان تكن قليلة التأثير بالحسنا البشرية الا ان لها الحنا فللبنادب والصراصير والجراد ألحان خاصة بها لا يذللنا سماعيا لانها متداوقة الالخان لا نظام فيها ولكنها تسقيدها وتستلذ بها وكذلك تسمع فصل في خلاياها دويًا لطيفًا متدلا ذا نغمات بدعوه المتوفرون على تربيتها صوت الخلية . اما الاسماك فله يتحقق امرها فيها اذا كانت تطرب بالموسيقى وادعى احد المؤلفين ان سمك التبوط يطرب لسماع نغمات الرباب

واثبت المؤلف شاتوبريان في قصة رواها ان الدبابات تطرب لنغمات الموسيقى . وان بعض الامم الموحشة تستخدم الاغاني لتجلب بها الحيات فتأكلها كما يفعل الهنود في صيد نوع من الزحافات يستطيعون لها . والضب يتلذذ كثيرًا بصوت الموسيقى ولا سيما الفناء الصغير . وسمكة البحر تبتهج للصغير وبه يتأق صيدها

والطيور تطرب كثيرا للانغام ولا تعني بالطيور تلك التي هي مغنية من طبعها كالشعور والبلبل والصغور المدودة بهجة الغابات والحدائق بل هناك كثير من ضروبها تطرب اذا سمعت انغامنا كالببغاء ومنها اجناس لا تستطيع محاكاة الاصوات البشرية ولكنها مع ذلك تقلد صوت الآلات التي تسمعها . و« الحباشة » الذي يألف البيوت اذا سمع نغمانا لا يلبث ان يهيج وينفخ صوته ويكرهه كأنه يريد ان يتكلم من الصوت الذي يسمعه وربما امكن تعليمه بعض الالخان . والترزور سماع للانغام وقد علمه احدهم تشيد المارسيليز فلما نقل الترزور الى محل آخر علمه لرفاقه الترزور

وفوات الاربع من البهائم كالبحر مثلا تطرب للنغمات . والثور يطرب لصوت الحراث عليه فيحشي على نغماته متلطفًا كما ان الجمل يطرب للعداء . ولا يقتصر الطرب فيها على

تموجات صوت الانسان بل ان أي نوع من الاصوات اذا ردد كثيرا يكون سبب السرور وكذلك الحال في الجواد والخيول فانها تنغم بالمالك اذا سمعت الاصوات ثم انها تميز بين اصوات اصحابها وغيرهم . والحصان يتألم من الاصوات الرديئة وهو سريع التمتع جداً واذا عود سماع الاصوات الرديئة اعتادها وهو يؤثر نغمت الرباب على نغمت الكمنجة ويتشرب جداً لليق

فان خيول الجند تظهر الفراهة والنشاط عند ما ترى ايقاق الاجواق الموسيقية والحمار يحسن السماع والاستماع حتى لقد روي ان حملاً سمع صوت امرأة احط به فزال بقرب منه حتى دخل الدار ليسمها عن أم . والنيل سماع للانغام وقال بعضهم ان الجرذان تستهويها الانغام وان الكلب الجري قد يصاد بسماع الموسيقى . والذئب لا يطرب للصوت ورتباً فزع منه ولعله يهرب اذا سمع نغم الكمنجة او يوق مبهوق صوتاً شديداً . ومن الدية ما يرقص على نغمت الاوتار ولكن ليست هذه هي التي تطرب بل تخاف السيط التي ننهل عليها من يفسرهم فتدفع قوائمها على فخامتها وتلتصق بها الا عن غير قصد . اما الاسود فيقال انها تطرب للانغام وفي افكترا اسد جال البلاد وكان من اكثر المخلوقات تأثراً بنغمت البيانو وكانت تظهر منه اعاجيب حين يشرح صاحبه في الضرب على هذه الآلة فيزجج وتغذف عيونهم شرراً حتى يخاف المتفرجون ويفطر صاحبه الى الكف عن الضرب على آله

والمر قليل التأثر بالموسيقى وقيل ان بعض المردة تمود عند ما تسمع الانغام . والكلب كثير التأثر بالالحن الموسيقية . والقرود تطرب للانغام بل هو يتعلم الضرب بالآلات فيطرب بها كالانسان

وقد قال احد من بكرهون الموسيقى ان الموسيقى هي الصناعة الوحيدة التي تتأثر بها الحيوانات والجنائين والبله . وبالجملة فان تأثر الحيوانات بالانغام دليل واضح على ان الموسيقى عامة لجميع من له سمع





## مطبوعات ومخطوطات

معجم الادباء

هو كتاب ارشاد الارب الى معرفة الاديب او طبقات الادباء تأليف باقوت الرومي من اهل القرن السابع وهو صاحب الكتب الكثيرة في التاريخ والجغرافية وامم كتبه معجم البلدان الذي نشره الاستاذ مستفيلد الالافي لأول مرة في ألمانيا وهذا الكتاب معجم الادباء نشره الاستاذ مرجليوث الانكليزي . فبأي لسان نشكر علماء المشرقيات لخدمتهم لغات الشرق عامة واللغة العربية خاصة فانهم بفضل يبض اياهم على لغتنا نزعوا من اذهان الغربيين ان اللغة العربية فاصرة عن مجازاة غيرها من اللغات الحية وعرفوهم بانها لغة فنون وحكمة وتاريخ وادب كما هي لغة دين وفقه وكلام .

لا جرم ان نقوس اهل العلم اليوم تهتئس سروراً لبشرى طبع الجزء الاول من معجم الادباء لما يعلمون من اجادة باقوت في تأليفه وذوقه الغريب في الحكم على بلاد الاسلام وسكانها وتواريخها والمادة الواسعة التي توفرت له في عصره فاغترف منها اعتراف حكيم لا يسقط الا على الدرر ويطرح الخرز والصدف جانباً .

وهذا الجزء الاول هو من مخطوطات مكتبة بودليان في اكسفورد واصله من كتب المطران بارتس في يومي كتب بخط اعجمي لا يحسن العربية فجاء محرفاً تحريفاً كثيراً وصححه الاستاذ مرجليوث على قدر الامكان على الاصول المعروفة من دواوين وكتب ادب ومحاضرات وتاريخ وغيرها فجاء شاهداً بفضل وعلمه وما هي اول حسنة من حسناته في خدمة اللغة العربية ونشر ما انطوى من اقلام مؤلفيها الفارين وشعرائها المجيدين .

وما قولنا لمن يرون في مثل هذه المطبوعات التي ينشرها علماء المشرقيات بعض تحريف خفيف من نقط او كلمات قد تدرك بالبداهة انكم اذا توليتم من هذه الكتب ما يتولاها اولئك الاعاجيب النيبورون منها لجاءت اكثر تحريفاً وتحصيلاً من مطبوعاتهم واحرف بمبادرون الى النقد ان ينشروا للناس ولو كتاباً واحداً يكون في صحته على الرسم الذي يسمونه ليصدقهم اهل العلم .

في هذا الجزء نحو ١٣٠ ترجمة لمن اسمهم ابراهيم او احمد منهم المشاهير الذين نرجوا في الكتب المطبوعة التي بين ايدينا ومنهم من لم نعتزلهم على تراجم الا فيه وقد صورم المؤلف تصويراً بديعاً لا يقل عن تصوير ابن خلكان وابن ابي اسبيعة وابن بسام والفطلي والسخاوي لترجمتهم ان لم نقل انه يتنازع على بعضهم .

قال المؤلف « جمعت في هذا الكتاب ما وقع اليّ من اخبار النحويين واللغويين والتسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة والمجتهدة وكل من مدف في الادب تصنيفاً او جمع في فنه تأليفاً مع اثار الاختصار والاعجاز في نهاية الایجاز ولم آل جهداً في اثبات الوفيات وتبيين المواليد والافات وذكر تصانيفهم وبسحق اخبارهم والاخبار بانسابهم وشيء من اشعارهم فلما من لقيته اولّيت من لقيه فاورد لك من اخباره وحقايق اموره ما لا ترى لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره واما من تقدم زمانه وبعد اوانه فاورد من خبره ما ادت الاستطاعة اليه ووقفتي النقل عليه في نزديدي الى البلاد ومخالطتي للعباد الى ان قال « ولم اقص ادباء قطر ولا نلما عصر ولا اقليم معين ولا بلد مبين بل جمعت للبحريين والكوفيّين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وثقاوت الازمان » .

وهذا الجزء في ٤٢٥ صفحة مطبوع بنسخة هندية بمصر مطبوعاً نقياً وقد طبع باسم جيب (Jib) المستشرق وقد كانت العقيلة جيب ام الياس جون ولكنسن جيب وقتت وفقاً بعد موت ابنها هذا وكان مغرمًا بدرس علوم الشرق وفلسفته وتاريخه ليطبع ريعه ما يعلي شأن الباشت الفلسفية والتاريخية والادبية سواء كانت تلك المصنفات للترك او للفرس او للعرب وقد طبعت منذ سنة ١٩٠١ مئة كتب ومنها معجم الادباء وهي تعد سبعة عشر كتاباً آخر للطبع لا جرم ان احيا معجم الادباء مما يقفنا على امور كثيرة كنا نجهلها من قبل وفيه من الشعر والنثر والمحاضرات والنكات ما هو مسرة للقلب وفرحة للعين وانك لتري يا قوتنا يا نيك بما قيل في المترجم ذماً ومدحاً ويترك للقاريء الحكم في ذلك . فمعجم الادباء كوفيات الاعيان كلاهما ممت لصاحبه فنشكر لاسره جيب هذه المبرة الخالدة كاشنكر للاستاذ مر جليوث عنايته وغيرته .

### تقرير مصر والسودان

صدر تقرير السير الدون غورست معتمد انكادرا في هذا القطر عن سنة ١٩٠٧ وهو في المالية والادارة والحالة العامة في مصر وفي السودان وفيه فوائد كثيرة عن القطرين في السنة الماضية لا يظفر بها الانسان الا في المظان البعيدة النال ويؤخذ منه ان ايرادات الحكومة المصرية زادت في مدة عشرين سنة بنحو مئة ملايين جنيه ولكن ثلثي الزيادة حدثت في السنوات الخمس الاخيرة والسبب الاكبر في هذا النمو الارتفاع المستمر في اسعار

القطن التي تضاعفت في السنوات العشر الأخيرة وكان متوسط قيمة الصادرات ٣٠٩٢٠٠٠ ج م والواردات ٢٥٠٦٦٠٠ ج م ومتوسط زيادة الوارد على الصادر من النقود ٥٠٢١٠٠ ج م ودفع اربعة ملايين ونصف جنيه للاجانب من فوائد الدين المصري يدخل فيه خراج الدولة العلية ونفقات الخزان ونفقات جيش الاحتلال وكانت ايرادات الحكومة ١٦٣٦٨٠٠٠ ج م ومصروفاتها الاعتيادية ١٣٢٣١٠٠٠ والخصومية ١٠٤٩٠٠٠ ومعظم الايرادات في زيادة كما ان معظم النفقات كذلك

وبلغ مجموع الدين المصري ٩٦١٨١٠٠٠ ج م في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٦ ومال الفائدة والاستهلاك ٣٦٩٩٠٠٠ ج م وسدد من اصل الدين ٣٤٧٠٠٠ ج م فيكون الدين الباقي على مصر ٩٥٨٣٤٠٠٠ ج م ومال الفائدة والاستهلاك السنوي ٣٦٤١٠٠٠ ج م وعند الحكومة وصندوق الدين سندات من اصل هذا الدين بقيمة ٨٣٨٦٠٠٠ فاقبتها ٣١٧٠٠٠ فمجموع الدين الذي كان الجمهور يتداول سنداتاه في آخر السنة بلغ ٨٧٤٤٨٠٠٠ ج م والفائدة التي يدفعها سكان القطر ٣٣٢٤٠٠٠ ج م وما يدل على ميل الناس الى التعلم والاستشارة ان عدد من زاروا حديقة الحيوانات في القاهرة بلغوا الى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٧ — ٢٢٨٩٢٤ اي بزيادة ٢٤٢٢٨ عن مثله في السنة التي قبلها ومعظم الزائرين مصريون وكثيرون منهم من اهل الارياض وبلغ عدد الذين دخلوا غرف القراءة في دار الكتب المصرية ١٨٨٣٠ معظمهم مصريون

وبلغت جملة الواردات التجارية ٢٦١٢٠٧٧٧ ج م بشت منها انكثرا الى مصر ٨٤٩٢٨٤٧ وجاء من املاكها في البحر المتوسط ٢١٢٠٧٠ ومن املاكها في الشرق ١٠٨٦٨١ وجاء من فرنسا ٣١٦٦٨٩٠ ومن البلاد العثمانية ٢٩٧٣١٠٨ ومن نسا والمجر ٢٠٥٩٤٢٣ ومن المانيا ١٢٩٣٣٨١ ومن ايطاليا ١٣٦١٤٥٧ ومن الجليك ١٠٣٧٥٩٠

وبلغت جملة الصادرات ٢٨٠١٣١٨٥ احاب بريطانيا منها نحو ٥٤٣ في المئة ويختلف نصيب كل من المانيا واميركا والنمسا والمجر وفرنسا وروسيا من الصادرات بين مليون ومليونين وقد زادت جميعها الا فرنسا فانها نقصت قليلا عن السنة التي قبلها وفي التقرير فوائد لا يستغني عنها اين هذا القطر خصوصاً وهو يطلب من ادارة المظلم بمشرة قروش

# المقابر

الجزء السابع من المجلد الثالث

رجب سنة ١٣٢٦ موافق اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨

## غرائب القصص

لمل بعض النفوس تشاؤم بقراءة هذا الموضوع لانه يدور على التفنن في اذهاق الارواح على انه لا بأس بشيء من القسوة يقولون بها قلوبهم للنظر في موضوع على تاريخي . كان الافرنج بعد الحروب الصليبية يستملون من اساليب القتل كل غريب عجيب وخصوصاً في عهد ديوان التفتيش الديني في البلاد اللاتينية التوتونية حتى اذا كانت سنة ١٧٩٢ اخذت بعض البلاد ولا سيما فرنسا عن ايطاليا استعمال آلة ممجها المقتولة ( Guillotine ) مخز رأس المجرم في اقل من ثانية ثم اخذوا يطلون هذه العادات ولما جاء دور الكهرباء انشأت بعض بلاد الغرب ولا سيما الولايات المتحدة تمعد الى اصناف المجرمين بها ولكن تبين مؤخراً ان المصعق باجراء مجرى كهربائي عليه لا يقتل في الحال بل انه يقامى اشد العذاب عقيب اصعقه ولا تزهق روحه حقيقة الا بعد ان تشرح جثته .

وقد قامت الذكورة ووينوفتش وحملت حملة منكرة على القتل بالكهرباء . قالت : ان كان ولا بد من استعمال هذه الطريقة الوحشية فلا اقل من ان يكون فيها شيء من روح الانسانية بضاعفة القوة الكهربائية خمسة اضعاف ما يجري الآن ليتم القتل في اقل من لحظة وقد جربت هذه الطريقة في الارانب فوقع الاستحسان عليها واخذوا يستملونها ولكن في عقاب المجرمين والاعضاء المؤلفة من الناس لئلا يلد من ضرور الاضرار . وبعد فما يرح البشر منذ عرف تاريخهم يقتل كبيرهم صغيرهم بآكل قلوبهم ضعيفهم

بما قرب في التنازع على المحمدة والمجد والمال والدين والعروض بعضهم بعضاً وآخر حقوقاً بينهم  
ونتيجة ارهاقاتهم « الموت » اخترعوا الى الوصول اليه طرقاً قد ترشش لسماع اخبارها اليوم  
الاعصاب وتاريخ الشريين والفريرين على يغرار واحد من هذا القليل ترى كلما فتحت صفحاته  
دماء ابرياء تنبع من جور الاقوياء على الضعة فتبلغ عنان السماء وتمثل لعينيك الام في  
ذلك كاستنار المنشط في الاستواء فلما يختلج شرق عن غرب او اسود عن ايض .

فن خنق ان حرق الى شقق الى ضرب بالعصي والاكف ورمي بالنبال وهرب بالسيف  
ودسر بالريح والحرب والقذائف والبارود والديناميت الى سم واجاعة وحز رؤوس وبقر  
بطون وسمل عيون وا- تلال لسان وسلم آذان وشتر شفاه وقصفغة اعضاء وجذم اكف  
وقطع ايدي وارجل واحل الى غير ذلك مما يرجع الى معنى واحد الا وهو الارهاق في العقوبة  
وبلوغ المرء باخيه الى ما يقال له الموت . فكما ان لموت عشرات من المتردقات في الحرية  
كذلك تجدد في كل لغة الفاظ تدل على تلك المسميات التي تهدم الهيكل الانساني  
ونظفي سراج الحياة .

فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التعذيب والتشيل ومضى بعض اصحابه على  
هدهبه زمناً ولكن كان بعض اهل الصدر الاول يرجعون الى التوحش وارضاء الشهوات  
الغضبية فلا يدخرون وسعاً اذا ظفروا بعداتهم في ان يصبوا عليهم سوط العذاب فكان  
معاوية بن ابي سفيان اول من فتح هذا الطريق كما اجتدع بدعاً كثيرة اتى بها على غير  
مثال احتذاء من سلفه فقد ذكر الثقات انه كان يقرب ابن اثال العليبي منه ويفنقه  
كثيراً لانه كان خبيراً بتركيب الادوية ومنها سموم قاتل حتى مات في ايامه كثير من  
اكابر الناس والامراء نسلمين بالسّم ومن قتل في يد اتباعه عبدالله بن عمر بهوا اليه من  
رماه بسهم مسموم في عقبه . والتاريخ طالع بما قام به من ضروب التشكيل والتشيل وكذلك  
فل بعض ملوك دولته من بعده .

ولقد قابل بنو العباس الأمويين ببعض ما عاملوا به غيرهم وعمل السفاح بقول  
سديف في وصف بعض بني امية لما ذهب ملكهم .

لا يترك ما نرى من رجال ان تحت الضلوع داء دوا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترعى فوق ظهرها أمويًا

قال ابن الاثير ودخل شبل بن عبدالله مولى بني هاشم على عبدالله بن علي وعنده من  
بني أمية نحو تسعين رجلاً على الطعام فاقبل عليه شبل فقال

اصبر الملك ثابت الاساس باليهليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشنوها بعد ميل من الزمان ويأس  
لا ثقيل بعد شمس عثاراً واقطن كحل رقة وغراس  
ذها اظهر التردد منها وبها متصم كحز المرامي  
ولقد غاضني وناظ سواني قربة من غارق وكرامي  
انزلوها بحيث انزلها الله بدار الموان والاغراس  
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقبلاً بجانب المبراس  
والثقل الذي بحران اضحى رؤياً بين غربة وشماسي  
فامر به عبد الله فقبروا يا محمد وبسط عليهم الانقطاع فكل الطعام تليها وهو يسمع  
انين بعضهم حتى امثوا جميعاً .

وامر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية في الشام فنش قبر معاوية بن أبي سفيان  
فلم يجدوا فيه الا خيطاً مثل المباء ونش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فوجدوا فيه  
حطاماً كأنه الراد ونش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته وكان لا يوجد في القبر  
الا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فنه وجد صحيحاً لم يزل منه الا اربعة انة  
فضربه بالسياط وصلبه وحرقه وذراه في الريح وتبع بني أمية من اولاد الخلفاء وغرم  
فأخذهم ولم يفلت منهم الا رضيع او من حرب ابى الاندلس . وقتل سليمان بن علي بن عبد  
الله بن عباس بالبدرة جمانة من بني أمية تليها الثياب الموشية وامر بهم تجروا  
بارجلهم واتقوا على الطريق فأكلهم الكلاب

وفي مروج الذهب ان الخيثم بن عدي روى عن ممر بن دنيه الطائي قال : خرجت  
مع عبد الله بن علي وهو عم السفاح واشتور فالتفتنا الى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه  
صحيحاً ما فقد منه الا خزمة انة فقبره عبد الله ثنتين سوياً ثم احرقه فاستخرجنا سليمان  
ابن عبد الملك من ارض دابق فلم نجد منه شيئاً الا صلبه واضلعه ورأسه فأحرقناه وقلنا  
ذاك بقبرها من بني أمية وكانت قبورهم يفسرين ثم اتينا الى دمشق فأخرجنا الوليد بن  
عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلاً ولا كثيراً واتحرفنا عن عبد الملك فما وجدنا الا  
شؤون رأسه ثم اتحرفنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظماً واحداً ووجدنا خيطاً  
اسود كأنما خط بالرماد الطول في لحده ثم قبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا  
فيها منهم . وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا القتل ان زيد بن زين العابدين علي  
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب سمع نفسه الى طلب الخلافة فخار به يوسف بن عمر  
الخنفي فانهزم أصحاب زيد وانحرف هذا مفعلاً بالجراح ولما مات دفنوه في ساقية ماء

وجعلوا على قبة التراب والحشيش واجروا الماء على ذلك فدل يوسف على موضع قبره فاستخرجه وبشرأسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا وبنى تحت خشبته عمود ثم كتب هشام الى يوسف يأمره بأحراقه وتذريته في الرياح وكان ذلك وهكذا فمجد ضروبا من النية في تاريخ هذا القسم الصغير من الارض فقد قتل ابو الجيش احمد بن طولون اخاه المسجي بالامين خنقا بماؤه على حق مات . وقتل نصر بن احمد صاحب خراسان اخاه زكريا بعصر خماه . وقتل ام خالد بن يزيد بن معاوية زوجها مروان بن الحكم ابو عبد الملك بان امرت خدمها ان يضمن الخاد على فقه حق مات . وكم من رجل سم في كثرى اورمي الزئبق في اذنه او قعد يبيع سموم قيل ان احمد بن الموفق ابن اخي المعتد بن المتوكل قتل عمه في حفرة ملأها له من ريش ورماء فيها فأت بها . وقتل اشهاب السهروردي جونا . واني رفيع الدين الجيلي من اعلى مائة في بابك فعلق في بعض جواربه فيبي المباشرون ذلك يسمعون انينه نحو ثلاثة ايام وتذب اعوانه وكان قاضي قضاء دمشق

ولما غضب الراعي على الوزير ابي علي بن مقله سلمه الى الوزير ابي علي عبد الرحمن بن عيسى فصره بالانقار واخذ خطه بالفائف دينار فخرت عليه منه من المكارة والتعليق والضرب والرقع امر عظيم وقطعت يده اليمنى وكان يقول في سمحه يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ثم زيد في اخفائه وجعل في محبس وقطع لسانه

ولما خرج المصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان في العراق سنة ٧١ ورأي تحيز الجفرية لعبد الملك ارسل اليهم فسمهم وسبهم قال ابن جرير ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤوسهم ولحام وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثا وحملهم على حلاق نسائهم وجرو اولادهم في البعوث وطاف بهم في افطار البصرة واحلقهم ان لا ينكحوا الحرائر

ولما دخل مراکش مأمون الموحدين ادريس بن يعقوب امر بتقليد شرفاتها بالروثوس فسمتها على اتساع الساحة . ولما استولى الفز على نيسابور اخذوا ابا - مدحي الدين النيسابوري ودسوا في فقه التراب حتى مات . ويحضر عز الدولة بن بويه على وزيره ابن بقية وسمل عينيه ولما ملك عضد الدولة طلبه والقاه تحت ارجل القيلة فلما قتل صلبه . وكان الوزير ابن الزيات قد اغتذ ثورا من حديد واطراف مساميره المحدودة الى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسال في ايام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وارباب الدواوين المطلوبين

بالاموال فكيفما اقلب واحد منهم او تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيهدون لذلك اشد الالم ولم يدبقه احد الى هذه المعاقبة وكان اذا قال له احد منهم ايها الوزير ارحمني فيقول له : الرحمة خور في الطبيعة . فلما اعتقله المتوكل امر بادخاله في التتبر وفيه بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا امير المؤمنين : ارحمني فقال له : الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس قاله ابن خلكان

ولما استولى ابو عبد الله الشيخ على فاس سنة ٩٦١ قتل الفقيهين ابا محمد الزنقي و : علي حرزوز ويحكى انه لما مثل ابو محمد بين يديه قال له : اخترباي شيء يموت فقال له الفقيه : اخترت لنفسك فان المرء مقنول بما قتل به فقال لهم السلطان : اقطعوا رأسه بشنقور فكان من حكمة الله وعده في خلقه ان قتل هذا السلطان به ايضا قتله في الاستقصا . وقال فيه : لما كان من السلطان ابي عبد الله الشيخ ما كان من غزوه قتلان مرتين وكان يحدث نفسه بجاودة غزوه تلك البلاد جرت المفارقة بينه وبين حكومة المسلمين . . . يلتزم الادب انني رأي الوزير على ان عيشوا اثني عشر رجلا من فتاك الترك وبدلوا به اثني عشر الف دينار لاخيال الشيخ فازالوا حتى وصلوا اليه وتعلقوا بخدمته ثم اغتالوه وضربوا رأسه بشنقور ووضعوه في مخلاة فاوصلوا الرأس الى الصدر الاعظم وادخله على السلطان فأمر به ان يميل في شبكة نحاس ويملته على باب القلعة فبقي هناك الى ان شفع في اتزاله ودفنه ابنه عبد الملك المتصم واحمد النصور

وعما روى لسان الدين بن الخطيب من فظاظة محمد بن محمد بن يوسف ثالث الملوك من بني نصر انه هجم لاول امره على طائفة من عماليك ابيه كان ممي الرأي فيهم فسيجهم في مطبق الارى من حوائث واسك مفايح قفله عنده وتوطد من يرمقهم بقوت بالقتل فكشوا اياما وصارت اوضاعهم تملو بشكوى الجوع حتى خفت ضعفا بعد ان اقتات آخرهم موتا يلجم من سببه وحملت الشفقة حارسا كان يرأس المطبق على ان طرح لهم خبزا يسيرا تنقص آكله مع مباشرة بلواهم ونفي اليه ذلك فامر بذبجه على حافة الجب فقال عليهم دمه . قال ابن الخطيب وقانا الله مصارع السوء وما زالت المقالة عنها شنيعة والله اعلم بجزيرتهم لديه .

وقتل يوسف بن عمر الثقفي امير المراقين خالد بن عبد الله القسري على طريقة غريبة قيل انه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى اتفه غشا ثم رفع الخشبتين الى ساقيه وعصرهما حتى انقصتا ثم الى وركيه ثم الى صلبه فلما انتصف صلبه مات . وقال المقرئ



دخل السلطان ابو الحسن ميجلاسة عنوة على اخيه السلطان ابي علي عمر سنة ٧٣٤ وجاه به في الكيل لقاس ثم قتله بالقصد والخنق

ولقد كان رؤساء الناس وولاة الامر منهم هم الذين لا يبالون بارهاق النفوس وازهاق الارواح وكثيراً ما يكون ذلك لغير سبب سوى الطيش والجمالة وكان بعضهم يلتذ باراقة الدماء مثل المعتض بالله العبادي احد ملوك الاندلس الذي دانت له الملوك من جميع اطرافها وكان قد اتخذ خشباً في ساحة قصره جلها برؤوس الملوك والرؤساء عوضاً عن الاشجار التي تكون في القصور وكان يقول : في مثل هذا البستان فليتزه • وهو من الملوك الذين هاجم القريب والبعيد خصوصاً بعد ان قتل ابنه واكبر ولده المرشح لولاية عهده صبراً لان ابنه كان يريد الوقعة به

قال لسان الدين وكاتب المعتض بالله ابن عباد ابعد ثوار الاندلس صيتاً واشد هم بأساً وانجحهم اثراً جميع خزائن ملوثة برؤوس الملوك البائدين بسيفه وكانت وفاته سنة احدى وستين وخمسمائة

وفي رواية المقرئ ان بني الاحمر لما ظفروا باعدائهم من ملوك الافرنج في الاندلس سلخوا دون بطرة وحشوا جلده قطعاً وعلق على باب غرناطة وبقى معلقاً سنرات • ذكر ابن سعيد ان النار قتلت الملك الظفر قطز وخلعوا عظم كنفه وجعلوه في احد الاعلام على عادتهم في اكتاف الملوك • ولما قتل مروان بن محمد الادوي استخفى عبد الحميد الكاتب بالجزيرة فغمز عليه فاخذ ودفعه ابو العباس السفاح الى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته فكان يحمي له خشباً بالنار ويضعه على رأسه حتى مات • قيل ان ابن المتفجع قتله عامل البصرة للشعور بان جلده في لنور

ودخل ابو الحسن الملك العادل سيف الدين وزير الظفر العبيدي قبل وزارته بزمان على الموفق ابي انكرم بن مصوم التنيسي وكان مستوفي الديوان فشكا اليه حاله من غرامة لزمته بسبب تفریطه في شيء من لوازم الولاية بالثرية بمصر فلما اطال عليه التكلام قال له ابو انكرم : والله ان كلامك ما يدخل في أذني فخذ عليه فلما ترقى الى درجة الوزارة طلبه تخاف منه واستمر مرة فتأدى عليه في البلد وهدر دم من يحقيه فاخرجه الذي خباه عنده فخرج في زي امرأة بازار وخف فحرف وأخذ وحمل الى العادل فامر باحضار لوح من خشب ومسطر طويل فآلعي علي جنبه وطرح اللوح تحت أذنه ثم ضرب المسمار في الاذن الاخرى فصار ككما يصرخ يقول له : دخل كلامي في اذنك بعد ام لا ولم يزل كذلك حتى ينذ المسمار من الاذن التي على اللوح ثم عطف المسمار على اللوح ويقال انه شتمه بعد ذلك

وروى التاريخ من اخبار من تلقوا نكبتهم بالمعبر انجيب ومن انباء شعبان الزمان  
مالا يكاد يصدق الا ان اهل الابداء منهم كانوا يؤثرون الموت في الزحف ويتفادون  
من الوقوع في ايدي عدائهم لئلا يثبوا بهم فقد جاء عهد الله بن الزبير الى امه اسماء ذات  
الطافين لما اخذه اصحابه في مكة فقال: ما تريد يا امه فقد خذني الناس قتلت : لا ياسب  
بك صبيان بني امية عش كرميا او مت كرميا فقال : اخشى ان يثب لي بعد الموت قالت له :  
ان الشاه لا تألم بالسيف بعد التدح قبل بين عينيها وودعها وخرج يقاتل الى ان كان من  
امره ما كان .

وقلب باسيل الثاني الملقب بقاتل بلغاريا بعد حرب ٣٧ سنة مملكة بلغاريا ومقدونية  
سنة ١٠١٨ واسر خمسة عشر الف بلغاري وسمل عيونهم . وكان ابو عبد الله احمد . ابراهيم  
التديم خصيصا بالمتوكل ونديما له غضب عليه المتوكل فامر بقطع اذنه فقطعت من شرفها  
من اخارج .

واستعمل القتل بوضع من يراد قتله تحت ارجل الفيلة كما امر احد بني بويه باثني  
اسحق الصائبي لما غضب عليه ان يجعل تحت ارجل الفيلة وكسنتهم شتموا به لمحبه . وكثروا  
يملقون من يريدون قتله ايضا في ذنب الخيل ويمجرونها كالف ازدشير بغير ابنه الساحرون  
اذ امر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض القوس حتى قتلها .

وما ذكر في قانون الصين من انواع القتل المعروف بلنته بالشب وهو تطيع الاعضاء  
اربا اربا وصفته ان يشد الذي يراد به ذلك بين خشبتين قمتين وتربط يده ورجلاه  
ووسطه ربطا محكما ثم تجزأ اذنه واصابعه اثمة وعقدة عقدة ثم تفصل يده من  
الرسغين ثم من المرفقين ثم من الكتفين ويفعل برجليه مثل ذلك فإذا قطعت الاطراف جدد  
انفه وصلمت اذناه واخرجت عيناه ثم يرش لحمه وجلده بأشواط الحديد حتى يفرق بين  
عظمه ولحمه ويصير كالشاة التي جرد القصاب لحمها ويفعل ذلك به حيا وقد ابطل الامبراطور  
هذا العقاب مؤخرًا .

وبالجملة فان انواع القتل كثيرة وهذا أهمها فيما انتهى اليها معرفته وذكر يافوت سيف  
معجم الابداء ان حولا جد ابراهيم بن العباس الهولي شهد الحرب مع يزيد بن المهلب وان  
يزيد اوجد مقتولا بلا طمعة ولا ضربة انسدت اذناه ومغراه وامتلأ فمه بشار المسكرات  
فلا يعرف مثله قتيل غبار . قلنا ومثله قتيل البخان

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره . لتنوع الاسباب والموت واحد

## المسلمون والذميون والمعاهدون (١)

### الاحساس دليل الحياة :

التضامن رائد العمران !

يا ابن امي ! ويا ابن عمي !

نحن صنوفت فتمنا عاطف الترح  
فوق هام الأهرام منك ومني غرة سكوكية الاثراق  
فقدمة اخي وصالح اخا ير جوصفا العيش في رضا والفاقر  
انما النجح في اتحاد قلوبير بولاه ونبد سكل شقاق

عرفكم الله حلاوة الانضمام بعد طول الانقسام وانتم عليكم ببركة الائتلاف والوئام  
بقدر ما عرفتموني لذة الكلام في هذا المقام وبقدر ما انتمت علي بالتشجيع والاستعسان !  
فلقد رأيت من التفافكم حولي لاستماع قولي ورأيت من قومي حينما ابليتكم العصف  
كلمي ان نعمتي صادفت منكم هوى في النواد وان صداها قد ترددت في جوانب هذه البلاد حينما  
جبرت بدعوة اهل الشرق الى طريق الحق ونادت على رؤوس الاشهاد . بتوثيق دلائق  
الارتباط بين المسلمين والاقباط !

نعم نعم ! فلقد احتزت الامة دائنها وقاصيها ورددت هذه الكلمة بل فيها . واضح  
شعار كل حي في كل حي : اننا مصريون قبل كل شيء

لم اكن وحسبكم ! انتظر هذا الاقبال من ابن امي وهذا القبول من ابن عمي ولم يكن  
يحدثني به وهمي حتى ولا في حلي اثناء نومي . ولكن كان من حظي ان هذه الكلمة  
تجسدت وقد نهيت الامة بعد ان استلمت لجمود واخذت للقاء في الخرد بحيث كان  
الناظر لانبائها وهم في حمود يحسبهم ايقاظاً وهم رقود غيا الله هذا الشعور ! الذي جاء آية  
على استئناف البحث والنشور . وحيذا هذ اليوم الذي سيقى غرة في جبين الزمان ! فلقد  
علمنا فيه ان الاحساس دليل الحياة وان التضامن رائد العمران !



(١) هذا تابع لما في الجزء الرابع من خطبة احمد زكي بك في دار التمثيل العربي بالقاهرة

يقول العرب في اشعارهم : ان المهم المقدم (١) ويقول القرضاوين في امثالهم : الامر اولى بالتصدير (٢)

واي شيء اولى بالتصدير والتقديم من كلام التقدير القديم ؟ قال تعالى في كتابه العزيز : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقطار يؤده اليك ومنه من ان تأمنه بدينه » لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً » فجعل الوفاء بالقطار والتقدير بالدين اشارة الى ان الوفاء اكثر شيوعاً في اخلاق اهل الكتاب . وحسبهم ذلك مدحاً ونحواً . وليس يريد ان اتوسع في التفسير وانما استشهد على صدق هذه الآية بمحدثين وقتنا في بغداد وفي مصر . فصدّاق الشطر الاول : ان ابن القرات وزير العباسيين المشهور كان يردع امواله عند كثيرين من صناعته والمخلصين له استمداداً للطواريء واستظهاراً عن غير ذلّيه . اخبرني احدي نكباته بان له عند يوسف بن فيحاس اوينجاس ا وهران بن عمرات الجيهذين اليهوديين سبعة الف دينار . فاقرا في الحال بلال ودفعاه . وقدره ٣٠ الف جنيه مصري .

ومصدّق الشطر الثاني : ان زوجة الاخشيذ كانت قد اودعت عند رجل من الجيرة جرة من النحاس وضمت فيها ثوباً منسوجاً بالذهب وبدائره من الجوهر شيء كثير . . . . . زالت دولة الاخشيذين واستولى الفاطميون على مصر ذهبت المرأة بعد زوال عيها الى ذلك الذي جعلته موضع ثقتها واستأمنته على ذخيرتها فانكر . فقالت : خذ بعض الثوب . ففعل . فالتفت ان يتم عليها بك واحد يأخذ الباقي حلالاً فلم يقبل وكان في الثوب تسع وعشرون درة من الدرر النوالي . فأتت الى قصر المنزلة في اطوارها وهي اقرب الى اليأس منها الى الرجاء ولسان حالها ينشد بيت بنت ملك العرب التي اخني عليها الدهر مثلاً وهي حرة بنت النعمان بن الحنذر :

فيينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف  
فأنت . لدينا لا يدوم نصيبنا نثلب ثارات بنا وتصرف  
حق اذا انت قصر الممتز . وفي ذليلة بعد ذلك المز . عرضت عليه قصتها . فاحفر الرجل فانكر . فبعت الى داره من خرّ بعض حيطانها . فظهرت الجرة في احد الجدران

(١) قال الشاعر :

اب دهرنا اسعافنا في قوسنا واسعفنا فحين نحب ونهكر  
فقلنا له فمأك فيه . اتما . وقدمهم انت المهم المقدم

*Alas ! seigneur, tout honneur*

(٢)

المجلد ٣ من القتبس

(٥٤)

الجزء ٧

ورأي المزمز الثوب وتعجب من الجواهر واللؤلؤ الذي فيه . ووجدوا ان اليهودي اخذ من صدره درتين فاعترف انه باعها بالف وستائة دينار فسلم الخليفة الثوب الى صاحبه فحمدت الله الذي اظهر صدقها واجتهدت في ان يأخذه . ويعطيها معا اراد فلم يقبل . فقالت : يا سيدي هذا الثوب كان يصلح لي وانا زوجة صاحب مصر . فاما الآن فلا حاجة لي به وهو لا يليق لي فاني ان يأخذه واستلمته صاحبه . وبهذا التقدير يكون ثمن ما فيه من اللؤلؤ فقط نحواً من ثلاثين الف جنيه مصري .

ومن المعلوم ان العلم من اجل الامانات بين الناس وقد وقف بنا المقال في الجملة الماضية عند نظرية جديرة بالاعتبار : وهي ان العلم مشاع وانه ليس له وطن ولا دين بل هو مورد سائغ لكل الافراد ولجميع الامم . وقد اطرقكم بشيء يسير مما وقع في تلك العصور عصور الحكمة والنور اذ كان المسلمون يأخذون عن النصارى وغيرهم من اهل الديانات الاخرى وهو لا يأخذون عنهم ويتلقون عليهم ما يكسبون به اجرا وغرماً .

رأينا علماء النصارى واليهود يأخذون شرائع دياناتهم عن رجلين من فقهاء المسلمين ورأينا افاضل المسلمين يسعون في طلب الحكمة والفلسفة والطب على نواحي التميمين . وننتقل الآن الى الفقهاء من الطوائف الثلاث الذين استبدلوا علوم الابدان بعلوم الاديان كما سبق اعني همدان الى استبدال الشعر بالفقه فنهض الامام العالم الشيخ موفق الدين عبدالعزيز بن عبد الجبار بن ابي محمد السلمي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ فقد كان في اول امره فقيهاً في المدرسة الامينية بدمشق عند الجامع الاموي ثم بدا له الاشتغال بالطب فاعاد نفسه دارساً بعد ان كان مدرساً ورجع نثيلاً بعد ان كان استاذاً . واشتغل على الياس بن المطران بصناعة الطب حتى اتقن معرفتها وحصل علمها وعملها وصار من المتفريجين السابقين بين اربابها والمشايع الذين يقنئهم فيها واصبح هذا الفقيه سابقاً وله بعد تلك المجالس الفقهية مجلس عام للطب يحضره المشتغلون عليه بهذه الصناعة من المسلمين والنصارى واليهود .

وقد اشتهر رجل من فقهاء صقلية ( من اعمال إيطاليا الآن ) بالطب بقدر ما اشتهر بالفقه حتى كان الناس يزعمون اليه بالفتيا في الطب كما كانوا يزعمون اليه بالفتيا في الفقه . هذا هو الامام ابو عبدالله محمد بن علي التميمي المازري نسبة الى مدينة مازر ( بفتح الزاي والراء ) من مدن جزيرة صقلية وهي Mazara وقد اشتهر باسم الامام . لانه كان متقناً للعلوم مقدماً في علم المخطوط والمفهوم . وكان آخر المشتغلين بأفريقية ( تونس ) بتحقيق العلم وربة الاجتهاد ودقة النظر . توفي سنة ٥٣٦ هـ وقد نيف على الثمانين . يحكى ان سبب اشتغاله بالطب انه مرض فكان يطبه يهودي فقال له : « يا سيدي اني يطب مثلك »

فاستغل الشيخ حيثنزل بالطب ويرع فيه براعة لا يدانيه فيها احد . فابن الآن هذه الايام ؟  
وهل لنا بئيل اولئك الرجال الذين يفتخرونهم الاسلام ؟

ولما كان اشبه بالشيء يذكر فلا ارى بأساً من ان اذكر لك بمناسبة هذا التسمي  
ببوق الدين رجلين يسمي كلاهما ايضاً بالشيخ موفق الدين احدهما اسراييلي والثاني نصراني

فاما الاول : فهو الشيخ الموفق شمس الرئاسة ابو العذارية اقمه بن زرين بن حمد  
ابن افرايم بن جميع الاسراييلي المعري . نشأ بفسطاط مصر واتقطع لاثقان العلوم واكثر  
لصناعة الطب والفرغ فيها كتاباً نفيسة مفيدة . كان جالساً يوماً في مكانه بفسطاط . وقد  
مرت عليه جنازة . فلما نظر اليها صاح باهل الميت وذكر لهم ان صاحبه ميت وانته ان  
دفنوه فلما يدفنونه حياً . فبهت القوم من قوله وتجيئوا من امره وذهبوا فدفنوه . فخره ثم ان  
بعضه قال لبعض : « هذا الذي يقوله ما يضرنا اننا نخشع ؟ فان كان - بهذا الذي  
نريده . وان لم يكن حقاً فهو الذي يريده الورثة » فامرهم بالسير الى البيت وجمعه الى الجاه  
بعد نزع الاكفان . ثم سكب عليه الماء الحار وأحى يده ونخله بقطرات اي رش  
عليه سوايل ولكنه بالمكنكات ففطس الميت فأرأوا فيه ادنى حس وتحرك حركة خفيفة  
فقال ابن جميع انشروا بماقيته . ثم تم علاجه الى ابن اذق وصلح . ثم انه مثل بعد ذلك  
عن هذه الكرامة : من ابن علمت ان الروح لا تزال فيه وهو محمول وعليه الاكفان . فقال  
اني نظرت الى قدميه فوجدتهما قنيتين وأقدام الموق تكون متبسة فخدمت انه حي  
وكان حديس مائياً . ومن ذلك لوقت اشتهر بمجودة العناية والعلم فاقبل عليه الناس لفحص  
فكان له مثل ذلك الموفق المجدد مجلس عام يحضره المستغنون بهذه الصناعة من المسلمين  
والنصارى واليهود . وكان في مجلسه هذا لا يفارقه كتاب السماح فلا تمر كلمة لا يمر بها حتى  
المعرفة الا ويكتفها منه ويحمد على ما أورده الجوهرى . فخرج حتى صار من الاطباء المشهورين  
والعلماء المذكورين والا كابر الذين يشار اليهم بالبنان . وانبت عليه التنبأ بهذين السبعين  
حتى تقدم في خدمة الملك الناصر صلاح الدين وحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة عنده جليل  
القدر نازح الامرانى المهمة . ولا كان الشعراء هم القاورين فقد دبت عقارب الحسد الى شاعر  
احد من اتهمه بالاسري . وكان مشهوراً خبيث اللسان فأنه يري يهجو بكل قبيح . فمن ذلك قوله فيه :

لا بن جميع سيفه طيه حتى يسب طب الشيخ من ميه  
وليس يدري ما في الزجاجة من بول المريض ولو تمضمض به  
واجب الامر اخذه ابداً اجرة قتل المريض من عبه

دعوا ابن جميع وبهتانه ودعوا في الطب والمهندسه  
 فاهو الا رقيق آقى وان حل في بلد انحصه  
 وقد جعل الشرب من شأنه ولكن كما تشرب النرجسه  
 كذبت وصحفت في الادعيه وقت ابوك جميع اليهودي وقال  
 وليس جميع اليهودي اباك ولكن ابوك جميع اليهود

ولما كانت العداوة في الاهل وفي آراب الحرفة الواحدة فقد هجم يهودي ترجمه وابن  
 جميع رابطة الفضل والعلم والدين وهو موفق الدين ابن سوعة الاسرائيلي المصري قال :  
 يا ايها المدعي طبا وهندسة او ضحت بالابن جميع واضمح الزور  
 ان كنت بالطب ذاعل فلم عجزت قواك عن طب دا فيك مستور

وبقية الايات لا استطيع ايرادها في هذا المقام ولا في غيره . ولكن هذه الخبائث  
 الشرعية لم تنفع افاضل المسلمين من مدح ابن جميع والاعتراف بحقه والتزويه بذكره حتى انه  
 لما مات رثاه الشيخ يوسف بن هبة الله بن مسلم بقصيدة غراء في ستة وثلاثين بيتاً اولها

أعني بما تحوي من الدمع فاصحبي وان قددت منك الدموع فيالدم  
 فحق بن تدرى على فقد سيد فقد نابه فضل الملا والتكرم  
 وأنجده من يمهته المنة وانجده من أمله لئلا  
 ولو كان يفدى من حمام فديته بنفسه متى تقدم على الموت تفرم  
 فضل معلنًا للشامتين بيوته ذروا الجبل ان الجبل منكم بآتم  
 ومنها أما عجب اذ غاله الخلف راميًا وقد كان ارى لخطوب بهم  
 فويح الناي ما درت كنه حادث رمت سيداً يحيا به كل منعم

واما الثاني : فهو الحكيم الامام العلامة الفاضل الشيخ موفق الدين ابن نصر اسعد بن  
 انبيا القتيبي الياس بن جرجس الطرمان المتوفى سنة ٥٨٧ هـ فقد كان سيد الحكمة وواحد العلماء  
 سافر الى بلاد الروم لانقان الاصول التي يعتمد عليها في علم النصراني ومذاهبهم . ثم ذهب  
 الى العراق متشككاً بموفق الدين الملم وترك علوم الدين المسيحي واشتغل بعلم الطب على  
 امين الدولة ابن التليذ ( الذي سنورد شيئاً من اخباره فيما بعد ) . ثم رجع الى دمشق  
 وخدم بصناعة الطب السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي فقرّبه وادناه وكان عنده ربيع  
 المنزلة عظم الجاه بحيث كان يقضي حوائج الناس ولا يفارق السلطان في سفر ولا في حضر  
 ولذلك كان الطبيب يدلّ بمكانته لديه ويتكبر حتى على ملوك المسلمين بل على نفس صلاح الدين  
 وكان صلاح الدين قد عرفها عنه ورضيها منه .

ومن اغرب ما تقدمته بطون الدفاتر في هذا الموضوع ان السلطان صلاح الدين يتأكد بحارب الافرنج ويرد غوائلهم عن سواحل الاسلام كان يستعين بأهل الدمة في مدافعتهم ويستخدمهم في تطليب جنوده وتقويتهم على رد اعتائهم واعطائهم . وقد فهم أهل الوطن الواحد في عصره المحيد أنهم لا بقاء لهم ولا جأه الا بالاشتفاف حول راية واحدة هي راية الوطن . وما يتعلق بحجب موفق الدين وإدلاله على صلاح الدين أنه كان معه في بعض غزواته وكانت حادثة صلاح الدين في وقت حروبه أن يتعصب له خيمة حراء وكذلك دهليزية وشقتها . لتمييز عن سائر السكرك وهذا من البلية ما يكون من الشهامة في الحروب فالتفق أن ركب ذات يوم ليعتقد الجيش فإذا بخيمة تشابه خيمته كل الشيء بقي متأملًا لها وسأله من هي . فاجابها لابن المطران الطيب . فقال السلطان : والله لقد عرفت هذا من حفاة ابن المطران . وضحك . ثم قال : فلو جاء رسول من الافرنج ومعه الخيمة افلا ينضني . ويظنها لي . بل لو جاء باطني للفنك لي افلا يجوز أن يخطاني الى طيبي . فإذا كان وليا بد فلا اقل من تغيير ستراسها . ثم امر به فازيل . فلما رأى موفق الدين ذلك صعب عليه الامر وامتنع عن خدمة السلطان اياما حتى استرضاه السلطان وهب له مالا . وكان في خدمة السلطان طيب نصراني آخر يقال له ابوالفرج فاحتاج الى تزويج بناته وتجهيزهن فطلب من صلاح الدين ان يطلق له ما يستعين به على ذلك . ولما كان السلطان فقيرا لا يملك شيئا من طعام الدنيا حتى انه عند موته لم يترك في خزانته ( بشهادة المؤرخ ابوالفرج المبري النصراني ) غير دينار واحد واربعين درهما . فلذلك امر ابوالفرج ان يكتب كسفا بيان جميع ما يحتاج اليه في تجهيز بناته النصرانيات فكتب من الخبز والقمح والاشفا والاكلات وغير ذلك ما بلغت قيمته ثلاثين الف درهم . فدفع السلطان هذا الكشف الى الخزنه دار وامره بان يشتري من مال بيت مال المسلمين جميع ما طلبه ابوالفرج ولا يخل بشيء منه فما هو الا ان بلغ صاحبنا موفق الدين حتى اخذته الثيرة من زميله فقصر في ملازمة الخدمة . وهجر السلطان هجرا ثميلا . فلم ير صلاح الدين حيلة لاستصلاح موفق الدين سوى ارضائه ايضا . فامر الخزنه دار بان يصرف له من بيت مال المسلمين مبلغا يوازي جميع النفقة التي صرفت في تجهيز بنات ابوالفرج معها بلغت قيمتها . ففعل الخزنه دار ورضي صاحب ذلك الدلال . ومن عجيب امر موفق الدين هذا ان المحب والتكبر الذي كان ينسب عليه كان يفارقه حينما يذهب لطلب العلم . فكان في هذه الحالة آية في التواضع والخشوع شأن ذوي العقول الصاعدة والاحلام الرجيمة . كان هذا المختال الفخور متى تفرغ من الخدمة في دار السلطان ركب في موكب خافل تحف به جماعة كثيرة من المالك الترك وغيرهم وذهب بهذه الابهة



الفائقة وهذه العظمة الشائقة الى جامع المسلمين . فاذا اقترب من الجامع ترجل واخذ الكتاب الذي يشغل به في يده او تحت ابطه ولم يترك احداً من الثلمان يصعبه . ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه النحو والادب واللغة وهو الشيخ الامام تاج الدين ابو ائمن زيد بن الحسن الكندي . فيقرؤه السلام ويقعد بين الجماعة بادب واحتشام الى ان يفرغ من الدرس والتحصيل فيعود الى ما كان عليه من الابهة والعظمة والشموخ على الكبير قبل الصغير

وقد كان موفق الدين قدوة في هذا الامر الملك الناصر داود ابن الملك المعظم ابن الملك العادل ابن ايوب صاحب الكرك . فقد حكى النقيب الزاهد المصري الحاسب بدمشق ان هذا الملك كان يتردد الى شمس الدين الخسروشاهي المتوفى سنة ٦٥٢ يقرأ عليه كتاب عيون الحكمة لابن سينا . وكان اذا وصل الى رأس المحلة التي بها منزل الخسروشاهي او ما الى من معه من الحشم والماليك ليقفوا مكانهم . ويترجل ويأخذ كتابه تحت ابطه ملففاً بتدليل ويحيي الى باب الحكم ويقرعه فيفتح له ويدخل ويقرأ ويسأل عما خطر له ثم يقوم ولم يكن الشيخ من القيام له

\*\*\*

ولله دريني ايوب برّد الله مضاجعهم وطيب ثراهم . فانهم في هذا الباب خير قدوة لمالك الزمان وخصوصاً ملوك الاسلام . فقد اخذ الحديث برقاب بعضه وجرنا الى ذكر صاحب مصر وعم الملك المعظم المذكور واعني به الملك الكامل بن الملك العادل ابن ايوب المتوفى سنة ٦٣٥ . وقد عليه ابو العباس ابن دحية من اكابر علماء المسلمين بالاندلس فانخذله الملك استاذاً له في العلم والادب وجعل له من الاكرام والاجلال غاية ليس وراءها مطلب . وبالحق في تعظيمه وتجيئله حتى كان يسوي له بنفسه مداسه حين يقوم . وهو هو الذي خشي بأسه الصليبيون ففقر بوا اليه وهادنوه وخطب وده الامبراطور فريدرىك بسد ان اسر القديس سان لوي واعاده مكرماً معظماً . وكان هذا الملك يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من فضلاء المسلمين والنصارى واليهود ويشاركهم في مباحثهم كأنه واحد منهم . وما يؤثر عنه انه لما تولى سلطنة مصر خفض من ضرائبها بما يقارب الثلث فافاد بذلك رعيته المسلمين والانباط على السواء

\*\*\*

نرجع الى صاحبنا موفق الدين . ونقول انه لما احسن اسلامه وان صلاح الدين زوجه احدى حظايا داره القربة لدى زوجته خوند خاتون فأعطتها الكثير من حليها

وذخائرها ومولتها وخولتها . فترت امور موفق الدين وهذبت احواله وحسنت زيه وحملت ظاهره وباطنه . وصار له ذكر سام في الدولة وتنافس الامراء في الانعام عليه وترفت حاله حتى كاد يكون وزيراً ولكنه ما زال يتميد زملاءه فكان يقدمهم ويتوسط في امرار الارزاق عليهم . وكانت له دار بدمشق على غاية من الحسن في العماره وتجعل وفيها مكتبة يبرز فيها الماء من افايب ذهب على غاية ما يكون من حسن الصنعة وفيها مكتبة تحتوي على نحو عشرة آلاف مجلد عدا ما استنسخه . فقد كانت له عناية بالغة باستنساخ الكتب وتحريها وكان في خدمته ثلاثة يكتيبون له ابداً ولهم منه الجامكية والحراية المتصلة . وقد كتب بخطه كتباً كثيرة في نهاية حسن الخط والصحة والاعراب . وصحح بنفسه اكثر الكتب التي عنده واقتن تحريها . وذلك كله غير الكتب التي كان يهبها لتلاميذه فغداً عن الاحسان اليهم والاعتناء بامرهم . وكان ابن تلاميذه الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم ابن عني المسلم ومن اخص اصدقائه الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب الشافعي

قال الحكيم اوحى الدين عمران الاسرائيلي انه حضر يوم كتب ابن المطران المذكور فوجد قد اخرجوا اجزاء صغيرة من الكتب الصغار او المقالات المنقوقة في الطب ما استنسخه او نسخها ابن المطران بخطه وكان عددها كثيراً جداً بلغ الوفاً كثيرة وإن القاضي الفاضل بحث يستعرضها فارساها له بل خزنة صغيرة منها فطر فيها ثم ردّها . فبلغت في الشادة ثلاثة آلاف درهم واشترى الحكيم عمران أكثرها . وقال انه حصل الاتفاق مع الورثة انهم اطلقوا ربحها كل جزء درهم . فاشترى الاطباء هذه الاجزاء الصغرى من هذا الثمن بالعدد .

وهذا الحكيم عمران الاسرائيلي توفي بعد ابن المطران بسنتين وقد اخذ انطب عن الشيخ رضي الدين الرحي استاذ او استاذ اساتذة الاطباء جميعاً . انتام وتليد ابن جميع الاسرائيلي المصري . وقد جرى الحكيم عمران على مذهب شيخه في عدم خدمة الملوكة والسفر معهم . ولكنهم (وخصوصاً بني ايوب) غمروه بالاحسان السني والعطايا الجزيلة . حتى حاز من الاموال الجسيمة والتم ما يفوق الوصف . ولقد حرص الملك العادل ابو بكر بن ايوب ان يستقدمه في السجدة فما فعل . واجتهد الملك الناصر داود الذي ذكرناه قبل هذا بان يجعل له في كل شهر الفاً وخمسمائة درهم وقدم له مرتب سنة ونصف مقدماً ثم يقبل فوجهه مالا كثيراً وتركه على حريته . وكان السلطان الملك العادل لم يزل يصلة بالانعام الكثير وله منه الجامكية الوفرة والجراية وبقي مرتبه محفوظاً له بعد موت الملك العادل في سلطنة المظفر وليس عليه سوى ان يتردد على الدور السلطانية بالقلمة والى البيارستان الكبير لمقابلة الرضى

وقد بلغ من أكرام الايوبيين لاهل الفضل ان الحكيم موفق الدين ابا شاكر النصراني حظي عند الملك العادل حظوة عظيمة وتمكن منه ومن دولته تمكناً كثيراً فانهم عليه بضائع كثيرة وغيرها ولم يزل يفتقده بالحببات الوافرة والصلوات المتواترة . وجرى الملك الكامل معه على سنة ابيه وزاد فاته . اباح له الدخول ركباً في جميع قلاعه مثل قلعة الكرك وجعبر والرها ودمشق والقاهرة وكان ذلك منتهى التشريف في تلك الايام خصوصاً لمن كان متمتعاً بالصحة والعافية مثل ذلك الموفق . ولقد بلغ من امره ان العادل حينما ترك دار الوزارة التي كانت مقرراً لبني ايوب بعد ذهاب دولة الفاطميين واستقر بقصر القاهرة في القلعة انه اسكن موفق الدين هذا معه في قصره . ركب السلطان مرة بقلعة النوبة وخرج الى بين القصرين ( بالجهة التي بها المشهد الحسيني الآن ) فركب فرساً آخر وارسل البغلة التي كان ركباً عليها الى دار الحكيم بالقصر وامر بركوبه عليها وخروجه من القصر ركباً . ولم يزل واقفاً بين القصرين الى ان وصل اليه فاخذ يديه وسأله يتحدث معه وسأله الامراء يشون بين يدي الملك الكامل . والشئ من معدنه لا يستغرب . فقد كان الكامل كاملاً باكمل معاني الحكمة لا يفرق بين مسلم وذمي ممن تحلى بالفضيلة والكمال

ذكرت لكم قصة اليهودي الذي أحيا الميت . وبما اني في معرض التوفيق بين العناصر المختلفة التي تجمعها راية واحدة هي راية الوطن فأخشى ان يكون المسلمون والنصارى قد تقهقروا على هذا المأزج ان لا يذكر منهم رجالاً احيوا الموتى . فاسمحوا لي اذن بذكر حادثتين . وابدأ بالمسلم لتقدمه في الزمن ليس الا وأتيني بالمثلث وان كان دبه جاء اولاً

جلس الرشيد هارون في بعض الايام وقدمت بين يديه الموائد وجبرائيل بن مجتئشوع غائب . فامتنع امير المؤمنين عن الاكل حتى يحضر جلسيه وصميره . وامر بطلبه ليحضر الاكل مع صحبته على عادته . فبحثوا عنه في جميع منازل الحرم والامراء ولم يقع القوم له على اثر . فتكلم الرشيد وطفق يلثمه ويقذفه واذاب جبرائيل داخل عليه وقد سمع سبه باذنيه فلم يهلع ولم يتدبر بل قال : لو اشتغل امير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابراهيم بن صالح وترك ما هو فيه من تناول السب كان اشبه فاستفهم الخليفة عن الواقع فاعلم انه خلفه وبه رمق يتقضي آخره وقت صلاة العتمة فاشتد جزع الرشيد وامر برفع الموائد واقبل على البكاء حتى رحمه جميع من حضر . فقال جعفر بن يحيى البرمكي : يا امير المؤمنين ان طلب جبرائيل رومي وعندنا صالح بن بهلة وهو في العلم بطريقة اهل الهند مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم . فان رأى امير المؤمنين ان يأمر باحضاره وتوجيهه الى ابراهيم بن صالح لنفهم ما يقول مثل ما فهمنا عن جبرائيل . فامر الرشيد ورجع صالح الهندى المسلم بعد حمية وسأله جعفر

وشدد في معرفة الخبر فأتى صالح بن بهلة وأصر على القول بأنه لا يكشف تباركه سبحانه وتعالى  
 المؤمنين فلما دخل عليه قال : يا امير المؤمنين انت الامام وعاقده ولاية القضاء تحكمهم .  
 حكمت به لم يجر لحاكم فضحه . وانا اشهدك يا امير المؤمنين وانه على قدي من .  
 ان ابراهيم بن صالح ان توفي في هذه الليلة او في هذه العلة ان كل مملوك لصالح بن صالح  
 حر لوجه الله وكل دابة له غيبس في سبيل الله . وكل مال له صدقة على الناس اكين . وكان  
 امرأة فطالقي ثلاثاً بتاناً قتل الرشيد : حلفت ويحك يا صالح على غيب والغيب لا .  
 الله . فقال صالح : كلا يا امير المؤمنين . انما الغيب مالا علم لاحد به ولا عليه .  
 ولم اقل ما قلت الا بعلم واضح ودلائل بينة . فسرني عن الرشيد ما يجد واكرهه ربه .  
 ولما كان وقت صلاة الجمعة ورد كتاب صاحب البريد بتدنية السلام بغير وفاة ابراهيم .  
 صالح . فاسترجع الخليفة بالبكاء والعويل واقبل على جعفر بالوم في ارشاده .  
 بهلة وابيل يلعن اخنوخ ويحلفهم ويقول : واسوأته من الله ! ان يكون ابن عمي .  
 الموت وانا اتحنن فوص الله والنقص . ثم دعا بقي . قدف به ما في جرد من ضلالتهم .  
 وبكر الى دار ابراهيم يكور الثراب ولم يرض بالجلوس على الثراب والستار .  
 على سيفه . وقال للراشدين : لا يجسن الجلوس في المعصية بالاحبة على اكثر من البسطة .  
 وامر برفع القرش والثراب وجلس بعد ذلك على البساط . فصارت سنة في ملائمتهم .  
 العباس ولا يزال اثرها باقياً الى اليوم في مصر وغيرها من بلاد الشرق خدوها .  
 الحريم . وبقي القوم في سكوت وسكون كأنما على رؤوسهم الطير حتى اذا سطعت روائح  
 الجمار صاح صالح ورفع عقيرته وهو يقول كلخيتون : « الله الله يا امير المؤمنين ان تحك  
 بطلاق زوجتي وهي حلال لي وحرام على غيري . الله الله ان تخرجني من نعمتي ولم يلزمني  
 . الله الله ان تدفن ابن عمك حياً . فوالله يا امير المؤمنين مامات . فاطلق لي  
 الدخول عليه والنظر اليه » وحنف بهذا القول مرات ازعجت الخليفة والحاضرين . فامر بالانعام  
 عليه بما يريد . فدخل وحده . ولبت الحاضرون يسمعون غرب بدن بكف ثم كف .  
 واذا بشكيرة ارجحت لها جوانب الدار . وخرج صالح يقول : الله اكبر الله اكبر الله اكبر  
 ثم قال : ق يا امير المؤمنين حتى اربك العجب الاكبر . فدخل الرشيد وبخاوصه فاخرج صالح  
 ابوة كانت معه فادخلها بين ظفر ايهام يد الميت ولحه فجذب الميت بده وردحا الى بدنه .  
 فقال صالح : يا امير المؤمنين هل يحس الميت بالرجوع ؟ فقال الرشيد : لا . فقال له صالح :  
 لو شئت ان يكلم امير المؤمنين الساعة لكلمه . فقال له الرشيد : ف : سألك ان تفعل ذلك .  
 فقال : يا امير المؤمنين اخاف ان طابته وافاق وهو في كفن فيه . فحة الخطوط ان يصدر

قلبه فيوت . وبكون الموت حقيقياً ولا تكون لي حيلة في احيائه . ولكن يا امير المؤمنين تأمر بقبري بده من الكفن وردة الى الفضل واعادة الفضل عليه حتى تزول رائحة الخنوط عنه ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته ويطيب بمثل ذلك الطيب ويحول الى فراش من فرشه التي كان يجلس وينام عليها حتى اعلمه بمحضرة امير المؤمنين فانه يكلمه من ساعته فامر الرشيد بامثال امر الطيب . ثم دخل على ابن عمه فلدا صالح بكندس ( وهو جذر نبات يشبه الخرشوف ) ومنقحة ونفخ من الكندس في انفه فمكث الميت مقدار سدس ساعة ( ١٠ دقائق ) ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس قدام الخليفة وقبل يده . فقال الرشيد عن قصته . فذكر انه كان نائماً نوماً لا يذكر انه نام مثله قط طيباً الا انه رأى في منامه كلباً قد اعوى اليه فتوقاه بيده فعض ابهام يده اليسرى عضه لا يزال يحس بوجعها . وراه ابهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرة . وعاش ابراهيم بعد ذلك دهرأ وتزوج العباسة بنت المهدي وولي مصر وفلسطين ونوفي بمصر وفيه بها لانه لم يدفن ببغداد حياً .

ومن كانت ميتته بارضي فليس يموت في ارض سواها

اما الحكميم النصراني الذي احيا الموتى فهو رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير ابن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن أبي فانه الذي اشتهر فيما بعد باسم ابي حليقة . كان ابوه الفارس ابراهيم من رؤساء الجيش العاملين فكان يلبس ولده لباس الجندي مثلاً لباسه ويرشقه للخدمة في العسكرية مع المسلمين في محاربة الصليبيين كما جرت عادة الآباء في الشرق من جعل ابنائهم على حرفتهم . وذلك مصداق لما قاله الامام النووي في التحفة « وللامام او نائبه الاستعانة باهل الذمة والاستعانة على المدو بشرط ان تؤمن بخيانتهم بان يعرف حسن رأيهم فينا . ويشترط في جواز الاستعانة بهم الاحتياج اليهم ولو بنحو خدمة او قتال لقتلتنا . وتعمل بالمستعان بهم الاصلح من افرادهم او تفريقهم في الجيش » وكانت دار الفارس ابي الخير ملاصقة لدار السلطان الملك العادل بمدينة الرضا ( ١ ) فانفق ان الملك الكامل الايوبي وهو ولي العهد دخل فيها الحمام فاعطى الفارس لولده رشيد الدين فاكهة وما ورد و امره بجماله الى الملك الكامل . فلما خرج من الحمام وقدم الغلام بين تلك اللطاف اخذه معه وفرغ الاطباق من الفاكهة وملاها شققاً سنية وصبرها لوالده . ثم اخذ انكامل بيد الغلام النصراني وعمره يومئذ ثمانين سنين ودخل به على السلطان الملك العادل ولم يكن رآه من قبل فلما ابصره قال للملك الكامل : يا محمد هذا ابن الفارس لانه اخذه باله فقال: نعم .

قال : هاته فعمله الملك الكامل ووضه بين يدي السلطان فلاحه ولاطفه وتحدث معه حديثاً طويلاً ثم التفت الى والده وقد كان قائماً في خدمته مع جملة القيم وقال له : وادرك هذا ولد ذكي لا تعلمه الجندية فالاجناد عندنا كثير وانتم بيت مبارك وقد استبركتم في ارضكم ارسله الى الحكيم ابي سعيد ( اي عمه مهذب الدين الذي ذكرناه سيفه غير هذا الموصوف ) ليقراً عليه الطب بدمشق فامثل والده فتخرج بها ثم جاء الى القاهرة وكانت كمية المال فاكل دروسه بها وبرع حتى صار يشار اليه بالبنان هذا مع مواظبته على العبادة والفقرة في دينه المسيحي وقرض المرنص المطرب من الشعر الرقيق المحب ثم تولى السلطنة المملوكية واستقر بصرف قرب رشيد الدين ابا الوحش وكان كثير الاحترام له فغطى خدمه كثيراً حتى نال منه الاحسان الكثير والانعام المتصلة واقطعه على سبيل الجارية نصف بلدياته التي كانت تعرف بالعزيزية والحربية ( وتعرف الآن بالعزيزية تتركز مينا القمح وهي بلدة للعرير الفاطمي ) ولم يزل في خدمة الكامل حتى مات ثم قدم ولده الملك الصالح ثم بعده الملك المنصور توارثاه حتى قتل وجاءت دولة المماليك واستولوا على البلاد واحتدوا على الملك الاخير فاجروه على ما كان باسمه ثم خدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح وبقي في خدمته على عادته المستمرة وقاعدته المستقرة وله منه الاحترام التام وجزيل الانعام والاكرام حتى وافاه الحمام .

كانت له اليد الطولى في الطب فقد امره الملك الكامل بمن الترياق الفاروق المشهور فسر عليه الليالي حتى حقق مفرداته بشهادة ائمة العصابة ابقراط وجالينوس وباتاندر عليه حضور ادويته الصحيحة من الآفاق ركب تخته ترياق توجد ادويته في كل مكان ونوى ان لا يقعد به قرباً من ملك ولا ضل مال ولا جاح في الدنيا ولا يقعد به سوى القرب من الله ينفع خلقه اجمعين وبذله للمرضى مجاناً فكان ينص به الفارحين ويقوم به الابدني المشقوسة ويمكن وجع القولنج ويفتت الحصى ويزيل ألم الاستان لوفته وساعته فشاغ امره وتحدث به لخاص والعالم حتى سألته السلطان وقال له : يا حكيم ايش هذا الترياق الذي عملته ولم تعلمني به فقال : يا مولانا الممارك لا يعمل شيئاً الا لمولانا وما تأخرت عن العرض الا لتجربته اما وقد صبح هذا مولانا فصار على ثقة منه فقد حسن التصود فلمره باحضاره فلم يكن عنده منه الا شيء يسير لان الظائق كانت قد تهاونت عليه فذهى الى احدقاته الذين اهداهم منه حتى جمع من دناء ومن هناك احد عشر درهماً وجهه في برنية من الفضة فاحتفظ عليها السلطان وكان يشكو من نزلة في اسنانه فماد بالان وضع جزءاً صغيراً منه حتى زال به الالم وكأنه لم يكن .

اما احياءه الميت : فقد مرضت دار من بعض الآدر السلطانية ( اعني احدى حظايا السلطان فان السرفي السكان ) وكانت مقبلة بناحية العباسية وكان الملك الكامل لا يشرك مع هذا الطبيب احداً في مداواته وفي مداواة من يعز عليه من دوروه واولاده فالتطع للعناية بها اياماً . ثم عرض له ما اوجب عليه الرجوع للقاهرة مدة ثمانية عشر يوماً ثم عاد لعيادة مريضته بالعباسية فوجدوا قد تولى علاجها جماعة من الاطباء فاشترك معهم فحكوا بانها توت وان المصلحة تقضي باعلام السلطان قبل ان يغفأ امرها بقية فقال : انها ليست عندي في مرض الموت قتال اكبرهم سناً ( وكان رشيد الدين شافياً ) : انني اكبر منك وقد باشرت من المرضى اكثر منذ . فتوافقني على كتابة هذه الرقعة . فاني فقرأ رأي الاطباء على كتابة الرقعة . فقال : لا اضع اسمي في هذه المطالبة . فلما وصل الخبر للسلطان بعث رسولا ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً تحمل فيه جثتها الى القاهرة . فقال له الحكيم ما هذا النجار ؟ قال نعم النجار . قل : تضعونها فيه وهي في الحياة ؟ قال : بل بعد موتها . قال : ارجع بهذا النجار وقل للسلطان عني خاصة انها في هذه الموضع لا تموت . فلما كان الليل ارسل اليه السلطان بورقة بخطه يقول فيها : ابن التارس يحضر اليك لانه لا يمكن بعد سعي بابي حقيقة . فلما وصل اليه قال له : انت منعت من عمل التابوت ؟ قال نعم . قال باي دليل ظن لك من دون الاطباء كلهم . قال : لمرفقي تزعجها وبواقات مرضها على التحريم من دونهم وليس عليها بأس في هذه الموضع . فقال : امض وحليها واجعل بالك لها . فذهب وداواها حتى عوفيت ثم اخرجها للسلطان فزوجها وولدت من زوجها اولاداً كثيرين

هؤلاء هم الثلاثة الذين احيوا الموتى على ما وصل اليه علي . احدهم مصري وهو يهودي وثانيهم هندي استوطن بغداد وهو مسلم وثالثهم شامي استوطن مصر وهو نصراني . ولعلكم يا بني امي ويا بني عمي ترشدوني الى مسلم وقبطي من مصر قايماً بهذه الكرامة او ان يقوم فيكم من يحدد لنا ذكرها والافتخار بها .

\*\*\*

لعل السام ترضى ؟ وكأني بها تقول : مني خرج المسيح وهو الذي احيى الموتى ! افلا تذكر لي طبيباً واحداً من هذا القبيل حتى لا اكون بين القسطنطين والزوراء لا في العير ولا في النفير .

كان بها فلاح يرتزق وراء المهرات من قرية يدور صا رسماً فيها بعد بالفرج جرجس اليربودي . رأى فاصداً قد التوى عليه سد العرق فتوالى الرثاء على المقصود . فقال له : يا هذا اني ارى ابي في وقت سقي الكرم اذا انفتح شق من النهر لا يقدر على امساكه دون

ان يفتح شحاً آخر يتقص به لواء الاول الواصل الى ذلك الشق ثم يسده بعد ذلك . فتعلم  
الجرانجي بهذه الاشارة واقطع الرعاف . ثم قال للتفاح : لو انك تشغل بالطب لجاه منت  
طبيب حاذق . فوقرت هذه الكلمة في صدره واقبل على التعلم بدمشق وما كفاه ما حصل  
عليه حتى اخذ سواراً كان لاهمه وذهب الى بغداد فاتفق ثمنه على استكمال العلم وصار من  
اكبر التواضع في هذا الفن . رأى يوماً في سوق جبرون بدمشق انساناً راهن على ان يأكل  
ارطالاً من لحم فرس مسلوقة بما يباع في السوق (١) فوقفوا قد امنن في الاكل باكثر  
بما تحمله قواه ثم شرب بعده شفاكاً كثيراً وماءً شلج فاضطربت احواله ونفوسه انه لا بد  
ان يُغنى عليه فيصير الى حالة يكون الموت اقرب اليه ان لم يتلاحق فتيحه الى منزله واستشرف  
الى ماذا يؤكل امره فلم يكن الا ايسر وقت . واهله يصيحون ويهيجون بالبكاء . ويذعمون انه  
قد مات . فاتي اليهم وقال : انا امرته وما عليه من بأس . ثم انه اخذه الى حمام قريب من  
ذلك الموضع وفتح فيه كرمًا ثم سكب في حلقه ماءً مقلياً وقد اضاف اليه ادوية مقيمة لعينه  
وقياً يرفق ثم جالجه وتلطف في مداواته حتى افاق وعاد الى صحته .

ولبيرودي هذا كرامة ثانية من هذا القليل حكاهما الطرطوشي في سراج الملوك .  
مر رجل يبيع الشمس على خباز في دمشق فاشترى منه وجعل يأكله بالخبز الحار فلما فرغ  
سقط مشياً عليه فنظروا فاذا هو ميت وقضى الاطباء كلهم بيوتهم ففسله اهله وكفنته وصلا  
عليه . ثم خرجوا به الى الجبانة فاستقبلهم البيرودي صدقة على باب البلد وسمع الناس  
يلهجون قضيته . فقال : حطوه . ثم اخذ يقلبه وينظر في امارات الحياة التي يعرفها . ثم فتح  
فمه واه او حفته فاندفع ما هنالك فاذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى حانوته  
واظنه تاب عن اكل الشمس ولو في الشمس . ولا شك انه يصح لنا ان نقول عن البيرودي  
انه فلاح وفتح .

\*\*\*

وبما اتنا طرفنا باب الحياة بعد الموت فاسمحوا ان انتقل بكم بطريق المجاز الى عالم هو  
خير وابقى . ثم نمود الى هذه الدار بغاية التجميل . فانما كلامنا من باب الحاضرة والتجميل  
ونحن اليوم في دار التجميل .

كثيراً ما يتمحض النصارى اذا قال جهال المسلمين عن احدٍ انه هلك او انه هالك  
وكافي بهم اشبه الناس ببلي بك كشكش . اذ رأى حمار العامة به يحرن ويجرد اذا قالوا

(١) في هذا اشارة الى ان لحم الخيل كان مألوفاً في بلادنا في القرون الوسطى كما هو  
الان في اوربا (المتنبس)



له : كشكش فصاروا كلما رأوه يقولون له : كشكش كشكش كشكش حتى ضرب احدهم بحجر فادماه فاخذته الثورور والثارير على رأي الاستاذ البرقوقي والجلاوزر والجلاوزة على رأيي والشرطة على رأيكم والبوليس على رأينا جميعا وساقوه كلهم الى اناكم فاخذني نقر يمه . فقال له : لست بلموم باسمادة الباشا . فقال : وكيف ذلك . قال : صل على النبي . قال المحافظ : اللهم صل عليه . قال : زد النبي صلاة . قال : عليه الصلاة والسلام . قال : ثم زده صلاة . قال : صلى الله عليه وسلم . قال : كرر الصلاة فهي عبادة . فاقتمل المحافظ وانتهر على بك . فقال له : ويحك يا مولاي انت حرمت من الصلاة على النبي وهي خير ما يتقرب به العبد الى الرب فكيف بي وكلما مشيت خطوة سمعت كشكش كشكش كشكش كشكش فاعلمون يا بني عمي ان كل حي الى المات يصير وان هذا الانتقال اما ان يكون بفعل فاعل او بحكم انتهاء الاجل . وفي الحالة الاولى يستعمل اللفظ الموافق لازهاق الروح مثل قتل - مصلب - شتى - خوزق - ثم الخ . اما في حالة الجهاد والاضطهاد عند المسلمين والنصارى فيقال : استشهد ونجح . وفي الحالة الثانية يقال : مات وقبض وتوفي وهلك وحضرته الوفاة وغير ذلك من التعبيرات التي تقبل بانواع الكنايات .

نقطة اختلاف في «هلك» . ولا اكنتمكم انني مع هذه اللفظة مثل بعض علماء النحو مع «حتى» : اعني انني اهلك وفي نفسي شيء من هلك بل اللهم شيئا اولهما فلسفي اجتماعي وهو الذي نحن بصدده الآن فانه اوجب انفراج الخلف وسوء التفاهم بين ابناء الودن الواحد وثانيهما لغوي اذا ارتحا الرب العالمى بيبه تدد الاول وزال .

يقول اهل اللغة في هلك انها بفتح اللام وكسرهما في الماضي وفي المضارع فقد امرونا اولاً ان نقول هلك بهلك وبهلك (من باب منع وضرب) ثم تكرموا وسوغوا لنا ان نقول في الماضي هلك بكسر اللام بشرط ان يكون المضارع مفتوحاً (بهلك) اي من باب علم . ثم امرونا ان نقول في المصدر هلكاً (بضم الهاء) وهلاكاً (بفتحها) وتهلوكاً وهلوكاً (بضم اولهما) ومهلكة ومهلكا وتهلكة (بثلاث اللام في الثلاثة) واللغة مثل العلم لا دين لها ولكنها قد تكون ايضاً وسيلة للتنعط والحذقة والسفسطة .

ما هو معنى «هلك» بهذه التقرات المتراكمة ؟ قال الفيروزابادي في القاموس . مات . وقال السيد مرتضى في تاج العروس ما نصه : مات تفسير لقوله هلك ولم يقيد بشيء لانه الاكثر في استعماله . واختصاصه بميتة السوء عرف طارفي لا يعتد به بدليل ما لا يحصى من الآي والاحاديث اه . هذا هو المقرب . في متون اللغة وبطونها . ولا انكر ان اللغة شيء والاستعمال شيء آخر . فلننظر فيه ايضاً .

فهذا كتابنا يشهد علينا بالحق فقد جاء فيه : (١) كل شيء هالك الا وجهي (٢) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك من بعده حتى اذا هلك قلتم لن نبعث اذرا رسولاً . والا حاديت كثيرة وليس هذا محل ايرادها .  
اما استعمال العرب فاكثر من ان يحصر ولكنني اكتفي بشاهدين فذين اعزهما بثالث . قال النابغة الجعدي في ملك العرب المنذر بن النعمان المكنى بابي قابوس ( تعريفاً ) ! غلة كيكاس انقارسية !

فان يهلك ابوقابوس يهلك جميع الناس والبلد الحرام  
وقال شاعر الاسلام في قيس بن عاصم وهو من اكابر الصحابة .  
فما كان قيس هلك هلك واحد ولكنه بتيات قوم نهتما  
والوزن يساعده على قول « مونه موت واحد » . وهذا احد المرشحين للخلافة من بني امية يقول عنه ه والاثانية طبيعة في الانسان

فان هلك انا وولي عهدي فروان امير المؤمنين  
وكان له مندوحة اذا قال : فان اقبض . وهذا ابونواس يقول عن سائر الناس  
ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهاكين عريق  
اذا امتحن الدنيا ليب تكشف له عن عدو في ثياب صديق  
وكان له مندوحة واسعة ان يستعمل : ميت وميت ومائتين . وبعد فها هي كتب السلف  
الصالح بين ايدينا جميعاً . نرى المسعودي في مروج الذهب والتنبيه والاشراف يقول  
هلك ( بالهاء واللام والكانف ) عن خلفاء المسلمين فضلاً عن كثير من الصحابة والتابعين  
واكابر الامة الاسلامية ومثله ابن عبدبريه صاحب العقد الفريد  
وما هو ابن قتيبة في كتاب المعارف يقول هلك ( بالهاء واللام والكانف ايضاً ) عن  
الحارث ابن كلدة طيب العرب وعن عبدالله بن ابي بكر الصديق وعن بلال مؤذن الرسول  
وعن عبدالله وسالم وواقف وبلال ابناء عمر بن الخطاب وعن عمرو وعبدالله وعبد الملك  
ابناء عثمان بن عفان وعن محسن بن علي بن ابي طالب وعن ثخلة بن الحسن بن علي بن  
ابي طالب وعن عروة ومصعب ابني الزبير بن العوام وعن ماذ بن جبل وابنيه وعن  
حذيفة بن البيان وكلهم من جلة الصحابة واكابرهم .

وهذا مورخ المحدثين ومحدث المؤرخين ابن عساكر يروي في تاريخه عن عمر بن الخطاب ( وحسي ان اقول عمر بن الخطاب ) ما قاله العباس اخو عمر بن الخطاب . « قال سألت الله حولا بعد ما هلك عمر ان يريني عمر بن الخطاب » وقال ابن عساكر في موضعين

اخرين : « قل كان اليوم الذي هلك فيه عمر بن الخطاب » . و « هلك عمر بن الخطاب » .  
فهذا اللفظ شائع مستفيض ولكن اصطلاح المتطعين هو الذي جعل في النفوس حزازات  
لا اصل لها . فذا ما رجعت الى اللغة الصريحة والسنة الصحيحة زال ما في القلوب من غر  
فصيحنا اخواناً على سرر متقابلين . فما احرانا يا بني امي ويا بني عمي بعد هذا البيان ان نقول  
لمن يؤذيه هذا اللفظ من الاقباط وسائر الذميين : كشكش ! وان نقول للمتطعن باستعماله  
من المسلمين . حل على النبي ! ما يحلو الكلام الا بالصلاة على النبي .

فان الشيخ المكين بجرس بن العميد بن ابي الكارم بن ابي الطيب السرياني النصراني  
المصري كما ذكر النبي اعقبه بقوله « صلى الله عليه وسلم » ويقول « عليه الصلاة والسلام »  
ولا ذكر وفاته قال « انتقل الى رحمة الله ورضوانه » واذا جاء في سياق الحديث اسم  
واحد من الصحابة او الائمة او الخلفاء او شيوخ الاسلام دعا لهم « بارحمته والبركة والرضوان »  
وذلك في كتابه المشهور عند غيرنا انجهول عندنا فقد طبعه اهل اوربا باللغة العربية مع  
ترجمته باللاتينية بديعة لندن من اعمال هولاندة في سنة ١٦٢٥ ثم نقلوا ترجمته اللاتينية  
الى اللغة الفرنسية في سنة ١٦٧٥ ولا يزال العرب والمصريون الى الآن محرومين من  
ورود موده الاصلي مع انه مكتوب بلغتهم وقد جراه في هذا السبيل ابن العربي في  
كتاب مختصر القول الذي طبع مع ترجمته اللاتينية في ايسنورد بانكناثرا اولاً في سنة  
١٦٦٣ ثم ترجموه الى الالمانية في سنة ١٧٨٣ وبقي عزيزاً على العرب حتى تفضل بطبعه  
اليوسوفيون في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٠

جر انكلام تناسبية او غير مناسبة الى ذكر الشيخ المكين والاشارة الى تأليفه المفيد  
الذي سماه تاريخ المسلمين وهو من سوء الحظ عندنا في مصر من اندر النوادر . صدر هذا  
الفاضل كتابه بهذه الدياجة .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توكلني

الحمد لله القدوس بجميع الصفات المحمدية في سمو عرشه من سائر المخلوقات التميز بوجوده عن  
جميع الكائنات المتعدد يدع الاسماء وشريف الصفات المتعالي في عزه وجلال كبريائه عن  
الاشياء والنظر اذ جاله من الجبروت والعظمة والكبرياء احمده حمدشاً كرمي ما لول من النعماء واجزل  
من العطاء . وللكين انما جاء بكتابه متمماً ومكلاً ومصدقاً لكتاب نظم الجوهر الذي ألفه  
الطبيب كركم الطيبي ابن الطريق التيمري في فنون الطب وفي مقالات البصاري والاختلافات  
الدينية المكتوبة بين فرقهم المتشعبة . وقد رأيت كتابه في دير بالنطرون اثناء رحلي الى ذلك  
الوادي في سنة ١٨٩٤ وتركته عند بعضهم دراهم بسيرة لاستنساخه ثم تولاني فوتولي صاحبي

القطبي نسيان الى الآن فلست اذكره ولا هو يذكرني ولن اذكره فانه لم يذكرني . ولا بأس علينا في بقاء هذا الكتاب في تلك الجواليق والاعدال اذ قد سبقنا الافرنج فقبلهم ترجمته اللاتينية بمدينة اكسفورد احدى عاصمتي العلم بانككترا في سنة ١٦٥٩ وان كتاب مصر واعلمها لا تزال محرومة منه . الف بطريق هذا الكتاب لاختيه عيسى وسيدته بخطه انقال .

بسم الواحد الاحد السرمدى وبه نستعين

الحمد لله يا اخي من الامور البهية احسنها واوقتها وصرف عنك من العزائم المذمومة اعظمها واوقتها وجلالك من السرايم وادام لك من العزائم وافاء بالدارين . وفي الحالين قسمك وفهمك جميع ما يرضيه ولا افرك من حوله بما يستقصيه فثبت ما امر به برسمه لك اسعدك الله بلبوس الفضيلة وطهرك من التردى باضار الرذيلة . . . الى ان نزل اول ما نبدي به محمد ربنا وبارئنا وخالقنا ومحيينا جل ثناؤه اذ كان حمده مقدس اسمه مفتاحاً لجميع الكتب والرسائل ونسأله عز وجل العون لنا على ذلك بمجمل عاداته والمجد لله اهل الجهد ووليه الراعي به شكراً من عبادته مقدر الاشياء من قبل كونها ومديرها من بعد حدوثها الذي جعل الرحمة والعدل من سنن الحق وامر بهما وجعل التسق والجور من سبيل الباطل ونهى عنهما . فالحمد لله المتفرد بالوحداية فهو عز وجل - بجمهره الادبي وحكمته القديمة وحياته الازلية مستحق الحمد والثناء وتستوجب المحبة والثناء الذي لم يجعل في ذمسه شبهة تقتضي شكاً ولا في شريعته ارتياباً يوجب اختلافاً بل جعله وافهمنا للشعوب على اختلافهم بالاسباب والجهات وعلماً ظاهراً لساثر الاعم على تباينهم في الكلام واللغات بما اظهر على يدي انبيائه ورسله وما بعث اليهم من المعجزات ومهولات الآيات ودعا الي دينه ووعده بمجمل النظر لمن آمن به وواعد بسوء المنقلب لمن انحرف عنه ومجده حمداً يمتري من المزيدي لاحسانه ويقتضي الرضى لديه واياه اسأل واليه ارجب في خلوص نيائنا لقبول ما يرضيه وصرف طوبائنا الى ما يعود الى انعمل بطاعته »

أقرأيت هذا الانشاء البديع وهذا التدبير الجليل الذي يرضيه اكبر كابر العلماء والادباء من المسلمين ؟ بل فما بال اخواننا الاقباط هجروا الناية باللغة وانزلوها الى ما هو متعارف في الدواوين وجرونا وراءهم في التدلي حتى اذا حاولنا اعاده بمعجتها في الرنيمات لم يتفاهموا ولم تفاهمها ؟ افيظنون انها من الدين ؟ كلا وربكم وقد اتيتكم بشاهد مكين من ابن المكين وعززته بشاهد آخر عن طريق ابن البطريق . ففي الآن لتفهم شأؤنا او لم يشاؤوا وليس لم عننا من عييد بل شأننا في رقيتهم وفي شأنهم شأن ذلك الرجل الذي على القطار من

الصعيد اذ قال لجماعة من الاقباط القهذلقين : اسقف على قلبكم . وسأمرد لكم شيئاً عن  
المكين وابن البطريق فيما يتعلق بعلائق الارتباط بين المسلمين والاقباط لتعلموا انهم كانوا  
سواء في الشدة والرخاء . وسأذكر لكم عنهما اشياء كثيرة في عرض هذه المخططة الطويلة .  
وابداً بالغنى الاسلامي فهو مفتاح كلاشي ثم اشرق واغرب واصوب واصعد وانجد وانهم  
وبعد ذلك اكره علي مصر حتى اصل الى هذا العصر .

وروي ابن البطريق ان ابا عبيدة بن الجراح « خرج من القدس الى حمص ومنها الى  
قبرسين . فكتب اليه بطريقها يطلب الموادة على نفسه سنة حتى يلحق الناس بهرقل الملك  
ومن اقام فيها فهو ذمة وصلاح . فاجابه ابو عبيدة الى ذلك فساله البطريق وضع عمود بين  
الروم والمسلمين بحيث لا يجوز لاحد من الفريقين ان يتعداه الى الآخر . وقد صور الروم  
في ذلك العمود صورة هرقل جالسا في ملكه . فرضي ابو عبيدة . واتفق ان تقرأ من  
المسلمين كانوا يقرنون علي الفروسية اذ مرّ اعدام وهو ابو جندل سهل بن عمر على العمود .  
فوضع زج رمحه في عين تلك الصورة غير متعمد لذلك فقفاً عين التمثال . فاقبل البطريق  
وقال لابي عبيدة : غدرتمونا يا معشر المسلمين ونقضتم الصلح وقطعتم الهدنة التي كانت بيننا  
وبينكم . فقال ابو عبيدة : فن نقضه ؟ فقال البطريق : الذي نقضاً عين ملكنا : فقال  
ابو عبيدة : فما تريدون ؟ فقال : لا نرضى في نقضاً عين ملككم . فقال ابو عبيدة : صوروا  
بدل صورتكم هذه صورتي ثم اصنعوا بي ما احببت وما بدا لكم . فقال لا نرضى الا بصورة  
ملككم الاكبر . فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك . فصورت الروم تمثال عمر بن الخطاب في  
عمود . واقبل رجل منهم فقفاً عين الصورة برمحه . فقال البطريق : قد انصفتمونا . وبعد  
سنة اقاموا على الصلح والذمة . وبهذه المثابة استبقى ابو عبيدة بياسته اهل البلاد فلم ينزعوا عنها .  
وقرأت في كتاب الدروس الجغرافية لتلامذة المدارس الابتدائية لسيدي واخي  
رشاد بك المطبوع في سنة ١٨٨٩ ان مدينة بليس هي ثاني موضع قل فيه عمرو بن  
العاص يارض مصر نحواً من الشهر ولما فتحها ورأى في جملة سبباياها ابنة المتوقس ردها في  
جميع مالها مكرمة الى اهلها .

وروي المكين انه حينما كان عمرو بن العاص محاصراً للاسكندرية انقم حصناً منها  
فجاشت الروم عليهم واخرجوا العرب منه وفي اثناء ذلك اسروا عمرو بن العاص ومسلّة  
ابن مغلد ووردان مولى عمرو ورجلاً آخر . ولم يعرف الروم من م فقال لم البطريق :  
انكم قد صرتم في ايدينا اسارى فصرفونا ما الذي تريدون منا ؟ فقال لم عمرو : اما ان  
تدخلوا في ديننا واما ان تعطوا الجزية واما ان نقاتكم الى ان نفي . لا مر الله . فقال واحدمن

الروم البطريق : توهم ان هذا الرجل امير القوم فاضرب عنقه . ففطن وردان لكلامه وكان يحسن الرومية وعمرو بن العاص لا يعرف شيئاً منها . فغضب عمراً جذبة شديدة ولكنه . وقال ه . مالك ولهذا القول وانت ادق من في الجماعة واقف فترك غيره يتكلم فقال البطريق في نفسه . لو كان هذا امير القوم ما كان يفعل به هكذا . وقال : لما ان ميرنا قد كان غره على ان ينصرف عن قتالكم بهذا كتب اليه امير المؤمنين عمرو بن الخطاب . او اراد ان يوجه الكهنة قواد من اكابر القوم من يتفق معكم على شيء فتراضوا عليه . فان احببت ذلك فاطلقونا حتى نذهب الى اميرنا ونعلم بما صنعتم بنا من الجبل ويتفق الامر ينكم على ما يحب وتجبرون وتصرف عنكم . فتوهم البطريق ان هذا الكلام حق فاطلق سبيله رجاء ان ياتي الكهنة القواد فيقتلهم ويتمكن حينئذ من العرب . فلما خرجوا قال مسلمة لعمرو يا عمرو لقد خلصت لك وردان .

اقول وتبيه بذلك ما رواه ابن العبري من ان حاتم ملك الارمن خرج من مدينة سيس قاصداً معسكر الخول ليؤدي الطاعة لملكهم . فخرج متكرراً مع رسول له يزي بعض الخلق واخذ على يده جنياً يجذبه خلف الرسول لانه كان خائفاً من السلطان صاحب الروم . وكان الرسول كلما مرّ ببلد من بلاد الروم ( آسيا الصغرى ) يقول ان الملك حاتم ارسله اتي ملك التتار ليأخذ له الامان فاذا امنه توجه هو بنفسه الى حضرته . قال ابن العبري . حدي الملك حاتم عند اجتماعي به بمدينة طرسوس بعد سنين من عودته من خدمة مونككافان . فلما عبرت بفسارية وسيواس مع الرسول ولم يعرفني احد من اهلهما قط الا لما دخلت مدينة ارزنكان عرفني رجل من السوق كان قد سكن عندنا . فقال : ان كانتا هاتان عيني فوذا ملك سيس . فلما سمع الرسول كلامه التفت اليّ وطمعني علي خدي وعل : يا نذرت نقتله بالملك فاحتملت العظمة لازيل بها غل من كان ظنه يقيناً . ( للكلام صلة )



## تهذيب الكلام

قال زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد المشهور بابن ابني الاصبغ المتوفى سنة ٦٥٤ في كتابه تحرير التبيين الذي فرغ من تليفه بخصري مستهل سنة اربعين وستة وهو من اهل كتب البديع ومن اهم مخطوطات دار الكتب المصرية في باب التهذيب والتأديب : التهذيب عبارة عن تردد الفكر في الكلام بعد عمله لينفتح ويتبين منه لا مر على الناظر او الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره ويحذف ما ينبغي حذفه ويصلح ما يمتنع اصلاحه ويكشف عما يشكك عليه من غريبه واعرابه ويحرر ما لم يحرر من معانيه والفاظه حتى تستكمل صحته وتزوق بهجته . فان رزق من ارباب البلاغة واصحاب الفصاحة جودة ذهن وغوص فكر وكمال عقل واعتدال مزاج وحسن اختيار ووقف على اقوال القاد في حقيقة البلاغة وكنهه الفصاحة وما نده من محسن الكلام وعميقه ووقفيته نفسه بحيث يطرح ما لا يقدر على تغييره من كلامه كن كلامه موضوعاً بالهذب منعونا بالفتح وان قرا ابتكاره لمعاني . وقد كان زهير معروفاً بالشفيع فانه يروى انه كان يعمل القصيدة في شهر ويتقيا في احد عشر شهراً حتى سمي شعره الحلبي الهلبي ولا جرم انه قلما سقط منه شيء ولهذا اشار ابونتمام بقوله .

خفها اجبة الفكر المهذب في الدجى والليل اسود رقعة الجلباب

فانه لما خص تهذيب الفكر في الدجى لون الليل لانه تهاد في الاصوات وتسكن الحر . تكون الفكر فيه مجتمعا واطاظر حاليا ولا سبيا في وسط الليل عند ما تأخذ النفس حظها من الراحة وتثال قسطها من النوم ويخف عليها ثقل الغذاء فتحينئذ يكون الذهن صحيحا والحدس منشرح والقلب منبسط . واختياره وسط الليل دون السحر مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهما من الراحة لا يكون في السحر من انبعاث اكثر الحيوانات الناطق والهميم وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتشتت الظلماء بطلان الاضواء وبعض ذلك ينقسم الفكر ويذهب الاططر ويستغل القلب وينفرد بتجميع اهمه ووسط الليل حال عام ذكرناه ولهذا خص ابونتمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين ما فيهما من الشوائب . . . . .

قال وكنت قد اطلمت على وصية وصي بها ابونتمام باعبادة البحر في عمل الشعر . كن ابونتمام ليرتجلها فجات محتاجة الى تحرير بعض معانيها وايضاح ما اشكل منها وزادات بفتقر اليها فحررت منها ما يجب تحريره واخفت اليها ما يمتنع اضافته وذكرتها في كتابي

الشعوت بالميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخدومد . وعلمت ان هذا الباب من هذا الكتاب احوج اليها من ذلك فاثبتنا هاتنا بعد ان رأيت تقديم مقدمة يحتاج اليها ويجب اذا عتد عليها وهي ان الذي يجب على كل من كان له ميل الى عمل الشعر واتشاء النشر ان يعتد بالآتي نفسه ويختبها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط الختبرات اذا وجد لها فطره مناسبة وجبة موزونة وذكاة وفاداة وخاطراً سمحاً وفكراً ثاقباً وفعلماً سريعاً وبصيرة مبهمة . والنتيجة مهذبة وقوة حافظلة وفطرة حاكية وهمة عالية ولمحة فصيحة وفطنة صحيحة

ولو كانت بعض هذه الاوصاف غير لازمة لرب الانشاء ولا يضطر اليها اكثر الشعراء لكنها اذا كملت في الشاعر والكاتب كان موفياً في هذه الصناعة بكال الاوصاف الخمسة التي اذا اضيفت لما الصفات الدرسية تكمل وتكمل من حفظ اللغات العربية واداءها من العلوم الادبية كالنحو والتصريف والمروض والقوافي وما سوت به الشعراء من الضرورات التي يلجئ اليها خالق الوزن والتزام التقية ليعلم بما يجوز له استعماله وما يجب عليه تجنبه . النظر في كتب البلاغة لمعرفة محاسن اللفظ مفرداً وتركيباً ومعانيه وبموجبها يتفرع من اصول النقد في البديع الذي هو رقوم الكلام ونتائج مقدمات الاقلام .

وليجعل عمدته على كتاب الله العزيز وليميز اعجازها دق تميز فانه انجز الذي لا ثلثي عجائبه ولا يظا فيه راكمه . منه استخرجت دزر المحاسن واستنبطت عيون المعاني وعرف كنه البلاغة وتحقق سر الفصاحة وكذلك سنة الرسول عليه السلام . ولحفظ اشعار العرب وامثالها وانسابها وابناسا واسبابها وحوادثها ومحاسن آثارها ومقاتل فرسانها الاتحاد ونواذر سمعائها الاجواد ولا غنى به عن معرفة النجوم والانواع وعلم هيئة السماء وتقل الآثار العلوية والحوادث الارضية والمشاركة في الطب والطبائع والحساب وما يحتاج اليه الكتاب من الفقه والحديث ونقل التاريخ الصحيح . ويكون ذلك المكتسب من وراء اشياء لا تكتسب ولا تفصل بالطلب بل هي مما يجبل عليه الانسان من مواهب الرحمن من عقل راجح وذهن صافٍ ورأي سديد ينتج ذلك مزاج معتدل فيحسن اختياره ويجود انتخابه . فيختير الالفاظ الرقيقة والمعاني الرشيدة ويتقن تأليف الكلام وتركيب الالفاظ وما يبراد آيات قلتهن في هذا المعنى من بأس وهي

انتخب لقريض لفظاً رقيقاً . كنسم الرياض سيف الاسمار

فاذا اللفظ رق شفق عن ال . حعن فابدها مثل ضوء النهار

مثل ما شفت الزجاجة جماً . فاختق لوتيسا بلسان القمار

هذا ان اراد ان يبعث فاضلاً او يسمى ادبياً كاملاً فتعلموا بين العلماء درجته وتطير



بين التفلاء سمحه ويقل خوره في لفظ كل كلام ومناه . ويحذر من ان يقف خاطره  
بسبب معاندة الزمان وتواتر غروب الحدثان وتذمر المكسب وعز المطلب وتقدم الجبال  
واختصاص الاراذل بالاموال فيكون ذلك داعياً الى ترك الاشتغال وسبياً في قنور عزمه  
عن تحصيل العلوم وفريضة قنموده عن رياضة نفسه واستعمال خاطره فيلحق بالاخسرين  
اعمالاً والمخطئين افعالاً واقوالاً . بل يكون اجتهاده في ذلك اجتهاد راغب في الاعمال  
شديد الاتقة من مساواة الجبال عاشق في تزكية نفسه مایل للتقدم بنفس العلم على ابناء  
جنسه وما احسن قول القائل

تعلم فليس المرء يولد عالماً . وليس اخو علم كن هو جاهل  
ونف كبير العلم لا علم عنده . صغير اذا التفت عليه المحافل

ولا يد للجهتد من يوم يحمده فيه عاقبة اجتهاده ويحصل فيه على مراده وان كان  
قصير المهمة مهين النفس قد أوتي حياً في العمل سليماً وذهناً مستقيماً فظن انه يستغني بذلك  
عن الاشتغال ويعد عن ماثلة الجبال ادلالاً بطبعه واتكلاً على حذقه كما كثر شراء  
زماننا وكتابه والتتلمذ في سلك آدابه حاشا من احتفل بالادب احتفالاً اوجب لذوي  
الادب الانتفاع بهذا الكتاب فلا يأتي من عرض ما يسمع به خاطره على من يحسن الظن  
بمعرفته ويحقق ان مرتبه في العلم فوق مرتبه ولا يهمل ذلك فان خطره عظيم وفوق كل  
ذي علم عليم . وان كنت في ذاك كن يصف الدراة ولا يستعمله ويأمر بالعرف ولا  
يتشبهه غير اني انجح الطريق واحض على التوفيق تحصل لي مثوبة الالة واكسب اجر  
المداية فان الدال على الخير كفعله والمعرض على العمل كعامله .

ويحتمد الراغب في نظم الشعر وانشاء النثر في وقت العمل على وصية الامام ابي تمام الذي  
وعتد سالفاً ينشرها وهذا اوان ذكرها وهي ما اخبر به الثقة عن ابي عبادة الجعري الشاعر  
انه قال : كنت في حداثي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت  
على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام واقطعت اليه واتكلت في تمريره  
عليه فكان اول ما قال لي يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل المصوم صفر من الغيوم واعلم  
ان المداية في الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شيء او حفظه ان يختار وقت السحر . وذلك  
ان النفس تكون قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء  
وصفا من اكثر الانجرة والادخنة جسم الهواء وسلبت الغائم ووقت النسيم وتفتت الحماة  
وتفنن بالشر فان النماء مضاره الذي يحذر فيه .

اجتهد في الايفاع فان اردت التيسير فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه

من يات الصباة وتوجع الكتابة وقلق الاشواق ولوعة الفراق والتصل باستشاق النساء  
وغناء الحاتم والبروق اللامعة والفجوم الطالعة والبهيم بالمدال والمواذل والوقوف على الملل  
المالح . واذا اخذت في مدح سيد ذي اباد فاشهر مديقه واطهر مناسبه وابن معاليه وشبه  
مقاومه وارصف من عزائم وورغب في مكارمه وتفاض المعاني واحذر اجهول منها . واما  
ان تشوب شعرك بالعبارة الزرية والالفاظ الوحشية وتاسب بين الالفاظ والمعاني في تأليف  
الكلام وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام . واذا عارضك النحير فارج  
خاطرك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر القريضة الى حد  
نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر لشعرك بما سلف من اشعار الآخرين فما  
استحسنه العلماء فاقصده وما استقبوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى .

وكن قد جمعت فصولاً يحتاج اليها العاقل في البلاغتين والراضع في الاثنين من  
عدة كتب من كتب البلاغة وصرفت منها ما لا يحتاج اليه وتحتها وحريتها وداخري  
ينبغي لك ايها الراغب في العمل السائر فيه من اوضح السبل بان تحصل المعنى عند  
الشروع في تحرير الشعر وتحرير النثر قبل اللفظ والقوافي قبل الايات ولا تكره الاطراف على  
وزن مخصوص وروي مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسيل دون الصعب والعذب  
دون المستكره والسحسن دون السجح . ولا تعمل نظماً ولا نثراً عند المل ولا تولف كلاماً  
وقت الفحير فان الكثير معه قليل والنيس معه خسيس . والمخاطر ينابيع اذا رفق بها جمت  
واذا اعتف عليها تزحت . واكتب كل معنى يسغ وتبد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار  
تعرض بكلمة البرق ولمعة الطرف ان لم تقيد شردت وتدت وان لم تستعطف بال تكرار عليها  
صدت والترنم بالشعر بما يعين عليه قال الشاعر

فنن بالشعر اما كنت قائله ان الفناء لقول الشعر مفجار

وقد بكل الشاعر حيناً ويستعصي عليه الشعر زماناً كما روي عن الفرزدق انه قال :  
لقد يمر علي الزمن وان قطع خرس من اضراسي لاهون علي من ان اقول بيتاً واحداً فاذا  
كان كذلك فاتركه حتى يحيثك غفواً وينقاد اليك طوعاً . واماك وتعيد المعاني وتعيد  
الالفاظ واعمل سيف احب الاغراض اليك وفيها وافق طبعك والذئوس تعطي على الرغبة  
ما لا تعطي على الرهبة . واعمل الايات متفرقة بحسب ما يجود بها الخطر ثم نظمها في الآخر  
واحتس عند جمعها من عدم الترتيب . وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك  
آخذاً بهمه باعتناق بعض فهو اكل لجنته وامتن لصفه . واجعل البدأ والمخلص والمقطع  
فان ذلك احب ما في القصيد . واجتهد في تجويد هذه النواضع وتجنب معاريف ارباب

انوارها فيها وتوارد عليها وميز في فكره محيط الرسالة ومصب القصيدة قبل العمل فان ذلك اسهل عليه واستعدداً أولاً وتقياً ثانياً وكرر التثني وناوذ التهذيب ولا تخرجها عنك لا بعد تدقيق النقد وانما التضرع .

فقد كن حفيظة بصل القصيدة في شهرين وبنحوها في شهرين اقتدا . بهير فانه كان راو به . وقد كن زهير يعمل القصيدة في شهر واحد وبنحوها في حول كامل حتى قيل لزمه انفتح الحويج و انخفي الخي . واحضر اذا كتبت من الامراف في الشكر فانه ابرام يوجب للكلام ثقلاً ولا تقل النداء فانه يورث مللاً . ولا تجعل كلامك مبنياً على الجمع كله فنظهر عليه التكلف ويبين فيه اثر المنقة وتكلف لاجل الصحيح ارتكاب المعنى الساقط واللفظ النازل بل احرف كل النظرات فيجويد اللفظ ومعة المعاني واجتهد في تقويم المباني فان جاء الكلام مسجوراً حقاً من غير قصد وتشابيت مقاطعه من غير كسب كان وان عسر ذلك فتركه وان اختفت امجانه وتباينت في الشقية مقاطعه . فقد كان المتقدمون لا يجفلون بانسجيم جملة ولا يقصدونه بته الا ما انت به الفصاحة في اثناء الكلام والفق من غير قصد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متناسبة ومعاييرهم ناصعة وعباراتهم راقية وفصولهم متعاقلة وجمال كلامهم متاثلة . وذلك طريقة الامام علي عليه السلام ومن اتقنى اثره من فرسان الكلام كامين الحق وسهل بن هارون وابي عثمان الجاحظ وغيرهم من القصاص والبلغاء .

ولا تجعل كل الكلام عالياً شريفاً ولا وضعياً نازلاً بل فصله تفصيل العقود فان المقد اذا كان كله قبيحاً لا يظهر حسن فرائده ولا يبين كمال واسطته . وانظر الى نظم القرآن المزيح كيف جمع صفات البلاغة الثلاث ليظهر فضل كل طبقة في بابها ويبين محكم اسماها ويعلم ان ادناها بالذخيرة الينا تملع على اعلى الطبقات من كلام البلغاء ويرى عليها فان الكلام اذا كان متوتراً اقتضت الاسماع فيه ولم يلحق النفوس ملل من الفاظه ومعاينه وانعم ان الالفاظ اجساد وانما في ارواح . فاذا قويت الالفاظ تقوى المعاني واذا اضعفتها فافسحتها لتوزن قوى الكلام وتناسب في الافهام . واقصد القوافي السهلة المستحسنة دون المتعصبة المستعجبة والاوزان المستعملة الحلوة دون المهجورة الكثرة فان الشعر كالجلود والقوافي حوافره والالفاظ صورته والمعاني سرعته والايوزان جملته .

واجعل كلامك كله كالنقوشات عليك بالمقطعات فانها في القلوب احلى واكمل وفي المحسن اشرق واحول وبالاسماع اعلق وبالفأواء اعقب . واذا نثرت منظوماً فغير قوافي شعره الى قوافي يحجمه واذا اخذت معنى يت من يت فاجنب الالفاظ جملتها ما استطعت

او معظمها وغير القافية والوزن وزد في معناه واتقص من نظمه واحترس مما طعن عليه به لتكون املاك له من قائله واذا تقاربت الديار تقاربت الافكار . ولهذا قيل الشعر محجة يقع فيها الخاطر على الخاطر .

واعلم ان من الناس من شعره في البدئية ابداع منه في الروية ومن هو مجيد في رويته وليست له بدئية وقلما يساويان . ومنهم من اذا خاطب ابداع واذا كاتب قصر . ومنهم من بضد ذلك . ومن قوي نظمه ضعف ثره ومن قوي ثره ضعف نظمه وقلما يساويان . وقد يبرز الشاعر في معنى من معاني مقاصد الشعر دون غيره . ولهذا قيل اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والناظبة اذا رهب وعنترة اذا كذب والاعشى اذا طرب .

واياك وتقييد المعنى بسوء التركيب واستعمال اللفظ الوحشي فان خير الكلام ما سبق معناه القلب قبل وصول جلته الى السمع . وليكن كلامك سليماً من التكب بربط من التسلف . ويحيط لفظك بمنك وتشمل عبارتك على مفراك . واحذر الاطالة الا فيما تحمد فيه فان البلاغة لحة دالة . وقيل سرعة جواب في صواب . وقيل ان نقول فلا تبغي وان نصيب فلا نخفي . والصحيح من حدما انها ايفاض المعنى باقرب الطرق واسهلها . والعي اكثار من مهذار واخطا بعد ابطاء كما جاء في المثل سكك ألفاً ونفق خلقاً . وقد رث اللفظ على قدر المعنى لازئداً عليه ولا ناقصاً عنه كما قيل في مدح بعض البلغاء : كانت المقالفة قوالب لمعانيه . وقيل في آخر : كان ان اخذ شبرا كفاه وان اخذ طوماراً املاه . واستعمل التطويل في مكانه والتقصير في مكانه فقد قيل : اذا كان الایجاز كافياً كالتب التطويل جيداً واذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . واياك ان تفرط فان فرطت قصرت او تفرط فان افطت كثرت والا فانظر الى قصص الكتاب العزيز كيف انت وجيزة ومرة بسيطة كما قلت في وصفه في القصيدة التي مدحت بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم به قصص تأتلك طوراً بسيطة ليفهمها من بسطها المتباد

وطوراً باليجاز تبث لدي حجي له زند فهم ثائب ليس يصلح وفي الجملة معاً كان الایجاز كافياً والمعنى به واضحاً فالاحاطة ان لم تكن عياً كانت عباً ولم يزل اجلاء المتقدمين يحمدون ذلك وينمون ما سواه وبذلك على اختيار هذا المذهب ما يحكي عن احمد بن يوسف الكاتب فانه قال : دخلت يوماً على المؤمن وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته تارة بعد اخرى ويصعد فيه نظره ويصوبه قال : فلما مررت على ذلك مدة التفت الي وقال : يا احمد اراك مفكراً فيما تراه مني فقلت : نعم وفي الله امير المؤمنين المنكاه واعاذه من المخاوف فقال : انه لا مكروه في الكتاب ولكن قرأت فيه كلاماً وجدته نظير

ما سمعت الرشيد رحمه الله يقول في البلاغة فاني سمعته يقول : البلاغة التباعد من الاطالة والترب من البنية والدلالة بالتقليل من اللفظ على المعنى . وما كنت اتوهم ان احداً يقدر على هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب وروى به اليّ وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة المتأفل : فقرأته فاذا فيه : « كتابي الى امير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر اجناده في الاتقياد والطاعة على احسن ما يكون عليه طاعة جند خُزئت ارزاقهم واتقياد كافة تراخت أعطياتهم فاخملت لذلك احوالم والثالث معه امورهم » . قال : فلما قرأته قال لي : يا احمد ان استحسان هذا الكلام بشي على ان امرت لبعده قبله ببعطياتهم لسبعة اشهر وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه عمله من صناعته .

وروي ايضا عن المؤمن انه امر عمرو بن مسعدة الكاتب هذا ان يكتب لرجل ' يعني به الى بعض العمال بالوصية عليه وان يختصر كتابه ما امكنه حتى يكون ما يكتب به في سطر واحد فكتب اليه عمرو بن مسعدة « كتابي اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معنى بما كتب به ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله ان شاء الله تعالى »

وقد كان جعفر بن يحيى مع تقدمه في هذه الصناعة يقول لكتابه : ان استطعت ان يكون كلامك كله مثل التوقيعات فافعلوا . واما قول قيس بن خارجة لما قيل له ما عندك في حمالات داحس فقال عندي قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطية من له من طلوع الشمس الى ان تغرب أمر فيها بالتواصل وانهى عن التقاطع فان ذلك لم يخرج من مخرج المدح الاطالة المذمومة لان الاطالة المذمومة هي اطالة العبارة عن المعنى الواحد بالالفاظ الكثيرة . وانما اراد قيس الاكثر من المعاني فاذا كثرت المعاني احتاج المتكلم الى كثرة الالفاظ للعبارة عنها ولا يفاحها وليوفي بقصوده فيها . ومتى اطال الكلام لذلك كانت اطالته بلاغة لا عيباً فان حقيقة البلاغة ايجاز من غير اخلال واطناب من غير املال لا سيما خطب الامم ملائكت والسجلات التي تقرأ على رؤوس الجماعات اه



## اقسام التاريخ (١)

التاريخ فرع واسع من ام فروع الادبيات المثورة ينتهي بوقائه المتسلسلة الى درجة المشاهدات من حيث التحقيق والبحث : وعليه تكون كلمة «استوريا» التي يقصد بها الروم البحث عن الحقيقة — منطقية كل الانطباق على هذا العلم وموافقة كل الموافقة لموضوعه . . . وبعد فانا نرى ان التاريخ آخذ باسباب البحث والتدقيق لابس كسوة الحاكمة الذكورية منذ اول نشأته . وليس التاريخ تلك الاقاصيص والتقول التي تأتي على عرض اناشيد الملاحم وتلى الدن القمصاء بل لا بد للحوادث التي يرويها التاريخ من الاستناد على ابحاث علمية معروفة وشهادات مزكاة وثيقة فله في البحث عن الوقائع وتثبيت الحادثات مقاصد كما ان لاصول ضبطه شرائط عامة كثيرة .

ليس للتاريخ ان يوصل في زوايا هذه الطبيعة الضنية فيضبط من حوادثها ما يتجلى كل يوم في مئات من ألوانها وصورها والالوف من اشكالها وحيثاتها بل ان غايته الوحيدة تدوين حياة الافراد التميزين بقوة ذكائهم وقوة ارادتهم اولئك الذين تقدموا اشواطاً في سبيل النشوء ولوعادت ثانية مغت من الزمان لرأيتهم ارقى مما كانت تمهدهم .

اما الكائنات التي لم تمنحها العوامل والمؤثرات خاصة التدبير والذكاء تفسير وقائضها بسائق طبيعي متأثرة بتأثر واحد سارية على مجرى واحد ومائلة في صورة واحدة . وان البحث في ماضي هذه لا يجدي التاريخ نعم لان هذا القسم من الخليفة متساوي السق والاسلوب في كل زمان ومكان . فان افاد البحث فيها ففائدة تعود على العلم وليس للتاريخ منها شيء . ولعل بعضهم يسأل هنا قائلاً : اذا كان التاريخ لا يبحث في حوادث الطبيعة المطردة فلماذا دعي ذلك القسم الكبير من علومها — الحيوان والنبات والجماد — بالتاريخ الطبيعي واي علاقة للتاريخ بهذه الحوادث القانونية المطردة ؟ والجواب عن ذلك انه لا محل لهذه التسمية هنا وليس للتاريخ فيها دخل البتة وانما هو اسم اصطلي عليه خطأ في هذا القسم من العلم لحادثات تكون الكائنات ونشؤها وتبدل المواسم وفصولها وكل قطعة محدودة من الارض وكل ما عظم اودق مقياسه ومقداره من سيارات السماء وثوابتها الزاهية وصفحات الفضاء ومناظره البهجة كل هذه ليست من التاريخ في شيء . ولئن دخل قليل منها في التاريخ فانها تدخل بعض احوالها المتعاقبة ومكتشفاتها العممة التي لا تزال ادوارها مجهولة عندنا وعلى هذا فالناريخ يبدأ من حيث ينتهي العلم وليس في اقسام التاريخ « تاريخ الحي »

(١) معرباً عن فصل كتبه بالتركية حسين دانش بك

لا له لا ماضي للأولية فيسطر ولا حال لما فيمرد بل هي هي التجلية في كل شيء وما اجل قول ليد - « ألا كل شيء ما خلا الله باطل »

وبذلك استبين ان مجال التاريخ هو ( ساحة التبدل الاختياري ) ليس الآوان  
لنوع البشري قوة ارادة وان اختلفت قوة وضعفاً لا تكون فيها هو عامل فيه من التواميس  
العامة بل في غير ذلك من حركاته وسكناته . من اجل ذلك ترى هذا النوع معرضاً  
للبحث التاريخي من حيث علم اجناس البشر والبحث العلمي من حيث علم النفس  
هذا يبحث في الانسان من حيث العوامل الناشئة عن القوانين العامة المتفاد لها وذاك  
يشغل بفحص ما في حركته الاختيارية من الالاباب القهوية من الالاباب المتغيرة وتنبؤاتها  
ويظهر لنا ما قرب الى التوفيق من هذه الحركات وما يقرب وما كان مهيباً منها وما كان  
عظماً وهو يضبط الروابط الموجودة بين هذه الحركات كلها

\*\*\*

كانت الامم فيما مضى تجل التاريخ وعظمته حتى نحت لقدمه السبل وازالت من  
طريق رقيه الموانع قال شيشرون الخطيب الروماني الشهير « التاريخ شاهد الازمنة ونور  
الحقيقة وحياة الذكري وحاكم المعرو ويريد القرون » وكان هذا الخطيب ينظر الى التاريخ  
بانه ظهور الفلسفة وانه مدرسة الفضيلة

وكان يعد التاريخ منتجاً من مناج انبياء وقديماً من اقسام الفصاحة لعظمة الدروس  
التي القاهم التاريخ وبخامة موقعها ولطالما قال : « لا خطيب اكثر غمّة واوفر احتشاماً  
من التاريخ » .

بمثل كلمات شيشرون هذه انتشر بين اهل العلم في العصور الوسطى في القدم ان  
التاريخ محل البلاغة وادخله تلاميذ ايزوقراط في عداد العلوم التي يجب على الخطيب  
ان يعني بها فكان بذلك ركناً للادب

كان الاقدمون من المؤرخين يعتمدون في التاريخ اجادة البيان من جهة والمحافظة على  
الواجبات الوطنية والنتائج الاخلاقية من جهة أخرى . اما الحقائق الواقعة في نفس الامر  
قلما كان يبحث عنها فكانت مصنفاتهم اذن تزودان في نظرم اذا خدمت الفلسفة او ذبت  
عن شرف القومية والوطنية ليس الا ...

ثم يسلكون في التاريخ طريقاً توصلهم الى النروة القصوى من الفصاحة فيفرغون  
اغصم كلمات الجيد واكبر الفاظ القنفة كما هو الحال في قلمهم حياة الرومباء والامراء .  
وانهم لينسبون اليهم جملاً وقطعاً ما قالوها ولن يقدروا على ان يأتوا بتبئها وانك لترى

المؤرخ منهم بذوي حقيقة التاريخية سعيًا وراء كلمة جميلة تروقه وبلا له طينتها في اذنيه ناسيًا او متناسيًا . ما يسمى بالتاريخ هو علم الكوائن وتصور الحقائق وانه في حاجة قبل كل شيء الى مضمون صحيحة ومستندات مرثوق بها واسس واضحة فيجب من ثم على المؤرخ مهما كانت شخصته وشعوره ومقصدته ان يبحث في مثل هذه المظان من غير تطرف ولا تعصب . وذلك لان التطرف وانحياز صاحب العلاقة ليست من حاجيات المؤرخ ومنحجه في شيء . وانما البلاغة والتأنيق في القول من صنعة الادباء والشعراء والمطالعة بالفضيلة من وظائف الاخلاقيين والدفاع عن شرف الوطنية والمكانة القومية من واجبات رجال الديانة فيها وما للمؤرخ الا الذي يحصر الحقيقة ويبحث لاثباتها .

وهذا التقييم فيلن احد فلاسفة لويس الرابع عشر اسلوب شيشرون الخطابي في كتابه بمبحث الوجود الالهي فانخذ ذلك دليلًا على ان التاريخ كان على عهد فيلن في دور صباه ولا يكون المؤرخ مؤرخًا حتى يثبت الوقائع التي يناقش في صحتها مناقشة منطقية ويثبتها فحصًا علميًا مدققًا بين سلس ونثر مرسل وسليقة معتدلة

قال المسيو بانان المشهور بباحثه في اصحاب الملاحم من الروم المتوفى سنة ١٨٧٦ « ليس التاريخ عبارة عن سرد بعض القمص وذكر الايام المشهورة والحوادث الماثورة ولا تلنق ما يسقط عليه الرجل عرفًا من الاقوال عن حياة المشاعير بل التاريخ هو ذلك الميدان الذي تظهر فيه الامم بعاداتها واخلاقها ومزاياها ومعانيها مشروحة تفصيلًا بكل وسائل العلم حتى كأن القاريء من اهل البلد الذي يكتب تاريخه او من معاصريه من يدون ماضي حياتهم وكذلك يجب التاريخ ان يكون » . وانك لتعلم ان مدون هذا التاريخ تعوزه المواهب النادرة والنظر البعيد وسبرغور الامور

لا يبحث التاريخ اليوم عن طرز معيشة الامم والبيوت فقط بل يتجاوز ذلك الى تعريف درجة الرقي العام في الاشياء ايضا فاذا بحث المؤرخ في ماضي شعب يجتهد في ان لا يحدد امام وقائمه المهمة وحوادثه الكبيرة بل ينتقل من ذلك بفتة الى وزن اخلاقه وعاداته ومشاربه والى ذكر روايته مع سائر الامم الاخرى . وهذه المباحث هي الياف النسيج الحيوي في الامم المتحضرة وغير المتحضرة

ومن هنا ينبغي للقاريء ان هذه المواد المتوزعة في حاجة الى ترتيب حسن وفكرة نافذة دقيقة وحكم عقلي متين قادر على البحث عن الاسباب المتضاربة ووضعها موضع النظر والى قلم بيد عن الاغراض كأنه جلود اذا كان سبيل لتغلب المواطف عليه ومثل هذه المزايا متروكة على مقدار قابلية المؤلفين الذين جمعوها في قوسهم واستخرجوها من كتلة



الحوادث المتسلسلة سديماً تقياً وارسولها نقشة البيان والوضوح الدوراني على العالمين . وان التاريخ من حيث موضوعه وأصوله أقساماً عديدة أهمها انقسامه الى عام وخاص يبحث الاول في ادوار البشر الثلاثة المعروفة ويشمل تاريخ عامة الشعوب والدول . اما الثاني فلا يعني الا بامة واحدة او بلدة معينة او باصرة معروفة وقعة مشهورة

ويسمى التاريخ الذي يذكر الحوادث مرتبة حسب زمن حدوثها «كرونولوجيا» واذا بحث في نشو. شعب واحد وانتشاره يقال له «ايتنوگرافيا» واذا افاض في كوائن الام كلها الحادثة في زمن معين يدعى «سينكرونيا» . واذا قايس بين وقائع مختلفة ظهرت في ازمة متباعدة سمي التاريخ القياسي واذا اظهر الاشياء في صورتها الاصلية فهو التاريخ المصور واذا توخى ارجاع نتائج الوقائع الى اسبابها يقال له «براكتيك» واذا ربطت الاسباب بالنواميس العامة في البشر والطبيعة يسمى التاريخ الفلسفي وهكذا يختلف اسماء المصنفات التاريخية باختلاف موضوعها فحسبي تقويماً ومذكراً وترجمة حال وما اشبه

ولا تقصد هنا الى ان نطيل القول فنكتب تاريخ التاريخ . على اننا لو بحثنا في مبداء التاريخ لوجدناه مزوجاً بالشعر كما هو الحال في جميع انواع الادبيات المنشورة فابتداء التاريخ اذن هو الملاحم التي هي من انواع الشعر وذلك هو ابتداءه في الادوار القديمة عند الهنود واللاتين والفرس ولم يتجرد كثيراً من هذه الكسوة القصصية عند بعض ام المشرق الى يوم الناس هذا لان التاريخ لم ينسلخ عن منظومات الملاحم عندهم الا قليلاً وان ذبالة التاريخ الحقيقي لم تكده فقيه عندهم حتى اُصغفت وكذلك هيرودتس وتوسيديدس وكنوفوف كلهم لم ينجوا من دس الاساطير بين طبقات الحقائق التاريخية في كتبهم الثمينة وان كانوا كلهم استحقوا لقب المؤرخ . الاول بذكائه النقاب والآخرون بتجاربهما وثانة يباينهما . اما دانيس دالكارناسي فلا اثر للتحقيق في مصنفاته وان كان قد تلا في هذا النقص بتتبع بعض الاخبار . وكذلك شان تيودورس من وجه هذا النقص وما يسده وان دروس بلوتارك في الاخلاق لتسترا أيضاً قرائن تاريخية اخرى وقع فيها . ثم جاء بعد هؤلاء ازمان ظهر فيها مؤرخون مدرسيون مثل كيشاردن وما كيا فيل فانهما كانا في زمانهما مقلدين خالصين التقليد للاساليب القديمة

وعلى هذا بقيت المصنفات التاريخية كتب بلاغة ولكنها عارية عما يؤهلها للدخول في علم التاريخ الى فجر القرن السابع عشر حتى ان المؤرخ المشهور بوسويه نفسه كان على مثل تلك الحال ولو ناولنا احد مصنفاته كخطبته في التاريخ العام لوجدناها نموذجاً للآداب ولكنها بعيدة كل البعد عن التاريخ . ثم جاء فولتر ووضع كتابه كارلوس الثاني عشر

وكتابه لويس الرابع عشر فاعلمنا نموذج التاريخ الصحيح . وعندها عرف حق المعرفة ان اكثر الذين كانوا يسمون في فرنسا مؤرخين الى القرن الثامن عشر هم يراء من هذه النسبة . وعلى العكس نرى بعض رهبان ديكتن الذين لم يكن يذكر اسمهم بتلك الدبدبة والمعلمة قد تحقق اليوم انهم هم الشيوخ الذين طرحوا بين ايدينا اصول التاريخ صامتين صاكتين . ومن هؤلاء الرجال المؤرخ جيون الانكليزي مشيد القصر التاريخي على الاساس المتين

\*\*\*

عصرنا الحاضر هو مؤسس التاريخ وحجبه فلم الآثار وعلم الالسنه والجغرافيا كل هذه العلوم اخذت بيد التاريخ وصعدت به درجات عالية وان التحقيقات المعجزة التي وضعها حكماء هذا العصر وعلاؤه قد نفتحت الوقائع الماضية روحاً حية وكستها حجة ثابتة حتى تمثلت القراري القديمة بماداتها واخلاقها ومطامها وافكارها على اسلوب اقلام نيس ونيري وميشله وكيزو وهينيه . فمصرنا هذا ولا وراء عصر التاريخ قبل كل شيء

الحديثة ( جزيرة العرب )  
عبد الدين الخطيب

## اصلاح التعليم في الصين

كتب احد الباحثين من الاوربيين رسالة في معنى نهضة العين الى اصلاح التعليم القديم عندها فقال ان هذه المملكة كانت لها طريقة تامة في التعليم منذ القرن الرابع والعشرين قبل التاريخ المسيحي على عهد حكم ملوك هيا فكان لكل أسرة قاعة للدرس ولكل كورة كتاب ولكل مقاطعة مدرسة فيحضر التلمون كل سنة ويرفقي الاكفاء الى متلعب الحكومة وفي القرن الثامن قبل السبع بطلت طريقة اعطاء الوظائف بالاستحقاق العملي واصبحت وراثية الا ان كنفوشيوس حكيم تلك الامة جاء في القرن التالي واحيا معلم التعليم على الاصول القديمة ونظمها فاحسن تنظيمها حتى اصبحت بعده محترمة في اقطار المملكة وما زالت نماذجها معمولاً بها وتختلف لصف انصارها وقوتهم في بعض القرون وبشوا البهجة والتواضعية حتى كانت سنة ١٩٠٤ فاصدر الامبراطور امره بالقضاء الاوامر القديمة الصلوة بشأن التعليم التقليدي وبذلك التي نظاماً اجتماعياً جرت عليه امته منذ خمسة واربعين قرناً .

وقد شمرت الصين منذ حروبها الاولى مع اوربا بقلة التعليم في موظفيها وبين البلاط الامبراطوري ان ذلك كان السبب الرئيسي في ضعف المملكة ولذلك عزم الامبراطور منذ

سنة ١٨٩٨ ان لا ينجح الوظائف الا لمن اطلعوا على العلوم الحديثة الاوربية فاصدر امره بانشاء مدارس على الطرز الحديث واقامة كلية في بكين على مثال كليات اوربا وفي سنة ١٩٠٦ ألف نظارة معارف شومية وكان من اثر ذلك ان توفرت العناية بتعليم البنات وكان النساء من قبل مقصورات في ميوتهن معتبرات في نظر الصينيين احط من الرجال وام ما يعطيه في المدارس انكشيرة التي انشئت لتقر يمين الاخلاق والمالية واعمال البيوت والرياضات الجسدية ويمتحن من قضيتق ارجلهن منقما قطعيا

وكثر عدد المدارس لخاصة والعامة التي انشئت مؤخرا لتعليم الفنون المختلفة كالفصاحة والملاحة وعمل الخطوط الحديثة والبحرية والشرطة وحل الترية والثقات الاجنبية . وساعد الادباء والمثاه والصنفيون على خدمة افكار الحكومة في هذا الشأن واخذوا يثقفون انكتب والمعاجم ويترجمون من لغات اوربا كل مفيد نكيههم واخذت الحكومة والاهالي يحاولون ايجاد الاموال لهذه المشاريع ومن جملة القوانين التي عمدوا اليها ضربهم الضرائب على « محال تناول الشاي » لتصرف في سبيل تعليم الامة . وقد حظ على الاساندة ان يهيئوا التعليم القديمة فجاء في لوائح المدارس بهذا الصدد « ان لتتظام الاجتماعي والسياسي في عمالك اوربا وامريكا واليابان صيغة خاصة به كما ان ادارة الصين واخلاقيها لها صفة خاصة بنا فلي كل استاذ صيني ان لا ينفوه بكلام يعد مروقاً وكفراً ليذكر بما يثبت من افكاره بناء الصين الاجتماعي والسياسي فاذا انتقد الفضائل الاصلية والصلات العامة مع الفلسفة المشهورة ( فلسفة علماء الادب وكنفوشيوس ) يحقق امره فاذا ثبت ادائه يحكم عليه بحسب ذنبه » وحظر على التلاميذ ان يشتغلوا بالامور السياسية ويعقدوا اجتماعات وينشروا جرائد ولا . طرن على بال احد ان التعليم القديمة سقطت في ١ - بين المرة بل بالعكس زادت العناية بها على قدر العناية بالعلوم الغربية الجديدة ولا في سنة ١٩٠٠ حتى يتنظم اساس الاصلاح الذي وضعته ملكة ابن السماء وهي تأخذ العلم الآن عن اربع دول اليابان والولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا ولكن اليابان اقدموا على تعليم الصينيين اقداما غربيا وقهوا لهم المدارس في عاصمتهم بكين بالثقات وغيرها من الحواضر وكل يوم يزداد عدد الطالبين والطالبات من الصينيين الذين يأتون كليات اليابان ويدرسون فيها كما ان الملمات اليابانيات والمعلمين اليابانيين يقدون بالمعشرات على الملكة السماوية ولا سبعا على جنوبيا .



## الكتاب

حدثنا القراء في النسخة الماضية بشي مما عرّبناه من « الكتاب » الذي صدر حديثاً للسيد البرسيم وهما نحن نقول لهم بعض فوائد جديدة بالنظر والاعتبار فقد قال في تأثيرات المطالعة في المرء ولا سيما ما يطالعها في صغره قولا عن كتاب عشاق الكتب لالفرددي مارتون العارف بالتأليف والتصانيف : ان المرء في صباه لا يهتم بشكل الكتاب جيلا كان أو بشعا حسن التجليد أو سيئه بل يضحك ممن يقول له ان طبعة هذا الكتاب أصبحت نادرة وان هذه الفقرة غريبة وان هذه الاسفار نال مؤلفوها الجوائز عليها ولا يخلل إلا بالفكر ولا سيما بما فيه شعور وعواطف ولا يعابا إلا بما يرضي فؤاده ويثير عواطفه ويحركها فأف من الفكر والجمال والتذهيب الجليل . ولذلك لا ترى مولعا في الكتب وهو في سن العشرين لان المرء في صباه لا يستطيع ان يعاود قراءة كتاب قرأ فلا يكاد يحسن القراءة حتى يأتي على آخر ما قرأ ولا يسيل الى الحكم جيدا على كتاب إلا بمطالعة ثانية وفي أدوار مختلفة من الحياة ومن ثم كان من الكتب ميزان حرارة للعقل أو للقلب .

قال الفرددي مارتون : ان المرء في العشرين من عمره لا يكون من غلاة الكتب وانجابه وما قاله يصح ان يكون قاعدة في هذا الباب لان العواطف في سن العشرين تحكم على العقل بل يحكم على كل شيء فيسرع المرء في تلك السن الى الوقوف على كل شيء ويعرف كل شيء وقرأ كل شيء وان شئت قل قلب صفحات كل كتاب . ويندر في تلك السن التسعة من يستطيعون ان يعاودوا قراءة كتاب ثانية بدون ان يكرههم تكره مارتون ذلك اما مدفوعين برغبة منهم أو لجله سألهم من الكتب الجديدة أو كتب لم يقرأوها بعد ولم تصفوها

وقال آخر: لا يشرع البرء بمعرفة القراءة الا بعد خروجه من المدرسة . وفتيان  
المطالين لا يحبون من الكتب الا ما حدث وضعه وقلما يرجعون الى الكتب  
المؤلفة قديماً . وأورد المؤلف أسماء كثيرين أولعوا بالمطالعة منذ عرفوا القراءة  
بل منذ قطعوا عن ائداء أمهاتهم مثل أسقف دافرانس هويه (١٦٣٠—١٧٢١)  
والفيلسوف جان جاك روسو (١٧١٢—١٧٧٨) والشاعر يوحنا أنطون بوشه  
(١٧٤٥—١٧٩٤) وبنيامين فرنكلين (١٧٠٦—١٧٩٠) وهنري بيل القصصي  
التقاد الفرنسي (١٧٨٣—١٨٤٢) ولامارتين الكاتب الفرنسي (١٧٩٠—١٨٦٩)  
وسيلفيو بلاتكو الايطالي (١٧٨٩—١٨٥٤) وجورج ساند القصصية  
الفرنسية (١٨٠٤—١٨٧٦) وشارل ديلون وكلهم ما كادوا يقنحون عيونهم الا  
والكتاب بأيديهم بغضل تربية آباءهم وأمهم الذين كان بعضهم يقرأ لهم لستمهم  
سير العطاء وأقوال الحكماء فانغرفت البذور الصالحة في عقول أبنائهم وجاء  
منهم فلاسفة وكتاب متفردون وتبين مما استشهد به لهم من تذكرياتهم ان  
معظمهم كانوا يعيشون في الخلاء بين الرياض والفياض يطربهم صوت العندليب  
ويؤثرهم صوت القمري ويستفهم خري الماء وعليل الهواء

وقال في فصل المطالعة والتصنع : جعل سلس الطيب الروماني في القرن  
الاول قبل المسيح القراءة بصوت عال من جملة الرياضات النافعة للصحة وان  
المطالعة على هذه الصورة ضرورية للفهم والنوق وذلك لان جرس الصوت  
يساعد كل المساعدة على تعليق الجمل في الذهن . وقد قال العالم ارنست لوكوفه  
انه لاشيء ينير عقلنا مثل القراءة بصوت جهوري ويقفنا على ضعف الانشاء  
ان كان ضعيفاً وقوتنا كان قوياً وفساد الشعور المصور فيه . ففي الكلام تنشيط  
وفيه للافكار ايضاح بل تحقيق وكل من تماطون عملاً شاقاً كالحطابين والحجازين

يتحمسون بما يلقيه بعضهم على بعض من الاصوات ولا يرى دودان ان يقرأ قاري  
 الانسان بل ان يقرأ بنفسه ويرى ان الطريقة الاولى أجدر بالمرضى والعسبان  
 لان اكل قاري نعمة يكون بها التأثير في عقله وله طريقة في الفهم والتمن  
 لا يقوم بها سواه

ومن العادة في بعض المدارس والاديار ان يقرأ قاري شيئاً من الادب  
 والقصص واثلاميذ جلوس على المائدة وكان ذلك شأن شارلمان يتلى على مسامعه  
 وهو على الخوان كتاب القديس أوغسطينس وكان الفيلسوف فولتير يؤثر ان يقرأ  
 له وقال : انني أحب هذه الطريقة لانها كانت مألوقة للقدماء وأنهم - -  
 الكردينال موري « ١٧٤٦ - ١٨١٧ » يقول ان المرء اذا خلا بنفسه يحب ان  
 يطالع كتباً تفيد حقيقته واذا كان مع اخوانه فلا جدر ان يتلى عليه ما يحمسه  
 ويهينه لان الناس في انفرادهم غيرهم في اجتماعهم .

قال مؤلفنا : أما كتب الحكم والآراء فالأحرى بل الافيد بأن تتلى قطعة  
 قطعة لادفة واحدة وان ترسخ بكميات قليلة فكما ان المرء لا يبيع اقراص  
 المعاجين الا واحداً واحداً هكذا يجب تليته ان يسير في الاخذ من كتب  
 الحكماء . وقال الاميرالين « ١٧٣٥ - ١٨١٤ » ان الطريقة الوحيدة في مطالعة  
 كتاب في الحكم بدون ان يمل هو ان يفتح كلما سنحت الفرصة وبعد ان يسقط  
 فيه على ما يهيمه منه يطبقه بعد تصفح صفحة أو صفحتين ويأخذ يفكر فاذا تصفحها  
 كلها يكون أشبه بمن قاب مجموعة صور دفعة واحدة فلا يرتسم في مخيلته  
 واحدة منها .

وتختلف طريقة المطالعة بسرعة أو بتأن بلا فاصلة أو بفاصلة بقاء وبكثرة  
 وهذا تابع لحالة القاري وما يقرأ وحالة بصره وقوة اتباهه وأوقاته وخطر

ما تلووه وتأثير الكتاب فيه. وإن كتاباً في الفلسفة لا يقرأ كما تقرأ قصة. وخير في الكتب المملة أن تُتصفح تصفحاً وكل من يمشون بين الكتب والمطبوعات والمخطوطات ويبحثون كثيراً فيما بين أيديهم لا يسهم إلا أن يتصفحوا تصفحاً وكان لما كليباشي العالم القلورنسي قيم الكتب ١٦٣٣-١٧١٤ طريقة خاصة في المطالعة فإذا وقع له تأليف جديد ينظر في عنوانه ثم يرجع إلى الصفحة الأخيرة منه ويتصفح المقدمات والفهارس والتقدمات ويلقي نظره على كل التفاصيل الرئيسة وكان له من الوقوف على التأليف ما يمكن معه من معرفة حقيقة المصنف في لحظة بل إنه يعرف المصادر التي أخذ منها المؤلف. ومن أرباب الاختبار في معرفة القراءة من يعرفون ماهية الكتاب من تقليب أوراقه ويدركون ما في صفحة منه من الفوائد بمجردلقاء النظر عليها ومنهم من يعرفون كيف يتصفحون الجرائد فلا يقع نظرم إلا على ما يهمهم منها ولا يضعون ثانية من أوقاتهم في النظر فيما لا يفيدهم

ورأى بعض أهل العلم أن الذهن معها بلغ من حدته يخون صاحبه في تذكر الفوائد التي قرأها فالأولى له أن يقيدها ولذلك كانت الفهارس مما يعين كثيراً على الرجوع إلى مضامين الكتاب. ومن عشاق المطالعة من لا يكتفون بتقيد الفوائد في تذكراتهم بل هم يكتبون على كل صفحة تهتمهم كتابة تعلمهم على الكتاب نفسه ولكن أكثر باعة الكتب يرون هذه الطريقة مما يعوق الكتب عن بيعها إلا أن المؤلف وعبي الاستفادة لا يهمهم إلا أن ينتفعوا من كتبهم ولو تتميز بها وتشويهها وما الكتاب إلا أداة للتعليم يجب استخدامها على النحو الذي ينتفع به نفعاً حقيقياً بل هو رفيق وصديق يجب معارضته ومناقشته أحياناً وإن لا يسلم له كل ما يورده

يقول الفيلسوف سينيكا والاديب بلين لجون ان الاكثار من الكتب  
 يشتت الفكر وان اعادة القراءة كثيرا تفضل قراءة أشياء كثيرة وقال بعضهم:  
 لانهاية للاستكثار من الكتب. ومعلوم انه في هذا العصر الذي دعي بعصر الورق  
 بل في هذا العصر الذي اشتدت فيه تباريح مرض جديد Stampom اني  
 الجنون في الطبع والتشر ان الكتب تنمو وتتضاعف من يوم الى يوم. وما أجل  
 ما قاله اريستيب الفيلسوف اليوناني (٣٩٠ ق م) أخذ تلاميذ سقراط وصاحب  
 المذهب الايكوري المنسوب لمدينة ميرين: ليس من يأكلون كثيرا هم اسمن من  
 غيرهم واصح منهم أجسادا بل السمان هم اولئك الذين يهضمون. وهنا استشهد المؤلف  
 باحصاء غريب لبعض المشتغلين منذ اختراع الطباعة الى القرن الماضي فقال انه  
 طبع في جميع انحاء الارض من سنة ١٤٣٦ الى سنة ١٥٣٦ ٤٢ الف مجلد وفي  
 سنة ١٥٣٦ الى ١٦٣٦ ٥٧٥ الف وفي سنة ١٦٣٦ الى ١٧٣٦ مليون و٢٢٥ الف وفي  
 سنة ١٧٣٦ الى سنة ١٨٢٢ مليون و٨٣٩٩٦٠ فيكون مجموع ما طبع زهاء ثلاثة  
 ملايين ونصف مليون مجلد واذا قدر معدل هذه المصنفات بثلاثة مجلدات وان أقل  
 ما يطبع من كل كتاب ٣٠٠ نسخة فيكون قد خرج من المطابع كلها في نحو أربعة  
 قرون ٣٣١٣٧٦٤٠٠٠ وقدر ان ثلثها حرق او استعمل صررا عند البدلين والباعه  
 فلم يبق منها الا ثلثها. وزيف بعضهم قوله بأن التوراة وحدها طبع منها زهاء ٣٦  
 مليون نسخة وان كتاب الاقتداء بالمسح طبع منه وحده ستة ملايين وانه اذا  
 كان كتب على تاريخ فرنسا وحده ثمانون الف مجلد فكيف تكون كتب الارض.  
 وقدر أحد الاميركان عدد المجلدات في الولايات المتحدة كما يأتي ٤٢٠ مليوناً  
 في السيوت و١٥٠ مليوناً عند العلماء والكتاب والمترعين و٦٠ مليوناً عند المكتبة  
 والطابعين و٥٠ مليوناً في خزائن الكتب العامة و١٢ مليوناً في مكاتب المدارس



والجامعات و٨ ملايين عند التلاميذ وان في اوربا الغربية مليارا وثمانمائة مليون مجلد وفي اوربا الشرقية اربعمائة وستين مليون مجلد و٢٤٠ مليوناً في سائر أقطار العالم . قال المؤلف : وبينما أهل الإحصاء يحصون ترى المطابع تصدر الكتب بالآلاف فيقدر الآن ما يصدر كل سنة من الكتب في الشرق والغرب بمئسة وسبعين ألف كتاب جديد منها ٢٥ ألفاً في المانيا و١٣ ألفاً في فرنسا و١٠ آلاف في الولايات المتحدة و٧ آلاف في انكلترا فلو فرضنا ان معدل ما يطبع منها ألف نسخة تكون كتب العالم قد زادت كل عام ٧٥ مليون مجلد .

قال مؤلفنا في اختيار الكتب وهل تفضل القديمة أم الحديثة فرأى ان الشبان ومن قل علمهم وادبهم يؤثرون الجديد على القديم وان كان الجديد في الغالب غنياً بارداً واقديم مميئاً ملوماً بصحيح الافكار ومبين الانشاء . وفي كتب التمداء كنوز ثمينة لا مثيل لها في آثار المحدثين . قال : وعندي أن يختار من الكتب العلمية احدها التي اخذت بأطراف ارتقاء العلم عامة وآخر ما وصل اليه كمله اما في الادب فيختار أجسن كتابه مهما قدم عهدهم فالآداب القديمة كما قيل كلما قدمت تعبد

ولامراء في ان المطالعة تؤثر في عقولنا واضسراً باتنا وتورثنا القلق والحزن فمن الفضول أن نزيد على ذلك ما تدخله علينا من السرور والنفع قال جول لبتي في كتابه « علم حب الكتب ومعرفتها » ما أكثر من يبرؤون امراضهم بفضل الكتب التي يطالعونها ولو عرف الناس ذلك حق معرفته لزاد عدد المولعين بالكتب زيادة عظي . وتكلم المؤلف على الروايات وقال ان بعضهم يراها سموم الهيئة الاجتماعية وذكر كيتي الفيلسوف النقاد الالماني انه من العبث أن يقول القائلون ان من الكتب ما يؤثر في افساد الاخلاق وما الفساد الا متوفر كل يوم

في هذا المحيط وعندى انه لايجب الحرس كثيرا من ذكر ما لايجدر امام الاولاد من الاحاديث فان الاولاد كالكلاب لهم حاسة قوية في الشم يكتشفون كل شيء ولا سيما ما كان من امور الشر. وللعلماء اراء مختلفة في هذا الشأن والاكثر على ان الروايات خيرها اقل من شرها وقشرها اضعف من لبها أما مطالعة الجرائد فهي لا تعد في باب مطالعة الكتب لانها تكتب بسرعة دون أن ينظر فيها الناظر البليغ وما الجريدة كما قال بايل الافاكة الفكر. وقال سانت بوف: يجب باديء بدء ان تزود من الحزب والهم الطيب قبل أن نضع في الفاكهة والحلواء. كتب تيوفيل غوتيه الكاتب الصحافي الفرنسي ان مطالعة الجرائد تحول دون نبوغ علماء وارباب فنون حقيقين فهي جعبة شطط تصلك كل يوم ضعيفة ضئيلة تعتري القرائح القوية الشكية التي لا تريد الاعشاقا اقوياء في جدة الشباب فالجريدة تقتل الكتاب كما ان الكتاب قتل الهندسة وكما قتل المدفعية الشجاعة وقوة الاعصاب. وقال جبرائيل هانوتو العالم «ان الجريدة هي المنافس الحقيقي للكتاب وما النجاح الذي حازته الجريدة الا لرخص أثمانها وعندى ان الديمقراطية يجب أن يرخص فيها كل شيء لداواة أمراض النفوس وان المستقبل لا يبقى الا على نوعين من الكتب المزخرف المبهرج الذي تطبع منه كميات قليلة ليقتنيها أرباب القصور والفنى والكتب البسيطة التي تباع بأرخص ما يمكن من قيمة ليسوغ للجمهور اقتناؤها من ايسر سبيل وبهذا الضرب من الكتب يحفظ العلم رونقه وتبقى له حياته فالفلاح والعامل يجب ان يقرأ شيئا وان يخرج لها ما يقرأ آن وحاجتها ماسة الى غير كتب القواميم » وبهذا تبين انه لا يخشى على الكتب من قلة عشاقها في المستقبل بل ان النفوس تظل عليها مقبلة ما بقي الدهر وقال مؤلفنا في الفصل الذي عقده للكلام على ممزقي الكتب واعدائها

ان أعظم ما عرف من المصائب التي أصابت المكاتب «١» على ما ذكر يبروز المؤرخ الكلداني من اهل القرن الثالث قبل المسيح «عليه السلام» واسكندر بولستور الكاتب العالم اليوناني من اهل القرن الاول قبل الميلاد ان ملك بابل يختصر الذي اريخ به منذ سنة ٧٤٧ ق. م. قد امر باحراق جميع تواريخ اسلافه ليسدل بذلك حجاباً كثيفاً على الماضي ويكون عهده مبدأ يحرون على التاريخ به في جميع العالم . واحرق الامبراطور شي هونغ تي الصيني سنة ٢١٣ ق. م. جميع الكتب التي في مملكته ولم يستثن منها الا المصنفات التي فيها تاريخ أسرته وعلم النجوم والطب وذلك بفضاضته للتطمين المتأدين

قال المؤلف : وأعظم ما أصاب الكتب من البلايا في التزيق والتعريق الفتن الدينية وذلك لان الكتاب خير ناطق عن الانسان . له من الصفات ما يحوله المحول في كل مكان ومن القوة والجرأة ما لا نظير له فاقضت الحال أن يبدأ بالسكاته قبل كل لسان أي ان يحرق لانه الناطق الذي لا يسأم كما يسأم المخالفون والمناحضون . فقد احرق الرومان كتب الاسرائيليين والمسيحيين والقلاصفقوا واهرق الاسرائيليون كتب المسيحيين والوثنيين واهرق المسيحيون كتب الوثنيين والاسرائيليين واهرق المسيحيون معظم كتب أوريجين أحد زعماء الكنيسة في القرن الثالث للمسيح وكتب قدماء الملاحدة واهرق الكرد دینال كسينيس (وزير اسبانيا والمفتش الديني ١٤٣٦-١٥١٧) عند ما استولى الاسبان على غرناطة خمسة آلاف مصحف واهرق اهل المذهب البروتستانتي من البروتانين في انكلترا على أوائل عهد الاصلاح ما لا يحصى من الاديار والآثار القديمة واهرق كرومفل مكتبة اكسفورد وكانت من أعجب خزائن الكتب في أوروبا .

ثم عاد المؤلف الى الكلام على مكتبة الاسكندرية ثانية وبرأ المسلمين من احراقها فقال : تكلمنا على مكتبة الاسكندرية التي شاع بانها احرقت بأمر الخليفة عمر عند استيلائه على الاسكندرية سنة ٦٤٠ وقلنا ان هذه المكتبة لم يكن لها وجود في ذاك العهد البتة وان أحد قسميها حرق قضاء وقدرا سنة ٤٧ قبل المسيح عند هجوم جند يوليوس قيصر وان القسم الآخر حرق بعد هذا التاريخ بنحو أربعة قرون أي سنة ٣٦٠ على يد الاسقف أو البطريرك تيوفيل الذي كان يري الى اباداة الوثنية من ابرشيته . ولم يثر على كلمة واحدة قالها مؤرخو ذلك الزمن من عهد حريقها الى قدوم عمرو بن العاص عامل الامام عمر ما يستدل منه ويعمل على الفرض بأنه أنشئت في الاسكندرية مكتبة ولا ينبغي أن يجب من ذلك اذ من أسبابه ان الآداب والفلسفة الوثنية كانت في تلك الحقبة من الدهر قد حكم عليها بالتبديد في كل مكان حتى ان جوستينيانوس أمر باغلاق مدارس آتينة

ومعلوم ان ما يتسببونه لعمرو من الجواب الذي اجاب به عمرو بن العاص وقد سأل عما يعمل بمكتبة الاسكندرية فقال له : أنظر فاذا كان مافيها من الكتب يوافق مافي كتاب الله فلا فائدة منها واذا كانت مخالفة له فليس لنا بها حاجة - فاحرقها . وعلى الجملة فقد قال من أورد هذه القصة ان عمرو بن العاص وزع هذه المكتبة على حمامات الاسكندرية فاستعانت بها على احماء حماماتها ستة أشهر هذا مع ان الورق دح عنك الرق اذا صلح لاشعال النار فلا يصلح لان تدوم به طويلا

ثم استشهد بقول جان جاك روسو في خطابه في العلوم والفنون : ولو كان غريغوريوس الكبير مكان عمر والأنجيل محل القرآن لكانت مكتبة الاسكندرية

بادت أيضاً على ان البابا غريغوريوس المشار اليه ٥٤٠ - ٦٠٤ م هم باحراق كتب القدماء ظلماً كما هم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١) ولكن التاريخ لا يظلم أحداً

وقال في كلامه على ما يكتب عليه الكتاب ان الرق هو من اختراع فرغاس (برغمة) في آسيا الصغرى والمغنون انه عرف قبل خمسة عشر قرناً أما الورق فالارجح ان الصينيين هم الذين اخترعوه وان العرب نقلوه الى أوروبا كما قال الدكتور غسٹاف لبون في كتابه حضارة العرب : ان الكتاب المخطوط العربي الذي عثر عليه التصيري (الطرابلسي) في مكتبة الاسكوريال مكتوب

(١) قال المحقق يوهان الدين البقاعي في مقدمة نظم الدرر ميثماً لجواز النقل من الكتب القديمة خلافاً لمن أنكر عليه ذلك : ونص الشافعي ظاهر في ذلك قال الزبيدي عنه في محصره في باب جامع السير وما كان من كتبهم فيه طب وما لامكروه فيه بيع وما كان فيه شرك أبطل وانتفع بأوعيته وقال في الام في سير الواقدي في باب ترجمته كتب الاعاجيب قال الشافعي : وما وجد من كتبهم فهو منتم كله ويبنغي للامام ان يدعو من يترجمه فان كان علماً من طب او غيره لامكروه فيه باع كما يبيع ما سواه من المغام وان كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته واداته فباعها ولا وجه تفرقه ولا دونه قبل ان يعلم ما هو انتهى .

قلنا وهذه العبارة تدل دلالة واضحة على ان الامام لم يأمر بحرق مكتبة الاسكندرية اذ لو فعل ذلك لبلغ الامام الشافعي فان ادين من ذلك من اعالم قيدوه وبنوا عليه فلو كان ذلك معروفاً من قبل عمر مع انه لم يذكر ان احداً من الصحابة خالفه في رأيه او انكر عليه كان من قبيل الاجماع والائمة كلهم لاسيا الامام الشافعي لم يكونوا يجهلون على مخالفة الاجماع اصلاً وما ذكرنا من عبارة الامام الشافعي تعلم انه لا وجه لانكار بعض الدين لم يضلوا في العلم على المؤمنون في ترجمة كتب الاوائل التي ليس فيها شرك ويمنون بما فيه شرك ما يتعلق بعبادة الاصنام وعبادة التماثيل ونحو ذلك . ويراد الشافعي من قوله فان كان علماً من طب او غيره لامكروه فيه باع فالمراد بالذي فيه مكروه السحر والتنجيم ونحو ذلك فان الشرع منع من تماثيلها (القبس)

على ورق من القطن ويرد تاريخه الى سنة ١٠٠٩ هو أقدم مما عرف من  
المخطوطات المحفوظة في مكاتب أوروبا دل على ان العرب كانوا أول من استعملوا  
عن الرق بالورق وذلك ان الصينيين كانوا يصنعون الورق من الحرير منذ ازمان  
بعيدة فدخلت صناعته الى سمرقند منذ أوائل الصدر الاول للهجرة حتى اذا  
جاءت العرب تلك المدينة فأعجبت رأت فيها معملا للورق ولكن هذا الاختراع  
التيمن يصعب الانتفاع به في أوروبا لان الحرير كان غير معروف فيها اللهم الا  
اذا استعاض عن الحرير بمادة أخرى . وقد ظهر من البحث في مخطوطات العرب  
القديمة أنهم وصلوا في الحال من صنع الورق الى درجة من الكمال زوها  
ويظهر أنه من الثابت أيضاً ان صنع الورق من الخرق هو من اختراع العرب  
على ما في صنعه من الثعب وما يحتاج اليه من المهارة وذلك لان ورق الخرق  
عرف عند العرب قبل أن يعرفه المسيحيون بازمان اه

وبعد فهذا ما ساعد المقام عليه من الاقتباس من فوائد الكتاب وكنا نود لو  
عربنا عنه اكثر ما عربنا مما يهيدنا في اجتماعنا وتاريخنا ولكن ما لا يدرك كله  
لا يترك جله وهذا القدر الذي اوردناه كاف في الدلالة على فضل مؤلفه .  
والكتاب يطلب من مكتبة ارنست فلاماريون في باريس . وتمت كله اثنان  
وعشرون فرنكا ونصف ماعدا اجرة البريد فنحول انظار من يعرفون الافرنسية  
الى اقتنائه



## رسالة رشيد الدين الوطواط

فيما جرى بينه وبين الامام الزمخشري من المحاورات

عني بنشرها احمد بك تيمور

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العلامة رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري المشهور بالوطواط الى الامام سديد الدين بن نصر الحائلي طلبت مني زينك الله تعالى بأنوار المزايا وحماك من كل حادثة ملة وكل طارقة مهمة ولا اخلاك من نغر تجلبه وجمل ذكر تكسبه وجزيل اجر تحسبه وأثر جهل تجتنبه ان اهدي اليك وأملني عليك ما قال جار الله سقى الله ثراه في كتاب الكشف في وجه انتصاب شهر رمضان وما قلته من الاعتراض على كلامه واستبعاد مدعاه عن مراده مما جرى بيني وبين أعز أصحابه أفضل القضاة يعقوب الجندي من السؤال والجواب وهما أنا مطبق فيما أقوله مفضل السداد والصواب وقد ذهب من عندي الى جار الله واخبره بما قلت فانصف وانصت وأبدى خضوعاً لاستماع الصدق واتباع الحق وقال له: ذكرني هذا الامر بعض أيام فراغني حتى أصطح من كتابي هذا الفصل واغير هذا القول فانه غلط شنيع وخطأ فظيع الا أنه مرض في تلك المدة ونزلت به المية وما حصلت تلك الامنية. وقد علم كل من شاهد أحوالي مع جار الله اني كنت عنده معظم القدر مفهم الامر مقبول الكلمات متبوع الاشارات لم يرمني كلمة في أي علم الا قيدها بينانه وضبطها في جنانه واثبتها في دفاتره واحكمها في خواطره وعدها غنيمة من عتائم عمره وتيمية من تمام ثمره وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحاته بما يتعلق بفنون الادب وأقسام علوم العرب مسائل أكثر من أن يحصى عددها او يستقصى امدها رجع فيها الى كلامي

ونزل على قضيتي وأحكمني فالسعيد من اذا سمع الحق سكنت شقاشق لجأه  
وسكنت صواعق حجاجه فمنها مسألة الظبي التي في جمع ظبة فانه كتب بخطه  
انها من ذوات الياء وأصلها ظلية فقلت انا انها من ذوات الواو وأصلها ظبوة  
فلما امتدت المناظرة واشتدت المذاكرة بعثت اليه كتاب الصحاح يصدق قولي  
فهجن الكتاب وقال انه محشو بالتحريفات مشحون بالتصحيفات فبعثت اليه  
سر الصناعة لابن جني فقال هو رجل وأنا رجل فبعثت اليه كتاب العين فوضع  
للحق عنقه وسلك مناهج الانصاف وطرقه واسترد خطه ومزقه تزيقا وخرقه تخريقا  
بمرأى ومنع من صدر الائمة ضياء الدين أدام الله اجلاله وزاد اقباله

ومنها مسألة كلا الرجلين اذ كتب في حالة الجر والاضافة للظهر بالألف فقلت  
الصواب ان يكتب بالياء وأيدت قولي بنص ابن درستويه في كتابه الموسوم  
بكتاب الكتاب وجري هذا بحضرة الامام الاجل زين المشايخ البقالي أدام الله  
سعادته وحرس سيادته ومنها مسألة نسروفرق في تثنيتهما بغير ألف ولا م في شعري  
فأنكره وقال لا يجوز هذا في الشعر ولا في غيره فأريته ذلك في شعر المعري وأبي  
تمام فقال أخطأ حتى أراه سلمان يئنه وصدى صوته الامام نغرا لاسلام المؤذني  
ذلك في شعر الاعشى فندد ذلك لانت خشوته وسهلت حزوته. ومنها مسألة الجمع  
بين الضرب المحذوف والضرب الصحيح في شعر واحد من الطويل وقع له في  
ديوانه في قوله

جوار فريد مصر خير جوار      ودار فريد الدهر أكرم دار  
ثم قال

فله من جار حمدنا جواره      ولله من فرد وثقه من دار  
فضرب الاول محذوف وضرب الثاني صحيح ولا يجوز اجتماعهما في هذا



البحر باتفاق العروضين فلما نبهته لهذا على لسان تلميذه المحسن الطالقاني طلب  
 ديوانه وغيره هكذا قوله من نار وموقد نار فاستقام وزنه ومنها مسألة الحادي  
 عشرة والثانية عشرة ومنها مسألة النجدة ومنها مسألة التجريد الامالة ومنها مسألة ادخال  
 الوليد بن الوليد في جملة الكفرة من أولاد الوليد ابن المغيرة وسيأتي ذكره في  
 رسالته الى الحاتمي . ولو قلت ما في كنانتي من المكنونات وثمرت ما اخترته في  
 خزائن المغزونات طال الكلام وكنت الاقلام وإنما ذكرت هذا القدر اليسير  
 ليعلم قتيان هذه الحطة ان هذا الامام كان صبوراً على مرارة الحق وحرارة  
 الصدق مع انه رب هذه البضائع وصاحب هذه الوقائع . فصل قوله قرأ أبي شهر  
 رمضان بالنصب على تقدير صوموا أو على الابدال من اياماً معدودات او على  
 انه مفعول ان تصوموا واقول قولاه الاولان صحيحان لامطن فيهما واما الثالث  
 فوضع بحث اذ لا يجوز مثله البتة لانه لو كان كما زعم كان شهر رمضان تمة  
 لان تصوموا ولكان مجموعها في حكم مبتدأ واحد وصار تقديره صوم رمضان  
 خير لكم وليس بجائز ان تجعل المبتدأ نصفين وتفضل بينهما وتدخل الخبر  
 في وسطهما اما ان يكون خبر المبتدأ متأخراً عن المبتدأ وهو الاصل أو مقدماً عليه  
 بشرط التعريف وغيره من الشروط وهذا هو الفرع واما ان يكون واقفاً بين  
 شرط من المبتدأ فليس من كلام العرب كقول القائل لمن ينفعه اللحم ان تأكل  
 اللحم خير لك صحيح وقوله خير لك ان تأكل اللحم صحيح فاما قوله ان تأكل  
 خير لك اللحم فغير صحيح وهذا قولي الذي استحسنه جار الله والله اعلم بكتابته  
 واعرف بأسرار خطابه . وقد كتبت هذه الرسالة فعاينك بحفظها عن هؤلاء الذين  
 لا يفهمون الدقائق ولا يعلمون الحقائق فاني حررتها لامثالك من ذوي الفهم  
 والهداية واشكالك من أولي العلم والدراية لاهؤلاء الذين عميت ابصارهم وبصائرهم

وصدئت افكارهم وخواطيرهم فان رياض العلم لا تقتنى للمجانين وحياض الرحمة  
لا تدفق للشياطين والسلام

## وقفه في الروض

ناح الحمام وغرد الشمرود هذا به شبن وذا مسرور  
في روضة يشي المشوق ترقوق الماء في جنباتها وخير  
ماء قد انعكس الضياء بوجهه وصفا فلاح كأنه بلور  
قد كاد يمكن عند ظني أنه بالمالس يوش منه لي موشور  
وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزهور كأنهن سطور  
حيث القصور مع التسيم موائيل فكأنهن معاطف وخصور

\* \*

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيان ويعجز التعبير  
عني الربيع بوشها فتنوع المعين أنوار بها وزهور  
مثلت بها الاغصان وهي منابر وتلت بها الخطباء وهي طيور  
تمطر فيها التسيم كأنها جيب التسيم على الشذا مزور  
الترجس المطلول ترنوا عين فيها: وتبسم للافاح شعور  
تخذت خزامها البنفسج خدنها وغدا يشير لوردها النشور  
وكان محمر الشقيق وحوله في الروض زهر اليا سمين يمور  
شمع توقد في زجاج أحمر فعدا حواله الفراش يدور

\* \*

وتروق من بعد بها فؤارة في الجو يدفق ماؤها ويفور  
يحكي عمود الماء فيها أخذاً صعدا عمود الصبحين ينير  
ناديت لما ان رأيت صفاء والنور فيه مطلق مكسور  
هل ذاك ذوب الماس بمجد صاعدا أم قد تجسم في الهواء النور  
تتناثر القطرات في أطرافها فكأنما هي لؤلؤ منشور  
ينهل فيها النور حتى قد ترى قوس السحاب لها بها تصوير



كم قد لبست بها الضحى من روضة فيها علتني نضرة وسرور  
فاجلت في الازهار لحظ تعجبي ولفكرتي بصفاتها من مرور  
فنظرتهم تحيرا ونظرتني حتى كلالنا ناظر منظور  
فكان طرف الزهر ثمة ساحر لما رنا وكأني مسحور  
ان الزهور تكنهن براعم مثل العلوم تجنهن صدور  
ونضوع التفحات منها مثله تبينها للناس والتقرير  
وبتلك قلب الجمل مصدوع كما توب الموم بهذه مطرور  
والزهر ينبت السحاب بمائه كالحلم ينبت غرسه التفكير  
ان كان هذا في الحداثق بهجة يزهو فذلك في النهي تنوير  
او كان هذا لا يدوم فان ذا ليدوم ما دامت تكرر عصور  
بنفاد معروف الرصافي

## مطبوعات ومخطوطات

سياحة في تركستان او بلاد كشر

*Historisch-Eurkestan, Geschichte, Verwaltung,  
Geistesleben und Wirtschaft von Prof.  
Dr. Martin Hartmann. Halle-1908/*

نشر الاستاذ هارتمان من علماء المشرقيات الالمان سياحة له بالالمانية الى بلاد كشر او تركستان وصف فيها جغرافية تلك البلاد وحكوماتها السالفة وطرقها وعلاقتها مع الامم وتاريخها القديم والحديث وادارتها الصينية وما كان له من الصلات مع موفنيا وعلاقة الكشر بين الالاجانب ولغتهم وآدابهم ودينهم وتعليمهم ودروسهم وارتقاءهم الفنى . والسياتين والمبشرين الاوربيين من الانكليز والسويديين والالمان وصادرات تلك البلاد ووارداتها وتجارتها وما يرجى لها من التقدم وقد جعل كتابه هذا لخدمة الله في سياستها وتجارتها فوجه انظار حكومته ومواطنيه لبلاد خاضعة بالاسم للصين ولكنها تخالفها من حيث اصول سكانها ولغتها ودينها . وبلاد تركستان الصينية او كشر اتى عليها زمن كانت فيه مسقلة منذ بضعة قرون على عهد سلاطين وينور اما اليوم فان الاسلام قل فيها على رأيها المقلية والصناعية فليس فيها ما تستطيع ان تنهض به وحدها وتستعيد سالف استقلالها . فاصح من اللازم انشاء مملكة حسنة الادارة في تلك البلاد بين آسيا الشرقية وآسيا الغربية اى في طريق الحرير وما من دولة اوربية تحدتها نفسها في الاستيلاء على تلك البلاد لان روسيا ضعيفة وانكثرت لها من المشاغل بغيرها ما يصد عنها اكتساحها والصين ليس في وسعها ان ترمي بقسم من شعبها ثم وان تجعل لها جيشاً ضخماً من ابنائها يكون على قدم الدفاع عنها وهي عارفة بان مركزها فيها مقلقل . ولذلك احتاجت بلاد كشر الى الغرب لينهضها من كبوتها .

ولو كان فيها بعض الاهل من المسلمين لكان المرسلون السعيون ينفعون البلاد كما هو الحال في سورية ولكن الشعب هناك مسلم كله فليس في الامكان ان يدعى الى النصرانية لما ان ذلك يعجز تعصبه ولا يأتي بنتيجة . ومن خرج من الاسلام فجزاؤه القتل عند المسلمين . فليس اذا غير المرسلين البروسيين يرفقون من اين تؤكل الكتف ويتخذون طريقة توصل الى المقصود فلا يدعون الى الدين بل يتولفون فقط على قوة القمارة والصناعات . وسجد المانيا في تلك البلاد مصارف مهمة لتجارتها لتتفج بها كل الانتفاع ولا سيما اذا

كانت اول ذاعبة اليها على شرط ان تؤسس فيها مملكة مستقلة تحت حماية الصين لا يكون الاسلام دين حكومتها الرسمي بل تكون على الحياد تجري فيها الحرية المطلقة على اصولها لجميع النحل والملل وتتعاهد الدول بينها على حماية ذلك كله . والقرك التاتار هناك قد افسدم الحشيش والقمار فلا يستطيعون ادارة البلاد بل تكون الادارة بيد القرغيز وهم اكثر عدداً وأكثر متانة وقوة وليس عندهم اثر للتعصب

ج . ا

### الترغيب والترهيب

طبع هذا الكتاب الجيد التأليف في الهند وهو من تأليف الامام الخافظ زكي الدين عبدالمعظم بن عبدالقوي المذري المتوفى سنة ٦٥٦ واعاد طبعه الآن احمد ناجي اندي الجمالي ومحمد امين اندي الخانجي الكتبي واخره نجاء في مجلدين من القطع الكبير تبلغ صفحاتهما ٦٦٠ صفحة وقد قسمه مؤلفه الى ابواب كثيرة تدور على ماورد في الترغيب والترهيب صريحاً بدون ذكر الاسانيد المطولة وميز بين الاحاديث الصحيحة والحسنة او ما قاربها وبين ما كان اسناده ضعيفاً وان كان من تقدم من العلماء اساغوا التساهل في انواع من الترغيب والترهيب حتى ان كثيراً ذكروا الموضوع ولم يبينوا حاله وقد استوعب فيه جميع ما كان متداولاً في كتب الحديث لعهده . وهو يطلب من طلابه بالخلاص بمصر .

### لامساسة

الاستاذ اغناس غولدهبير المجري من افراد علماء المشرقيات في اوربا اليوم عرف بابحاث كثيرة كتب بعضها بالالمانية وبعضها متعلق بالملل والنحل واماننا الآن من ابحاثه الاخيرة رسالة في مسألة السامري وعجل الذهب وروايات الكتب السماوية والتاريخية فيها وقد نشرها في المجلة الافريقية بالغة الافرنسية اولاً ثم فردها على حدة نجاءت شاهدة بسعة اطلاعه .

### دروس القراءة

اهدينا التسم الاول والقسم الثاني من هذه الدروس فشيخ محيي الدين الخياط محمر جريدتي بيروت والاقبال وفي القسم الاول خمسة فصول الفصل العجائي والاخلاقي والفكاهي والحكمي والديني وفي القسم الثاني الفصل الاخلاقي والحيواني والفكاهي والحكمي والديني وكلها مشكولة بالشكل الكامل مطبوعة على نفقة محمد شاكر اندي ياسين طبعاً متقناً تسهل على الصغار القراءة من ابصر السبل فسامها تلاميذ في المدارس اقبالا

## كشف الستار

صنف السيد احمد بك الحسيني الفقيه الاصولي المشهور نبذة في حكم القابض على المستجير  
بالاحجار وأنه لا تبطل صلاة حامل الصبي الا ان تحقق نجاسة ثوبه واتى على ذلك بخصوص  
المتقدمين والمتأخرين عراقيين وخراسانيين وما رجمه في هذا الباب بجاءت رسالة مستوفاة  
في بابها ترفع الحرج عن المصلين وتشهد لمولائها بالفضل المبين وهي في نحو ١٨٠ صفحة  
مطبوعة طبعاً متقناً بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة على ورق جيد .

## الانشاء المصري

طبع محمد عمر افندي نجاً من ادباء بيروت كتابه الانشاء المصري طبعة ثانية مضيئة  
اليها زيادات لم تكن في الاصل فنوع في القسم التجاري منه فقل أكثر .  
التجارة في معاملاته وعلى جداول الاوزان والقياسات وقيم النقود المتداولة في العالم  
وذيل ابواب المعاملات في احكامها الشرعية والقانونية فكانت الزيادة في صفحات الكتاب  
١٧١ فاصبح اربعمائة صفحة متوسطة الحجم مطبوعاً في المطبعة الاهلية طبعاً متقناً وفي الكتاب  
رسائل تجارية واخرانية ورسمية وغيرها ونموذجات من المعاملات وأكثرها من اصطلاح  
سورية بالطبع وهذا الكتاب في باب مستوفى الشروط فنشئ على همة مولاه وهو يطلب من  
المكاتب الشهيرة بهر والشام وثمة هنا سبعة قروش .

## المقصود والممدود

هذا الكتاب تأليف أبي العباس احمد بن محمد بن الوليد بن ولاد نقوي الشترى سنة  
٣٢٢ طبع للمرة الاولى في اوربا واعاد طبعه الآن محل محمد امين افندي الخافجي وشركائه .  
ذكر مؤلفه فيه من المقصور والممدود ما كان منه مقيماً وغير مقيس والفقه على حروف المعجم  
مثال ذلك الثراء فانها تكتب على وجهين فالثري من الندى مقصور يكتب بالياء لانهم  
يقولون في ثنيتة ثريان يقال كأنه مطرالتى منه الثريان يريدون الثرى الظاهر والثرى الباطن  
وثرى الكسب يثري فهو ثريان والثراء في كثرة المال ممدود . والكتاب نفع للمشتغلين باللغة لانه  
يوفر عليهم عناء الرجوع الى المعاجم لتمييز بين المقصور والممدود من الاسماء اذا اشتبهت عليهم .

## فن الرسم

نظم الشيخ حسين محمد الجمل ارجوزة في ١٦٠ بيتاً ضمنها قواعد فن الرسم والاملاء  
ليسهل حفظها على المبتدئين بالبرية قال انه اقرأها التلاميذ حفظاً رفحاً فلم يقعوا بعد ذلك  
فيما كانوا يتخطون فيه من الخطأ فنشكر له همة .

## سير العلم والاجتماع

### الجمعية الخيرية الاسلامية

اصدرت هذه الجمعية تقريرها عن سنة ١٩٠٨ جاء فيه ان املاكها بلغت ٥٠٨ فداناً و ١٠٠ قيراطاً و ٤ اسهم و دفعت كل ما كان باقياً عليها من ثمن اطيائها و بقي ٧٥٥٠٠ ج ٠ م وبلغ ريع اطيائها ٣٥٣٩ ج ٠ م و ايرادها من اوقافها ٥٠٩ ج ٠ م وخصص لها في السنة الف جنيه من الاوقاف الخيرية اعانة وعدد مدارسها في القطار المصري ٢٢٨ تلميذاً منهم ٦٤٨ يتعلمون مجاناً وصرفت على مدارسها ٦٧٤٤ ج ٠ م و مستوفي مدرسة لتعليم الفقيريات الخدمة المنزلية وتربيهن التربية الادبية القديمة في يديت لاغنياء ووزعت في السنة الماضية ٩٤٥ ج ٠ م اعانات وعدد اعضائها الآن ٥٤٦ عضواً والمساعدين ١٢٢ وبلغ ايرادها من احتفالها السنوي ٢٤٤٨ وما تبرع به المحسنون ٥٩٧٠

### وقف خيرى

وقف احمد مظلوم باشا ناظر المالية المصرية وقرينته ١٧٥٠ فداناً من اجود اطيائهما وتصرهما بمرمى الاسكندرية على ذوي قرباها ومن بعدهم الى جمعية العروة الوثقى لتصرف ريعه في شؤون التربية وخصماً للجمعية حصة يقدر ريعها بالف جنيه سنوياً ثنائياً ولها بعدهما .

### مدرسة الفنون الجميلة

فتحت مدرسة الفنون الجميلة التي انشأها في القاهرة من ماله الامير يوسف كمال لتعليم التصوير والنقش وهي تسع ثلاثمائة طالب وطالبة وقد دخل هذا القدر منهم لتعلم هذه الفنون التي هي بنت الحضارة والارتقاء .

### ورق من تراب النفط

يصنعون الآن في ضواحي كايك من اعمال ولاية مشيدان في الولايات المتحدة نوعاً من الورق بحيث لا تخفى ساعتان على وضع المادة المؤلف من هذا الورق حتى يخرج ورقاً لاهر ارق من الورق المصنوع من الخشب واقل منه كثافة وهو لا ينفذ ولا يبرش ويصلح لوضع الفراء والاصواف يقيها المثل وغيره من الحشرات وقد اخذوا يصنعون منه علباً ومقويات يتطلبا باعة القرو والياب ولكن لونه ازرق وهم يحاولون ان يجعلوا منه نوعاً ابيض .

### معدن جديد

اكتشف احد الفرنسيين معدناً جديداً اسمه البلاشيت *planchette* وهو

مركب من حامض الصوان ومادة أخرى شحامية ازرق اللون وهو موجود في بلاد الكونغو .

### اساقفة الكاثوليكية

يبلغ عدد الكرادلة الكاثوليك الآن ٦١ كردينالاً منهم ٣٦ ايطالياً هذا مع ان ايطاليا ليس فيها سوى ٣٠ مليوناً من ينتمون للكثلكة من مجموع ٢٣٠ مليوناً من الكاثوليك في العالم ولكثلكة ٦٠٥ اساقفة من الاوربيين منهم ٢٥٨ في ايطاليا على حين ليس من كاثوليك المانيا وفيها ٢٢ مليوناً منهم سوى ٢٥ اسقفاً .

### ثروة روسيا

احصى احد المدققين ما دخل على روسيا من المال وما خرج منها في خلال السنة الماضية فكان مجموع ما دخل عليها من اموال القروض وغيرها من الواردات غير المقررة عشرة مليارات ومائتين واربعة ملايين روبل وصرفت عشرة مليارات واربعائة وخمسة عشر مليوناً . وتبلغ ديونها تسعة مليارات ومائتان مليون روبل اي ٢٦ مليار فرنك انفقتم في ثلاثة فروع منها اربعة مليارات وستائة مليون في سبيل الحروب الخارجية واحلب الحرب اليابانية منها مليارين ومنها ثلاثة مليارات على اشاء الخطوط الحديدية واشتباع بعض ما في بلادها منها واستلمت المصارف العقارية للاشراف والفلاحين ١٢٢٥ مليون روبل كما اعطت مليارين ثمن اراضي في سيبيريا الى اصحابها المستعبدن وفي بلاد روسيا ٤٤ الف كيلومتر من السكك الحديدية ريعها السنوي ٦٥ مليون روبل وتعلي ٢١٢ في المئة من اصل المبلغ المستقرض لانشائها والباقي تدفعه الخزينة وتزيد واردات سككها حينئذ عن آخر يزيد سكانها وكثرة تنقلهم وجودة المستغلات . وتبلغ مساحة اراضيها الزراعية في اوروبا ٤٣٠ مليون هكتار منها ١٦٥ مليوناً للحكومة والمدن والقطاعات وغيرها والاراضي في روسيا كثيرة والناس لا يشكون من قلتها بل من قلة توفر بعض الفلاحين على حسن الانتفاع بها . والفلاح الروسي اغني فلاح العالم بكثرة ما يملك من الاراضي واقلهم ثروة .

### تربية الجنسين

مفت الاشهر الاخيرة والنزاع على الولايات المتحدة بين العلمين والمعلمات لبحث عما اذا كان الانصاف يقضي بان ينال المعلمات من المشاهرات بقدر ما يجبىء للعلمون . ومعلوم ان الولايات المتحدة تصرف القسم الاعظم من واردات بلدياتها على التعليم . فقد كان سكان مدينة نيويورك سنة ١٩٠٠-٣٤٣٧٢.٢ وميزانيتها ١١٨٧٤.٥٩٦ ر يالاً



تتفق منها على المدارس ١٩٧٣١٦٢٩ والباقي على الدين العام والشرطة ورجال المطافي والمشتريات والملاجي وغيرها وهذا ما عدا الخمسة ملايين ونصف ريال التي انتقتها تلك السنة على انشاء مدارس جديدة وكانت ميزانية فيلادلفيا في تلك السنة ٣٤٦٠٥٩٤٨ وعدد سكانها ١٢٩٣٦٩٧ انتفت منها ٤١٨٦٠٠٠ على المدارس وكان سكان بوسطن في تلك السنة ٥٨٠٨٩٢ وميزانيتها عشرين مليون ريال خصصت منها ثلاثة ملايين للمدارس وعلى هذا فتتفق نيويورك التي ثار فيها النزاع بين المعلمين والمعلمات اكثر من جميع الولايات على المعارف فهي تصرف واحداً من ستة من وارداتها وبوسطن واحداً من سبعة وفيلادلفيا واحداً من ثمانية .

ثم ان عدد المعلمات في اميركا اكثر من عدد المعلمين وما زال عددهن آخذاً بالازدياد اكثر فقد كان عدد المعلمين في الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ - ٧٧٥٢٩ معلماً وعدد المعلمات ١٢٢٩٨٦ فاصبح المعلمون سنة ١٩٠٤ - ١١٣٧٤٤ والمعلمات ٣٤١٤٩٨ وتبدد المعلمين ان لم يكن في نقص فهو لا ينمو على العكس في عدد المعلمات فقد كان عددهن منذ ثلاث سنين يري على عدد المعلمين ثلاثة اضعاف

قامت اثنا عشر الف معلمة في نيويورك يطالبن بحقوقهن فاثلاث « اذا تساوى العمل وجب ان تتساوى اجرتهم » فليس من العدل ان يعمل النساء في هذا المعنى كالرجال ولا يتلن من الاجور الا ثلث ما يتل الرجل واذا قدر لمن ان بلغت احداهن الدرجة الاولى نقبض ٢٥٠ دولار على حين يقبض الرجل ٣٠٠٠ فاضطرت حكومة نيويورك الى ان تتيحهن الى مطالبهن وزادت ثلاثة ملايين دولار على ميزانية موارفها وكانت عشرين مليون دولار في نيويورك وحده كما تقدم وقد نكحاً مجلس الامة اولاً عن الموافقة على هذه الزيادة للمعلمات ورأى رفعه من الحكمة تخافه ان يتدرج ذلك الى الاعمال الاخرى التي تشارك فيها المرأة الرجل في تلك الديار ويقوم النساء بطالبن بزيادة فبطل نظام البلاد الاقتصادي الا انه لم يسعه بعد الاقرار على زيادة ميزانية المعارف الا ان يأخذ الرجال والنساء بحظ منها على السواء .

كتب مفوض الولايات المتحدة في الايشراء على العمل والعمال سنة ١٨٩٦ تقريراً على ١٠٦٩ مركزاً في ثلاثين ولاية من ولايات اميركا جاء فيه ان النساء يرجمن في الغالب اقل من ٢٣ في المئة عن الرجال مع انهن يعملن عملاً واحداً وان النساء يقبضن ٢٤ في المئة اقل من الرجال في المطاعم و٢٨ في معامل الاحذية و٤٦ في صنع الصلب و٦١ من صنع الفرش والاثاث وفي معامل السكاكين ١١٦ في المئة والورق ١١٧ ومثلها في الحافز

والكاتب وفي مكاتب الضمان ٢٩ في المائة وفي مكاتب الوكالات عن ادوات الخطاطة ٦٦ في المئة . ولئن كانت الولايات المتحدة تزيد ميزانيتها في المعارف سنة عن سنة فان هذه الزيادة تصرف في الغالب في بناء مدارس ضخمة وابتاع ادوات فاخرة فقد بلغ ما صرفته الحكومة هناك على المصارف سنة ١٩٠٣ - ١٩٠٤ ٥٩٩٩١٩٠ ريالاً ولم يأخذ المدرسون والمدربات سوى نحو ٣٦ مليون دولار . وتبين بالاحصاء ان اقبال الرجال على التعليم قل بعد حرب اميركا مع اسبانيا ولم يعد يتحضر للتعليم الا من شفقوا به ورغبت النفوس عن عن اتخاذ حرفة للارتزاق بها وذلك لان المتعلم من الطراز الاول كاولئك الاساتذة قد يرجح اضعاف ما يتناول من التدريس اذا انصرف للاعمال الحرة . وقلق رجال العلم سيف اميركا من دوام اقبال النساء على التدريس وانصراف وجوه الرجال عنه وقالوا بانه سيجي زمن ينحصر التعليم في اميركا بأيدي النساء وقال رؤساء الكليات ومدبرو المدارس ونظراؤها ان تدريس الرجال ارقى من تعليم النساء . واثبتوا ان من الضروريات في التعليم اليان والظلم وان صبر المرأة وجدانها وادراكها ربما كانت ارقى من طبيعة الطفل المتعلم ولكن كل هذه الصفات لا تجبر النقص المحسوس في اسلوبها في التعليم وذلك لان ضعفها الحسوس عن انتصيل يزيد هذا النقص استحكاماً ويجي ضعفها على ابدانها فيحق في دروسها من الابهام يقوم المدرسات في المدارس الابتدائية باعمالهن خير قيام لما ان الموضوع واضح في ذاته وما هو الا حروف وارقام ولكن اذا عهد اليهن تدريس النحو يوردن القاعدة وشواذها ويضمن عن التبيان وتخونهن اساليب التفهيم وبيان الروابط بين الموضوعات وقد ظهر ان الفتيات يفضلن الاخذ عن المعلمين اذا اردن تعلماً سليماً بسيطاً والفتيان لا يؤثرون اخرج بالمعلمات واذا كانت الكتب المدرسية واسعة الاسلوب لا يقتضيها الا ان تقرأها اسئلة فتقوم قراءتها تمام الشرح والعبارات المنطقية . ولكن كتب التدريس في اميركا اذا قوبل بينها وبين امثالها في ألمانيا وفرنسا تبين انها اخطأ بكثير .

ولا يجب ان يؤخذ من هذا بان الواجب ايجاد ابواب التعليم في وجوه النساء فان المرأة يحق لها ان تعيش كالرجل . ولكن ظهر ان النساء في البلاد الانكليزية السكونية حيث تمت عزائتهن على منافسة الرجل لا يصلن الى المناصب السامية الا نادراً وهذا مما يثبت ما من عليه من الانحطاط العقلي . وانا نرى المرأة تفسح احياناً اكثر من الرجل في الاعمال التي يكون الدافع اليها الغرام والهوى اكثر من اعمال الفكر والفنوى كأن يكون منهن ممثلات وممثلات بفن الممثلين والممثلات ومنه استولين على هذين الفرعين في اميركا وانكثرت انزلن درجة فن الادب فيها وسبب نجاحهن بل تفردهن بهذين الفرعين ناشئ في الغالب من

مسألة مالية وذلك لرضاعن القليل من المال على ما هو العكس في الرجال . وستمحق المائبا وانكثرا واميركا في هذا الشأن فيكون نساؤها قابضات على ازمة التثيل وانغناء فيها بدم قليل من الزمن . والعلوم التي تبرز فيها النساء حقيقة على صورة مدحشة هي الرياضيات لان موضوعها يعصم من النلط وتديقن فيها نثني من نفس الموضوع لان قوة عقل المرأة وحري بالرجال في الشؤون العقلية على الاقل ان لا يجرؤوا من حقوقهم ولا دليل ينهض على هذه القضية اكثر من ان الاميركي ذاته لم يأت بشيء خارق للعادة حتى الآن في عالم العلم وذلك لان المرأة نعمة للسيرة في هذا السبيل قبل دخوله النكيات . وليس النساء مسئولات عن الميل في احوال التهذيب المنظم للذاكرة ولكنهن لم يخالفن على ما نرى نتمثلن الولد طريقة صالحة في تصحيح الافكار اما من حيث الاخلاق فان تعليم النساء الرجال ليس طالع خير ففقد ستين ذهب بضع مئات من الامانة والعلين الانكبيز الى اميركانتي نفقة المدموسى احد اغنياء الانكبيز للبحث عن طريقة التربية في الولايات المتحدة وما لاحظه ملاحظة خاصة في تقريرهم تأثير التربية التي تربيا النساء الرجال واثرها المدهش في اغتبع الاميركي ونفي بهذا التأثير لفرقة اخلاق الرجولية فيه وما كانت ملاحظة تلك البنت هي الاولى من نوعها بل ان غير الاميركيين كثيرا ما كانوا يدهشون مما يبدون لانظارهم من هذا القبيل . رجال الاميركان يمتنون من وراء الغاية في المحافظة على الست وثلاثين الف قاعدة في معملات المدنية الاجتماعية فياثون في التائق بلباسهم مائة مفرطة ويدققون كل التدقيق في القيام باقل ما تقتضيه سنة الازياء ويرفقون الفاظهم ترقيقا يقربها ابداء من التكلف ولا ينسب ذلك الا لتسليم مقاليد التربية للمرأة . ولو استطاع المرء ان يكون تاما في هذا المعنى لما كان في ذلك بأس بل قد يحدث كثيرا ان البالغة في التزيي والمخافة في الحصول على صفات الظرف الذي لم يجعله الطبيعة من خصائص الرجل تعبت بمرورهم ولكن اذا كانت اخلاقه من المثانة بحيث لا تنفس رجوليتها لا تلبث الرجولية ان تزيد فيه مستقلة عن كل تأثير من تأثيرات اخضارة ولا يكون تكلف الظرف والطف الا ضواهر خادعة وبعد عن درك طلاقة التمدن والتجمل في الحياة الاجتماعية بحياة الاعمال . وقد ادرك بعض الاميركان نتيجة هذه التربية النسائية ومجملوا شيئا من سببها متى جاوزت حد القراءة والكتابة والحساب . ومن سوء اثر هذه التربية في الاميركان ان الرجل يرى نفسه احط من المرأة بما تصنع لما يرى من كرمها انها تعطف عليه وهكذا حتى اصبح المجتمع الاميركي اثويا فيه من غروب التكلف والغربة اشكال والوان - انتهى ملخصا من مقالة لاحد علماء فرنسا .

# المقابر

الجزء الثامن من المجلد الثالث

شعبان سنة ١٣٢٦ موافق سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٨

## ضادُ الزمّةِ والمُعجزةِ

مومسن

حدث في أوروبا منذ عام ١٨٢٥ ما تجدد في الحياة الاقتصادية من النوااميس انقلاب هائل بفضل تمديد الاسلاك البرقية وتمهيد الطرق الحديدية وتكاثر الآلات الميكانيكية واستخدامها في العمليات أكثر من النظريات فقامت الصناعة والتجارة والطرق البحرية والسكك الحديدية والبواخر والمراقيء والترع والمعامل والمصنوعات والمستودعات بل وكل ما يدعى بلسان الاقتصاد الصناعات الكبرى واخذت كلها تظهر على الولا بظهور الافكار والآثار . حدث هذا الانقلاب في ألمانيا بعد ان تأخر قليلاً أي بعد عام ١٨٤٠ قال هنري تريشك : « كانت الانتقابات في ذلك الزمن والمناقشات في الامور الادارية مطمح انظار الرجال وموضوع تأملهم حتى جفت الحياة العائلية او كادت ١٠٠٠ النساء فانهم اخذوا بالاشرياب الى الدخول في الاعمال التي كان تبص عليها الرجال الى ذاك الحين وتطالان للتغيب عن السبيل المؤدية بهم الى مضارعتهم ضاربات صفحاً عن دعوى ما يحدث مما اتصفن به من صفات الانوثة وحدها فقط من التأثير في حياة المجتمع الانساني . وقد كانت ايقظت المطبوعات العامة والآداب في الخلق لذة العمل والهمة والثبات حتى ان ميزان ذلك الزمن العظيمة قد تمثلت في الاثاث والرياش »

وقع هذا الانقلاب في حياة الشعب العلمية والفكرية والصناعية ايضاً ابام كانت ألمانيا  
الجزء ٨ (٦١) المجلد ٣ من المقابر



ليسيك مركزاً نارياً لإذاعة الدعوة البروسية ونشرها في الانحاء فاجتمع حول مجلته عام ١٨٤٨  
شريحة من اولي الفضل الواسع من يجبون بروسيا واوضاعها حياً جماً

وممنهم فودال وكاتوليك الالذان شهرا على مذهب الخياليين حرباً عواناً ادارت وساعا  
الاقلام وازمما كما قل اشيد ان يترا تلك القطع الفاسدة من آداب الالمان وبنيدان  
نبد التواء فكانا يمدان في ان يكتب القول الفصل السياسة البروسية في كل صتغ آتيين  
على كل ما فيه اثر التصنع ومسحة التكلف والتعمل وغير ذلك مما كانا يعدانه من الانذار  
الاجتاحة لمواطف الجرمان واخلاقهم ومبايناً لسعادة الامة وحسن نظامها . وعندما ان  
لبروسيا فكراً يصجل الى ماضيها تاريخ مجد مؤئل بالرغم من مقاضاتها الناقصة وحدودها  
المتناهية . ولذا فان الالمانيين راغبون من اجل سعادتهم طامة وصلاحهم في اعلاء اسم  
الجرمان بانحدام تحت لواء تقدم بروسيا ناهذين امتيازاتهم وشعورهم الشفهي ظهرياً . ولما  
اثنى فريتنج لأول مرة في ليسيك على مهمة بروسيا وموقعها من المانيا حول قسم كبير من منوري  
الافكار في المانيا انظارهم نحو بروسيا التي كانت جندي الحلية اريستوكراتية المتزع غير  
مفكرين فيما يتخلل نظرياتهم السياسية ومذاهبهم من التناقض على ان الفرق طفيف جداً بين  
عالم الالمان — ذلك الجيل الناشئ — على افكار داروين واستراوس الفلسفية وبين جنود  
بروسيا : فكلامها مولع في التقاط الحقيقة ومن ذوي القوة والبطش والاقنسلو . اما بروسيا  
فقد كانت هيئة سيطرة على ضروب المذهب الحقيقي : على السياسات والادارة والجندي  
والاقتصاد وبالجملة فقد كانت متشعبة الروح بجميع انواع مذهب الحقيقيين . وامتازت  
بمصلحة هي فوق ذلك كله وهي انها كانت تحس بوجود ميل خارق لسمي القرنيس كما  
اقتربت منهم .

ذلك هو الفكر الذي جال في خاطر طلاب كلية المانيا الجديدة « بروسيا » منذ عام  
١٨٥٠ . واول من كان موقفاً لا يفاء هذه الوظيفة على غاية ما يمكن ان يكون من الاتقان  
وانكامل المؤرخ « مومسن » :

تيدور مومسن من اغرب الالمانيين خلقاً وخلقاً اجتمعت في قدسه الاضداد باجمعها  
فهو عالم كبير كما هو خيالي كبير ومع هذا فقد كان يومي الناشئة الجديدة في ان يتلقوا  
ماله من الخيالات غودجكليس من وراثتها فائدة تذكر . وهو ديمقراطي على حين لم يوفق احد  
الى خدمة المذهب القيصري « سراريزم » تماثل ما عمله في مصنفه تاريخ رومية . ولد عام  
١٨١٧ (ومات سنة ١٩٠٣) في مقاطعة غاردينغ من اعمال شلزويغ حيث كان ابوه راعياً . ونشأ  
على مذهبه . املاحة الساحلية الغربية التي كانت تري براعيها الراسعة وحقوقها السامعة ذات غضا

ونفارة من القاحل اشبه بلون بحيرة تضطرب بأمواج كالجبال من الخارج وإذا عملنا بأراء احد القائلين بمنهب تين من اللورخين كان من نتيجهم عنهم الحياة في محيط كهذا مكشبتين مكدريين في حين كان مومسن من ابداع النموذجات الابداع البشري حياة وابتهاجاً وابتناساً . واصحح ان هذه النموذجات غير نادرة في المانيا .

يظن الفرنسيون ان اقليم البلاد الشمالية البارد الذي يتخلل سكونه حزن مهيب يلد اناساً قد لعبت بهم الموموم ونقصتهم الغموم على العكس في اقليم البلاد الجنوبية الزاهر المستنير بأشعة الشمس المشرقة فانه يلد عنصرًا خفيفاً ارحن . والحال ان عكس هذا في الغالب واقع في المانيا ولا سيما في الجنوب فان في صحاري سواب الخضبة المشية وفي الكروم التي تروى بنهرى الرين وموزل قد نشأت عقول واسعة رصينة وفي وسعها ان تحيط بالعالم بأسره . والشعراء الذين نبغوا ثمّة قد تنفوا بجاهية حياة الجرماني وحقيقتها باناشيد لطيفة خفيفة غير انها ثقيلة الاوزان . اما في الانحاء الشمالية فان صحاري بومبورانيا وبراندنبورغ المشيرة حدودها قد انشأت قادة عاملين وساسة جسورين وكانت هنا حتى الادبيات تلعب بها اميال الحرب والجدال وسرطان ما كانت تدخل في شكل الممارسة .

مومسن هذا من نابتة ذاك الجنس اذا رأيت رأيت رجلاً مقدماً ان تحرك فكأنما يتبهي بعمل جديد . وانه بسجائه العصبي الذي ينم عن كل خير وعينيه اللتين تشرق منها اشعة الحيلة والمكر وشغفيه اللتين ترتسم عليهما ابتسامة الاستغفاف والاستهزاء يذكر بفولتير العظيم وهو يعرض أطواره المتباعدة منها عوامل القدوة والفدر حتى في حالة السرور والنشاط وبوجهه الذي نال منه المقراض فلم يبق ولم يدر اشبه ببولسكه انما ند حنو القذة بالقذة . اما سياؤه الذي يترآى من خلال مصنفاته فهو عبارة عن شخصية غريبة مؤلفة من طبيعة متسرعة متفعلة متوقدة اي من حدة المزاج مزوجة بطبيعة أخرى حقيقية ماهرة في استخراج الملاحظات المادية العملية ونغم التناطيد التي وسع نطاقها حب التفاخر والفروور

\*\*\*

في مومسن شخصان لا يجتمعان كل الاجتماع ولا يفترقان : عالم وصانع . ولا شبهة في ان العالم مومسن هو من خوارق القرن التاسع عشر ومن اعظم من هم جديرون بالتعجب والاحترام فان معارفه وسعة اطلاعه متنوعة تنوعاً غريباً وانك ترى مجلته التي رأسها خمسين سنة وطالباً حفل بما لا يكاد يتناهى من الكتابات في تلك الموضوعات المختلفة كاثار رونية القديمة وعلم الاسنة وعلم المخطوطات وعلم المسكوكات والحقوق وعلم الاساطير هذا عدا انه العظيم الذي جمع فروع من التدقيق والتحقيق العلمي الواسع وغزارة المادة وجودة

المصادر مما اعلمه بلوغ أقصى درجات الارتفاع . ولقد كانت لترجم به منحة كبيرة وقدرة  
باهرة في قراءة الآلة القديمة الميتة ومولفاته برمتها شهادة ناطقة بالبرهان على انه كان  
موسوعة من موسوعات العالم .

كان مومسن يرى مع من يرى ان العلم غير متحصر في دائرة محدودة وانها نام مشاع .  
لهذا كان لا يستحسن تنافس الالمانيين على تعميم فكر الاختصاص ولا يقيم لهما لهما على انشاء  
وزناً . فقد قال في خطاب اوردته في مؤتمر برلين العلمي في اللغة اللاتينية : « الا بعدا  
في فرع من العلوم فقط واجب ولكن ليس من الواجب الاقتصار على ذلك الفرع والسير  
دون غيره باسداد بل يجب على الطالب السعي لان تتوفر لديه المعارف في هذا الفرع وان لا يسهو  
حفظاً من كل شيء . . . فاصغر هذه الكرة الارضية واحقرها في نظر من لا يرهو . . .  
كتاب اليونان واللاتين وطبقات الارض والمسائل الرياضية في هذا العالم القسيع ! . . . »  
ومن غريب التضاد كون مومسن مفتناً خيالياً مع سعة اطلاعه العلمي المدمش . وانك  
لتندمل عند ما ترى هذا الرجل في نفس الامر الذي يجعل تلك الجبهة ذات القوة والشيء  
والوقار من الشعراء المتأثرين . غير انه ليس نظير ميشله للمؤرخ الفرنسي الشهير تأخذه المنة  
والانفصال لكل جميل فهو لا تأخذه رحمة وشفقة لآلام من يفترشون الارض ويلتقيون  
السماء من بني آدم ولكنه صاحب عقل متأثر لا يجبن الابتائنه وقوة دهائه فقط في  
هذا العالم وهو من اجل الاشياء التي تثر ضياء وشرا اشد ما يكون احتداماً وهيماً .  
كان من المحتمل بقاء غرائز مومسن في العلم والصناعة طوي الخفاء فلو ان قبض الله لها  
رجلاً في برلين عام ١٨٥٠ يعني بنشر المؤلفات فرغب اليه كتابة تاريخ روميه اد كان  
يبحث عن كاتب يشغله في كتابة امهات التاريخ . فاصاب ذلك الرجل المرمي في اختياره  
هذا لان المترجم من المشاهير الباحثين المدققين ارباب الاطلاع على تاريخ روميه . ومن  
العلوم ان اساطين العلم لا يقتسمون في الغالب على تأليف كتب لتناولها الايدي عامة وتناولها  
الطبقات كافة . وقد حصلت له منحة سامية جداً عند ما كان يعاني من صناعة الصحافة ما يعاني  
ولهذا ظهر تاريخ روميه مؤلفاً ثميناً . وليس مومسن من تلك الطائفة الشائخة اساتذة الجerman  
التي اتخذت العلوم المنسوبة اليها ديدنها وقضت حياتها وفقاً خالصاً عليها بل هو اشد ما يكون  
تأثراً وانفعالاً للمسائل العامة .

ربي مومسن في كلية كيل فجهزته بجهاز حب بلاده حباً جماً واطالما قرع اولئك الذين  
يقولون انه يجري في عروقه الدم الدانباركي بقوله : « ان من يدعي ان مدينتي شلزيق  
وهولستين ليستا من تراب المانيا في الحقيقة معشوهون مفترنون . ولم يدخل مومسن في



الديبلوماسية خلال سنة ١٨٤٨ وهو وان لم يحضر بصفة عضو رسمي في مؤتمر فرانكفورت فقد كان من ادعش المحامين عن حقوق الافراد في ذلك الحين . فقد دافع اشهراً عن قواعد السياسة الحرة واقطع هو ورفيقان له في مدينة زوريج من اعمال سويسرا عند ما نُحى عن منصب تدريس حقوق رومية وكان استاذاً له في كلية ليسليك عام ١٨٥١ ولم يتم ان أُعبد كرسي التعليم ثمة واصبح يشغل بتدريس ذلك الدرس نفسه زهاء سنتين . وفي عام ١٨٥٤ انادر سويسرا بدعوة من حكومة بروسيا الى كلية برسلو . وكان يربو دائماً تقدم شيان هذه المملكة ولطالما قال : « ان حياة بروسيا تتوقف كل التوقف على سلوكها سبيل التمدد الذي مهد لها فريدريك الكبير » .

هذا وان بين مومسن وبين ابناء صناعته فرقاً بسيطاً وذلك انه ظل صادقاً مستقيماً حتى نهاية زهو شبابه ولم يكن ليغفل مثلهم بفخخة ما اتاه من امارات النعم ولا عظيمة ما ناله من بوارق التوفيق

\*\*\*

كان بدء احتفاظ مومسن بأفكاره على ما شوهد اشد الاحتفاظ بين سنة ١٨٦٦ و ١٨٧٠ والامر الذي كان يطلبه هو ان تكون المانيا عظيماً سلطانها متبعاً جانبها تقيها بأسمتها العلمية العالم اتخذن بأسره . وبما حكاها : « ان تلك الشؤون السياسية قد شغلت حتى علماء المملكة سنين كثيرة . وهذا وان كان يستند على اسباب مقولة مشروعة غير انه حان زمن الاقدام والرجوع الى الاعمال بعد ما تبينت نتيجة كل شيء . . . » وكان يقول : « من الواجب معالجة يتابع قوى المانيا بالقوة وتوسيع نطاق علوم الالمان وكشف غطاها بالمثل » ولطالما حقر مومسن اولئك المتعصبين الذين كانوا يناهضون الموسويين ابلة ما يمكن تصوره من عبارات التحقير عداً النوع هذه المبارزات الجنسية والدينية من رجوع القهقري لاظم ايام القرون الوسطى واشدها امي وبؤساً . فن ثم ندد ببعض ضعاف الفكر من حدة حزب الوطنيين ميئاً بطلان دعاوي تلك الفئة الواهمة الواهية من ادعوا بان الموسويين عبة كؤد في سبيل تكوين امة قوية المثمة مصونة الحمى وبين بمسندات تاريخية جمعة انهم مستعدون لكل غروب التقدم والارتقاء وانهم على العكس مما يظنون . وانتقد سياسة بسمرك انتقاداً شديداً فخا كنهه الوزير الى الحاكم فحكمت ببراءة ساحته وكان عضواً في مجلس الامة ليس بين المؤرخين من يقاس بمومسن في تحجير الصفحات التاريخية العظيمة او تحجيرها غير ارنست رتان فقط . فذلك التصورات الواسعة واحدة والنسبة فيما بينها واحدة كما ان قوتها في البيان والاداء سواة . اما المهاراة في اشتراب روح الحياة للاشياء كما كانت

باظهار دقائق التفاصيل والتروع الواسعة التي من شأنها ان تبقى في الحافظة منقوشة فواحدة ايضاً في المؤرخين موسن ورنان .

ولما كان موسن ايضاً كسائر مؤرخي الالمان المتفرعين عن نيبور يهتم كثيراً ببناء الامم الشخصية وكيفية نشوئها وانتشارها فانه وجد تاريخ رومية مساعداً كثيراً لابقاء هذا المقصد الذي يتوخاه . ولما حل مسألة الوطنية ووضعها رغب في تعليمها معاصريه وكان مثل هيولت تين يستمد من المختبرات العلمية والمكتشفات الفنية بأجمعها لان تقدم العلم ولما سبما يتعلق منها يعلم الحياة قد ساعد التاريخ كثيراً . فقد تقب موسن اولاً عن بعض ما خصت به ولم يقبل ما في مذهب تين من المادية البحتة بل ولا جميع افكار المؤرخين في هذا الباب ومن جملتها امكان استخراج خصوصيات امم من اخلاقها الخاصة بها بل من الامور التي هي من قبيل الاسباب المادية كالتراب والهواء وغط الغذاء .

وكان نظره مقيماً نحو « الحجرة الابتدائية » للامة الرومانية لانها فقط امكن لرومية ان تحكم ايطاليا فالعالم اجمع . فاجتهد في كشف اسرار الرومانيين وسبب ثلوثهم على الامم القديمة فخذاً ذلك له اساساً متيناً فاذا اراد تحليل فوز الرومانيين وثلثهم يبدأ في اظهار ذكاء هذا الجنس البراق وما فطر عليه من حب الاندفاع والحمل وما يشعر به من تقدس الواجبات والقيام بها حق القيام وهكذا بعد ان تتبع كما رأيت احوال الامة الرومية في سائر مظاهرها ايام كانت عروق الحياة تنبض في جسمها وهو رانغب في ان يجلو تاريخه على هذه الافكار كلها ثم يرفه لناظرين

على هذه الاصول نفسها جرى تين ايضاً في عامة مؤلفاته الانتقادية المهمة ولا سيما تاريخ ادبيات انكلترا . وهذا الاسلوب من جياذ الاساليب غير ان له محذوراً واحداً وهو ان الحوادث تلد طبيعية والرابطة التي في خلالها تأخذ شكلاً منطقياً متسلسلاً بحيث يخيّل ان هذه كلها قد اعدت من ذي قبل والنصر المتوالي الذي بدأ من ابواب رومية ثم وقف في اقصى تخوم العالم المتحدن يشبه مصوراً « خارطة » قد رسمت بداية بدء وعول فيها بعد على ادخالها الى حيز الحمل

فالمرجع نظر الى تاريخ رومية من نقطة سياسية تماماً ويشاهد ما بذله من العناية في جماع مظاهر الحياة القومية للنظرة الاولى . وفصول كتابه في الزراعة والتجارة والصناعة والآداب اجمع ما كتب في مثل هاته الموضوعات حتى الآن . وما كان يرثيه ان السياسة هي ام واسطة لبيان احوال حياة الامم وهي التي تحدث تجديدات وانقلابات في جميع الشؤون

لتتبع التاريخ السياسي وتدقيقه خطتان الاولى : خطة توكفيل الفلسفية وهي صارة

اتخاذ اوضاع الامة وقوانينها المادية والفكرية اساساً ولعمل على كشف اسرار تولدها وتأثيرها  
اكثر من النظر في حوادثها وكائناتها ويصح ان يقال ان هذه الخطة علمية لان الكتاب لا  
يظهر تقوره او ارياحه لحالة سياسية معينة . ومن ثم كان ذلك المؤلف غير بآ لا اثنائياً .  
والثانية تحليل الحوادث التاريخية ببعض افكار تنطبق على آراء سياسية واجتماعية او دينية  
وبها يختلف التاريخ حسب النظر ووجهته .

ولقد وفق مؤرخو الالمان انفسهم في الربع الاول من القرن التاسع عشر من هذا  
الاسلوب التاريخي الذي اتخذه كتاب الانكيز والفرنسيس مثالا يحتذونه . وهذا نيبور  
ورائك المؤرخان الالمان يصفان الوقائع التاريخية ويصورانها دون ان تنتم من تضعيف  
سطورها راحة تحزب او تعصب بآناً .

وفي عام ١٨٥٠ نشأ صنف من المؤرخين على غير تلك الطريقة والسبب في ذلك  
اجتماع طائفة من الاساتذة الافاضل في مؤتمر فرانكفورت واشتغالهم بالسياسة بعض الاشتغال  
حتى اذا ما تقلوا مشاغلم الخارجية الى ارائك تدريسهم اخذوا يضعون موضع المذاكرة  
والبحث هاته الاحوال السياسية الحاضرة التي اورثت المسائل السياسية الغائرة تلك الاطماع  
وذلك هو نتيجة الثورة السياسية سنة ١٨٤٨

وهاهنا مومسن قد حاز الاولوية بين فريق هؤلاء المؤرخين هذا الرجل الذي كان  
يقبل حينما يكتب تاريخه ان تحليلاته تنطق على التجارب الماضية على حين ان القسم الاعظم  
منها كان ناشئاً في الغالب من شعوره الذاتي وتأييداً لاحوال محيطة وقوته الخفية  
زبدة فلسفة تاريخ مومسن « براز في سبيل الحياة » براز دائماً من اجل تكوين جامعة  
سياسية وعلمانية عظيمة قومية . وعنده ان تاريخ رومية يمكن تلخيصه بعدة قن وحروب  
بدأت فيما فوط باعداد الجيوش وسوقها كما بنيت على اساس تجاري ودولة رومية الزراعية  
التجارية التي تحيط بها قبائل الاعداء من كل ناحية وجهة تحارب اولاً صوناً لتجارها من  
ان تبور حتى اذا ما انصبغت السياسة اذ ذاك بصيغة حكومة مطلقة تعمل على التهام ما  
حولها مما لا يزال قنيا .

وكثيراً ما تجد مومسن يرجع الى هذا ناموس حياة الام فيعتبره بمثابة ناموس الثقل  
في موقعه ومساس الحاجة اليه . وكان يقول : « لكان المقصود الاعظم من التاريخ المدنية  
والمدنية تعمل على تشذيب ما ليس فيه قابلية للفكر واستعداد للنشوء من الاغصان كايثيني  
كانت الحرب عبارة عن آلة جسيمة من الاصلاح لانشاء الرقي العام وان سعادة مملكة ليتوقف  
على تبدل مبارزاتها الى حروب ١٠٠٠ »

الا وان فلسفة تاريخ كزدي تناسب جداً حالة — بروسيا — تحارب نفسها بما  
مرات ثلاثاً متتالية وتساعد كثيراً على فهم الرقي والتقدم في ألمانيا أولاً ثم في اوربارا. الم  
اجمع . ومع هذا فالمترجم لا يهتم صوته الى صوت الفيلسوف فيقول : « ان رواد كل  
حرب فكر اخلاقياً والقوة والفضيلة » فلفظان مترادفتان « ولا هو يفتأ من ارباب الاشتغال  
بالاخلاق . وكانت يقول بهذا التاموس التاريخي : « الحق مع القوة والتاريخ يذكر  
في مهب هوائه العاتية الام التي لاصلابه فيها ولا مرونة كسر التولاذ دون ان يشعر  
بأثر رحمة او شفقة مطلقاً »

هذه هي نظرياته التاريخية التي يظل الانسان حائراً حينما يرى انها وامثالها يدافع  
عنها ويحامي في وطن رجل مثل ذلك الفيلسوف كانت . لكن مظهر المانيا عام ١٨٥٠ تقري  
عما كان عليه على عهد الفيلسوفين العظيمين فينيي وكانت . اذ ان نلاحظنا المحدثين اريها  
ان الاحوال والمواقع في تبدل دائم وان قيمة الحقوق نسبية والقابض على ازمته هي « القوة »  
فقط . ذلك هو تاموس الدام الذي ليس في امكاننا معها احسن التقد نقضه او تبديله .  
وانهيك تاموس كانت فلسفة بشارك بأسرها عبارة عنه .

اول درس رغب مومسن في لقائه على مواطنيه وصيته العظيمة : « لا تكونوا بله اغراراً »  
ولقد تحققت أمنية تلك . فان الجنس الذي اوجد بشارك لا يمكن ان ينسب اليه بله او  
غباءة في حال من الاحوال . وان تقدم امة الجرمان ليصادم النظر في اغلب فصول كتابه  
فيينا مويث عن الغاليين مثلاً اذ يشرح في وصفهم بقوله : انهم شعراء اذكياه ذوو قلوب  
صافية سرائرها وليس بهم قوة ولا طاعة غير انهم طائشون يرتاعون من العمل في الحقول  
والمزارع ويرتاحون للحنات والبرودة ويعتبرون قبسهم ايها ومنه يرجون النصح في كل شيء .  
وكان مومسن لا يحب الفرنسيين بة ومن اجل هذا فانه حيا تلك المعركة التي نبت سنة  
١٨٧٠ على انها للالمانيين مخلصاً لم يحررم من داء تقليد فرنسا . وقد بحث في كتاب  
كتبه لارجاع الايطاليين عن فكر اثناهم مع فرنسا في اضمحلال بايل الجديدة « باريز »  
وسقوط اديات فرنسا التي هي اشبه بنهر السين اتساعاً ودناً .

هذا الميل الذي كان يشعر به مومسن نحو بلاده كان يحول في خلال كل سطر من  
تاريخه وفوق ذلك فانه كان يرى العناصر الاخرى بجانب النصر الجرمانى مغطاة جداً .  
ولم يكن يميل للامة اللاتينية وان كان يظهر بذلك احياناً ولم يكن مصدر ذلك حب  
حقيقي وزد على ذلك فانه كان لا يرتاح الى افكار هذه الامة مع ما اوتيه من المواقف  
الطبيعية وما فيه من المبادئ السامية وما أتبع له من معرفة العظلاء وما قاله في ذلك « ان

الاطاليين لا يمكن ان يدخلوا في مصاف الامم التي تلعب في طبائسها الغرائز الذميرية لتقدان تأثر اقتدتهن انما لا تقاس أمة بالايطاليين في البلاغة والفاجات ... »  
 واثق تجد لسانه الجائل في تلك الابحاث وهو يحكم حكماً باناً قاطعاً مرتبطك بفكره  
 وشعوره تمام الارتباط . فهو مثل تين حنو القذة بالقذة لا يعرف عن الاسلوب الذي  
 تمك به قيد شبر . وفيما هو يكتب في التاريخ يبين الآراء ويثبت ما اتى به من نظرياته  
 الخاصة تراه يطرح من الوقائع كل ما يوشك ان يوقع في حذه الآراء والنظريات خلاً ...  
 فهو يريد ان تكون الامة الرومانية سالكة السبيل الذي اختطه لها لتجهد عنه ذات البمين  
 اوقات الشمال . خذ اليك مثلاً دهابه الى ان الدهاء في غير السياسة لاثروا في الرومانيين  
 وجزمه بماذهب اليه جزمًا باناً تجده يميز هذا الحكم باستنتاجات قوية وبراهين جلية مشينة .  
 وان الامان ليرآءون له من جهة الانظام اتم من الرومانيين الذين هم واولئك في السياسات  
 والممارك سواء . وكذلك يشعر المطالع من طرف خفي بمدحه الامان في خلال حطه من  
 العنصر اللاتيني وانه ليفاخر قائلاً : ان القسم الذي وقف سدًا متينًا بكل ما فيه من قوة  
 ورباطة جأش امام هجمات الفول على رومية كان مؤلفًا من جماعة الوطنيين فقط الذين  
 يجري في عروقهم دم الجرمان .

وكذلك جاء الكتاب من اوله الى آخره على هذا المنوال فهو اشبه بقصيدة نظمت للذبح عن  
 المانيا والالمايين . وبعد فليس بالزر التافه القليل الذين استفادوا من تلك الدروس التي  
 القاها مومسن في تاريخه وافادوا بآجمعوا من المؤلفات الجمة في احوال عنصر الجرمان  
 الروحية التي دعت اساتذة التاريخ والجغرافيا واهل الاختصاص في علم الانسان الى ان يبينوا افضل  
 عنصر الجرمان على رؤوس الاشهاد فعلت الفوضاه حتى سيف الكتب الجغرافية المدرسية  
 « بان المانيا قلب اوربا حقيقة وان ما في فرنسا من كل شيء جميل انما هو مدين  
 لعنصر الجرمان ! .. »  
 مربة عن التركية



## المسلمون والذميون والمعاهدون

### الاحساس دليل الحياة

التضامن رائد الامران

(تابع ما قبله)

جاء في عرض كلامي عن الاقباط في الجملة الماضية انهم يعاقبة واعتمدت على المقرري وابن خلدون وسائر المؤرخين . فلم ترق هذه الكلمة في عين حضرة صاحب المجلة القبطية فاندركها وقال انهم ارثوذكس . ولكن رأي المقرري في ذلك يؤيده العلامة القبطي ابن البطريق وقد اعترف حضرته بذلك . فليكن الاقباط ارثوذكس او ملكيين او ملكانيين او نساطرة او كاثوليك او پروتستانت او يعاقبة او وارثة او مرقولية وليقولوا ما شاؤوا في اللاهوت والناسوت والحلول والاتحاد والمثيثة والاقنوم والطبيعة فانما هم مصريون قبل كل شيء . وتلك امور داخلية وعقائد تعبدية ليس لها مساس بموضوعنا الذي نحن فيه اليوم . ولكنني لا اترك هذه الفرصة دين الوقوف معه ومناقشته في قوله ان عددهم كان عند الفتح الاسلامي ثلاثين مليوناً . وغاية ما اقول ان عبارته عليها مسحة من المبالغة الشرقية التي لا مصداق لها سوى الخيال . انا لا احب المناظرة لانني اعتقد ان تولع الشرقيين بها قد اوجب ما نراهم عليه من التقهر والاضطراب . ولكنني لا يعني ان اسر على هذه الكلمة بدون احتجاج ولو كانت من غيره لكانت مما لا يؤبه له ولا يندب به اما وقد صدرت من فاضل مشهور بالتدقيق والتحقيق معروف بسعة الاطلاع وكثرة التقيب فليس له ان يرسل القول جزافاً دون ان يعززه بدليل او شبه دليل .

وقال ابن البطريق القبطي ان القوقس اجتمع مع عمرو بن العاص على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر من اعلاها الى اسفلها من القبط دينارين دينارين على كل نفس شريفهم ووضيهم ممن بلغ الحلم منهم وليس على الشيخ الغافى ولا على الصبي الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا النعش شيء واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة ممن بلغ منهم فكانت جميع من أحصى ستة آلاف الف انسان فكانت فريضتهم اثني عشر ألف ألف دينار وفرض عليهم هذين الدينارين ودفع ذلك عن ارقابهم : الايمان المؤكدة . وقد اجمع المؤرخون من المسلمين وغير المسلمين على ان رجال مصر الباليين لم يذبوا في

ذلك العهد عن ستة ملايين . وليس يصح في الاحلام ان يقال ان النساء والاطفال  
والشيخوخة كان عددهم اربعة وعشرين مليوناً اي اربعة اضعاف هذا العدد . وانا اقول  
ان الاقباط اهل ذمة ووفاء فلا يصح ان يقال انهم دلسوا في الحساب وخافوا في الاحصاء  
فضلاً عن قيام العرب عليهم لان مصلحة الفاتحين كانت تقضي بزيادة عدد الرؤوس لتضعف  
لم الاموال وتبلغ الجزية ستين مليوناً من الدينار بدلاً من اثني عشر الف الف دينار .

فمن اليوم في عصر التور والتحقيق وإحذا لو اتنا رباً بنفوسنا عن تلك المبالغات  
الشرقية . وسعيد بن البطريق هذا هو قبطي مصري قال للمكين انه تولى بطريقاً لأكباط  
فكان في ايامه شقاق كثير وشر متصل بينه وبين شبه ادى بمحمد بن منج صاحب مصر  
الى ارساله لثمن قواده الى نيس فتم على الكنائس وما بها وكان فيها شي كثير من الخنازير  
حتى ان ذبيها وفشتها وزنت بالقيان لكثرتها وعبي القائد جميعها في الاقفاص وتوجه بها الى  
مصر فضى اسقف نيس الى جماعة الكنائس فثولوا لدى الامير واستقر الرأي على اعادة  
كل هذه الخنازير في نظير خمسة آلاف دينار فباعوا من الاوقاف والمقارن التي لا كنائس  
بقيمة المبلغ وحملوه اليه وبلغ الاخشيد ان الاسقف باع الاملاك بدون قيمتها فارسل الى  
نيس وطالب المسترين بفرق الثمن . فلما علموا ان شقايقهم اوجب هذا اصطفاوا واجتمعوا  
في كنيسة واحدة . كان مولده في يوم الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٦٣ وفيه  
اول سنه من خلافة القاهر الباسي حار بطريقاً على اسكندرية وسمي اوتوشوس Butichius  
وذلك في ٨ صفر سنة ٣٢١ وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين ونصفاً ثم اصابه اسهال  
يمصر فحدث انها طمة موته فصار الى كرميه بالاسكندرية واقام به عدة ايام عليلًا ونبت في  
آخر رجب سنة ٣٢٨

والبطريق تعريب لفظ رومي معناه ابو الأسرة اورب البيت قال المسعودي في كتاب  
التنبية والاشراف انه بالرومية بطريار كس تفسيره رئيس الآباء ثم خفف وقدم اسم المسعودي  
والاسلاميون بطريخ ثم بطريق ثم خفف في الاستعمال فصرنا نقول بطرك ونكتبها  
بطريق كما نقول جنبيه ونكتب جنبواى وكانوا يكتبون جنبويه وكما نقول ابشيه وابشاي  
ونكتب ابشواى وكانوا قبلنا يكتبون ابشويه وكما نقول يه ونكتب بك وهكذا . واما  
البطريق فهو تعريب للفظ رومية في Patrice لا Patricien كما جاء في دائرة المعارف  
البيستانية . فان لفظة Patricien هي خاصة بفريق الاعيان عند الرومان اهل رومية  
واما Patrice فهي عنوان على المنقلد بوظيفة كبيرى في الادارة او في العسكرية عند الروم  
اهل القسطنطينية وهم الذين كان لهم العرب اشتباك واختلاط وعندهم عربيا هذه الكلمة

بلفظة بطريق . وان كانت اللفظتان مشتقتين من مادة واحدة نكن الاصطلاح لم يكن واحداً عند الاثنين . فاذا جمعوا اسم اصحاب الوظيفة الدينية قالوا بطارقة واذا جمعوا اسم اصحاب الوظيفة المدنية او العسكرية قالوا البطارقة . وقد يخلطون بينها في الجمع كما قال المستهترون بحقيقة الالفاظ العربية « اسم اعجمي العبد به كيف شئت »

وقد كان ابن البطريق صاحبنا معاصراً للامام المسعودي وصديقاً له وقد اجتمعا معاً بالنسطاط . قال في التنبية والاشراف مانته : « واحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والانباء والامم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين النجفي وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراس المصري بطريق كرمي ماركس بالاسكندرية وقد شاهدناه بفسطاط مصر انتهى بتصنيفه الى خلافة الرازي » . وقد اشتهر بين المسلمين كثير من النصارى بهذا الاسم فاولم ابن بطريق النصراني الذي كان امين سرسلجان بن عبد الملك الخليفة الايوبي بدمشق . كما كان مرجون بن منصور الرزي النصراني امين سر من قبله لثلاث معاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية مروان بن الحكم . وكان في ايام ابي الدوائق المنصور العباسي رجل اسمه البطريق امره بنقل اشياء من الكتب القديمة . واشتهر في ايام المأمون رجل اسمه يحيى بن البطريق كان في جملة الحسن بن سهل وتحت رعايته وكان لا يعرف العربية حتى معرفتها ولا اليونانية وانما كان علياً بالغة اللاتينية وهو من جملة الوفد الذي ارسله المأمون الى ملك الروم عندما غلبه واستظهر طبعه وتوالت بينها المراسلات فكتب اليه المأمون يسأله الاذن في انفاذاً يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم فاجاب الملك الى ذلك بعد امتناع فخرج لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وسلمة (سلم) صاحب بيت الحكمة وغيرهم فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امرهم بنقله فقلل وقيل ان صاحبنا يوحنا بن ماسويه الذي وصف احسن دواء لاجاج المدة كان من جملة ذلك الوفد . وقد نقل ابن البطريق هذا واسم يحيى من مؤلفات ارسطو طاليس الى العربي كتاب الساء والعالم وهو في اربع مقالات وكتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة وغطس جوامع كتابه في النفس واصله في ثلاث مقالات ثم نقل الى العربي ايضاً كتاب البرسام للاسكندروس الطبيب الذي كان قبل جالينوس . وقد ارسله المأمون في مهمة اخرى فيبحث على كتاب لارسطو . وعندني نسخة من كتاب يخط اليد عنوانه كتاب السياسة في تدبير الرياسة المعروف بسر الاسرار وهو من الكتب المشهورة لارسطو وقد ترجمه ابن البطريق هذا الى اللغة العربية واليك ما قاله في مقدمته مخاطباً المأمون :



« بسم الله الرحمن الرحيم » رب يسر

اما بعد اصلى الله امير المؤمنين وابده على حماية الدين والرعاية لاحوال المسلمين فان عبده امثله امره والتزم ما حده عن كتاب السياسة في تدبير الرياسة المعروف بسر الاسرار الذي اتفه الفيلسوف الحكيم الفاضل ارسطوطاليس لتليذه الملك الاعظم الاسكندر المعروف بذى القرنين حين كبر سنه وضعفت قوته عن الفوز معه . وكان الاسكندر قد استوزره واصطفاه لما كان عليه من صحة الرأي واتساع العلم وقوة الفهم وتغرده بالخلال السنية والسياسة المرضية والعلوم الالهية مع التمسك بالورع والنقي والتواضع وحب العدل واظهار الصبر . . . . فلم يدع التزجمان بينى بن الطريق هيكلاً . بن المياكل التي اودعت الحكما فيها اسرارها الا اتاه ولا عظيماً من عظماء الزهبان الذين لطفوا ( انقطعوا ) لمعرفتها الا اتاه وقصده وانتهاه حتى وصل هيكلاً عبدة الشمس الذي كان بناء هرميس الاكبر نفسه فظفر فيه بناسك مترهب ذي علم بارع وفهم ثاقب فتلطف به واستنزله واعمل الحيلة حتى اباح له المصاحف المودعة فيه فوجد في جملتها الكتاب المطلوب الذي كان امره امير المؤمنين بمليه مكتوباً في رق مصبوغ بالزفير بالذهب المحلول منقوشاً بالنقشة البيضاء المحلولة . فرجع الى الحضرة المنصورة ظافراً بالمراد . فحي بعون الله وبسعد امير المؤمنين وجد في ترجمته ونقله من اللسان اليوناني الى اللسان العربي .

انرايت كيف نطرق بنا الحديث والحديث ذو شجون من اين الطريق المصري الى سميه بغدادى الى الخليفة المأمون . وهل علمت ان هذا الخليفة ورد على وادي النيل وكان له في رحلته بها شؤن بالما من شؤن .

ففي سنة ٢١٧ هجرية وقع امران عظيمان اضارب لهما بال المأمون ولم ير في احد من اهله ولا من ذوي عمله الكفاءة لهما فندب نفسه وعزم على الخروج من بغداد . وذلك ان ملك الروم كتب اليه يسأله المودة والمهادنة وبدأ في كتابه بنفسه وكانت قد حصلت بمصر فتنة عظيمة واضطرب امرها . فعزم المأمون على الخروج لنزو ملك الروم ولاصلاح ذات البين بمصر . فامر بعقد الالوية السود وهي شعار بني العباس كما تعلمون (وتقول بهذه المناسبة ان بني العباس كان لم لوآن فالايض يعقدونه لمن يولونه الاعمال والحكومات واما الاسود فهو خاص يعقدونه لولاية العهد على الخلافة ) ثم امر بجمع المسودوم جيوش بني العباس وشعارهم السواد .

وقبل ان اسوق اليكم الحديث عما جمعت من شوارد هذه الرحلة العجيبة اخبركم يا بني امي ويا بني عمي بالمر هو من باب التحصيل الحاصل فانت تعلمون جميعاً ان اهل مصر عمومًا

يهيئون بالبصل غراماً تستوي في ذلك الطائفتان الصغرى والكبرى . بل ان بني اسرائيل حينما هاموا في التيه ولم يجدوا عن البصل من بديل ولم يمتروا له على شبيه حردوا على موسى الكلام . وبما اننا نخصر ركاب المأمون فلا بأس من ذكر نادرة من نوادر الكثرة في اكرامه للعلاء حتى ولو كانوا بمن يأكلون البصل والثوم ويشربون النبيذ ويقرمون لفتنير الحنيد .

فقد كان بلغه قبل ذلك ان الشيخ الجليل كلثوم بن عمرو الثاني قد توفي ثم بلغه انه لا يزال على قيد الحياة وهو من اكابر الشعراء المترسلين وفاضل البلغاء المطبوعين فارسل اليه ليناديه قبل منفره حتى لا تفوته مجالسته اذا مات الرجل وهو في النزاة او في مصر فلما دخل عليه ادناه وقربه حتى قرب منه قبل الثاني يده ثم امره بالجلوس فجلس وكان اسحق ابن ابراهيم الموصل يندب الخلفاء ونادرة الزهراء حاضراً فقال له المأمون : بلنتي وفاتك فساءتني ثم بلنتي وفادتك فسررتني . فقال الثاني : يا امير المؤمنين لو قسمت هاتين الكتبتين على اهل الارض لوسماها فضلاً واناماً وقد خصصتني منها بما لا يتسع له امنية ولا يسقط لسواء امل لانه لا دين الا بك ولا دنيا الا مملك . فقال له : ساني . فقال : يدك بالمطام اطلق من لساني بالسؤال . فوصله صلات سنية وبلغ به من التقديم والاكرام اعلى محل . ثم اقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بلسان ذلي طلق فاستظرفه المأمون واقبل عليه بالمداعبة والمزاح فظن الثاني وكان شيئاً جليلاً نبيلاً انه استغفبه . فقال : يا امير المؤمنين الا يناس قبل الالباس . وهذا مثل مشهور ولكن المأمون اشتبه عليه قول الرجل فنظر الى نديمه اسحاق مستغماً فأومأ اليه وغمزه على معناه حتى فهم . فقال : يا غلام الف دينار . فأتى بالذهب وصبه بين يدي الاديب . ثم اخذوا في المناوذة والحديث وغمز المأمون اسحاق بن ابراهيم الموصل عليه فجعل الثاني لا يأخذ في شيء الا عارضه فيه اسحاق وزاد عليه . وبقي الثاني يزداد عجباً من اسحاق حتى لم يطلق عليه صبراً . فقال : يا امير المؤمنين اتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم . فقال : يا شيخ من انت وما اسمك ؟ قال : انا من الناس واسمي « كل بصل » فنبسم الثاني وقال : اما النسبة فمعرفة واما الاسم فنكر . وما كل بصل من الاسماء ؟ فقال اسحاق : ما اقل اتصافك ! فكبر ان يكون اسمي كل بصل واسمك كل ثوم وكل ثوم من الاسماء ؟ اوليس البصل اطيب من الثوم . فقال كلثوم الثاني : قد درك فما اسمك ! يا امير المؤمنين ما رأيت كاشيح قط . اتأذن لي في صلته بما وصلتني به فقد والله غلبي . فقال المأمون : بل ذلك موفر عليك فخامر له بشله . فقال اسحاق : اما اذا قررت بهذه فتوهمني تجدني . قال : يا اخذك الا الشيخ الذي

ينتهي الينا خبره من العراق ويصرف بابن الموصل . قال : انا حيث ظننت . فاقبل الثاني عليه بالحقية والسلام فقال للمؤمن وقد طال الحديث بينهما : اما اذ قد انقضا علي المودة فانصرفا سالمين .

وخرج المؤمن من بغداد بمحيوشه وجحافله حتى دخل بلاد الروم غازياً لينضم من ملكها الذي قدم نفسه عليه في الحفاطية وهناك ناهت اليه الاخبار باستئصال الثورة في مصر وتعاظم الخطب ونفاذ الامر حتى خرج اهلها من مسلمين واقباط عن طاعة الخليفة لما نابهر على السواد من ظلم عامله عليهم وهو عيسى بن منصور الرافعي . فامتنع المصريون كافة عن وزن الخراج وطردوا العمال . فترك جنوده يلاذ الروم لمحاصرة القلاع وتعيم القزاة . وسأبنيه في طريقه خطوة خطرة واذا كرم فله يلاذنا لغير الاقباط والمسلمين وما ابقاه فيها من المأثر التي طوي ذكرها وطمس خبرها ونموسي امرها الى ان يخرج من وادي النيل مرموقاً بالعيون مشياً بالقلب محموداً من جميع الشعوب

ذهب للمؤمن الى الشام فاشاق للنادمة فطلب رجلاً شامياً لجانسته ومحادثته فادخل له خواصه ادبياً منهم وقالوا له : يا شامي انت داخل على امير المؤمنين فلا تسأله عن شيء حتى يتدبرك فاننا اعرف الناس بمسألتكم يا اهل الشام . فقال لا اتجاوز ارمك . فلما استنداه المؤمن وكان على شفه من الشراب فقال له : اني اردتك لجالسي ومحادثي فقال الشامي : يا امير المؤمنين ان الجليسى اذا كانت ثيابه دون ثياب جلسه دخله لذلك غضاضة فامر له بخلعة . فدخل الذي ادخله غضاضة ورعدة شديدة من هذا التهميم . فلما لبس الشامي الخلعة ورجع الى مجلسه قال يا امير المؤمنين : ان قلبي اذا كانت متعلقاً ببياي لم تنتفع بمجادتي . قال الخليفة : احملا الى منزله خمسين الفا . فقال الشامي ولي طليك يا امير المؤمنين خصلة ثالثة ارجو ان نتم بها ايضاً . قال : وما هي . قال قد دعوت بشيء يحول بين المرو وعقله فان كانت مني حنة فاغفرها . قال : حباً وكرامة . فكانت الثالثة يردا وسلاماً على الذين ادخلوه وعجبوا من حلم المؤمن وكرمه .

وقد اغتم الخليفة فرصة وجوده في الشام لتحيق مقدار السنة الشمسية فرصد ذلك بدار الرصد بدمشق المعروفة بالشماسة وكانت له دار رصد اخرى ببغداد .

فلما كان في دمشق قل المال عنده حتى اضاق فشكا ذلك لاخيه المنعم الذي تولي الخلافة بعده وكان المنعم قد ورده الخبر بان ثلاثين الف الف قد حملت اليه من خراج الاعمال التي يحولها للمؤمن فقال له : يا امير المؤمنين كأنك بالمال قد وافاك بعد جمعة . فلما ورد خرج للمؤمن والقاضي يحيى ووجه خاصته وسائر الناس لاستشراجه لورود الصناديق

محمولة على ابا عمر باحلاس موشاة وجلال مزوقة وعليها شقق الحرير الصيني الاحمر والاخضر والاصفر فكان منظرها يروق العيون ويأخذ بجامع القلوب فضلاً عن العجب بنا عليها من الذهب . فقال المؤمن ليحيى : هل تعلم ان ينصرف اصحابنا هؤلاء خائبين الى منازلهم وتنصرف نحن بهذه الاموال قد غلكتاهما دونهم انا اذا للثام . ثم دنا كاتبه فقال : ووقع لآل فلان بالف الف ولا لآل فلان بثلثها ولا لآل فلان بمخمسة الف وما زال كذلك حتى فرق اربعة وعشرين الفا ورجله في الركاب ثم امر بدفع الباقي ليعتد . وكان رجل من الكتاب حاضراً وهو العيشي صاحب ابني اسحاق النديم فاخذ بنظر المؤمنين ولا يرد طرفه عنه بحيث كان الخليفة لا يحول نظره الى جهة او يلتفت الى شيء الا وقعت عينه عليه فقال لكتابه وقع لهذا بمخمسين الف من الستة آلاف الالف لا يجلس ناظري

ثم اتى مصر فكان كعادته دخل قرية او مدينة ينزل على دكة قد بنيت لاجله ليكون مقامه مرتفعاً عن رطوبة الارض فنضرب له على الدكة قبة بسرادق عظيم وتقيم الصاكر حوله وكان يقيم في القرية يوماً وليلة فجاء عن طريق القرما وفيها حضره الشرع فقال :

لَيْلِكَ كَاتِبٌ بِالْمِيدَانِ اقصر منه بالقرما

غريب سيف قري مصر يقاسي المم والسدما

والسدوم هو المم مع التدم والحزن والعتيظ والميدان موضع يفداد واسم لبلد بكورة سابور من اعمال فارس ولا شك انه تفكر اثنا وجوده بها في فتح قتال السويس الموجود فقد روى ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشطبي ( كذا ) الاندلسي وقيل شهاب الدين احمد المقرئ القاسي في كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان المحفوظ منه نسخ متعددة بكتبة باريس الاهلية انه سعى في توصيل البحر الاحمر ( بحر القلزم ) بالبحر الابيض المتوسط ( بحر الروم ) ولكنهم صرفوه عن هذه العزيمة خوفاً من الروم على مكة والمدينة كما خوفوا عمر بن الخطاب من قبله وهو اول من فكر في ذلك في الاسلام . وصر على دمياط وتزل عند قرية صغيرة اسمها بوره ( وهي التي تنسب اليها العمام البورية والسهمك البوري ) وقد اخلت هذه العمام باندثار القرية ولا يزال السهمك باقياً يستطيعه المصريون الى الآن ) فدخل عليه بكام القبطي من امهلا وكان ذا ثروة واسعة فخطب من المؤمنين بورة فقال له اسلم فتكون مولاي وارليك فقال بكام : لا مبر المؤمنين عشرة آلاف مولى مسلم اذلا يكون له مولى نصراني . فخطب منه المؤمنون وولاه عمالة بورة وما حولها . فبنى الرجل بها كنائس كثيرة حسناً وكان على باب داره المسجد الجامع فقال لاهل بورة من المسلمين انا ابني لكم مسجداً جامعا غير هذا واهدمو هذا المسجد من على باب داري فقالوا له ابن المسجد ونحن نصلي في هذا

حتى اذا فرغت من بيان ذاك صلينا فيه وهدمنا هذا المسجد . فبنى مسجداً كبيراً حسناً فلما فرغ منه قال لم : فوالى بما وعدتوني فقالوا لا يجوز لنا في ديننا ان نهدم مسجداً قد صلينا فيه واذا وجعنا في المسجد على حاله وصار في بورة مسجدان فقام فيها الجمعة فكان السلون يصلون الجمعة في هذا وجمعة في ذاك . وكان 'بكاهم' في يوم الجمعة يلبس السواد شعار بني العباس ويثقله بالسيف والمنطقة ويركب برذوناً وبين يديه اصحابه فاذا بلغ المسجد وقف ودخل خليفته وكان مسلماً فيصلي بالناس ويخطب باسم الخليفة . ثم استمر الخليفة في سيره حتى جاء الى قرية حقيرة فلم ينزل بها وهي طائفة من مديرية الدقهلية وقد حرفنا اسمها تبعاً لاهلها فصار المشهور الآن ( طنامل ) وهما قريتان احدهما شرقية والاخرى غربية وكناتهما تبعدان عن مدينة المنصورة نحو ثلاث ساعات ولم تكن المنصورة موجودة في عهد المأمون لان بناءها كان بعد ذلك في ايام الملك الكامل الايوبي اثناء هجرات الصليبيين على مصر . فلما مر على القرية لم يدخلها لخافتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بتجارة القبطية صاحبة القرية وهي نعيج . فظنها المأمون مستفيضة متقلبة فوقف لها وكان لا يشي ابداً الا والترجمة بين يديه من كل جنس فذكر له ان القبطية قالت : يا امير المؤمنين نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعيرني بذلك . وانا اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بمجلوه في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبى ولا تشمت الاعداء بي . وبكت بكاءً كثيراً ففرق لها المأمون وثني عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله : كم تحتاج من الغنم والدجاج والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوقة وغير ذلك مما جرت به العادة . فاحضر جميع ذلك اليه بزيادة . وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكرم والقاضي احمد بن ابي دؤاد ( ١ ) فاحضرت القبطية لكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ولم تكل احداً منهم ولا من القوادى الى غيره . ثم احضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئاً كثيراً حتى انه استعظم ذلك . فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعهما عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر : قد جاءكم القبطية بهدية الريف : الكناخ والصحناء والصير ( ٢ ) فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب . فاستحسن ذلك وامرها باعادته .

( ١ ) كان خصيصاً بالمأمون حتى شرب الادباه بذلك الامثال قال النجاشي بن خاقان في كتاب مطمح الانفس ومسرح الناس في اداء اهل الاندلس في ترجمة ابي بكر بن العربي عن ابيه ابي محمد ما نصه : واصطفاه معتقد بني عباد اصطفاه المأمون لابن ابي دؤاد

( ٢ ) الطرشى والقرصة والملوحة ؟

فقال لا والله لا افعل . لتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله . فقال : هذه والله اعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت بالامير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحقر بنا فقال : ان في بعض ما صنعت الكفاية ولا نحب الثقل عليك فودي مالك بارك الله فيك فاخذت قطعة من الارض وقالت بالامير المؤمنين هذا ( وأشارت للذهب ) من هذا ( وأشارت للطين ) ثم من ذلك بالامير المؤمنين وعندى من هذا شي كثير فامر به فاخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريبها طائفة مائتي فدان بنير خراج وانصرف متجيباً من كثرة مروءتها وسعة حالها

ثم سار حتى وصل القسطنطين عن طريق المطرية وعين شمس مشعباً في ذلك خط السير الذي اتبعه الجيش الاسلامي مع عمرو بن العاص في ايام الفتح في سنة ٢٠ هجوية فدخل القسطنطين في يوم الجمعة ٩ المحرم سنة ٢٠٧ وكانت قد بنيت له قبة على الجبل القطر فنزل فيها وكانت تسمى قبة الهواء وكان مع المأمون فراشون من التصاري فبعدت عليهم الخدائن التي في القصر فاستأذنوا المأمون في بناء كنيسة يصلون فيها تكون بالقرب من قبة الهواء فاذن لهم فبنوا من فضلات قبة الهواء كنيسة مرتفعة التي في القنطرة وهي التي عرفت في ما بعد بكنيسة الروم

وفي اثناء اقامته في القسطنطين ارسل ملك الثوبة وفدًا الى المأمون ذكروا عنه ان ناساً من مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم لمن جاوهم من اهل اسوان وانما ضياعه والقوم عبيده ولا املاك لهم وانما تملكهم على هذه تملك المبيد العاملين فيها فحول المأمون على عامله باسوان تحقيق هذه المسألة وامره بالاستئناس بملومات من بها من الشيوخ واهل العلم فوصل اخبر الى اهل اسوان الذين اشتروا تلك الضياع وعلموا ان عدل المأمون سينزعها من ايديهم ويردها على صاحبها فاعملوا الحيلة حتى لا يضيع عليهم الثمن الذي دفعوه وتذهب عليهم الاعيان التي تملكوها فتقدموا الى الباشين من اهل الثوبة وانفقوا معهم على انهم اذا احضروا الحاكم المولى من قبل المأمون يقولون بانهم ليسوا عبيداً لملك الثوبة وان يقولوا بحضرتهم وبحضرة الشيوخ والشهود والعدول : سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم . يجب علينا طاعته وترك المخالفة له فان كنتم انتم عبيداً لملككم واموالكم له فحقن كذلك . فلما جمع حاكم اسوان بين الباشين وبين رسول ملك الثوبة والنائب عنه في هذه القضية الضخمة اعتمدوا على هذه الحجج ونحوها مما لقنوها لم اصحاب الحظ والمصلحة في ثبوت البيع وتقاذه فصح البيع لعدم اقترانهم بالرق للملكية .

هذا وقد انشأ المأمون اثناء مقامه ببحر جسرًا ( كوبريا ) يصل بين مصر القديمة

وعين جزيرة الروضة وانتقل الى النيل فاعجبت هذه الجزيرة فبنى بها جامعا ومقياسا كما ذكره عبد الرشيد صالح بن نوري الباكوبي المولود في مدينة باكو من بلاد روسيا وهو من اعيان القرن التاسع هجرة في كتابه المسمى بتلخيص الآثار في عجائب الاقطار المحفوظ منه نسخة في مكتبة باريس الاهلية . ولم يتم هذا المقياس في ايام المأمون فاقمه المتوكل العباسي وهو الباقي الى اليوم . وقد كان القبط يتولون مقياس النيل الى ايام المتوكل في سنة ٢٤٧ قولا للمسلمين بعد تمام مقياس الروضة واوهم ابو الرداد الملع الذي كان مؤذنا في جامع عمرو ويعل البيان القرآن واستمرت هذه الوظيفة في ذريته حتى سنة ٩٢٨ . ويقول للموكلون به في ايامنا هذه انهم من عقبه .

ثم عدى المأمون الى بر الجزيرة وذهب الى الاهرام . قال شيخ الزبوة الصوفي الدمشقي في كتاب نخبه الدهر في عجائب البر والبحر المطبوع في بطرسبورج ما نصه : ولم تزل مهم المتوكل قصرة عن تصرف ما في هذين الهرمين الى ان ولي المأمون الخلافة وورد مصر فامر بفتح واحد فتح بعد عتاء طويل وانفق له لعمدة المعين على تحصيل عرضه ان فتح في مكان يملك منه الى الفرض المطلوب فانتهى بهم الطريق الى موضع مربع في وسطه حوض من رخام منقش فلا كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه الارمة بالية قد انت عليها العصور الخالية فامر المأمون بذلك عا سواه . وباليك لو كان امر بفتح هرمين او ثلاثة من الاهرام الصغار المشوثة غيرها لكي يبين الامر جليا له والناس .

وروى القرطبي عن صاحب تحفة الالباب ان المأمون اصعد بعضهم لتعرف ما بداخله وبعضهم ثمره من الخارج .

فانقض الذين صعدوا الى القبة التي في اعلى الهرم من الداخل الى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر اخضر كالدهج فاخرجت الى المأمون فاذا في مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من الذهب مزين بانواع الجواهر وعليه حلة من ذهب قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وكان على هذه الموميا طلاء بتقدار شبر من المر والصبر وعلى صدره نعل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت احمر كبيضة الدجاجة يضيء ككهرب النار فاخذ المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب . وقال كثير من المؤرخين ان هذا التمثال الاخضر لم يزل معلقا عند ديار الملك بمدينة مصر الى سنة ٦١١ هجرية

واما الذين صعدوا فوقه فقد انتهوا الى قمته بعد ثلاث ساعات فوجدوا رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال . وجاء على امر امير المؤمنين ارسلا الى اسفله جبلا فكان طوله الف ذراع بالذراع اللكي وهو ذراع وخمسان .

وقد قاس المأمون تريع المرم فكان اربمائه ذراع في مثلها . ولقد اجمع مؤرخو العرب على ان المأمون توصل الى فتح هذا القنب الموجود الى يومنا هذا بعد جهد شديد وعناء طويل فكان بداخله مهاوي ومراقي يهول امرها ويمسر السلوك فيها وان النفقة التي تنبه كانت عظيمة والمؤونة شديدة .

هذه هي الحقيقة التاريخية مجردة من المبالغات الشرقية . ولما كان امر الاهرام قد بقي مكتوماً على الخاص والعام حتى فتحه المأمون فلا غرابة اذا رأينا اهل الشرق وهم مغرمين بالاهام شطرواع تيار الخيال فلقوا على ذلك اقايص واساطير ما اتزل الله بيا من سلطان ولكنها لعمري الحق فيها عبرة بالفة بحكمة كبيرة لقوم يفقهون . ذلك ان كتاب العرب ارشدوا ارباب الالباب الى ان السعيد بن السعيد هو الذي يتوصل لاشور على ما يوازي نفقته عند طلبه الكنوز والدفائن ولذلك قالوا بان المأمون وجد وراء الباب خوف من حجر مغنى بلوح من رخام وهو مملوء بالذهب وقالوا ان المأمون امر بحجبان ما صرف على القنب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص .

ولعل هذا الرمز البديع يكون راجعاً لمن يتفق العمر والمال في طلب الدفائن وانكرو المطالب والغبايا فليس لكل الناس سعد كسعد المأمون وقد رأيتهم جميعاً يعودون بصفحة المنبون فلمعهم بعد هذا البيان يفكرون ويتدبرون ويسعون لاكتساب المال من طريقه المشروع وسيله المأمون .

ثم توجه المأمون الى الصعيد فاحل ركابه بنف حضرة الشعر في الحال فقال على سبيل الارتجال:

سألت اطلال مصر عن عين شمس ومنف  
فا احارت جواباً ولا اجابت بحرف  
وسيف السكوت جواب لذي القنطرة بكفي

ثم استمر في سيره حتى وصل الى مدينة قط من اعمال الصعيد بمديرية قنا . ومن لحظة قط اشتق اسم القبط . ومنه اخذ الروم لفظة اميكتوس للدلالة على مصر والمصريين





## اتقاء الشقاء

نشر المسيونوفسكوف العالم الاجتماعي الروسي هذا الشهر كتاباً سماه «الظواهر الاقتصادية الطبيعية ومسألة شقاء الناس» قال في بعض فصوله ان امر بؤس البائسين وعلى الموسرين قد شغل بال كثيرين وفي من المسائل المعقدة ذات الاطراف والتضاعيف . فيرى بعضهم ان الشقاء من الامور الطبيعية كالتباينات والزلازل وقلة الامطار وان من يحاول ابطاله من العالم كالذي يتخيل ان يجري انهاراً من اللبن ويفرس اشجاراً تأثني بارغفة من العجين مخبوزة . ومنهم من يقول انه ليس ثمة شقاء على حين ثبت الاحصائيات ان تسعة اعشار الناس لا يأكلون عند ما يطلب معدم الاكل او هم قراء مقتر عليهم في ارزاقهم ويرى بعض ارباب الاديان ان الشقاء امر نفعي به المثيثة الربانية ولكنهم لم يستطيعوا ان يدعوا ان الشقاء حسنة من الحسنات لثلاثا ينسبوا الى المولى تعالى الظلم لعباده بل انهم وقفوا عند حد الجنات التي وعد بها البائسون وان العالم دار محن واكدار وغربة لا دار قرار وراحة وان الحياة الحقيقية السعيدة يتمتع بها المرء بعد وفاته . بيد ان كثيرين من رجال الدين وان قالوا بان الشقاء مما يثاب عليه صاحبه الا انهم ينعون ويفترون يا كلوف الاطياب ويسكنون القصور ويلبسون الوشي والديباچ ولذلك ما قطن منع رجال الدين الناس عن السعي في الخلاص من محلب الشقاء وتجسسين معاشهم وتكثير ارزاقهم . وارى ان الاتقع ان يقضي المرء حياته في هذه الدنيا في رفاهة لان ذلك لا ينفعه من مآسة الفضائل ثم اذا كتبت له الجنة يذهب اليها ويتمتع بها وعد فيها من النعم وهذا خير له من ان يعيش في دنياه شقياً لينعم بالله في الآخرة ولكن من لا يقولون بخلود النفس وعددهم آخذ بالنمو يرون هذه الفلسفة خيالية

ويرى بعضهم ان الشقاء آت من استئثار بعض اشخاص باموال طائفة وحرمان الفقير منها وانه لو كفت ايدي الاغنياء عن احتكار القسم الاعظم من الثروة ولم يحرم منها السواد الاعظم بل قسمت بينه قسمة عادلة لاصبح الناس كلهم في سعة وفارق الشقاء بني آدم آخر الدهر . وليس احتكار اولئك الافراد لثروة المجموع هو الحل الوحيد لهذه المعضلة بل ان الفقر ناشيء على الارض من قلة الارزاق اللازمة للحياة واذا كانت هذه القلة ناشئة من اسباب المحيط والبيئة يصح ان يقال ان البشر في شقاء لانهم لم يحسنوا استخدام الارض وتسخيرها لحاجياتهم .

لا يطل البؤس بتقسيم الاموال عى السوية وذلك لان تلك الاموال غير كافية لرفع

الثقافة كما علم بالاقتصاد فقد تبين بأنه اذا حجزت جميع الارباح والمداخيل التي تزيد عن خمسة آلاف ليرة لتوزع على من تقل مداخيلهم عن هذه القيمة لا تزيد مداخيلهم اكثر من ١٢ في المئة عما هي عليه الآن ولذلك اقتضى زيادة الثروة عشرة اضعاف ما هي عليه اليوم لانقاذ البائسين من يؤسهم ونحسهم . ولعمري اي رفاهية بنالها العامل الذي يرتفع الآن ثمانية قروش في يومه اذا صار يربح تسعة وهل هذا القروش يكون مرفهًا من اهل الطبقة الوسطى ؟ وبعد فلا سبيل الى حل المسألة الاجتماعية الا بزيادة الارباح الثا في المئة . والسبب الثاني في ستوط دعوى من يدعون بان في تقسيم ثروة الاغنياء تفرغًا كثرية البائسين ان ثروة الاغنياء ليست بجمراً لا تنضب وبراً لا حد له فلو فرضنا ان مورغان المثري الاميركي له دخل سنوي قدره ٨٣ مليون فرنك ووزعه على اهل الولايات المتحدة لما اصاب الفرد سوى فرنك على ان هذا الغني لا يتأني له ان يوزع على اهل بلاده هذا القدر من الملايين اذا صودرت امواله في السنة السابقة . وهكذا العمل بجميع الثروة فانها اذا اجتزت دفعة واحدة روزعت دفعة واحدة لا يكون منها دواء ممكن لهذا الجرح المؤلماً موقناً لما عرف من ان مطالب الحياة غير متناهية وغنى يوم لا يعد غنى لا يام .

ويغلط الاشتراكيون في خلطهم بين الثروة والمال وما الثروة الا نتيجة لتغيير المحيط بان يقوم عمل الانسان على قاعدة معقولة . وجهور الناس يخطئون في تصورهم الثروة فانها ليرات وجنيتات موضوعة في صناديق ارباب المال فكما ان هذه النقود لا تحتاج الى التجديد كل سنة وكما انها كية معروفة لا يمكن زيادتها يتوم الناس ان الثروة كذلك وانها اذا حصلت في اليد تبقى ابد الدهر . الثروة مؤلفة من بعض الوجوه من مجموع الغلات التي جعلت في الاسواق وينبغي ان تستخرج على الدوام من المحيط الطبيعي . لنفرض ان محصول القطن في سنة بلغ ١٢ مليار كيلو وان هذه الكية تسد حاجة الشرفليس هذا بشيء بل يقتضي ان تقل السنة التالية مثل هذه الكية لان محصول السنة السابقة قد استهلك وغني ولنفرض بان في الامكان توزيع الغلات على مساواة ثلاث السنة السابقة فان مسألة الثروة العامة لا نحل ايضاً اذ يلزم اعداد كية مثلها للسنة التالية ولكن اذا لم يجر تقسيم السنة الماضية بحسب اذق قواعد المدل ومن غير اقل شدة ثقل غلة السنة التالية ويعود الثقافة فيبيدي نواجهه

وما المسألة في الحقيقة متوقفة على توزيع الاموال بين الناس بل ان المسألة آتية من عدم كفاية ما نتج الارض من الضرورات ولو غلت ما يسد عوز الناس لما عادت الغلات تساوي شيئاً بل تصبح اذ ذاك كالماء في الانهار والحصى في شواطئ البحر . وعلى ذلك

فالواجب ان نحسب ما ينبغي لنا من 'بر' وارز ولم وقطن وغير ذلك لنضع ميزانية مدققة لموارد البشر وهنا لا يتيسر الآن في دور القوصى والطفولة الذي نحن فيه . ويؤخذ من احداث الاحصاءات ان غلة اخنطة سنة ١٩٠٧ بلغت ١٠٨٦ مليون هكتولتر موزونها ٨٧ مليار كيلو اذا فرضنا ان في كل هكتولتر ٨٠ غراماً . فلوفرشنا ان كل انسان يحتاج لغذائه الى مائتي كيلو في السنة لا تقضى لنا ثلثاثة مليار كيلو في السنة . وبهذا ترى ان غلة اخنطة اقل مما يلزم بثلاثة اضعاف . ولملك نقول ان بعض الشعوب تلتذى بالجوادار والذرة والارز والانيوك الشجيرة في اميركا يستخرج من جذعها دقيق مفيد والموز وغيره ولكن تلك الشعوب لم تيسر لها الخطة ما اتخذت عنها بدلاً ولو اعتبرنا شعوب اوربا واميركا وحدها وم نحو ستائة مليون نسمة لا تقضى لهم على هذا المعدل ١٢٠ مليار كيلو مع ان محصول الخنطة في العالم ٨٧ وهكذا في سائر لوازم الحياة فالسكر مثلاً لا يحصل منه الا نحو ١٢ مليون كيلو في السنة ويقضي ٥٠ كيلو غراماً في السنة لكل انسان تمكنه حالته من استعماله اي انه يقضي للبشر ٢٥ مليار كيلو منها لاوروبا وحدها ٣٠ ملياراً . فالدينا من السكر لا يكفي سدس البشر لذا حسبنا مجموعهم واذا حسبنا اهل اوربا فنصدم ثلث ما يلزمهم منه ثم ان محصول القطن في العالم اربعة مليارات كيلو . فيجد من مليار وخمسمائة مليون نسمة وهم سكان الارض خمسمائة مليون مكتسبون كسوة تامة و ٧٥٠ مليوناً نصف كسوة و ٢٥٠ مليوناً عراة بالمرءة . ولكي نكسو البشر عامة يقضي تسعة ارات وخمسمائة مليون كيلو من القطن . ومتى تأملنا ان القطن لا يستعمل فقط في الازابل انه يدخل في الف صنف من الحاجيات المنزلية والصناعية يسوغ لنا ان نحكم بان محصوله غير كاف وربما لا يبلغ ثلث ما ينبغي لنا منه . وهكذا لو نظرنا في جميع المواد اللازمة لجاء الحساب يثل هذه النتيجة

وتدل الاحصاءات ان ٤٠١ من كل الف الماني يرجع الفرد منهم ٢٠٦ فرنكا في السنة و ٥٣٨٨ يرجعون ٣٤٥ فرنكا و ٤٨ يرجعون ١١٢٠ فرنكا و ١٣ يرجعون زهاء ٣٤٧٦ و ٩٣ في المئة من التساويين يرجعون اقل من ١٢٦٦ فرنكا في السنة . ويبلغ معدل ميزانية الاسرة الموسع عليها في زوجها ١١٥٠ فرنكا في السنة هذا واوروبا بالنسبة لسائر الكرة تعد غنية فقد حسبوا دخل الهندي فكان سبعة متنيات في اليوم على حين يحتاج الى مائتي فرنك لمعيشه في السنة على اقل تعديل وهو لا يرجع فيها الا ٢٣ والحال في الصين اتعس وانحس فلرعد لنا بين ثروة الفرد في البلاد الغنية كالولايات المتحدة مثلاً والبلاد الفقيرة كالصين والهند لا يعيب الاسرة اكثر من الف فرنك وهذا القدر على قلته في عصر مثل هذا العصر

يصعب نيله ولو كان لكل أسرة الف فرنك في السنة وهو بعيد الحصول لما ساع لها ان تأكل ما ينفذها فقط دع عنك بقية لوازم الحياة .

وقد انتهت بنا الحال ان صرنا نعد الهواء في هذا العصر اذا كان مباحاً من النعم وكذلك الماء بعد ان اصبح ١٢ مليون كيلومتر مربع من ارض ثلاثة وثلاثين مليوناً محرومة في اوربا من الهواء واصبحت تباع زجاجة الماء القراح في كوكلاردي من اوستراليا الغريبة في اول ابام تعدين نتائج الذهب بسبعين سنتياً واصبح الماء العذب في باكو على ضفاف بحر الخزر مما يفاخر به وبعد من دواعي الرغامية . وليست الانسانية سعيدة بما كانتها ايضا فالرومي يسكن في كوخ مغلق بالتش اخيق من الخوص القطا ولواقضى له ان يبدل هذا المسكن بمسكن مغلق بالقرميد مصنوعاً بالحديد لوجب على روسيا صرف ستة عشر ملياراً من الفرنكات وهذا لا يتيسر الا بعد ان تمر الاجيال اثر الاجيال

وبعد فليس الشتاء حادثاً من قلة موارد الارض ولو كان كذلك لما تطالت تقوسنا الى اغلاص منه وكان علينا كالموت قدراً مقدوراً ولكن الارض اذا حسن استغلالها تعطينا عشرة اضعاف ما تعطينا الآن ويميش الناس في بلهنية وسعادة فان موارد هذه الكرة لاحد لما اذا عملنا لها عملاً كما قال لي اليزه ركوس الجغرافي الفرنسي الكبير . فلو انقست الطرق الزراعية باستعمال الاسمدة الكيماوية وتطبيق الزراعة على العلم اي بقيا الاراضي الجافة المياه وتخصيب الاراضي المنحورة بها لانت الارض من التلثات والثرات ما تعدد معه غلات اليوم وثمراته مخفكة من حيث كيتها . هذا وفي الارض منابع للثروة غير ما ذكرنا ففيها معادن لم تمسها يد بشر . وانك تجد في جبال الاورال بروسيا من المعادن كيات وافرة لم يتم في فكر احد ان يستخرجها ومثل ذلك في افريقية واميركا بحيث يصح ان نقول ان ما استخرج من ركار الارض ومناجها اقل بقليل مما لم يزل مدفوناً سيف صدرها وبطنها فغن لنا في شقاء الاسود تصرفنا في استخراج خيرات الارض والارتفاع بنعم السماء لان طوبقتنا في اعمالنا ليست مواظقة لمصلحتنا ومعنى تعلمنا معرفة تطبيق اعمالنا على المصلحة الحقيقية فالشتاء يرحل عن هذه الكرة

واذا نظرنا الى حقيقة الشتاء تراه الآن يرجع الى ثلاثة اصول رئيسة وهي المصائب الطبيعية والفساد والاحوال الاجتماعية فالاولى وهي من الفرق والشرق والحرق والزلازل والتجارب بركان والمرت يمكن تلافي خطرهما باقتصاد كل فرد عشرة او عشرين في المئة من دخله بدخرا لحين الحاجة وبذلك ان لم يرفع عنه ثقل المصيبة فانه يجتنبها على الاقل ويأمن تغييرات الفلك ويسوء الطالع . والفساد يمكن تلافيه ايضاً كتلافي المصائب الطبيعية بان

يزيد الصالح سيفه ثملة قليلاً ويفتق ما يفيض منه على أخيه . فرفع المصائب وتخفيف  
ويلات القصاد هو إذاً مناط بكثرة الانتاج

وما الخطأ الذي يحول دون الانتفاع بثمرات الارض وثروتها الا ناهية عما يذهب اليه  
اكثر الناس من انه لا يقتني مئتين بسرعة الا اذا طالت يده لسلب مال أخيه لا بان  
يعمل هو بنفسه . وهذا الفكر هو الذي جعل السرقة والنش والصوصية والتعدي والامتياز  
وبعبارة اوجز جعل الاختلاس قائماً لمن يأتيه . فاذا قدر للانسانية ان تنجو من هذا الخطأ  
القاصح فالرافية العامة مضمونة للكافة . وما دام البشر ينظرون الى الاختلاس على ضرره  
بانه تافه فسوف يبقون في شقاء وعلى العكس يكونون انبياء سعداء متى اعتبروا الاختلاس  
ضاراً ومتى زاد التناسب بين المخلوقات والوسط تسعد الحياة ومتى قلّ تشق وتضعف واذا  
بلغ فقدان التناسب حده اورث الحياة ضعفاً تاماً اي موتاً . والتناسب بين المخلوقات  
والمحيط من حيث علم النفس هو الحقيقة وعدم التناسب هو الخطأ . ومن هنا كانت الحقيقة  
مولدة للاستمتاع والخطأ آتياً بالتألم فالخطأ هو مثل مرض عقلي وتنتجته بالطبع ضعف  
التركيب النامي افرادياً كان او اجماعياً قال يوهن « اليس الذكاء الانساني الذي يراه  
كثيرون حاسة من شأنها الاحاطة بالامور هو الاخرى بان يكون قوة الكفاءة في ادراك  
الحقائق » وذلك لان الحيوانات تعرف اموراً قليلة ولكنها تسقط في امور اقل منا فهي  
نفوقنا على ما فينا من ذكاء لا ناعاشر البشر نعرف اموراً كثيرة ولكننا نخترع نظريات  
كثيرة حشوها بالخطأ والخلط . فحالة الانسان من بعض الوجوه انفس من حال الحيوان  
لان المصائب الناتجة من سوء تأويل الحوادث اعظم من المصائب التي يكون منشأها الجبل  
مباشرة فكما ان الصحة والمرض امران متوازيان متعاكسان في هذه الحياة يسيران كنهدين  
يزيجان مياههما بعضهما بعض هكذا الحياة الطبيعية تمشي مع الحقيقة والباطل كتفاً الى كتف  
منذ قرون وسنين وسوف تسير كذلك الى آخر الازمان

والخطأ الاساسي في الاقتصاد ان فكر الاختلاس والنفع المرجومته هو في الحقيقة روح  
الشر ويحول دون سعادة البشر فاذا تمكنا من شفاء نفوسنا من هذا المرض العقلي فالسألة  
الاجتماعية تقل لساعتها . ودواء الباطل بالدعوة الى الحق . فالباطل يشقى لانا نرى به  
جزءاً يصح كل يوم بفضل انتشار العلم فلا ينبغي اليأس من القضاء عليه ولا بد من ان  
يأتي يوم تغلب فيه الحقائق الاقتصادية على الناس ويرون الاختلاس ضاراً فيجدل الشقاء  
ابد الدهر .

## المنازل الرخيصة في الغرب (١)

قال اللورد روزبري : ان من يعمل لما فيه انفس تلك الجماعات من الناس الذين قضى عليهم ان تصفر وجوههم وتذلل نفوسهم وتخط مداركهم في المساكن القذرة التي ينزلونها هو بلا شك عامل على ما فيه نفع الجنس البشري عامة

ولقد نشأت الفكرة الاولى لانشاء بيوت لعملة حوالى سنة ١٨١٠ وزادت حركتها سنة ١٨٣٥ وذلك على يد شركات المناجم بين الممدود الفرنسية والبلجيكية واحتذى احد ارباب المعامل الالمانية سنة ١٨٣٥ حذو الشركات الفرنسية فانشأ في مولوس احدى مدن المانيا مسكناً كبيراً في حديقة تشغل على ٣٦ منزلاً فتم عمله على احسن الاساليب والتقى به كثير من اهل المقاطعات في الشرق والشمال من فرنسا

وفي سنة ١٨٥١ توسع احد الفرنسيين في هذا الفكر وانشأ شركة عمرت لالف ومائتي اسرة الفاً ومائتي مسكن منفرد بعضها عن بعض ولكل منها حديقة يصبح ساكنها ملائكاً لها وللنزل بعد مدة يدفع ثمنها على نجوم مقررة

وبدأت انكثرت في سنتي ١٨٤١ و ١٨٤٨ بالاعتداء بالفرنسيين والالمان في هذا السبيل وانشأت احدى شركات فرنسا مساكن طيبة لعملة كل منها مؤلف من حديقة وطبقة ارضية ومغليخ وغرفتين وفي الطبقة الثانية ثلاث غرف وبيت مؤونة وقبو ولم يكلف المسكن اكثر من ٢٩٣ جنياً يضاف الى ذلك ثمن الارض التي لم يكلف متروها اكثر من خمسة الى ستة فرنكات وجملت ايجارها الحقيقي كل سنة ٢٣٠ فرنكاً اي اقل من فرنك كل يوم عن مسكن يؤوي عائلة مؤلفة من خمسة الى ستة اشخاص واذا اراد الساكن ان يملك المسكن في خمس وعشرين سنة يجب عليه ان يؤدي زيادة عن الاجرة ١٦٩ فرنكاً فاذا كان الساكن من العملة الذين يربحون في الساعة من ٦٠ الى ٨ سنتياً اي لا اقل من ستة فرنكات في اليوم يتأق له ان يسكن في مثل هذه الدار ويملكها بعد ذلك ان اراد بتوفير شيء قليل من نفقاته

وكانت هذه البيوت في ضاحية باريز ولما ارتفعت اسعار الاراضي هناك احبت الشركات ان تعتمد عن المصانة اكثر فأصبحت تبني بيوتاً لا يكلف الواحد منها اكثر من خمسة آلاف فرنك . كما انشأت ايضاً بيوتاً لم تكلفها اكثر من ٣٣٠٠ فرنك وبيوتاً لم تكلفها

(١) ملخصة من كتاب المساكن الرخيصة لجن لادور من المجلد فرنسا وقد

طبع حديثاً

أكثر من ٢٨٠٠ جملة إيجار الأخيرة منها ١٤٠ فرنكا في السنة وفيها معظم ما يحتاج اليه من النور والطبخ والانيار وحديقة لطيفة .

وانشأ الانكليزيون رخيصة في جنوبي لندن كما انشؤا منذ سنة ١٨٦٧ سيف شماليا انكثرا في بعض المدن الصناعية يوتا يقل ثمن الواحد منها عن ستة آلاف فرنك جعلوها درجات فالدرجة الاولى لا يتجاوز اجرتها في اليوم فرنكين وهكذا الى الدرجة الخامسة . وسكان هذه البيوت او مستأجرها لا يقضون في يومهم أكثر من عشرة فرنكات ولا اقل من سبعة . واقيم في وسط تلك الحدائق التي انشئت البيوت عليها متنزه عام تكون فيه الاجتماعات وتقام فيه الشعار الدينية وخصص محل منه للسماع والمراقص والمجامع وفي جانب ذلك خزانة كتب عامة وغرفة كبرى للمطالعة وغرفة للعب « البلياردو » . وحذا حذو هذه الشركات كثير غيرها في جميع الاقطار الانكليزية وبعضها يدفع نحو خمسة في المائة فائدة الاموال التي يستقدمها في هذا السبيل . قال اللورد بيكنستيل سنة ١٨٧٤ عند ما رأى حيا من تلك الاحياء التي انشأتها إحدى الشركات ليقم فيها العملة : « اني لم اشعر في حياتي بدهشة اشد من دهشة عرتني عند ما زرت هذه المدينة المغمى ( شافنيسبورخ بارك ) وقد تجلى لنا ظري نجاح ما كنيها الذي هو ولا شك ضمان لارتفاع الامة . ولطالما جال في خاطري ان لا شيء يحمي المدينة مثل البيت فهو مدرسة جماع الفضائل الالهية وبدون مسكن لطيف الباطن يتعذر عليها في الحقيقة الوصول الى هذه الفضائل »

وكان يقتصر في امثال تلك المساكن سابقا على الضروري من الحجرات ويعني باسباب الراحة فقط اما الآن فقد ارتفعت الحال في تلك الشركات شأن كل حي في الوجود نصارت لا تقتصر في بانها على الضروري بعض الشيء بل رأيت التأنيق والزخرف لازم لحياة الساكنين ايضا .

جرت عادة بعض السكك الحديدية او التراموايات في اوربا ان تسقط كثيرا من اجورها لمن يشترك بها من العملة لان الصور الرخيصة التي بنيت لم تكون في الغالب بميدة عن المدن الكبرى وحالتهم المالية لا تساعد على اداء اجورها كسائر الناس فكان من شركات تلك البيوت ان عقدت مع ادارات السكك الحديدية مقاولات لمراعاة الساكنين في بيوتها مراعاة لا تكاد تصدق -

ومن لم تساعد حالم من العملة والفقراء في الغرب للاعتماد عن المدن كثيرا فقد جعلوا لهم مساكن متلاصقة بعضها ببعض . وكل ساكن حر في منزله وفيه يجد ما يلزم للبيوت فيتيسر بذلك الساكن ان يبيع نصف الثمار الى يثته ليتناول الطعام مع اهله

وفي ذلك من ان قنصاد ما فيه اذ يمنع رب الاسرة عن التعاطب الى الطعام او الخانات وكلها مما تضر بهئته وكيسه مما وبذلك لا يصعب عليه ان يدفع اجرة انثى من الاجرة التي يدفعها البعيد عن مسكنه . وقد استشرت شركات عظمى غنية في لندن منذ سنة ١٨٤٥ وكثرت في المدن البريطانية ورأس مال كل شركة من هذه الشركات لا يقل عن مليون جنيه وتدعى امثال هذه الدور « دور الككن » ( القشلاقات ) وهي ابنة عظمى ذات خمس طبقات كل طبقة منفرد بعضها عن بعض يفصل بينها فناء متسع يلعب فيه الاولاد وقد قُتحت فرج في الادراج وجلت في بعضها بحرات ومنافذ يدخل اليها النور والهواء . فيها دهايز مظلمة وهي على غاية النظافة على انواعها مستوفاة شروط الصحة كل الاستعداد . ومعدل اجرة مسكن ذي ثلاث غرف في مثل هذه المساكن هو ٤٠٠ فرنك . واجرة الغرفة الواحدة نحو ١٢٧ فرنكاً ومعدل اجرة من يسكنون في امثال هذه المنازل ستة فرنكات في النهار يدفعون اجورها صباح كل اثنين من كل اسبوع . وتساءل الشركة عن سلوك من يريد السكنى في بيوتها وعن مملكتها وذهمت في اداء الحقوق وهي تؤثر الاسرة التي لها اولاد على غيرها على حين ان اكثر المؤجرين لا يرضون ان يكرؤا بيوتهم لمن اكثر اولادهم فكان ذلك في فرنسا من جملة الاسباب في قلة النسل فيها

وقد اوصى المستر بابودي الاميركي سنة ١٨٦٢ باثني عشر مليون فرنك لانشاء دور من هذا النوع في وسط مدينة لندن ينفق ريعها كل سنة لانشاء بيوت جديدة وقال في وصيته انه بعد انقضاء قرن يكون الريع السنوي الناتج من الايجارات قد بلغ مبلغاً عظيماً فلا يكون في لندن عامل فقير واحد لا يحصل على مسكن موافق صحي له ولا سرته باجرة تناسب ما يقبضه

ولم ينزل كما قال الخبيريون معدل الفائدة بعد مرور مائة سنة على موت هذا الكرم الجاوز ما جابهه مليارين واسكن ٣٥٠ الف أسرة . وقد ظهر بالاحصاء ان الوفيات ولا سيما وفيات الاطفال تقل في بيوت المحسن بابودي اكثر من غيرها ولن المواليد فيها اكثر وان مساكنه كان لها تأثير حسن في الصحة

والغالب ان هذه المساكن ناجحة في اتكثرت اكثر من غيرها من البلاد الاخرى وفي مثل هذه البيوت بقليل من الدكاء والممل يمكن للام التي تقول عن نفسها انها متمدنة وانها تثقي ذاك الجذام الخبيث من المساكن الضيقة التي تموت فيها الصحة وتنفى القوى بما يجيئ من روائحها الخبيثة وما يتزاحم فيها من الاقدام والانتفاش وما يعلى عليها من الوحشة والبؤسة وما تكون سبباً له من الامراض والاختلاط الضار والانعطاط الطليجي والادبي



ولم تكف إحدى الشركات في لندن بإنشاء بيوت رخيصة بل أنشأت مطاعم رخيصة للعملة. وانتكس دخل تلك البيوت والطعام فلا تشهد فيها أثراً للفاقة والفقير. وقد نظرت بعض تلك الشركات إلى مصلحتها المادية وإلى مصلحة الساكنين ورأت أن أعمالها لا تدمر إلا إذا كان ربحها معتدلاً فكان معظمها يعطي أرباحاً ثلاثة ونصفاً في المائة وبعضها أكثر من ذلك أي قدوماً يسلي الفصل الانكليزي أو غيره من أوراق بعض الحكومات وفي ذلك من الفائدة للعملة البائسين ما يخفف عنهم شقاء الحياة وفيه خدمة المجتمع بأسره وأي فائدة له أكثر من أن يرى التفاء يقل فنقل معه الاحتاد والحسد والثورات ويكون لرباب الأموال آمتين على أموالهم من الضياع وهم يجرون في غرض شريف. وقد أسفرت مشاريع إنشاء هذه البيوت عن ربح معتدل لمن قاموا بها ولذلك أقبل عليها هناك من لا يجهل المخاطرة بأموالهم في المضاربات وغيرها

وما عدا هذه المنازل والبيوت الخاصة بالأمراء فإن القوم أقاموا غرفاً مفروشة للإيجار يسكنها رجل واحد أو امرأة واحدة أو فتاة أو فتى. فقد أنشأت جمعية الإحسان في باريز تراً أوحياً من مثل هذا وأخذت تؤجر الغرفة الكبرى بفنك في اليوم والتمرة الصغرى بستين سنتياً وهذا التزل عبارة عن خمس طبقات نظيفة يكثر فيها النور والظرف وغرفة المائدة متصلة بأحد المطاعم بشروط عقدتها معه وتقدم لها الاطعمة الجيدة بثمن بخس ومثل ذلك تجد في شيكاغو وأميركا وغلاسكو في انكلترا وغيرها في غيرها

وما تفتتوا بإنشائه من المساكن منازل للعزاب أقامها في لندن اللورد روتون فبلغت اليوم نحو خمسمائة مسكن يسكنها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مستأجر ينزلون فيها ما أحبوا ثم يتأدرونها. وهذه المساكن أشبه بشكن جميلة آخذة من القوانين الحمية بنصيب والفر وكل مقصورة أو غرفة منها أشبه بمربط الحصان يسكنها الفرد وتكون مفتوحة من أعلاها. والناسل وغرف الاجتماع والطعام مشتركة بين الساكنين وهي معرضة للهواء النقي والنور الذي ينعكس عليها من الترميد الأبيض السمول بالمينا على السطوح وغرف الاجتماعات فيها مزدانة بالصور ومزخرفة أي زخرف وبيع فيها الطعام والثياب بأثمان بخسة وأجرة الغرفة في اليوم ستون سنتياً. ومع كل هذا الرخص لا تخلو الشركة القائمة بأمر هذه المساكن من ربح تجنيه. وبالسكنى في تلك البيوت يخلص العامل أو السخند من قسوة المؤجرين وطعمهم الأشعي وينزل غرفة لا أوساخ فيها ولا أقدار بعيدة عن منهكات الصحة

وأما مثل هذه الشركات كثيرة في انكلترا ونفوق ما هو من نوعها في فرنسا وألمانيا ومعظمها وادرييد مشاهير من النبلاء كان لم البرنس البرت والبرنس دي نال أحسن قدوة يقتدون

بها وقد حملتهم على الاستكثار منها اسباب كثيرة منها الخوف من ازدياد البؤس هناك وما احدث في قلوب العقلاء من القلق ولا سيما كثرة السكان في لندن ونمو طبقات العملة ببلغ رأس المال الموضوع في انكلترا لانشاء بيوت رخيصة للعملة ملياردي فرنك . وسيفر فرنسا مائة مليون فرنك ومعظم تلك الاموال تدفعها الحكومة كما هو الحال في المانيا وتدفع احيانا من دوائر البلديات كما يجري في المانيا وانكلترا وروسيا . وتقوم بذلك في بعض الاحوال شركات مختلفة النوع والصفة . وما احل ما تقوم به المانيا وتسلفه لعمليتها واستخدمها المساكن من الاموال لتقم لم بيوتها رخيصة ما امكن . وما عملها هذا لودققنا النظر الا الاشتراكية العملية على ما تفعل في العادة الاشتراكية في شمال اوربا اشتراكية ليس سداها ولجتها كلاما ولا خصاما فلما ينفع بها الانا نفو غرامها ثم خصومهم ثم العدو الغريب

قال جان لاهور واني وان رأيت ان تسير الامور اولاً بجمونة الحكومة وحمايتها ولكني اوتر ان تعمل عزائم الافراد عملها مستقلة فان الزائم اذا جعت عظمت بالاشتراك وانكلترا اعظم مثال في هذا الباب . نعم ان الاقدام الشخصي والشركات الخاصة انتفع للامة في هذا الشأن . لان القاء المسؤولية على عاتق الحكومة لا يكون منه الا سوء ادارة وقلة اقتصاد وعمل متوسطا وكلاف مفرطة فيما تتولاه . ثم ان الاعياد ابدأ على الحكومة يورث الامة عادات تنزع منها الشعور بالاستقلال الذي هو احرص ما نحرم عليه نفوس العقلاء ويمت بالتربية الحرة ولا سيما في بلاد دستورية

ان معنى مطالبة الحكومة ان تعمل كل شيء او مطالبتها بمعظم شؤون الامة هو نمويد الامة على ان لا تعمل لنفسها بنفسها شيئاً او انها تعمل التافه الحقير من الاعمال ولا يجب ان تدخل الحكومة الا حيث يضمف عمل القوة الفردية ويحقق اتحاد الشركات

الحكومة اذا نذفت الافراد توشك ان تنزع منهم المهمة وتضعف فيهم الجهاد واذا تولت ادارة مثل هذه الدور تنتهي بأن تعين لها عمالاً كثيرين من لاتها على ان كثرة الموظفين هي اليوم الضربة القاضية على الامم كانتشار المشروبات الروحية وربما كانت من مفسد عنصرنا وامراضه الويلة وفيها الخطر كل الخطر علينا . الانكحول سم الارادة والاحترام الشخصي والتوظيف كما هو الآن عندنا لا يقل عنه ضرراً . وما التوظيف في الحكومة لقاء رواتب تدفعها لموظفيها الا صورة من صور الرق والعبودية القديمة في مظهر جديد يضطر فيه صاحبه ان يطلق حرية روجه وفكره على حين ترى الخدام متعين بها . ولقد نرى حكومات في الغرب كحكومة المانيا مثلاً قد انتهت لهذا النقص فما احب ان نكسر من جيوش الموظفين كما هو الجاري في فرنسا وان نهك ميزانيتها بالملابن للادرار عليهم

بل خصصت ملايين في ميزانيتها لأعمال من مثل هذه مصبونة بصنفة الديمقراطية والاشتراكية العملية . اما انكثرتا فمحسن طالما ان تتودعا في رعاياها قليل والقول الفعل فيها لهمة الافرنج

وقد قررت دار الهدوء الانكليزية سنة ١٨٩٠ ان تمنح المجالس البلدية حق نزع ملكية البيوت القفرة وان تمديد معونتها للشركات وتسلفها اموالا في مقابلة رهن لاعادة تلك البيوت الى حالتها حنة تجمع الى النظافة الرخص ويعدو الفقراء فيسكنوها فكان في ذلك من المنافع الصحية العامة ما ظهر اثره في وجوه السكان ومعتهم . ولا معنى لك اهل الحكومة وقلة عنايتها وهي المسيطرة على القانون ان تترك الناس وشأنهم اذا بلغت بهم الحال الى هذه الدرجة من البؤس على ان هذا البحث كان موضوع المناقشة في المؤتمر الدولي سنة ١٩٠٠ واتسعت الآراء فيها اذا كان يجب صرف اموال الضرائب في إقامة بيوت رخيصة كما يجري في لندن وبرمنهم من بلاد الانكليز وفي فريبورغ واولم في المانيا وفي غوتسبورغ في السويد على يد المجالس البلدية الا ان الرأي العام كان مناقضا لهذه الاشتراكية

وانك تجد للمالك الصغرى في اوربا من العناية بامثال هذه المشاريع مالملك الكبرى وزيادة . فاذكنا نسمع بنور المدينة يبعث من المانيا وانكثرتا وفرنسا في اوربا فان سويسرا والدانمرك والسويد والبلجيكا وهولاندة لا تقل عنها في المشاريع العامة الخيرية ان لم تقل انها تفوقها في اكثر حسنات المدينة لان القيمة الصغيرة يسهل ازديادها اكثر من الكبيرة كما يقولون ولان الصغير المدير يتيسر له ضم اطرافه اكثر من الكبير المتوسع في املاكه . خذ مثالا لذلك البلجيكي فانها بفضل صندوق التوفير العام فيها قد اصبح خمسة عشر الف عامل فيها يملكون بيوتا يسكنونها وذلك في مدة عشرين اسلف هذا الصندوق في خلالها اثنين وثلاثين مليوناً من الفرنكات العملة والشركات وبواسطتهم عمرت هذه البيوت الرخيصة على ان امثال فرنسا ومانيا وغيرها من الممالك الكبرى معا عتبت بائنة البائسين وايواء الساكنين فلا يبقين الا مقعرات فان شركات المانيا وغيرها من الافراد اسلفت العملة ثمانمائة مليون مارك لئلا هذه الاعمال الاجتماعية وكذلك فعلت انكثرتا واقترحت عملتها . فترى بعض شركات كشركة البناء فيها لا تبني بيوتا بل تقرض مالا للعملة يبتون لاقصهم به فيؤدي العامل كل يوم اثنين عشرة فرنكات مثلاً اي ٥٢٠ فرنكا في السنة بحيث يجتمع له بعد ثلاث سنين ١٦٠٠ فرنك وبذلك يبرهن انه يستطيع ان يقتصد وعند ذلك يمد الى شركة من شركات بناء الدور الرخيصة ويطلب اليها ان تقرضه مالا لائشاء ممكن فيؤدي اليها اولا ١٦٠٠ فرنك التي اقتصدها وثانياً مبلغ ٢٤٠٠ فرنك يدفعها بعد

فتكون كلها اربعة آلاف فرنك ويظل على تأدية عشرة فرنكات كل يوم اثني عشر من الاستهلاك . وقد كثرت انواع هذه الشركة وكان عددها في انكلترا ٢٢٤٣ شركة لا يقل رأس مالها عن مليار فرنك حتى ان بعضهم رأى ان بعض تلك الشركات تقبض من المائة المشتركين معها كل يوم اثنين مليون فرنك

كل هذه الاعمال لا ترى فيها للحكومة اثرًا ضئيلاً وما عدا ذلك نالافراد والشركات يدبرون ما يدبرون وكذلك رؤساء العامل فان منهم من يمتعون هناك بمصالح من يعملون عندهم اهتمامهم بمصالح اولادهم ولا سيما في البلاد الجبلية التي لا ترى فيها الا مصوراً او مضايقي واودية .

وقد استعمل بعضهم البيوت النقلة التي اخترعها الاميركان لتكون عوناً على استعمار بعض الاطراف البائرة والامصاق المتناحية في الولايات المتحدة وهي مصنوعة من خشب الصنوبر وتختلف قيمتها بحسب ما فيها من الغرف من ٢٥٠٠ فرنك الى ٩٥٠٠ فرنك ينقله الانسان حيث اراد وتلك البيوت الخشبية التي اصطلح عليها في بلاد التروج والسويد والروس وكلها من احسن الانموزجات في البيوت الرخيصة

رأى بعض الاجتماعيين ان تولي رؤساء العامل من امر عملتهم ما يتولون في بعض بلاد الغرب فيقطعون جزءاً من اجورهم لمداد ما عليهم من ائتمان مساكنهم التي تكون ملكاً لهم بعد قليل من السنين — ان هذا العمل يفقد العملة استقلاله بعض الشيء فيضطرون ان يعملوا في معامل رؤسائهم ريثما يوفون ما عليهم او يخرجون منها قبل وفاء ما عليهم فيلقون المشاكل وما عدا هذا المحذور فان تولي الرئيس او الملم امر عملته والنظر في مستقبلهم واتشاء بيوت لم او حملهم على الاقتصاد هو السداد بعينه

وفي بعض البلاد لا يتأتى الا ان يتدخل رؤساء العامل في احوال مستخدميههم كبلاد روسيا مثلاً . ولذلك كانت مساكن العمالة في اكثر ارجائها بديعة مستوفاة شروط الصحة ولا سيما في الاماكن البعيدة عن السكان والعمران مثل معمل (داغوكردل) لصاحبه البارون ادنجرن ستمبرغ فانه انشأ لكل عامل داراً منفصلة عن دار جاره فبلغ عددها ٢٣٧ داراً فيها عامة مرافق البيوت وحديقة للثمار واخرى للبقول وغيرها ينقطع من اجرة العامل خمسة وعشرين في المائة فما هو الا كلاً ولا حتى يصعب العامل صاحب دار فضيحة وحديقة انيقة ويشرب السكان من آبار ارتوازية طاهرة بحيث تكاد لا تجد الحمى التيفوئيدية بينهم الا برار مع ان هذه الحمى يكون انتشارها عاماً في البلاد الروسية واعمار من يبشون في هذه المساكن اطول من اعمار من يسكنون في غيرها . وكل العملة من بيوت لا يتقوت

عيونهم عليها بعد حين الا وفي ملك لم يخلّفونها لدرارهم جيلاً بعد آخر . وان افاضل الروس واجدادهم لم يفهم ان يسطوا ايديهم بالمطاء للمساكين يذوّنون لم به دوراً احسنه تؤدّوهم فقد اوصى سولودشكين لمدينته باثني عشر مليون روبل لانشاء بيوت يسكنها البائسون المحاويج

ومن العامل التي وسعت على عملتها ونظرت في رفاهيتهم معمل كروب الالماني فانه مثال المشاريع المظلمة ونموذج من حماية صاحب المعمل لمعلمته وعدم احتفاله بالمال في سبيل راحة من يقومون باعمالهم لنفعهم ونفعهم . فان هذا المعمل واب شئت قتل العامل المعروف بمناقضه وعدده الحرية صعب عليه ان يرهق العاملين فيه كما يرهق البشر بمصنوعاته فانشأ لمعلمته في مدينة اسين الجميلة على نهر الروهن ثمانى مدن وخمس مستعمرات ويوتا منفردة يسكنها العاملون آمنين مطمئنين . فهناك زهاء خمسة آلاف مكن يقطعنها زهاء ستة وعشرين الف نسمة وقد ازدانت بالنباتات المشرقة والزهور البديعة واستوفت من داخلها وخارجها اسباب الظرف والزينة وكل ما يملأ العين قرة والصدر مسرة واقامت ادارة المعمل بالقرب من تلك البيوت بيوتا اخرى جميلة فسيحة لعملة الاجزين والاياسى من نساء الشملة . ويتصل بالمعمل شركة تبيع للمأكولات كما اتصل به مستشفيات زاهرة للعدة وبيوت للتقاهة وقاعات للاجتماع والمطالمة وقد صرفت ادارة المعمل على انشاء هذه الدور نحو مليون جنيه .

وتفوق دور معامل كروب دور معامل الصابون في يورت سولنخت وقد عرضت ادارة هذا المعمل النموذجاً من الدور التي تؤجر في الاسبوع من اربعة الى خمسة فرنكات في معرض باريز سنة ١٩٠٠ فكانت محل الإعجاب وربما كانت هي المول عليها في المستقبل لايواء العملة وراحتهم فيها جاع مرافق الحياة وفي كل منها حديقة لليقول تؤجر على حدة باجرة طفيفه جداً . وهذه الحدائق يمكن زرعها على ايسر سبيل بما انشأته عقيلة من عقيلات الكرم والمقل من شركة تؤدي لعملة ما يلزمهم من الارض والبذور « اتفاقياً » والنباتات لترسها في حدائقهم او لتزوين بيوتهم بها .

في انكلترا قرية لا تقل في الغرابة عن معامل كروب ومعامل الصابون المذكورة آنفاً وهي القرية التي انشئت سيف تورنيل على يد طائفة الكواكر البروتستانتية اعني بهامعامل الشوكولاتا فان هذه الشركة رأت ان جمال مناظر المساكن مما كان نازلها فقراء مطلوب لذاته فبذل افراد من هذه الطائفة مالم لانشاء هذه المدينة النادرة في شكلها واقامت لها اندية والعباب وخزائن كتب ومحال للسباحة ويوتا تحف بها الحضرة والنصرة على طريقة جملة

ليس فيها مظهر من مظاهر الزخرف الكاذب بل فيها جميع ما يلزم الحياة وبعضها مزين  
مبهرج منقوش ولا يكلف السكنى فيها كل اسبوع أكثر من ٨ الى ١١ فرنكاً  
وقد قال مدير العمل لاحدهم تناسباً أثناء هذه الدوران المذاهب السياسية لاثاثير  
لها ولو كنا كنا نقوم بالواجب علينا لطلت الحروب بين طبقات الناس وليت شعري ماذا  
لا تقوم المجالس البلدية بتل ما جرأتنا نحن على انقيام به ؟ وان الشرح ليطول لو عندنا المدن  
التي انشأها ارباب المعامل في الولايات المتحدة لعملمتهم حتى ان حي العملة في شيكاغو بعد  
من ام احياء تلك المدينة الصناعية العظيمة واجملها . ولا تنس البيوت التي اقامها بعض  
ارباب المعامل في فرنسا ولا سيما شركة معادن لانس فانها احدثت اربعة آلاف مسكن  
مختلفة الاشكال لعملمتها ومستخدميها وكذلك انشأت شركة مناجم لينين اربعة آلاف مسكن  
واجرة الواحد منها ١٥٠ فرنكاً . وبعض المعامل تقرر عملتها دراهم لاجباع ارض وبناء  
مسكن فيكونون في الحال مأكلين لها ويختارون الهندسة التي يريدونها وبعضهم يؤجر كل  
بيت في الشهر من فرنك وربع الى ثمانية فرنكات وربما اعطوه مجاناً في بعض الاحوال وقد  
استلقت عملة بنجم كروزي مليوناً وستة الف فرنك لانشاء بيوت لم كما اقترض عملة  
موندوليون زهاء مليون

وفي مدينة سوشار من اعمال نوشاتل في سويسرا في معمل الشوكولاتا حي عظيم لعملة  
المعمل مستخدميه جاءت بيوتهم على صور مختلفة منها ما اجرته سبعة عشر فرنكاً ونصف ومنها ما اجرته  
ثمانية عشر فرنكاً ونصف تدفع الشركة نصف اجرتها من عندها . ومن بيوت العملة التي  
استحدثت البناء مدينة فيلبرون من اعمال البلجيكي في معمل الزجاج وفي مدينة ولف في  
هولاندة وغيرها . وكلها بيوت ان امنت النظر فيها لتقضي بالبناء الكثير للعائين بها على  
خدمتهم الحقيقية للانسانية والوطن والاشترائية العملية

وما عدا دور العملة والعناية بامرهم تجد في اوربا جميعات احسان اخنت على نفسها  
انشاء بيوت رخيصة يسكنها كل فقير بدون استثناء . وقد بلغ ندها في فرنسا ٦٧ جمعية  
واقدمها جمعية باريز انشئت سنة ١٧٨٠ فانشأت بيوتاً مشتركة لا يكلف السكنى فيها كل  
اسبوع أكثر من ثلاثة فرنكات وربع الى سبعة وربع في مساكن فيها ثلاث  
غرف ومختبر وقد استوفت شروط الراحة من هواء طلق ونور كثير وتعال يسرح فيها النظر  
وماه كثير طاهر يجري لمن يريد وكان للثافة القائمة بين تلك الجمعيات اثر مهم في نجاحها  
ومعها كل حين تعهين حالتها . والمفاسدة اساس عظيم من اسس الفلاح . وقد بلغ رأس  
مال بعضها زهاء مليون من الجنيهات ومائة الف مشترك وبعضها يبيع طعاماً وثياباً بنج بنج

وما ترجمه الشركة من ذلك تعود فتبني به يونتا . وقد ثبت بالاحصاء في بضع سنين ان عدد الرفيات في الالف من سكان هذه البيوت دون عدد الرفيات في غيرها من المساكن غير اشعبية .

ومثل هذه البيوت في نظامها وقادتها كثير في الممالك الصغرى في اوربا فيجد سيفه كوبنهاغ شركة بيوت العملة قد اقامت اولوا من المساكن للعملة والشركة مؤلفة من العملة تنقسم وهي لم يتبائة صندوق اقتصاد قيدفع كل عامل في الاسبوع قرشين اي نصف فرنك حتى يلق ما جمع من ذلك سنة ١٩٠٠ مقدار ٥٧٦٩٩٣٠ كورونا ( الكورون فرنك واريمون ستيا ) فيشغلون هذه الدرام ويمالون يانعيب فيجمع من ذلك عشرون كورونا في ستة اشهر لكل عامل وبعد عشر سنين يعطى اذا اراد مادمه مع ارباحه او يأخذ دارا واذا مات يأخذ ورثته هذا المبلغ . وبما هو حري بالنظر في كوبنهاغ بيوت المجارة ومستغندي البحرية التي انشأها الملك كريستيان الرابع

وشركة تحمين الشازل في سويسرا وميلان ونابولي ونيويورك حربة بالذكرا ايضا وكها تدور على تحمين مسكن الفقير وبضها يعني بالدقيقة ايام الشتاء وباعطاء الماء الساخن لمن شاء من الباكين بلا مقابل والقاء الحرارة المحتدة في مساكنهم وقدقات بعض تلك الشركات يد النساء فنجحت كما نتج شركات الرجال . مثل شركة الآنسة كولنس في فيويورك التي انشأتها على مثال شركة الآنسة اوكتافيا في لندن لطهير المساكن القذرة من قذارتها وتطهير نفوس ساكنيها من حماة الرذائل فنجحت كلتا الشركتين واثا بارباح حسنة . وقد بدأت حكومة البرازيل منذ سنة ١٨٨٢ تساعد في انشاء البيوت الرخيصة فاصبح عددها في ريجياتيرو وحدها سنة ١٨٩٧ - ٥٠٠٠ مسكن . ومن تلك الشركات جميعات اخذت على قسما نشر الدروس الاجتماعية والدعوة الى تعلمها فكانت من افيع ما يكون من الاصلاحات العظيمة التي ادخلت على بيوت الفقراء وجعل بعضها غاية درس الاسباب التي تنشي الاسرة على اساس طبيعي وهو تملكها ارضا تحرثها ودارا تسكنها . فتفرج للوصول الى هذا الغرض بكل وسيلة تمكنها من نشر المطبوعات ودعوة الحكومات او البلديات او ارباب الثنى الى انشاء صناديق لايجار بيوت بثن بثن ونطلب بسن قانون تعني الحكومة فيه من الضرائب ما يملكه الفقراء من المساكن والاراضي وتخذ كل سبب ليتيسر للناس اقتناء مثل هذه البيوت او يباؤها او انتقلها ومنها ما يعطي الخواص يونتا يسكنونها وتحميهم بدون واسطة الحكومة ، يصيبهم من القافة ايام عظمتهم ومن الشقاء وموت وب البيت قبل الاوان وهكذا تجد الحركة قائمة في جميع البلاد الغربية لتتميم هذه

المبانيء وتحسين حال البائس الفقير وهي كل يوم في انتشار وكثرة بحيث لا يسفلح هذا القرن العشرون في اوروبا الا وقد انجلت فيها المألة المعروفة بالمألة الاجتماعية وان شئت فقل اهمها اذا يكون جميع العملة متممين بيوت يسكنونها والشركات والجمعيات تحميهم من الفقر المدقع بعض الحماية وتقل بذلك الامراض كما يرى بعض الباحثين في احوال تلك المجتمعات اذا استدلوا على ذلك بان المساكن الطاهرة الصحية قد قلت فيها الوفيات بين المساكن القذرة والاكوخ الحقيرة التي هي في الحقيقة منبعث السل وغيره من الاعداء المنهكة لجسم المجتمع . وقد قال الدكتور روم ان السكن والطعام والنمل هي السبب في كثرة الوفيات بين العملة فالواجب الاسراع في اصلاحها وبنيها لا اصلاح ولا فلاح وكل ذلك متوقف على الارادة اذا جهت والافراد اذا اقدمت وتكاثفت

لم تكثف الجمعيات في اوروبا واميركا بانشاء المساكن للفقراء ونقشها والاستكثار لما من مرافق الراحة واسباب الصحة بل احبت تعييدها وتزيينها والتأني في داخلها وخارجها لانهم رأوا السكنى في بيوت رخيصة لا تقضي الغناء المطلوب وحده .

ارادت من الدور ان تكون معرضة للهواء محبة الى القاب وان لا يكون اثاثها وفرشها كثيراً بل ان تكون مائلة الى البساطة تجمع اليها حسن الذوق والظرف لان عصر البيوت القذرة الضارة قد اتفقوا كما ينبغي القضاء على المساكن البشعة من داخلها الانكسية التي تزل الساكنين فيها من البائسين وهم لا يشكون كالدود الذي يعيش في القاذورات . ارادت تلك الشركات ان تستعفى عن الاثاث البشع السيء الصنع باثاث يكون بصره او اقل ولكن على صورة حسنة وتزيين ضروري وان لا يفرشوا بيوتهم فرشاً رديئاً كما هو الحال في بيوت الفقراء في اكثر بلاد الشرق . وذلك لان النظر الى هذه البشاعة مما تضيق به الصدور ويخرج القلوب كما تتأذى به العيون وتفتقر منه النفوس ولان تعدين الدوق دخلاً كبيراً في نهضة الامة

ترى في البلاد الديمقراطية ان الفقراء من الرجال والنساء يحاولون ان يكونوا في ملابسهم كاهل الطبقة الوسطى على ان الالبسة التي كانوا يلقونها فيها مضي لها من الرونق ما ليس لها يلبسونه اليوم على تمكثهم التقليد . وقد رأيت بعض الجمعيات انشاء البسة لاهل الطبقة الدنيا خاصة يشاركها في لبسها اهل الطبقة الوسطى وتكون رخيصة الثمن ذفئة في صحة الاجسام ومحة الاكياس وان يكون لاهل الطبقات النازلة ما لاهل منازل اهل الطبقات الوسطى حتى لا ينكسر خاطر الفقير ولا ينقصه شيء من راحة الاجسام ولذلك كان اول عمل يمارونه ايجاد طريقة لتحديد البيوت الفقيرة وتزيينها كالبيوت الاغنياء وتزيين



خذ مثلاً ذلك الجدران فانهم رأوا ان تزين او يوضع عليها ما يزينها من البسط .  
وقانون الصحة يقضي بان يتيسر غسل الجدران وقد رأوا ان الورق الذي يجعل على الحيطان  
ويسل لا يمنع القراء لانه غالي الثمن وان الاحسن ان نقش بالزيت وربما كان هذا  
النقش غالياً ولكنه اثبت وافرح للنظر ولا يصعب تطهيره كل مدة ويجعل الساكن عليها  
صوراً ورسوماً ومصورات واصوفة للثياب وغيرها مما لا يتعدى في اوروبا اقتناؤه لرخصه  
وهو يزيد المكان رونقاً وبهجة

ورأوا ان النوافذ ينبغي ان تكون ستائرهما من قماش يمكن ان ينفذ او يسل بسهولة  
فيكون من البتة لا من الحرير والاطلس او الشاش المزين بالوانع النقش والزينة اما النوافذ  
التي في اعلى المنزل فتترك بلا ستائر . والاولى ان تكون الدائر متناسبة مع نقش الغرفة  
وتعطي بسج وحلقة .

اما سرر النوم فيجب ان تكون بحسب رأي بعض اهل الصحة مكشوفة بدون كلة  
(ماموسية) من اعلاها لانه ثبت ان هذا القماش الموضوع يحبس نفس النائم . ويحفظ الجراثيم  
الفارة بل يساعد على النمو والتعشيش وينبغي ان نأخذ من عند رأس السرير قطعة من  
القماش نزل ونرفع بحيث تمنع مجري الهواء عن رأس النائم فقط . ولا تكون هذه القطعة  
طويلة وتكون من ناحيتين بحيث ان النائم حينما اقلب لا تؤذيه اذعة النور اذا انجبت  
نحوه وينبغي التقليل من الفرش ما امكن بحيث يسل نقضه او غسله . كل هذا ويراعي  
في الاثاث الاقتصاد والجودة فيكون متناسباً مع نقش المنزل . وتغير الاشياء المطبقة على  
الدوق لا يكلف الا بعض عناية وبذلك تعود بعض المادرات سيف بساطة البيوت التي  
كانت مألوفة . وليس الجمال في الاثاث والرياش المتكلف في صنعه والمزين من وراء  
الغاية بل الجمال في الفرش البسيط الاقتصادي النافع المناسب . وانا لرى احسن زينة في  
البيوت بانكثرتها ما كان منها من اصل ريفي مألوفاً في القرى والساكن الا انه يجمع الى  
البساطة نظافة وحسن ذوق

وقد حسب ما ينبغي للفرش بيت الفقير على هذه الصورة وهو ان تفرش غرفة المائدة  
وغرفة للاستقبال صغيرة وثلاث غرف للنوم فرشاً بسيطاً كما يكون البناء رخيصاً بالف  
وخمسائة فرنك اما ان يدفعها الساكن دئمة واحدة واما ان يشتقها من الجمعيات والشركات  
التي اخذت على نفسها في اوروبا تقديم احسن الفرش للبيوت بائتمان متواودة فيدفع عن هذا  
المبلغ فائدة طفيفة وهي خمسة في المائة . واذا استأجر العامل او الفقير داراً من مثل هذه  
فلا تتجاوز اجرتها في اليوم وهي مفروشة احسن فرش معي فرلوكاً وثلاثين سنتاً

وهكذا رأيت ان لغرض البيوت في اوربا جمعيات كما ان فيها شركات وجمعيات لتقديم الطعام الرخيص والابسة الرخيصة والمساكن الرخيصة بحيث آلى بعض ارباب العقول في اكثر الممالك الافرنجية ان لا يتركوا بيتاً قديراً ولا يشعاً وان تكون بيوت الفقراء كبيوت الاغنياء لطيفة الداخل والخارج فتى ياترى ينسج الشرق على مثل الغرب سيفه مثل هذه الاعمال النافعة والحضارة الراقية

## مثال الامة الراقية

جرت العادة ان نقفدي الام بعضها ببعض ولا سيما فيما فيه اعلاه كملتها وقام سعادتها فنطرس الام النازلة على آثار الام الناهضة . قال هنري ليشنبرج احد اساتذة كلية باريز في خاتمة كتابه المانيا الحديثة ونشوتها ما تعريبه :

لم يكن لالمانيا في اوائل القرن التاسع عشر مكان يدل على انها دولة عظمى بل كانت اشبه ببناء يدعوى والناس من حوله لا يميّزون بما يجري له . فلم يكن هناك دولة يصح ان تسمى المانيا بل كان امراء من الالمان منشقين على انفسهم يتحاسدون وقلما يحرمون الا على مطاعمهم السائلة في الحكومة وهم اهل كل تسفل لا يتحامون ارتكاب اغتيالات على ضرو بهاللاحتفاظ بسلطتهم الثمينة وتقوية امرهم وليس لهم من الكفاءة ما يستطيعون معه توجيه وجهة مطاعمهم المتبعة عن اذائتهم المجسمة نحو ما فيه تقع الامة بل كانوا يؤهلون بالتريب ومخالفوته لقضاء ما ربههم يعنون الحرب على ابناء وطنهم اذاسما لم امل يجلب بعض النفع من غدرهم وخيانتهم . وبين ظهري في مثل هذه الامة اشقسة الضعيفة لا يرجى ان تقوم قائمة للحياة السياسية وانى يكون لما ذلك ونظام الحكومة المطلقة فيها غارب بجرانه وكثيراً ما يستحيل الى استبداد بيد الخضر والغضاء والناس مع هذا خاضعون خاضعون حتى كادوا يقرّبون من حد الرق والعبودية

ابتعد الفلاحون وسكان المدن وارباب الصنائع واهل الطبقة الوسطى عن الاشتراك في الشؤون العامة واستسلموا لنظم الحكومة وطبقة الاشراف على ما فيه من الكد وهم ضائف الحول والقوة لا قبل لهم برد عاذيتهم عنهم ولم يعودوا يبالون بته بالحياء الوطنية بل نفعوا الى دائرة اشغالهم الخصوصية

كل هذا والمياة الاقتصادية في الامة فيقطة البطاوق حقيرة الشان والشعب مشدّت

ميسر والبلاده هتيرة والمال قليل والصناعة تكاد تكون عدماً . فلم يبق للخروج من مأزق هذا الثقافة الا مخرج واحد وهو تنمية العقل والصناعة فتزلت طبقة الخاصة المتعلمة الى هذا الميدان وبعثت حجة حماسية صالحة

وفي تلك البلاد الالمانية المشتتة المغلوبة على امرها التي كاد يوم الخراب يدق فيها نواير عليها من الحروب والغزوات ازهر التهذيب الادبي والفلسفي الذي ربما كان اجمل سطور المجد الذي تنافس به هذه الامة . ودخلت المانيا من ذلك العهد في ميدان العمل وتحلت من ظلم الخيال والاحلام . واذ كانت انكلترا استولت على البحر وفرنسا على البر لم يبق لانيما كما جاء في بعض اقوالهم المعروفة الا ان تؤسس لما ملكها في الهواء فانشأت تلك لا تطلع لجلالها ولا قرين لعظمتها

ولم تلبث هذه الامة المتقهرة الساقطة من حيث ادراك الحقائق الارضية المولمة على ما يظهر بالجمالات واتهرات ان نشأت فيها فكرة الاقدام على الاعمال وظهور الحال بارت الشعب الالمني ربما كان الوحيد بين شعوب اوربا في استعداده للتقدم في الجهاد الاقتصادي . فهو لم يقتصر في نهضته القوية على الحاق بالامم اللاتينية التي سبقته زمناً الى طريق الارتقاء المادي بل تقدم عليها حتى جعلها وراءه . وكاد يهدد اليوم انكلترا ايضاً فيما كانت لما لتكافة المكنية فيه منذ القدم في الامور الصناعية والتجارية

فبدا هذا الشعب البطيء الثقيل بعض الشيء القوي سيف ذاته الهالم في نفسه انه مستعد لثوية العنية وان بلاده صالحة لنرس بذورها . يدان الالمني لا يعد منافساً ولا محباً للذات ولا مغلباً للشهوات على مثال الامم اللاتينية . هو لا يشقى مثله البطالة والفراغ ولا يرغب في العيش في امتنزل بالجمال وحسن العشرة بل انه يميل من فطرته الى الجهد وهو قوي الشكبة طمل لا يعرف الملل سليم الطوية

سار منذ القدم على نظام دقيق في الاخلاق . وخضع منذ ازمان لقانون قاس في التدريب على الجندية . وفي مثل من كانت هذه طبيعته خالية من الزهو والمظفر ولكن فيها الحانة وطول الالة كبرت ارادة قوية صبورة منظمة لما من الكفاءة ما نستطيع معه ان تأخذ في السيل الذي سلكته والغاية التي قصدت اليها من دون ان يلبيها الهوى والشهوة وبغير ان يشيها ثمن من صوبة او تحول دون امانها عتبة

تطمح المانيا الى بسطة سلطانها مدفوعة الى ذلك لا بعامل الرغبة في ان تكون حيفة مقدمة الامم وان تظهر شانها وامرها ولا من اجل المنافع المادية التي تحاول تيلها بل انها تريد رضة الثأن لذاتها لانه مقياس حقيقي لما يساويه رجل او جماعة او حزب او امة

المانيا مسوقة الى المشاريع التجارية بنابل من ناموسها الاقتصادي فضطرها اليه ضرورة ملازمة لها ملازمة محتمة . الالمانى كثير النسل للغاية . فقد زاد سكان المانيا من نحو ٢٥ مليوناً سنة ١٨٤٦ الى زهاء ٣٦ مليوناً سنة ١٨٥٥ الى زهاء ٦٠ مليوناً سنة ١٩٠٥ . ومن غير بان هذه الزيادة تزيد في عدد الاسر والبيوت

وهذا النمو من الامور التي ساعدت على ثناء الثروة بينهم لان الزائد كل سنة من الاموال لامة ينشأ منهم لالمانيا جيش من العاملين الذين تحتاج الصناعة اليهم في ترقية شؤونها وقد انتشر فكر الافدام على الاعمال في الطبقة الغنية من الامة انتشاراً كثيراً . وانما ترى رب الاسرة منهم غير طامع ان يترك لابنائهم كما هو الحال عند الفرنسيين مقادير كبريا حده ثم ودخلا مضموناً يتحنون به بعده بل انه يربيههم تربية متينة ويهيئهم لحيات الحيات . قوى جهاز ثم يتركهم وشأنهم يجدون لهم في الارض مرتزقاً

فروح الشاب يتعب ويفرح الجهد مخافة ان يسقط عن المكانة التي بانها اهل . وعندما كانت كثرة النسل في هذه الامة معازا اقويا يحث المانيا على النهوض الى طلب الثروة والتوكة . وهذا الجهاد في سبيل العظمة يكبر ويغتم في عامة شؤون الحياة الالمانية وسيله جميع فروع الجهاد البشرى . قراء متجلبا في الافراد وفي الاحزاب السياسية وفي الطوائف الاجتماعية وفي الحكومات المتحدة وثابتاً يجمع الامة الالمانية باسرها فيما يظهر فيهم من مظاهر بسط السلطة وما حازته من الاشتراك في سياسة العالم . هذا الجهاد يرمي الى رفعة شأن الجندية والبحرية والنفوذ السياسي والقوة الاقتصادية والصناعية والتجارية والتقدم العلمي . لان العلم ايضا صورة من صور السلفة البشرية ولاشك ان المانيا حازت قسطاً كبيراً من نجاحها بواسطة علمها

صحت المزائم على التدرج وقويت ارادة السيادة وأشربتها روح الالمانى فقال الى التهذيب بكلية . ولم يكن ميل الالمانيين الى الفنون ميلهم الى القوة لان الفنون كالديار التتم لسواد افضل منه فهي لا تقصد من ثم لناتنا . على انه مما يجب ان يعرف ان رغبتهم في القوة لم تكن رغبة في القوة الوحشية الظالمة ذات الاهواء والاحكام الرفية التي تعظم عن تغفل وهوى وهي منافية للحق والعدل بل ان رغبتهم كانت مصروفة الى القوة الذكية المفكر فيها التي تقبل لانها مشروعة بفضيلتها الذاتية لا لانها نافعة خافلة . ومن المادة ان تقوى القوة على الضعف وان تخضع الطبقة النازلة للطبقة العالية . الالمان احترموا القوة التي هي حق ايضا ولانها تعبر عن تقدم حقيقي يقضي العدل بان يعترف به ويعترم

جهاد الالمانيين لبسط سلطانهم بحري على ترتيب وتنسيق ما امكن فان نظام حرية

المنافسة وهي عبارة عن محاربة الفرد للجموع وتحريك الانانية الشخصية يحتوي في مطاويه ولا شك مبدأ فوضيكا اقرب الى الانجلال منه الى التماسك . فيتأق له ان يكون كما كان سابقاً في إيطاليا على عهد النهضة مثاراً لخصائص الساخطة التي تنازع غيرها للتفوق عليه والياس أخذ مأخذوهيك بعضها بعضاً بلا شفقة . بيد انه من الثابت ان ارتفاع مبدأ حرية العمل في ألمانيا لم يؤد الى نتائج من هذا القبيل . فان المنافسة بين الافراد وبين المجموع على اكثر ما تكون من الشدة ولكن لا تسهيل ابداً الى قتل لا نظام فيها

طال جهاد ألمانيا في سبيل الوحدة السياسية واستمر النزاع بين حكوماتها في امره فانتهت حاله بحرب . ولا اصدر المحكون من التائبين عن الاهلين حكمهم في هذا الشأن سكنت الكرامة وزالت الاتحاد ورضيت الامة في الحال بما وضع لها من نظام جديد وبدلاً من ان تصبغ الوقت في ثعناء لا فائدة منها وتنهك قوتها في الانتفاض البعث راحت تجمع قواها لدفع غارة الحروب السياسية والاقتصادية التي تنوقها من ناحية اوربا والعالم فكان شأنا يفتزعها شأن الاحزاب السياسية التي يشتد بينها الخصام ويدوم ولكنه لا ينتهي في الغالب بنتن شواء . وربما كان بين الطبقات المختلفة عندهم اشد مما هو عند غيرهم . بكنك لا تجد فيه ما يستمر ربح الثورة حتى ان الفكر الاصلاحي يقوى شيئاً فشيئاً بين الحكومات التي ترى التوسع في جمع رؤوس الاموال وبين الاشتراكيين الالمان ممن آلموا على انفسهم الا ان يناقروا الحكومات قترام يقضون بدون ثقة على كل ما من شأنه ان يدعو الى القسوة ويقامون الوقوع فيها يؤدي الى اتخاذ سلاح القوة ولو كان فيه تحقيق مانييس وابلاغهم غاياتهم وهم يصرحون جهاراً بكرههم لمقاومة روح الجندية وللاعتصاب العام ترى المنافسة الصناعية والتجارية مشددة كل الاشتداد وهم الافراد بالغة اقصى الشدة والجراة ولكن ألمانيا وهي مهد الشركات العظمى المؤلفة من ارباب المعامل او الصلة هي على التحقيق من البلاد التي بذل فيها الجهد لتنظيم اسباب الانتاج ووضع المراقبة على اسواق المقايضات ليكون من ثم للمنافسة حد محدود وبقل من معاودة الازمات واضعاف تسبها اذا حدث

وعلى الجملة ان الجهاد الشخصي على اشدّه في ألمانيا ولكن لا يؤدي فيها الى فوضى الافراد وربما كان ذلك من الصفات التي اختص بها هذا الناصر .

الالاني يقل شعوره بالنسبة لغيره من الامم الاخرى في الحاجة الى ترقية شخصيته ترقية تامة فيختار برضاه ان يحسّر نفسه في بعض اعمال خاصة يصرف اليها بجملة . ويؤثر عن طيب خاطر ان يقادي بجزء من شخصيته وذاتيته ويكتفي كما يقول التعبير الالاني بان .

يكون منه جزء من انسان بل ان يكون منه اخصائي يقوم احسن قيام بعمل اخص به كل الاختصاص دون ان يعنى بما يخرج عن الدائرة التي وضع نفسه فيها وألى ان لا يتعداها . ومن اجل هذا السبب ايضا يختار ان يشرك غيره معه وان يكون تبعاً له ولا يرى حرجاً في الانضمام الى الجماعات التي تكثر في المانيا

يؤثر الالمانى ان يجعل نفسه جزءاً متمماً لبناء متسع تتألف منه آلة تختلف الحاجة اليها . والاستغناء عنها . وهو يسعد بأن يفادي بحظ نفسه من اجل منفعة تأتي ببعض الاعمال الكبرى ويخلص في سبيل نجاحها . وبالجملة ان في الالمان غريزة التهذيب بنظام واحد فيحسن الالمانى الطاعة كما يحسن الامر ويعرف تنفيذ الاوامر الصادرة اليه على غاية التدقيق كما يعرف بذل الممة في الدائرة المختصة به

الشعب الالمانى يخرج الاعضاء النافعة الرائعة من بينه عن عمدانية المجتمع الضخمة اللازمة لقيام الاعمال المهمة من جيوش وطنية وادارات كبرى ومشاريع متسعة من مالية وصناعية وتجارية وتقابات .

الالمانى لا ينفك عن الانقياد والتألف حتى في الفنون التي من شأنها الانفراد واثق لتراه حتى في الموسيقى يجري على نغمة واحدة . وهذا الذوق في الاشتراك والخضوع لطبيعي فيه فهو لا يكره على الخضوع للنظام صاغراً بل يقوم به والسرور مزمج جوارحه . هو اخصائي يلبذه ما هو فيه ولا بأسف على ما يبقى خارج افقه على الدوام . نعم هو يشبع بالوقوف دون حدود كفاءته والسرور يبدو عليه عمزوجة بالزهد ووربما ظهر عليه شيء من الاحتقار والاستهزاء بالذي يعرف القصور ويحشر نفسه فيما لا يعلم ويدعي انه يناقش بل يحل المسائل السياسية والدينية والفنون والاخلاق . صاحب المدة سيف الالمان يحققر بنظراته المرتجلين والمتغيبور الذين يخطون ويخلطون ومعلوماتهم ناقصة سطحية ممن يمانون كل موضوع ويتسلقون عليه وليس لهم سلاح ماض من الكفاءة . ومن خلق الالمانى ان لا يلقى بنفسه خارج المحيط الذي يعرفه وان شئت فقل انه يقل فيه الفضيل ويرى ان غاية العالم هو الاختصاص به وفرد بعلمه

كان من نتائج هذه الغريزة في الالمان من الخضوع للنظام وترتيب طبقات المجتمع عندهم اعظم حافظ للامة . الفكر الشخصي في المانيا ثاقب الذابة لا يتكلم امام مشكلة معاً كانت ويبحث فيها كلها مستقلاً كل الاستقلال . على انه يكره التطرف في حلها . فليست المانيا من حيث الامور الدينية مثلاً جاحدة ولا كهنوتية ولا نبذة اكتشافاً من مكتشفات من ينكرين الوحي من طريق العلم بل ترى ابدأ ابداء شيء من الاحترام للحكمة الغريزية

الظاهرة من الشعور الديني في الانسانية وهي تحاول ان توفق ما امكن بين العلم والايمان والحقيقة العقلية والحقيقة التقليدية كما انها في الشؤون السياسية تقصد الى ان تمتع رعاياها تبديداً للسلطة ويميداً للديمقراطية فلا تقبل اصلاً السلطة الاستبدادية المطلقة بل ترى احترام الحكومة المطلقة لما فيها من ترتيب الطبقات . فالديمقراطية الالمانية لا تطالب ان تكون يديها وحدها سعادة الامة بل ترى عن رضى ان يشترك في السلطة معها زعيم علي لقام لا توجد في بل يكون مما اوجدته التقاليد .

وبعد فانه يحل ان المانيا بفضل معنى النظام والترتيب المنفوس في ابنها آخذة سيفاً لترقي لادرائه معنى التكافل في الحياة الذي هو على التدرج مذهب بل مقيم مذهب حرية انفسه ومن هنا على ما ارى كان ارتقاءها موضوع اعجابنا في الاكثر . فان انتشار الاحزاب السياسية والعصبات الاجتماعية ونقابات ارباب الاعمال وانعاش وانعاشه واتساع دائرة اعمال الضمانات الاجتماعية كلها تدل على ما تم تفكر التكافل من النجاح النسي . فحل بالتدرج الشعور بضرورة الجهاد في التكافل لاحراز القوة محل هيمن المنافسة العامة والحرب التي يثيرها الفرد على المجموع . فالمانيا تتوقع وترجو ان يكون لها بعد دور الانقلابات العفوية والثقل وقلة الامن الناشئين من ارتقاء مذهب حرية العمل ما تدخل معه في دور النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يكون الى السلامة مرتباً على قانون ثابت وايمان وخلق اقل تردداً . فهي تطمح بذلك الجهاد العظيم في سبيل الوحدة السياسية والثروة المادية ان تنهض نهضة اشهير نحو انكمال في التهذيب والتحل في التقن . ولا شك ان هذا مما نقرأ في صفحته جمال المستقبل . ويكي في هذه الآمال على ما يتسرب اليها من الرب انها لا تبدو غير ممكنة التحقيق في عيون الالمان فينظرون الطريق التي قطعوها بما يحق لهم من الاعجاب ويرون المستقبل الذي اليه يسرون بشيء من حسن الظن فيه .

يحي علينا الآن ان نثبت ان الشعور بالتكافل لم يبرح وطنياً صرفاً عند الالمان فالالمانى يشعر بان مسئولية في التكافل مع ابن جنسه لا تزال في زيادة اما مع سائر الامم فانه لا يرى بأساً من الانطلاق في حريته ومنافستها .



## سير العلم والاجتماع

### خرائب منفيس

قدم الاستاذ فليندرس بيري تقريره عن اعمال البعثة الانكليزية الاثرية في مصر وقد جاء فيه ان هذه السنة صرفت كلها في البحث في خرائب منفيس القديمة فغنيت البعثة اولاً ان تعين مواقع الابنية المعممة المختلفة التي ذكرها كتاب الروم ولا سيما هيرودوتس فوجدت مذبح معبد باتا العظيم وبيت الحياة الذي كان سطحه عبارة عن ستائة متر طولاً واربائة وخمسة وستين متراً عرضاً . وعثروا على عدة شهادات تدل على ارتفاع التمدن ولا سيما على مصانع رجع الى الدولة الثامنة عشرة ( ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد ) ومن جملة هذه المصانع رثوف توضع عليها التذویر يشاهد عليها اذان نقشت عليها هذه العبارة : « بابانا اسمع لدعوة من يدعونك ممن يبدونك » واهم اكتشاف في هذه المصانع اكتشاف الحارة التي كان التجار الغرباء مقيمين فيها وموضع معبد الزهرة الآسيوية هاتور . وفي هذه الاماكن ظفروا باوان خزفية والظاهر انها مما صنع في غير مصر ومنها يستدل على ما كان بين سكان منفيس والامم القاصية من الصلات كما عثروا هناك على تماثيل الملوك الفرس وعساكر الفرس وقبائل السيتيين وعلى تماثيل لا شك في انه هندي الاصل وهو يمثل رجلاً بوذيّاً . وعثروا ايضاً على رؤوس يونانية مختلفة الاشكال . وكل هذه الآثار وغيرها ثبتت ان سكان منفيس كانوا اخلاقاً من النزلاء والدخلاء واكتشفوا ما لم يكونوا يتوقعونه وهو مصنع جميل انشاء آخر ملك من السلالة التاسعة عشرة المصرية واكتشف بالحفر في ضواحي سواهج في مكان مدينة اتييري القديمة بقايا معبد للبطالة الذي انجزه بعد زمن كلود وهاردين ثم اكتشفوا بقايا كنيسة كاتدرائية انشئت على عهد قسطنطين .

### العدوى من الحمى

كان من المقرر عند الاطباء ان من يصاب بالحمى التيفوئيدية وبعراً منها لا يحمل جراثيماً الى غيره ويبقى جسمه مغطاً بها ولكن ثبت في انكلترا الآن ان من تصيبه هذه الحمى الخبيثة ويغيم من اخطارها يبقى مدة ولوعوفي كل المفاة والاقتراب منه ينقل العدوى الى السليم المستعد لقبول جراثيماً فرائت انكلترا ان تسن قانوناً تمنع به الناقهين من الحمى التيفوئيدية من الاختلاط بغيرهم وقد كانت المانيا سبقت منذ بضع سنين وقضت على من يسلمون من فتكات هذه الحمى ان يخضعوا زمناً لنظام التطهير وتفحص اجسامهم في محطات بكتريولوجية تقام في جميع البلاد المصابة بالحمى



### تصلح الساعات

اجرى الاستاذ يكوردان الفرنسي في فينا تجارب بالتلفراف اللاسلكي لاجل اصلاح الساعات العفائة والكبيرة بحيث تيسر بعد الآن حتى على من لم يسعد الحظ بمعاملة صناعة الساعات ان يصلحوا بانفسهم ساعاتهم

### جرذان الماء

هذا الجرذ ويسمونه Lemmings يشبه جرذان الماء وهو في الاصل من جبال نروج وكثير التناسل جداً ولذلك يضطر الى الهجرة فينزل من الاعالي اسراباً اسراباً يخرب ما في طريقه من الغلات حتى ينتهي الى شاطئ البحر فيقذف بنفسه فيه حتى يفرق احياناً وكثير منه تسطو عليه اثناء مسيره العقبان والبواشق والصور والبوم واوغريها من الكواسر ولكن منه ما يصل الى السويد ويتناسل فيها اي تناسل على كثرة محاربة السكان له لادائه ومن المحتمل ان هذا الجرذ ينقرض بعد بضع سنين من تلك البلاد ان لم يهرب الى بلاد اخرى في اوربا ويتشرب بين اهلها على غرة منهم

### غرفة ساكنة

انشأوا في مدينة اوترخت غرفة مبنية على صورة تنمغ وصول الاصوات من خارجها بلغت من الشدة وتوالت جدرانها من حائطين جعل كل منهما من عدة طبقات من المواد المنصعة بعضها عن بعض فراغ والحائط الداخلي منها قد جعل ظاهره وباطنه من القش والطباشير والحائط الخارجي من الخشب والرمل وسجر الكندان والجبس فيكون مجموع الطبقات سناً ما عدا طبقات الهواء وكذلك يصنعون سقف تلك الغرفة وارضاها وطولها متران وربع ويدخل اليها من بابين وفي لاجل التجارب الفسيولوجية

### فسيفساء رومية

وفق المسو تورنو المهندس في سلايك الى تنظيف قطع من الفسيفساء البيزنطية في كنيسة سانت صوفي (اياصوفيا) في سلايك كانت مغطاة بدهان من الزيت وارجعها الى حالتها الاولى وقد تبين له ان صورة العذراء الموضوعة في صدر الكنيسة قد صنعت سنة اثمryn الثامن لليلاد . وهذه القطعة جداً لانها من صنع ذاك العصر

### رواتب الملوك

يقبض قيصر روسيا اربعين مليون فونك راتباً سنوياً ويقبض امبراطور النمسا والمجر

ثلاثة وعشرين مليوناً وامبراطور المانيا عشرين مليوناً وملك انكلترا اثني عشر مليوناً وملك إيطاليا عشرة ملايين اما رئيس جمهورية الولايات المتحدة فيأخذ ريع مليون و رئيس جمهورية فرنسا مليوناً ومائتي الف فرنك

### الخادومات الفرنسيات

تشكو فرنسا من قلة خادوماتها مع ان فيها سبعمائة الف امرأة تخدم في البيوت الا ان عدد الخادومات كان فيها منذ عشرين سنة ضعف ما هو الآن وذلك كثر الخادومات الالمانيات والسويسريات في فرنسا حتى اصبحن عُشر الخادومات من ابناء البلاد لان اكثر بنات الفقراء في فرنسا اصبحن يؤثرن الخدمة في المعامل ليكون لهن اوقات يصرفنها في الراحة النحو الذي يرون بدون قيد في الخدمة

### البرتسمات

احصى احد علماء كوثنفن عدد من يدينون بالمذهب البرتسماني فقال ان في الولايات المتحدة ٦٥ مليوناً من اهلها الذين يبلغ مجموعهم ٧٩ مليوناً وفي انكلترا ٣٧ مليوناً من اصل ٤٢ مليوناً وفي اانيا ٣٥ مليوناً من اصل ٥٦ مليوناً وفي فرنسا سبعمائة الف فقط وعدد لم ينم منذ قرن فمجموع من يتخلون البرتسمانية في العالم ١٨٠ مليوناً منهم ١١٤ مليوناً يتكلمون بالانكليزية

### ارباح الامم

معدل ما يصيب الفرد في انكلترا من الارباح نحو ٢٨ غنيماً في اليوم وفي الولايات المتحدة ٢٤ وفي فرنسا والبلجيك نحو ٢٢ وقد قدر احد علماء الاقتصاد من الالمان مجموع ثروة العالم بالف ومائتين وخمسين ملياراً من الفرنكات اي بنحو ثلاثين ضعفاً مما يستخرج كل سنة من مناجم الذهب منذ عرف فن الاحصاء والحبوب والمواشي من احوال الثروة

### انقضاء الانتحار

انشأ جيش السلاء في لندرا منذ سنة مكتبة للانتحار اتي بغوائد جليجة فجاءه ١١٢٥ رجلاً و ٩٠ امرأة شكوا اليه ارمم وباحوا اليه بما انطوت عليه نفوسهم من اليأس تخفف عنهم ما تاهبهم وهذا المكتب لا يوزع على من تحدثهم انفسهم بالانتحار مالا بل نصائح وحكماً فقد كان منه ان اعان كثيراً من السوداوين على التخلص مما تاهم فيه فوقي الامل في القلوب الميتة واعضائه يدلون على شعور انساني وفراصة في احوال النفس ولذلك نبه اولئك الاعضاء راقداً انتحاراً وتلافوا مصائب كثيرة

### أكلة الاعشاب واكله اللحوم

ظهرت أبحاث أحد علماء الصحة في الولايات المتحدة في التفضيل بين أكل الاعشاب واكل اللحوم وايضا اتفق للانسان مابين منها انه ربي اوزا باللحوم واوزا بالحبوب فاثبت الاختلاف الذي ينعمن تربيته في تراكيها التشريحية وان ماغذاه منها باللحوم اصبح اسفل معدتها رقيقا جدا وما غذي بالحبوب اخفحت غليظتها وان الاعشاء تطول بحسب نوع الغذاء الذي يتناوله الحيوان فالاوز الذي غذي باللحم كانت احشاؤه اطول من غيره وقد تناول العلماء تجارب العالم الاميري وقالوا انها فتحت لهم بابا جديدا لتنظريه ايها اسم التغذية بالاعشاب والبقول ام التغذية باللحوم والشحوم

### المسح والنوم

يملك بالنوم او مرض النوم كل سنة الوف من البشر في افريقية ولذلك نتخذ الحكومات التي لها املاك في هذه القارة جميع الترائع لاستعمال هذا المرض وقد استبان من تجارب «لانفران» ان هذا المرض ينشأ من دخول جرثومة في الدم يحملها البعوض المسى «نسي نسي» وان هذه الجراثيم تختار التزول في فك تمساح فثمنوفيه اولا

### الصينيون في اليابان

اصبحت بلاد اليابان في الشرق مثل برلين وباريز في الغرب مدرسة ترسل النورالى الافطار فم يكن في مدارسها منذ ثمانين سنين غير ثمانية تلاميذ من ابناء الصير واصبح فيها الآن عشرة آلاف وزاد فيها تلاميذ المنود ثلاثة اضعاف ما كانوا منذ حرب الروس الاخيرة

### مركبة فضمة

انشؤا في انكلترا مركبة فضمة تجرها اطيول فتطوف القرى والمدن تباع المشروبات والمأكولات وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام قاعة كبرى وغرفة للنوم وغرفة تعرض فيها التمودجات والاثلة وهي مفروشة احسن فرش فهناك يكرعون المشروبات ويدخنون ويقصفون على ما يشتهون

### ابادة الجرذان

لم تجد نظارة المالية في انكلترا المال اللازم لاعانة الشيوخ المعدمين وقد اقترح عليها ان تحيي رسما تستخدمه في هذا السبيل من ابادة الجرذان لانها تخرب كل سنة ما يقدر بعشرة ملايين جنيه وقد ثبت ان ميكروب نومان يبيلها فلا يبق منها ولا يذر فاذا خلصت

انكثرتا من جرذها تستطيع حكومتها ان تضرب ضريبة تعادل ما كانت المجرد تخفصه  
ونقصه في العام فتستعمله في اعالة البائسين من الهرمين

### فراش موسيقي

اخترع احد العملة في جنوة فراشا لا يكاد يستلقي عليه الانسان حتى يأخذ بضرب  
موسيقى متساوقة الالحان تطرب سامعها ولا سيما من كان مؤرقاً فيزور الكرى مثلثيه. وعلى  
العكس فمن كان كسلاناً لا يريد لراق فراشه فان ذلك العامل المخترع ابتكر فراشا آخر  
ذا ساعة دقاقة توقفه من نومه في الساعة المهيئة على نغمت منكورة فلا يسه الا ان يبادر للنهوض

### تعليم الفلاحين

ارنى التعليم كثيراً في شمالي اوربا ولا سيما في الدانيمرك فانك تجد فيها مدارس  
خاصة للزراعيين فيختلف الرجال والنساء منهم اليها يتعلمون فيها الكيمياء وفن الخبز وكل ما له  
علاقة بالزراعة وتربية المواشي ويلقي كل شهر محاضرات عليهم جماعة من المحامين او من  
الطلبة الدارسين وهكذا بلغ الفلاحون درجة من الارتقاء العقلي نفيدهم في اعمالهم

### اليوت في اميركا

نقول احدى المجلات الاوربية ان مساكن اهل الطبقة الوسطى في اميركا احسن  
حالا ونظاما مما هي في اوربا والسبب في ذلك انها مبنية على شكل لا يحتاج معه الى عمل  
زائد فلا ترى فيه اشياء تعلق على الجدران ولا غرقاً للتزين والتدريج وان سر هذا الانظام  
ناشيء من ان كل فرد في البيت يحمل في تربيته بحسب حاله وشأنه حتى ان رب الأسرة  
نفسه يتعاطى من اصلاح فرش داره واثائه ما لتعاطاه زوجته

### مدفع سريع

صنع احد مخترعي الانكليز مدفعاً تقطع قذائفه ثلاثين الف قدم في الثانية بحيث انه  
يتأق للانكليز ان يحاصروا باريز من لندرا وهم في بلادهم فيرسلون على اعدائهم القذائف  
فسير بقوة انكهرباء كالبرق الخاطف

### الملك النافع

قالوا ان جزائر بارباد هي السالمة وحدها من بين جزر الارخبيل من حمى الملاريا فليس  
فيها البعوض ذو الجناحين الذي ينقل عدوى هذه الحمى وقد بحث احد ضباط الانكليز في  
تلك الجزائر عن سر نجاة بارباد من هذه الحمى فتبين له ان في جميع بطائح تلك الجزائر  
الجلد ٣ من القنبس

اسما كما كثيرة يسميها السكان لكثرتها « الملايين » وهذا السمك يأكل ديدان البعوض الناقل للحمى . وقد تقلت كمية وافرة من هذه الاسماك الى جزائر الجامايك وكولوم وكويان وغيرها من جزر افريقية فساها تأتي على تلك الديدان فلا تبقى للاريا اثرًا وتوفر الاقنس بجسنانها وقدمها النجوم

### التويم والجرائم

اعلن الدكتور هيرت خلاصة ابحاثه في الاستهواء بالتويم المغناطيسي فاستنتج بانه في عدة احوال في الجرائم يجب البحث عن التأثيرات التي تأثر بها القاتل بارادة اقوى من ارادته والنظر فيها دعاه الى ارتكاب ما ارتكب وفيما اذا كان المجرم في اول امره حسن المنازع نفسد بالقوة او بقوة الاستهواء المغناطيسي الآتية عليه من غيره وذلك التجارب التي جرت مؤخرًا في باريز على اناس متممين بالاشترك ببعض الحوادث الكبرى بواسطة تنويمهم لتعديل حالتهم النفسية كل التعديل على ان التأثيرات ممكنة كما دلت ايضًا بانه كان كثيرًا ما يصعب جدًا ارجاع المؤمنين على هذه الصورة الى حالتهم الطبيعية الاعيادية . وقد ثبت من بحث الدكتور هيرت بان عضابة من المصوص او القنطرة مثلاً يؤثر فيها زعيمها تأثيرًا يخضع ارادات اصحابه لسلطانته فيحركهم كما يحرك نوابض ( زنبكات ) ساعة دقافة فتطيعه وتجري طوع بديه . ثبت ذلك بعدة حوادث في تاريخ الجرائم . واورد الباحث المشار اليه عدة امثلة غريبة جدًا في الاستهواء فقال ان فناة كانت تطرب الناس بالضرب على الكنجفة مع جوق موسيقى ولكنها لم تكذ تستطيع ان تيرمن على اقتدارها وذاكانها الا اذا اتفردت وحدها بدون ان يختلط ضربها بضرب رفيقاتها وعند ما كان يخلولها الجو ولا ينفص عليها عملها منفص ولا تخضع ارادتها لاحد كانت آية في ضربها وكلما كانت تشعر بان رفيقاتها مسلمات عليها كان يستحيل عليها ان تبدي مواهبها فكانت من ثم ضربًا من ضروب الاستهواء ومن ام ما لاحظته هذا الدكتور بان بين الرجل والمرأة عداوة طبيعية في تنازع البقاء فان احدهما يحاول بدون شعور منه ان ينزع عن صاحبه او يقتل من اقتداره الشخصي والعقلي ومن رأيه ان هذا احد نتائج قانون بقاء الانسب واستبدل من ذاك بانه يجب على كل امرئ ان يخبر من الاستسلام الى غيره في مقاصده وعمله على غير روية وسعة نظر

### مخدر جديد

جرب في المستشفى الوطني في لندنرا مخدر جديد اسمه نوفوكاين La novocaine ولا يظهر

انه سينتاس مادة الكوكابين المخدرة المعروفة وذلك لان تأثيره مثلها ولكنه يدوم التخدير به اكثر والتسمم به اقل وثمنه ارخص وهو ينفع في تخدير الاسنان كما ينفع في غيرها

### الذهب الابيض

اكتشف في كوليبيا منجم جديد من البلاتين او الذهب الابيض وكان لا يمدن في تلك الاقطار حتى الآن غير الذهب المعروف ومعلوم ان كوليبيا غنية بمناجمها المختلفة وان كثيراً منها لم يجر تعدينه بعد وان ندرة هذا النوع من الذهب وكثرة استعماله قد زادت في قيمة هذا الاكتشاف

### الاحلاد في المانيا

تنادي الصحف المعتدلة في المانيا الآن بالويل والثبور على تسرب الاحلاد الى نفوس الطبقة المستنيرة من الامة حتى كاد اهل هذه الطبقة في المانيا يشبهون امثالهم في فرنسا قائلة ان الاحلاد يودي بالام ويحبطها اسفل سافلين وقد نسب احد علمائهم نهيمال الزندقة على الالمانين لمجلة شهرية اسمها « طريقة العالم الجديدة » جعلت ديدنها الاكتفاء بذكر النظريات الجديدة التي اكتسبتها العقول والشبان من ارتفاع العلم ولاسيما علم الباليانولوجيا ( علم العظموارات من نباتات وغيرها ) والجيولوجيا ( طبقات الارض ) ومذهب النشوء وهذه المجلة انتشرت في كليات الالمان ومدارسهم انتشاراً كان منه تأثيره السيء في الافكار . وشتان بين امة تدخل اليها الزندقة فنسى الى مداواتها والنظر في اسبابها وبين اخرى تدخل اليها فتعلمها من دواعي المدنية والارتقاء .

### مكتبة الجيب

يتحدثون في اوربا بطبع كتب على صور مصفرة جداً لا يتمكن من قراءتها الا بالهبر وهذه الطريقة في تصغير حجم الكتب فوائد كثيرة اقلها انك تستطيع معها ان تحمل في جيبك مكتبة يرمتها . فلاح در التفنن .

### الجمال عند المالايو

يرى اهل شبه جزيرة مالايو في المند العينية ان الجمال بطول العنق على العكس مما يراه بعض امم الشرق واكثر امم الغرب بتعدد مشوقة وعيون دمع وثناسب في الاعضاء . ولذلك يضع اهل المالايو في اعناق بناتهم منذ ولادتهن اغلالاً من الحديد تهظهن الى ان يجعلن رؤوسهن مستقيمة

## اطالة الشباب

يرى الطبيب تراسي الاميريكي ان الانسان لا يعامله المرم اذا لم يعيش هذه العيشة الحديثة التي نخل بتركيب جسمه وان معظم المرم العاجل يجي به من الافراط في المأكول واستعمال الانكحول فيمتزج الدم بواد سامة لا تفرز منه وتنفق الشرابين مروتها وتصلب بناء يتوالى عليها من الضغط ولا يتخفف هذا الضغط عن الجاري الا بالتدقيق في الاكل والشرب واستعمال الكهرباء وبذلك يطول امد الشباب لان هذه الجاري تقلل من ضغط الدم وتقوي الافرونت وتؤثر تأثيراً ميكانيكياً في الانسجة .

## رعاية الاطفال

اسفت مجلات انكثرا لفقدوا رجلاً كبيراً اسمه بنيامين وغ كان الحركة الدائمة في جمعية رعاية الاطفال في انكثرا فبفضله قويت قوة عظيمة ولما الآن في انكثرا ١١٣٧ مأوى للبنات وترعى مئة الف طفل وطفلة وتحميهم من بوائق الايام وانواع النطائع والآثام

## الحيل

ظبر احصاء بدد الحيل في العالم المتحدين فبين منه ان الجمهورية الفضية اكثرها خيولاً ففيها ٤٧٦٢٣٤٠ اي ١١٢ حصاناً لكل مئة ساكنة . تجي سبديا وفيها يصيب كل مئة ساكني ٨٥ حصاناً ثم الولايات المتحدة وفيها ٦٢ في انكثرا وفيها ١٣ في المئة ثم فرنسا ٧ والمانيا ٥

## وادي موسى

عني انسيروا موزيل العالم التساوي بالرحلة الى وادي موسى من بلاد العرب المعروفة عند الافرنجيين اي العربية العنصرية وقد اصدر الجزء الثالث من رحلته الآن لجاء فيه ان مجموع سكان تلك البلاد يبلغ سبعين الف نسمة ينقسمون الى ٤٨ بطناً يحكمها جواحد . يحترمون قهره . وكان من انقطاع هؤلاء السكان عن الاختلاط بغيرهم ان حفظت لهم اخلاقهم الاصلية حتى ان كثيراً من الاشياء التي لا تفهم من شعر الجاهلية اذا درس المرء ما كتبه هذا العالم عن اخلاق سكان وادي موسى وآثارهم واسولم ولغتهم وشعائرهم الدينية فنجي له كل التخلي فقد بقي في اعمالهم الدينية وفي ذنوبهم وشعائهم خاصة علامات جوهريّة من الاديان السامية القديمة حتى ان تاريخ اسرافات عندهم يرد الى عهد قديم جداً فيها انهم يستقدون بام المطر عند ما يضر الجفاف يزرعونهم فيعمد النساء الى اتخاذ

عساوين يحصلانها على شكل صليب ينظن به قبيحاً ويظن الأرض التي تشكوكلة المطر منشآت اغاني اوردتها المؤلف . ولم يقف تأثير عادات الجاهلية فقط عند هذا الحد في عادات سكان وادي موسي ومعتقداتهم بل ان التصراية اثرت في مسلي الكوك آثاراً لم نبرح بادية للاعين فيها انهم يعمدون اولادهم على يد قسيس مسيحي ليغتنوا لهم بذلك صحة جيدة وقد اشتمت المجلات العلمية على مؤلف هذا الكتاب وقالت انه مفهم فوائده لم تكن للفريرين معرفة بها من قبل .

### اندية العملة

جملت للعملة في بلاد الانكليز منذ سنة ١٨٦٢ اندية خاصة بأوون اليها آونة فراغهم ولا يكونون فيها عرضة لتعاطي المشروبات الروحية وما يبرح المشتركون فيها ينمون حتى غدت وارداتها تكفيها . وفي انكلترا ١١٠٠ ناد ينفق الفرد فيها كل اسبوع ثمن مشروبات ودخان ومياه ممدنية شلينا واحداً ومنها مثلاً ناد لما صفة سياسية وجميع هذه الاندية تمثل عامة الآراء والمذاهب ونشيط في محاضرات ومسابقات ومعارض وهور واعباد احسان ولكل ناد مال خاص ينفق منه على فقراء المقاطعة الذي هو فيها . واهم ما يمتاز به اندية العملة الامتناع عن المشروبات الروحية والاحسان لمن جاز الزمان عليه من ابناء بلادهم ولبعضها خزائن كتب سيارة تطوف البلاد ليطالع فيها الناس مجاناً

### اخلاق المالفاشيين

المالفاشيون سكان جزيرة مدغسكر لم اخلاق وعادات غريبة من حيث عفة النساء واليك ما وصفهم به احد علماء الافرنج قال : ان ما يطلب من المرأة المالفاشية هو ان تطبخ في اوقات معينة الارز والمرق الذي يؤكل معه في المادة وعلى ما يتنى . وان ترتب شؤون البيت وترتب الثياب وتدير بحكمة املاك بيتها وهذا في الغالب من خصائصها وان تلد لزوجها اولاداً كثيراً . هذه وظيفة ربة المنزل الاساسية وما عدا ذلك فانها اذا حافظت على عفتها فيها ونمت وتمد كالماء نوراً على نور مع انه قلما يلتفت اليه او يلقى من اجل فقده . الفتاة المالفاشية حرة باستخدام جسمها على النحو الذي تريده . وليس في اللغة المالفاشية لفظ مرادف للغة والبكارة حتى ان المرسلين في بعض انحاء تلك البلاد التي دانت حديثاً بالتعويجية اضطروا الى اخذ كلمة بكارة من اللغة الافرنجية يستعملون جملة دلالة على لفظها فيقولون طهارة السلوك وطهارة القلب للتعبير عن العفة . ولم يستطع اولئك المرسلون



ان يعبروا عن تبطلهم الا بانهم قالوا ان الله يثب بهم ليكونوا آباء للمنافشين فلا يجدر بالاب ان يتزوج من بناته .

يلغ الولد سن الحظ هناك في الثامنة او العاشرة من عمره والبنت قبل هذه السن احياناً . ولا سبيل الى تحديد وقت يرتكب فيه الاولاد ما يرتكبون من الخطيئة للمرة الاولى والام تنظر الى ابنتها اذا اتت منكراً نظراً للمسرورة المغتبطة كما ان الاب ينظر لابنه اذا فعل ذلك نظراً لفاخر الا ان بعض الامهات يدفعن عن بناتهن عشرة الصبيان الذين هم اكبر سناً منهن . وانك تجد هناك في مدارس القرى والمدن البنات والصبيان المتزوجين يتعلمن معاً والزوج في العاشرة والمرأة دون ذلك فاذا جاء المساء تعمي لزوجها طعامه وهو يكبح لها بان يجلب الارز والقم ويحتطب او يكتسب بعض دريهمات . وبعثاً حاول المرسلون والعلمون ورجال الحكومة والادارة هناك ان يعدلوا من هذه العادات في المنافشين ولكنهم لم يزل راسخاً

على ان هذا الاقتران قليل البقاء وكلا الزوجين منقلب وكل امرئ يبدون ان عيس شرف احد الزوجين . وتحسن المرأة سلوكها بعض التحسين عند ما تلد اولاداً وليس من العار ان ترزق اولاداً من آباء مختلفين بل ان زوجها لا يرى من الشار ان يقبل اولاد غيره مع 'بقائه بذلك ويعاملهم كما يعامل من تلدهم زوجته منه من الاولاد

وهذه الخال في اخلاق المنافشين وان كانت اقل مما هي في اوربا لكنها غير مموهة وليس فيها رياء كما في اوربا حيث تخفى الابنة التي تلد من السفاح ويخترق ابنتها ويستكشف الناس من الاقتراب منه أما المنافشي فيرى ان الوليد غير مسئول عائق من عدم مراعاة ابويه لشروط الزوجية وهي التي ينبغي ان تسبق ولادته في العالم المتحضر يدان كثيرين من الادريين على ما فيهم من النقي جذيرون بان يأخذوا في هذا المعنى عن المنافشين المتوحشين . والداعي الى هذه الخالة في المنافشين هو انه بلادهم الذي يحرك النفوس منذ الصغر ثم ان الارزواج لا يرون بأساً في ان يتنموا مع اولادهم ولو كبروا في محل واحد بل على حصر واحد . فيتعلم الطفل ما يتعلم منذ يأخذ في الادراك . والجندو الادرييون القتيون هناك لا يسمحون ان يتزوجوا من المنافشيات ويولد لهم منهن . والبنت اذا حملت قبل ان يعرف لها زوج تفرح بما تلدها واهلها لان الناس في تلك الاصقاع يرون ان الناية من ازواج تكثير النسل فلا بأس بالاطفال من اي الطرق جاءوا

ثم ان الحيشة هناك سهلة لقناية . فتعلم الجميع الارز ملتوتاً بشيء من المرق او اللحم او السمك واليتول المروقة عندهم والماء الصرف يتساوى في ذلك الفقير والغني . ولماذا يهتم

المالغاشيون اذا كثروا ولادهم ما دامت ثياباتهم مملوءة بالشمع والمطاط بحيث لا تنضب معها ثيابهم منها وابعوا ويمسور لهم ثم ان الاولاد لا يلبسون ثياباً الا بعد السنة الثانية من اعمارهم و يظنون كما ولدتهم امهاتهم عراة فاذا جاوز الولد هذه السن يعطى قطعة من الخيش او الجفنيش يلبسها او يقطع له قطعة من ثياب امه و آبيه . وانشاء البيوت هناك سهل للغاية ففي الغابات متسع ليقطع منها خشب البناء وفي المروج من جذوع الشجار ما يحيط به حواجز وحيطاناً ومن الخيزور ما يفرشونه حصيراً

ثم ان القوم لا يهتمون بمسألة الموارث وقل ان يهتم الآباء ان يتركوا لاولادهم ارضاً قل أو اكثر لان هؤلاء لا يعرفون كيف يتصرفون به فالدرهم نادرة جداً عندهم والارض لا قيمة لها وارضهم تكثر فيها البقاع التي تصلح لزراعة الارز والمراعي . والماشية وحدها هي من العلائم الظاهرة على الثروة ولكنها شائعة بين كل اقرية لا يقتسمونها ولا يدعى الاولاد لأبائهم بل على العكس يطلق على الاب ولام اسم والديهم وليس بينهم اثر للاسماء التي ننقل خلفاً عن سلف ويطلق على كل انسان اسم خاص وله ان يغيره على ما يشاء متى شاء . وبالجملة فان اخلاقهم وعاداتهم على غرايتها اقرب الى الطبيعة — هكذا قال الكاتب .

## مطبوعات ومخطوطات

### كتاب تأويل مختلف الحديث

للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٢٦ هـ مصنفات كثيرة قيل انها تزيد على ثلثائة مصنف وهذا الكتاب من اجودها . الله بعد ان رأى ثاب اهل الكلام لاهل الحديث واسماهم في ذمهم ورميهم برواية التناقض حتى كثرت الاختلاف بين الامة وقد تعرض في مقدمته لجل ما قاله عليه السلام في حق رواية الحديث من الجمهور ومراده باهل الكلام علماء المعتزلة اذ لم يكن هذا لقب يطلق قديماً على غيرهم واجاب عن اعتراضهم فيها بجواب مجمل وجعل ثمة الكتاب لتأويل الاحاديث التي ادعوا عليها التناقض او المخالفة للكتاب العزيز او المخالفة لصريح العقل الذي دل على اعتباره صحيح النقل . واكثر في ذلك واظهر ما اشتهر عنه من البراعة والاجادة فيما ينمو اليه وكلامه وقع في النفوس وناهيك من قيل فيه انه لاهل السنة مثل المباحث للمعتزلة . وهذا الكتاب يجدر بكل من له ميل الى علم الحديث ان يطلع عليه . وهنا نكتة مهمة وهو ان ابن قتيبة

كثيره من العلماء قد كثروا القادرون عليه في أكثر كتبه شأن كل عالم اطلق نقله العنان فينبغي للمطالع في كتبه ان يكون من له قوة في النظر «نظار» والكتاب وقع في ٤٦٤ صفحة صغيرة مطبوع طبعا في الغاية من الصحة والاتقان مقابلاً على ثلاث نسخ احداها بتدادية والثانية دمشقية والثالثة مصرية وقد علق عليه مصححه الشيخ اسماعيل الخطيب السني الامعودي شرح بعض الالفاظ اللغوية وطبع على نفقة محمود افندي شابندرمن تجار بتداد بطبعة كردستان العلمية بمصر لصاحبها الشيخ فرج الله زكي الكردي فجاء من اذونات الكتب المتى بها فشكر للقائمين بالاتفاق عليه وتصحيحه وطبعه كل الشكر

### المهج السلوك في سياسة الملوك

الف علماء العرب عشرات من الكتب والرسائل في السياسة اهدوها ملوكهم وبعضها لم يزل محفوظاً في خزائن الكتب ومن هذه الاسفار التي لم تمثل بعد بالطبع كتاب المهج السلوك لمؤلفه عبدالرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس لله يرسم خزانة الملك الناصر صلاح الدين يوسف وقسمه الى عشرين باباً منها بيان افتقار الرعية الى ملك عادل وانتقار الملك اليه ومعرفة قواعد الادب واركاب المملكة ومعرفة الاوصاف الكريمة والحث عليها ومعرفة الاوصاف الذميمة والتي عنها وكيفية رتبة الملك مع اوليائه حال جلوسه وفصل للثورة واوصاف اهلها واصول السياسة والجلوس لكشف المظالم وسياسة الجيش ومصايرة المشركين واستماع المواظ بمباراة مسلمة وامثلة كثيرة . والكتاب في ١٤٠ صفحة متوسطة الحجم مطبوع بطبعة الظاهر طبعا نظيفاً متقناً على نفقة احمد زكي افندي ابرشادي ومحمد افندي رشدي وثمنه خمسة قروش يطلب من ادارة هذه المطبعة ومن المكاتب الشهيرة

### رسائل البلغاء

جردت ما نشر في القنيس من رسائل عبد الله بن المنفع وعبد الحميد بن يحيى الكتاب وحكمها المتقنة وكتبتها الماثورة حياً بان لتناول جميع الايدي من معين بلاغها وتطبع الملكات بطابع الكتاتبة العربية النجدة فجاءت في ١٠٠ صفحة من مثل هذه الصفحات ويجوز كثرها فسلما نفع طلاب الادب العربية والباحثين في الاجتماع والتاريخ والاخلاق وهي تطلب من ادارة القنيس في القاهرة ومن وكلائه في الجهات ومن المكاتب الشهيرة في مصر والشام وال عراق وثمنها فرتك واحد يضاف اليه ربع فرتك اجرة البريد

# المقنن

الجزء التاسع من المجلد الثالث

رمضان سنة ١٣٣٩ الموافق أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٥٨

## الحسبة في الاسلام

واربعة مخطوطات فيها

عني المسلمون في القرون الاربعة الاولى خاصة باقامة شعائر الدين على اصوله لتكون مدنيتهم فاضلة كما عُنوا بوضع القوانين المدنية استخرجوها من روح الكتاب والسنة ليعملوا بها في معاشهم ومدنيتهم واجتماعهم . وكان يتولى ذلك في الاكثر ولاية الامر بمعية العلماء العاملين فاذا ما ضعفوا في بلد او ناحية يتولى عليه القوم من عامتهم ما يعدم عن خرق سباج الشريعة واخلال قواعد المدينة الفاضلة حتى لا يجوز قويمهم على ضعيفهم ولا يجاهر احد بمنكر ولا يعتدي على حق ولا يحمل عملاً من شأنه ان يحمل المدينة فاسقة فاجرة لئلا تهلك كما هلك القوم الفاسقون . وقد سمو هذا العمل الحسبة بالكسرة وهو الاجر وهو اسم من الاحتساب اي احتساب الاجر على الله تقول فعلته حسبة واحتسب فيه احتساباً والاحتساب طلب الاجر

وقد وردت في الكتاب العزيز عدة آيات صريحة في وجوب الحسبة وورد عن الشارع الاعظم آثار كثيرة وكذلك عن السلف الصالح والعلماء العاملين من اهل الصدر الاول . والحسبة او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضاً قسمت كقسم الامر بالمعروف الى ثلاثة اقسام احدها ما يتعلق بحق الله تعالى والثاني ما يتعلق بحق الادميين والثالث ما يكون مشتركاً بينهما ويمكننا ان نقسمها الى دينية ومدنية فالديني منها بطل من بلاد الاسلام منذ اصبحت حكوماتها لا تحافظ على جوهر الدين بالذات . والمدنية بقي اثر ضئيل

منها في مصر خصوصاً الى نحو اواسط القرن الثالث عشر للهجرة واستعيض عنها في بعض البلاد العثمانية بمجالس البلديات

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (١) ان اصل الحسبة ان تعلم ان جميع الولايات في الاسلام مقصودها ان يكون الدين كله لله وان تكون كلمة الله هي العليا فان الله سبحانه وتعالى اتما خلق اخلق لذلك وبه انزل الكتب وبه ارسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون . وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم الا في الدنيا ولا في الآخرة الا بالاجتماع والتعاون والتناصر فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مفارمهم ولهذا يقال الانسان مدني بالطبع فاذا جمعو فلا بد لهم من امور يفعلونها يحتلونها بها المصلحة وامور يمتنعونها فيها من الفسدة ويكونون مطيعين للامر بتلك المقاصد والنهي عن تلك المفاصد فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة امر وناهي فمن لم يكن من اهل الكتب الالهية ولا من اهل دين قانهم بطيعون ملوكهم فيما يرون انه يعود بمصالح دنياهم مصيبين تارة وتخطئين اخرى واهل الاديان الفاسدة مطيعون فيما يرون انه يعود عليهم بمصالح دينهم ودنياهم وغير اهل الكتاب منهم من يؤمن بالجزاء بعد الموت ومنهم من لا يؤمن واما اهل الكتاب فتفتقروا على الجزاء بعد الموت ولكن الجزاء في الدنيا متفق عليه من اهل الارض فان الناس لم يتنازعوا ان عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا روي ان الله ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة

قال والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يبق به غيره والقدرة هو السلطان والولاية فذو السلطان اقدر من غيرهم وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فان مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل انسان بحسب قدرته ان يقول وبشئ آدم لا يعيشون الا باجتماع بعضهم مع بعض واذا اجتمع اثنان فصاعداً فلا بد ان يكون بينهما اتفاق بالمر وناه. عن امر واولو الامر اصحاب الامر وذو القدرة واهل العلم والكلام فلهذا كان اولو الامر صنفين العلماء والامراء فاذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس كما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه للاحمية لا سألته ما بقاؤنا على هذا الامر قال : ما استقامت لكم ائمتكم . ويدخل فيهم الملوك والمشايخ واهل الديوان وكل من كان متبوعاً فانه من اولي الامراء

وقال ابن الاخوة : الحسبة من قواعد الامور الدينية وقد كان ائمة الصدر الاول يشارونها بانفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهي امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن

المنكر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس والمحتسب من نصبه الامام او نائبه للنظر في احوال  
الرمية والكشف عن امورهم ومصالحهم وبياعاتهم وما كوفهم ومشروهم وملبوسهم  
ومساكنهم وطرفاتهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . وقال الماوردي : الحبة واسطة  
بين احكام القضاء واحكام المظالم فاما ما بينها وبين القضاء فهي موافقة لاحكام القضاء  
من وجهين ومقصورة عنه من وجهين وزائدة عليه من وجهين فاما الوجهان في موافقتها  
لاحكام القضاء فاحدهما جواز الاستعداد اليه وسماحه دعوى المستعدي على المستعد عليه  
في حقوق الادميين وليس هذا على عموم الدعاوي وانما يختص بثلاثة انواع من الدعاوي  
احدها ان يكون فيها يتعلق ببض وتطيف في كيل او وزن والثاني ما يتعلق بنش او  
تدليس في بيع او ثمن والثالث فيما يتعلق بتطل وتأخير لدين مستحق مع انكسة ولا يخطر في  
الحبة من سلطة السلطة واستطالة الحماة فيما يتعلق بالمنكرات ما ليس بالحق . لان  
الحبة موضوعة على الرتبة فلا يكون خروج المحتسب اليها بالسلطة والغاص تجاوزا فيها  
ولا خرقا والقضاء موضوع للمناصفة فهو بالانابة والوفاء احق وخروجه عنه الى سلطة  
الحبة تجوز وخرق لان موضوع كل واحد من المتعصبين يختلف فتجاوز فيه خروج من حده .  
وقال ابن خلدون ان الحبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض  
على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتمتع فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك  
ويبحث عن المنكرات ويمرر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل  
السمع من المضايقة في الطرقات ومنع الخماين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكمة على  
اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والغريب على  
ابدي المتعلمين في المكاتب وغيرها من الابلاغ في ضربه للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه  
على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه . وليس له  
امضاء الحكم في الدعاوي مطلقا بل فيما يتعلق بالنش والتدليس في المعاش وغيرها وسيتم  
التكاييل والموازين وله ايضا حمل الماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع  
بينة ولا انفاذ حكم وكأنها احكام ينزه القاضي عنها تمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى  
مدح هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمصالح القضاء وقد كانت  
في كثير من الدول الاسلامية مثل الميدين بصرى والغرب ولا موبين بالاندلس داخلة  
في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما اتفردت وظيفة السلطان عن الظلابة وحار  
نظرة عاما في امور السياسة اندرجت في وظائف الملك وانفردت بالولاية

فلما ان الناس كانوا يتولون الحبة بانفسهم عند ما تضعف الحكومات لان معلمة

اهل كل بلد لا تم الا بذنب الاذى بعضهم عن بعض والتواصي بالحق والجري من العدل على عرق . قال ابن الاثير في حوادث سنة احدى ومائتين ان المشوطة تجردت للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان سبب ذلك ان فداق بغداد والشار آذوا الناس اذى شديدا واضهروا الفسق وقطعوا الطريق واخذوا النساء والعبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل وامه فلا يقدر ان يتمتع منهم وكانوا يطلبون من الرجل ان يقرضه او يصدقه فلا يقدر على الامتناع وكانوا يهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لانه كان يفرهم وهم بطائفة وكانوا يسكنون المجتازين في الطريق ولا يعدي عليهم احد وكان الدس معهم في بلاد عظيم وآثر امرهم انه خرجوا الى قطربل وانتبهوا علانية واخذوا العيون والانتاع والدواب فبعضها ببغداد شاهرا واستعدى اهلبا السلطان فلم يعدهم فل رأى اناس ذلك فدهم صفا كل ربح ودرب ومضى بعضهم الى بعض وقالوا انما في الدروب الفاسق والله سدن في العشرة واتم اكثر منهم فلو اجتمعت جمعهم هؤلاء الفداق ولجروا عن الذي يعنونه فقام رجل فدا جيرانه واحد سمعته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابوه ان ذلك فسد على من يليه من الفداق والشار فنعمهم وامتنعوا عليه وارادوا قتاله فقتلهم فبزمهم وغريب من اخذه من الفداق وجسدهم ورفعهم الى السلطان الا انه كان لا يرى ان يغير على السلطان شيئا ثم قام بعده رجل من الحرية من اهل خراسان فدا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والهمم بالكتاب والسنة وعلق معصفا في عنقه وامر اهل محله ونهاهم فقبلوا منه ودعا الناس جميعا الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم فاتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد واسواقها . . .

اليك مثالا مما حدث في حكومة الشرق الاسلامية عند ما ضعف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعض الشيء ومثله جرى في الغرب في مثل هذه الحالة فقد قال ابن خلدون انه كانت لعهده في القرن التاسع للهجرة بالمغرب نزعة من الدعوة الى الحق والقيام بالسنة لا يتقنون فيها دعوة فاضحي ولا غير وانما ينزع عنهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تأبهه واكثر ما يعنون باصلاح السابلة فان اكثر فساد الاعراب فيها يأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا الا ان السيفة الدينية فيها لم تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين ثم يقصدون بها الانصار عن القارة والنهب لا يقتلن في توبتهم واقبالهم الى مناجي الديانة غير ذلك لاهل المعصية التي كانوا عليها قبل القرية ومنها توبتهم فيجد ذلك التخلل للدعوة القائم بزعمه بالسنة غير متمم في فروع

الافتداء والاتباع وانما دينهم الاعراض عن النهب والبنى واساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش باقضى جهدهم انتهى .

\*\*\*

هذا غاية ما يقال في تعريف الحسبة وشيء من تاريخها ولمعة من حاشيتها وقد انتهت علماؤنا ما يربى على عشرين كتابا في الحسبة المدنية خاصة اخبرنا اليهث باربعة ايامنا حتى الآن وهانحن نتكلم على الكتاب الاول منها قال مؤلفه في مقدمته بعد البسملة والحمد لله والصلاة : اما بعد فقد رأيت ان اجمع في هذا الكتاب ما يستند من الاحكام الاحاديث النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام مما ينفع به هذا المنفذ لصب الحسبة والنظر في مصالح الرعية وكشف احوال السوق وغير ذلك على الوجه الم شروع ليكون ذلك عمدا اسياسة وقواما لرياسته فاستقرت لله تعالى في ذلك وختمته طرفا من الاخبار وطروته بالحكايات والآثار ونهبت فيه على غش البليات وتدليس ارباب الصناعات . يستحسنه من تصفحه من ذوي الانباب والمعلوم المشهور ان الكتاب عنوانه عقول الكتب وجماعته سبعين بابا يشتمل كل منها على فصول ست

(١١) الاول كتاب الحسبة لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي وهو من مخطوطات مكتبة احمد زكي بك من علماء القاهرة كتب سنة ١٣٠٦ هـ عن نسخة كتبت سنة ٧٤٢ وعليها بعض تعليقات بقلم محمود شكرى افندي الأوسى من علماء بغداد وقد وقعت في ١٦٩ صفحة وتحرف فيها قليل وخطها واضح . والثاني كتاب شيخ الحسبة امر بن محمد بن عوض الشامي من مخطوطات مكتبة احمد تيمور بك من علماء القاهرة وقع في ١٣٤ ورقة من الحجم الوسط والعجبة تغلب عليه وقد جاء في آخره تم الكتاب والحمد لله الذي بزمته وجلاله ثم الصالحات في سنة احدى وسبعين ومائة والى . والكتاب الثالث اسمه نهاية الزبى في طلب الحسبة لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد الشيزي وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية وعدد اوراقه ٢٣ ورقة وهو بخط مقروء لم تكتب عليه سنة كتابته ولا تاريخ تأليفه والصححة تغلب عليه في الجملة . واسم الكتاب الرابع ايضا نهاية الزبى في طلب الحسبة استنسخته في دمشق سنة ١٣٢٢ هـ عن نسخة جلبت من حلب وهي في ١٥٠ صفحة منسقة القطع تغلب عليها الصححة وقد كتب الاصل سنة ١١٩٥ بخط جلي وورق خفيف والغالب ان مؤلفه من اهل القرن الثامن وانه مصري كما ان مؤلف الكتاب الاول ان لم يكن مصرياً فمن ساكني مصر . وكتاب احمد زكي بك اوسع هذه الكتب مادة وان كانت كلها تعد في المقصد والكيفية



الباب الاول في شرائط الحسبة وصفة المحتسب

الثاني في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الثالث في الخمر والآلة المحرمة

الرابع في الحسبة على اهل القعة

الخامس في الحسبة على اهل الجنائز

السادس في المعاملات المنكرة

السابع فيما يحرم على الرجال استعماله وما لا يحرم

الثامن في الحسبة على منكرات الاسواق

التاسع في معرفة التقاطيع والارطال والمناقل والممرام

العاشر في معرفة الموازين والمكاييل والاذرع

الحادي عشر في الحسبة على العثمانيين والعلافين

الثاني عشر في الحسبة على القرانيين والخبازين

الثالث عشر في الحسبة على التوائين

الرابع عشر في الحسبة على التقاقين

الخامس عشر في الحسبة على الكبوديين والبوارين

السادس عشر في الحسبة على الجزارين

السابع عشر في الحسبة على الرواسين

الثامن عشر في الحسبة على الطباخين

التاسع عشر في الحسبة على الشرابيين

العشرون في الحسبة على المراسين

الحادي والعشرون في الحسبة على فلائي السمك

الثاني والعشرون في الحسبة على فلائي الزلاية

الثالث والعشرون في الحسبة على الحلاويين

الرابع والعشرون في الحسبة على الشرايين

الخامس والعشرون في الحسبة على العطارين والشاعين

السادس والعشرون في الحسبة على البياعين

السابع والعشرون في الحسبة على البائنين

الثامن والعشرون في الحسبة على البزازين

التاسع والعشرون في الحسبة على الدالين  
 الثلاثون في الحسبة على الحاكة  
 الحادي والثلاثون في الحسبة على الخياطين والرفثيين والقصارين  
 الثاني والثلاثون في الحسبة على الحريريين  
 الثالث والثلاثون في الحسبة على الصباغين  
 الرابع والثلاثون في الحسبة على القطنيين  
 الخامس والثلاثون في الحسبة على الكتانين  
 السادس والثلاثون في الحسبة على الصيارف  
 السابع والثلاثون في الحسبة على الصانعة  
 الثامن والثلاثون في الحسبة على النحاسين والحديد  
 التاسع والثلاثون في الحسبة على الاساكفة  
 الاربعون في الحسبة على الياطرة  
 الحادي والاربعون في الحسبة على مياسرة العيد والجواري والدواب والدور  
 الثاني والاربعون في الحسبة على الحمامات  
 الثالث والاربعون في الحسبة على السدارين  
 الرابع والاربعون في الحسبة على الفصادين والحجامين  
 الخامس والاربعون في الحسبة على الاطباء والكحالين والمجبرين  
 السادس والاربعون في الحسبة على مؤدبي الصبيان  
 السابع والاربعون في الحسبة على القومة ومؤذنين  
 الثامن والاربعون في الحسبة على النوءف  
 التاسع والاربعون في الحسبة على المنجمين  
 الخمسون فصول تشتمل على معرفة الحدود والتعزيرات وغير ذلك  
 الحادي والخمسون في القضاء والشهود  
 الثاني والخمسون في الولايات والامراء وما يقدرونه من حاكم وما يتعلق بهم من امور العباد  
 الثالث والخمسون فيما يلزم المحتسب فعله  
 الرابع والخمسون في الحسبة على اصحاب السفن والمراكب  
 الخامس والخمسون في الحسبة على باعة قدور الخنزف والكنيزان  
 السادس والخمسون في الحسبة على الفاخرانيين والفضاريين

السابع والخمسون في الحسبة على الابارين والمسلاتيين  
 الثامن والخمسون في الحسبة على المردانيين  
 التاسع والخمسون في الحسبة على الخناويين وغيثهم  
 الستون في الحسبة على الامشاضيين  
 الحادي والستون في الحسبة على معاصر السرج وازيت الحذر  
 الثاني والستون في الحسبة على الغرابليين  
 الثالث في الحسبة على الدباغين والبطلين  
 الرابع والستون في الحسبة على اليهوديين  
 الخامس والستون في الحسبة على القرائين  
 السادس والستون في الحسبة على الخضر بين العبداني والكركر  
 السابع والستون في الحسبة على التبانين  
 الثامن والستون في الحسبة على الخشايين والقشاشين  
 التاسع والستون في الحسبة على النجارين والنشارين والبنائين  
 السبعون يشتمل على تفاصيل من امور الحسبة لم تذكر في غيره

هذه ابواب الكتاب ومنه يفهم ما ينبغي عليه ولا بأس بايراد فصول منه للدلالة على  
 اسلوبه قال في الباب الاربعين في الحسبة على البيطرة : البيطرة علم جليل سطرته الفلاسفة  
 في كتبهم ووضعوها فيها تصانيف وهي اصعب علاجاً من امراض آدميين لان الدواب  
 ليس لها نطق تعبر به عما تجد من المرض والالم وانما يستدل على عللها بالجلس والنظر فيحتاج  
 البيطار الى حسن بصيرة يطل الدواب وعلاجاتها فلا يتعاطى البيطرة الا من له معرفة وخبرة  
 فالتعجم على ابواب بقصد او قطع او كي او ما اشبه ذلك بغير خبرة يؤدي الى هلاك الدابة  
 او عايتها فيلزمه أرش ما نقص من قيمتها من طريق الشرع ويعززه المحتسب من  
 طريق السياسة .

فصل وينبغي للبيطار ان يعتبر حافر الدابة قبل تعينه فان كان احقاه بلا ( كذا )  
 نصف من الجنب الآخر قدراً يحصل به الاعتدال وان كانت الدابة قائمة جعل المسامير  
 المؤخرة صفراً والمقدمة كباراً وان كانت يدها بالصد من ذلك صفر المقدمة وكبر المؤخرة  
 ولا ياتل في نصف الحافر فنمزم الدابة ولا يرخي المسامير فيحرك النمل ويدخل تحته المعاء  
 والرمل ولا يشد على الحافر بقوة فتزمن الدابة وانظر ان التعال الطريقة الزم للحافر والينة اثبت  
 للمسامير المصلبة والمسامير الرفيعة خير من الغليظة واذا احتاجت الدابة الى تسريع او فح

عرق اخذ المبخع بين اصبعيه وجعل نصابه في راحته واخرج من رأسه مقدار نصف ظفر ثم فتح العرق قليلاً الى فوق بجمعة ورفق ولا يضرب العرق حتى يجف بصبعه سيما عروق الاوداج فانها خطيرة تجاورتها للري فان اراد فتح شيء من عروق الاوداج خفق الدابة خفقاً شديداً حتى تندبر عروق الاوداج فيتمكن حينئذ مما اراد

فصل وينبغي البيطار ان يكون خبيراً بجلل الدواب ومعرفة ما يحدث فيها من الميوب ويرجع الناس اليه اذا اختلفوا في الشاة وقد ذكر بعض الحكماء في كتاب البطرة ان على الدواب ثلثمائة وعشرون علة نذكر ما اشتهر منها فقها الخناق الرطب والخناق اليابس والجئون وفساد الدماغ والصداع والحجر والنفخة والورم والمرة المتحكة والديبة والغشاء ووجع الكبد ووجع السلب والدود في البطن والنفل والنسور وريح النسوس وانقطاع الصداع والسعال النزوي والسعال اخضر وانفجار الدم من الذئب والذئب والنحل والحلق وعصار البول ووجع المفاصل والرهضة والرحس والداخس والنتنة والنكبة الجلدة والنتنة وشلل الحار في العين والناحر ورحضة الاذنين والقرص وغير ذلك مما يطول شرحه فينظر البيطار الى تحصيل معرفة علاجه وسبب حدوث هذه العلل منها ما اذا حدث في الدابة صار عيباً دائماً ولولا التطويل لشرحت من ذلك جملاً كثيرة وتفصيل فلا يهمل المحتسب امتحان البيطار بما ذكرناه ومراعاة فعله بدواب الناس والله اعلم .

وقال من فصل في الحسبة على الحمامات وقوامها وذكر منافعها ومضارها : وقد ذكر عن بعض الحكماء انه قال خير الحمامات ما قدم بناؤه واتسع هواؤه وغلب ماؤه واعلم ان الفعل الطبيعي للحمام استرخين بهوائه والترطيب بآائه فالبيت الاول مبرد مرطب والبيت الثاني مضمج مجفف والحمام يشغل على منافع ومضار فاما منافعها فتوسع المسام واستفراغ الفضلات وتحلل الرياح وتجيب الطبع اذا كانت سهولته عن هيضة وتخليط الوسخ والرق وتذهب الحكة والجرب والإعياء وترطب البدن وتجود المضمج وتنفج التزلات والركام وتنبع من حمى يوم ومن حمى الدق والرج بعد تقيح خلطها عند طول المقام فيها وتسقط شهوة الطعام وتضعف الباه واعظم مضارها صب الماء الحار على الاعضاء الضعيفة وقد تستعمل على الريق والغلاء فتجفف تجفيفاً شديداً او تهزل وتضعف وقد يستعمل الحمام على قرب عهد البشع بعد المضمج الاول فانه يرطب البدن ويسخه ويحسن بشرته .

فصل وينبغي ان يأمرهم المحتسب بشل الحمام وكنسها وتخليطها بالماء الطاهر غير ماء الفسالة يفضلون ذلك مراراً في اليوم ويدلكون البلاط بالاشياء الخشنة ثلاثين مراراً في اليوم او اغلطي فيزلق الناس عليها ويضاون في كل يوم حوض النوبة من الاوساخ المختمة فيه

وكذلك الفساق والفدور من الاوساخ الملتصقة من المجاري والمكر الزاكن في اسفلها في كل شهر مرة لانها ان تركت اكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطم والرائحة ولا يسد الانابيب بشعر الماشاة بل يسدها بالغرق الطاهرة او الليف الطاهر ليخرج من الخلاف ويستعمل فيها الجذور في اليوم مرتين بالحبالان الذكر او المصطكى او اللادنت ولا بدع الاساكفة واصحاب اللبد يسلون شيئاً من اللبد ولا من اللادنت في الحمام فان الناس يتضررون برائحته ولا ينبغي ان يدخل اخذه مجذوم ولا ابرص وينبغي ان يكون للحمامي ميزار يجرها للناس وتكون عريضة حتى تستر ما بين السرة والركبة ويأمر فتح الحمام في السحر لحاجة الناس اليه لتطهر فيه قبل وقت الصلاة ويلزم الوقف حفظ اقشة الناس فان ضاع منها شيء لئمه ضياعه على الصحيح. ويتخذ بالحمام زبراً كبيراً يرسم الماء الحلو او عذبا ان كان يشرب يرم شرب الناس لا سيما في زمن الحرقان ذلك من المصالح وكذلك فيكون عنده السدر والبلوك فقد يحتاج الانسان له ولا يمكنه الخروج الى ظاهر الحمام ولو رتب سداراً دائماً على باب الحمام ليحس السدر وآفة الحمام كان ذلك حسناً.

فصل وينزه صاحب التوبة استعمال الامواس الجيدة الفولاذ حتى ينفع الناس بها وينبغي ان يكون المزين خفيفاً رقيقاً بصيراً بالخلقة ويكون حديدية قاطعاً كما ذكرناه ولا يستقبل الرأس ومنابت الشعر استقبالا ولا يأكل ما يغير نكهته كالصل والثوم واكرات وغيره في يوم نوبته لئلا يتضرر الناس برائحة فيه عند الخلقة ولا يحلق شعره في الاذن وليله ولا عبداً الا باذن سيده ولا يخلق عذار امرء ولا تحت مخض

فصل وينزه اغتصب ان يتفقد الحمام في كل وقت ويعتبر ما ذكرناه وان رأى احداً قد كشف عورته عزره على كشفها لان كشف العورة حرام وقد لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناظر واشطور والنساء في هذا المقام اشد تهاكماً من الرجل ولهن محدث من تذكر احدتها كثرة الارفاة والاثراف وأهمل انكارها حتى سرت في الاوساط والاحراف وقد احدث الآن من الملابس ما لم يخطر للشيطان في حساب وتلك لباس الشهرة (?) التي لا يستتر منه اسبال مرط ولا ادنى جلباب ومن جعلها انهن يمتصن عصائب كمثل الاسفة ويخرجن من جهارة اشكالها في الصورة المنة...

وقال في الحبة على الاطباء الطباقية والكمالين والجراحيين والمجبرين : الطب علم نظري وعم اباحت الشريعة تعلمنا فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والامراض عن هذه البنية الشريفة وقد ورد في ذلك احاديث منها ما ورد عن عطاء بن السائب قال دخلت على ابي عبد الرحمن الاسدي اعوده فاراد غلام له ان يداويه فنهته فقال : دعه فاني سمعت

عبدالله بن مسعود يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا وانزل له دواء وربما قال : سفين شفاء عكله من علمه وجهله من جهله الى ان يقول : والطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الاعضاء والامراض الحادثة فيها واساليبها وممارستها وعلاماتها والادوية النافعة فيها والاعتياض عما لم يوجد منها والوجه في استخراجها وتزويج مداواتها ليساوي بين الامراض والادوية في كمياتها ويخالف بينها وبين كمياتها فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى ولا يجوز له الاقدام على علاج يخالف فيه .

بعرض لما لا علم له فيه وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : يقول الله عز وجل : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا رسوله واحفظوا انفسكم من عبادة الاصنام فمن لم يفعل ذلك فلا يحل له ان يتقدم في طب قبل ذلك فهو ضامن وبنيي ان يكون لهم تقدم من اهل صناعتهم . فقد حكى ان ملوك اليونان كانوا يجعلون في كل مدينة حكيمًا مشهورًا بالحكمة ثم يمرضون عليه بقية ابناء البلد فيسحقونهم فمن وجدهم مقصرًا في عمله امره بالان تقال وقراءة العلم ونهاه عن المداواة . ويبقى اذا دخل الطبيب على المريض ان يسأل عن سبب مرضه وعما يجد من الالم ثم يرتب له قانومًا من الاشربة وغيرها من العقاقير ثم يكتب نسخه لاولياء المريض بتهادة من حضر معه عند المريض فاذا كان من المد حضر ونظر اوليائه ورفع قارورته وسأل المريض هل تناقص به المرض ام لا ورتب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال وكتب له نسخه وسلمها لاهله وفي الثالث كذلك وفي اليوم الرابع كذلك كما الى ان يبرأ المريض او يموت فان ربي من مرضه احد الطبيب جزاه وكرامته وان مات حضر اوليائه تندد الحاكم المشهور وعرضوا عليه نسخة في كتبها ثم الطبيب فان رأها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفریط ولا تقصير من الطب قال : هذا قضى فمروغ اجله وان رأى الامر بخلاف ذلك قال له : اخذوا دية صاحبكم من الطبيب فانه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفریطه . فكانوا يحتضون على هذه الصورة الشريفة الى هذا الحد حتى لا يتعاطى الطب من ليس من اهله ولا يتباون الضيب في شيء منه . ويبقى فيحسب ان يأخذ عليه عهد بقرط الذي اخذه على سائر الاطباء ويحلفهم ان لا يعطوا احدا دواء مضرا ولا يتركبوا له سبأ ولا يصفوا السموم عند احد من العامة ولا يذكروا لتساء الدواء الذي يسقط الاحنة ولا الرجال الذي يقطع النسل وليفوضوا ايسارهم عن المحارم عند دحوم حتى ائرمي ولا يفتوا الامر . ولا يبتكروا الاسترار ولا يعرضوا لما يكره عليهم فيه . فصل وما اكلون فيمحقنهم المحتجب بكتاب حنين اعني السرة مقالات سيف العين فمن وجده قبيحًا فيه عارفاً بمحقن به عارفاً بشرح طبقات العين وتدد السبعة وعدد رطوباتها الثلاثة وما ينترج من ذلك من الامراض وكان خبيراً بتركيب الاسنان واجرة العقاقير انزل له

المحسوب بالتعدي لمدواة عين الناس ولا يفرط في شيء من آلات صنعه مثل مثاقير  
النشل والخزرجية التي تصدح ودرج النكاح وغير ذلك واما كحلو القرنت فلا يوتق  
بأكثرهم اذ لا دين لم يصدح عن التبع على عين الناس بالقطع والكبح بغر. غم وبخيرة  
بالامراض وانظر الخلدانة لا ينبغي لاحد ان يركن اليه في معالجة عينه ولا يثق بكلمه  
وشياهم فمن منهم من يضع اشياها اصلها انشا وانحرف ويصنفها اوانه مخدفة فيصنف احمر  
بالسليقون والاحضر بالكرم والانييل والاسود بالثاقيا والاصفر بالزعفران ومنهم من يجعل  
اشيا ثامن منها ويصنفها بالثاقيا ومنهم من يجعل كحلأ من نوى الاخشاب المحرق والفلان  
وجميع عشوش الخضر لا يمكن حصرها فيحقبة المحسوب على ذلك ان لا يمكنه من  
من اجوس .

فصل واه عيرون ولا يحل لاحد ان يتصدى عيرون الا بعد ان يعرف المقالة السادسة  
من كتاب قوانين الجبر وان يمد عند غشه الآتي وهي مد عظم وشية عظام وصورة  
كل عظم منه ويتكلم وقدره حتى اذا اكتم منها شيء او انحرف رده او موضعه على الهيئة  
التي كان عليها فيحقبها المحسوب على ذلك

فصل واما الجراحيون فيجب عليهم معرفة كتب جالينوس المعروف بنطاكاس في  
الجراحات والقران ون يعرفوا التشريح واعضاء الانسان وما فيه من العظم والعروق  
والشرابين والاعصاب ليحجب ذلك في وقت فتح المواد وقطع البواسير ويكون معه دست  
المباضع فيه مباح مدورات الرأس والموربات والخربات وفاس الجبهة ومشار القطع  
ومخرقة الاذن ورد الساع ومن همدان المراه ودواء الكندر التناطح للدم ومنهم من يهرجون  
على الناس بضمهم فيدنونها في الجرح ثم يخرجونها منه تحفر من الناس ويژهمون  
ان ادويتهم القضة اخرجتها ومنهم من يضع مراه الكس المشلول بالزيت ثم يصبغ لونه  
احمر بالقرنة والاحضر بالكرم والانييل والاسود بالثاقيا فيمتد عليهم ذلك

وقال في الحبة على الوصا : يجب على المحسوب ان ينظر في امر الرضا ولا يمكن احدا  
من يتصدى لهذا الفن الا من اشتد بين الناس بالدين والظفر والفضيلة طائفة العالم الشرعية وطم  
الادب حافظ للكتاب العزيز ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم واختار الصالحين  
وحكميات المتقدمين ويحجب بتأمل يسأل عنهم من هذه الثمنون فان اجاب والا منع كما اختبر  
الامام على بن ابي طالب رضي الله عنه الحسن بن عمار وهو يتكلم على الناس فقال له : ما عاينك  
قل : الورع قل : فما آفته قال : الطمع قال : تكلم الآن ان شئت . ومن كانت هذه  
الشرايط فيه ممكن من الجلوس على المنبر في الجوامع والمآجد وسيف اي بقعة احب ومن

لا يدري ذلك كفن جاهلاً بذلك منع من الكلام فان لم يمنع ودأب على كلامه عزز ومن عرف شيئاً سيراً من كلام الوعاظ وحفظ من الاحاديث واخبار الصالحين مثل ذلك فقد صد الكلام يسترزق به ويستعين على وقته فسمع له بشرط ان لا يصعد المنبر بل يقف على قدميه فان رتبة صعود المنبر رتبة شريفة لا يليق ان يصعد عليه الا من اشتهر بها وصفاته وكثر به عواً وسموا ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد عليه واخلفاء الراشدين من بعده والائمة والائمة وكان العصر الاول لا يصعد فيه المنبر الا أحد رجلين خطيب في جمع يوم الجمعة او عياد او رجل عظيم الشأن يصعد المنبر يعظ الناس ويذكرهم الآخرة وينذروهم ويذرعهم ويحذوهم ويحثهم على العمل الصالح وكان للناس بذلك نفع عظيم .

وفي زمانه هذا لا يطلب الوعاظ الا لثمة شهر ميت او لعقد تكاح او لاجتماع هذا ولا يجتمع الناس عنده لسماع موعظة ولا لفائدة وانما صار ذلك من نوع الفرح والملاعب والاجتماع ونحوه في انجالس امور لا تنيق من اجتماع الرجال والدعاة ورؤية بعض بهاء واثياء لا يليق ذكرها وهذا من البدع المنهكة وكان الاولى حسم الباب في ذلك واتسع منه ومن تعذر فلا يمكن (المختص) من ذلك الا رجلاً مشهوراً بالدين والخير والفضيلة كالقدم من شرطه ان يكون تامة الله محمداً قولاً فصلاً . قال الله تعالى : وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال : يعظكم الله ان تمودوا للشهادة . والفقهاء والشيوخ والادباء والائمة يسمون اهل الذكر والوعظ قصاصاً . قال بعض العلماء يجالس الوعاظ خير المجالس وملازمتها اغنى الملابس فيها ترق قسوة القلوب وفيها يثاب عن الذنوب ويعترف بالسيئ

وقد في معرفة القنطار والارطال والسنابل والدرهم : لما كانت هذه المعاملات ووزنها اعتباراً للبيعات لزم المختص معرفتها وحققتها لتقع المعاملة بها على الوجه الشرعي وقد اصطلح اهل كل اقليم على ارطال متفاوت في الزيادة والنقصان ونحن نذكر من ذلك ما لايسع المختص جهه ليعلم تفاوت الاسعار اما القنطار الذي ذكره الله العظيم في كتابه التكريم فقد قال : معاذ بن جبل هو الف ومائتا اوقية وهو قول ابن عمر ورواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك الف ومائتا مثقال ورواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو بصرة هو مائة مسك ثور ذهباً او فضة . وعن انس بن مالك قال انبي صلى الله عليه وسلم القنطار الف دينار وعن ابن عباس والفهاك اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية الرجل المسلم وعن ابي صالح مائة رطل وهو المتعارف بين الناس . والرطل اثنا عشرة اوقية والاقية اثنا عشر درهماً وهذا خلاف فيه لكن الرطل فيه اختلاف كثير في الامصار والبلدان فالرطل الحجازي مائة وعشرون درهماً والرطل



المصري مائة وأربعة وأربعون درهماً والرطل البندادي مائة وثلاثون درهماً والرطل الدمشقي ستائة درهم والرطل الحلي سبعمائة وعشرون درهماً والرطل الحوي ستائة وستون درهماً والرطل الحمصي سبعمائة وأربعة وتسعون درهماً والرطل الليقي مائتا درهم والجروي ثلثائة وأتتا عشر درهماً والرطل الجرائني سبعمائة وعشرون درهماً والنجافني والرومي ألف ومائتا درهم والرطل الفزاري سبعمائة وعشرون درهماً والرطل المقدسي والحلي والتابلسي ثمانمائة درهم والرطل الكركي تسعمائة درهم .

وفي المجلات ابطال مختلفة فالمتعامل بها في الاسواق ما يذكر : مدينة قوص ولها احوال رطل النجم والحيز والخضر ثلثائة وخمسة وعشرون درهماً وباقي الخوانج مائتا درهم . مدينة اسيوط تختلف الاحوال . فالخيز والشم ألف درهم ويسمى منا وباقي الخوانج ليني مائتا درهم . منطوط الشم والخيز ليني مائتا درهم وباقي الخوانج مصري مائة وأربعة وأربعون درهماً . اخميم مدينة مختلفة الاحوال : الخيز والشم ألف درهم ويسمى منا الباقي ليني مائتا درهم . منية بني حبيب على رطل مصر مائة وأربعة درهماً . ديروط الصربان على رطل مصر مائة وأربعة وأربعون درهماً . مدينة الحلة وطلان وثلثا رطل يكون اربع مائة درهم . نغرا لا سكندرية رطلان ولوقتان ثلثائة وأتتا عشر درهماً . نغرا دمياط رطلان وربع ونصف أوقية ثلثائة وثلاثون درهماً . البليدي رطل وربع مصري مائة وثلاثون درهماً . منية سمندر رطلان وسدس ثلثائة درهم . مدينة الفيوم مائة وخمسون درهماً ولم اسمع ان بلدة واقف رطلها البلدة الاخرى الا قندرا او قرية لقربة لا يؤبه بهما والاوقية من نسبة رطلها جزء . من اثني عشر جزءاً . واما المتقال فاتفق على انه درهم ودانقان ونصف وهو أربعة وعشرون قيراطاً والقيراط ثلاث حبات او أربعة اسباع حبة وهو خمسة وثلاثون حبة وخمسة اسباع حبة ووزن كل حبة منها مائة حبة من حيوب الخردل البري المعتدل . وقال بعض العلماء : كان المتقال بكفة في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اثنتين وسبعين حبة من حب الشعير الممتلي غير الخرج من اليهود والدرهم ستة دوانيق وهو ستون حبة . وقال بعض العلماء : الدرهم خمسون حبة وخمسة حبة من حب الشعير كما ذكرنا ووزن كل حبة من الدرهم سبعون حبة من حب الخردل البري المعتدل والدينار مثل الدرهم وثلاثة اسباعه والدرهم من الدينار بعينه وخمسة وهذا قيد تقريباً على ما ضبطه الائمة فان عرف الدرهم الاسلامي بطريق غير هذه الطريق وتحقق قدره كان ذلك ممتدداً في معرفة المتقال والا فلا ضابط الا بما تقدم ذكره من حب الشعير . واختلف في سبب استقراره على هذا الوزن فذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى اختلاف المرام وان منها البخل وهو ثمانية دوانيق ومنها الطبري وهو أربعة

دوانيق ومنها ما هو ثلاثة دوانيق ومنها الخمي وهو دائق قال : انظروا الاغلب بما يتعامل فيه الناس من اعلامها وادناها فكان الدرهم البغلي والطبري فجمع بينهما فكانا اثني عشر دائقاً فاخذ نصفها فكان ستة دوانيق فجعل الدرهم الاسلامي ستة دوانيق . ومضى زدت عليه ثلاثة اسباعه كان مثقالاً ومضى نقصت من المثقال ثلاثة اعشاره كان درهماً وكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكل عشرة مثاقيل اربعة عشر درهماً وسبعان والله اعلم

وحكى سعيد بن المسيب ان اول من ضرب الدراهم النقوشة عبد الملك بن مروان وكانت الدنانير ترد رومية وكانت الدراهم ترد كسروية وحميرية قليلة فامر عبد الملك الخجاج بضرب الدراهم بالوراق فضرب بها سنة اربع وسبعين وقيل خمس وسبعين ثم امر بغيرها في التواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد . وحكى يحيى بن النعمان الفخاري ان اول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن امر عبد الله بن الزبير سنة -بعين على ضرب الاكسرة وعليها « بركة » من جانب « والله » من جانب ثم غيرها الخجاج بعد سنة وكتب عليها « بسم الله » « الحجاج » وهذه فائدة ذكرت هاهنا لتعلمها بذكر الدراهم فيجب على المحتسب ان لا يهمل امر هذا الباب وينظر فيه كل وقت والله اعلم .

وقال في معرفة الموازين والمكاييل والاذرع : « اصح الموازين ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه وكان ثقب علاقته في وسط العمود ويجدد الثقب ويجعل السمار فولاداً حتى تكون سريعة الجريان حتى لم يفضل ذلك كانت تسكن فيضرب بالمشتري .

فصل وبأمر اصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الادهان والاولس في كل ساعة فانه ربما يجمد شيء في جرمها فيضرك كما ذكرنا وينبغي اذا شرع في الوزن ان يسكن الميزان ويضع فيها البضاعة من يده في الكفة قليلاً قليلاً ولا يهز الكفة باجماعه فان ذلك كله يفسد وتكون موازين الباعة معلقة ولا يمكن اسدأ من الباعة ان يزن بيزان الارطال في يده ومن الخفى الخفى في ميزان الذهب ان يرضه يده تلقاء وجهه ثم ينفع على الكفة التي فيها المتاع نفخاً خفيفاً فيرجح بما فيه وذلك ان المشتري يكون عينه الى الميزان لا الى من صاحبه . ولم في الميزان صناعة يحصل بها الخفى مثل ان يلقى شمعة تحت احد كفتي الميزان او يشكل رزة الميزان العليا بحيث يشرع رقيق لا ينظر المشتري فيحصل له من ذلك تفاوت . ولم ايضاً العلاقة التي تسمى المورى وهو ان يكون عمود الميزان فولاداً ويعمل لسانه لمرمان (١٩) او يعوج رأس الا ان الى الجانب الذي يريد ان يأخذ به فيحصل له ذلك القدر احرام فيلزم المحتسب مراعاة ذلك في كل وقت . واعلم انك وليت من اكيل والميزان اسراً من اجله هلك الامم السابقة مباشرة ايديكم مباشرة الاختبار ولا تقل احلها عشرة فان الاقالة لا تفي

عن المثار وكل هؤلاء من سواد الناس فمن لم يلقه نفسه وليس همته الا فرجه او غيره  
تجدهم التعزير التي هي زينة الشوى تدعو من ان يبر وتوفى

فصل والقبيل القبطي فيجب ان يختص به بعد كل حين فانه يفسد بكثرة  
استعماره في وزن الخطب والبضائع النقيصة ويخذل عنده عيالات من حصى في خراطا ليف  
هندته او خيش ويضعه في موضع لا تعلق انبعاثه ولا الفيار ويصير لغير القبائين  
رجل يوقى دينه وامانته ولا يتوبه في ذلك رية ولا عباداة لاحد من انباء جنسه ويقيم  
اختص به ان لا يمكن احدا من الوزن بالقبيل الا من ثبتت امانته وتداينه ومعرفة بالعدل  
من اهل الخبرة في مجلسه فتبا مناعة عقيدة والباطع والمشرقي واقتار لا يعلون صحة ذلك  
من ستمه الا من تحفته فيعتبر فيه ما ذكره .

فصل ويبني ان يخذل الارض من حديد ويتهرب اختص به ويحتم عليها بخت من عنده  
ولا يخذلها من الحجارة لاني ما قرى حطب بعض فلنقص فذا دعت الحاجة الى اخذها  
لثقله ويرده عن اخذ حديد امره اختص به يجهدها ثم يختص بها مد العير ويجدد النظر  
فيها بعد كل حين لئلا يخذل مثلبا من حطب وورؤس اثنت ولا يكون سبغ الخائيات  
الواحد دستان من ارض او من غير حاجة لانها تهمة في حقها ولا يخذل عنده الا ما  
جرت العادة بتخاذل مثل شت الرض وثبت اوقية وتم درهم بقربة النصف وربما اشبهه  
ذلك عليه بالنصف في حال الوزن عند كثرة الزين واهه انه .

فصل ويبني يختص به ان يلقط غير الثقيل والضعيف والارض والحيات على حين  
غفلة من اصحابها فان في العياف من يخذل حبات الحنطة فينقبها في الماء ثم يفرز فيها  
رواوس الاير المولدة ثم تحفف فتعود الى سيرتها الاولى ولا يضر فيها شيء ويأمرهم ان  
يجعلوا لون منقصة خالفا لغيره من المتأقيل فربما وضموا منقصة النصف درهم عوض الرباعي  
وينبها تفاوت وكذلك منقصة اثنت عوض منقصة القيراضين واهه انه .

فصل في النكاح قال الله تعالى : ويل للطففين الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون  
واذا كادهم او وزنهم يحسرون . الا يقبل اولئك انهم مبعوثون يوم عظيم يوم يقوم الناس  
لرب العالمين . وقال من الله تعالى عليه وسلم : النكاح على مكيال المدينة والوزن على وزن  
مكة . والمكايال الصعيح ما استوى اعلاؤه واسفله في النقيصة والسعة من غير ان يكون محصور  
التم ولا يكون بعضه داخلا وبعضه خارجا ويبني ان يشده بالاسامير لئلا يصعد فيزيد او  
ينزل فينقص واجود ما عبرت به النكاحيل الحبوب الصغار التي لا تختلف في الدادة مثل  
الحردل والبرسيم واليزرقطونا والكسفرة وما اشبه ذلك ويكون في كل حانوت من النكاحيل

الصهيحة مكيال ونصف مكيال وربع مكيال وثمن مكيال مخموم عليها بحتم الحسبة لان الحاجة تدعو الى اتخاذ ذلك .

وينبغي للحاسب ان يحدد النظر في المكاييل فن من الحصابين والقوازين والملازين من يأخذ قطعة خبث يجرها مكياً فيكون طولها شبراً مثلاً والمحفور من داخلها اربع اصابع فيتر النابس بسعتها وطولها ولا يملون المقدار المحفور وهذا تدليس لا ينبغي ويراثي ايضاً ما يلقونه في اسفل المكيال فان منهم من يلقى في اسفله الجبر او الجبس الاسود فيلصقونه لصقاً لا يكاد يعرف ومنهم من يلقى في جوانبه انكسب فلا يعرف ولم في ذلك المكيال . ناعة يحصل بها البعض فلا يبدء الكشف عليه في كل وقت واما الكيالون فلا خير فيهم لا سبب في هذا الزمان فان اكثرهم يكتال ما يقبضه زائداً ويسمى عندهم الفرز والطرح وعند الصرف يعمله ناقصاً ويسمى عندهم المسفق وقد ذمهم الله تعالى بما ذكرنا في اول الفصل فينبغي للحاسب ان يحذرهم ويخوفهم خشية الله تعالى وينهاهم عن انفس والظنن في ذلك كله ومتى ظهر له من احد منهم خيافة عزره على ذلك وينهره حتى يرتدع به غيره .

وخرج ابوداود عن احمد بن حنبل قال صالح بن اليذيب: خمسة ارطال وثلاث واسند البخاري الى عبد الله بن احمد بن حنبل ذكر لي ابي انه عيرمد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوجده رطلاً وثلاثاً وفي كتاب عقد الجوهر ان اهل المدينة لا يختلف اثنان ان مد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي به يؤدى الصدقات ليس اكثر من رطل ونصف ولا اقل من رطل وربع وقال بعضهم: رطل وثلاث وهو الذي طيه اكثر العلماء . والوجه ستة عشر قدحاً من ابة كيل البلد .

فصل والاذرع سبع اقصرها القاضية ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الصغرى وهي الثلاثية ثم الهاشمية الكبرى وهي الزبادية ثم العمرية ثم الميزانية فاما القاضية وهي تسنى ذراع الدور وهي اقل من ذراع السوداء باصبع وثلاث اصبع واول من وضعها ابن ابي ليلى القاضي وبها يتعامل اهل كل وادي واما اليوسفية فهي التي يذرع بها القضاة الدور بتدنية السلام وهي اقل من ذراع السوداء بثلاثي اصبع واول من وصفها القاضي ابويوسف واما الذراع السوداء فهي اطول من ذراع الدور باصبع وثلاثي اصبع واول من وصفها الرشيد وقدسها بذراع خادم اسود كان على رأسه وهي التي يتعامل بها الناس في ذراع اليز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر .

واما الذراع الهاشمية الصغرى وهي البلالية فهي اطول من الذراع السوداني باصبعين

وثلاثي اصبح واول من احسها بلال ابن ابي ريدة وذكر انها ذراع جده ابوموسى الاشعري  
وهي انقص من الزيادة بثلاثة ارباع عشر وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة واما  
الهاشمية الكبرى فهي ذراع الملك واول من نقلها الى الهاشمية المتصور وهي اطول من الذراع  
السوداء بخمس اصابع وثلاثي اصبح ويكون ذراعاً وثمناً وعشراً بالسوداء وينقص منها الهاشمية  
الصغرى بثلاثة ارباع عشر وسميت زبدياً لان زياداً مسح بها ارض السواد وهي التي  
تنزع بها اهل الامواز واما الذراع العمريية وهو ذراع عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي  
مسح بها السواد قال موسى بن طلحة: رأيت ذراع عمر بن الخطاب التي مسح بها ارض السواد  
وهو ذراع وقبضة وابهام قائمة قال الحكم: ان عمر عمد الى اطولها واقصرها واوسطها فجمع منها  
ثلاثة واخذ الثلث منها وزاد عليها قبضة وابهاماً قائماً ثم ختم طرفه بالرصاص وبث ذلك  
الى حذيفة وعثمان بن حنيف حتى مسح بها ارض السواد وكان اول من مسح به بعده عمر بن  
عبدة واما القراع الميزانية فيكون بالقراع السوداء ذراعاً وثلاثي ذراعاً وثلاثي اصبع واول من  
وضعها المؤمنون وهي التي يتعامل بها الناس في ذراع البريد والسكر والسوق وكري الانهار  
والخثار والقراع المقدس الشرعي الذي ذكره الامام الترمذي وغيره فهو اربعة وعشرون اصبعاً  
والاصبع ست شعيرات بطن حبة لظهر اخرى والشعيرة ست شعيرات بشعر البخل والله اعلم  
وقد وردت اسما في الابواب المتقدمة في اول هذا البحث نسبت لطول العهد بها  
وكثرة دخول الالفاظ العجمية بدلها مثل « البواردين » و « في الغالب الطهارة القديرة »  
يقدمون طعام البقول المطبوخة و « السدارين » الذين يطحنون السدر وهو من المطهرات  
كالحمايون اذا غش يضر ولا ينفع و « الفأخرانيين والفضاريين » وهم الذين يصنعون الزبادي  
« السلطانيات » من الحما يطحنون والفضاريين باعة انكيزان « والمسلاتين » صنع المسلات  
و « المراديين » الذين يحملون المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السام او من  
السنط الاحمر . وتشيل المؤلف بالكيل المصري بدل غيره كما رأيت في الحسبة على الموازين  
والمكاييل وكما جاء في الحسبة على المراسين فيه دلالة على انه مصري من اهل القرن  
السابع وما يستأنس به ان الكتاب ألف لمصر ماورد ايضا في الحسبة على انكتانيين فقال  
« ان اجود انكتان المصري الجنوي الفض واجوده الناعم المورق واردا القصير الغشن  
الذي يتقصف ولا يخطون جيد يردئه ولا انكتان البحري بالصيدي . ولا الصيدي  
بانكوري » وقال في الحسبة على معاصر السرج والزيت الحار « عيارة الحرة بالرطل  
المصري ستة وعشرون رطلاً وربع رطل » وسكت وكذلك مثل بالرطل المصري في  
عصر الزيت وفي غيره

## الرومان

معرفة من كتاب تاريخ الحضارة لشارل سنيوبوس

### رومية الاصلية

رومية - على تخوم قطر اللاسيوم من ناحية بلاد الايتروسكيين يمتد سهل ذو بطنائح تقطعه أنهار وتلعات هناك على ضفة نهر التيبر أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المنفرق في الخلاه . ولقد كانت الحيات تنتاب تلك البلاد وحالتها من الكآبة والبؤس على جانب ولكن كان موقعها جيلاً ونهر التيبر بمثابة حوزة قائمة في وجهه الايتروسكيين كما كانت تلك الاسكاهم كالحصون وبين تلك المدينة والبحر ستة اميال وهو بعد لا يكاد يجيبها من سطوة قرص البحر ويقربها قليلاً من تناول البضائع الواردة عليها . وكان مرفأ اوسري عند مصب نهر التيبر حياً من احياء رومية كبير مثل بيرة مرفأ آثينة . فموقع رومية كان والحالة هذه مناسباً لحال امة حربية تجارية .

تأسس رومية - لا تعرف من حال القرون الاولى لرومية غير اساطير . والرومانيون انفسهم لم يعرفوا عنها شيئاً مثلنا . وقد ادعوا ان رومية كانت لاول امرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة كلها على راية « بالاتين » ويدعى مؤسسها رومولوس وهو الذي اختط سورها تجرأت مراعيها في تخطيطها الضاحك الايتروسكية . وكان الرومانيون يحفلون كل سنة يوم ٢١ ابريل ( نيسان ) بعيد هذه المدينة فيطوفون حول سورها الاصلي فيدق احد الكهنة مسجراً في بعض المعابد تذكراً للحضلة . وكان يُقدّر ان الاحتفال بتأسيس تلك المدينة قد وقع في سنة ٧٥٤ قبل المسيح .

أنشئت على الروابي الاخرى قبالة جبل بالاتين عدة مدن صفرى وتزلت عصابة من سكان الجبال من السابينين في معبد الكايتول كما حلت عصابة اخرى من متشردى الايتروسكيين في جبل - ليوس وربما كان ثمة ايضاً شعوب اخرى . وانتهت الحال بجميع اولئك الجماعات الصغيرة ان يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على راية بالاتين ثم انشئ سور جديد احاط بالسبع الكلات . اما ساحة المريج حيث يقف الجيش فكانت تمتد الى نهر التيبر من الشاطئ الاخر من النهر خارج السور فكان انكايتول في رومية مثل الاكروبول في آثينة . ولقد قامت على هذا الصخر معابد الارباب الثلاثة حامية المدينة وهي المشتري وجونون ومنيرغا وهناك القلعة التي حوت خزانة الحكومة ونجالات الامة . وفي اساطيرهم

انهم عثروا عند ما حرقوا أسس المدينة على رأس رجل قطع حديثاً فكان هذا الرأس قالاً حسناً اولوه بأن رومية ستندور رأس العالم .

تقاليد بشأن الملوك وانشاء الجمهورية . . جاء في هذه التاليد انه حكم رومية ملوك مدة قرنين ونصف ولم يند كرفيا السامو وهو تاريخ يونانياتهم بل ذكرت تراجعهم وقيل انهم كانوا سبعة ملوك خرج الاليل وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فأنشأ مدينة بالاتين وقتل اخاه الذي ارتكب عموماً بأن قفز من فوق خندق سور المدينة ثم حالف احد ملوك السابينين المدعو تاتيويس . وفي تقليد آخر انه أنشأ في فتح المدينة حياً محاطاً بسياج حشر اليه جميع المتشردين الذين احبوا الانضمام اليه .

اما الملك الثاني وهو نومابو ميلوس فقد كان سابينا وهو الذي رتب الديانة الرومانية أخذاً برأي احدى الربا « ايجوري » التي كانت تسكن في غابة . وكان الملك الثالث المدعو تولوس مارتيس حفيد نومابو الموما اليه بنى جسراً من خشب على نهر التير وانشأ جسر اوسقي وعليهما كانت تمر تجارة رومية منذ ذلك الحين . وكان الملوك الثلاثة الآخرون من الايتروسكيين وحدث من امر تاركين التديمان وسع المملكة الرومانية وادخل الاحتفالات الدينية الشائعة في بلاد ايتورور بالوايتروسكيين . ونظم سرفيوس توليوس الجيش الروماني بان ادخل فيه جميع اهل البلاد بدون تمييز في موالدهم واعارهم ووزعهم مئآت . ثم بحسب ثروتهم . لما الملك الاخير المدعو تاركين الباهر فقد ظلم الامرات الكبرى في رومية فقامر عليه بعض الاشراف ووقفوا الى طرده .

ومنذ ذلك العهد ( ٥١٠ ) لم يتكلم على الرومانيين ملك فكانت البلاد الرومانية او كما يقال الملك العام يحكم عليها كما كان يختار ان كل سنة ويسميان « القتاضل » . وليس من الممكن ان نعلم ما في هذا التقليد من حقيقة لانه نشأ قبل ان يبدأ الرومان في وصف تاريخهم بزمان طويل وفي هذا التقليد من الاساطير لا يستحقونه برمته . وقد حاول بعضهم ان يفسر اسماء هؤلاء الملوك ويستبدل منها بانها رمز الى جنس او الى طبقة خاصة كما حاول بعضهم ان ينسب تاريخ رومية في عهده الاول على غروب من الصور ولكن كما بذلت المتأينة النظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك على تقرير امر وكثير الخلاف بينهم .

وصف ترتيبات الرومانيين على سبيل الامحاز — كان سيف رومية نحو القرن الخامس قبل المسيح طبقان من الناس . وما الباترسين والبلين ( اي الاشراف والعامه ) فكان الباترسيون من نسل قدماء الامرات المقيمة منذ القدم في البقعة الضيقة في ظاهر مدينة

رومية وكان لم يخدم الحق ان يظهروا في مجمع الامة وان يحضروا الحفلات الدينية وان توسد اليهم الوظائف . ويعتقدون ان اجدادهم اسسوا المملكة الرومانية او كما كان يقال المدينة الرومانية واوصوا بها لم فكانوا هم من ثم الشعب الاصلي في رومية اما البلبين فبه من نسل الغرباء التازيل في المدينة ولا سيما من المغلوبين من سكان المدن المجاورة اذ ان رومية اخضعت بالتدريج جميع المدن اللاتينية وضممت سكانها اليها بالقوة فاصبحوا رعايا لرومية لكنهم ظلوا غرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون ان يشركوها في شيء من الامر فلا يدعون بالدين الروماني ولا يسوغ لهم ان يحضروا الحفلات الدينية ولا ان يتزوجوا من الاسرات الشريفة وكانوا يدعون باللب اي الجمهور ولا ينظر اليهم بانهم جزء من الشعب الروماني . وقد وجدت في الصلوات القديمة هذه العبارة « خير الشعب وخير البلبين في رومية » .

وكان يجتمع ابناء البلاد عليهم اسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحة المنذرات ( ساحة المريح ) ينتخبون زعميين يطلقون عليهما لقب القضاء او القناصل . وكان هؤلاء القناصل في خلال السنة التي يتولونها نيبا يحكمون رومية ويقودون جيشها ويدعم حياة جميع افراد الامة وموتها . يرافقهم اثنا عشر رجلاً من حملة القوس اشارة للملك من السلطة فيحمل كل منهم قأساً وحزمة قضبان لجلد المجرمين او ضرب رقابهم . فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش وهو كرسي عال من العاج . ويستعاض في اوقات الحروب الخطرة عن القنصلين بحاكم واحد يلقون اياه بزمم السلطة فيصبح الحاكم الحاكم والامر الناهي وحده ويكون في قبضته الاربعة والعشرون جلاداً ولكن سلطته لا تدوم الا ستة اشهر .

فيجمع القناصل مجلس الشيوخ وهو مؤلف من رؤساء الاسرات وكبار ارباب الاملاك للمفاوضة في المسائل المهمة ويدعى هؤلاء بالآباء ويدعى نسلهم بالاشراف فكان مجلس الشيوخ يصدر رأيه ويطلقون عليه « رأي الشيوخ » ومن العادة ان يلتزم القناصل امتثاله فكانت من ثم رومية محكومة عليها من القناصل ومجلس الشيوخ في آن واحد .

التزاع بين طبقات الشعب — كان العامة واهل الطبقة الوسطى غيرة عن شعبين متباينين سادة ورعية . ومع هذا كان حال اهل الطبقة الوسطى يشبه كثيراً حال الاشراف فهم يخدمون في الجندية مثلهم ويخدمون في الجيش على تقفهم . وبغادون بارواهم في خدمة الشعب الروماني وهم مثلهم من اهل القلع والكرث يعيشون في قرام واما كنهم وكان كثير من اهل هذه الطبقة المتوسطة اغنياء ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة وبين



الاشراف ان الاول كانوا من نسل أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المغلوبة على حين كان الاشراف من نسل أسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة . ولم ترض نفوس اهل الطبقة الوسطى ان تظل ساكنة على ما أقفي به عليها من المهانة بل ثار بينهم وبين الاشراف نزاع دام قرنين ( من نحو ٢٩٣ الى نحو سنة ٥٠٠ ) واليك كيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في اساطيرهم .

رأى اهل الطبقة المتوسطة ذات يوم انفسهم مهانة فالتصموا في جبل هناك وعلمهم اسلحتهم وعزموا ان ياتواوا الشعب الروماني فبال عزمهم جماعة الاشراف فبعثوا اليهم بالقائد مينيوس اغريبا ليقص عليهم قصة الاعضاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول في الطاعة وعقدت محادثة مع الشعب ففزع رؤساء هذه الطبقة الخوف في ان يدعوا بد المساعدة لاهل الطبقة الوسطى لالاخذ بايديهم من حيف حكام الامة ولالجل ان يحجروا دون قيام امر يخالف رغبتهم . وقد كان يكنى ان يلفظ احدهم قوله « قنو » اي اني اعارض فيتوقف البت في الامر . وقد كان الدين يحظر الانتفاض على المدافع عن حقوق الشعب ومن فعل ذلك اسحق العقاب من ارباب الحميم .

فظل ارباب الطبقة الوسطى آخذين انفسهم بمجاهدة خصومهم من اهل الطبقة الغالبة واذ كانوا اعز منهم . تراءوا اكثر غنى وأيداً انتهت بهم الحال ان ظفروا بهم فنوصلوا اولاً الى وضع قوانين عامة للجميع وان يسمح بالزواج بين اهل الطبقة الغالية والطبقة الوسطى وكان اصعب ما في هذا التغيير نزع الامتياز بملطة الحكم او التهاب بفضل الشرف وقد كان الدين يأمر انه يجب قبل ان يعين رجل حاكماً ان يطلب من الارباب فيها اذا كانت توافق على انتخابه ام لا . فسالون الارباب عن رأيها في ذلك بزجر الطيور ويسمونه اخذ القائل . بيد ان الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح باخذ القائل الا على اسم رجل من اهل الطبقة العليا وما كان يخطر في بال القوم بان الارباب يقبلون بحاكم من اهل الطبقة الوسطى . وكان ثم امر كبرى من الطبقة الوسطى تحرس على ان تصبح مساوية لامر الاشراف في تولي المناصب كما كانت تساويها في الفنى والمكانة فاضطرا اهل الطبقة الاولى الى ان يتخبر ما جميع المناصب شيئاً فشيئاً فبدؤا يدخلون في مجلس القناصل سنة ٣٦٦ وفي مجلس الحكم ٣٥٥ والقضاء سنة ٣٢٧ والمراقبة سنة ٣٣١ وزعامة الدين الكبرى سنة ٣٠٢ ومن ذاك العهد امتزج الاشراف اهل الطبقة العليا باهل الطبقة الوسطى واصبحوا شعباً واحداً .

### الديانة

ارباب الرومان — اعتقد الرومان كاعتقاد اليونان بان كل ما يحدث في هذا العالم

هو مما قضت به ارادة خالقي ولكنهم لم يعتقدوا بالله واحديدير العالم بل قالوا بجمدد الارباب بتعدد المظالم المختلفة التي تقبل فيها اوارم ونواهيهم . فهاك رب يبت البذر وآخر يحمي حدود الحقول . ثالث يحرس الثمار . ولكل رب اسمه وجنسه وعمله . وام الارباب «المشتري» رب السماء و«جانوس» ذو الرأسين و«المريح» رب الحرب و«عطارد» رب التجارة و«فولكان» رب النار و«نبتون» رب البحر و«سريس» ربة الخصاد والارض والتممر و«جونون» و«منيرفا» .

ثم يجيء الارباب من الدرجة الثانية فكانت تجسد في بعض تلك الارباب حفة من الصفات كالغناء والاتحاد والراحة والسلام ويشرف بعضها على عمل من اعمال الحياة فعند ما يولد المولود يأتيه رب يعله النطق وربة تعله الشرب واخرى تقوى عظامه وربان يرافقانه الى المدرسة وآخران يرجعان به وبالجلة فانهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من الارباب من الدرجة الثانية . ويعتقدون ان هناك ارباباً تحمي مدينة وحارة وجبلًا وغابة . ولكل غر ولكل نبع ولكل شجرة رب خاص بها حتى لقد قالت امرأة ملاحه في احدى القصص من تأليف برون الكاتب اللاتيني « ان بلادنا غاصة بالارباب بحيث يسهل عليك ان تلقى فيها رباً من ان تصادف رجلاً » .

ولم يتقبل الرومانيون كاليونان اربابهم على صورة مخصوصة فقد مضى زمن طويل ولم يكن في رومية صنه فكانوا يعبدون «المشتري» في صورة حجر و«مارس» على صورة سيف . ولم يعتقدوا الا مؤخرًا بانحاز الاصنام من الخشب على مثال اصنام الايتروسكيين واصنام الرخام على مثال اصنام اليونان ولم يتصوروا على العكس في اليونان ان بين الارباب صبراً ونسباً ولا عزوا اليهم قصصاً كما يفعل اليونان مع اربابهم ولا يعرفون لم جنة يعتقدون فيها مجالسهم . وكان في اللغة اللاتينية لفظة مشهورة لتعبير عن الارباب وهي «التجليات» فكانوا يعتقدوا رانها تجليات قوة الاحية مجبولة . ولذلك لم يصورم الرومان في صورة من الصور ولا نسبوا اليهم رحماً ولا صبراً ولا تاريخاً وكل ما كان يعرف عن الارباب الرومانيين هو ان كل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويستطيع ان يعمل للناس الخير والشر على ما يحب ويهوى .

البادة — قلما يحب الروماني اولئك الارباب التجهولين الصفر الباردين . والظاهر انه كان يخاف منهم فيخاف وجهه عند ما يتوسل اليهم وربما ان ذلك لثلا يقع بصره عليهم ولكنه يذهب الى ان الارباب قادرون وان من يرخصهم يخدونه . قال بلوت ( الشاعر الهزلي اللاتيني ) ان الرجل الذي يرضى عنه الارباب يكدونه مالا . ويعتقد الروماني

بان الدين جليلة عن مقايضة المنافع فيقدم المرء للرب نفوره وقوانينه ويتخه هذا بعض المنافع فإذا قدم للمرء ما يجب تقديمه للرب ولم يغير بمقتضاه يستمر نفسه فأنطأ مخدوعاً . ولقد قدم الشعب للارباب في خلال مرض القنشد جرمانيكوس نفوراً لتن عليه بالشفاء ولما ذاع خبر موته سخط العامة وقلت المذايح والقت في الشوارع بتأثيل الارباب لان هذه لم تعمل ما كان يرجى منها ان تعمل وهكذا فانا نرى الفلاح الايطالي لهدناهذا يشتم القديس الذي لم يسله ما حمله منه .

فالمعبادة إذا عبارة عن القيام بما يرضى عنه الارباب من الاعمال والشعب بأنهم بالتأثر واللين والطمع ويضحي لهم الحيوانات . وفي بعض الاوقات يخرجون تماثيل الارباب من معابدهم ويحطونها على سرر ويولون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فينتون لم دوراً جميلة وهي المعابد ويحتفلون بأربابهم .

ولم يكن يكفي في تعظيم ارباب الرومانيين ان ينفق الناس مالاً في سبيل اكرامهم بل كانت تظهر الى الصور التي يقوم بها ذلك الاكرام فتقتضي ارادتها ان تجري جميع اعمال التسبب والشفور والالاماب بما رسمته القواعد القديمة ( الطقوس ) فتى أريد تقديم ضحية لشعري كان عليهم ان يختاروا حيواناً ايض وان يذروا على رأسه دقيقاً ملحاً وان يضرب بفأس وان يحرق المقدم لهذه الضحية على قدميه ويذاه مرفوعتان الى السماء حيث يقيم المشتري وان يلقوا بمجملته تقديماً لاسمه . فاذا غلط المقدم بما يقول فمضى ذلك ان الضحية لا تساوي شيئاً ويذهب المحرم الى ان الرب لا يرضى عما قدم له . ولقد قام احد الحكام بالاعاب اكراماً للارباب الملحمية لرومية فقال شيشرون « اذا غيرت تبارة واذا وقف اللاعب بالشباب او انتطع الممثل فكون الالاماب غير موافقة للشعائر الدينية فيجب اذ ذاك اعادتها » ولذلك كان لعل الرأي من اناس يحضرون كاهنين احدهما يتلو الصلاة والاخر يتابعه فيما يقول يجمع الكهنة وهم يدعون « اخوة ارفال » كل سنة في مبد بحوار رومية فيرقصون رقصاً مقدساً ويلون الصلوات وهي مكتوبة بلغة قديمة لا يفهم منها احد شيئاً ويقضي في اوائل الصلاة ان يدفع الى كل كاهن مجموع قوانين مكتوبة في اول الجلسة . وظل الرومانيون بعد ان نسبت هذه اللغة بقرون يتلونها كل سنة دون ان يغيروا منها حرفاً . وما يدل على ان الرومانيين كانوا يرمون الى الوقوف عند حد ما رسمه اربابهم هو انهم كانوا يقومون احسن قيام بمراد الدين . ولذلك يرى الرومانيون انفسهم من اكثر البشر تدبناً . قال شيشرون « انا احط من جميع الامم او مساوون لم من كل وجه ولكنتنا تفوقهم من كل وجه في امور الدين اي بعبادة الارباب » .

الصلاة — اذا صلى الروماني فليست صلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه بل لطلب منه معونة ويسأله حاجة له . فن ثم تراه يبحث قبل كل شيء عن الرب الذي يستطيع ان ينيله رغبته . قال فارون ( الشاعر اللاتيني ) : « بلزمنا ان نعرف ابي الارباب يتيسر له ان يعيننا في احوال مختلفة كما نعرف اين يقوم النجار والحياض » وهكذا نفتت الحال بان يمد الى سيريس للحصول على زروع جيدة والى عطارد لاكتساب المال والى نبتون للمعونة على ركوب البحار . فيلبس المسنيث البسة نظيفة لما وقر في الاذمان من ان الارباب يرغبون في النظافة . ويقدم بين يدي فجواه ضحية لان الارباب لا يحبون من يبيح وايدبه فارغة ويقف المسنيث وقد كشف رأسه فينادي الرب الا انه لا يعرف اسم الرب الذي يتاديه ويقول الرومانيون انه ما من احد يعرف اسماء الارباب الحقيقية . بل يكفي بان يقول له مثلاً : « ايها المشتري الاعظم الرحيم او باي الاسماء تحب ان تدعى بها » ثم يرض عليه ما يريد عرضه متوقفاً استعمال جملي صريحة كل الصراحة حتى لا يتخدد الرب فاذا قدم له خمر يقال له : « ثقیل طاعة هذا الخمر الذي أهرقه » لانه يسبل على الرب الاعتقاد بانه يقدم له خمر آخر غير الذي قدم له وان يعاقب به . ولذلك كانت صلواتهم معلوله كثيرة الحشومة بالترادفات .

القائل — يعتقد الرومان كاليونان بالقائل فيذهبون الى ان الارباب يعرفون المستقبل ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنجع الروماني الارباب قبل ان يشرع في عمل فاذا ما ازمع القائل فيهم ان يهجم على عدوه يبحث في احشاء الموتى والحالك قبل ان يجمع لديه مجلساً ينظر الى الطيور المسائرة ( وهذا ما يدعونه اخذ الطالع والقائل ) فاذا كان فيها اشارة موافقة يدركون بان الارباب استحسنوا المشروع والا فمناه انهم غير راضين عنه .

وكثيراً ما يرسل الارباب بالآيات من قبلهم ومن دون ان يستأوا ارسالها . وكل ظاهرة لم تكن متوقعة ثمه قائل على حادث غير منظر . فقد ظهرت نجمة مذنبه قبل موت قيصر فنهب القوم الى انها اشارة الى نفيه واذا احدثت البلاء عند ما كانت الامة تجتمع للمفاوضة في امر فعنى ذلك ان كوكب المشتري لا يجب ان يتوا امراً ذلك اليوم ولذلك يشفون كل حادث طفيف ويؤمنونه بانه رمز الى امر يقع . فاذا ابرق البرق او سمعت كلمة من متكلم او وقف جرد في الطريق او شهد عراف فكل ذلك يأخذون منه العبر حتى ان مارساوس كان اذا عزم على البداة بعمل امر بان يحمل في محفة مثقلة ليكون على ثقة من انه لا يرى شيئاً ينافاهل به .

وما كان ذلك مجرد خرافات العامة بل كان للجمهورية الرومانية ستة طوابع تنبأها

بالمستقبل فكان لما كتاب النبوءات بالغ في المنايا به دعه كتاب « سيبيلين » وكان لما فراخ مقدسة يقوم على تزيينها الكهنة وما كان يجري عمل عام ولا تلثم جمعية ولا يشرع بالتقارب ومفاوضة بدون ان يمددوا الى اخذ الطالع اي انهم ينظرون الى السارح والبارح . وقد شاع سنة ١٩٥ ان الصاعقة اقتضت على معبد للشعري وانه نبقت شجرة على رأس تمثال هر كول فكتب احد الولاة بانه ولدت فرخة ذات ثلاث ارجل فاجتمع مجلس الامة للمفاوضة في هذه القول .

الكهنة — لا يقوم انكاهن في رومية بما يقوم به في بلاد اليونان من الاعمال الروحية بل كان ينقطع فقط لخدمة الرب فيلاحظ معبد وبيدير شؤون املاكه ويقوم بالاحتفالات لاكرامه وهكذا كانت جمعية السالين ( الرقاصين ) تحفظ بترس سقط عليها من السماء كما زعموا وكان يمد كما يمد الصنم وكانت تقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالنيوف وهذا ما كانت يتوفر عليه اعضاء تلك الجمعية . والاحبار يراقبون الحفلات الدينية فيضمعون ثوبين للسنين ويحددون اوقات الاعياد التي يجب الاحتفال بها في ايام مخصصة من السنة ورئيسهم هو الحبر الاعظم .

وما كان الكهنة ولا العرافون ولا الاحبار يؤثرون طبقة خاصة بهر بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويقومون على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء ومنهم رئاسة الجمعيات ومنهم قيادة الجيوش . ولذلك لم يتألف من الكهنة الرومانيين على قوتهم كما تألف من الكهنة المصريين طبقة كهنوتية فقد كان لحكومة رومية دين خاص بها ولم يكن للكهنة حق الحكم فيها .

عبادة الموتى — اعتقد الرومانيون كما اعتقد الهنود واليونان بان الروح تبقى بعد موت الجسد فان اعتنوا بدفن الجثة بحسب العادات فقد اعتقدوا بان الروح تذهب لتحيات تحت الارض وتصير ربة والا فالروح ليس في استطاعتها الدخول الى عالم الاموات بل كانت تعود الى الارض تدخل الرعب على قلوب الاحياء وتعذبهم ليدفونها . حتى بلين لجون قصة شيخ كان يختلف الى احد البيوت وبهلك سكانه هالماً فاكتشف احد الفلاسفة من كان له قوة قلب تمكنه من اقتفاء اثره الى المكان الذي وقف فيه ذاك الطيف — عظاماً لم تدفن بحسب العادات الشبعة . وهكذا كانت روح الامبراطور كاليغولا تطوف في حدائق القصر فانقضى اخراج جسده ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية .

فن ثم كان بما يجمع الاحياء والاموات على السواء المحافظة على العادات الدينية فكانت أسرة الميت تنصب كومة حطب يحرقون فيها الجسد ويحسبون الرماد في صندوق يضمونه

في القبر . وكان لم معبد صغير خاص بدفن ارواح الارباب اي الارواح التي اصحبت اربابا فيأتي أهل الميت في اوقات معينة الى زيارة القبر حاملين ماعاما . لا جرم انهم اعتقدوا قديما ان الروح محتاجة الى الغذاء لان القوم كانوا يهرقون الخمر والابن على الارض ويمحرقون لحم المتكوبين ويتركون في الاواني لبنا وحلويات . وكانت هذه الاحتفالات بالوقى تدوم ما شاء الله ان تدوم وما كان لاهل بيت ان يتفوا عن ارواح اجدادهم بل يظنون على العناية بقبورهم ويأتونهم بالغذاء لاطعامهم . ثم ان تلك الارواح التي تتأله او تصير في عدد الارباب تحب ذريتها وتحب احفادها من البواتي وهكذا كان لكل أسرة ارباب يحمونها يدعونهم آلهة البيت .

عبادة البيت — اعتقد الرومان كاعتقاد الهنود بان الالهيب رب كما ان البيت مذبح فكان لكل أسرة بيت تعبده وتقوم على العناية به ليل نهار تحل اليه الزيت والشحم والخمر والجنور فيضاعد الالهيب ويطبخ كأنه مشبث من النخبة . فكان الروماني قبل ان يقدم الطعام لبيت يشكر رب البيت ويدفع اليه جزءا من الاطعمة ويصب له قليلا من الخمر وهذا ما يدعونه بالصب والاهراق حتى ان هوراس نفسه على قلة اعتقاده كان يعضى امام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة المتتادة وكان لكل أسرة رومانية في بيتها قبر جعل فيه ارباب البيت وارواح الاجداد ومذبح البيت . وكان لمدينة رومية نفسها بيت مقدس في قبر الالهة فستا وهي عبارة عن اربع عذارى من اعظم الاسرات الرومانية عهد اليهن حراسته وذلك لانهم يرون ان لا ينطقن بالالهيب المقدس مطلقا ولا يعهد بالقيام عليه الا لآناس من الاطهار فاذا ابت احدى تلك العذارى ان تقوم بما فرض عليها التوفى عليه من هذه الخدمة يدفنونها حية بجهنم لانها ارتكبت عملا طالحا واوقعت الشعب الروماني في خطر .

### الجيش الروماني

الخدمة العسكرية — لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني ان يكون وطنيا رومانيا بل يجب ان يكون له بعض الموارد فيجهز نفسه بالسلاح على نفقته لان الحكومة لم تكن تعطي الجندي سلاحا حتى انها لم تكن تعطيه جزية بأكلها الى سنة ٤٠٣ وعلى هذا فلم يكن يجند من الوطنيين الا من كانوا يملكون بعض ثروة اما الفقراء فكانوا يعفون من الخدمة العسكرية وبعبارة ثانية ليس لهم الحق في خدمتها ويحق كل وطني له بعض الثمن ان يقبل في الجيش بعد ان يكون الى بلاء خشنا في حشرين حملة واذا لم يتم بذلك فهو تبع للقائد اي منذ سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين فكل فرد في

رومية كما في المدن اليونانية وطيني وجندي في آن واحد والرومان امة مؤلفة من صفار ارباب الاملاك المدربين على القتال .

التجنيد — متى احتاجت الحكومة الى جند يصدر الفتنل امره الى جميع الوطنيين اللاتنيين لفجدة يات يجتمعوا في معبد الكابول وهناك يلثم ضباط تختارهم الامة وم يختارون من ينجي لم من الجند لتأليف جيش وهذا هو التجنيد عند الرومانيين ويسمونه الاختيار . ثم يجري التحليف العسكري فيبدأ الضباط اولاً يقسمون اليمين المألوفة ثم الجند وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد وان يقاتلوا دون اعلامهم حتى يكونوا في حل من ايائهم في نظره . فيتلو رجل عبارة و يتقدم كل فرد في نوبته فيقول « وانا ايضاً » فيرتبط الجيش اذذاك بالقدت ارتباطاً دينياً .

دُعي الجيش الروماني اولاً الفرقة او التجنيدة وناثما الشعب اصبح يؤلف بدل الفرقة فرقاً والفرقة الرومانية عبارة عن ٤٢٠٠ او ٥٠٠ رجل كلهم من ابناء البلاد . وكان اصغر جيش على الاقل عبارة عن فرقة وكان كل جيش بقيادة فصل عبارة عن فرقتين على الاقل . ويتألف نحو نصف الجيش من هذه الفرق وكان على جميع شعوب ايطاليا الخاضعة لرومية ان تبث اليها يعومها وبدعي هؤلاء الجنود « المحالفون » وهم تحت قيادة الضباط الرومانيين . وكنت ترى المحالفين في الجيش الروماني اكثر عدداً من كتابت الوطنيين . وجرت العادة ان يبعثوا مع كل اربع فرق ( ١٦٨٠٠ جندي ) عشرين الف راجل من المحالفين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه اكثر من مواثيه .

التسلح — اعتاد الرومان كاليونان ان يحاربوا مترجلين متدرعين بالدرع والخوذ والماسي ! الطاقات ) قابضين بايديهم اليسرى على ترسة ليدفعوا بها الضربات . مضى عليهم زمن وم قاتلهم : لرمح والسيف فكانوا اذا تلاقوا بالمدى يجتمعون ككتيبة واحدة على نحو ما كانت تجتمع الكتائب الرومية ثم عمدوا الى استعمال ضرب آخر من ضروب انكر والثر . وتقسم الفرقة الى سرايا صغيرة كل سرية مؤلفة من ١٢٠ جندياً « مانيبول » اي الطريقة لان كلهم عبارة عن حزمة من الحشيش فتصطف كل فرقة على شكل رقعة الشطرنج على ثلاث خطوط وكل فرقة منفصلة عن جارتها بحيث يكون الجبال امامها متسماً للعمل على حداثها فيضرب جنود فرق الصفوف الاولى بجراهم ويضوضون سيوفهم في ايديهم ويندثون بالقتال . فاذا اندسروا يتراجعون الى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته الى القتال فاذا ما دُحر يتكني راجعاً نحو الخط الثالث . وهذه الفرق

في خيرة رجال الجيش يحملون الرماح وهم وامطة لقيادة اخوانهم الآخرين لقتال الاعداء بهم .

وبعد فان الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في آن واحد بل ان القائد يعي جنده مراعيًا حالة الارض التي يتخذها ساحة لقراع الاعداء . ولما التقى كتائب جنود الرومانيين وفرق المكديونيين في جبال سينوسيفال في نساليا للمرة الاولى وما اشهر ما عهد من الجيوش في العهد القديم كان ميدان القتال عبارة عن أ كرات وتلعات فلم يكن في إمكان الستة عشر الف محارب من المكديونيين ان يظفوا متأسكين متجمعين بل كانت صفوفهم ذات فروج فزحفت الفرق الرومانية ودخلت الفضاء الذي كان يغطى صفوفهم ومزقت شملهم كل ممزق .

التمرينات — لم يكن لرومية محال للالعاب الرياضية فكان الجنود يقرنون في ساحة المناورات أي في ساحة المربح من الضفة الثانية من نهر التيبير وهناك كان الشاب يسير ويعدو ويقفز وعليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويضرب بحربه ويستعمل معوله فاذا ما علاه الضباب والرقق يجتاز نهر انيبير عائماً . وكثيراً ما كان الرجال المدربون بل والقواد يشاركون فتيان الجند في تمريناتهم اذ كان من دأب الروماني ان لا يقطع عن التمرين حتى كانت القاعدة المتبعة اذ ذاك ان لا يترك الجنود حتى في الحرب بلا عمل فيقرنون مرة في اليوم على الاقل فيشغلونهم بانشاء الطرق والجسور والمجاري اذا لم يكن امامهم عدو يقاتلونه ولا متاريس يقيمونها .

المسكر — يحمل الجندي الروماني حملاً ثقيلاً مؤلفاً من سلاح واوان واعطمة تكفيه اباناً وودد ويبلغ وزن مجموعها ستين رطلاً ورومانياً واذا تلاقى الجيش بجيش العدو سهل عليه الحرب بسرعة اذ لا يكون له من الاتكال ما يشغله .

وكل مرة كان يريد الجيش الروماني الوقوف ليمسك بخط الساح نطقاً مربياً ويجفر الجند في محيط ذاك النطاق هوة عميقة ويقون التراب من ناصيتهم في الداخل يكون مخدراً يضربون فيه اوتاداً وهكذا يكون المسكر محمياً بطاق من اوتاد وارض ذات وهاد وفي داخل هذه القلعة الموقفة يضرب الجنود خيامهم ويحصلون مرادق القائد في الوسط ويبقى الميون والحراس طول الليل يحرسون المسكر وهكذا يكون الجيش في مأمن من كل عدو مفاجي .

تعليم الجند — يعلم الجيش الروماني تلمياً قانياً فيحقق للقائد ان يميت جنده اويبقى عليهم والجندي الذي يترك محله او يركن الى الفرار في الزحف يحجم عليه بالموت



فيربطه حملة الثوروس بجمود. ويضربونه بالعصي ويقطعون رأسه أو يقطع عليه الجند  
فيضربونه بالعصي.

واذا تمردت كتيبة من الجيش يقسم ائقائد المجرمين الى عصابات كل عصابة مؤلفة  
من عشرة اشخاص يقرعون في كل عصابة على واحد يكون نصيبه الاعدام ويسمون هذا  
التشير اي اخذ واحد من عشرة اما الباقيون فيقفض عليهم بان يعطوا خبز شمير ويزكروهم  
يسكرون خارج المسكر ليكونوا ابداً على خطر من مفاجاة العدو لم .

لا يقبل الرومانيون ان يغلب جندهم ولا ان يؤسروا فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف  
جندي بعد وقعة « كان » وراحوا يهيمون على وجوههم الا ان مجلس الشيوخ ارسلهم  
يخدمون في صقلية بدون جرايات ولا القاب شرف ريثما يخرج العدو من ايطاليا وفي ثمانية  
آلاف جندي في المسكر قبض عليهم وقد عرض جانيبال ان يعيدهم الى الحكومة لقاء  
فدية طفيفة تدفعها عنهم فإلى مجلس الشيوخ ان يقتديهم .

الغلبة — متى كتب الظفر لاجل القواد يصدر مجلس الشيوخ امره اليه بان يحتفل بما  
تم له من الغلبة دليلاً على تشريفه فيحتفل بذلك احتفالاً دينياً في معبد المشتري فيسير  
في المقدمة الحكام والشيوخ ثم تأتي الجماعات مملوءة بالنشائم والاسرى متيدين من ارجلهم  
وفي المؤخرة عجلة مذهبة تجرها اربعة جياد يأقي القائد الغازي متوجاً بالنار وجنده  
يتبعونه مترنمين بادوار دينية يرددون فيها اسم الظفر فيحتاز هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال  
ويطلع الى معبد الكابيتول وهناك يضع الغازي اغصان الغار على ارجل المشتري ويحمده  
على انه كان سيبقي في نمرته وعند انتهاء الحفلة تضرب اعدق الامرى كما فعلوا مع الزعيم  
الغالي فوسنجتوركس او ان يلتوا الاسير في مطبق ( حبس مظلم ) يموت جوعاً كما فعلوا مع  
جوكورتا ملك قوميديا او انهم يكسفون بان يسجنوا الاسير . وقد دام ظفر بولس اميل  
الذي قلب على ملك مكذونية ( ١٦٧ ) ثلاثة ايام مرت في اليوم الاول ٢٥٠ مركبة تحمل  
لوحات وقنايل وفي الثاني ما غنمه من الاسلحة و٧٥ برميلاً من المال وفي اليوم الثالث ١٢٠  
ثوراً من ثيران الضحايا والملك يرمي في المؤخرة لابساً السواد يحلف به خاصته قعدين  
وثلاثة اولاد له مدوا ايديهم للامة يضرعون اليها واحذوا يحركون شفقتها .

فتح ايطاليا — كان في رومية معبد خاص للرب جانوس تبقى ابوابه مفتحة مادام الشعب  
الروماني في الحرب . ولم يغلّق هذا المعبد الا مرة واحدة دامت بضع سنين سلب خلال  
خمسائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وبعده فان رومية عاشت في حرب دائمة

واذ كان جيشها اقوى جيش في عصره انتهت بها الحال ان تغلب على جميع الشعوب الاخرى  
وان تنجح العالم القديم .

فبدأت إخضاع جيرانها أولاً فأخضعت اللاتينيين أولاً ثم الشعوب الاخرى النازلة في  
الجنوب مثل الفولسكيين والايكيين والمريكيين ثم الايتروسكريين والسامنتيين ثم المدن  
اليونانية . وكان هذا الفتح من اشق الفتوح وابطئه : بدأ على عهد الملوك ولم ينته الا في  
سنة ٢٦٦ اي بعد اربعة قرون (١) وذلك لانه كان على الرومانيين ان يقاتلوا شعوباً م  
وايام من عنصر واحد وهم على شاكلتهم في القوة والنجدة والشيعة . ومن هذه الشعوب  
من ابى اباؤها ان تخضع للرومان فما كان من رومية الا ان ابادتهم فاصبحت سهول فولسكا  
الغنية فقراً ذا بطائح ومستنقعات ولم تمد بطائح بوتتين صالحة للسكنى حتى يوم الناس  
هذا وقد كانت بلاد السامنتيين تعرف بعد ثلثائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي  
فيها من بقايا المتاريس اكثر مما تعرف بخلاصوارها من السكان وكان فيها ٤٥ معسكراً  
للالامبراطور ديسيوس و٨٦ للقائد فايوس .

الطرق العسكرية — اقام الرومانيون في جميع ايطاليا طرقاً عسكرية لنفسى لم ارب  
يحبوا بالبعوث الى القاصية وكانت هذه الطرق عبارة عن طرق مستقيمة موصوفة بالجديد  
والحجر والرمل وبلغ من متانتها انها صمدت على الايام خلال ذاك العهد بومعه . وقد اكثر  
الرومان منها في عامة بلاد ايطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها الى اليوم اثرًا من آثار تلك  
الطرق الحربية وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي امر ببنائها وام هذه الطرق طريق ايبين  
الممتد الى الجنوب الى البطائح بوتين حتى تراتنا وبرندس ثم طريق فلانين الذي يمتاز  
طريق انين ويصل الى بحر الادرياتيک وطريق اورلين الذي يقطع اقليم طوسكانيا  
آخذاً الى الشمال على طول الشاطئ حتى بلاد النول ثم طريق المين الممتد من بحر  
الادرياتيک مجتازاً جميع سهل « يو »

(١) لم يكن للرومانيين من اخبار جميع هذه الحروب في ايطاليا سوى اساطير لم يق  
اكثرها ليكون منها دليل على رجولية بعض اجداد احدى الاسر الشريفة



## مثنيات شعرية

أشرف فعل البرايا فعلٌ منتخَر      واغش القول منهم قول منتخَر  
ان التمدح من عجب ومن أشير      والمراء في العجب ممقوت وفي الاشر

\*\*\*

ياراجي الامر لم يطلب له سبباً      كيف الرماية عن قوس بلا وتر  
ليس التسبب من عجز ولا خور      وانما العجز تفويض الى القدر

\*\*\*

دع الاناسي وانسبني لسيرهم      ان شئت للشاء اوان شئت للبقر  
فان سيف البشر الراقي بخلقته      من قد اتقت به افي من البشر

\*\*\*

أليس حياتك احوال المحيط وكن      كاللآء بليس ما للظرف من جذر  
وان ايت فلا تجزع وانت بها      عار من الانس او كاس من الفجر

\*\*\*

ان رمت عزاً على فقر تكابده      فاستغن عن مال اهل البذخ والبطر  
فانما النفس مالم تنأ عن طمع      فريسة بين ناب الذل والظفر

\*\*\*

اذا نظرت الى الجزئي فصلحه      فارقبه من مرقب الكلي في النظر  
فان تفعلك شخصاً واحداً ربما      يكون منه عموم الناس في الضرر

\*\*\*

قد قبح الشيء وضماً وهو من حسن      كالشمس يدهش مريء وهو من شجر  
فالقبح كالحسن في حكم النعي عرض      وليس بثبت الا عند معتبر

\*\*\*

لا تعجب لذي عقل يروح به      ليتج الشرخس خيراً غير منتظر  
فانما لمسات الخير ككامنة      بين الشرور كمن النار في الحجر

\*\*\*

سبحان من اوجد الاشياء واحدة      وانما كثرة الاشياء بالصبور  
هب منشأ الكون يقي مبهماً ابداً      فهل ترى فيه عقلاً غير منبهر

الحب والبغض لا تأمن خداعهما      فككم ها اخذا قوماً على غرر  
فالبيض يدي كدور آفي الصفاء كا      ان المحبة تبدي الصنوف في الكدر

\*\*\*

واشنع الكذب عندي ما يمازجه      ثبي من الصديق تمويهاً على الفكر  
فان ابطال هذا في النعي عسر      وليس ابطال محض الكذب بالعسر

\*\*\*

قالوا عشقت معيب الحسن قلت لم      كفوا الملام فما قلبي بمنزجر  
ما المشق الا الهمى عن عيب من عشقت      هذي القلوب ولا اعني عمى البعر

\*\*\*

قالوا اين من انت يا هذا قتلتم      ابني امرؤ جده الاعلى ابو البشر  
قالوا فهل نال مجداً قلت وا عجبني      انساؤني يجدر ليس من ثري

\*\*\*

لا در در قصيد راح ينظمه      من ليس يعرف معنى الدر والدرر  
يكبي الشعور لشعر ظل يفقده      من لا يفرق بين الشعر والشعر

\*\*\*

قالت نوار وقد انشدتها مصرأ      ممن تعلت ثقت السحر في السحر  
قلقت من محرم عينك الذي صمرت      به الشاعر من سمع ومن بصر

معروف الرصافي

بنفاد

## ما كل العرب

الاطعمة في الامم ثابتة لحضارتها تكون بسيطة في الامة البدوية ومركبة متنوعة في  
الامة الحضارية كما هي الى السذاجة في الريف والتنوع في المدن . ولما كانت البداوة اصلاً  
والحضارة فرعاً وكانت القرى هي الممول عليها في حياة المدن كان الناس يطعمون في ايام خشونتهم  
ورفاهيتهم مما نبت لم الارض من بقل وتمر وبنج مواشيهم من البان ولحوم وتغذف اهلواهم  
وسهولهم واجلهم ويحيراتهم وانهارهم وبحارهم من طيور واسماك وصيد لا يكادون يبدون  
ذلك بحال .

فاطمة العرب في جاهليتها على التذرع القليل الذي انتهى اليها من اخبارها قبل الاسلام كانت الى السنداجة والقطرة خصوصاً في البلاد التي هي الى الاجذاب اقرب منها الى الاخصاب لقلة امطارها وعصيان تربتها على الاستنبات . ونعني بالعرب هنا سكان جزيرة العرب من تهامة والحجاز ونجد والروص واليمن وكلها فاحلة الا بعض بلاد اليمن التي سميت الخضراء لكثرة اشجارها ونهارها وزروعها وفي بعض كورها ما هو كبلاد الشام باعتدال هويته وزكاه ترجمه . قال الاسمي جزيرة العرب اربعة اقسام اليمن ونجد والحجاز والقور وهي تهامة فن جزيرة العرب الحجاز وما جمعه وتهامة واليمن وسبأ والاحقاف واليامة والشحر وهجر وعمان والطائف ويثرب والحجر ودار ثمود والبشر المحطلة والقصر المشيد ولرم ذات الهاد واصحاب الاخدود وديار كندة وجبال طيء وما بين ذلك .

ومنى اطلقنا العرب هنا فاننا نريد بهم سكان الحجاز ونجد وتهامة وهم صميم العرب العاربة ومن بلادهم انبثت النبوة وفي الحجاز قريش اشرف القبائل ومن قريش نبي هاشم اكثر من كانوا يطعمون الطعام ويقرن الضيفان . وكنا نود ان يتناول مجئنا اهل كل قبيلة واهل كل كورة من كور العرب ولكن ليس في الكتب التي بين ايدينا ما يدعون الى التوسع في القول .

وناية ما اتصل بنا علمه ان الاسلام وان اصلح من نفوس العرب فان طبيعة بلادها لم تتغير منذ قرون وذلك كان بعض العرب يأكل البربرع والضب والجراد والارنب ويمسحاً نعمة وبسطة في العيش حتى قال مديني (١) لاعرابي : اي شيء تدعون واي شيء تأكلون . قال : تأكل ما دب ودرج الا ام حنين (٢) فقال المديني : لئن ام حنين العافية . ولذلك كنت ترى العرب ولا تزال تراه اذا اصابهم سنة وجماعة عالق على جيرانهم من سكان الشام والحيرة واليمن وقد عيرهم بذلك ملك الفرس لما جاءه فأتهم يوم القادسية وذكر لهم كيف كان يوسع عليهم عند ما كانوا ينزلون بلادهم منتقمين مستطمين .

وقول المديني ان العرب يأكلون ما دب ودرج لا يؤخذ منه انهم كلهم لان منهم من كانوا يتعززون من اكثر الدواب والصيد قال الجاحظ : ومن الطعام المذموم الخزيرة التي تصاب باكلها مجاشع بن دارم وكثير السخينة التي تصاب بها قريش والسخينة كانت من طعام قريش ونعجي الانصار وعبد القيس وطره وكل من كان بقرب النخل باكل الثمر ونعجي اسد

(١). كتاب الجلاء للجاحظ (٢) ام حنين كزيرة دوية وهي معروفة مثل ابن عرس واسامة وابن آوى وسام ابرص وابن قرة الا انه تعريف جنس وهي على خلقه الحبراء عريضة الصدر عظيمة البطن .

بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس والعرب اذا وجدت رجلاً من القبيلة قد اتى قبيحاً  
الزيت ذلك القبيلة كلها كما تمدح القبيلة بفعل جميل وان لم يكن ذلك الا بواحد منها فتهجو  
قريشاً بالسحنة وعبدالقيس بالتمر وذلك عام في الحيين جميعاً وهما من صالح الانذبة والافوات  
كما تهجو بأكل الكلاب والناس وان كان ذلك انما كان رجلاً واحداً فلهلك اذا اردت  
القهييل تحمده ممذوراً وتهجي اسد ومذبل والنير وبأكل لحوم الناس . وقال وقد  
يصيب القوم في بادئهم ومواضعهم من الجهد ما لم يسمع به في امة من الامم ولا في ناحية  
من النواحي وان احدهم ليحجوع حتى يشد على بطنه الحجارة وحتى يعتصم بشدتهما فدا لآزار  
وينزع عمامته من رأسه فيشد بها بطنه وانما عمامته تاجه والاعرابي يجد في رأسه من البرد  
اذا كان حاسراً ما لا يجد احد لطول ملازمته العمامة وكثرة طيها وتضاعف اثاثها ولربما  
اعتم بهاتين وربما كانت على قلنسوة خدرية

ومما يكن فان العقل يحكم بان عرب الشام كخسان مثلاً كانوا لمجا رتيهم الروم  
ياخذين عنهم كل « شيء طريف ولقمة كريمة ومغصة شبيهة » اكثر من عرب الحجاز  
وانه كان لعرب الحيرة من الطعام ما ليس لاهل نجد لقرب بلاد الأول من بلاد الاكسرة  
واخذهم عنهم « رفاغة العيش والناعم من الطعام » . ومطاعم العرب في جبلتها لا تعدى  
الحوم والالبان والبر والتمر . والابا افضل عندهم من عامة الذبايح اذا ضاف احد رجلاً من  
اهل السمة ولم يغزله عد ذلك اهانة .

نزل عمرو بن معدى كرب برجل من بني المغيرة وهم اكثر قريش طعاماً فأتاه باحضار  
وقد كان فيما أتاه به فضل فقال لعمر بن الخطاب وهم اخواله : لئام بني المغيرة يا امير المؤمنين  
قال : وكيف . قال نزلت بهم فما قروني غير قريين (١) وكعب ثور قال عمر : ان ذلك  
لشبهة وكم قد رأيتنا من الاعراب نزل برب صرمة (١) فأتاه بلبن وتمر وحيس (٢) وخبز  
وسمن سلاء فبات ليلته ثم اصبح يهجوهم كيف لم يغزله وهو لا يعرف بغيراً من ذوده (٣)  
او من صرمة ولو غزله هذا البائس لكل كلب « به بغيراً من مخافة لسانه لما دار الاسبوع  
الا وهو يتعرض للسالبة يتكفف الناس ويسألم الملق (٤)

(١) الصرمة بكسر الصاد القطعة من الابل قيل في نحو الثلاثين واوصلها بعضهم الى  
خمسين (٢) الحيس بالفتح تمر يخلط بالسمن وأقط فيجبن شديد اثم يندرمه نواه ثم يسوى  
كالثريد وهي الوطبة وربما جعل فيه سويقاً (٣) الذود من ثلاثة الى عشرة قنابا (٤) الملق  
كالملقة بالضم وكذلك الملاق والملاقة كصحاب وصحابة ما يتبلغ به من العيش يقال ما  
ذقت ملاقاً وما في الارض علاق ولا ملاق اي ما فيها ما يتبلغ به من عيش

وإذا اجتمعت أسماء الاطعمة عندهم (١) تجدها دائرة على تلك المواد الاولية ومتى رأيت تكرار المعنى الواحد بالفاظ كثيرة فنشأ ذلك والله اعلم من تعدد لغات قبائل العرب لان ما عرفت قبيلة باسم تعرفه اخرى بأخر . فمن اطعمتم ( الوشيق ) وهو لحم يغل اغلاء ثم يرفع و ( الصفيف ) مثله ويقال هو القديد قال ابن السكيت : اذا شرح اللحم وقددطوا الا فهو القديد فاذا شرح عراضاً فهو الصفيف والوشيق يحمصها اذا جفا و ( التميم ) ان يقطع صغاراً ثم يحفف و ( الوزيم ) الجفف و ( الغبير ) لحم يحفف على الرمل في الشمس و ( الجبجة ) كرش البعير يسل بالماء والملح ثم يشرح اعلاها ثم ينقونها ويحشونها (٢) بالشحير او ببر الابل اليابس ثم تعلق حتى تضربها الريح وتجفف ثم يأخذون اللحم فيقعدونه ويحشونه على حبال حتى يذبل ذبله ويذهب ماؤه وكذلك يفعلون بالشحم ثم يطبخون لحمها بشحمها جيماً ثم يفرغونه في الصواع حتى يبرد ويصفون الاطالة على حدة فاذا برد كشيوا اللحم والشحم في العجينة وصبروا عليه الودك ثم يردوه حتى يحمى ويصير كالخجر ثم يلقى في جوالق ( اكياس ) ويستمر من الحوان يسد فياً تكون منه جامداً ومن شاء اذاب منه على القرص .

و ( الاطيرة ) لحم يطبخ في كرش و ( الحلام ) طعم يغمس لحم محلة بجلدها . و ( الشبارق ) الالوان من اللحم المطبوخة فارسي معرب . و ( الخضيمة ) طعام يغمس بالشام . و ( القلية ) مرقعة يغمس من اكباد الجورور ولحمها . و ( الحنيد ) الشاة الذي لم يبالغ في نفيجه وقد حننت اخذ حنذاً قال ابن السكيت : الحنيد ان يؤخذ اللحم فيقطع اعضاءه وينصب له صفيح الحجارة فيقابل يكون ارتفاعه ذراعاً وعرضه اكثر من ذراعين في مثلها ويعمل له بابان ثم يقد في الصفاق بالخطب فاذا حنيت واشتد حرها وذهب كل دخان فيها ولحم أدخل فيه اللحم واغلق البابان بصفيحتين قد كانت قدرنا للباين ثم ضربتا بالطين وقرث الشاة وأدققت شديداً بالتراب فيترك في النار ساعة ثم يخرج كأنه البسر قد تبرأ العظم من اللحم من شدة نفيجه . والحند ايضا ان يأخذ الرجل الشاة فيقطعها ثم يحملها في كرشها ويلقي مع كل قطعة في الكرش رضة ورتبا جعل في الكرش قدحاً من لبن حامض او ماء ليكون اسلم للكرش من ان تنفذ ثم يخلها بخلل وقد حفر لها بؤرة احماها بها فيلبي الكرش في البؤرة ويغطيها ساعة ثم يخرجها وقد اخذت من النفيج حاجتها . ( شاة ملموس ) اذا اكل باليمن وهو السلس و ( الصلائق ) اللحم المشوي المنفخ وقيل الرقاق من الخبز وسيف حديث عمر رضي الله عنه لو شئت امرت صلائق وصناب

(١) كتاب الطعام من المختص لابن سيده الاندلسي (٢) حش النار اوقعها قال الزمخشري حش النار اشبهوا وطعمها الخطب كما تحش الدابة وهو مجاز

قال ابن سيدة في باب ما يعالج من الطعام ويخلط ثقلًا عن أبي علي أن أكثر هذا الباب على فصلة أما بناؤهم لها على هذا البناء فلا نه في معنى مفعول الا ترى ان البسيسة في معنى مبسوسة وكلها مطبوخ ملتوت أو ملبون أو ممتور أو مسمون أو مسول والجنس الغالب الدائم له قولنا مخلوط ودخلت المادة للبانة . وذلك مثل ( الفسيسة ) وهي ممن ورُبُّ يجعل للصبى في العكة يطعمه يقال ضبيوا لصبيكم . ( والريكة ) شيء يطبخ من بز وتقر وقد ربكته أربكه ربكاً ومنه المثل غرثان فاربكوا له . قال ابن السكيت الزبيكة تمر بعجن بسمن وأقط فيؤكل وربما صب عليه ماء فشرب شرباً . و ( البسيسة ) كل شيء خلطه بغيره مثل السويق بالأقط ثم تبلة بالسمن أو الرب ويقول ابن السكيت ان البسيسة الدقيق أو السويق يلبت بالسمن أو الزبد ثم يؤكل ولا يطبخ وهو أشد من اللب بللاً والأقط يندق ويطحن ثم يلبك بالسمن المخلط بالرب و ( البكيكة ) السويق والتريو كلان سيف أنه واحد وقد بلا بالبن وقد بكل الدقيق بالسويق خلطه و ( الشنية والنشبة ) طعام يطبخ ويجعل فيه جراد أو ( الفريقة ) شيء يعمل من البر ويخلط فيه أشياء للنساء و ( الفترة والفرارة ) حلبة وتر يطبخ للرئيس أو النساء و ( الرغيدة ) اللبن الحليب ينلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يخلط فيملق لعقاً و ( الحريرة ) الحساء من السم والدقيق و ( السريطاء ) حساء شبيه بالحريرة أو نحوها و ( الاصية ) طعام كالخساء يصنع بالتمر وقد بقاها للرغيدة و ( المكيس ) الدقيق يصب عليه الماء ثم يشرب و ( الوجيئة ) التريو حتى يخرج نواه ثم يبل بلبن أو سمن حتى يتدرن ويلزم بعضه بعضاً فيؤكل والوجيئة أيضاً جراد يندق ثم يلبت بسمن أو يزين فيؤكل و ( الخزيرة أو الخزير ) الحساء من الدم أو الدقيق والخزيرة مرقعة تصفى ببلالة النخالة ثم تعجن تسميه الفرس سيوساب والخزيرة ان تصب القدر بلح يقطع صفاراً على ماء كثير فاذا انضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ولا تكون الخزيرة الا وفيها لحم و ( العصيدة ) السمن يطبخ بالتمر و ( الرميذة ) شيء يندق ويصب عليه الماء و ( الوديكة ) دقيق يساط يشتم شبه الخزيرة و ( العصيدة ) السمن يطبخ بالتمر و ( الرميذة ) بر يندق ويصب عليه الماء و ( الوديكة ) دقيق يساط يشتم شبه الخزيرة و ( اللبيدة ) الرخوة من المعائد ليست بمحادة يحمى ولا غليظة فتلق و ( الغطيفة ) الدقيق يذر على اللبن ثم يطبخ فيلقه الناس لعقاً و ( اللبينة ) العصيدة المخلطة من فت الشيء الفت لعقاً اذا لوبته و ( النخيرة ) ماء وطحين يطبخ وقيل هو لبن حليب يجعل عليه سمن و ( الحسيلة ) حشف النفل اذا لم يكن حلاً بسر فيسونه فاذا ضرب انفت عن نواه ويدفونه بالبن ويمردون له تمرًا حتى يحليه فيأكلونه لقياً وربما وردن بالماء و ( النهدية ) ان ينلى لباب المييد وهو حطب.



الحنظل فإذا بلغ اناء من النضج والكثافة ذرت عليه قمحة من دقيق ثم تحل (والنهيبة) مخض يلقى فيه الرّصف فإذا غلى ذرّ عليه الدقيق وسيط به ثم أكل (والسحينة) التي ارتفعت عن الحساء وثقلت عن ان تحس وهي دون المصيدة (والنفية والحريقة) ان يذرّ الدقيق على ماء اولين حليب حتى ينفث وتيس من نقتها وهي اعظم من السحينة يتوسع فيها صاحب الميال ليعاله اذا غلبه الدهر (والخضيمة) حنطة تؤخذ فتتق وتطيب ثم تجعل في القدر ويصب عليها الماء فتطبخ حتى تنضج (والوهية) جراد يطبخ ثم يحفف ثم يبدق فيفمغ او يكل ويخلط بدسم (الصخرة) من الحض اذا سخن يقال اصحروا لنا لبناً وربما جعل فيه دقيق وربما جعل فيه سمن اذا سخن فيه الحليب خاصة حتى يحترق فهو صخرة وقد صهرته اصحرو صحرًا (والنم) اللبن يسخن حتى يغلظ (والقطيعة) لبن المعزى والضأن (والاخيشة) دقيق يصب عليه ماء يوزت او سمن ويشرب ولا يكون الا رقيقًا (والوطيئة) تمر يخرج نواه ويصن بلبن (والعجة) دقيق يبعث بسمن ثم يشوى (والوليفة) طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن (واللوفة) زبد ورطب (والالوفة) كل ما لبن من الطعام وفي الحديث لا آكل الا ما لوتى لي . (والوهية) يرطحن بين حجرين ويصب عليه لبن (والحيس) تمر واقط وسمن (والفذية) دقيق يحلب عليه لبن ويحمى بالرّصف (والجميع) التمر واللبن (والصقل) التمر اليابس ينقع في اللبن الحليب (والقشيمة والقميشة) هيد يحلب عليه لبن (والوضيمة) حنطة تدق ثم يصب عليها سمن فتؤكل (والنخيمة) طعام من تمر واهالة (والبنيث) الطعام المخلوط بالتمر (والسدة والقشدة) حشيشة كثيرة الاحالة واللبن يطبخ مع دقيق واشياء تؤكل (والذليك) طعام يتخذ من الزبد واللبن شبه اللبن .

اذا أخذ حليب فانقع فيه تمر في فهو (كديراء) (والرض) التمر يبدق فينقى عجمه ويلقى في الحض (والوغيرة) اللبن مخضًا يسخن حتى ينضج وربما جعل فيه السمن . وفي لغة الكلبين الا يبار ان سخن الحجارة ثم تلقى في الماء تسخنه وفي اللبن ايضا لينعقد ويطيب (والحلجة) عصارة نهي اولين انقع فيه تمر (ذمة) هي السمن على الحض (والدبوس) خلاص التمر يلقى في مسلا السمن فيذوب فيه وهو مطيبه للسمن (والرضيف) اللبن يصب على الرّصف وهي حجارة تحمى فيؤغرها اللبن (والحمية) الحض يسخن وقد حمته واحمته . مش الشيء يشه مشًا اذا دافه في ماء حتى يذوب (والجال والجهول) تمر يبعث بسويق (والعمص) ضرب من الطعام تقول عمصت المامص وامصت الامص وهي كلمة تجري على السنة العامة وليت فصيحة يستون الحاميز وربما قالوا العاميه (والمويشة) قرص

يعالج من البقلة الحماة بزيوت (المليز) وير مخلوط بدماء الحلم كان يؤكل في الجلب وب (المجدوح) دم يخلط بغيره كان يؤكل في الجاهلية واصله من الجندح ويتجدد وهو الخوض بالمجدح وفي ختبة في رأسها خبثتان متعرضتان و (الغرديق) طعام يعمل شبيه بالحساء والخويقو (الوزين) حب الخنظل المطحون يؤبل بالبن فيؤكل و (الفرني) واحده فرنية وهي خبزة مسككة مصنعة تسوى ثم تروى سمنًا ولبنًا وسكرًا قال ابن سيده واهل الشام يتخذون الخبزة الفرنية على صنعة كبير الزجاجين يخبزون فيه الفرنية يسمنون ذلك الخبز فرنًا و (الطعام مبروت) مصنوع بالمبريت وهو السكر الطبرزدور البهط فارسي وهو الارز يطبخ بالبن والسمن خامه واستعملته العرب تقول بهطة طيبة و (سويق مقنود ومقند) مخلوط بالتند والتنديد وهو عصير قصب السكر و (البريقة) وجمعها برائق وهي التباريق وهو شي قليل من الدسم لم يفسفوه اي لم يوسعوه دسمًا . و (المنشق) العجين الذي يقطع ويعمل بالزيت واسم كل قطعة منه فرزدة وجمعه فرزدق (وعامة اهل الشام يقولون الآت جردقة بجر - - ) و (الفرفور والفراف والفرافل) سويق يتخذ من ثمر الينبوت و (الحلواء) من الطعام ما عولج بحلاوة يمد ويقصر ومنها الفالوذ والفالوذق وهو فارسي معرب زعم الفارسي ان معناه حافظ للدماغ بالفارسية وهو الفالوذج والطائفة منه فالوذجة وهو الصرق . و (القيطي) الناضف و (الحص) كالقود معرب ولا حلاوة له يأكله الصياني بالبصرة بالديس و (الكناخ) من الادم منهم من خصه بالمخللات التي تستعمل لتشي الطعام و (الصير والصماعة) ضربان من الكناخ وفي القاموس والصماعة والصماعة ويمدان ويكسران ادم يتخذ من السمك الصغار منه صلح لعدة قال في التاج الصماعة فارسية تسميها العرب الصير قل ابن الاثير الصير والصماعة فارسيستان و (الصير) السميكات المملوحة تعبر منها الصماعة ومن اضمته ا (البرامك) وهي الحوارى اي الدقيق الخالص قال زياد بن نياض

فأطعمها شحمًا ولحاً ودرمكاً ولم يثنا عنه النسيم الخناس

ومن ما كلهم (المضيرة) مريقة تطبخ بالبن المضيراي الحامض وهي مثل المينة المعروفة في بلاد الشام عقد لها البديع مقامة ولعنبا ابو الفتح الاسكندراني عند ما دعاه واصحابه بعض تجار البصرة فرصوها عن الخوان مجاراته « فارنعت لها الافواه ونظمت لها الشفاء واقعدت لها الاكباد ومضى في اثرها الفؤاد » و (السكياج) مربة كما في التاج عن مركبة باجه وهو لحم يطبخ بمخل مثل (السكرجات) وهي التوابل والسكرجة قصاع يؤكل فيها صفار وليست بمرية وهي كبرى وصغرى وفي حديث انس لا آكل في سكرجة ومعناه ان العرب كانت تستعملها في الكناخ واشباهها من الجوارش على الموائد حول الاطعمة للتشي

والمضم فاخير ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل على هذه الصفة . ومنها (الفانيد) قال في التاج ضرب من الحلواء معرب بائيد و (الهلينا) وردت في كلام الجاحظ فقال : اذا اطعمتهم اليوم البرقي اطعمتهم غدًا السكر وبعد غد الهلينا . والغالب ان الهلينا طعام ثمين عندهم و (الطفيل) كسيميذ نوع من المرق و (المريسة والتجليعة والكربنية) (الوان ولعل اسماء البقول المطبوخة تسمى بالاسم الذي صنعت منه مثل الباقلاء والقرع والبقول والمقرف والسلق وغيرها بما كان معروفًا للعرب وبنيت في بعض بلادهم .

سئل بعضهم عن حفظ البلدان في الطعام وما قسم لكل قوم منه فقال ذهب الروم بالجشم (١) والحشو وذهبت فارس بالبارد والحلو وقال عمر لقارص الشبارق والمخوض فقال دوسر المديني : لما المرائس والقلايا ولاهل البدو اللباه والسلاه والجراد والكماة والخيزرة في الزائب والتر بالزبد وقد قال الشاعر

ألا ليت خبزاً قد تسربل رائباً وخيلاً من البرقي فرسانها الزبد

ولم البرمة والخلاصة والحيس والوطيئة . وقد علم بهذا ان الحلويات عند العرب ما يعملونه بالدقيق والتر ويدخل أكثرها الدبس او العسل او السكر وهذا كان نادرًا في الجملة عندهم لانه يأتيهم من فارس كما دل عليه اسمه عندهم اذ اخذوا عن جيرانهم الاسم ونقلوا السمي . ويحكى ان عبدالله بن جدعان احد اشراف قريش ذهب مرة الى كسرى فاطعمه الفالوذج فاستطابه وسأل كيف يصنع فقيل له انه لباب البريليك بالعسل فابتاع غلامًا يصنعه له ورجع الى مكة وصنع الفالوذج ودعا اليها اصحابه ومن اكلها أمية بن ابى الصلت فقال يمدحه :

لكل قبيلة رأس وهادي وانت الرأس تقدم كل هادي (٢)

له داح بمكة مشعل (٣) وآخر فوق دارته يناديه

الى رذح من الشيزي ملاه لباب البريليك بالشهاد (٤)

قال الجاحظ ومن اشراف ما عرفوه من الطعام ولم يعلم الناس احد منهم ذلك الطعام الا عبدالله بن جدعان وهو الفالوذج

هكذا كانت الاطعمة في الجاهلية واماني الاسلام فكان فيها في اخبار اهل الصدر الاول

(١) في القاموس الجشم كسرء الجوف او الصدر بضوئه المشتملة عليه (٢) الهادي العنق (٣) المشمل الرجل الخفيف الظريف او الطويل (٤) الرذاح الجفنة العظيمة والجمع رذح بضمين والشيزي خشب اسود للقصاع كالشيزي والشهاد جمع شهد وهو العسل ما دام لم يعصر من شحمه .

وخصوصاً في اخبار أبي بكر وعمر وعلي وعمر بن عبد العزيز من الزهد والتشغف ما يحب منه كل من عرف انهم فقت لم كنوز الارض فسفوا عنها . ولما شئت حاجة عمر بن الخطاب اراد بعض الصحابة ومنهم عثمان وعلي وطهعة والزبير ان يزيده في رزقه فصرخوا ان يا توحنا حفصة ويسألوا هو يستكتونها فدخلوا عليها وامروها ان تخبر بالخبر عن قمر ولا تسمي له احداً الا ان يقبل وخرجوا من عندها فلقبت عمر في ذلك ففرت الغضب في وجهه وقال : من هؤلاء قالت : لا سبيل الى علمهم حتى اطع رأيك فقال : لو علمت من هم لسوءت وجههم انت يعني وينهم . انذلك الله ما افضل ما ائني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ثوبين مشقين (١) كان بلبها لوفد ويطلب فيهما للجمع قال : فاي الطعام ناله عندك ارفع قالت : خبزنا خبزة شعير نصينا عليها وفي حارة اسفل عكة (٢) لنا فحملناها حشة دسمة فاكل منها ونظم منها استطابة لما قال : فاي مبسط كان يسطه عندك كان او طأ قالت كساء لنا تخين كنا نربعه في الصيف فنجعله تحتنا فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال : يا حفصة فابلفهم عني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية (٣) واني قد رت نوا الله لاضعن الفضول مواضعها ولا تبطن بالترجية وانما مثني ومثل صاحبي كثلثة سلخوا طريقاً ففنى الاول وقد تزود زاداً فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فانفنى اليه ثم اتبعه الثالث فان لم طريقها ورضي بزيادها حتى بهما وكان معها وان سلك غير طريقها لم يجامعا .

ولقد كان عمر بن الخطاب يشدد على عاله حتى لا يسترسلوا في التتم بالاطياب فتفسى قلوبهم ويكونوا قدوة في الترف للرعية قال (٤) الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لابي موسى الاشعري على البحر بن فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره بالقدوم عليه هو وعاله وان يستقلوا جميعاً قال : فلما قدما اتيت يرفاً (٥) فقلت يا يرفاً مسترشدوا من سبيل اي الهيثات احب الى امير المؤمنين ان يرى فيها عاله : فاذوا الي بالغسونة فالتفت خفين مطارقين ولت عامي على رأسي (٦) فدخلت على عمر نصفنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه احداً غيري فدعاني فقال : من انت . قلت : الربيع بن زياد الحارثي .

(١) مصبوغين (٢) العكة بالقلم آية السمن كالشكوة لابن اصغر من القرية تعمل من جلد (٣) الترجي والارقياء والترجية كلها بمعنى الزجاء (٤) الكمال للبرد (٥) يرفاً كمنيع مولى عمر بن الخطاب (٦) خنان مطارقان اي مطبقان يقال طارت ثغري اذا اطبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ . وقوله لثنيها على رأسي يقول ادعت بعضها على بعض على غير استواء

قال : وما لتولي من أعمالنا . قلت : البحرين . قال : كم ترتزق . قلت : الفأ . قال كثير  
فما تصنع به قالت : ألقوت منه شيئاً وأعود به على أقارب لي فما فضل عنهم على قراء المسلمين  
قال : فلا بأس أرجع الى موضعك . فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب  
فلم تقع عينه الا علي قدعاني فقال : كم منك . قلت : خمس واربعون سنة . قال : الآن  
حين استحكمت ثم ذعاً بالطعام واصحابي حديث ارم بلين العيش وقد تجوعت له فأني ينجز  
واكسار بصير (١) فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت انظر اليه بلعاني  
من بينهم ثم سبقت مني كلمة تخيت اني سبقت في الارض فقلت : يا امير المؤمنين ان الناس  
يحتاجون الى صلاحك فوعدت الى طعام ألين من هذا فزجرني ثم قال : كيف قلت فقلت :  
اقول يا امير المؤمنين ان نظرك الى قوتك من الطحين فينجز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ  
لك اللحم كذلك فتؤتي بالخبز ليلاً والحم غريفاً فسكن من غربه وقال : امهنا غرت . قلت  
نعم فقال : يا ربيع انا لو نشاء ملائنا هذه الرخاب من « لائق وسبائك وصاب (٢) ولكني  
رايت الله عز وجل نهي على قوم شهواتهم فقال : اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . ثم امر  
ابا موسى بالقراري وان يستبدل باصحابي .

نعم لو اراد عمران يلاً داره من هذه الطيبات التي عندها وهي اثقن شيء في نظره  
واغلاؤه لما تضر عليه بعد ان فتح المسلمون فارس والشام في عهده ولكن نفسه العظيمة ابت  
التقص ومثله بعض حاله حتى ان ابا عبيدة لما هزم الفرس في كسكرو من اعالمهم جمع الغنائم  
فراى من الاطعمة شيئاً عظيماً فبث فيمن يليه من العرب فاقسموا خزائنهم وجعلوا يطعمونه  
الفلاحين ويمشوا بجمعه لعمرو وكتبوا اليه ان الله اطعمنا مطام كانت الاكسرة يحمونها  
واحبيننا ان تروها ولتذكروا لافضل الله وافضاله . ثم ان بعض الفرس حملوا الى ابي عبيد  
بآية فيها انواع اطعمة فارس والالوان والاخصة وغيرها فقالوا هذه كرامة اكرمناك بها  
وقرى لك قال : أأ كرمتم الجند وقرىتمهم مثله قالوا لم يتيسرو ونحن فاعلون قالوا فردده وقال :  
لا حاجة لنا فيه بشئ المرة ابو عبيدة ان صحب قوماً من بلادهم امرأوا دماءهم دونه اولم  
يعرفوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه لا والله لا يأكل فما افاء الله عليهم الا مثل ما يأكل  
اوساطهم . قال زياد بن حنظلة في فتح عمر بن الخطاب لا يلباء من ايات

(١) الاكسار جمع كسر بكسر الكاف والكسر والجدل والوصل العظم يتفصل بما عليه  
من اللحم (٢) الصلائق ما عمل بالنار طبخاً وشياً يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت  
الحم اذا طبخته على وجهه . وسبائك ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحواري  
وكانت العرب تسمي الرقاق السبائك . والصاب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب

والقت اليه الشام افلاذ بطنها وعيشاً خصباً ما تعد ما كله  
وبذلك عرفت ان معظم الاطممة الشبية فارسية اورومية استعملها العرب في البلاد  
التي بزولها ومنها ما عربوه ومنها ما ابقوه على حاله ولكل بلد خصائصه في ما كله ومن  
تعمد استقصاءها يضطر بعد البحث الشديد الى وضع مصنف فيها يكون من اقيم الدروس  
الصحية والاجتماعية لامتالة . ومن المجالس الغربية للمجلس الذي عقدته المستكفي بالله لينذاكر  
مع ندمائه انواع الاطممة وما قال الناس في ذلك منظوماً وقد اورد المسعودي في مروج  
الذهب هذه القصائد ومنها قصيدة لابن المعتز يصف صلة سكارج كواخى واخرى لكشاجم  
في صفة صلة نوادر وثالثة لابن الرومي في صفة وسط وراية لاصحاب الموصل في صفة منبوج  
واخرى لكشاجم في وصف هليون وغيرها للحافظ الدمشقي في وصف ادريسة وغيرها في  
وصف المضيرة ولغيره قصيدة في جوزابه ( بد ) .

ومن القصائد التي ورد فيها ذكر بعض الاطممة الدمشقية حوالى القرن الرابع للهجرة  
قصيدة الي القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواساني الذي كان في  
زمانه كما قال الثعالبي في البيعة كائن الرومي في اوانه وصف ما جرى عليه سيف الدعوة  
التي عملها في قرية حمرايا من اعمال دمشق وقد اخذها صاحب البيعة برمتها : فقال انه احسن  
فيها غاية الاحسان وابان فيها عن مفزاه احسن بيان وتصرف فيها واطل ولمكنه القول  
فقال ، اذا تخلص الشاعر عن اطلالة والوصف هذا التخلص وسلم مما يؤديه الى التكلف  
والتلصص فهو الذي لا يدرك غوره ولا يخاض بحره .

## جيران الفراعنة

نشر المسيو جبرائيل مدينا في المجلة التونسية قصلاً ضافياً في اصول شعوب الارخبيل  
في البحر الرومي واحلافهم الليبيين الافريقيين مستنداً فيه الى ما عرف من الآثار المصرية  
والمصانع المصورة في آسيا الصغرى قال فيه ما تعريبه : عرض المسيو لجاناس في مؤتمر  
الجمعية العلمية الدولي الذي التأخر في مونتريال كونسنة ١٩٠٧ نتيجة اعمال الحفر التي قام بها  
في كنوس عاصمة جزيرة كريت القديمة وهي خفريات ظهر بها مواد كثيرة يرجع عهدها الى  
اقدم الازمنة في تاريخ كريت ويستدل منها على امور كانت غير معروفة عن حال مدينة

قامت في تلك القطع . وقد اطلق هذا المكتشف على ما عثر عليه من بقايا الآثار اسم المنيوية ولن نطعن كلها في الجملة على انها صنعت على مثال الآثار الليبية المصرية دلالة لا يتارى فيها الخلل .

وقد نشر الآن المسيو هوغو ونكر استاذ كلية برلين كراسة صغيرة ذكر فيها ما عثر عليه أثناء حفراته في بوزاز كوي (١) وهي مشهورة بنقوشها البارزة الميتية وكان من حظ هذا العالم ان يجمع يده على السجلات السياسية للملك الميتيين (٢) مما يرجع على الاقل الى خمسمائة سنة قبل الميلاد .

(١) اي قرية الخليج وهي بلدة في آسيا العثمانية اي بلاد الاناضول من اعمال ولاية اقصة المعروفة قديماً باقليم غالاسيا وسكانها نحو ستمائة نسمة وتطل عليها اطلال مدينة مادبة (فارسية) قديمة اسمها بتريوم وهي التي خربها كزيوس آخر ملوك ليديا وام شي وفي هذه الخرائب سور من الصخور الطبيعية تحته يد الصناعة وهو مزين بنقوش ورسوم ام ما فيها صورة مشهد دخول الخاقان الاعظم

(٢) افيثيين او الميتيين وبالسريانية « خاقي » وباللغة المصرية « ختي ختي » هو اسم لشعب لم يعرف عنه شيء الا من رواية التوراة ثم ظهر امره واستبان تاريخه من المصانع المصرية والاشورية وقد كانوا ينزلون منذ الازمان الموزلة في القدم في اعالي اودية نهر قزل ايرمق ( هاليس ) والفرات وخضعوا للكلدانيين الاول ووضع فراعنة الدولة الثامنة عشرة عليهم يد فحولوا في سنة الجزية وكان لم تمدن خشن اقتبسوه في جملة عن الكلدانيين ولما سقطت هذه الدولة انمرونية في مورية فاد ملك الميتيين رعيته ففحقوا سورية الشمالية ووادي الفاصي باجمعه والبلاد الواقعة بين الفرات والخابور الى تخوم بلاد اشور وبابل ثم وقعت لم حروب مع فراعنة مصر حتى اضطر رعمسيس الثاني ان يعقد صلحاً مع ملكهم وتزوج ابنته فجاء حموه خاتونزارو فزار وادي النيل ودامت حلات الود بين الميتيين والمصريين منذ ذاك العهد ثم انحطت مملكتهم واصبحت مستعبدة للاشوريين ثم تبعوا ملوك نينوى وقومهم تحديدهم انهم لا بد لهم من ارجاع استقلالهم ولكنهم لنوا في فاقهمهم واندمجوا فيهم حتى انهم لم يكن لهم اسم ولا جسم على عهد فتح الاسكندر ويقول المؤرخون ان بعضهم اندمجوا مع الاراميين او لجؤوا الى مضائق جبال طوروس وانضموا الى القبائل النصف يبرية التي ظلت على استقلالها . ولم تحل حتى الآن خطوطهم وهي اشبه بالخط المصري القديم ويوجد من آثارهم في آسيا الصغرى وسورية وفي جميع البلاد التي اجتولها عن قاموس لاروس .

وبين الألواح التي ظفر بها الانتاذ ونكر الصور الأصلية من الرسائل التي يبعث بها ملك الهيتيين الى الامراء الخاضعين له ونسخة من المعاهدة التي عقدت بينه وبين رمسيس الثاني بعد موقعة قادش وهي المعاهدة التي عرفناها من الترجمة البدئية التي ترجمها المسيو ماسيرو منقولة عن الاصل المصري الذي وجد في الكرنك . ولقد عثر المسيو ونكر ايضا على نحو مائة قطعة من الترميد محفورة من اطرافها فيها بضع مئات من السطور المكتوبة بحروف المسند ولكنها كتبت باللغة الاشورية والهيتية وهي اللغة التي لم نحل حتى الآن .

وقد ظهر من حال بعض الألواح الاشورية ان بليدة برغاز كوي كانت عاصمة المملكة الهيتية على عهد عظمتها وارتفعت اي من القرن السادس عشر الى القرن الثالث عشر قبل المسيح لا مدينة كاركيش كما كان يظن من قبل . وان تلك العاصمة كانت تسمى خاني وبهذا استبان مقر تلك الامة وعليه فانا نقول انها كانت في اقليم كايودسيا (١) لافي الوادي الغربي من الفرات الاوسط كما كانوا يزعمون حتى الآن .

وانا اذا اعتبطنا بهذين الاكتشافين فذلك لانهما يقفان بنا على حقيقة تاريخية في منهل الليبيين وامسلم كما عرف تاريخ مصر عندما انحلت الكتابة التي كانت كتبت بها مدارج البردي والكتابات المزبورة على مصانعها وعادياتها .

ذكرنا في كتابنا ملكة البحار المصرية على عهد توتيمس الثالث كيف كانت حال مصر من حيث جنديتها على عهد الدولة الثامنة عشرة من الارتقاء والعظمة ولا سيما في زمن توتيمس هذا . اما في زمن الدولة التاسعة عشرة والدولة العشرين فقد انحطت جندية مصر . وتبعث الكتابات المصرية القديمة التي كتبت على ذلك العهد على التخمين بانه لم يكن للفراعنة اذ ذاك اساطيل في استطاعتها ان تؤيد سلطان مصر على البحر المتوسط فكانت الشعوب تضطرب من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب لتفزع ربة الحكومة المصرية وتحاول ام الارخبيل (بحر ايجي) الى الشمال ان تهاج مصر من طريق الدلتا . والميتيون من الشرق والليبيون من الغرب والناصر القوي نسب الليبيين من الجنوب وكلهم يحاولون الفارة على وادي النيل . والظاهر ان هذه الاساطيل وهذه الجيوش وان كانت تعمل كل منها متفصلة عن الاخرى لكنها كانت تعمل باشارة خاني عاصمة مملكتهم وهي المدوة الزرقاء للملك مصر مندسقوط ملك الرعاة .

(١) هي مملكة قديمة في اواسط آسيا الصغرى اي الصق الذي في اعالي « قزل ايرمق » المعروف بنهر هاليس قديما وقزل ايرمق الان وولاية سيواس اليوم هي تلك المملكة القديمة التي كان يحدها من الشمال البحر الاسود ومن الشرق ارمينية ومن الجنوب سيليا تفصلها عنها جبال طوروس ومن الغرب غلاميا وفرغانة (فرجيا) وعاصمتها مدينة قيصرية الآن



وقبل دروس حال هؤلاء المتحالفين أو الأعراء التابعين لمملكة هيت جماعة جماعاً يجب ان تبين عناصرهم وأصولهم أولاً . فإذا أخذنا شعوب الارخيل وهذا الجزء من قارة آسيا فانك لا ترام الا مزيجاً من الشعوب البحارة الذين كان يطلق عليهم في القديم « البلاجم » فكان اصل بعضهم من كريت وبعضهم من الشواطئ الغربية في آسيا الصغرى فهذان الشعبان بحسب رأي الباحث ار يوا دي جوبنيل من اصل واحد بيد ان التاريخ اليوناني اذا طبقناه على الاكتشافات الأثرية الحديثة يداخنا الشك في صحته وكذلك للكتابات المصرية للزبورة على المصانع والمعاهد فانها تميز الشعب الاول باسم بلست والثاني باسم تورسها و يظهر ان الاول كان من الفيلستينيين (١) الذين هم معدودون في سلسلة النسب بحسب رواية سفر التكوين من اخلاف مصرائيم ومن فرع كسليم . و يظهر لنا انهم ليسوا سوى ليبين مصريين الذين قال المؤرخ بلين والجغرافي بومبينوس ميلانهم نازلون على انقزم الغربية من مصر ومسام المؤرخ هيرودتس بالادرماشيديين . وبهذا عرفت ان اصل الكريتيين والفيلستينيين ليبي مصري على ما ثبت من الحفريات الحديثة التي حفرها المسويافان في جزيرة كريت اثباتاً لا يحتمل الاخذ والرد .

ولكن هل نشأ احكامك ليبيا يلستا في زمن سبق عهد ام البلاجم كما كان بين القطرين من الصلات ايجوناشي ؟ من صلات تجارية ليس الا ؟ اما نحن فلا نسلم بهذا الفرض بل نقول فقط بانه ناشئ من وحدة اصولها واتحادها في المعتقدات وتذكرها بان لها اصلاً واحداً بين السكان المتاخمين للآريين في الشاطئ الشمالي من آسيا الصغرى وكريت وليبيا (٢) فالبللاجيم الكريتيون يمتازون عن البلاجم التورسانيين باخلاقتهم النائية عن الآداب والحشمة مثل مخالفتهم النظرة في الشهوات وتصويرهم اعضاء التناسل في كل مكان ترى في ليبيا وكريت وآسيا الصغرى ان هذه العادة شائعة في كل مكان وقد ذكر هيرودتس ان في كل مكان انتشرت فيه عبادة الكايبيريين الكنعانية سواء كان في كريت وساموتراس . ولتوس كنت ترى ان رمز اعضاء التناسل مروضة على صورة تعبدية . ويقول المؤرخ سترابون ان مثل هذه الصور كانت تنقش على الحجر في ابواب مدينتي لامبساك وبانوبوليس احتراماً لما واكراماً .

(١) احد شعوب سورية وهم الذين تغلب عليهم شاول وداود (٢) ليبيا اسم اطلقه اليونان على افريقية منذ عهد الشاعر هوميروس والمؤرخ هيرودتس اما اسم « افريقية » فلم يطلق الا في زمن الرومان على جزء من الساحل الجنوبي المقابل لتونس الحالية . وصحراء ليبيا هو الجزء الشرقي من صحراء افريقية بين جبال تبستي والجبل المتوسط ووادي النيل

وقد ذكر المسيو ستارك فيما جمعه من الاساطير عن موقع جبل سيبيل ان المالك تانتال الذي كانت تامصته على خمسة كيلومترات من ازمير تجاسر في خلال احدى الحفلات ان يتنازع الرب زيوس في النعم التي اسداها الى الاميرة جانيد فاهلكه المشتري عقوبة له ولأمته . وقد زرت بلاد سيبيل منذ بضع سنين وتعمدت خرائب تانتاليس وقبر ملكها تانتال وكلها تدل على قدمها وتدل جميع القبور التي كشفت بالحفر على عبادة الآلات التناحل كان ادب الارض يدل على حقيقة لا جدال فيها وهي ان تلك البلاد كانت عرضة لهو احوادث الارضية وفي التقاليد اليونانية ان اصل تانتال هذا من جزيرة كريت وهو من نسل الرب زيوس وابوه زحل رب ليبيا وهذه القصة اشبه بما ورد في التوراة من قصة قوم لوط في سدوم الذين غضب الله عليهم فاهلكهم . ولم نذكر قصة تانتال الا للدلالة على ان اقدم تقاليد ميونيا ( اوليديا ) تشعب بأن ما اتاه قوم لوط قد انتقل الى سكان هذه البلاد وليس هو من اختراعه .

اما البلايج التورسانيون الذين يمتازون كما قلنا عن البلايج الكريتيين فالظاهر ان العبادة المألوفة عند الكريتيين كانت مألوفة ايضا عند التورسانيين بلهن ان يصوروا الرجال عراة وكانت الصور عديم على جانب من الوار والطهر وسلامة الادب على انهم لم يستكفوا من تعرية النساء وقد اكتشفت في جزائر الارخبيل من مدينة تارس مئات من تماثيل النساء عرايات وقد جعلن ايديهن على صدورهن . وهذه التماثيل ليست من التماثيل الفينيقية فكان على ما يظهر من طبيعة هذا الشعب ان يعنى كثيرا بجنس النساء ولذلك وجد في بلادهم ويظهر انها سيلسيا عدة بيوت خاصة بالنساء كما وجد في اقليم كابادوسيا مدن مثل زليا وكومانا وبسنتون سكانها كلهم من اهل الفاحشة من الجنس وكهنتها خصيان والقبور فيها مقدس شائع . واكد الجغرافي سترابون الذي ولد في امارا في وسط بلاد البحر الاسود انه كان في عصره في مدينة فنازا من اعمال موريميتيا مبدع كان فيه ثلاثة آلاف فاحشة ومثل هذا القدر في مدينة بسنتون وفي مدينة كرماسنة آلاف . اما زليا فانها كانت مأهولة خاصة بالمقدسات من المومسات وهذه المعجزة معتبرة بانها مقر هذه العبادة حيث كان يقيم خبرها الاعظم تحيط به خدمة كثيرون ويحكم حكما مطلقا على اولئك الفاسقات المروضات لكل قادم . وكانت هذه المعابد منتشرة في انحاء ممالك الاسياوية يعني في جميع آسيا السالفة ومنها اودية ماوراء سلسلة جبال طوروس وطوروس اماريوس ويظهر ان وجود هذه المعابد في جميع الطرق الآخذة من تارس الى خليج فارس ومنها الى البحر الاسود يدل على وجود هذه الاسواق الكبرى من النساء المتبعدات

الفاحات اللاتي كن يقرين التجار من جميع الامم الذين يأتون مع القوافل اوسف البهار وربما نشأ من هنا ما نراه الآن من الاسواق العامة والمخانات التي لم يزل لها اثر حتى اليوم في آسيا الصغرى .

اما اليللاج التورسانيون فقال هيرودس في سبب اصلهم انه حدثت مجاعة هائلة خربت اقليم ليديا على عهد الملك اتيس ابن مانيس فاستسلت الامة لها زمناً ولكنها ائتمنت فثقت ففكر ولم يجدوا ميلاً الى الخلاص منها اخذ كل واحد يفكر في طريق ليجاته وعلى ذلك العهد اخترعوا زهر الترد والكباب والكرة وسائر الالاب فكانوا يتلوحون كل يومين بين اللعب والاكل فيقضون اليوم الاول بطوله في اللعب لثلاثا يفكروا في الطعام وفي اليوم الثاني يوقفون عن اللعب بأكمله . وبفضل هذه الوسطة دام انقحط ثمانى عشرة سنة وهي باجماله لا تزيد الا شدة فعندما نادى الملك في قومه فقسّمهم شطرين ثم اقترع بينهما قسم وقعت عليه القرعة بالسفر وقسم بقي في البلاد

اما الملك فبقي مع القيمين واقام ابنه تورسينوس ملكاً على المهاجرين فذهب هؤلاء الى ازمير وانشؤا مئتما جعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه من الزاد في رحلتهم الطويلة واقلعت سفنهم تطلب ارضا لتعصمهم وشطأوا ( حاذوا شواطئ ) اما كثيرة حتى بلغت بهم خاتمة مطافهم الى اقليم اومبيريا من ايطاليا وهي ولاية بروز اليوم فانشؤا فيها يوناناً لم يزالوا ساكنين فيها حتى الآن وغيروا اسمهم وسموا باسم ملكهم فدعوا التورسانيين »

هذه القصة التي اوردتها هيرودس على حقيقتها لا تقبل باجماله وذلك لان هذه المجاعة التي دامت ثمانى عشرة سنة وهذه الحيلة الصيانية من اختراع الالاب ليدفعوا عنهم آلام الجوع قد ظهرت لعلماء من الميث وتبلى اصل الايتروسيين الليدي من اساطير الاقدمين للقدماء والمحدثين . وللقوف على ذلك لا يرجع الى المعتقد القديمة بل الى ما ظهر من المكتوبات والآثار المنقورة في مصر واسيا الصغرى وبالمقابلة بينها يستنتج بان اتيس الذي ذكر خبره هيرودس لم يكن ليدياً بل ان الآثار التي وجدت في مدينة خاني عاصمة الميثيين بمدينة عرو Abou والالواح التي اكتشفها ونكر في هغاز كوي كلها تدل على ان اتيس لم يكن ملكاً لمبوتيا قط بل ملكاً على مملكة واسعة كانت ليديا باجمها من جلتها وتدل الكتابات المصرية والرسوم البارزة في آسيا الصغرى على ذلك كل الدلالة . والمصانع المرسومة كتاب من التاريخ لا يكتب ولا يجده مثلاً في الاساطير القديمة والتقاليد المتعارفة عن الامم البائدة . وبواسطة هذا الكتاب تفهم النظريات والافكار الواهية المبينة على تخمينات لا يمكن الجمع بينها وتبلى الحقيقة كالشمس وأد التبعي

في الطريق الموصلة من ساردس الى ازمير قرية معروفة عند الروم اليوم باسم "نيني" ويسمى بالترك «قره بكلي» وهناك ساعد من سواعد نهر المرموز يخرج من معصرة ويشرف على مجرى طوله خمسون متراً وترى في داخل تلك المعصرة كوة عليها متران ونصف وفيها صمرة تمثل محارباً يلبس على رأسه تاجاً مفرقاً على مثال قبعات ملوك الهيتيين وهو لا يلبس قتيلاً قصيراً على مثل ما نراه في المصانع المصورة في ايوك او بوناز كوي وهذا التمثال يحمل بيده قوساً وفي الاخرى رمحاً ويلبس في رجله هذا ذا رأس طويل مخن. وقد كتبت من جانب رسم الصورة ستة حروف باللغة الهيتية الا انها لا تقرأ ولم يستطع احد ان يحلها. وقد ان هيرودوتس نقلت عما ذكره له كهنة المصريين من غزوات رعمسيس الثاني الموصومة في آية العفرى ان هذه النقوش البارزة هي رسم سزوستريس ملك مصر اما اليوم فلا يتردد احد من الاختلاف بان هذا الرسم هو رسم مجاهد هتي وربما كان في خاتمي بالذات او اتيس الذي ذكره هيرودوتس. وليست هذه الصورة وحيدة في بابها بل ان المنبو هو ان اكتشف واحدة مثلاً في افيس وماتان الصورتان هما صورتان مزورتان لسزوستريس خدع بهما المؤرخ هيرودوتس وما شاهدت ان الاعتقاد بامتداد سطوة الهيتيين الممكرة في آسيا الصغرى. ويستفاد من تطبيق تاريخيهما ان هذين النقشين البارزين يرد تاريخهما الى القرن الخامس عشر قبل المسيح.

وقد ذكر في الآثار المصرية التي وجدت في مدينة عبو في ذلك التاريخ نفسه خبر ثورة عظمى بين الشعوب في تلك البلاد من قارة آسيا واسم هذه الشعوب الثائرة المثيريون والميونيون والليسيون والموشيون والماردانيون والكاريون والبيدازيون. وقد قيل ان جميع هذه الشعوب كانت من تراسيا او فرغاة على انه لم يجر ذكر للبريج والبراسيين بين تلك الاسماء. وبحق ملاحظه المسيو جورج برو بقوله: اليس من الحق ان الفرغانيين لو سكنوا شبه الجزيرة الشرقية (بين الادرياتيك والارخبيل) لكانوا انجذبوا طوعاً او كرهاً بالحركة العظمى بين تلك الامم واكروها واغروا على الانقضاء الى النزول الى سورية على انه ليس في قائمة الشعوب التي دعاها الهيتيون الى مساعدتهم ولا في تسمية كهنة الهيتيين لم فيما بعد بشعوب البحار ذكر لاسم الفرغانيين.

واذا لم نجد في كتابات تلك الاعصر اشارة للبيتيين الا نستنتج من ذلك ان التراسيين لم يجتازوا بوناز الدردنيل وان احلاف الغاليين لم يكونوا اوريين ولا تراسيين. واذا انكرنا ان كتابات المصرية جانباً ونظرنا في كتابات التوراة وهي احداث منها فاثباتاً بحسب الطريقة التي اختارها كاتب الاحوال الماشر من سفر التكوين اي بان تتبع اجيال الناس من الغرب

الى الشرق فيجلب لنا انه جعل في مقدمة اولاد يافث الشعوب التي هي من بلاد الشمال وفي سكان الجنوب الجافايين او الروم وقد اتى بهم بجانب التيرانيين والموشيين الذين ذكرهم هيرودس . ولم نر لفرغانيين او الكوسيين ذكراً وهم شعوب وسط بين سكان الارخبيل والآسيويين . ويرى اجار اليهود ان التراسيين هم الاسكينازيون الا ان هذا مجرد فرض منهم لا يفهم من نصوص العهد القديم واذا اطلق هنا على اقليم فرغانة اسم افريقية فهذا ايضاً رأي من الآراء لا حقيقة من الحقائق الثابتة . ثم ان بعض الشراح من الربانيين قالوا ان الارثيشيين هم من التراسيين بدون ان يدركوا ان التوراة قد جعلت ترشيش ابن جافانا واسكنار ابن كوس على ان هذين الفرضين لا يمكن تطبيقهما من الوجهة الجغرافية والشعوبية على نصوص شرح التوراة .

وليس في الكتابات الاشورية شيء بشأن التراسيين او البيرنجيين سكان آسيا الصغرى . وجاء في التواريخ الاشورية المحفورة على اسطوانات من الآجر ( الطوب ) المحفوظة في المتحف البريطاني ذكر ملك ممداس اوميتا وورد على صورتين « ميتا » ملك المومخو وميتا ملك المومخاي اي ممداس ملك الموشيين او ممداس الموشيني لا ممداس الفرغاني كما يزعم ذلك كتاب اليونان .

وقد طاف المسيويو اقليمي ليديا وكبادوسيا طواف عالم اثري وقابل بين مصانعها المختلفة فقرأ في هذه التناقضات لم تنشأ الا من ضعف ارادة هوميروس في نسبة اصل ابتاعوطنه الى فرع اوربي لا الى فرع آسيوي . ومن تأمل فقرأ في ان ليس من احد بين اليونان كان يود منافضة هوميروس كما ان الباحثين في اوربا قديماً عن اصول التاريخ كانوا يمتنون قبل كل امر جوفيق اقوالهم على نصوص التوراة — يدرك في الحال السبب الذي دعا الى ان التفسير القديمة والحديثة لم يتسر لها ان تخلص من هذه الوجهة المعممة من سلطة التتاليد .

وكذلك الحال في البييتيين والتينيين والميزيين الذين ادوا ان يلقبهم بالاصل التراسي . وانا نكتفي هنا فقط بان نقول ان في الالواح الاشورية ذكراً لبلاد في آسيا الصغرى اسمها « بيت افي او انو » وهي على التحقيق ليست من اصل تراسي . وقد رسم « انو » هذا في الاساطير انكلدانية على صورة رب سمكة او رب السواحل البحرية . على ان الاثري شلمان اكتشف في السيرليك على بضعة كيلومترات من المكان الذي يزعمون انه مقر الفرغانيين على عمق ستة عشر متراً في الاساس الذي دعاه قصر بربام على عدد كثير من الاواني والصفائح عليها صورة سواستيكا او الصليب ( الملقوب ) الذي يرى بريخ مدير

تهدف البريطاني انه رمز الى انو . وانت ترى ان في مسائل اصول الشعوب صعوبات حجة اختلافات كثيرة في التأويل اما نحن فلا نجزم جزءاً فيما نقول بل نقول باننا من المحتمل كل الاحتمال ان الشعوب البائدة كان بينها قرابة ويجب التوفيق في ذلك بينها الا فاذا خانتنا التصوص الموروثة عن عصورهم وظهورهم في التاريخ او اذا رأيناها تسكت عنهم فان الشك يسمح به والتأكيـد المطلق غير مقبول .

(الباقى لآتي )



## سير العلم والاجتماع

### تعليم الشعب

كثرت مدارس الشعب في اوربا كثرة زائدة بفضل المؤرخين من اهلها . ومدارس الشعب هي مدارس تعليم عامة الناس في المدن والارياف ما غاتهم ان يخطوهم في المدارس في صباهم . تنوع فيه التعليم على اساليب كثيرة وقد كانت انتشرت اول الدعوة الى انشاء مدارس الشعب او العامة في الممالك الصغرى سنة ١٨١٠ في الدانيمرك على يد رجل منها اسمه كروانديوك وما برحت المدارس فيها تكثر حتى اصبح فيها نحو تسعين مدرسة عالية لتعليم العامة يتخرج فيها كل سنة نحو سبعة آلاف طائب وطالبة وكبهم لا تنقل منهم عن ١٨ ولا تزيد عن ٢٥ ولولم يتعلم ابناء الفلاحين هذا التعليم العالي بعد فوات السن ما تيسر لهم تسخير حاصلات بلادهم ومصنوعاتها الى الخارج والغاية الاولى التي يرمي اليها الساترون على خطة كروانديوك ان ينشروا المعارف بين جميع الطبقات وقد انتقلت طريقته هذه من الدانيمرك الى النرويج الى السويد الى فنلندا وكل بلد من هذه البلاد تحاطل صيغ مدارس الشعب بصيغة تلائمها وتلقى فيها من العلوم ماله مناس بقيام عمرانها واجتماعها كانت تعلم فنلندا مثلاً الموسيقى لانها محبوبة من الامة وفيها اربعمائة جمعية لتعليم العامة فن الموسيقى وفي فنلندا وننوسا لا يتجاوز الثلاثة ملايين ٣٥ مدرسة عالية لتعليم الكبار من عامة الشعب ما يترجم في هذه الحياة مالم يسددم الحظ بتعلمه صغاراً .

### الاولاد الفاسدون

استعمل الدكتور بريلون طريقة جميلة في التربية لاصلاح نفوس الاولاد الفاسدين

كأنهم اعتادوا السرقة دون ان يستفيدوا مما يسرقون ويسمي الاطباء عملهم «كبتوماني» او الذين يأثرون بعض الماديات الضارة كقضم الاظفار وغيرها فعمد الى تنويم من اراد اصلاحه تنويماً منتظيماً والتي اليه قطعة من النقود واعرز اليه ان يتناولها فيسرقها ثم يقول له ان يرجعها فيرجعها ويؤجبه على عمله ويقول له عليك ان لا تعود الى مثل عملك هذا . وهكذا حتى يحلم السارق بالاستهواء ان يكف عن عادته قال وهذه الطريقة الناجح من جميع الطرق الادبية والطبيعية التي اتخذت في اصلاح مثل هذه النفوس حتى الآن

### الزجاج في مصر

كتب احد علماء الآثار في المجلة الانثروبولوجية الفرنسية يقول انه كان من التقاليد الشائعة ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا الزجاج ومنذُ حل الخط المصري القديم تبين ان كثيراً من الاواني الزجاجية الملونة التي اشتهرت بانها فينيقية قد نقش عليها اسم فراعنة مصر وقد ابان احدهم انه وان ثبت وجود اواني زجاج مصرية او يونانية صنعت قبل الاسكندر فلم يثبت وجود معمل فينيقي في فينيقية وبذلك تبين انه لم تنتشر صناعة الزجاج في سورية الا على عهد السلوقيين خلفاء الاسكندر ولا سيما على عهد الرومانيين وقد ثبت الآن ان سورية وبلاد دجلة والفرات لم تعرف الزجاج قبل العهد اليوناني وان الآنية الاشورية الوحيدة التي نقش عليها تاريخ وحفظت في المتحف البريطاني وكتب عليها اسم سراغون الثاني هي بدون ريب من اصل مصري كما ثبت ذلك من شكلها ووضعها . وكما يؤخذ من علبه مرسمة بالزجاج الاسود والاخضر وجدت في حفريات ايلدوس . وقد اقننى متحف برلين مؤخراً بها قائمة الزوايا طولها بضعة سنتيمترات نقش على وجهها بالابيض اسم لامار احد فراعنة الدولة الثانية . عشرة ولا مار لقب له واسمه الاصلي امنيس الثالث وكان يعبد في القيوم . وما وجد في هذه المدينة من الزجاج القديم يدعو الى الجزم بانها كانت في القديم مصنع الزجاج وان صنع الزجاج بلغ درجة عالية في مصر على عهد الدولة الثامنة عشرة واقدم ما وجد من الاواني الزجاجية ثلاث قطع حفظ احداها في القاهرة والاخرى في لندن والثالثة في موليخ .

وقد استدلل الكاتب بان ما لاحظته بيري من انه كانت في تل العمارنة وهي عاصمة امينوفيس الرابع معمل للزجاج على ان هذه الصناعة كانت فيما على اتم الرواج في الدولة الثامنة عشرة الفرعونية وان المصريين كانوا يصنعون الاقداح والتعاويذ من الزجاج . ومعمل تل العمارنة دليل واضح على انه كان في مصر معامل كثيرة للزجاج والمقل . يقضي بان ما عثر عليه من الزجاج القديم من هذا التاريخ هو من صنع مصر ايضاً . كالزجاج الذي عثر

عليه في قصر اميتوفيس الثالث في ثيبة . وقد صنعت مصنوعات مصر الزجاجية في شواطئ البحر الرومي فسبغت للفينيقيين لانهم هم الذين كانوا يحملونها على سفنهم ثم اثبت ان صناعة الزجاج ازهرت في زمن الدولة السامية وكانوا ذاك العهد يفضلون النوايا الصغيرة والمتوسطة والتزيين بانواعه على الاواني الملونة يتخذون من ذلك ما يزينون به بيوتهم وفرشهم بل ويترن به صاحب الدار نفسه . ومن الصعب التمييز بين عصر البطالة وعصر الرومان . ومن رايه ان قفح الزجاج اخترع في معامل فينيقية بعد عهد الاسكندر وهذا السبب في ارجحية معامل فينيقية على غيرها .

وتكلم على الزجاج المعمول بالفسفاء فقال ان ما وجد منه قد كتبت عليه كتابات مصرية ويونانية وكثير منها من صنع الاسكندرية والفيوم وواحة سيوه ومنها نقلت الى بلاد اليونان واطاليا وغاليا ولا بعد ان تكون أوربا تسبغت على منوال صناعات الزجاج المصريين وهؤلاء علموا الاوربيين على عهد الامبراطورية الرومانية صنع الزجاج وقد كانت مدينة اكيلة القديمة على شاطئ الادرياتيك مركزا في اوربا لصناعة الزجاج ومنها جرح البنادقة الذين صنعوا الزجاج للشرق الاسلامي واصبحت مصنوعاتهم نموذجا تقلده جميع معامل اوربا وكانت الصلات مستحكمة بين اكيلة ومصر . وظل الزجاج يصنع في مصر حتى في عهد استيلاء الرومان عليها وقبح العرب وهذه الصناعة رابحة فيها كما ان العرب عدوا بالكاشاني وتغيرت طرق صنعه واشكاله . واشتهرت في القرون الوسطى الاواني الزجاجية والمصابيح العربية الملونة التي انتقلت الى معامل البندقية واصبحت تفرس على آثارها ثم كتب التقدم لمعامل البنادقة وعرفت تقلد النماذج الشرقية احسن تقليد وما زالت معامل الشرق في المخطاط حتى زالت جملة واحدة واليوم بعد ان كان الشرق يصنع لاوربا منذ عهد الرومان اوانيها الزجاجية اصبح يجلب من ايطاليا والمانيا وفرنسا ما يلزمه من الاواني في حاجاته اليومية .

### التربية الحرة

لكل امة ضرب من التربية فالامة الديمقراطية او الجمهورية لانتبه تربية الامة الدستورية المقيدة اما تربية الامة المطلقة فتمطها مختلف عن تينك التريتين وقد كتب أحد علماء الترنيس مقالة في التربية الديمقراطية فقال ان الديمقراطية وهي كمال الحياة التي سمي اليها النكل لغائده النكل يجب ان تعتبر التربية أس أساسها ولا تحصل الغاية من التربية في أمة ديمقراطية بكثرة المواد التي يتعلمها أبنائها فقد اختلف مشاهير علماء الاخلاق في النوع اللازم للديمقراطية من التربية وان كانت مبادئهم بحسب الظاهر تؤدي الى غرض واحد الناس يخططون بين التربية والتعليم فيرونهما شيئا واحدا على ان التربية غاية



والتعليم واسطة فالغرض من التربية ان تربي في الطفل شعور مكارم الاخلاق فتكون سلا يصمد به الى ذرى العلم تصرف وكدها في اثاره عقله وحكمه عند ما يتجلى ان وتكون أخلاقه رقيقة ممتدة فيصيح الطفل على ثقة من تبه الشعور والعقل والعمل عند ما يبلغ سن الرجولية ويتعلم عمل الخير والادراك والتأمل كما يتعلم الارادة وصحة العزيمة . تربية الوجدان تتم كما تتم تربية العقل وأكثر المدارس لا تنفي بالتربية الاولى فتأتي امرأ اذاً . يجب ان يعلم الاطفال مكارم الاخلاق فان صلاح المرء بان يكون عادلاً وحكيماً ويجب ان تربي في المرء قوة التمييز وتغني فيه قوة الانتباه وهي القوة التي تنفع أكثر من تحصيل المعارف الجديدة كما يجب تربية دائرة العقل وامتداده بالادوات الاولى التي تهني امامه سبل العمل فالارض الزراعية مهما بلغت من الغصب تحتاج ان تعد لها المعدات والا فلا تثبت فيها البذر الذي ينذر فيها .

ثم ان حسن العشرة والسلوك في المجتمع مناطان باخلاق الفرد وعلى قدر اخلاقه في الغالب تكون اعماله وجهاده . متى ظهرت في الطفل علامته ارادته الاولى كان منها توجه نفسه الى العمل فان لبن اخلاقه ومضاهي انما ان يعنى بالفرد والواجب الخارجية بدون أن تؤثر فيها كل التأثير . فغريبتنا الادبية هي عبارة عن اعتمادنا على أنفسنا

فان قبل هل يجب ان تكون التربية عامة ام اهلية أي ان تربية الاطفال في المدارس العامة خير أم تربيتهم في بيوت أهليهم فقد ذكر الفيلسوف ديدرو كلمات في هذا الصدد هي جماع الحكمة في التربية وهي على اختصارها أجمل جواب على هذا السؤال قال : « لقد قضيت السنين الاولى من حياتي في المدارس العامة ورأيت اربعة أو خمسة تلاميذ من الطبقة العالية يتناوبون في غصون السنة المكافآت ويتناولون الجوائز فيدخلون بتقدمهم اليأس على نفوس رفاقهم ونأخر هؤلاء عن التفاق بهم . رأيت عناية الاستاذ مصروفة الى تخرج هذا العدد المختار القليل من الطلبة ويحمل من عداوم ورأيت معظم هؤلاء الاولاد يخرجون من المدرسة بلهًا مغفلين وجاهلين فاسدين فقلت في نفسي : لشقاء اب يستطيع ان يربي ابنه في بيته فيرسله الى مدرسة عامة . ليت شعري من اين أخذ البشر المعارف التي تميز بها في الآداب بعض الرجال الذين ربوا في المدارس ومن السبب في وصولها اليهم ؟ لاجرم انها ابنة دروسهم الخاصة . ولطالما أسفوا وم في مجراتهم للوقت الذين قضوه على دكات المدرسة . فكيف السبل اذا ؟ هل تصلح الحال بتشجيع طريقة التعليم العام ومتى اغتنى المرء يربي ابنه في منزله . انا لا استحسن تربية الدير البنات الا اذا كانت أخلاق الامهات فاسدة ولا استحسن المدرسة للبنين الا اذا كان الآباء مسرفين

يسطون ألف ريال لمحمد الذي يسوق مركباتهم والتي ريال للعالمي الذي يطبخ طعامهم هذا ما قاله دبدر و قال مونتين يجب أن تصرف خمس عشرة أو ست عشرة سنة للدرس والباقي للعمل . وما قطبا الحياة في الحقيقة الاسالفكر والعمل فالاول يبذل النافذ والثاني متم للاول . يقول بعضهم ان التربية لا ينتهي دورها الا بانقضاء أجل الحياة على انه من اللازم أيضا ان ينظر بان التجربة التي يمر بها المرء كل يوم يكون لها عمل لتدب مذاب التربية كلها فنهجها ولا تربى الا انسانا ناقصا

أما فيما يتعلق بالمواد التي يجب تعليمها فيجب أن يتوسع فيها ما أمكن فمن الميسور تلقين الطفل أموراً كثيرة اذ القوة الحافظة فيه على أنها وقد أخطأ روسو في كتابه «أميل» في رأيه ان الاستظهار يضعف الذاكرة على ان الذاكرة ليست خزانة يحشر اليها الطفل صنوقاً من المبادئ يوجع اليها الطفل فيما بعد . فبعد أن يلحق الطفل واسطة يحسول على معارف حقيقية بتعليمه القراءة والكتابة يجب أن يعلم لغة بلاده ومبادئ العلوم الطبيعية والظواهر الجوية والرياضيات وذلك اما بدرسا في كتاب أو في نقشا ورسمها والعلم ينزع الخرافات ويودع في النفس فكر الارتقاء الثابت والنشوء البطيء المنظم بتواميس . يصدق هذا على الحالة الاجتماعية والسياسية كما يصدق على الحالة الطبيعية والجيولوجية . ويعلم الطفل الاعمال اليدوية والرياضية . ويعلم التاريخ لا التاريخ المملوء بالشواش بل التاريخ الحقيقي . فبالتاريخ يتعلم له بان الكمال ممكن وان الناس آخذون في السير نحوه فيجب المتعلم طريقة الحكم الديمقراطي ويؤثر على غيرها من أنواع الحكم كما يعلم ان يجب كل من قضاو نحبهم في سبيل ترقية البشر وكل من تقوا اليها حرية الوجدان . ويجب أن يعلم الطفل مع هذه المواد فن الآداب حتى لا يكون غريباً عن مظهر من مظاهر الجمال ومنتزج في روحه الفنية حب الكمال قال بول برت : «من الواجب أن يتعلم الطفل اللغات الاجنبية بل اللغات الميتة حتى لا يفوته شيء مما انتجته المداير البشرية ولا يكون بعيداً عما هو على أسلة اقلام العظماء في تباهم وبيانهم وأرى ان هذه المعارف توسع ذهنه وتفتح افئدة تصوراته فبالآداب وحدها تهتز القلوب وتحيا الوجدانات ولقد كانت مصنفات اليونان واللاتين مؤثرة في جيلنا مباشر الا فرنج وفي مصنفاتنا منها مسحة خاصة ففنن واللاتين واليونان من فصيلة عقلية واحدة و يضاف الى المعلومات التي يعلمها الطفل امور يجب ان ننشجها الحياة والعمل وهناك تعليم وطني أدبي ينبغي أن يشرب الطفل حبه الا وهو معرفة قوانين بلاده السياسية وحالة الطريقة التي تدار بها شؤونها وتراعى في كل تعليم اميال الطفل وقابليته فقد قيل ان في

الانسان وفي أعماله المختلفة في الحياة الف نوع من التفنن ولكل ذوقه . واماينا لا ينطبق  
بعضها على بعض

وتجب العناية بتقوية جسم الطفل ووقاية صحته وان لا يكون حظ النبات في التربية  
كحظ البنين ويكون اتعلم عامياً (علائق) الادخل للدين فيه يكون كذلك في المدرسة كما  
يكون في البيت وان يحيد الطفل في بيت أبيه متماً لدروسه في المدرسة . وغير ما ينفع الطفل  
ان لا تكون المدرسة والبيت وهما بمثل التربية متناقضتين في المبادئ . بل متحدتين فيها وان  
تدرس الفنون بحيث يتمكن التلميذ من اظهار عواطفه بواسطتها فتقوى بها شخصيته وميزته  
ويبنى بنية ملكته في الشعر والتصوير والموسيقى فقد قال شوبنهاور الفيلسوف الالماني : ان  
اجتماع الانعام الجميلة هو حمام يفسل ادران العقل . نعم ان الموسيقى فصل كل وسع وتنبذ  
ما يحيط بالقوس ويتقيها فالموسيقى ترفع مقام الانسان وتجمع بينه وبين الافكار النبيلة التي  
هو أهل لما فيشعر اذ ذاك كل الشعور بما يتأقله أن يساويه في هذه الحياة

هذا مثاله العالم الغربي وفيه درس لكل شرقي وجدير بنا أن نجعل قوام تربيتنا على  
تقوية الارادة والاحتفاظ بالقديم والاخذ بمحظ وافر من المعارف البشرية اللازمة وتربية  
روح الوثنية والمواظف السامية بالفنون الجميلة فهي وحب الجمال والكمال من العوامل  
القوية في أسباب الرقي المادي والمعنوي

### حماة وخمس

اكتشف المسيو بونيون من علماء الآثار اربعة احجار كانت في عمود كتبت بلغة آرامية  
مزوجة بالكنعانية والعبرية وذلك في خلال رحلته الى سورية منذ خمس سنين وهذه  
الاحجار هي عبارة عن مقدمة قدمها زاكير الملقب بملك حماة ولانش اولاعوش وقالوا انها  
مدينة حصص الى الرب آور يضرع اليه فيها ان يكتب له التصريح بالملك الذين اتحدوا  
وحاصروه في مدينة خزرك (٩) وكان اكبر اعدائه ملك آرام « دمشق » المدعو بارحداد  
ابن خزائيل وقد تولى هذا الملك منذ سنة ٨٠٥ الى نحو سنة ٧٨٠ ق م اي على عهد  
ملك اسرائيل جوماشاز ابن جيهو وقد كتب المسيو دوسو من علماء الآثار في المجلة الاثرية .  
يحقاً في ملكة حصص وحماة قبل المسيح بثمانية قرون فقال ان ملكة حماة لم تكن تتناول فقط  
السهول المثيرة التي كانت تؤدي الجزية من بلاد نهر العاصي الوسطى بل كانت تمتد احياناً  
في وادي هذا النهر الى القنح بحسب ما كانت دمشق وهي العاصمة القوية تتركها لتتخلف  
الصداء . وفي القرن الثالث اضافت ملكة حماة اليها بلاد اعوش او ارض خزرك فاعادت  
بذلك ملكة امورو « الاموريين » المسمى التي كان خربها الهيتيون في القرن الرابع عشر

قبل المسيح وقد كتم المكتشف اسم المحل الذي اكتشف فيه تلك الحجارة واكتفى بان قال في كتابه الذي نشره حديثاً في نازبورات السامية في سورية وبين النهرين وكور الموصل انه عثر عليها في سورية على مائتي كيلومتر من البحر الرومي وانه يأمل ان يذهب ذات يوم لا كمال الحفر فيكتشف ما ينقصه من هذه الآثار الا ان كاتب المقالة ادرك من حل الكتابات المزبورة على الاحجار انها آتية من مدينة خزر كقال ان المكتشف وفقى الى كشف محل هذه المدينة القديمة وهذا الاثر التاريخي العظيم وخزر ك مدينة شرقي العاصي بين حماة ودمشق وقد كانت مملكة حماة وهي عبارة عن بلاد لا عوش واراخي خزر ك وكانت في القرن الثامن قبل الميلاد اقوى مملكة في سورية وقد حاول الملك زاكير واخلافه ان يحسنوا مدينة خزر ك لتكون منيعة الحى حتى اصبحت من بعد سنة ٧٧٢ مدة خمسين سنة والاشوريون لا يغيرون الاعليها اثناء غاراتهم على سورية وقد هزم توغلات بالازار الثالث ملك اشور سنة ٧٣٠ ان يقسم مملكة حماة لجعلها مقاطعات كثيرة ناعمة للمملكة آشور مباشرة ثم دثرت هذه المدينة (خزر ك) وقد اسمها من التاريخ ثم انتقلت مملكة حماة لناصر الملك سراخون الثاني ان ينزع جلد ملكها ابوليدي وهو حي وجعل في هذه المدينة حامية اشورية كبرى .

### سر الجنسين

قفصت مصاعب الحياة ان اصبحت كثير من الامر في الغرب لتبقى لوترزق بنين بدل البنات ولكن اغتالى تعالى لم يمنع سر كثرة البنات وقلة البنين احداً من المشتغلين بمقولهم من خلقه . وكان الرأي الشائع من قبل ان اقوى الابوين هو الذي يولد الولد ذكرًا كان ام انثى . وقد كتب الدكتور روم ان من القضايا التي لا تكاد تختل في جميع العالم بان في كل مئة طفل يولد ١٠٥ او ١٠٦ بنات ولا يختل هذا التعديل الا في الحرب ثبتت بالاحصاء ان بعد الحروب يولد للمحاربين ذكورا اكثر من الاناث فقد زاد عدد البنات سبعة سنة ١٨٦٩ في بروسيا وبعد حرب ١٨٧١ زاد عدد الذكور وفي اثناء حروب الامبراطور نابوليون الاول حدث نقص في البنات وزيادة في الاولاد في فرنسا حتى خيف على مستقبل البلاد من ذلك . وقد اثبت جميع ارباب الرحلات والباحثين بان جميع القبائل التي لا تفتأ تحارب غيرها يزيد عدد مواليدها من اولادها اكثر من بناتها فواليد قبائل الماورى في زيلاندا الجديدة م في الاكثر ذكور ومعلوم ان قلة النساء هي من اعظم الاسباب في انتساب الحروب بين القبائل ولذلك كان المحققون الذين لا يذهبون الى دار الحرب م في الغالب اقل قوة وصحة ونشاطاً عن حملوا السلاح وذبحوا لقتال العدو فيجيء

الجزء ٩ (٧٥) المجلد ٣ من المقتبس

الاولاد الذين يولدون لم ذكوراً . وقد شوهد منذ زمن ان سكيراً طاعناً في السن اذا تزوج بامرأة شابة يكون اولاده في الاكثر ذكوراً على العكس مما يحدث اذا كانت الزوجة اسن من زوجها . قال سادلير في احصائه له ان مقابل كل الف بنت يوجد ٨٦٥ صبياً يكون ابوه اخي من امه و٩٤٨ صبياً يكون ابواه في سن واحدة و١٠٣٧ صبياً يكون ابوه اسن من امه من سنة الى ست سنين و١٣٦٧ صبياً يكون ابوه اسن من امه من ست الى احدى عشرة سنة و١٤٧٤ صبياً يكون ابوه اسن من امه من ست عشرة سنة فالكثير اذا ارضعت الام ولها الاول فتلد بعده بنات وكذلك الامهات اللاتي يحملن سيفي اوقات متقاربة فانهن يلدن البنات لان تكرار الرضاع والحمل هو من اسباب ضعف الام ومعنى جلت تكون في حالتها الطبيعية اضعف من الزوج فتلد بنتاً وتكون شبيهة بصورتها . وقد لوحظ بان المرأة اذا حملت عقيب المادة او في خلاها تلد انثى في الغالب وهذا الضعف الموقت فيها لا يرزقها الا بنات . وقد جرت عادة من يربون المواشي ان يقصدوا في اوقات خاصة البقرة اذا ارادوا ان تلد لم جملة وان يقصدوا الثور اذا ارادوا ان يلقح عجلاً . ولا حظ احدهم بان المولود الاول يكون طفلاً في الزواج غير الشرعي وعلى ذلك بان الام تكون في تلك الحالة اخي من الاب وتكون منهوكة القوى مضطرة الى اتيان ما اتت باغواء الرجل . وقد ذكر الدكتور ييلون ان احدي قبائل مصر القديمة سبت مئات من النساء فجعل في الطريق معها ٤٨٢ ولما وضعن كان عدد الذكور ٧٩ وعدد الاناث ٤٠٣ وذلك لما كن عليه من الضعف والاعياء مدة الحمل .

قال الكاتب ولو كان ثمة ميزان توزن فيه العناصر التي تتكون منها الصحة والنشاط في كل من الزوجين لتيسران يتنبأ المرء تنبؤاً صحيحاً فيما اذا كانت الام تلد ذكراً ام انثى ولكن القوة والصحة وشدة الحب لا توزن بميزان ولا تقاس بمقياس . ثم ان العناصر التي تتركب منها تخطط وتتداخل على شكل ملتبس حتى ان ادق بحث في صحة الزوجين وعمرهما ونوع معيشتهم ووراثةهما لا ياتي الا بفرضيات وظننيات لا يحق اطلاق ثابته ولوعرف المرء حقيقة الاسباب التي بها يستطيع ان يعرف ما يولد له اما كمال يخشى ان يقل البنات لان احداً اذا بشر بها ظل وجهه مسوداً وهو كظيم .



## مطبوعات ومخطوطات

## تاريخ الام والمالك

اشتهر هذا التاريخ بانه من اعظم الامهات الصحيحة التي يرجع اليها في دراسة تاريخ الاسلام في القرون الثلاثة الاولى وهو من تأليف ابى جعفر محمد بن جرير الطبري وقد طبع للمرة الاولى في لندن طبعه المستشرق كوي واعاد طبعه هذه الالة بالمطبعة الحسينية المصرية محمد افندي عبد اللطيف الخطيب وشركاؤه فجاء منقن الطبع مشكولاً بحال الانكسار. منه وألحق به كتاب صلة تاريخ الطبري لمرتب بن سعد القرطبي المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين تصنيف ابى جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري فتم التاريخ الاصلي في ١١ جزءاً والمذيل في جزئين وهو يطلب من طابعه بنه واربعين قرشاً صحيحاً فبحث اهل العلم والادب على اقتنائه فانه اصبح الآن قريب المال على كل مطالع لرخص ثمنه بالنسبة لطبعة اوروبا . اما وصف الكتاب وفوائده والكلام على مؤلفه فنستعده له هنا فصلاً خافياً بحول الله . وهنا ننهي الشاء الطبع على الطابع وزجوان يوفق لطبع امثاله من امهات كتب العرب فينتفع وينفع .

## التصحيح والتحريف

هو من انكتب انشوية لابي احمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري شرح فيه الالفاظ والاسماء المشككة التي لتشابه في صورة الخط يقع فيها التصحيح ويدخلها التحريف مما يعرض في الفاظ اللغة والشعر وفي اسماء الشعراء وايام العرب واسماء فرسانها وقائدها واما كتبها وما يعرض في علم الانساب وغيرها من الاشكال فيصحها طعة الناس وينلط فيها بعض الخاصة وقد جملة ابواباً فيها ما جاء في قبح التصحيح وبشاعته وضم التصحيح ونكد التصحيح ومن ابتلي به ونوادير من التصحيح وما روي من اوامام علماء البصرة ومن اوامام علماء الكوفة وما روي من تصحيقات شق فجاء في احد واربعين باباً يجمع الى الفائدة العملية للذة الفكاهية والادبية . طبعته مطبعة الظاهر طبعاً متقناً وجملته في ثلاثة اجزاء نجز منها الجزء الاول والان الى الآن . ولما فعل ادارة مطبعة الظاهر في طبعها انكتب العربية النفيسة فن اعظم الايدي التي يسديها امروا لامتة احياه ما كاد يندثر من آثارها ومفاخرها وقية اشتراك الكتاب قبل الطبع ١٥ قرشاً وبعد الطبع ٢٠ قرشاً نتقدم الى كل متأدب في اقتنائه .

### مر تقدم الانكليز السكسونيين

اتخذ خليل بك صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب طبع هذا الكتاب النفيس لمؤلفه ادمون ديولان من علماء التربية في فرنسا ومترجمه احمد فتحي باشا زغلل من علماء الحقوق بصبر فتأنيق ما شاء وشاءت الاجادة في طبعه وتخيره اجود الورق والحروف نجاء بديعاً شكلاً ووضئاً ونعرياً واصلاً . وهذا الكتاب من احسن ما أُخرج للغة العربية من اللغات الاوربية وما قرأه رجل باعنان الا وتغير فكره في الحياة واصبح من اخلاقه وعاداته ما يقدر عليه وفيه من وصف الانكليز والاميركان والالمان في اخلاقهم ومناحيهم ما هو حري بان يدرسه كل شرقي المرة بعد المرة . وقد قدم له معر به مقدمة من ابدع ما كتب في حالتنا جاءت والكتاب في النفع سواء فتنني على المغرب والطابع بما هما اهل والكتاب يطلب من مكتبة مسامرات الشعب في باب الخلق بصبر بشرين قرشاً محبباً .

### مبادئ الاقتصاد السياسي

الف محمد افندي فهمي حين هذا الكتاب المفيد والذي نقل الى العربية من كتب هذا الفن لئلا يبق بالحاجة - فتوسع في ابوابه مستنداً الى ما كتب باللغات الانجليزية في هذا الفن وقد كتبه ببساطة سهلة واسلوب قربه من الاذعان على من لم يسبق لم ان قروا فيه كتاباً . ودرس كتب الاقتصاد لاهل هذه البلاد اتفق من القاء الف خطبة سياسية خيالية وتلاوة الف رواية غرامية وهو يطلب من مكاتب القاهرة الشهيرة ومن نادي المدارس العليا بشرة قروش صحيحة فينت الادباء على اقتنائه والاستفادة منه وتثني على غيرة مؤلفه الاديب ونرجوه التوفيق الى التمام

### عقود الجوهر

في ترجمة من لم تخسون تصنيفاً فائتاً فاكثراً

وضع هذا الكتاب جميل بك العظم من افاضل ادباء دمشق وموضوعه كما يدل عليه اسمه جليل نافع بحث الهمة في صدور الناشئة ويطلمهم على ما قضاه اسلافنا من المنافع النفع وفي هذا الجزء اربعون ترجمة لاربعين عظيماً من عطاء الاسلام واليونان والقدماء والمحدثين فمن القدماء الفرابي وابن تيمية والرازي وابن الجوزي وحنين بن اسحق ويعقوب الكندي وثابت بن قرة والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن الهيثم وابن الخطيب والزمخشري والحري ومن المحدثين السيوطي وابن كمال باشا وابن طولون والمناوي ومنلا على القاري ونوح افندي واحمد مدحت افندي والبيدروس . فيترجم المؤلف ترجمة موجزة ثم يسوق كتبه

على حروف العجم ليسهل الاحتذاء اليها في الحال . ويشتمل الجزء الثاني وهو الآن تحت الطبع على فهرس عام في الكتب والرسائل التي ذكرت اسماءها في الكتاب وما يوجد منها في خزائن الكتب العمومية مما لم يطبع . وهي مهمة للمؤلف تدل على فضله وغيرته . وقيمة الاشتراك بالبروتين معاً ريال ورع ريال مجيدي يضاف اليها اجرة البريد وقد طبع في المطبعة الاهلية ببيروت طبعاً متقناً نظيفاً كسائر مطبوعاتها وهذا الجزء في ٣٤٠ صفحة صغيرة فنحن المتأدبين على اقتنائه

### الاسلام روح المدنية

كتاب في ٢٨٨ صفحة صغيرة الله الشيخ مصطفى الغلاييني من الفاضل ادباء بيروت ردّاً على ما جاء في كتاب « مصر الحديثة » تأليف لورد كرومر معتمد انكليزاً سيّد مصر سابقاً من الحل على مدينة الاسلام اورد فيه اقوال الغربيين انفسهم واثق من التواهد والحجج الكثيرة ما يناقض ما ذهب اليه مؤلف « مصر الحديثة » ولو عرف لورد كرومر اللغة العربية ودرس تاريخ الاسلام درس المجرد عن التزعات السياسية والاهواء الاستعمارية لما كتب ما كتب ولو اعطى وادباً من ذهب . قال الفاضل البهوتي : « واني اعتقد اعتقاداً جازماً ان جميع الاديان تأمر بالخير والسلام وهي وان اختلفت سيّء بعض الاعراض فهي منقفة في الجوهر اذ الغاية منها تهذيب النفس ورفعها من وهاد الشرور والفساد فن يسمي بهدم اركان الاديان هو كمن يسمي لتقويض العمائر لان في المدنية الحديثة من المفاسد ما لا يحصى ولولا سلطان الاديان القاهرة لأبغيت الاعراض والدماء والاموال وفي ذلك من الخراب والدمار ما لا يصلحه الدرهم والدينار فبقاه الانسان في جهل بعالم الدنيا مع التمسك باي دين خير من حياته عالمك طبيعياً مهتدماً الخ وهو لا دين له » وقد غلبت الحدة على صاحب الرد فظهرت آثارها على اسلة قلمه احياناً وكنا نود ان نخذف من كتابه بعض الفاظ ليكون ادعى الى القبول وانا نثني على غيرته وفضله وبطلب كتابه من المكاتب الشهيرة بالقاهرة بخمسة قروش .

### ابوالعلاء الميري

كراسة في ٧٢ صفحة باللغة التركية التاتارية فيها ترجمة مستوفاة لابي العلاء الميري من قلم رضاه الدين اخندي من غير الدين من علماء اورنيبورغ في روسيا وقد تصفحناه فراءيناه قد نسق كلامه على هذا العظيم ورتبه ترتيباً مقبولاً صورته لقاري « احسن تصوير » وتطلب من طابعها صاحب مكتبة الشرق في اورنيبورغ



## اللزوميات

اختار موسى اخندي ييكيف من افاضل قازان اياتا كثيرة من لزوميات ابي العلاء المبري ونقلها الى التركية كما فعل امين اخندي الريحاني فاختار اياتا منه ونقلها شعراً الى اللغة الانكليزية . فجاءت في زهاء مائتي صفحة مطبوعة طبعا متقنا على ثقافة مكتبة الشرق في اورنبورغ وترجمة امثال هذه الكتب يساعد ابناء تلك البلاد على تعلم العربية فليس ان يكثر القائلون بنهضة اهلها من نقل بعض الكتب العربية المفيدة الى لغتهم وينشروها مع اصلها كما فعل مترجم اللزوميات .

## ليالي سطليح

نشر حافظ اخندي ابراهيم الشاعر الاجتماعي الكبير قصة ثورية رواها عن لسان سطليح الكاهن فجاء فيه كلام لطيف على العادات المصرية والاحوال الاجتماعية والسياسية في مصر والسودان صورها تصويراً بديعاً واودعها من افكاره ودرر نثاره ما رآه ناهماً وثميناً وعائناً قد عليه اعتناؤه على التنقيح في بعض محال من كتابه بمبحث كاد يحفل باسلوب البلاغة والقصاحة ولم يناسب المبادئ الملهمة التي جاءت في عرضه . اما مرامي الكتاب فكانت اعم تلمحاً لوخلت من الغلو في مدح ائمه والايغال في الخط من آخرين وكتاب يكتب لينفع الناس في اجتماعهم لا يصح ان يظهر فيه شيء من هذا القبيل . وانتقدنا عليه من الالفاظ ما يقع مثله لا كثير كتابنا وشعرائنا مثل قوله « التكتيك » وهو لم يرد في اللغة . وقوله « كنتم منذ بضع سنين لا تجاوزون ستة آلاف عدداً » وهذا عذو ليس من التراكيب الفصيحة وقد وقعت في كلامه اربع مرات وهي من عبارات الجرائد واستعمل لفظة « منتزه » و « الضمائر » و « القواميس » و « التكتيك » و « Tactique » و « الظروف » و « النقاط » و « حصل بها » و « جهازاً نهائياً » و « ضحى مصلحة امة » و « صوالح القوم وصوالحنا » و « الصواب ان يقول « منتزه » و « القلوب » و « المصالح » و « علم التعمية والمصافات » و « الاحوال » وكان يمكن الاستعاضة عن « النقاط » في قوله فقط بتنفيذ الحكم بتركيب آخر ومثلها حصل بها وجهازاً نهائياً . وله ان يقول بدل ضحى فادى بمصلحة امة ومصالح القوم بدل صوالحهم . وهذه الخروقات لا تُقدح في فضل هذا القند النفيس . فالنقد لا يوجه الا الى الثمين والركاكة لا تلاب الا في كلام اهل البيان والتبيين .

## النظرات

اصدر مصطفى صادق اخندي الراعي الشاعر الشهير الجزء الاول من ديوان جديد له

سماء « النظرات » اودعه مثلاً بما وعاه ديوانه المعروف بديوان الرافعي الذي كان صدره في ثلاثة اجزاء — من ضروب الشعر في الاجتماع والرفائق والدمج والغزل والوصف وقدم له مقدمة في حقيقة الشعر لم يكرر فيها ما اودعه من مناهج كل جزء من اجزاء ديوانه السابق . ومعظم قراء المتنبس يعرفون طبقة شعر الرافعي بما نشر له فيه . وما انتقدناه عليه تسرده في اخراج الشعر للناس حتى ان بعض ابياته يظهر فيها شيء من الغموض لا يكاد يهتدي اليه القاري ولا باعمال النظر كما اننا لنستحسن اكثره من الاستعارات والمجازات على طريقة اكثر الشعراء المحدثين وكتابه على حين نراها قليلة في شعراء الصدر الاول وكتابه ونجاءت فانما تحمي عرضاً اعتبر ذلك بكلام ابن المقفع والملاحظ وايي تمام والمتنبى وغيرهم . ومن الاستعارات البعيدة قوله « اشبه شيء بالنور الذي يتألق فيه ماء الصورة » وماء الصورة اشبه « بماء الملازم » التي انتقدنا الليانيون على ابي تمام ومثلها « اجفحة اضواطر » وقوله « فما احسن الوجه وهو روضة مصورة وزجاجة منورة وشهادة عي الله مزورة » ويستند عليه من الالفاظ الوحشية لفظ « مخشب » اي غير منقح ومرسل . واختيار لفظ واحلعي واحد لا يحرص عليه في كل اللغات الا في اسماء الفنون والصناعات ونحوها فلا يصح مثلاً ان نقول « هات الاداة التي يكتب بها » بل نقول هات القلم . ومخشب مثل مخشبل التي وردت في شعر المتنبى وسواها في النظم والوحشية . ومثله قوله « رجع بقصر عما كان يحاول » ولنا عن « مقصر » هذه مندوحة في الاستعمال وكذلك تأنيش البلد وهو مذكور وجمعه عادة على عوائد والصواب عادات وعاد وقوله بنطقونها والصواب ينطقون بها و « توريق الشجر » والصواب « ابراق الشجر » و « الروضة الشجية » بمعنى مطربة والشجي المحزن والجرائد نلظ في قولها « وكانت الموسيقى تطرب الاسماع بالحنان الشجية » والاولى ان يقال المطربة او ما اليها . وفي الديوان من جيد المنظوم ما يحذر بالادباء الاخذ منه والنظر فيه خصوصاً والرائعي من الشعراء الذين تفاخر بهم العربية .

### المسألة الاجتماعية والمدرسية في سورية

Autour de la question sociale et scolaire en Syrie, par M. K. T. Khairallah

كتب خيرالله افندي خيرالله من اساتذة بيروت هذا الكتاب باللغة الفرنسية وصف فيه احوال الاجتماعية وطرق التدريس في سورية قال فيه واذ كانت الضرورة تقضي بان تخرج في مدارسنا سوريين لا افرنسيين ولا انكليزاً ولا اميركانيين فحق علينا ان نخرج من النساء كدلاء والا كانت البيوت جميعاً لا نسياً . والمدرسة الهنئة التنظيم هي المجمع المظلم بعينه فاذا لم يكن للمدرسة نظام نافع يجب علينا ان نملأ يد واحدة على تقويضها

من اساسها فغير لنا ان تكون بلا مدارس جملة واحدة من ان تخرج مدارسنا من لا يزيد من الرجال والنساء . سمعت مدارسنا فقد فينا دائرة التعليم ولم نلحظنا مثل ذلك من التهذيب على ان ذاك التعليم نفسه سطحي غير موافق لحاجتنا واجل الكلام على المعلمين في المدارس والروس وقال ان المجتمع غير عادل في معاملة المدرسين وكان عليه ان يعطيهم من الاجرا اكثر مما يعطيهم ويرفع مقامهم اكثر مما رفعهم . كما تكلم على ادارة المدارس ورتباتها واصولها الصحية وقال ان الواجب ان لا نسلم للاجانب وتأخذ عنهم قضية مسلمة كل ما يدعون انه لازم لقوام حياتنا العملية وانما يجب ان نضع نظام دروسنا بايدينا والا فان الروس التي تلقاها في المدارس لا تخرج رجالا تامة ادواتهم بل كثيرًا ما تضطرم الى الهجرة ولا يكون منهم خير لبلادهم .

ومن رأيه ان بمقد مؤتمر وطني او عام للنظر في اصلاح التعليم حتى لا يسوخ لكل قادم علينا بحجة تعليمنا ان يبست بمقول فنيانا على هواه ليصلهم على مثاله ويقفل في عقولهم الحمية والشجاعة والشعور والوطنية وعزة النفس لتأتي منهم رؤوس فارعة من التعليم والاحساس مملوءة بالعجب والاعجاب ويجب ان يقرن تعلم اللغة العربية بلغة اجنبية على ان لا يعلم من من لتقابل البلاد الا ما يمكن معه التليذ من الكتابة فيها بسهولة على نحو ما يكتب بالانجليزية وان يعلم الاخلاق واصولها على طريقة موجزة متميزة تكون الوطنية شعارها حتى اذا خرج التليذ من المدرسة يكون عارفاً بحقوقه واجباته وتاريخ بلاده جسمًا وله فكر اجمالي في التاريخ العام متفكراً جغرافياً ببلاده مع اجمال عن الجغرافية انصومييه وبعض مبادئ العلوم مثل ان تستولي عليه الحرفات ورأى ان تعلم العربية بدراسة كتب المتأخرين لان انشاءهم وشعرهم احسن مما كتبه

المتقدمين من العرب . وهذا رأي لا يوافق عليه احد من اهل العلم لما عرف من ان المتأخرين هم سبب فساد اللغة والرجوع بالتعلمين الى كتبهم رجوع باللغة القهقرى وعدده ان يتقن اللغة العامية السورية ويقابل بينها وبين اللغة الفصحى لان في العامية اشياء لا ينبغي الزهد فيها وان الواجب تدريس العلوم باللغة العربية لتقوى ملكتها في التعليم . وتكلم على ما ينبغي للسوري ان يتعلم من اللغات فجعل المقام الاول للانجليزية ثم للانكليزية فالالمانية فالاطالية . واجاد الكلام على التربية وتلقين الماديات النافعة وختم كتابه بقوله ان مجتمعنا متألم بما صارت اليه حاله وحاجته ماسة الى الشفاء مما اصابه والى انقاذ هو الاصلاح واحسن اداة له اصلاح المدرسة . وقد نحلى لنا من تصفح الكتاب ان مؤلفه ذو خبرة بامور المدارس ومواد التدريس وحالة المدرسين فشكر له حسن ادبه في بيان افكاره وكنائده ان يكتب باللغة العربية ليستفيد منه من كتب لم ياولوا بالذات وعساء يتقله اليها قريباً ليم نفعه لان موضوعه جديد مفيد .

# المقنيس

الجزء العاشر من المجلد الثالث

شوال سنة ١٣٧٦ موافق نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٨

## الطالع السعيد

من المخطوطات النفيسة التي كادت تموت بها يد الضياع كتاب الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة بأعلي الصعيد لكمال الدين ابي الفضل جعفر بن ثعلب الادفوني المولود في نصف شهر شعبان سنة ٦٨٥ والمتوفى في سابع عشر شهر صفر سنة ٧٤٨ انه باشارة من شيخه اثير الدين ابي حيان القهوي الاندلسي وقصره على تراجم التابعين من اقليم قوص وما يتبعه من البلدان والقرى وهو اول ما ألف من نوعه خاصاً باهل الصعيد . ولم يكن بمصر من نسخ هذا الكتاب غير اثنين بدار الكتب الخديوية كلتاهما ناقصة وما زلت في شوق اليه وبحث عنه حتى ظفرت بنسخة منه كاملة كتبت سنة ٨٨٠ بوم الفقيه محمد الدين ابي عبد الله بن شرف الدين حمزة الخطيب الواعظ وهي كغالب المخطوطات لا تخلو من التحريف والتصحيف خصوصاً في مواضع اعمل التامخ اعجابها فلا تيسر قراءتها الا بشرب من العنت وتدقيق النظر .

افتتح المصنف كتابه بمقدمة تشتمل على مسافة هذا الاقليم وتفصيل ما اخص به من المزايا فذكر ان منافته تبلغ في الطول اثني عشر يوماً يسير الجبال السير المتباد وتبلغ في العرض ثلاث ساعات واكثر او اقل تبعاً للاماكن العائرة وانه ينقسم الى كرتين يفصل بينهما النيل فالشرقية منها تتصل شرقاً بالبحر الملح ( هو بحر القلزم ينسحب الان بالبحر الاحمر ) واولها من الشمال ارض افرو وآخوها من الجنوب ابر الشريعة بضم الميمزة وسكون الباء الموحدة وضم الهاء ومن مدنها الشهيرة قدا وققط وقوص وهي قاعدة الاقليم في عصره وكان

بها اربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب وبها قباب باعالي دورها قيل ان من ملك  
عشرة آلاف دينار يحصل له قبة في داره واليها تكتابه ستة ملوك . ومنها الاقصر واسوان  
قال واعلياً يوصنون بالهك في المعاملة وشدة المخاصمة وفيها يقول دجل بن علي الخزامي  
وكن اقام بها واليا كما قتل اهل التواريخ .

وان امرأ امت مسقط رأسه      باسوان لم يترك له الخزم معلما  
حلت محلاً يقصر الطرف دونه      ويجز عنه الطيف ان يتجسما

ولم انة يحصلون الماء تاء فيقولون التريق في الطريق والتاق في الطاق ويتدلون الفاء  
بالياء والباء بالفاء فيقولون ضرته في هذا يعني بهذا ام . والكورة الغربية اولها شمالاً  
برديس وآخرها جنوباً بئر الغربية ومن مدنها ادفو بلد المصنف وعشه الذي درج منه .  
ثم افاض في محاسن هذا الانليم من غنوبة ماء وطيب هواه ووفرة غلة وكثرة فاكهة قال  
واظن مساحة ارض بساينه ونخله تقارب عشرين الف فدان وتقل غرائب خيف حمل  
اشجاره قد يمد بعضها من المبالغة والغالو ولاخرو فكل فناء بابيا مجة . وذكر من معادنه  
معدن البوم بالقرب من قنا ومعدن الزمرد وحجر البازهر والنفط والنطرون والرخام ومن  
معاهد العلم ست عشرة مدرسة بقوص وثلاثا باسوان واثنين باسنا وواحدة بالاقرصر  
واخرى بارمنت واثنين بقنا وواحدة بهو واخرى بقمولا .

اما ترتيب الكتاب فكل حروف المعجم ابتداءً براهيم وختمه يونس وذيله بباب سيف  
انكى ذكر به من كنيته اسم غالب تراجم مختصرة يقتصر فيها على الملوك والوفاء وشيء من  
اخبار المعجم وروايته ان كان من المحدثين . على انه خالف ذلك في البعض فاطال فيهم  
كاشوري صاحب نهاية الارب والرشيد بن الزبير واخيه المذهب الشاعر والتاج بن المتفضل  
وعبد الرحمن الفهمي وذكر من سعة نيمره في الفقه ان الفتوى كانت ترفع اليه ورجله في  
الركب فيكتب عليها بدون توقف وامن الحاجب مؤلف الكافية وقصر المعروف بتعاسيف  
العالم الرياضي الذي عمل لسلطان حماة كرة عظيمة صور فيها الكواكب المرصودة وصنع له  
طاحوناً على العاصي وبنى له ابراجاً وتيجال فيها يجمل هندسية ومجد الدين بن دقيق العيد  
وابنه في الدين الامام المشهور وترجمته اطول ترجمة في انكتاب والفقهني صاحب التارخ  
وغيرهم من استحققت اعالم اطالة الكلام فيهم . ولم يهمل النساء فذكر منهن من اشتهرن  
بالعلم والفضل كتاج النساء ابنة عيسى القوسية واختها مظفرية وخديجة بنت علي بن وهب  
ورقية بنت محمد بن علي بن وهب وكلهن من أسرة بني دقيق العيد .

والمعجني منه التزامه الصديق وسيله مع الحق فيما كتب فترجم كل انسان بما له وعليه

حتى بقي الدين بن دقيق العيد لم يتمه ذكره لخاتمه وحسناته وشهادته له بياض رتبة الاجتهاد من ان يقول فيه « لكنه تولى القضاء في آخر عمره وذائق من حلوه ومره وحط ذلك عند اهل المعارف والاقادار من قدره وحسن الظن ببعض الناس فدخل عليه الناس وحصل له من الملازمة نصيب والمجتهد يخطئ ويصيب ولو حيل بينه وبين القضاء كان عند الناس احمد عصره ومالك دهره الخ » وترجم عبدالقادر بن المذهب وهو ابن عمه بوصفه بالذكاء النادر وسعة الاطلاع الا انه اغنى عليه لسوء عقيدته وقال سيف آخر ترجمته « ومرض فلم اصل اليه ومات فلم اصل عليه » .

وفي الكتاب رسائل وخطب وقصائد ومقطعات لا تخرج عن الاسلوب المألوف لاهل ذلك العصر منها وصية لجلال الدين الدشتاني كتبها لابنه تاج الدين يقول فيها « ربنا آتانا من لذك رحمة وهي لان امرنا رشداً . يا بني ارشدك الله وايدك اوصيك بوصايا ان انت حفظتها وحافظت عليها رجوت لك السعادة في دينك ومعاشك بفضل الله ورحمته ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله . اولها وأولاً ما مراعاة تقوى الله تعالى تحفظ جوارحك كلها من معاصي الله عز وجل حياة من الله والقيام باوامر الله عبودية لله . ثانياً لا تسقر على جهل ما تحتاج الى علمه وثالثتها ان لا تاتسرا لالا من محتاج اليه في مصلحة دينك ومعاشك . ورابعتها ان تنصف من نفسك ولا تنصف لها الا لضرورة وخامستها ان لا تعادي مسلماً ولا ذمياً وسادستها ان تقنع من الله بما رزقك من جاه ومال وسابعها ان تحسن التدبير فيما في يدك استغناء به عن الخلق وثامنها ان لا تستهين بنزول الرجال عليك وتاسعها ان تقنع نفسك عن الخوض في الفضول بترك استعمال ما لم تعلم والاعراض عما قد علمت وعاشرتها ان تلقى الناس مبتدئاً بالسلام محسناً في الكلام منطلق الوجه متواضعاً باعتدال مساعداً بما تجده اليه السبيل متجنباً الى اهل الخير مدارياً لاهل الشر متبعاً في ذلك السنة الالهية أهلها لا مثيلها » .

وغالب ما ورد فيه من المنظوم اشبه شعر الملائكة منه بشعر الشعراء على انه لا يخفى مما يستجد كقول الامير مجير الدين بن تميم الخطي .

اعيدك ابي بين اهلي وجيرتي      وحيد لديهم عادم ود مشفق  
اقلب طرفي لا ارى لي مؤنساً      نهمك فيهم غير طرس مثنق  
يحدثني عن حسن احوال من مضى      ويخبرني عن قبح احوال من بقي  
وقول نبي الدين بن دقيق العيد

تمت انت الشيب عاجل لني      وقرب مني سيف صباي مزاره

لأخذ من عصر الثياب نشاطه      وأخذ من عصر المثيب وقاره  
وقول فتح الدين القناني

بإدراك علم الطرف السهادا      وتفرغه في الليل الرقدا  
وبات ليل أرمده ليس يرجو      ليل بات يسره نقادا  
كان الليل فارقه حبيب      فلم ينزع لفرقه الخددا  
فما للدمع لا ينفك يهوى      مخالفة الذي أهوى عنادا  
يأبى من أريد له دنوا      ويدني من أريد له بعادا  
كان عليه ميثاقا ووفى      به اب لا يلفني المرادا

ومن طريق ما رواه ان نازم هذه الايات ادعى انه كان ينظم القصيدة ويجهلها في  
ديوان أبي تمام ثم يهرسه على الناس فلا يميزون بين الشعرين فقال له احد الادباء انت  
لا تفتح شعرك وإنما تدم الناس . وقول انجب الدين الاسناني

الحافلكم ترحنا في الحشا      ولحفنا يجرحكم في الخدود  
جرح يجرح فاجعلوا ذا يذا      فما الذي اوجب جرح الصدود

هكذا نسبنا لانجب الدين نقلاً عن المهدي في الخريدة . قلت وقد وهم الشبان  
فالبيان لولادة بنت المستكفي لا يكاد يختلف في ذلك اثنان وقد وقفت على اوهاه من هذا  
القبيل فوطت من بعض الأئمة فسبوا اشياء لغير قائلها اما لاشتباه في الاسماء اولس هو  
عرض وجل من لا يسهو وربما افردت نبذة لذكرها ان شاء الله .

ومن غريب ما رآته فيه من المنظوم نوع من الزجل تكرر ذكره سماه المصنف ( بليقة )  
وجمها على بلاقي مما يدل على ان اللام في المفرد مشددة ولا ادري اكانت البليقة تطلق  
عندهم على كل ما نسيه اليوم زجلاً او هي خاصة بنوع منه فنما قول هبة الله الادفوي وقد  
سَمَّ من قراءة الفصول لابين معظ في النحو

يا قوم واش هذا الفصول      فقرأ الفصول

المحقة فقرأ بافلاان      او مختصر شيت والبيان      هذا يمين باليمين  
لسائر ارباب العقول

من قوله معديكرب      القلب اضحى منكرب      ويت عقلي قد خرب  
وشرح حاله فيه بطول

من صحروا مع جليات      ومد وشد مع حات بات      من الذي غننه ثبات  
يشهم مفاعيل مع فصول

ومنها مطلع بليقة لبعضهم في هجو قاض .  
 قاضي القضاء اعزل نفسه لما ظهر للناس نجسه  
 ولا يستقيم الوزن الا باسكان او اخر انكم كما تنطق العامة . وما استفدته من هذا  
 الكتاب عشوري فيه على كلمات صامية مستعملة الى الآن بمصر ادفعها المصنف في عبارته  
 بما يدل على انها اقدم في الاستعمال من عصره حتى صارت من المؤلف عندم والا لما جرى .  
 بها قلم مثل هذا الامام في مثل هذا التأليف . وبالجملة فحاسب الكتاب كثيرة وفوائده  
 غزيرة فلعل احد المشتغلين بالطبع من الوراقين يتنبه له فيطبعه ليم تقعه .  
 القاهرة احمد تيمور

## جالينوس العرب

أو

ابوبكر الرازي

الافقة منا الى الزمن الخالي	فتنبط من اسلافنا كل مفضل
تلونا اناسا في الزمان تقدموا	وكم عبرة فمين تقدم للتالي
الا فاذكروا يا قوم اربع مجدكم	فقد درست الا بقية اطلال
تطلبتمو صفو الحياة واتقوا	بجهل وهل تصفو الحياة لجهال
وبما اتقوا الا كسكران طالح	تحسى من الصبأ عشرة اوطال
مشى بارتعاش في الطريق فتارة	يقوم واخرى ينهوي فوق اوحال
يمد الى الجدران كف استناده	فتلقفه الجدران فذقة اذلال
ويفتح للطراق مقلة حائق	فيتمضها خزيان عن شتم ذلال

\*\*\*

رمى الدهر قومي بالتحول فليتهم	واوسمهم عدلا فلم يجد نمدالي
فهاج البكا يا ممي لما بكيتهم	بلسمي حتى بل دمي سربالي
نظرت الى الماضي وفي العين حمرة	كأنت على آفاقها تفتح جربالي
فشممت بروق الاولين منيرة	على افق من ذلك الزمن الخالي



«تؤثرهما من أذرعنا وأهلها  
وقلبت طرفي في سماء رجالها  
فأنت آثاراً وهم سلك درهما  
ولما طويت الدهر بيني وبينهم  
تمدت بأوساط القرون فجاءني  
ففي عايش أعمالاً جساماً وانما  
حكيم رياضي طيب مخيم  
أنت فيلسوفاً للفنوس مهذباً  
لقد غلب الأرواح من داء جهلها

يثيرب ادنى دارها نظر عال  
وهم فوق عرش للجلالة محلال  
وابصرت أعمالاً وهم جيدها الحالي  
على بعد ازمان هناك واجيال  
«ابوبكر الرازي» فتمت لاجلال  
تقدر اعمار الرجال بأعمال  
اديب وفي الكياء حلال اشكال  
يافضل افعال واحسن اقوال  
كما طيب الاجسام من كل اغلال

## مولده

تولد عام الاربعين الذي انقضى  
الى زكريا ينتهي انه له  
على حين كانت بلدة الري غادة  
مدارس بالثبان تزهو ودونها  
بها جل درس القوم طب وحكمة  
وكانت تقصات الصنائع عندهم  
وما كان هذا الحال في الري وحدها  
فان هدى الاسلام انهي فتوحه  
وبدل ابطال الحروب من الوري  
قدارت رعى تلك العلوم وقطعها  
وكانت يد المأمون في ذاك انجملت

لثالث قرن ذي مآثر ازوال  
اب تاجر في الري صاحب اموال  
الى العلم يعطو جيدها غير معطل  
ككتائب للتعليم تزهو باطفال  
وفلسفة فيها لم اي ايفال  
يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال  
بل اغال في البلدان طرأ كذا الحال  
واوصلها الحمد احسن ايصال  
باباطال علم للجهالة فقال  
يغداد مركز بر بوة اجلال  
لسان العلى في شكره اي انجبال

## منشؤه

تدرج في تلك المدارس ناشئاً  
تعلم فن الصوت بأدي بدئه  
فكانت بموسيقى النون دروسه  
وقد جاوز العشرين متاولم يكن  
فراهم ابوه منه تخويل عزمه

مترجنا يسمى بجد واقبال  
ومارس تفصيلاً به بعد اجمال  
تفني بالمزاج وتشدو بارمال  
لشيء قوي فن الفناء بيمال  
يجذب الى شغل التجار وادخال

فقال له دعني مع البلم اني  
وهل يستطيع المرء شغلاً اذا غدا  
هناك استقى الرازي من العلم شربة  
سعى سعيه فهو التسلم بادناً  
وقد كان مفتاح العلوم تفسلف  
فزاول انواع العلوم تنقلاً  
نضامه في العلم مشغولة الثبا  
وقد اكمل الطب المفيد قراءة

## سياحته

ومذ جاوز الرازي الثلاثين واخذى  
رأى من تمام العلم للره انه  
ما العلم الا بالسياحة انها  
فقام وشد الرحل والفرز وامضى  
بجاه بلاد الشام توّاً وجازها  
وخاض عباب البحر للغرب قاصداً  
ففيها اجتلاه الزم مذ لاح طالماً  
وحل حلول البدر في السعدنا تلالاً  
وهب هبوب الريح ثمة ذكره  
وودعها من بعد ذلك راجعاً  
ومنها الى بغداد سافر قاطعاً  
فالقي عصا التسيار من عرصاتها  
وبغداد كانت وهي اذ ذاك جنة  
كانت رجال العلم في غرفاتها  
فكم محفل للكتب فيه خزانة  
ولما غدا الرازي يفقداد باسطاً  
أقيم لمارستانها عن كفاءة  
فرتب مرضاه واصلى شأنه  
وظل به يسى طبيباً مرضاً

مدلاً علي اقاربه اي ادلال  
يسمى يضرب في البلاد ونحوال  
لمن علموا في علمهم درس اعمال  
لقطع القيا في متن هوجاء شعلال  
الى مصر في وفد حثيث وارقال  
مواطن للاسلام لم يسلمها السامي  
لها كهلال يجتلي عند اهللال  
بقربلة آماله ناعم البال  
يطير على صيت من العلم جوال  
الى مصر لا توديع مستكروه قال  
اليها القلا ما بين حل ونرحال  
بنفس عرفان ومنبت افضال  
بها العلم اجري منه انهار سلسال  
بلابل تشدو غدوة بين ادغال  
وكم مرصدان وكم مرقب عال  
من العلم ابواعاله ذات اطوال  
رئيساً بطبيب وتدير احوال  
بما كان لم يختر لسابق اجبال  
ويظل جهداً لم يكن فيه بالال

ويلقي السرديات وهي مسائل لدى مُرَرِّ المُرَضِّي ثَقَرُ في الحلال  
 قد كان يلقبها على القوم ناطقاً بأوضح تبيان واحسن املال  
 مآثره العلية

لقد اشغل الرازي بغداد شغله عدا الطب في الكياء اعظم اشغال  
 فغنى بها ايامه في تحارب وواصل ابكاراً لمن باصال  
 فلقب فيها بالمجرب حرمة نفرد مخصصاً بها بين امثال  
 واصبح مشهوراً باسنى مآثر من العلم لم يسبق اليها واعمال  
 قال ابا بكر لاول مفيد الى الناس بالدرس السريري مقوال  
 واول من ابدى لم كيف ينبغي ويفرش مارستانه. قصد ابلال  
 وألف في المستشفيات مؤلفاً نقصه في وصفها دون اغفال  
 ولا ننس الرازي الكحول فانه يُجِدُّ طول الدهر ذكراه في البال  
 ومن حمل الرازي انعقاد سكر وما كان في محموله غير سيال

### أخلاقه

ارى العلم كالرأة يصدأ وجهه وليس سوى حسن الخلاق من جال  
 اخو العلم لا يفلو على سوء خلقه وذو الجهل ان اخلاقه حسنت غال  
 ولو وزن العلم الجبال ولم يكن له حسن خلق لم يزن وزن مثقال  
 وان المساوي وهي في خلق عالم لا تخرج منها وهي في خلق جهال  
 ولكنما الرازي قد ازدان علمه باحسن اخلاق واشرف افعال  
 خلّاق غزاة اودت بيانها بدأت بحرف الحاء والميم والداد  
 فحق كان محله الجوانح رحمة بكل هزيل الجسم من صم اقلال  
 يزوريون البائسين بنفسه ويفتقد المرضى بخص وتسال  
 ويأتيهم بالمال والعلم مسعداً لتطبيب اوجاع وتأمين اوجال  
 وما كان يقنو المال الا لبذله لتعليم علم او لاعطاء سوال  
 وكان حليف الجد لم يأل جهد بدحض خصوم العلم من كل هزال  
 فكم راح مخفولاً به متطبيب سعي كاذباً في طيه سعي اضلال  
 وكانت سليماً في المقيدة قلبه بعيداً عن الاحاد ليس بختال  
 ونخل لقاميل الاولى ينسبونه لربغ فقد اغناك عنهن اجمالي

## عوده الى الزبي

ولما قضى الرازي بغداد برهة  
فلما اتى تلك البلاد ضا بها  
والف للنصور اذ ذاك باسمه  
ولم تصفُ الرازي اواخر عمره  
فقد عمت عيناه من بعد واخذى  
وان عدا الدهر شنته له  
ولما انتهى نحو الثمانين عمره  
ونكته في الناس خلف بعده  
فكم كتب ابقى بها الذكر في الوري  
وما ضرت من احيا له العلم بعده  
واني وان اطنبت في بحر عمله  
وما انا انهي القول لا لتمامه  
واجل هذا الشعر مسكاً ختامه  
« لعمرى وما ادري وقد آذن البلى  
« واين محل الروح بعد خروجها

مرفوف الرصافي

بنداد

## الحسبة في الاسلام

والرابعة مخطوطات فيها

وصفنا في الجزء السالف المخطوط الاول الذي عثرنا عليه في فن الحسبة وهاتين اولاه  
نصف المخطوط الثاني قال في مقدمته :

نحمد الله الحبيب الريب على نواله ايماناً واحساناً وبالضلالة على رسوله محمد الحبيب  
تسبب وآله لا يمحى كتاباً ولا حساباً اما بعد فقد جمع ضيفه الفريق في بحر فضله  
الطامي عمر بن محمد بن جوش الشامي الممهده تهاه فيا يكتب له مخرجاً ويزقه  
الجزء ١٠ (٧٧) المجلد ٣ من المخطوط

من حيث لا يحسب في تصنيف هذا الكتاب وهو نصاب الاحساب مسائل اختصت بالنسبة الى منصب الحسبة من كتب معتبرة بين الفقهاء معول عليها عند العلماء بعدم تحمل في جمه نصبا وكل في بقده نصبا وصرف الى تنقيحه وتصحيحه مدة مديدة وتكلف سيئة تزييه وتهذيبه شدة شديدة ليكون للمبطل آية يعرف بها فيما يحتاج اليه غاية وهو مرتب على ابواب الباب الاول في تفسير اللفظين المتداولين في هذا الكتاب احدهما الاحتساب والثاني الحسبة فالاحتساب لفظ يطلق على معنيين احدهما من المد والحساب ذكر في المغرب احسب بالشيء اعتد به وجمله في الحساب ومنه احتسب عند الله خيرا اذا قدمه ومعناه اعتمد فيما يدخر عند الله وعليه حديث ابى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اني احتسب خطايا هذه اي اعتدتها في سبيل الله وقول النبي طيه السلام من صام رمضان ايمانا واحسابا غفر له ما تقدم من ذنبه اي صام وهو يؤمن بالله ورسوله ويمتد صومه عند الله والثاني الانتكار على الشيء ذكر في الصحاح احتسبت عليه كذا اذا انكرته عليه قاله ابن دريد والحسبة لمعنيين ايضا احدهما بمعنى الحساب مصدر كالعقدة والركمة والثاني التدبير يقال فلان حسن الحسبة في الامراي حسن التدبير له وفي الشرع ما الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والهي عن المنكر اذا ظهر فعله ذكره في كتاب احكام السلطان ووجه الاستعارة اما الاحساب فلانه كان من الاحساب بالمعنى الاول وهو يمتدى بالبلاء فهو يحسب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الله اجرا فكان من قبيل تخصيص العام وان كان من قبيل الانتكار فهو من قبيل تسمية المسبب بالسبب لان الانتكار على الغير سبب للامر بازائه وهو الاحساب لان المعروف اذا ترك فالامر بازالته تركه امر بالمعروف والمنكر اذا فعل فالامر بازالته هو النهي عن المنكر.

واما الحسبة فلانه ان كان بمعنى الاحتساب فهو نظير الاول من الاحساب وان كان بالمعنى الثاني فهو كذلك وان كان التدبير عاما ولكنه اريد به تدبير خاص وهو تدبير اقامة الشرع فيما بين المسلمين وانما سمي به لانه احسن وجوه التدبير فصار كتنسية القود به ثم الحسبة في الشريعة عام يشاؤ كل مشروع يفعل لله تعالى كالاذان والاقامة واداء الشهادة الى كثرة تعددها ولهذا قيل القضاء باب من ابواب الحسبة وقيل القضاء جزء من اجزاء الاحتساب وفي المغرب اختص بامور احدها اقامة المحور كلها والثاني كسر المعازف والثالث اصلاح الشوارع وذلك باب كبير فيه مسائل احدها امر الميزاب والثانية امر الاحوال والارداغ والثالثة امر الدكاكية (٤) على الباب والرابعة منع جوارس الباعة عليها والخامسة منع سوق الحيز والبقول فشاين والآجرين ونحوهم والسادسة منع ربط الناس دوابهم

فيها والسابعة منع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع والثامنة منع شغل هوا النار بالجناس ويسمى برون داشت والتاسعة منع المعز في الجدار بحيث يكون إزالة القناسة منه بالوعرف في الشارع والناشرة منع الظلة والرابع من التقسيم الاول النظر بين الجيران في التصرفات المقصورة كالنظر وسد الضوء الا فيما يرجع الى الملك كغصب قطعة من الارض واغناس تقوم الموازين والسادس تفحص الصنجات والسابع تنقية دكان الطباخين والخبازين ونحوم والثامن تفحص نظافة الفقاع ودكانه والتاسع منع اسبال الازار ونحوه على الكعبين والعائس زجر الناس عن الفناء والنوحة والحادي عشر منع الرجال عن التشبه بالنساء ومنع النساء عن التشبه بالرجال والثاني عشر امر التبولين بطهارة ماثمهم وثيابهم ونظافة نورتهم عن الحصاة والثالث عشر احراق المعازف وكسرها يوم الاصحى في المصلى وغيرها والرابع عشر منع الناس عن تغيير الحمامات والخامس عشر منع البنايا وتمزيقهم ومنع اوليائهم ومواليهم وازواجهن والسادس عشر امر اهل القمة بتطهير الاواني التي يبيعون فيها المأكلات من العمن والابن والسابع عشر امر الضالين باقامة الالة واجتناب البدعة في غسل الموقد وحفر القبور والحمل وزجرهم عن الفلاء في اخذ الاجرة ونصب الصلحاء وذوي الخبرة بهذه الامور في هذه المصلحة والثامن عشر تفحص الجامع يوم الجمعة والمصلى يوم العيدين واغلاقهما عن البيع والشراء ومنع الفقراء عن التجلي ومنع القصاص عن القصص المتفرقة ومنع النساء السائلات عن الدخول فيه ومنع الصبيان والمجانين فيه والتاسع عشر دفع الحيوانات المؤذية عن السمراوات كالكلاب العقور والمشروب النعي عن النجس والامر بالتنظيف والحادي والعشرون منع الناس عن الوقوف في مواضع التهنيم كحدث الرجال مع النساء في الشوارع واذا في المشرون منع النقاشين والصباغين والصواغين عن اتخاذ تماثيل ذوات الروح وكبر الصور والثالث والعشرون منع المسلمين عن الاكتسابات الفاجرة كاتخاذ الاصنام والمطاف والصنع وبيع التبذ والجمتج والرابع والعشرون منع انطباخين والخبازين في اول نهار رمضان عن بيع الطعام على مثال غير رمضان والخامس والعشرون منع الناس عن اتخاذ القبور الكاذبة وخروج الناس الى زيارة بعض المتبركين او بعض المساجد على مشابهة الخروج الى الحج والسادس والعشرون منع النساء عن التبرج والتفرج بالخروج الى النظارات وزيارة القبور والسابع والعشرون منع الناس عن التصرفات في المقابر بلا ملك والثامن والعشرون منع المطلعة والسحار والكنهان عن منكراتهم والتاسع والعشرون نهي اصحاب الحمام عن منكراتهم وامرهم بتطهير المياه واغلاء الحمام عن المرد ودخول المرأة فيه ونهي الحجام عن حلق العانة والحنية وامرهم باتخاذ الحجاب بين الرجال والنساء الثلاثون منع اهل الائمة عن

الركوب بيعة المسلمين ولياس الصالحين واتخاذهم معايدهم في بلاد المسلمين الحادي والثلاثون  
 منع المسلمين من الدخول في معايدهم للتبرك والتاس الحواشي من ناسهم والثاني والثلاثون  
 منع الناس عن الترميم يرمسون الكفار في ولايتهم ومريضهم وصحة صبيانهم وعمايتهم  
 وزرعاتهم وركوبهم في البحر والثالث والثلاثون منع الناس عن تعلم علم النجوم عمالاً يحتاج إليه  
 في الدين وتصدق الناس للكنيسة والمجتمدين الرابع والثلاثون منع الناس عن بدعة ليلة البراءة  
 والخامس والثلاثون منع أهل القمة عن اظهار شعائرهم في مواسمهم في بلاد المسلمين والسادس  
 والثلاثون منع الناس الصائين بالتعد والشرطي ونفريق جمعهم واخذ باطهم وتآنيهم السابع  
 والثلاثون منع القوايل عن اسقاط جنين الحوامل والثامن والثلاثون منع الجراحين عن الجب  
 والخصاء في الناس والتاسع والثلاثون منع الحجامين عن مس الاجنبيات الا لضرورة لا بد  
 منها وعن حجة الحبال في اوان مضرتها بالحجامة والاربعون منع الناس من الاقامة في  
 المساجد ووضع الامتعة فيها والحادي والاربعون منع ائدي مسه الشيطان بالتم عن التكلم  
 بالقبيل واجتماع الناس عنده زاعمين انه صادق في اخباره بالقبيل وهو كافر والمثقل له  
 والصدوق به مرتد والثاني والاربعون منع الخطاط ومعلم القرآن ومعلم الفقه باجر عن الجلوس  
 في المساجد الثالث والاربعون منع المعلم ونحوه عن اخذ شيء باسم التبريد والمهرجانات  
 والرابع والاربعون تميز الابق ورد الابق على مولاه فانه من باب الحسبة ايضاً الا ان  
 الاجرة انما تجب بورد الابق وان كان من باب الاحساب لاجتماع العصاة رضي الله عنهم  
 هذه ابواب الكتاب الثاني وهي كما تراها مخالفة للاول من وجوه وموافقة له من اكثر  
 الوجوه - اما الكتاب الثالث فهو : نهاية «الزيتية في طلب الحسبة تأليف الشيخ عبد الرحمن  
 ابن نصر بن عبد الله بن محمد الشيرازي (١) الشافعي قال في اوله بعد البسملة والمقدمة  
 والصلاة : وبعد قد سألني من استند لخصب الحسبة وقلد الظرفي مصالح الرحمة  
 وكشف احوال السوقة وامور المتعشين ان اجمع له مختصراً كافيًا في سلوك نفع الحسبة  
 على الوجه المشروع ليكون عماداً للسياسة وقواماً للرياسة فاجبته الى ملتصقه ذهاباً الى  
 الوجيزة لا الى الاطالة وضمت طرقات من الاخبار وطرزته بحكايات وآثار ونهت فيه على غش  
 اللبسات وتدليس ارباب الصناعات وكشف سرهم ومعتكسهم راجعاً بذلك ثواب النعم يوم  
 الحساب واقتصرت فيه على ذكر الحرف المشهورة دون غيرها لمسيب الحاجة اليها وجعلته  
 اربعين باباً يجري المحاسب على مثالها ونفع على متوالها وهي نهاية الزيتية في طلب الحسبة

(١) في نسخة القول عنها « الشيرازي » ولكن الظاهر الشيرازي كما يفهم من  
 سياق الكتاب

وقد جعل في الاول الكلام فيما يجب على المحتسب من شروط الحسبة ولزوم مستحباتها والثاني النظر في الاسواق والطرفات والثالث معرفة القناطر والارطال والمناقل والدرام قال فيه : لما كانت هذه اصول للمعاملات وبها اعتبار المايعات لزم المحتسب معرفتها وتحقيق كيتها لنفع المعاملة بها من غير غبن على الوجه الشرعي وقد اصطلح اهل كل اقليم وبلد في المعاملة على ارطال تفاضل في الزيادة والنقصان سيما لاهل الشام خاصة وسأذكر من ذاك ما لا يسع المحتسب جهله ليعلم تفاوت الاسمار اما القناطر القنطار الذي ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم فقد قال معاذ بن جبل هو الف ومائتا اوقية وقال ابو سعيد الخدري ذهباً واما القنطار المتعارف فهو مائة رطل والرطل ستمائة واربعة وثلاثون درهماً وهو اثنا عشر اوقية والاوقية سبعة وخمسون درهماً هذا رطل شيراز ( شير ) الذي رسمه فيها بنو منقذ واما رطل حلب فهو سبعمائة واربعة وعشرون درهماً واوقيتها ستون درهماً ورطل دمشق ستمائة درهم واوقيتها خمسون درهماً ورطل حمص سبعمائة درهم واربعة وتسعون درهماً واوقيتها سبعة وستون درهماً وجبة وثلاث احمية ورطل حماة ستمائة وستون درهماً واوقيتها خمسة وخمسون درهماً ورطل الحيرة مثل الحمصي ولكن مائتا درهم وستون درهماً والرطل البغدادي نصف المن والله اعلم .

فصل واما المثقال فهو درهم ودانقان ونصف وهو اربعة وعشرون قيراطاً وهو خمسة وثمانون حبة والدرهم الشامي ستون حبة وقد اختلف صفح اهل الشام ايضاً فالمثقال بحري وسه شيراز يزيد على مثقال حلب نصف قيراط ومثقال حماة مثل الشيرازي ومثقال دمشق يزيد على الشيرازي ومثقال الحيرة مثقال الدمشقي .

فصل وقفران المكيالات ومكايكها مختلفة ايضاً فالقفيز بحري وسه شيراز ستة عشر كيلاً وهو مكيال متعارف فيها يسع رطلاً ونصفاً بالشيرازي والقفيز الحموي ينقص عن الشيرازي شنبلان والقفيز الحمصي مثل الحموي والمكوك الحلبي يزيد على القفيز الشيرازي ثلاثة شنبال والحري مثله وهو اربع مرزاب من كل مرزاب اربعة اكيال بالحلي والفرارة الدمشقية ثلاثة مكاي بالحلي وجميع ما ذكرته غير مستقر في جميع الازمان وانما اصطلح كل قوم على شيء في زمن كل سلطان ثم يغير ذلك بتغير السلطان

وتكلم في الباب الرابع على معرفة الموازين والمكاييل وعبارة الارطال والمناقل وسيفه الخامس على الحسبة على المخربين والدقاقين والسادس في الحسبة على الخبازين ثم الترابين فصناع الزلاية فالجزارين والقصابين فالشرايين فالزوايين فقلاي السمك فالطباخين فالهرايين فالنقائين فالخولانيين فالصيادلة فالطارين فالشرايين فالهرايين فالرزازين فالدلاليين والمباشرين فالخاكة فالخياطين فالقطانين فالبكثانيين فالجربين فالصباغين



فالاساكفة فالصبارف فالصاغة فالنحاسين فالحدادين فالباطرة فنجاسي العبيد والدواب  
فالحسبة على الحمامات وقوامها وذكر منافها ومضارها ثم الحسبة على القصادين والحجامين  
والاطباء والكحالين والمجربين والجراحيين ومؤدبي الاطفال والحسبة على اهل الدمة  
وفي الباب الاربعين جمل وقاصيل من الحسبة ذكر فيه ما يلزم المحتسب فعله من  
امور الحسبة في مصالح الرعية غير ما ذكره فن ذلك السوط والقدرة والطرطور « اما السوط  
فيخذه سوطاً لا بالغليظ الشديد ولا بالرفيق اللين بل يكون سوطاً بين سوطين حتى لا  
يؤلم الجسم ولا يخشى منه غائلة واما القدرة فتكون من جلد البقر والجلد مشوة بنوى التمر  
واما الطرطور فيكون من اللبد منقوشاً بالخرق الملوثة مكلاً بالخرز والدودع والاجراس  
واذنان الثعالب والسنابيز وتكون هذه الآلة كلها معلقة على دبة يشاهدها الناس فتريد  
منها قلوب المفسدين وينزجر بها اهل التدليس »

وعدد اوراق هذا لكتاب ٢٢ صفحة وهو بخط مقروء لم تكتب سنة كتابته ولا  
تاريخ تأليفه والصحة تغلب عليه بالجملة

اما الكتاب الرابع فهو المعروف باسم «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» ايضاً تأليف محمد بن  
احمد بن يسام المحتسب قال في مقدمته بعد البسملة والحمدلة والصلاة : قال الله تعالى الذين ان  
مكنهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة  
الامور فأمر بذلك مع القدرة عليه والتحكم منه ومن الامر بالمعروف ايضاً تصفح احوال  
السوق في معاملاتهم واعتبار موازينهم وغشهم ومراعاة ما يجري عليه امورهم وقال تبارك  
وتعالى ويل للطففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون واذا كالواهم او وزنواهم يحسرون  
وقال عز من قائل حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام ويقوم اوفوا المكيال والميزان ولا  
تبخسوا الناس اشياءهم ولا تمشوا في الارض مفسدين وقد رأيت المؤمنين من المتقدمين  
سبقوا الى ذكر كثير مما يحتاج اليه وبتتفع به ولم اجد احداً منهم ذكر ما ينبغي ذكره من  
النبن والفحش والخيانة بين الناس في المعاملات والمبايعات

وقد قسم كتابه الى مئة واربعة عشر باباً (١) فيما يجب على المحتسب من امور الحسبة  
(٢) في النظر في الاسواق والطرق (٣) في اغليازين والغليز (٤) في السفابين والماء  
(٥) في السوفية وغشهم (٦) في جزاري الضأن والمزوغيرم (٧) في الذوائين وتدليسهم  
(٨) في المراسيين وغشهم (٩) في الزليباتيين وغشهم (١٠) الرواسين وغشهم (١١) الطباخين  
وغشهم (١٢) الحلوانيين وغشهم (١٣) هرايسي التمر وغشهم (١٤) الباقلايين وغشهم (١٥)  
الساكنين وحماله (١٦) الملح والصير والبوري (١٧) فلائي السمك (١٨) الطيور وصيداها

(١٩) البعائين وغشم (٢٠) القرائين (٢١) الخطابين (٢٢) القضاين (٢٣) الجبائين (٢٤) الجبارين (٢٥) الحمامات (٢٦) النزالين (٢٧) الكنائين (٢٨) الحريرين (٢٩) القطنين (٣٠) القلائيين (٣١) الخياطين (٣٢) سمسرة اليز (٣٣) اليزارين (٣٤) الفالين (٣٥) القصارين (٣٦) المطرزين (٣٧) الرقائين (٣٨) الصيافة والمقاير (٣٩) الاشربة والمخسجين (٤٠) العطر والمطارين (٤١) العيارف (٤٢) الصباغة والصياغة (٤٣) الاطباء والفسادين (٤٤) الكحالين والكحل (٤٥) المجبرين (٤٦) الجرايحين (٤٧) البيطرة (٤٨) صباغي الحرير والنزل (٤٩) الخرازين وصناع الشراك (٥٠) الاساكفة وصناع الخفاف (٥١) الزلاطين (٥٢) عمال البطط (٥٣) الخنطين والملايين (٥٤) صنعة السرايات (٥٥) الزنهار (٥٦) وشه (٥٧) الايزار والايزارين (٥٨) الخشب وباعته (٥٩) الزفائين (٦٠) الحدادين (٦١) السامريين وغيرهم (٦٢) النحاسين وسباكي النحاس (٦٣) النجارين والبنائين والقلة والنشارين (٦٤) نجاري القصب (٦٥) نجاري المراكب (٦٦) النحاسية باعة العبيد (٦٧) النحاسين باعة الدواب (٦٨) الطوابين وغشم (٦٩) الدلالين ودلاي النقاارات (٧٠) نقديرات المراكب (٧١) باعة الفخار (٧٢) سقاوي البرام (٧٣) الزجاجين وغشم (٧٤) معلي الصبيان من الفقهاء ومعلمات البنات (٧٥) البعائين وغشم (٧٦) الكارية وغشم (٧٧) النحاتين والمصولين في التراب (٧٨) كساحي السباد وحمالته (٧٩) الفزليل ومناخل الشعر (٨٠) حافري القبور (٨١) الوراقين والمهرجين (٨٢) فين يكتب الرسائل على الطرق والرقاع والبروج (٨٣) كتاب الشروط (٨٤) الوكلاء بابواب القضاة وتديليهم (٨٥) الميازيب ومضرتها (٨٦) اصلاح الجوامع والمساجد (٨٧) قراءة القرآن قدام الموتى (٨٨) غسالي الموتى (٨٩) المراسد والمراقب (٩٠) طباطخي الولايم (٩١) معرفة الموازين (٩٢) معرفة للكاييل (٩٣) معرفة مثاقيل الذهب (٩٤) معرفة الارطال والقناطر (٩٥) معرفة الاقساط (٩٦) معاصر الزيت وغشها (٩٧) التبن والتبائين (٩٨) القروط والقراطين (٩٩) الاناط (١٠٠) صناع الاخمرة (١٠١) الحصر البعداني (١٠٢) البيود والبايدن (١٠٣) الاريجوان وصباغه (١٠٤) المعصرة (١٠٥) الابارين (١٠٦) الخلفاء (١٠٧) الحامل وصناعها (١٠٨) الروايا والقرب (١٠٩) الدباغين (١١٠) فياهل التسة (١١١) التميز (١١٢) مجالس الحكماء (١١٣) مجالس الولاة والامر لم بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا فهرست كتاب الحسبة وانت ترى فيه كما رأيت في الكتاب الاول بعض اسماء صناعات لاعهد لنا بها اليوم مثل عمل البطط ونجاري القصب وغيرها وهناك عشرات من

اتصمخ والمفردات التي تكاد لا نجد لها مرادفاً في العربية اليوم اذا عربنا او كتبنا في مثل هذه الموضوعات كضروب الانية وللماعون .

قال في الفصل الرابع في السقاين وغشهم : ينبغي ان يعرف عليهم عريقاً ويعرفه انه لما كانت الامواج تحجب الاوساخ والافئذار الى الشطوط وجب ان تكون يدخل السقاون في الماء الى ان يمدوا عن الاوساخ وان لا يستقوا من مكان يكون قريباً من سقاية ولا مستقم ولا بحيرة حمام ومن اتخذ منهم راوية جديدة فليقلل بها الماء الى الطين اياماً فان ماءها يكون متغير الطعم والرائحة من اثر الدباغ فاذا زال التغير اذن له المحتسب في بيع مائها ويحيي ان يكون في اوساطهم الثباين ليستروا عوراتهم وسقاء الماء بالكيزان اصحاب القرب يؤمرون بحفافة ازارهم وصياتها بالاغطية وتغطية قربهم التي يسقون منها في الاسواق باليائزر ويحتم ان يسقوا بكيزانهم المجذم والايصر واصحاب العاهات والامراض الظاهرة وجلاء الكيزان الفخاس كل ليلة وتطيب شبائيكها بشمع المسك واللادن الطيب الصنبري وافتقاد الخواص بالبخور والنسل كل ثلاثة ايام .

٦٢ في جزاري الشأن والمز والابل والقضاين وغشهم : ينبغي أن يعرف عليهم من أهل معيشتهم ثم بعد ذلك يستحب أن يكون الجزار مسلماً بالفا عاقلاً يذكّرهم على كل ذبيحة وأن يستقبل القبلة وأن يغير الابل معقولة من قيام والبرق والغنم مضجعة على الجانب الايسر لان ذلك وردت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأمرهم أيضاً أن لا يحرر الشاة بجرها جراً عنيفاً وان لا يذبحوا بسكين كالثة فان في ذلك تعذيباً للحيوان وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الحيوان ويلزمه في الذبح أن يقطع الودجين والمري والحلقوم ولا يشرع في السلخ بعد الذبح حتى تبرأ الشاة وتخرج منها الروح لان محرمة الخطاب رضي الله عنه أمر منادياً يتادي في المدينة لا تسلم شاة مذبوحة حتى تبرد ويجوز الزكاة بكل شيء الا السن والظفر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزكاة بهما ويحتمل أيضاً ان لا يذبحوا جلاً يكون مقرح الجسم الى ان يبرأ جميع ما فيه من القروح وقد كان امراء امير المؤمنين الحاكم بأمر الله في سجل مجلد في ديوان الاقشاش بان لا يذبح من البقر الا المقطوع البورك والاغور والاعمى والمقطوع السن والمر يش العين والمجنون والحرب وكل مشقوق الحافر والمقطوع والكوي وكل شيء كانت عيوبه ظاهرة والصحيح الرقاد والمقطوعة اذا كان بها شيء من هذه العيوب المذكورة فينهاهم المحتسب عن ذلك جميعه وينهاهم ان لا يذبحوا شاة بعد السلخ فان نكهة ابن آدم متغير الطعم وتزفره ومنهم من يثقي اللحم من السقاين ويتخ فيه الماء ولحم أيضاً اما كن يعرفونها في اللحم ويذبحونها فيها الماء فيجبر اعراضهم

في ذلك ومنهم من يشهر في الاسواق البقر الدنان ثم يذبح غيرها وهذا تدليس واما القصابون فيمنهم من اخراج توالي اللحم عن حد مصاطبه والركبين فلا يلاصقوا ثياب الناس فيضرون بها ويأمرهم ان يردوا لحوم المزر من لحوم الضأن وان لا يخلطوا بعضها ببعض وينقطعوا لحوم المزر بالزعفران لتمييز عن غيره وتكون اذنان المزر معلقة على لحومها الى آخر البيع ولحم المزر يعرف بركة لحمه وعظمه ويأض شحمه ويأمرهم بان لا يلاصقوا على شيء من سائر اللحوم شيئاً من التزوير فان الحكاء قد ذكروا بانه يسمه ولا يخلطوا اللحم السمين بالزبد بل يباع كل واحد منهما على حدته ويمتنعهم ايضاً ان لا يخلطوا شحم المزر بشحم الضأن وعلامة شحم المزر صفولونه ويأضه وشحم الضأن تعاره الصفرة وكذلك بطون المزر لا تخلط بطون الضأن وكذلك الاليات تباع مفردة لا يخلطها جلد ولا لحم واذا فرغ من البيع واراد الانصراف اخذ ملحاً مسحوقاً ونثره على القرمة لئلا تلحمها الكلاب او يدب عليها شيء من الحوام فاذا لم يجد ملحاً والا الاشنان والمصلحة ان لا يشارك بعضهم بعضاً لئلا ينفقوا على واحد ويمتنعهم ايضاً من بيع اللحم بالحويوان وهو ان يشتري الشاة بارطال لحم معلومة ويدفع اليه كل يوم ما يتفقان عليه من اللحم فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وقال في عمل البطط : ينبغي ان يعرف عليهم عريقاً يمنهم ان يملوا من جلود الجمال الميتة ويحفظون بما لا كفارة لهم منه انهم لا يملونها من الميتة ويفش دكا كينهم كل وقت ويأت ذلك عليهم انهم اذا عملوها من الميتة كان لونها مائلاً الى السواد ويعتبر عليهم بالرائحة وخشونة اللس وايضاً انه لا بد ان يبقى عليه اليسير من الشعر لان الصانع لا يقدر على انقاء الشعر من الميتة وما حمل من جلود الميتة يمكن عند جفافه والصواب ان يمنعوا من عمل المصاصات لان كل من يمص بها لا بد ان ينزل شيء من بصلقه في اطعمة الناس من الزبوت والعسل وغيرها وذلك ضرر ووجع ولا سيما ان كان الفاعل اجيراً فالصواب ان يتموا من ذلك وقال في الزنهار وغشه : ينبغي ان يعرف عليهم عريقاً عارفاً بفش صناعاتهم فقد يش بالسبك بترية تعرف بالشمعة تكون الى الحجرة مائلة بدقيق الرمل حتى ينقل وقد يش العصفر بالتراب الاحمر وهو يزيد المثل او قريباً منه فينبغي ان يحلف من يبيعه بما لا لهم منه كفارة انهم لا يخلطون فيه شيئاً ما ذكرنا ولا يخلطوا فيه دقيق الثول وايضاً قد تدق قشور الرمان وينش به الكركم للصحن وينش ايضاً بالترية المصرية وقد ينش بالخناء وبالرمل وقال في فخاري الضيب ينبغي ان يعرف عليهم عريقاً عارفاً بميشهم بصيراً بهذه الصناعة وينشر جواسيسها وهو باب جليل يحتاج الى ضبطه لان فيه حفظ اموال الناس وصيانة خزيم فينبغي ان يُراعى حفظ اموال الناس ويحفظوا بمحضرة عريقهم بما لا كفارة

الجزء ١٠ (٧٠) المجلد ٣ من المقتبس

لم منه ان لا يملوا رجل ولا لآخرأة مفتاحا الا ان يكونا شريكين مشهورين ويؤمرون ان لا يفتقروا رأس الايات ليلوح الاسنان التي فيها سريعة الرؤوس مدورة الاسافل مبرودة جلجلة وكذلك اسنان الفتح مبرودة جلجلة حتى لا يخرّب ذكر الفلق لا من فوفه ولا من تحته ويؤمروا ان يغمسوا الانغلاق بالجواميس المختلفة حتى لا يمل مفتاح على مفتاح ومن خالف ذلك أذب .

هذا ما ساعد عليه المقام من البحث في هذه المخطوطات النادرة وفيها فوائد كثيرة غير التي ذكرناها ففى ان يتصدى بنفس من يههم احياء آثار السلف الى تمثيلها كلها بالطبع لتستفيد بها اللغة والتاريخ والمدنية والاجتماع والفيض لا يفتى عن الفيض والجلجلة لا تنفع مع التفصيل والله اعلم .

## الرومان

### فتح حوض البحر المتوسط

صبغة السياسة الرومانية — لم يخطر لرومان ان يفتحوا العالم أولاً حتى انهم تمهلوا بعد ان بسطوا حكمهم على ايطاليا وقرطاجة مدة مئة سنة قبل ان يفتحوا الشرق الى سلطانهم والظاهر انهم فتحوا فتوحاتهم دون ان يخططوا لها خطة من قبل لان مصلتهم كلهم كانت بان يفتحوا الفتوح ويدخلوا الممالك .

فكان يرمى الحكام وهم قواد الجيوش من الفتوحات فرصة ثيل علام التشرىف بالظفر الذي يكتب لم ويكونون على ثقة من الاشتهار بين أمتهم والتأثير فيها . وكان أعظم رجال الحكومة في رومية مثل بايبيوس وفايوس وسيبيون الاول والثاني وكاتوا من القواد الذين فتحوا الفتوح وكتب الظفر لعلامهم . ويرجع الاشراف الذين تألف منهم مجلس الشيوخ اذا كثروا دواعيا رومية فيذهبون كما يذهب الحكام ليقول احتراماتهم وهذا يوم . اما الفرسان أي الصيارف والتجار وأرباب المزارع فان فتح حديث كان لهم بمثابة مشروع جديد يستثمرونه

والامة نفسها تنفع من الغنائم التي تؤخذ من العدو . وقد رقت الضرائب بصورة دائمية بعد ان دخلت خزانة الدولة الرومانية كنوز ملك مكدونية . اما الجنود فكانوا يقبضون

رواتب عالية. من قوادهم وقد أخذوا يحاربون البلاد الغنية دح عنك ما كانوا يندون اليه ايديهم من مال المغلوبين. وعلى هذا فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية اكثر من الجيد قرطاجنة — لما امتد سلطان رومية الى جزيرة صقلية حملت على قرطاجنة وعندئذ بدأت الحروب الفينيقية فحدثت ثلاث حروب فكانت الحرب الاولى من سنة ٢٦٤-٢٤١ حرباً بحرية ولا تعرف عنها شيئاً الا ما رواه الاساطير بعد زمن من حدوثها . فذكروا ان الرومانيين لم يملكوا سفناً بحرية قط وانهم حصلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في الشاطئ فآخذوا يبرنون بمجنفيهم على استعمال المجاذيف على اليابسة. وهذه القصة لا اساس لها لان بحرية رومية قديمة اما الرومان فقد نقلوا اخبار هذه الحرب كما يلي : غلب القنصل دو بليوس الاسطول القرطاجني في ميلى ( ٢٦٠ ) وكان نزل الى افريقية من البحر جيش روماني على عهد الخاكم جوليوس فلبس وتمزق شذر مذر ( ٢٥٥ ) وأسر جوليوس وأرسل الى رومية ليقدّم الصلح وقرر مجلس الشيوخ اياه الصلح فرجع هذا الى قرطاجنة حيث قضى نحبه في العذاب . ثم حمي وطيس الحرب في صقلية فكثبت القلبة للاسطول القرطاجني اولا ( ٢٤٩ ) ثم دمر بالقرب من جزائر ايفات ( ٢٤١ ) وبعد ذلك حوصر هامليكار في جبل اركيس فوق على الصلح ودخلت صقلية في حوزة رومية

ونشبت الحرب الثانية (من سنة ٢١٨ الى ٢٠١) وكان قائدها هانيبال الهنمى من اسرة القرطاجنية صاحبة الحول والسطوة في بادكاس وكان قادا بوه هامليكار الى صقلية جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الاولى ثم عهد اليه ان يفتح اسبانياً وكان هانيبال اذ ذاك طفلاً فضجبه ابوه . وكانت العادة ان تقدم الفصايل للارباب عند ما يتأدر الجيش البلاد ويقال ان هامليكار بعد تقديم الفصايل حلف ابنه ان يكون ابداً عدواً ازرق للرومان

رهب هانيبال وسط الجند فأصبح احسن قائد وامر راجل في حرب . ولم يكن يعرف من الحياة الا انه محارب وكانت عنايته منصرفة الى تعهد حصانه وأسلحته واشتهر أمره كثيراً حتى اذا هلك القائد اسدروبال الذي كان يقدّم الجيش الاسباني الفخوة قائد اعليهم دون ان ينظروا وأمر مجلس الاعيان القرطاجني في ذلك . وهكذا أصبح هانيبال سيف الحادية والعشرين من عمره قائد جيش لا يبطأ أحد سواء تدخل غمار الحرب على الرغم من مجلس الشيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساغونت حليفة رومية فاستولى عليها وخرّبها . وما كتب به الحمد لهانيبال انه عوضاً عن ان ينظر الرومانيين جرأ على ان يتقمصه في عقودارهم من بلاد ايطاليا ولم يكن له اسطول يحمله وجيشه اليهم فزم على اجنياز البلاد اليهم براً فقطع جبال البيرنيه ونهر الرون وجبال الالب وضمن لنفسه محافة الشعوب الغالية وقطع

جبال البيرنيه دين أن يلقى فيها مقاومة في جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل من الجنود المستأجرة من الأفريقين والإسبانيين ومعه سبعة وثلاثون فيلاً مدربة على الحرب وقد طمع بعض الشعب الغالي أن يحولوا بينه وبين المسير في نهر الرون فأرسل هو فرقة من جيشه تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من اعلاؤه وتهاجم الغاليين من ورائهم على حين يمتاز معظم جيشه النهر على زوارق وتجرا القيلة على أرماث كبيرة . ثم صعد وادي أيزر وانتهى إلى جبال الالب فيها وآخر شهر تشرين الأول ( أكتوبر ) فقطعها على ما كانت مشاة به من الخروج وعلى الرغم من غارة السكان الجبليين عليه فوقع كثير من الرجال والخيول في الاناويات . وقضى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الالب وصعب عليه النزول لأن المغيق الذي كان يجب عليهم السير فيه غطته الثلوج والصقيع فأتقضى لجيشه أن يتخذ له طريقاً يحفزه في البحر ولم يصل إلى السهل إلا وقد أصبح جيشه نصف ما كان : ثم لقي هانيبال ثلاثة جيوش رومانية في مسافة متدانية على شاطئ نهر تيسين وضفة نهر ترييا بالقرب من بحيرة ترازيمين في انروربا فهزمها كلها وكان كلما تقدم إلى الامام يزداد جيشه وينضم المحاربون من الغاليين « إيطاليا الشمالية » تحت لوائه ليجندموه وينصروه على الرومانيين

فاجتاز هانيبال إيطاليا واتخذ لنزوله إقليم ابوليا في الجهة الثانية لرومية فهاجمه فيها الجيش الروماني . وكان جيشه نصف جيش ولكن كان معه فرسانه الأفريقيون يركبون خيولاً سريعة وقد رابط في سهل « كان » بحيث جعل الرومانيين يقابلون بوجوههم الشمس والتراب الذي تنثره الريح فاحاط القوسان بالجيش الروماني احاطة السوار بالمعصم وذبحوه عن آخره ( ٢١٦ ) وكان يظن أن هانيبال سيؤلف على رومية إلا أنه لم يكن على نعيمة تامة . وهكذا غلظ هانيبال في إيطاليا الجنوبية تسع ستين يحاول أن يفصل عن رومية الشعوب الخائفة لها ولم ينبعث إلا بالاستيلاء على بعض مدن حاصرها الرومان وخربها

وبعد ذلك سافر أخوه اسدروبال في جيش إسبانيا للاتفاق به فوصل إلى اوساط بلاد إيطاليا فسار الجيشان القرطاجيان أحدهما على الآخر يقابل كلاهما جيش روماني بقيادة أحد حكام الرومان . وكان يهيدون محاذيها لانيبال فجراً على قطع إيطاليا الوسطى لينضم إلى رصيفه مقابل اسدروبال . ولقد سمع اسدروبال في صبيحة ذات يوم الابواق تبوق مرتين في المعسكر الروماني وكان في ذلك إشارة إلى أنه كان في المعسكر اتصالان أو حاكمان فوقع في نفسه أن أخاه غلب وانهمز وأن الرومان يطاردهونه وأنه قتل وذبح جيشه عن بكرة أبيه ثم رجع يهيدون إلى الجيش الذي غادره أمام هانيبال والتي في معسكر قرطاجنة رأس اسدروبال ( ٢٠٧ )

فلم يبق لهانيبال غير قوته يتصمم بها واقام خمس سنين في اقليم كالابروما كره على الخروج من ايطاليا الا لما علم بان جيشا رومانيا كان نزل الى افريقية واخذ يهدد قرطاجنة فذبح هانيبال الجند الايطالي الذي اتى للاتحاق به وركب البحر الى افريقية (٢٠٣) وانتهت الحرب بروعة زاما (٢٠٣) وكان هانيبال اعتمد بحسب عادته ان يسوق الجيش الروماني الى الدخول في صفوفه ولكن القائد الروماني سيون ثبت مع جيشه وما كانت الا هجمة واختبا حتى ركب هذا اكتاف عدوه وهزم جيشه شمر هزيمة .

فاضطرت قرطاجنة الى عقد الصلح وتنازات عن كل ما تملكه خارج افريقية وتركنت اسبانيا للرومانيين . واضطرت زيادة على ذلك الى تسليم سفنها وفيلتها وان تدفع مبلغان المال يربو على خمسين مليوناً من الفرنكات وتمهدت بان لا تعلن حرباً قبل الاستئذان من رومية . وكانت عاقبة الحرب الثالثة ( من سنة ١٤٩ الى ١٤٦ ) القضاء على قرطاجنة فطال حصار الرومان كثيراً لما حتى اخذوها عنوة وجعلوا عاليها سافلها ونهضوا اقليمها واعمالها وجعلوها ولاية افريقية خاضعة للسلاطنة .

مكدونية والشرق - كانت ملوك اليونان اخلاف قواد الاسكندر اقتسموا الشرق وحارب اعظمهم سطوة مملكة رومية وغلبوا مثل ملك مكدونية فيليب سنة ١٩٧ وابنه برمي سنة ١٦٨ وملك سورية انطيوخوس سنة ١٩٠ وهكذا خلا الجول الرومانيين فاخذوا يفتحون البلاد التي يرونها ثنائتهم واحدة بعد اخرى فافتقروا مكدونية سنة ١٤٨ ومملكة فرغانة (١٢٩) وبقية آسيا ( من سنة ١٧٤ الى ٦٤ ) بعد هزيمة ميتريداتس ومصر (٣٠) وما عدا مكدونية لم يندب الشرق لقتالهم غير جنود مستأجرة او برابرة غير منظمين ينفرون ايدي سبا لاول صدمة يلقونها . ولم يقتل في الغلبة العظمى على انطيوخوس سبعة مائتاً واربعة وثمانين رجلاً سوى ٣٥٠ جندياً رومانياً وانفجرت سيللا بانه لم يفتقد من جيشه في شيرونيا سوى اثني عشر جندياً .

ودخل الرعب قلوب سائر الملوك فغضوا السلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فان انطيوخوس العظيم ملك سورية بعد ان فتح جزءاً من ديار مصر جاهد بونيبولس مندوبا من قبل مجلس الشيوخ بأمره بالجللاء عما بسط يده عليه من البلاد فتدرد انطيوخوس وكان بيد بونيبولس محبنة فاخضع بها في الارض خطوطاً حول ملك سورية وقال له : اجب مجلس الشيوخ قبل ان تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لك . فلم يسمع انطيوخوس الا الخضوع والتي حبل مصر على غارمها . وجاهد بونيبولس ملك يثينا وقد حلق رأسه ولبس ثياب العبد المنقذ وركب امام مجلس الشيوخ الروماني . وحاول ميتريداتس ملك بون ان يقاوم



وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (٦٣ - ٨٩) واضطر الى ان يتناول السم و يقول يدي لا بيد عمرو :

اسبانيا وغاليا الجنوبية — لم يستطع الرومان ان يتغلبوا على الشعوب البربرية والمحاربين في الغرب بادنى سبب كما تغلبوا على غيرهم فقصوا قرناً لاختضاع اسبانيا لسلطانهم . وقد نأوشهم الحرب في جبال البرنقال رجل من الرعاة اسمه فيرياث ( ١٤٩ - ١٣٩ ) وهزم خمسة جيوش واكره احد قتاصل الرومان على عقد الصلح معه ولم يتخلص مجلس الشيوخ من شره الا بقتله . واهلك الاريفايكيون وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة جيوش رومانية واقتضى لرومية ان ترسل احد قوادها سيبيون للاستيلاء على عاصمة تلك البلاد وهي المدينة الصغرى المسماة نومانس . وكانت الشعوب الصغيرة الخاضعة في صيتها المتعصمة في جبال جين كثيرًا ما نأوش الرومانيين القتال . وكان الغاليون اشد الاعداء على رومية وهم منتشرون في جميع سهل بوزحفون على ايطاليا الجنوبية وقد استولت احدى عصاباتهم على رومية سنة ٣٩٠ فكان جندهم يدخل القرى على قلوب الجنود الروماني باجسامهم الضخمة البيضاء وسبلاتهم الطويلة الشفرات وحيونهم الزرقاء واصواتهم التي تعج فيبلغ صداها عنان السماء . والخوف يستولي على رومية عند ما يلفها حجيء العسكر الغالي فيصدر مجلس الشيوخ امره بجمع عامة الجنود .

وكانت هذه الحروب شديدة جداً ولكنها نفع اوزارها في الحال ففي الحرب الاولى استولى الرومان على اقليم غاليا المعروف بسيزالين اي ايطاليا الشمالية ونشبت الحرب الثانية ( ١٢٠ ) للدفاع عن مازسليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي واخضعت رومية بلاد الرون وشاطيء البحر الرومي ( اقليم لانكدوك و يروفانس ودولينه )

### عواقب الفتح

سريان الاصطلاحات اليونانية — ان الفتح هي التي دعت الرومان الى رؤية الروم والمشاركة عن أم فاستوطن رومية الوف من اليونان جاؤوا ماسرى او للاتجار وتعاطى بعضهم الطب وآخرين التعليم وغيرهم العرافة وغيرهم التمثيل . وكان القواد والضباط والجنود الرومانيون يعيشون في آسيا وسط الشعوب التي تتكلم اليونانية فتحققوا باخلاق اليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعتقدات جديدة لم يكن لهم بها عهد واخذوا يملكون بها على التدرج وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكثونية الاولى ( ٢٠٠ ) ودام الى اواخر المملكة الرومانية القائدان كاتون وسييون — يينا كانت الاخلاق تتغير اشتهر احد رجالهم كاتون باحتفاظه بادات اصلافة . ولد هذا الرجل سنة ٢٥٤ في بلدة توسكولوم وقضى شبخته في الحرب

وانكثرت وفي السابعة عشرة من سنه دخل في الجيش بحسب العادة المتبعة واشترك في عامة الحملات على هانيبال . ولم يكن من الاشراف ولكنه اشتهر بقوته واستقامته وزهده وقد انتجب مرات وزيراً للولاية وناظراً للابنية والملاعب وقاضياً وقصلاً ووكيلاً للاحصاء وشغل مناصب الشرف عامة وكان في جميع حالاته على قدم قداماء الرومان فاسيماً جافاً محسناً وقد وُجِّعَ فصله عند ما كان وزيراً للولاية وكان القنصل سبيون غالب هانيبال فاجابه لست في حاجة الى ناظر مدقق مثلك الى هذا الحد . ولما عين ناظراً للابنية والملاعب في ساردينيا ابى ان يس المال الذي دفعته اليه تلك الولاية للنفقة . ولما صار قصلاً تكلم بشدة عن قانون اوييا القاضي بالخطر على النساء الرومانيات بان لا يتزين بالحلي الثمينة فلفظت النساء بطلهن وألقي ذلك القانون . ولما ذهب لقيادة الجيش الروماني في اسبانيا اتى باموال طائلة دفعها الى خزانة الامبراطورية وباع حصانه عند ما ركب البحر ليقتصد من نفقات نقله ولما عين وكيلاً للاحصاء اسقط من قائمة مجلس الشيوخ عدة من الاعاظم لا عرفوا به من الترف والبنخ واحال جباية الاموال الاميرية بثمان عاا وقدر حل النساء وزيتبن وعربانتهن بمشرة اضعاف ما تساوي وبعد ان خففت له اعلام التمرد يستكشف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطاً بسيطاً .

سرف كاتون حياته في مناهضة الاشراف والنفس من بذخهم وتزلفهم وتعلمهم وحمل خاصة على امثال القائد سبيون متعها اباهم بالاختلاس الا انه لم يجح هو ايضاً من الصاق التهم به فاتهم اربعاً واربعين مرة ولكنه كان يبرأ كلما اتهم . وكان يحرث ارضه مع عبيده ويواكلهم ويضربهم بالعصي متى رآهم يجيدون عن جادة الصواب وقد ذكر في رسالته في الزراعة التي كتبها الى ابنه جميع ما كان يأتي الفلاحين الرومانيين من الامدادات ويرى ان من الواجب على المرء ان يقتني وكان يقول : « للارملة ان تعرف من مالها وعلى الرجل ان يزيد وكل من شهد دفن حبيبته بعد موته بانه ربح اكثر مما ورث حبيب بالهرة ومعلم من الارباب » ولا رأى ان الزراعة لا تأتيه بازباح طائلة اخذ يقرض حاله ليجهز به سفناً تجارية واتخذ له خمسين شريكاً جهزوا كلهم مائة وخمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الاخطار التي تنال سفنهم والارباح التي تأتيهم بها . وعلى هذا كان كاتون زارعاً طمراً وجندياً عظيماً عدواً للبنخ حريصاً على الكسب فهو مثال الروماني الاصيل والموذج القليلة والثبات وعلى العكس منه كان القائد سبيون مثلاً للاهتمام بالهنوز والافكار الفلسفية اليونانية فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة ونومانس يتكلم باليونانية وهو محدثي الموضع اليوناني بوليبي الذي أسك في رومية رهينة . ولم يكن منهم يجمع المال ويضعه الى شقيقاته

دفعة واحدة مبلغاً من المال كان عليه ان لا يدفعه اليهن الا في اوقات مختلفة وتنازل لآخره وكان اقل منه مالاً عن حصته في ارض ابيه ولم يختلف بعده سوى كمية قليلة جداً من الاواني الذهبية والفضية .

الاخلاق القديمة — مضى زمن طويل على قدماء الرومانيين وهم يتوفرون على زرع حقولهم وقتال عدوم والقيام بفرائض دينهم حتى كانوا حقاً الرقيقين العالمين الجفاة . فكانوا يزرعون جانباً صغيراً من اقليم لايتوم اولاسابين وهم من نسل اللاتين والايطاليين الذين تقلبت عليهم رومية . وقد صور لنا الشيخ كاتون في كتاب له في الزراعة شيئاً من اخلاقهم بقوله : كان اجدادنا اذا أرادوا الثناء على رجل يصفونه بأنه زارع ماهر وحرث مجيد وهذا غاية ما يمدح به انسان (١)

فكان هؤلاء الزراع أشداء في اعمالهم واهل طمع في مكاسبهم وتنظم في شؤنهم واقتصاد في نفقاتهم وبذلك كانوا قوة الجيوش الرومانية . ولطالما تألف منهم مجلس الامة أيضاً وكانت لهم القوة العظمى في الانتخابات . فيجيء الاشراف الذين يعطون في ان يتقربوا حكماً الى ساحة السوق ليهزوا أيدي هؤلاء الفلاحين . رأى أحد المرشحين انقسم للانتخابات يد احد الحزبين وهي شئنة غليظة : ألمه : هل تمشي على يديك ؟ وكان السائل من الاشراف ينتسب الى أسرة كبيرة ولكنه لم ينتخب

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبة واحدة لانظام في بنائها وكان الاثريوم أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس وهو مكشوف من أعلاه ينزل منه ماء المطر . والاثاث عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب . وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء معمول بالبر ومن خبز وبيض بقول وما كانوا يتناولون اللحوم الا في الاعياد وما شرب النساء الخمر قط والرجال يتناولون منه على الندرة . ولباسهم عبارة عن قميص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد . ويلبس الوطنيون في أيام الاعياد حلة من الصوف مزينة من جهة العنق ويلبسون في ارجلهم نعالاً مناطة بسيور . ويقضون حياتهم في التوفر على اعمالهم فالرجال يصطادون دون أن يحرقوا او النساء ينزلن الصوف ويسجن الاقشة ويطن الحبوب ليصلها برآ . ولم يكن للرومانيين من ضرورب التسلية الا ان يذهبوا كل تسعة أيام الى السوق أو يحضروا الاعياد التي تقام اكراماً للارباب

كأن يرى قدماء الرومان ان الرجل الشديد هو غاية ما تطمح اليه الآمال ويقال ان

(١) وقد اورد أيضاً شيئاً من امثالهم القديمة منها : « ادنى الزراع من يتاح شيئاً من ثمنه له ارضه » « واحط المقتصد من يعمل في النهار ما يتأق له ان يعمل في الليل »

ان سينتاتوس كان يسوق محراثه بنفسه عند ما اتاه نواب الامة من قبل مجلس الشيوخ بدفعون اليه الامر بتنصيبه . ولم يكن عند فايريسيوس من الاواني غير كأس وملعة من فضة . وكان كوربوس واتاتوس وهو غالب السامنتيين جالساً على مقعد يأكل قهولاً في قصعة من خشب عند ما اتاه مذبحيو السامنتيين ليقدموا اليه المال فقال لهم : اذبحوا وقولوا للسامنتيين ان كوربوس يؤثر ان يقود من عندهم ذهب أكثر مما يؤثر ان يكون هو مالكاً له . هذه هي بعض الاقاصيص التي يروونها عن قواد الازمنة القديمة وسواء كانت حقيقية او ملفقة فانها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون اليه بشأن قداماء اجدادهم .

الاخلاق الجديدة - اخذ كثير من الرومانيين بعد القرن الثاني ولا سيما طبقة الاشراف يقلدون الاجانب . وكان زعمائهم قواداً رأوا بلاد اليونان والشرق عن أم فكثبت الغلبة لسبيون على ملك سورية ولقلانيوس وبولس اميل على ملوك مكدونية ثم للوكلوس على ملك ارمينية . فمزقت نفوسهم عن الحياة القاسية الصعبة التي كان نيليا اجدادهم وأخذوا يسبون في حياتهم على البذخ والرفاهية وما زال الحال كذلك حتى نسيج على منوالهم عامة النبلاء والاغنياء بحيث لم يطلع فجر القرن الاول حتى لم يعد في ايطاليا الاسادة عظام يعيشون المعيشة الشرقية او اليونانية

يرى الشرقيون من دواعي انجذب ان يعرضوا للانظار الاقنعة البديعة . والاحجار الكريمة واثاث الفضة وأواني الذهب وان يستكثروا في يوتهم من الخدم على غير طائل وان ينشروا على الشعب المجتمع دراهم ليدعشوم (١) فكانوا يرغبون في الاعلاق الثينة الدادرة أكثر من رغبتهم في النفائس الجميلة المناسبة

واسمح للرومان على شدة عجبهم وضمف استمدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب من البذخ فكانوا قلما يحفلون بالجمال أو بالموافق ولم يعرفوا قط الا الابهة والنفخعة فانثروا لهم يوتاً ذات حدائق متسعة وحشروا اليها التائيل واقاموا فيها المصايف الزاهية التي تمتد الى البحر وسط الحدائق المتسعة واستكثروا من الخدم والحشم وأخذوا هم ونساءهم يتناضون عن ألبستهم الممولة من الصوف بالشفوف (برنحك - اكريشة) واكسية الحرير والذهب . ويفرشون في ولائمهم بسطاً مطرزة وديارات من الأرجوان وأواني من ذهب وقصعة (وكان عند الحاكم سيلاً مئة وخمسون صحفة من الفضة ووزن ما عند ماركوس وروزوس من الاواني الفضية عشرة آلاف ليرة) واذا ظل العامة يأكلون قنوداً يجسب عادة الشعوب

(١) تجد مثلاً من هذا الذوق الشرقي في الابهة الباطلة التي نحتل لك في حكايات

الف ليلة وليلة

الجزء ١٠

(٧٩)

المجلد ٣ من المتن

الاطالية القديمة فالخاصة من الاغنياء اتبعوا العادة الشرقية في الاكل مضطجعين على سرورهم ثم سرت عادة التأنيق في المآكل على الاسلوب الشرقي والاستكثار في المطاعم من الابازير والصباغ (سلسا) والعيد والسمك الغريب ومخاض الطواويس والسنة الطيور واستمحم منهم السرف حتى تقدمت أحد الحكام سنة ١٥٢ وقد ذكر في وصيته قوله «لالم يكن الاكرام الحقيقي عبارة عن أبنية باطلة بل هولند كرافدار المتوف وأجداده فلانا أمر أولادي ان لا ينفقوا على جنازتها أكثر من مليون آس (مئة الف فرنك)»

العلوم الادبية اليونانية — رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتايل والالواح التي كانت منذ قرون تفضى بها المدن وعرفوا الادباء والفلاسفة فصار لبعضهم ذوق في الصنائع النفيسة واولع آخرون بالحياة العقلية فجعل امثال القائد سبيون حولم اناساً من اليونان الثورين ولم تطعم نفس بولس اميل من جميع الثنائ التي غنمها جيشه من مكيدونية الا الى الاستيلاء على مملكة الملك برمي وعهد بتربية اولاده الى اساتذة يونان وبذلك صارت الكتابة والتكلم باللغة اليونانية من الامور المسخرة في رومية (١) واراد الاشراف ان يظهرها في مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجلبوا بالالوف التايل وقز كورنت المشهور وملأوا بها بيوتهم . ودخل في ملك الحاكم فريس شي كثير من النفائس والاعلاق جعلها في رواق وكانت مما نهبه من صقلية .

وهكذا اخذ الرومان على التدرج من الفنون ظواهرها ومن الآداب اليونانية قشورها . وسمي هذا التهذيب الجديد فن الادب معارضة للخشونة التي كان عليها اهل الزيف من الرومان ومع هذا لم تكن الا قشوراً فقط فلم يعرف الرومان ان الجمال والحقيقة يرغب فيهما لذاتهما بل كانت الصناعات والعلوم عندهم اموراً يقصد بها الزينة والبذخ ليس الا . ولم يكن الرومان على عهد شيشرون يعتبرون من اهل الاعمال غير الجندي والحراث والسياسي والتاجر او المحامي اما الكتابة والتأليف والاشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكل ذلك كان يسمي عندهم بطالة . وما قط اصاب ارباب الفنون والعلماء من الاعتبار في رومية ما يساوهم بتاجر غني . قال لوسين احد كتاب اليونان : « متى صرت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع الف قطعة بدبغة من النقوش لا يرغب احد ان يتقبل مثالك لانك معها بائت من الخدمة لا يطلق عليك الا لقب صانع ولست اذ ذاك غير رجل يعيش بكده يمنه »

(١) ولذلك كان يخاف الشيخ كاتون عادية اليونان وقد كتب لابنه ما يأتي : اقول ان ملاحظته في آتية ان هذا الجنس من اخبث الاجناس واصعبها مراساً الا فاستمع لما اقول كما تسمع لما تف رباتي الا ان هذه الامة اليونانية كلها انتنا بصناعاتها تفسدنا كانتا

لوكوس — ولد لوكوس وهو مثال الروماني الحديث سنة ١٤٥ من أسرة شريفة وغنية جداً ولما سهل دخوله في سلك ارباب المناصب والشرف واشتهر في غزواته الاولى بانه يعطف على المغلوبين ويمازحهم باللطف ثم عين قنصلاً وقاد الجيش الذي انتدب لفتح مال ميتريداس . وقد رأى سكان آسيا ساعطين من كثرة السرقة وفظاعة العشارين يعني يجعل حد لتلك الاعمال وحظر على جنده ان ينهبوا المدن المغلوبة وبذلك جلب اليه حبب الآسيويين الباطل وبغض العشارين والجنود الخطور . فهدت الدساس لتستدعيه حكومته وكان قد هزم ميتريداس واخذ يطارده وهو سائر الى حليفه ملك ارمينية وقد هزم جيشاً من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين الف مقاتل فخلبت منه القيادة وسلمت الى نديم العشارين وحبيهم بومي

واذ ذلك اعتزل لوكوس الاعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الثروة واصبح يتألف في احياء رومية حدائق غلبا وله في نابولي مصيف قام في البحر مبنياً بالحجر الصلد . وفيه توسكولوم قصر صيفي وفيه مقف للاعلاق والنفائس فكان يقضي الصيف في توسكولوم بين اصحابه وجماعة العلماء واهل الادب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الادب والفلسفة . وتروى عن بذخه حكايات كثيرة . منها انه كان ذات يوم يتفدى وحده لراى مائده اكثر بساطة من العادة فوجع الطامي فاعتذر بقوله ان عدم وجود الضيوف هو الذي دعاه الى تقليل المأكل فاجابه لوكوس : « اما علمت ان لوكوس يتفدى اليوم عند لوكوس ؟ » ودعا يوماً قصير وشيخرون فقبلا دعوته على شرط ان لا يغير شيئاً من عادته فاكفى لوكوس بان يقول لاحد الخدمه فقط اجعل الطعام في قاعة ايولون وكانت المائدة على غاية من التأنق بحيث عجب منها المدعوان . ولما سئل عن اخلاصه بشرط الضيافة قال انه لم يأمر بشيء وان نقعات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها وان بسط الموائد في قاعة ايولون لا يمكن ان يكلف اقل من خمسين الف فرنك

وظل لوكوس في رومية يمثل الاخلاق الجديدة كما كان كاتون يمثل الاخلاق القديمة ويرى قدماء الرومان ان كاتون هو الروماني الصالح وان لوكوس هو الروماني الفاسد ومع هذا فقد كان لوكوس يمتدح عن عادة الاجداد ولذلك كان واسع المدارك حسن التربية لطيف المأثق مقلوباً راعى العطف على الخدم والرعايا .

### الانقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة — لم يكن بين ارباب الرومان وارباب اليونان من شبه حتى في الامم ومع هذا اعتقد اليونان بان معظم الارباب المعبودة في رومية كانت اربابهم اجنوا

أن يمتزجوا بها كملك . والى ذلك العهد لم يكن للارباب الرومانية شكل خاص ولا تاريخ مميز وهذا مادعا الى الارتباك في حالتها فجرى تمثيل كل رب روماني على صورة رب يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات .

تغلطوا بين المشتري اللاتيني وزيروس اليوناني وجنون مع هيرا ومنيرفا ربة الذكوة مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع اريتمس الصيادة البديعة ومزجوا هر كول رب السواد مع كليس الغالب على الفيلان . وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت اسماء لاتينية واستحال ارباب رومية الى ارباب يونان . امتزجت الارباب بعضها ببعض حتى اعتدنا ان نطلق على الارباب اليونانية اسماء لاتينية فلا تزال نقول اريتمس ديان وبالاس منيرفا . والميثولوجيا اليونانية اعتاد الرومان ان يصوروا اربابهم في تماثيل كما اقتبسوا أيضاً بعض الاحتفالات اليونانية وكانت الحكومة الرومانية ادخلت الى بلادها عبادة ايولون وبدأ بعض الافراد يعبدون باخوس رب انكرمة . ويحتفلون بعبادته باخوس ببادته من الليل سرّاً ولا يطمعون احد على خذلها العادة الباخوسية واخذ المجلس يفتق فرأى المتعبدين بهذه العبادة سيمائة شخص بين رجال ونساء اشتركوا معاً في هذه الاسرار فقص عليهم بالموت .

ثم ان الرومان اخذوا ايضاً يعبدون ما يعبد شعوب الشرق فقد كان سنة ٢٢٠ سنة رومية مصداً لرب سيرايس المصري فامر مجلس الشيوخ بهدمه فلم يجر احد الفعل على ذلك وبقي المبدل لا يمس بسوء حتى جاء القنصل بنفسه ففرض ابوابه بالقأس وبعد سنين اي في سنة ٢٠٤ خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ الى آسيا الصغرى يوفد لبحث عن المعبودة سيبيلا وكانت هذه الام الكبرى كما كانوا يدعونها مصورة على حجر اسود ذات بها مندوب مجلس الشيوخ باحتفال حافل وجعلوها في رومية وقد لحق بها كهنتها واخذوا يطوفون الشوارع على اصوات الزامير والصنوج لابين البسة شرقية ! توكفون الاكف على الابواب

ثم غشت بلاد ايطاليا بالهجرة من الكلدان ولم يكن العامة يعتقدون وحدهم بهؤلاء العرافين . ولا عدد برباة السحرة مدينة رومية سنة ١٠٤ تقدمت عرافة من سورية اسمها مارتا فذهبت على مجلس الشيوخ الروماني بانها تتوسط في خلبه رومية على عدوتهم فطردوا مجلس الشيوخ ولكن النساء الرومانيات يثنن بها الى المسكر فابقاها مازيروس القائد العام لدهوما فتيه ياخذها اليها الى ان وضعت الحرب اوزارها . ورأى سيللا في نوم مرة كابودسيا فعمل بتصميمها وسار الى ايطاليا .

الفسطاطيون — لم يكن يأ تي الى رومية كهنه وعرافون فقط بل كان ينزل فيها فلاسفة  
 يحقرون الدين القديم . ومن اشهرهم كارنياد سفير الآثينيين فانه كان يصرح بانفكاره في  
 رومية امام الجمهور فيخف شبان الرومان الى سماع اقواله حتى اراده مجلس الشيوخ على الخروج  
 من المدينة الا ان الفلاسفة ظلوا على بث مبادئهم في رودس وأثينة حتى أصبح من السنن  
 المألوفة ان يبحث الرومان بفتيانهم الى تينك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف ايشعير اليوناني كتاباً يني فيه وجود الارباب وانها ليست  
 الا رجالاً ألهمهم الناس حتى ان الماتري نفسه كان ملكاً على كريت . فانتشر كتابه اي انتشار  
 وقته الشاعر انيوس باللاتينية . وعلى هذا النحو اخذ اشراف رومية يتخفون من اربابهم  
 ولم يقوا من الدين القديم الا على مراسيمه وغولمه (١) وكان ادل الطبقة العالية في  
 المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يتقنون بالخرافات اعتقاد فسطاطيين لا يؤمنون بشيء  
 الحياة العقلية — كان غاية ما يعلم اليونان الاقدمون اولادهم القراءة فقط في الزمن الذي

كان فيه يوليوس في رومية ( قبل سنة ٦٥٠ ) ويهدد المحدثون من الرومان بتعليم ابنائهم  
 الى مربين من اليونان ولقداء الفتح اناس من اليونان في رومية مدارس لتعليم الشعر والبلاغة  
 والموسيقى . وكانت الاسرات الكبرى تنقسم الى اناس يتعلمون على الطريقة القديمة وآخري  
 على الحديثة . ولكن بقي في الاذهان شيء من الموسيقى والرقص فكانوا ينظرون اليها بانها  
 من الصناعات الميئنة بمن يتعاطاها اذا كان كرمي المحدث . قال سيون اميلين حامي اليونان  
 في كلامه على مدرسة رقص كان يختلف اليها بنون وبنات من الخاصة : ما كنت اتوم  
 عند ما ذكر لي ذلك ان اناساً من الاشراف يعلمون مثل هذه الامور لاولادهم ولما اخذوا  
 يهدي الى مدرسة الرقص رأيت فيها زهاء خمسمائة صبي وفتى وفي جملتهم ولداً شريكاً  
 في الثانية عشرة من عمره وهو احد المرشحين للانتخابات يرقص على نفقات البوق « كروتال »  
 وقال سالوست في كلامه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار انها كانت تضرب على الطنبور  
 وترقص احسن مما يليق بامرأة محتشمة .

التربية — استهوى نساء الرومان حب الاديان الشرقية والبنخ الشرقي في اسرع ما يكون  
 فكان يذهبن زرافات زرافات الى معابد باخوس ومسانجد ايزيس . وقد صفت لمن قوانين  
 لينتسب بها من ليس الالبسة الثينة وركوب العجلات واتخاذ الحلي والجواهر ولم تلبث ان ألغيت  
 فصار النساء في حل من ان يلبسن كالرجال ما يشأن . واقطع النساء الثيللات عن العمل  
 والجلوس في بيوتهن واتشأن يخرجن في ابهة ويختلفن الى دور التحليل والملاعب والحمامات

(١) قال شيشرون : يجب ان نبقى على عادة اخذ الطالع ثلاث نغمس العامة في معتقداتهم



والاجتماعات . واذا كنّ بلا عمل ومن الجهل على جانب سرى الفساد اليهن في الحال حتى اصبح النساء الطاهرات في طبقة الاشراف من النوادر

سقط النظام القديم في تربية الاسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته وابتدعوا ضرباً جديداً من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف ابنيها ولا يكون للزوج ادنى سلطة عليها وكان الآباء يجهزون بناتهم بجهاز وصادق ليصلوهن اكثر استقلالاً .

وكان من حق الزوج وحده ان يطلق امرأته ومن المأذون ان لا يحاد عن هذا الحق الا في احوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق ان تترك زوجها واصبح منذ ذلك العهد من اثنين الذين ان يفهم الزوجان عرى ارتباطهما ولم يعودا يحتاجان الى حكم حاكم ولا الى سبب مشروع ويكفي احد الزوجين متى استاء من زوجه ان يقول له : « احمل ما يخصك واعد لي ما املكه » وبعد الطلاق يتيسر لكل منها بل للمرأة ايضاً ان تزوجا في الحال .

وبلغت الحال في الطبقة الرومانية العالية ان تعتبر الزواج عقداً مؤقتاً فقد تزوج سيللا بنخمس نساو فيصر باربع وبومي بنخمس وانطوليوس باربع . وتزوجت ابنة شيشرون من ثلاثة رجال وطلق هورتانسيون زوجته ليزوجها من احد اصدقائه

بيد ان هذا الفساد لم يصب غير اشراف رومية ومن هذا حذوهم من اهل النعمة الحديثة اما في اسر رومية والولايات فقد حفظت قروناً آداب الدور القديم القاسية الشديدة واخذت تربية الاسرة ترق شيئاً فشيئاً والمرأة تحور من استبداد الرجل يبطه

### التبدل الاجتماعي

زوال الطبقة الوسطى — كان الشعب الروماني القديم مؤلفاً من صفات ارباب الاملاك وهم يتعاطون زراعة حقولهم بانفسهم ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الاقوياء يتألف الجيش والمجلس . وكان عددهم كثيراً سنة ٢٢١ خلال الحرب الفينيقية الثانية . وفي سنة ١٣٣ لم يبق منهم احد . لا جرم انه هلك منهم كثيرون في الحروب التي اعلنتها رومية على البلاد القاطية ولكن هلاكهم يحمل في الاكثر على انه كان من المتعذر عليهم البقاء . فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عند ما اخذت ترد على رومية جنوب صقلية وافريقية فسقطت اسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحراثين الايطاليين ان يستخرجوا من غلاتهم ما ينذون به اسراتهم ويقوموا اعباء الخدمة العسكرية ففقي عليهم من ثم ان يبيعوا حقولهم ويتناح كل غني من جاره الفقير ارضه فقدت الحقول الصغيرة ملكاً عظيماً لواحد ويصير ارباب الاملاك من تلك الاراضي مروجاً يقيمون فيها . يتعم اذا عن لم ان يزرعوها فبمشون اليها برعاة وحراثين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على ارض ايطاليا

الا بعض كبار ارباب الاملاك وجماعات من العبيد . وكان بلين القديم يقول ان الاملاك العظيمة قد اخطأت ايطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى هي التي قضت في الاريف على احرار الفلاحين . فصاحب الارض القديم الذي اباع حقله لم يستطع ان يبق اجيراً بن قضي عليه ان ينقل عن مكانه ليحل محله العبيد وبذا اصبح دائماً على وجهه لعماله له ولا شغل قال فارون في رسالته في الزراعة ان معظم زعماء الاسرات دخلوا يونانا تاركين المنجل والمحراث وآبوا يؤثرون التصفيق بايديهم في الملاعب على العمل في حقولهم وكروبيهم .

الطبقات الاجتماعية - ليس الشعب في رومية كاهو في يونان عبارة عن مجموع السكان بل هو مجموع الوطنيين ولا يعد وطنياً كل رجل ينزل أرض البلاد بل الوطني هو الذي له حق الانتماء بحقوق الوطنية . وللوطني عدة امتيازات فله الحق وحده ان يكون عضواً في الهيئة السياسية وله الحق وحده ان يقترع في مجالس الشعب الروماني وان يتقدم سيفه الجيوش الرومانية ويحضر احتفالات رومية المقدسة ويختبأ حاكماً رومانياً وهذا مايسمونه بالحقوق العامة . والوطني الحق وحده ان يحميه القانون الروماني ويحق له فقط ان يتزوج على طريفة مشروعة ويكون رب أسرة أي حاكماً مطلقاً على زوجته وأولاده وان يوصي بما يشاء ويبيع ويتابع من يشاء وهذا مايسمونه بالحقوق الخاصة .

ولا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة في الجيش والمجلس فقط بل لايسوغ لهم ان يكونوا ازواجاً ولا آباء والا أصحاب أملاك مشروعة ولا ان يتقاضوا الى القانون الروماني ويحاكموا في الحاكم الرومانية ولذا تألفت من الوطنيين طبقة من الاشراف بين سواد الامة من غير طبقتهم وهم لا يتساوون بينهم أيضاً . وبينهم فرق في الطبقات أو كما يقول الرومان في الصفوف .

النبل - النبلاء هم في الصف الأول من الامة فكل وطني يعد في النبلاء اذا سبق لاحد أجداده ان تولى شيئاً من امر الامة لان الحكم في رومية من علاء الشرف ينبل به من تولاه كما يكون بضعة شرف لاختلافه من بعده . اذا انصب احد من الوطنيين ناظرًا للملاعب والابنية أو قاضياً أو قنصلاً تنقل عليه خلة مطرزة بالارجوان ويمنح كرسياً كالعرش ويحق له ان يرسم ويصور . وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تحمل من الشمع اولاً ثم تعلق بالقضة وتجعل في مزار الدار (اتويوم) بالقرب من الكانون وارباب البيت وتجعل في مخادع خاصة بها كما تجعل الاصنام ويبعدها الثرية من اهل البيت . ومضى مات احد في الاسرة يخرجون الصور ويحرقونها على مركبة في موكبها يأخذ احد انبياء المتوفى بمد صفاته ويرثيه . وهذه الصور هي التي تشرف الاسرة كلها احتفلت بها وكلما كثرت الصور في

أسرة تزداد شرقاً فيقولون فلان شريف بصورة أو شريف بعدة صور . والامر الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها أكثر من ثلثائة أسرة الان المناصب التي تولي صاحبها شرقاً توسد في الغالب الى اناس حازوا الشرف من قبل  
الفرسان - تجيىه طبقة الفرسان بعد طبقة النبلاء . وهم أغنياء الوطنيين الذين لم يبعد لهم جدود من الحكماء فقيد ثرواتهم في سجلات الاحصاء وينبغي ان لا يقل ما يملكه اقدم عن اربعمائة الف سسترس ( او مئة الف فرنك ) منهم التجار والصيارف والملتزمون وهم لا يمكنون بل يقتنون . ولهم في دور التمثيل اما كن خاصة بهم تقع الى ما وراء مقاعد طبقة الاشراف . وربما ساء للفارس منهم ان يتخبط حاكما وعندها يدعونه الرجل الحديث انتموه يصبح ابنه شريفاً

العامة - العامة هم غير طبقة الاشراف والفرسان فهم جمهور الامة ويكونون من نسل ابناة البلاد في ايطاليا وينتقلون من فلاحين اصحاب املاك الى وطنيين ورومانيين . ويمد في طبقتهم البيد المتورقون او قدماء البيد وابناؤهم . ويحافظون على سميات اصولهم ولا يبدلون في خدمة الجيش الروماني ولا ينتخبون الا بعد غيرهم . ولقد مضت ازمان وصغار ارباب الاملاك يؤلفون السواد الاعظم من الامة وبينما كانت الارياض اصغر من قلة الناس غصت رومية بالواردين عليها فانهال عليها اليونان والسوريون والمصريون والاسياويون والافريقيون والاسبانيون والغاليون ممن اخذوا من بلادهم ويعموا بيع البيد ثم اعتقهم مواليهم فاصبحوا وطنيين ضافت بهم المدينة فبهر كانوا شعباً جديداً ليس له من الرومانية غير اسمها

خطب سبيون غازي فرطاجنة وتومانس جمهوراً من الناس في احدى الساحات فقاطعه العامة باصواتهم فقال لهم : « صر ايها الابناء الادعياء المختسبون لايطاليا زوراً نحن المبت ما نفعلون لان من جلبتهم الى رومية مقيدين لاهابهم ولو حلت قيودهم » وهذه الطبقة الجديدة من السوقة تعيش بكدها او يقضى على الحكومة ان نطمعها وقد اخذت الحكومة سنة ١٢٥ تقدم لعامة الوطنيين حنطة بنصف ثمنها المعتاد تأتي بها من صقلية وافريقية . ومنذ سنة ٦٣ اخذت توزع الحنطة مجاناً وتشفعها بزيوت . ورأى قيصر سنة ٤٦ ان من كانوا يتناولون هذه الجارية بلغوا ٣٣٠ الفا

البيد - جميع الاسرى وسكان البلد المفتوح ملك للفاتح يتصرف فيهم فاذا لبي عليهم ولم يقتلهم يستعبد لهم . هكذا كان الحق القديم . وقد ظل الرومان يملكون به بالحرف يعاملون الاسرى كأنهم بعض الخنمية يبيعونهم من الخاسين الذين يبعون الجيش واذا حملهم

الى رومية فانما يحملونهم ليعوم في المزاد (١) وهكذا كانوا يبعون عقيب كل حرب الوقا من الاسرى رجالاً ونساء والاولاد الذين يولدون من اسيرات يكونون اسرى كاهناتهم فالات المغلوبة للرومانيين هي مادة الوثيق الروماني

المبد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعتبار شخص بل اعتبار متاع فمن ثم ليس له حق من الحقوق فلا يكون وطنياً ولا مالكاً ولا زوجاً ولا اباً . قال احد الابطال في رواية مزلية رومانية : « اي شيء هذا أعرس عبيد ! ما اعجب عبد يتزوج ! ان هذا مخالف لعادة جماع الام » .

ولمولى جميع الحقوق على عبده يرسله حيث يريد ويشغله على ما يرى بل يشغله اكثر من طاقته ويطعمه اخشن طعام وبضربه ويمدبه ويقنله دون ان يسأله احد عما جرى . وعلى البد ان يخضع لرغائب سيده كلها . ويقول الرومان ان المبد لا وجدان له وان الواجب عليه ان يطيع مولاه طاعة عمياء فاذا قاوم اوابق من يئمه فالحكومة تعاون سيده على قمع جاحه او القبض عليه وكل من يؤذي عبداً آجلاً يجري عليه احكام اللصوص كأنه سارق بكرة او حصاناً لغيره .

والعبيد في المملكة الرومانية اكثر من الاحرار ويملك اغنياء الوطنيين من عشرة الى عشرين الف عبد وعند بعضهم منهم من يكفون لتجديد جيش كامل . وكان لسيبلوس ايزدوروس احد قدماء الصيد زهاء اربعة آلاف عبد وكان عند هوراس سبعة اعبدة فكان يشكو من فقره . ومن علام الفقر في رومية ان لا يملك المرء سوى ثلاثة اعبدة .

واذا كان العبيد يحملون اشق الاعمال او يسترسلون في البطالة مكرمين وهم ابد اعرضه للضرب بالسياط والتعذيب اصبحوا بحسب فطرم اما متوحشين اغبياء او اندالاً مستعبدين ومن كان منعم على شيء من الشهامة يتحرون وغيرهم يمشون كالاكلة العمياء . وكان الشيخ كاتون كثيراً ما يقول : على العبد دائماً ان يعمل او ينام . ومعظم العبيد يفقدون الاحساس والشرف ولذلك كانوا يقولون هذا عمل عبيد يريدون به انه دنيء وذلل

### الحياة السياسية

الحكام : ينتخب الشعب كل سنة رجالاً يتولون امره ويفوض اليهم السلطة المطلقة ويطلق عليهم اسم الحكام « اي ولاية الامر » فيسير امامهم حملة القروس يحملون حزمة

(١) . تقام سوق الرقيق في كل مدينة ذات شأن كما تقام سوق للبر والخل فيعرض المبد الذي يراد بيعه على دكة وقد نطقت في عنقه بطاقة كتبت فيها سنة وصفاته وعيوبه الجزء ١٠ (٨٠) المجلد ٣ من المجلد ٣

من القضاة وأفساً . ومعنى هذا الرمز أن الحاكم ان يضرب ويقتل على ما يراه مناسباً ومن حق الحاكم ايضاً ان يرأس مجلسي الامة والشيوخ وان يكون له محل سيج في المحكمة ويقود الجيوش وهو السيد المسود في كل مكان فيجمع المجلس ويفضه بحسب ما يرى ويصدر الاحكام برأيه وحده .

وفي زمن الحرب يفعل ما يشاء بالجند ويقتلهم دون الرجوع الى رأي ضباطهم . وقد كان مافليوس القائد الروماني في احدى الحروب التي اعلنت على اللاتين حظر على الجنود الخروج من المعسكر فلتنا احد المقاتلين من جيش العدو ابنه الى البارزة فخرج ليراه وقله فلم يعم مافليوس ان قبض على ابنه واعيدته في الحال .

ولها كم بحسب التعبير الروماني سلطة ملك ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذلك لانه لا يتخبط الا لسة واحدة وله رصفاء لم مثل سلطته في رومية قنصلان او حاكما يتوليان امر الامة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم او القيادة بالنيابة ويصدر الاحكام وهناك كثير من الحكام وسراقبان واربعة نظار للابنية والملاعب للنظر في الطر السامة والاسواق وعشرة محامين عن حقوق السوق وصياوفة يتولون النظر في خزائن المملكة الاحصاء — ارق الحكام هما الوكيلان الميطران وهما مكلفان كل خمس سنين بتنظيم احصاء للشعب الروماني فيمثل امام المكلفين باحصاء جميع ابناء البلاد لذكرواها وهم يقسمون الايمانات اسماءهم عند اولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في سجلات خاصة . والقائمان باحصاء الامة هما اللذان يكتبان قائمة باسماء اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والوطنيين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة ثم هما مكلفان ايضاً بان يحفلا احتفال الثريا وهي حفلة عظيمة تقام للتزكية كل خمس سنين فيجتمع ذاك اليوم عامة الوطنيين في ساحة المريج اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يجلسون ثلاث ضحايا لتكفر عن السيئات وهي عبارة عن ثور ونجعة وخنزير يخنقونها ويرشون المجلس بدنها وبذلك تصيح المدينة مزكاة مطهرة وسلاماً مع الارباب .

وللقائمين بالاحصاء الحق ان يقيدا وان يجعلا كل انسان في المنزلة التي ريانها ولما ان يجردا احد الشيوخ باسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ وان لا يحسب احد الفرسان في جملة اهل طبقته او يجرمان احد الوطنيين بان يحذف اسمهم من سجلات القبائل . ويسهل عليهم عقاب من يروهم مجرمين ويقيموا زان عن السيئات التي لا تقدر بمنطوق القانون . ولطالما رأوها يجردان الوطنيين لانهم لم يحسنوا التوفر على حقوقهم ولصرفهم كثيراً على خدمهم ومجنوا احد الشيوخ لانه كان يملك عشر ليبرات من الاواني الفضية واخر لانه اعمل تمهد قبور

جداً . وغيره لأنه طلق زوجته . هذه السلطة المقرطة هي ما يطلق الرومان عليه « حكومة الاخلاق » فوكيلا الاحصاء ما سيدا المدينة على الجلة .

جلسة مجلس الشيوخ — يتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلثائة رجل بينهم وكيل الاحصاء الا ان هذا لا يتصمم كيما اتفق فلا ينتخب من ابناء البلاد الا الاغنياء اصحاب الكفالة وسلاطة الاسرات الكبرى ومعظمهم من قدماء الحكام ويختار على الاغلب دائماً اناس كانوا في المجلس من قبل بحيث ان عضو مجلس الشيوخ يبقى في هذا المنصب طول حياته . فمجلس الشيوخ هو محل اجتماع امم رجال رومية ولذلك كانت لهم سلطة وسطوة

فاذا حدث امر يجمع احد الحكام اعضاء الشيوخ في احد المعابد يعرض عليهم المسألة ثم يسألم رأيهم فيها فيجيبه كل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف . فعندما يدعى اخذ رأي مجلس الشيوخ ويسطر الحاكم بعد ذلك رأي الاكثرية وهذا ما يسمى به مرسوم ديوان الاعيان او الشيوخ ويكون قراره عبارة عن رأي لان ليس من شئس الشيوخ ان يقن القوانين . يدان رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض . وللشعب ثقة بشيوخه لعله بانهم اكثر خبرة منه ولا يجرأ الحكام على مقاومة مجلس مؤلف من اكفاء يساؤونهم في الشرف . ولذلك كان المجلس ينفذ جميع المسائل فيقر الحرب ويعين عدد الجيوش ويقتل السفراء ويعقد السلم ويفرض الدخول والخروج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكام ينفذونها . وفي سنة ٢٠٠ قرر مجلس الشيوخ اعلان الحرب على ملك مكيدونية فاوجس الشعب خيفة ولم يوافق على ذلك فصدر امر مجلس الشيوخ بجمع الجماع من جديد وان يلقي عليهم خطاب يكون ابلغ في اقناعهم من الخطاب الاول وعندئذ يسمع الشعب الا الموافقة . وبذلك رأيت ان الشعب في رومية كان يحكم كايحكم الملك في انكثاراته ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ

المجالس والانتخابات — تسمى حكومة رومية « الجمهورية » اي متاع الشعب وجماعة الوطنيين المدعوين شعباً كأنهم سادة مستقلون في المملكة فتم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسنون الشرائع ويقول الفقهاء ان القانون هو امر اربه الشعب والشعب في رومية كما في اثينة لا يعين نواباً وعليه ان يوافق على كل شيء بنفسه حتى ان حكومة رومية بعد ان قبلت في المدينة زهاء خمسمائة الف رجل كانوا مشتكين في اطراف ابطالها كلها اضطر الوطنيين للحصول على حقوقهم ان يحضروا بالذات الى رومية .

ويجتمع الشعب في الساحة ويسمى المجلس « المجتمعات » يدعو الحاكم الى الانثناء برئاسته وكثيراً ما يدعى الوطنيون الى الاجتماع بصوت البوق فيذهبون الى ميدان

الحمل (ساحة المريح) يصطفون فرقا تظمهم اعلامهم وعندما يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وكثيرا ما يجتمعون في ساحة السوق « الفوروم » منقسمين الى ٣٥ جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نوبتها الى مكان مسور بسدود لتوافق على ما تقرره وتسمى المجتمعات بحسب القبائل . والحاكم الذي جمع المجلس بين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفض . فمن ثم كان الشعب حاكما ولكنه اعتاد الخضوع لزعيمائه .

والمجلس ايضا هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام . الذين كان يتقيم الشعب قديما مثل القناصل والقضاة وكلاء الاحصاء ونظار الابنية والملاعب ويجلس القبائل يختب حكام اهل الطبقة المتوسطة وصحامي الشعب ونظار ابنية الشعب . وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فاخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات في ساحة المريح تنقسم الرحبة بمواجز ذات مراض صغيرة تلقب بمهادائق الغنم فنقطع كل قبيلة الى احدى تلك الرحاب وتلاحظ كل قبيلة اكثرية الوطنيين في التصويت اذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد .

سلك المناصب — ليس تولي الحكم او المشيخة عن الامة في رومية صناعة من الصناعات فان الحكام والسيوخ يصرفون وقتهن وما لم دون ان يتالوا اجرا فنصب الحكم في رومية يعد من دواعي الشرف فلا يتطالء اليه غير الاشراف او الفرسان على الاقل على شرط ان يكونوا اغنياء ثم لا يطعم امرؤ ان يبلغ ارق مناصب الحكم الا بعد ان يتقلب في المناصب الاخرى ومن اراد يوما ان يحكم على رومية يجب عليه اولاً ان تكون له في الجيش عشر وفائع وحملات وبعدها يسوغ له ان ينتخب مرافقا فيعهد اليه النظر في احدى خزان المملكة . ثم يصير ناظرا للابنية والملاعب فينظر في امور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضيا فيجري احكام العدل وعقيب ذلك يصبح قنصلا فيفقد جيشا ويرأس المجالس وعندئذ تعدنه نفسه بان يكون وكيل احصاء وهذه هي الدرجة التي دونها في العلو كل درجة لا يبلها المرء قبل ان يبلغ الخمسين من العمر . قترى بهذا ان رجلا واحدا يكون ماليا واداريا وقاضيا . وقتئذ وحاكما قبل ان يتولى وظيفة وكيل الاحصاء الثرية وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسي سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب ولا تدوم كل وظيفة من هذه الوظائف الا سنة واحدة وللارتقاء للوظيفة التالية يقتضي انتخاب جديد . ويجب على الموظف في خلال السنة التي تتقدم انتخابه ان يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير كما يقول الرومان او يطعم في امتياز المنصب وان يلمس اصوات الشعب والعادة في خلال هذه المدة ان يلبس حلة يضاء وهذا معنى مرشح بالغات الانجليزية اي المكتسي بالياض .

## ادارة الولايات

الشعوب الخاضعة — ما اتقضى القرن الاول قبل المسيح الا وقد اخضعت رومية عامة الاقطار الواقعة حول البحر الرومي منذ اسبانيا الى آسيا الصغرى ولم تضاف هذه البلاد الى المملكة الرومانية ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولم تغد ارضهم ارضا رومانية بل ظلوا غرباء وانضموا فقط الى هذه المملكة اي انهم اسجروا تحت استيلاء الشعب الروماني كما ان الهنود اليوم ليسوا وطنيين انكليزا بل هم رعايا انكلترا والهند جزء لا من انكلترا بل من المملكة الانكليزية فقط

فلا يصبح سكان البلاد الخاضعة وطنيين في رومية بل يبقون غرباء اجانب ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدون الجزية وعشر غلاتهم واثاوة من المال ورسمًا على كل رأس وعليهم ان يخضعوا لجماع ما يأمر ونهر به واذ ليس في استطاعة الشعب ان يحكم بالذات ليعتد بحكام يندسبهم لان يحكموا عنه وكل بلد خاضع لوالي كان يسمى ولاية ومعناها «العمدة» كان في اواخر عهد الجمهورية (في سنة ٤٦) ١٧ ولاية منها عشر في اوروبا وخمس في آسيا وفتان في افريقية ومعظمها مثنائية الاطراف جدا فلم تكن بلاد الفال كلها سوى اربع ولايات واسبانيا ولايتين . قال شيشرون ان الولايات املاك الشعب الروماني فاذا اخضع هذه الشعوب باسرها فذلك طمعا في فائدتها لا لاجل منفعتهم ولذلك لا يتوخى ان يدير تلك الولايات بل يحرص على استئثارها .

الولاية — يتخذ الشعب حاكما لادارة كل ولاية وهو اما ان يكون قنصلا او قاضيا خرج من الوظيفة فيطيل امد سلطته وليس هذا الموظف الكبير قنصلا بل هو ال الذي يرب عن القنصل والوالي كما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه لانه وحيد في ولايته (١) وليس لديه حكام آخرون يازعونه السلطة ولا محامون عن الطبقة الوسطى لصدوه عما يريد ولا مجلس شيوخ يسيطر على اعماله فهو وحده يقود الجيوش ويحمل على القتال وينزل بهم حيثما يشاء فيقتل له مقامًا في محكمته حاكما بالفرامة والسجن والموت ويصدر اوامر تكون قانونا متبعًا وله وحده السلطة العالية لان فيه يجسد الشعب الروماني وكان هذا الحاكم الذي لا يقاومه مقاوم مستبدًا حقيقيا فيقبض على من يريد ويحبس ويضرب بالعصي ويعدم من لا تروقه حالتهم واليك مثالا من ألوف الامثلة التي كانت

(١) كانت تبقى رومية في بلاد الشرق بعض اقبال اي ملوك صغار مثل الملك هيرودس في بلاد اليهودية ولكنهم يؤدون الجزية ويخضعون للحاكم او الوالي الروماني .



الحكام يهرون فيها مع الموى كما رواه احد خطباء الرومان قال : « جاء القنصل مؤخرًا الى تيانوم فخطر لامرأته ان تلذذ بالاستحمام في حمامات الرجال فانخرج من الحمام الرجال الذين كانوا يخدمون فيه فشكت المرأة من ابطائهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عمودًا في الساحة العامة واحضر اشهر رجل في المدينة ليصل عليه فخر من ثيابه وضرب بالعصي والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال وينظر اليها كأنها ملك له ولا تعوزه الوسايط لاستئثارها بل يمد يديه الى خزائن المدين وينزع الثماثيل والحلي الموضوعة في المعابد ويحبي من السكان الاغنياء اتاوات من المال او البر . واذا كان له الحق ان ينزل جنوده حيث اراد فالمدن تقدم له المال لتعفى من قبول جنوده واذا كان في حل من ان يعدم كل من يترآى له فالافراد يعطونه المال ليأمنوا غائلته . واذا طلب شيئًا قسيًا أو مبلنًا من المال يجاب في الحال الى ما طلب ولا يجرأ سروء ان يأبى عليه طلبه . واتيانه يسرون على مثاله وينهبون باسمه بل بجنايته ويسرع الوالي في جمع المال اذ الواجب عليه ان يمتني في سنة وبعدها يعود الى رومية ويحمله آخر يعود بمثل ما بدأ فيه سلفه .

على ان هناك قانونًا يحظر على كل وال ان يقبل هدية وبحكمة مخصوصة (منذ سنة ١٤٩) نظري في دعاوي الاختلاس . يد ان هذه المحكة تؤلف من طبقة الاشراف والفرسان الرومانيين فلا يرون ان يحكموا على ابن بلدهم والمراقبة المهمة في هذه الطريقة كما قال شيشرون ان يضطر الوالي الى بسط يده في السلب من ولايته ليتسنى له ان يرشي المحلفين سيف المحكة ولا ينبغي العجب اذا رأينا اسم الوالي مرادًا لاسم مستبد ومن اشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيا وقد خطب في بيان اعماله الخطيب شيشرون لاسباب سياسية خطبًا اشهر بها ومن المحتمل ان كثيرين مثله قد اتوا ما اتاه .

المشارون — كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمارك والمنتجات والضرائب والحقول الصالحة لزراع الخنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدين يسمونهم المشارين فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قديمًا يتعاونون من الحكومة حق جباية الخراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوم كأنهم وفود الشعب الروماني وكان في كل ولاية عدة شركات من المشارين ولكل شركة مستخدمون من انكتاب والجباة يظهرون في مظهر السادة ويتناولون أكثر مما يجب لهم اخذه ويسلبون نعمة الاهلين وكثيرًا ما يبيعونهم كما يباع الرقيق وكانوا يأخذون في آسيا حتى السكان بدون سبب ولما طلب ماريوس من ملك يثيا ان يقدم له جندًا أجاب الملك ان المشارين لم يقوا عنده من الرعايا غير النساء والاطفال والشيوخ وقد عرف الرومان هذه المظالم حق معرفتها وكتب

الخطيب شيشرون الى اخيه وكان هذا حاكماً اذ ذاك : « اذا وقتت الى طريقة ترغبي بها  
المشارين دون ان تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب » بيد ان المشارين  
كانوا قضاة في محاكمهم حتى ان الولاة اتهم خاضعون لهم . وقد اراد مسكاروس الى  
آسيا المشهور بالافراط في العفة ان يمنع المشارين من المطالة بدلاذى في ولايته فلما عاهد  
رومية رفعوا عليه شكوى وحكوا عليه

ولطالما اثار المشارون مجنط سكان الشرق الخاضعين الساكنين فقد ذهبوا باور  
ميتيريدانس في ليلة واحدة مئة الف روماني وبعد قرن اي على عهد المسيح كان اسم  
مردافا لاسم لص .

الصيارف - جمع الرومان في بلادهم ثروة الام المغلوبة ولذلك كانت الدراهم كثيرة  
جدا في رومية ونادرة جدا في الولايات فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة اربعة  
او خمسة في المئة اما في الولايات فلا يجد المستدين مالا يقترضه باقل من اثني عشر في  
المئة . وكان الصيارف الرومان يقترضون مالا من رومية ويقرضونه للولايات ولا سيما  
باسم الملوك او المدن

واذا لم يستطع المستدين ان يوفي رأس المال ورياء يعمد الصيارف في تقاضي اموالهم  
الى الطرق التي يستعملها المشارون فقد اقتترضت مدن آسيا سنة ٨٤ على نية ان تدفع مبلغا  
كبيرا لتستعين به على الحرب فيعد اربع عشرة سنة فقط اي في سنة ٧٠ صار المبلغ بقوائده  
سنة اضعاف ما كان فاضطر الصيارف مدن آسيا ان تبني حتى التحف والطرف وقد شوهد  
ابوان يبيعان ابناءهما وبناتهما . وبعد بضع سنين افرض برونوس من حكام الرواقيين  
ومن اشهر رجال عصره من الرومان واعلام كبر ومكافئة لمدينة سلامينة في قبرص مبلغا من  
المال بفائدة ٤٨ في المئة (اي ٤ في المئة كل شهر) فلما طالب وكيد سكايتيوس بالمال مع  
فائضه تمرد على المدينة ان تؤدي اليه مطغوبه فقصد سكايتيوس الوالي ايوس فاصحبه هذا  
بفرقة من الفرسان فجاء الى سلامينة وحاصر مجلس شيوخها وكان اعضاؤه في قاعة الجلوس  
فماز خمسة منهم جوعا

رعايا رومية - كان سكان الولايات لاحول لهم ولا طول مع هؤلاء الظالمين باسمهم  
وذلك لان الولاة كانوا يثثون المشارين والصيارف على رغائبهم ويأخذون بايديهم في كل  
ما يطلبونه ووراء الوالي الجيش والشعب الروماني يرضونه فكان يسمح للوطني الروماني ان  
يشكي السلايين في الولايات ولكن لايمس الوالي بأذى ولا تتأق شكايته الا مرة واحدة  
عند ما يخرج من الخدمة فيصبر عليه الرعايا يسلبهم ويستدي كما يشاء ريثما تنقضي مدته

واذا اتهم عند حدوده المبرومية فتكون محاكمته امام المحكمة مؤلفة من الاشراف والعشارين من تكون مصالحهم في معاهدته لاني احقاق الحق ورفع ظلامة اهل الولاية التي كان فيها واذا صادف ان حكمت عليه المحكمة يستمض عن الحكم بالنفي فيذهب الى احدى مدن ايطاليا يتبع بما فيه الهم ولاجه وهذا القصص لا يوازي ما اتاه به ولا يعد انتقاماً. ولذلك كنت ترى سكان الولايات يؤثرون ان يقيموا ولاتهم بخضوعهم لم قيعاماونهم كما يعاملون الملوك ويناقضونهم ويخادعونهم. ويقيمون لم التنايل وربما نصبوا للوالي في آسيا هياكل (١) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم كما عبد الرب

ولئن طلع الشعب الروماني رعاياه بقسوة فلم يكن يأبى عليهم الانضمام اليه كما كان شأن المدن الليقانية بل ان التريب يصح وطنياً رومانياً بارادة الشعب الروماني والشعب تبع هذه العاطفة احياناً وكثيراً ما ينفخ الى شعب يرمته فنجح حق الوطنية الرومانية الى اللاتين اولاً في سنة ٨٩ ومنع هذا الحق للطلين في سنة ٤٦ ومنحه لاهل غاليا فاصبح سكان ايطاليا والرومانيين سواء حتى ان العبد الذي يعتقه سيده بسوغ له ان يكون وطنياً في الحال . وكما عرضت للشعب الروماني عوارض الضعف ونقص في الانفس يزيد عدده برعايا جدد ويحيد جدد فكان عدد الوطنيين يزيد في كل احصاء ولا ينقص فبلغ عددم في قرنين من ٢٥٠ الف الى ٧٠٠ الف . وهكذا ظلت رومية غامرة بالسكان ولم تخل منهم كما خلت اسبلوطه بل كانت تمتليء بالقادمين اليها من المغلوبين على التدريج .

### قانون الاراضي

الا لملك العامة - متى طلب شعب غلبته رومية على امره ان يعقد معها الصلح يجب على نوابه ان يلقظوا بالجملة الآتية : « تقضى لكم عن الشعب والمدينة والحقول والمياه وقنايل الارباب الخالية الحدود والاثاث وجميع ما يملكه الارباب والناس قد جعلناه بيد الشعب الروماني » وبهذا التسهيل تصبح الامة الرومانية مالكة لا يملكه المغلوبون لم باسمه بل مالكة حتى لا يثغصم . وكثيراً ما يبيعون السكان وقد اباع بولس اميل مئة وخمسين الفاً من اهل اير على هذه الصورة كانوا استسلموا اليه . ومن العادة ان تمنح رومية لمن تغلب عليها حريتهم وان تبقى املاكهم ملكاً للشعب الروماني يحاربها ثلاث حصص متساوية . فيعطى للاهالي قسم من اراضيهم على ان يدفعوا شيئاً معلوماً من المال او الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها

(١) ذكر شيشرون الخطيب الروماني المعابد التي اقامها له سكان ميسليا التي كانت واليا عليها .

الحق ان تأخذ منها كما تشاء . وتوَجَّر الحقول والمراعي الى اناس من الملتزمين وتترك الاراضي البائرة شاغرة يأخذها من يريد ويحس لكل وطني روماني ان يقيم فيها ويرزعها .  
قوانين العقارات - شملت قوانين الاراضي التي احتل بها نظام رومية الاملاك العامة وما كان لاحد الرومان ان يخطرفي باله تزج الاملاك من اربابها لان حدود تلك الاملاك نفسها كانت ارباباً يدعونها آلهة الخوم والدين يمنع من زرعها . الا ان الشعب كانت يستولي بموجب قانون الاراضي على اراض من الاملاك العامة فقط يوزعها بصفة ملك يتي مواطنيه وللشعب من حيث الشرع الحق في ذلك لان الاراضي كلها ملكه الا ان الرومانيين تسامحوا قروناً بان تركوا اناساً من رعاياهم او ابناء وطنهم يقيمون بفلات تلت الاراضي وقد انتهت بهم الحال ان صاروا ينظرون الى تلك الاراضي كأنها ملكهم بحسب ربيها ويبيعونها ويبتاعونها ولو أخذت منهم لفضي على جمهور عظيم من الامة بالاغلاس في الحال . وقد حدث في ايطاليا خاصة ان ينزع من اهل مدينة باسرها جميع ما يملكون . هكذا نزع اغسطس جميع اراضي ماتو من سكانها وكان الشاعر فرجيل في جملة المتكويين فتوسل بفضل شعره الى ان تعاد اليه املاكه ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعراً كفرجيل بقي مسلوكاً من املاكه : وتوزع هذه الاراضي المأخوذة على تلك الصفة احياناً على اناس من فقراء الوطنييين في رومية وفي الاغلب على جماعة من قدماء الجند وقد وزع سيللا اراضي اهل ايترو وبابل ١٢٠ الفاً من قدماء الاجناد .

الاخوان الاشتراكيان - كان الشقيقان تيربوس وكايوس غراشوس من اشرف امراء رومية ولكن حاول احدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوق ان ينزع الحكومة من يد الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ .

وكان في ذاك العهد في رومية بل في ايطاليا جمهور كبير من الوطنييين لا سبد لهم ولا لبد يطمحون الى احداث ثورة ومنهم الاغنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يشكون من خرماتهم من الحكومة . فرض تيربوس غراشوس نفسه على ان يتولى الدفاع عن العامة وسعى الى توطيد سلطته هذه وكان في قلق مما يراه في بلاد الاريايف في ايطاليا من اقامة الرعاة السبيد يحلقون قدماء اصحاب الاملاك الفلاحين ومن رؤية رومية غاصة باناس من الوطنييين لا يملكون قتيلاً ولا تقديراً

قال مرة في خطاب له يخاطب به العامة : « للوحوش البرية في ايطاليا مغاور تأوي اليها والرجال الذين يهربون دماءهم في الدفاع عن رية ايطاليا ليس لهم الا النور والمواهد الذي يستشقونه يحمون على وجوههم مع ازواجهم وابنائهم لا يوتون توتوهم ولا منازل

يسكنونها . الا وان القواد الذين يحرضونهم على الدفاع عن مدافعهم ومعايهم ليكذبون في اقوالهم . وليت شعري هل ملك واحد منهم حتى الآن مذبحاً مقدساً في بيته ومدفناً يضم رفات اجداده . يدعونهم سادة الارض وهم لا يملكون مدرة منها »

فاقترح على الشعب سن قانون للاراضي وذلك بان تأخذ الحكومة من الافراد جميع الاراضي التي هي من المنافع العامة فتضع يديها عليها ويترك لكل فرد منهم خمسةائة فدان ، يوزع الباقي من الاراضي حصصاً صغيرة على فقراء الوطنيين فوافق المجلس على هذا القانون فحدث بذلك اضطراب عام في نظام الثروات لان معظم اراضي المملكة على التفریب كانت من الاملاك العامة ولكن وضع الواضعون ايديهم عليها واعتادوا ان يعتبروا انفسهم مالكيها . على انه كان كثيراً ما يصعب التمييز بين الملك الخاص والملك العام اذ لم يكن للرومانيين مجالات للاراضي .

فان قام تيربوس ثلاثة مفوضين عهد اليهم قسمة الاراضي كما ان الشعب أعطاهم سلطة مطلقة . وكان هؤلاء المفوضون هم تيربوس نفسه وأخوه وعمه . فقام خصوم تيربوس بتهمونه بانه سن قانون الاراضي ليتخذ من ذلك حجة لتكون له بها السلطة . ففت سنة وهو السيد المحكم في رومية ولكنه لما أراد ان يتجنب محامياً من العامة عن السنة التالية اقام أعداؤه الحجة ( وهذا كان منافياً للعادات المتبعة ) فشأت من ذلك فتنة انتهت باستيلاء تيربوس وأصحابه على معبد الكابول فنهض أنصار مجلس الشيوخ وعبيدهم مسلمين بالدياديس وخشب المنقعد وطاردوا تيربوس واتباعه وضرّبوه ( ١٣٣ )

و بعد عشر سنين انتخب كايوس أصغر الاخوين غراشوس محامياً عن الشعب ( ١٣٥ ) وجهد التصديق على قانون الاراضي وقرر توزيع حطة على فقراء الوطنيين وقرر ان يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليتوصل بذلك الى هدم سلطة الاشراف فكانت كلته هي العليا مدة حولين كاملين ولكنه لما قصد قرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطواريه ( ينسبهم رين ) الوطنيين غلّى الشعب عنه مدة غيابه حتى اذا عاد لم يتيسر له ان يعاد انتخابه اذ كان أعداؤه اغتنوا تلك الفرصة لتخلص منه وعندما أمر الحاكم بتسليم أشياء مجلس الشيوخ وزحفت على كايوس وأحبابه وكانوا اعتصموا في جبل اثنيتين فقتل كايوس بيد احد العميد وذبح اشيائه أو اعدموا في السجون وقضوا بيوتهم من أسسها وصادروا املاكهم ( ١٣٦ )

### ماريوس وسيللا

لم يكن النزاع بين الشقيقتين غراشوس ومجلس الشيوخ الا عبارة عن هرج في شوارع

رومية بنهي نفقته تنشأ بين المصابات المسلحة على عجل اما الثمن التي حدثت بعد فكانت حروبا حقيقية بين جيوش منظمة وكان رؤسها الاجزاب من القواد

الحروب المدنية - ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لاعمل لهم وما الجيش الا حفنة من المشردين نزاع الآفاق فلا المجلس ولا الكنائس خاضعة لمجلس الشيوخ لان الاشراف الفاسدين فقدوا كل سلطة اذية فلم يبق ثم سوى قوة حقيقية واحدة وتعني بها المجلس ولم يبق سطوة الا للقواد وقد أبى القواد ان يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ حتى أصبح بيد القائد - وغدت الثورة لامناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة بل خدرت زهاء مئة سنة وكان مجلس الشيوخ يقاوم وقد أمسى من الضعف بحيث لا يتصور له ان يجري الاحكام بذاته على انه مازال على شيء من القوة تحول دون شيء من التضييق على قياد الامة والقواد يتنازعون بينهم فيمن يكون السيد المتحكم وهكذا قضى الرومانيون قرنا يقبضون في الفتن والحروب المدنية

ماريوس - كان اصل ماريوس القائد الاول الذي جعل جيشه تحت امره في رومية من اريينوم وهي مدينة جبلية صغيرة ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر بأنه هابط وانجب محاميا عن العامة ثم قاضيا بمساعدة الاشراف له - ثم انتخب عليهم وانتخب قنصلا وعهد اليه محاربة جوكورنا ملك النوميديين الذي يد شمخ ندة جيوش رومانية وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء المواطنين من اصحت اخذته العسكرية فاستعبره فتغلب ماريوس بنحيسه على جوكورنا وهاك الشعب البربرية تاجدين في ثوبتون من اعزوا على عاليا وابطايا الشمالية - وذلك يكن الشعب ثمة في غيره بقيادة الجيش انتخبه قنصلا ست مرات متوالية خلافا للقوانين الشبعة

عاد الى رومية بعد هذه الانتصارات فصيح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعيا انفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الاشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ)

الحرب الاجتماعية - ارتكب اشياح ماريوس من القتل من الشئ بتلويع شهرته بين الناس فاغتم أحد الاشراف من أسرة كورنيوليوس الكبيرة واسمه سيللا هذه الفرصة لينازعه السلطة وكان هو ايضا من جملة اقواد - وفي خلال ذلك استشاط الهيلاني غيظا من قيامهم بثل مايقوم به الرومانيون من التكاليف دون ان يكون لهم على امتيازاتهم فزعوا الى مقاومته لينالوا حقوقهم المدنية وهذا مادعوه بالحرب الاجتماعية أي حرب مقاومة التحالفين لجيشوا جيوشا كبيرة قدمت احداها على مقربة من رومية وكان سيللا هو

التي اتخذ رومية بقتاله الطليان أشد قتال . وبعد حرب دامت سنتين ( ٩١ - ٨٩ ) خضع الطليان يد لنهم نالوا ما طلبوه هزوا وطنيين رومانيين سيللا - طارت شهرة سيللا في هذه الحرب فنصب قنصلا وعهد اليه ان يزحف على ملك بحر الخزر ميتريداتس الذي اغار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة أبيهم ( ٨٨ ) فحمل الحشد ماريوس على ان يشير فتنة في رومية ففرج سيللا للالتحاق بجيشه الذي كان ينتظره في ايطاليا الجنوبية وحاد معه وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول الى المدينة وعليهم السجود وعلى الحاكم نفسه قبل ان يحتاز الباب ان يخضع عنه رداء الحرب ويلبس الخلة الرومانية فكان سيللا القائد الاول الذي جسر على خرق سياج هذا المنع ودخل الى رومية فانهزم ماريوس امامه .

ولما وصل سيللا الى آسيا عاد ماريوس في جيش له من المتشردين ودخل رومية بالقوة ( ٨٦ ) . عندئذ بدى بقتل المعتدين قبل محاكمتهم وجعل خاصة اشباع سيللا تحت العرفية بل صدرت اوامر الحكومة ان يقتلوا حيثما وجدوا وصودرت اموالهم ومات ماريوس بعد بضعة اشهر وظل سينتاهم انصاره يجري احكامه في رومية ويقتل كل من لا يرضى حاله وكان سيللا في خلال هذه المدة قد تقلب على ميتريداتس ومن اخلاص جنده له بان اباح لهم نهب آسيا على ما يشاءون . وقد عاد ( ٨٣ ) سيف جيشه الى ايطاليا فبعث عليه خصومه بخمسة جيوش فانهزم بعضها وانحاز الآخر اليه ثم دخل سيللا الى رومية وذبح الاسرى وخفق انصار ماريوس .

الاحكام العرفية - بعد ان مضت بضعة ايام في المذابح شرع سيللا بتنفيذ الاحكام العسكرية على الاصول وعلق ثلاث قوائم باسماء من يريد اهلاكم قال : « اعلنت اسماء جميع من ذكرتهم وقد نسبت كثير انهم وسأعلن اسماءهم كلما خطروا في بالي » وكل من علق اسمه في قائمة المحكوم عليهم كان معدا للقتل ومن اتى برأسه ينال مكافأة وتصادر اموال القاتل وكان يقتل الواحد بدون محاكمة بل بمجرد هوى القائد وبدون ان يندب بالقتل . وعلى هذا الوجه لم يكتف سيللا بذبح اعدائه فقط بل قتل الاغنياء الذين كان يطعم في ثروتهم . ويرى ان احد الوطنيين البعيدين عن السياسة نظر وهو مار الى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطورا في اول القائمة فتمتف قائلا : « ما اتعني فقد قتلتني يتي في آلب » ويقال ان سيللا قتل القاتل وقائمة الف نارس .

قواتين سيللا - بعد ان تخلص سيللا من خصومه حاول ان ينظم حكومة تكون الحكمة فيها مجلس الشيوخ . فعيّنه حاكما مطلقا ( ديكتاتور ) ويطلق هذا اللقب قديما

على القواد في ايام الشدة والخطر عن تكون لهم السلطة المطلقة فاستخدم سيلا هذه السلطة ليسن قوانين تغير النظام الدستوري القديم وذلك بان يتخب القضاة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ ولا تجري المناقشة في قانون قبل ان يوافق عليه مجلس الشيوخ ولا يحق للمهاجرين الشعب بته ان يقرحوا شيئاً وبعد هذه الاصلاحات التي خولت مجلس الشيوخ سلطة مطلقة استقال سيلا من منصبه واخذ نفسه بالاقطاع الى داره والعيش في العزلة (٧٩) وكان يعرف بانه في مأمن اذ كان له مائة الف من جنوده في ايطاليا .

### بومبي

بومبي — عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة لانه حسن في رأي سيلا ان يعيدها اليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيع معه المحافظة على تلك السلطة حتى قام احد القواد بنازحه اياها . ودامت حكومة مجلس الشيوخ ايضاً في الظاهر اكثر من ثلاثين سنة وذلك لانه كان ثمة عدة قواد وكل منهم يحول دون خضوعه ان يستأثر بالحول والطول . ولما هلك سيلا كان في البلاد اربعة جيوش على قدم الاستعداد اثنان منها خاضعان لقائدين من انصار مجلس الشيوخ وهما كراسوس وبومبي والاخران بقيادة قائدين خصمين لمجلس الشيوخ وهما ليبيدوس في ايطاليا وسرتوريوس في اسبانيا . والمأثور انه لم يكن احد سيفي تلك الجيوش على استعداد ونظام وان ليس في اولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجند . وكان القواد الى ذلك العهد ابداء من القناصل اما الآن فاصبحوا من الافراد ينضم اليهم الجند لا ليقدموا الجمهورية الرومانية بل ليفتتوا بسلب الاهلين .

ولقد انهزمت جيوش خصوم مجلس الشيوخ وبقي القائدان كراسوس وبومبي وحدهما واتفقا بينهما على الزعامة وجري اتفاههما فتصلين .

سبارتا كوس — تكرر حدوث عصيان المييد مرات (جروب المييد) وكان ذلك في الاغلب في جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا حيث كان المييد يحملون السلاح لحراسة القلعان . وبعد ان ولي الولاية القائدان كراسوس وبومبي بدأت اشهر تلك الحروب وذلك ان عصابة مؤلفة من ٧٠ مبارعا هربت من كابو ونهبت عربة تحمل السلحة وانشأت تحمّل على البلاد حملاتها تخف المييد وانضموا اليها زرافات زرافات فلم تلبث تلك العصابة ان اصبحت جيشاً . وقد هزم هؤلاء المييد على الولاة ثلاثة جيوش رومانية ارسلت لتأديبهم وكان سبارتا كوس زعيمهم أسرف في الحرب وهو من اقليم تراسياجي به الى ايطاليا ليستفيد في الصراع فخذته نفسه ان يجاز بلاد ايطاليا كلها للعود الى تراسيا بلده . بيد ان جيش كراسوس قاوم عصابات سبارتا كوس مؤخرًا وكانت مختلفة النظام فقتلهم عن آخرها . وبعدها



حظرت رومية على العبيد ان يحملوا سلاحاً . ويجكى انه أعدم راح من العبيد لانه قتل خنزيراً يربكاً بحجرة كانت معه .

حروب في الشرق — عهد مجلس الامة لبومبي ان يتولى قيادة الجيوش سنة حربين متعاقبتين في الشرق . الاولى . (٦٧) كانت مع قرصان البحر في شواطئ آسيا الصغرى وقد غزا شواطئ إيطاليا ونهبوها والثانية (٦٦) كانت مع ميتريداس الذي لم يبرح على ما اسماه من القتل يدافع عن حوزته في اطراف آسيا الصغرى

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفانى في الاخلاص له وكان في بضع سنين الدائد السود في رومية واذ كان ينظر الى الشرف اكثر منه الى السلطة لم يدخل ادنى تعديل في الحكومة . وفي خلال ذلك نال الخطوة من الامة شاب من الاشراف اسمه قيصر فاتفق بومبي وكراسوس وقيصر بينهم على اقتسام السلطة (٦٠) فانخب قيصر قنصلاً ثم والياً على غاليا وتولى كراسوس قيادة الجيش الذي ارسل الى آسيا للصملة على البارثيين وفي حفته سنة ٥٣ وبعي بومبي في رومية .

كاتالينا — بينما كان بومبي يحارب في الشرق حدثت في رومية ازمة كادت تؤدى الى ثورة وذلك ان احد الاشراف من قدماء انصار سيللا واسمه كاتالينا كان فقد ثروته لاستراته في الشهوات فحاول ان يسترجع ماله بالقبض على ازمة الاحكام وكان رجلاً قوياً شكيته جريء النفس مقداماً لا يتطرق الى قلبه وسواس وله اصدقاء كثيرين من اشراف الشبان المستهترين الفاسقين اخلصوا في حبه اذ كان يقضي معهم اوقات صفاته ويقرضهم مالا ويهديهم خيولاً وكلاب صيد . وله من الانصار قدماء اشباع سيللا وقدماء الجنود الذين اسكنهم سيللا في إيطاليا بمن باعوا اراضيهم واخذوا يهتفون عن مورد يعيشون منه .

فاتفق كاتالينا مع جمهور من هؤلاء الساخطين على ان يذبحوا في آن واحد القنصلين يوم يذهبان معاً الى معبد الكابول فلم يفلحوا فيما دبروه لان الخبر تراسى الى القنصلين الا ان كاتالينا احتفظ بانصاره وظل يدس الدسائس وكان اعداء مجلس الشيوخ وربما قيصر ايضا يصدقونه سرّاً فقدم نفسه لينخب قنصلاً فكان خصمه في هذا الانتخاب شيشرون اشهر محام واعظم خطباء الرومان وكان هذا توصل الى ان ينخب حاكماً لان الامرات الشريفة غدت منذ عهد ماريوس لا تسمح الا بانتخاب اناس من الاشراف .

ومساعد اشباع مجلس الشيوخ الخطيب شيشرون يرى انتخابه وسقط كاتالينا الا ان القنصل الآخر رصيف شيشرون وهو انطونيوس . كان ثالثاً مرة للقاتلين . فندب كاتالينا

مكيدة كبرى على ان يذبح اصحابه شيشرون واعضاء مجلس الشيوخ في رومية ويحرقوها  
 بنا يكون قدماء اجناد سيللا القتيين في اتروريا زاحفين على رومية . فبلغ الخبير شيشرون  
 فلم يخرج الا في كوكبة من الفرسان محدقة به الا انه لم يكن عنده جيش لقتال قدماء  
 الاجناد الذين شرعوا يجمعون ويتسلحون والعبيد الذين اخذوا يسلحونهم في كابو فنتسي جزءاً  
 من السنة التي تولوا فيها القنصلية وهو في قلق مستمر .

واخيراً رجع واليان يقودان جنوداً فشر شيشرون بقوة تمكينه من الدفاع فاستدعى  
 مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القنصل بما فيه سلامة الجمهورية الرومانية وانت سيطر  
 القنصل سلطة ليقعدوا عامة الاسباب التي يرونها مناسبة وادخل الجنود الى رومية يراجلون  
 في الساحات ودعا مجلس الشيوخ الى الاجتماع ثانية وفي هذه الجلسة التي خفيته الاولى في  
 مقاومة كاتالينا وسأله مشعراً اياه بما دبره من المكيدة التي انشعب امرها وانذر بالانفجار  
 فنادر كاتالينا رومية وذهب للاتحاق بدماء الاجناد المتفردين في اتروريا وطل  
 اشباعه في المدينة فانفقوا سراً مع وفود اللوبروج بان يقدموا لهم فرساناً ثمغيروا آراءهم  
 وانشوا مر التآمرين . فطلب شيشرون خمسة من رؤوس زعماء المؤامرة واضطرم الى  
 الافرار . ثم اخذ رأي مجلس الشيوخ فيما يجب ان ياملوا به فاجاب بانه يجب اطلاقهم  
 ولكن كان احد المجرمين واسمه لانتولوس قاضياً ولا يحق لاحد ان يوقفه الا حاكمه  
 مقام ارق من مقامه فذهب شيشرون بذاته لتوقيف المجرمين الخمسة واخذهم الى معجن  
 انكابتول وخنقه وعاد يقول لمجلس الشيوخ : « لقد عاشوا »

فاعلن كاتالينا الحرب ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحاً ومعظمهم انتفخوا  
 من حوله وزحف عليه جيش بقيادة القنصل انطونيوس آتياً من الجنوب وزحف آخر من  
 الشمال ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل حاول يهب الفرار نحو الشمال فرأى جبال  
 ابنين في وجهه مسدودة فانقض على جيش انطونيوس وهاجمه وقتل مع اصحابه جملة واحدة  
 (٦٣) فقال اذ ذاك شيشرون من مجلس الشيوخ لقب « ابوالوطن » دلالة على انه انقذ  
 رومية من مغالب العدو ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسطة

### فتح بلاد الغال

دحول قيصر الى غاليا - اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس ان يتولى كل منهم القيادة  
 في احدي الولايات العظمى على ان يكون له الحلق في ان يجهز جيشاً فوضع كراسوس يده  
 على سورية وبومبي على اسبانيا وقيصر على الثلاث ولايات المجاورة لغاليا وذلك لمدة خمس  
 سنين . وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته والياً الى مقر ولايته لينشيء فيها

جيشاً يكون هو قائده ودخل في الحال في عدة حروب وظلّ عشر سنين بعيداً عن رومية (ولم يدم حكمه أكثر من خمس سنين الى سنة ٥٣ ولكنه جدهه دفعة ثانية الى سنة ٤٨) وكانت رومية الى ذاك العهد لم تخضع غير جزء من البلاد التي نزلها الشعوب الغالية بل لم يكن لها سوى ولايتين غاليتين : غاليا سيزالبين وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال الالبين والالب (وهي اليوم إيطاليا الشمالية) والبروفانسيا وهي عبارة عن شواطئ البحر المتوسط وبلاد الرون من جبال الالب الى جبال البيرنيه . وكانت هذه البلاد مع إقليم البليزيا (الجبال الواقعة في شرقي الادرياتيك) هي الثلاث ولايات التي تولاهما قيصر . اما باقي بلاد فرنسا الحالية التي دعاها الرومانيون غاليا فكانت مستقلة بعد يسكنها ثلاثة عناصر من الناس . أحدهم الغاليون وهم يشغلون القسم الاعظم من البلاد اي جميع فرنسا الواقعة بين نهر الغارون ونهر السين ويصفهم اليونان والرومان بان هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة شعر الشعور زرق العيون طوال السيلات يأكلون اللحوم ويسكرون يبيذ السرفواز (غرب من الجمعة) او يشرب الاليدرومل وهم أشد شديداً بالجرمانيين منهم بالفرنسيين اليوم . وكان السواد الاعظم من هذه الامة يعيش شقياً في الاكواخ لاشأن لهم في ادارة شؤون بلادهم يخضعون لكبار ارباب الاملاك الذين يقاتلون راكبين صهوات خيولهم ويدعوم قيصر بالفرسان ويذكرهم كما يذكر محاربين شجعاناً للغاية ولا يمد ان يكون هؤلاء الفرسان الغاليون شبهيين بالجرمانيين هم من الفاتحين نزولاً وسط شعوب اصغر منهم اجساماً اشقر اصب يثبه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية أي فرنسا وايرلاندا وبلاد الغال

والقسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البليجيون نزولاً البلاد الواقعة في شمالي السين الى نهر الرين وهم يشبهون كما كان يقول الرومان الجرمانيين النازلين في الشاطئ الاخر من نهر الرين والظاهر انهم كانوا أقل اختلاطاً بالشعب القديم من الغاليين واحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون راكبين

والقسم الثالث من تلك العناصر هم الاكيثيون نزولاً في جنوبي نهر الغارون يوم ضلال الاجسام شجعان يشبهون الالبيين في اسبانيا ويتكون بلغة ايبيرية ويتصرفون سائر شعوب غاليا كأنهم غرباء وهؤلاء خضعوا لقيصر اول الامر . وبعد فلم يكن الغاليون والبليجيون والاكيثيون أعما ممدودة بل لم يكن ثمة غير شعوب صغيرة يستولى قدر ما على نحو ثلاث أو أربع من مقاطع . اليوم وكل مقاطعة تؤلف حكومة مستقلة ودعاها قيصر

سيفيتا أي التي يحكمها كاشاه وتخارب غيرها . وكانت لبعض تلك الحكومات ملك ويحكم معظمها مجلس من الاشراف (الفرسان) وكان للكننة عند الغالين سلطة كبرى .  
 تخرج تلك الشعوب على حالة من التوحش بعد تفتيش بامتجعه لما ما شيتها وما مدنيا  
 الا اسوار صغيرة محصنة يصحسون فيها مواشيهم وعيالهم ابان الحرب ولئن كان معظم البلاد  
 غابات وجراجا فقد بدؤا يزعمون حنطة ليتيسر ان تطعم جيشا رومانيا بأمره  
 جاء قيصر بنوي قح غاليا في جيش اختاره من سكان الولاياتين الغاليتين الخاضعتين  
 لرومية خاصة وكان مؤلفا بحسب العادة الرومانية من مشاة منتظمين كتابوعليهم اسلحتهم  
 وممدريون اكثر من جيوش الشعب الغالي ولقد عني قيصر بذكر خبر الفتح في مكره  
 قادم القاريء بان الغالين ساقوا عليه جيوشا اكثر عدداً من جيشه ومن المحتمل بانه لم  
 يقل الحقيقة اذ لم يكن في استطاعة غاليا ان تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها  
 ليسوا عماريين

غارة الميقتيين والسوفييين - عند ما وصل قيصر الى بلاد الغال كان الايدوانيون  
 النازلون في جبال مورفان اشد شعوب اواسط غاليا بأسا وصا صحتهم يبركت بالقرب من  
 أوتون وبلادهم واقعة بين نهر السون والوار . ومن أشداء البأس الارغونيون النازلون  
 في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (اوفرنيا) وكانوا حاكين على الامم النازلة في  
 البلاد الصحفية الوسطى

غارب الايدوانيون السكيايين النازلين في جبال جورا لاختلاف طرا بينهم على  
 الملاحه في نهرون فاستدعى السكيايين من المانيا زعيماً سوفيياً وهو الملك (ارويست)  
 فأتى بمعاينة من خيرة الخاربين مؤلفة من العامة خاصة وهم السوفييون . وبعد ان  
 تغلب الايدوانيون طلب الملك ارويست الى السكيايين جزءاً من ارضهم لينزل فيها  
 جيشه . وكان السكيايون صالحو الايدوانيون لقتال ارويست الذين نزلوا عليهم وعندها  
 استعبد الايدوانيون برومية ولما قاد قيصر جيشه الى بلاد سون تقدم على انه حليف شعب  
 غالي لمقاومة غارة جرمانية وفي غضون ذلك اخذ الميقتيون وهم شعب غالي يسكن سويسرا  
 بالهجرة من بلادهم فانتقلوا منها يحملون أسراتهم ومواشيهم وامتعتهم محمولة على مركبات  
 قائلين انهم يريدون مهاجمة بلاد الغال ليستوطنوا شواطئ البحر . وربما كان  
 ذلك حيلة منهم لينهبوا لصرة الايدوانيين على ارويست وتقدموا الى قيصر ان يسمح  
 لهم باجتياز تلك الولاية الرومانية فأتى عليهم ذلك فلم يبق امام الميقتيين الا ان  
 يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من نهرون وحمل اولاً على سافة جيشهم ثم

هاجم مجموعهم فذبح منهم جزءاً عظيماً واضطروا من اقلتوا من القتل الى الرجوع الى بلادهم . ثم ارتد على اعتاقه لقتال اريويست واسرع حتى بلغ في جيشه الى فيرونوسيو ( بزانسون ) وحاصر جنده من هول هذه الحرب وهم في بلاد جبلية مفضاة بالغابات يهاجمون برايرة اشدهاء على اية تامة فجمع قيصر قواد المئة من جنده ( يوزباشية ) وقال لهم على من يوجسون خيفة ان يسافروا مع الفرقة العاشرة فاجابه قواد المئة بانهم يتبعونه حيثما ذهب وقطع الجيش الروماني مجاز خيال الفوسج ونزل الى سهل الالزاس وجاء بمسكر امام المدو . والف اريويست معسكره من مركباته وتحصن وراءها وكان قيصر يمرت جيشه في السهل وبميه لقتال ثم صحت عزية اريويست على الخروج من المعسكر فدام الجيش الروماني في فرسانه بفروح وفرجنده فطارده المدو حتى نهر الرين . وكان المهاجمون الجرمان يطردون الى خارج غاليا ولكن قيصر لم يأت مع جيشه الى ولايته بل رابط معه في وادي سون حيث قضى الشتاء وقد اخذ يعامل بلاد غاليا كالبلاد المغلوبة فاضطرت الشعوب الغالية ان تحالف رومية .

فتح شمال غاليا — ابى الجليكيون النازلون بين نهري السين والرين وهم اشجع شعوب غاليا كافة ان يدخلوا في محالفة رومية فتعاهدوا بينهم وتحالفوا وجمعوا جميع الحاربين من اجائهم في بلاد لاون . فجاء قيصر في الربيع في ثمانى فرق من الجند وعقد محالفة مع احد هذه الشعوب وهم الريمسيون ونزل في معسكر حصين على راية يفصلها عن معسكر الجليكيين واد ذوبطاني وخلف الجيشان زمناً احدهما قبالة الآخر واذ كان الجيش الروماني منتظماً كانت تأتية التجديدات من الطعام تباعاً اما الجليكيون فشق عليهم ان يتفدوا في تلك الادغال والحراج فانفذ قيصر الايدوانيين احلافه يخربون بلاد اليلوفاكيين ام تلك الشعوب المتحالفة ولا بلغ الجليكيون ذلك انتفضت جموعهم ليذهبوا للدفاع عن بلادهم فقتل قيصر من جيش المدو بدون قتال وراح يطوف بلاد الجليكيين ويهاجم مدنهم الواحدة بعد الاخرى مكرماً كل امة ان تكون حليفة لرومية وان تمطيها على سبيل الرهن رجالاً من الامر النبيلة في بلادها .

وقد دام التيرفيون ( اهل بلاد السامر ) احد هذه الشعوب الجيش الروماني في غابة على شاطئ نهر السامر يئناً كان يبني معسكره وهزم الفرمان الغاليين احلاف الرومان وعساكر الرجال الخفيفة الا ان الكتائب حمت المؤخرة وحالت دون الهزيمة فاخذ قيصر يحارب التيربيين حرباً يريد بها ابادتهم عن آخرهم . ولا اخضع الجيش الروماني الشعوب الجليكية قضى الشتاء في وسط بلاد غاليا على شاطئ الوار .

فتح الغرب — قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط ان تحالف رومية وتقدم لها  
رهائن وما جاء الشتاء حتى تحالفوا بينهم وابوا ان يرسلوا حنطة لاطعام الجيش الروماني  
واسروا عندهم مندوبي الرومان الذي جاؤهم في طلب ذلك ليكرهوا قيصر على ان يبعث  
اليهم من استبقام عنده من رجالهم ومينة . وكان للفتنين ( سكان فان ) وهم من الشعوب  
الخطيرة في ذاك الحلف سفن حربية صنعوها من شجر البلوط وجعلت بحيث تسير على ارادة  
ربابها ولها مقدم مرتفع يقاوم فعل الامواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع ان تغير على رايها  
الشاطيء وفي البحار الصغيرة فانشأ قيصر سفناً ذات قلع في مصب نهر الواراجيا اسفلون  
الفتنين . وصعب عليه ان يحطمه لان سفنه لم يكن لها من العلوما يكفي للودول الى  
ساماة تلك السفن الفينيقية وكانت مراكبه داخلة في الماء كثيراً بحيث لا يتسنى لها ان  
تطارد مراكب عدوه في وسط العصور والقيمان وبعد التيا والتي صنع الرومان مناجل  
ذات مقابض وعصي طويلة قطعوا بها الجبال التي كانت تحمك قلع سفن الفتنين فلما  
سقطت القلع من هذه السفن ولم يكن عندها مجاديف تقذف بها وقفت لا تبدي حراكاً  
فدامها الجيش الروماني واخذها عنوة فطلب الفتيون الصلح الا ان قيصر امر بانراهم  
فصربت اعناقهم وباع سائر الشعب بيع العبيد . وفي تلك السفن ايضاً كان اقتطع قيصر  
فرقة صغيرة من جيشه لتخضع لسلطان رومية جميع الشعوب النازلة في الاقليم المعروف اليوم  
بالقلم نورمانديا وهناك فرقة اخرى له تحارب شعوب الاكتيين في جنوب نهر الغارون  
وعلى هذا فقد اخضع قيصر في ثلاث حملات ( ٥٨ — ٥٦ ) عامة بلاد غاليا واغنى فرصة  
الشتاء للعودة الى ولايته في ايطاليا المعروفة بسيزالين

وفي العام التالي ( ٥٦ ) ضرب موعداً للقائدين الآخرين الذين كانوا يقسمانه الحكم  
وما يومى وكراسوس فاجتمع ثلاثتهم على تخوم ولايته سيفي ولاية لوكس وقرروا تجديد  
حكومتهم لخمس سنين اخرى

حملات الى خارج غاليا — حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سلطوته واشغالا للجيش  
وكان شعبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجما بلاد البلجيك . اربعة في جيشه وفرسان  
شعوب غاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر الموز وهاجم الجرمان وذهبهم مع نسائهم  
واولادهم ثم بنى على الرين جسرا من جنود الاشجار وذهب تخريب الشاطيء الاين  
ولما عاد الى غاليا ركب البحر مع فرقتين ( ٥٥ ) واجتاز بحر المانش وتزل الى بريطانيا  
( انكلترا ) ولما انشأ في السنة التالية سفناً تسعة قليلا لنقل الإثقال والخيول عاد الى

بريطانيا في جيش كبير واجتاز الثغرات التي دافع عنها الحاربون البريطانيون حتى بلغ نهر التيس (١٥٤)

قيام الغاليلين — كان الاشراف في معظم الشعوب الغالية من اشياخ رومية يقاتلون في الجيش الروماني على انهم رديين من الفرسان ويمشرون القباط الرومانيين وكان بعضهم من اصحاب قيصر الا ان السواد الاعظم من تلك الامم كانوا يتبعون ياولثك الجنود الثرياء الذين يسيرون سير السادة فأتشق بعض الزعماء عن حزب الاشراف وانفقوا بينهم سراويل تبييض السم. وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك لان القمع كان نادراً في تلك السنة . قرر زعماء الغاليلين ان يغتفوا هذه الفرصة للهاجمة الفرق المعزلة وقطع مواصلاتهم فانتظروا ريثا يعتمد قيصر الى ولاية سيزالين حيث ذهب لقضاء الشتاء .

الا ان شعب الكارنوت ( شارتر ) ابدي فواجذ المعيان قبل ان يتم ما يروونه مستحيلاً غضباً من ملكة الذي نصبه قيصر وحاً كه تحكيم عليه بالاعدام وقتل . فبلغ قيصر هذا النبأ فاستعد لحرب ولا ازمنت الفرقة الرابطة في بلاد السامبر الخرج من مسكرها دامها ١. - يورون هذيوما . ورأت فرقة رومانية اخرى ان تبقى في مسكرها فاحاط بها الغاليلون فاسرع قيصر وقكن من اتقائهما وعند ذلك استراحت الجنود الرومانية الى آخر الشتاء . ولا طلع الربيع الى عدة شعوب غالية من الشمال ان يمشوا بوفودهم الى قيصر فجمع جيشه بومته ومعتهم واحداً بعد واحد فالتقم من الايبوريون بقرب زروعهم وحرق قروام وذبح السكان وطارد المنهزمين الى غابات آردن وما جاء الخريف الا وقد خضت غاليا الشمالية بأسرها .

الفارس فرسجنور يركس — اجمع شعوب اواسط البلاد في خلال الشتاء ارمم بينهم على المعيان غالية وبدأ الكارنوتيون اولاً فداهموا مدينة ستابوم على نهر الوار فقتلوا فيها تجار الطليان كافة . وفي هذه المرة تسلم عامة الشعوب النازلين بين نهر السين والمارون لقتال الرومان وبقي الاكتيون على الحياد . وبدأت الشعوب الخالفة لرومية تنزع السلطة من يد الاشراف اشياخ قيصر واقاموا زعماء جدداً ودخل هؤلاء في التحالف الغالي

وكانت زعيم الثورة شاباً من اشراف لوفرنا اسمه فرسجنور يركس وهو فارس يحسن الفروسية ختم في الجيش الروماني وكان سديقي قيصر وحدث ثورة في بلاده اولاً وما حاج سكان القرى حتى تنزع السلطة من ايدي الاشراف واصبح ملكاً على ارفرنا . ثم حث بوض الى الشعوب الاخرى وجمع جيشاً وجعل من نظامه ان يحرق الخائنين ويصلم اذان

الآبقين ويسجل عيونهم . فدام الغاليون الرومانيين في آن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا ( من اقليم لانكدوك ) وفي الشمال من البلاد الواقعة بين نهري السين والسون حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر ان يجتاز جبال سيفين وهي مكللة بالثلج واكره فرسختوريكس من رجاله ان يعود للدفاع عن بلاده فانسح الوقت لقيصر ان يجمع جيشه بالقرب من سانس وينهب فيه الى اقليم الوار تغرب فرسختوريكس جميع البلاد وجعل المندن قانا صفصفا لتكون قفراً لا يجد فيها العدو شيئاً يطعمه يد ان اليتورنيجين لم يقبلوا بتغريب مدينتهم افار يكوم ودافعوا قيصر عنها زمناً

بعث قيصر في الربيع (٥٢) فيلقاً لياغثة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جركونيا قلعة الارفرنيين فرد على اعقابه وحرج موقفه اذ لم يكن لديه ما دام ( خراب مخازن ذخائره في نرف ) وهو محصور بين شعوب الارفرنيين والايديوانيين الا بن ذبحوا القهار الطليان وضع ذلك امر على عدم اخلاء غاليا وتمكن من الوصول الى سانس . وفي خلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبي جميع الشعوب الغالية الزعيم فرسختوريكس قائداً عاماً على الجيوش الغالية

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرساناً اخذهم لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون وامله فعل ذلك ليتمكن من مراسلة بروفنسيا فنبهه فرسختوريكس في جيشه وحاول ان يقطع عنه مواد الطعام ورعى الجيش الروماني وهو في مسيره بفرسانه الغاليين فهزمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسختوريكس على اعقابه الى مدينة اليزيا الحصينة في بلاد الاكام بين نهين السون ومصب نهر السين فنبهه قيصر وحاصره فيها جراحلاً حول اليزيا سوراً تعلوه دائرة مجهزة ذات أبراج يحميها بخندق .

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن جيش فرسختوريكس ودام الرومانيين ولكن حال دون الوصول اليه ذلك السور الذي اقامه قيصر من ناحية الغلاء . وبعد اشتباك القتال بين الجيشين رد الجيش الغالي على اعقابه وتفرق شذر مذر فلم يبق عند الجيش المحاصر في اليزيا شيء من الزاد فلم فرسختوريكس (٥٢) فبعث به قيصر الى رومية حيث قضى ست سنين مريضاً ثم شهد حفلة انتصار قيصر وضرب عنقه .

وبهذا انتهى العصفان العام . وقضى قيصر سنة اخرى في اخضاع الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فابادها . وكان يفاخر بانه ذبح في ثمانين سنين مليوناً من السكان وانه امر منهم مليوناً آخر باع بيع العبيد وقضى سنة اخرى لتنظيم شؤون حكومة غاليا وببذل ذلك صفا الجور لرومة بهلاك اعدائها . وقد وسد قيصر الحكم الى الاشراف اشباع



الرومان والف فرقة من الفالين لقبوها بالسفوف وكان جيشه المدرب يحبه لخدمته نفسه ان يستخدمه في الاستيلاء على المملكة الرومانية بأسرها . تخضعت غالبا لرومية مباشرة ونقسمت ولايات ولكن تنظيمها لم يتم الا على عهد اغسطس .

## جيران الفراعنة

« بقية ما في الجزء السالف »

نقدم ان اكتشافات المسترونكر في بوزاز كوي كانت ذات شأن سام لملاقاتها بالتاريخ القديم لشعوب البحر المتوسط وهاتين اولاه نشرح نظريتنا من هذه الوجهة المهمة ونبينها على قدر الطاقة .

لما كان من المسلم ان عاصمة مملكة الميتيين ليست كما ظن حتى الآن جرابيس في شمال الفرات الاوسط بل هي بوزاز كوي من اعمال كبادوسيا لم يبق - حربة في ان نقول بان ملك الميتيين امتد سلطانه الى ليدا . وهذا التعلب على الساحل الآسيوي من بحرايجي ظاهر في نفسه لا يحتاج الى شرح بعد ان عرف بان كبادوسيا كانت متاخمة لاقليم ميونيا او تكاد . واذ شاق ذرع الميتيين من اتصال اعتداء الفراعنة على املاكهم الجنوبية اجمعوا امرهم بينهم على اشهار الحرب على مصر وطرد الفراعنة منها واذ لم يتأت كتم استعدادهم للغارة في وسط بلادهم فقد اضبح هجومهم على الفراعنة مجرا ضربة لازب ليحولوا دون اعتداء الفينيقيين وهم تابعون لمصر مثلا يكونوا السبب في اخفاقهم في غزوتهم . فبدلا من ان يستعملوا ثغراتهم من قوائم الحربي العظيم لارسال اسطول ضخم اختاروا ثغر ازمير وهي تقع في وسط خليج مشيعين بانهم رأوا من الضرورة ان يهاجروا لان السكان غموا كثيرا فضاقت بهم البلاد . ولئن لم يكتب لثغراتهم ان يجتمع المحاربون فيه فان مجارته وربابته وفيهم وحدهم كاللبيتين الثقة الزامة تولوا امرة الاساطيل واهجارها . ومن هنا جاء اسم تورسها الذي اطلقوه على غارتهم على مصر . ولا شك انهم بعد انكسارهم قصدوا ايطاليا لاستيطانها مع بقائهم مرتبطين ارتباطا محكما يلازم الاصلية وذلك لان دخول السادرسين والسيكوليين بعد قرن في اتحاد شعوب البحر يحمل على هذا الظن .

وليس التناوب الظاهر بين رواية هيرودس واثركرتك المزبورة هو من فعل الاتفاق . فقد قال هيرودس ان عهد اتيس او الاتيين قد تقدم عهد ارغوب

مؤسس الدولة المصرية وفي ذلك مجال الى القول بان استيلاء الهيتيين سبق استيلاء الاشوريين على آسيا الصغرى وامم نقطة جوهريه في رواية هيروdotus المؤرخ اليوناني في الصفات المميزة للعمل الذي قام به تورسنوس في تولية زعامة الاسطول الذي اقطع من ازمير فقد ورد في نصوص الآثار المصرية ان التورسانيين كانوا عقدوا العزم على اخذ اساطيل شعوب البحر المتجمعة تحت حمايتهم .

وهنا ننقل الى الكلام على شعب آخر جعله بانتاور في شعره في مصاف الهيتيين على عهد رمسيس الثاني . وهذا الشعب هو الدرداني الذي نسب اليه كتابات انكرك التقدم على جيرانه لانه قبض على قياد الجيوش للاتحاق بملكهم الخاصين له في سورية . والظاهر ان هؤلاء الدردانيين هم الذين ورد ذكرهم في شعر هوميروس . وجاء في تقليد صحيح منذ القدم بانهم سكنوا شاطيء الدردنيل وانهم كانوا من اصل تراسي .

ولا نكتف ما يحتاج ضميرنا من التردد اذا اردنا ان نعيد من هذه الوجهة عن تأثيرات التقاليد ولا سيما اذا جاءت متوافقة متناصرة . ومع ذلك فان اعتقادنا بعدم قبول مثل هذا الاصل واسع ولكن لا نستكف من جعله قيد النظر والبحث على ضعف فيه .

وبعد فيظهر لنا ان دخول التراسيين او الفرغانيين في اصل جميع الشعوب الصغيرة التي كانت تسكن اذ ذاك الشاطيء الآسيوي من يربوتيد ناسي كما قلناه من رغبة الآسيويين بالاتصال باليونان عند ما اتوا لاستعمار هذا الجزء من آسيا الصغرى حرب زوادة بمئة واربعين سنة ومن هنا دخل في طر اصول سكان هذه البلاد واتجاههم تقليد اصبح له مع الزمن صبغة تاريخية وان تطرق الشك اليه كثيرا .

نحن نرى ان الدردانيين ليسوا تراسيين ولا كريتيين يلاسيحيين بل كانوا ايرانيين ودليلنا على ذلك ما رواه هيروdotus . وفي الحقيقة ان هذا المؤرخ لا يعرف الاسم مدينة واحدة باسم الدرداني كانت في عهده على الشاطيء الآسيوي من الدردنيل فالدردانيون الصغر فقد ذكرهم في اودية جبال ماتي التي يجري فيها نهر جينديس الذي يسب في دجلة الوسطى وهوام مصب له . ويقول ماسيروان الماتيين الذين ورد ذكرهم في فرع من النصصر البروتو الارمني . ويقول ماسيروان الماتيين الذين ورد ذكرهم في الكتابات الاكادية او الماتيين الذين ذكرهم هيروdotus كانوا انساب الدردانيين سكنوا اولاً في جنوبي بحيرة اورومية بين ارمينية قديماً وميديا لحد الميل الى اقليم الحاضر بالماتيين وجيرانهم الى مفادرة جبالهم واوديتهم منذ القدم وان يضربوا في شواطئ قتلهم قديم حيث استوطنوا منذ التي سنة قبل المسيح . وان ما يدعوننا الى ان نزلهم بان تاريخ ذلك قديم هو

انه ورد في الكتابة التي ذكرت فيه حرة نوتيس . ان احد القراعة فانه بعد ان نكل  
بقصر والآن اريد ارض مازان في مرامق ونحاشيا كما ورد في تلك الاثر . اذا في  
معنى للفظ مازان ان لم يكن للمثنين من حين - كرم هيرودس . ادع مع هذا فيكون  
للمثنين منذ الزمن الاصول قد احتجوا ونهروا قرايرمق وحسروا في انهم استوسط وذلك قبل  
ان يفسد التراسيون حتى في اور . . . . . ورتب جاء من هنك خلط قدمه المؤمنين في دعواه  
بوجود قرابة بين الفرغانيين والارمن وهي قرابة ينفيها مؤرخ الارمن موسى دي خورين  
لانه يرى ان اصل الارمن من تيراس لا من كور . ومن المحتمل كثيراً ان تشابه النطق  
تيراس وتيراس قد اوقع في الخلط بهذا التفسير وبجس العلم اخافير تكون تيراس في اقلية  
طورهس لا في تراسيا .

ولقد اقتضت زمانه في ازمير كانت في خلالها صلات دائمة مع الآباء المجتار يستين ولذلك  
ألفنا اللغة الارمنية فلم ننبين في هذه اللغة تناسباً لغوياً بين اللسان الفرغاني الذي كتبت  
به النكتوبات الآسيوية واللغة الارمنية . واذا كان ثمة بعض الالتفات سرت ففسأوه  
من وحدة البلاد التي سكنها بعد عهد نزول التراسيين الى آسيا الصغرى يزم من طويل  
يبد ان المصانع الارمنية كثيرة في أيامنا هذه في هذا الجزء من قارة آسيا وقد قيل ايضاً  
ان اللغة الارمنية المدرسية الحديثة قد نشأت في القرن الخامس لئلا يلاذ بذلك كان من المعتذر  
معرفة أي لغة كان يتكلمها البورتو الارمن . وهناك خطأ من آخر وهو ان اللغة الارمنية ليست  
هذه . وفي القرن الخامس ب . . . . . بل ان حروف هجاءها واللغة الارمنية متشابهة الاصوات  
بحيث يصير ان تكتب بحروف أوروية ولذلك اقتضى لما يحد حروف خاصة للاستعمال  
ومن المحقق انه لا توجد كتابة صغرية يرد عملها في العهد البورتو الارمني وجميع  
الكتابات التي وجدت في مدينة وان قد رسمت بالخط المسند . ولما اراد مسزوب سيف  
القرن الخامس ان يؤلف لامنه آداباً وطنية لم يجد المواد لتأليفها من اصول حروف الهجاء  
الاورية كلفه الروم آسيي الصغرى او ابطاليا بل وجد الاصول لتأليفها في فرع اللغة الآرامية  
مثل الهيولوية والزندية والكرجية واذ كانت هذه اللغات ايضاً غير كافية للتعبير عن الاصوات  
الارمنية اضطر ان يزيد سبعة حروف صوتية وسبعة حروف ساكنة ليثمل بها الاصوات  
التي لا توجد في حروف الهجاء المعروفة من اصل آرامي وبذلك تبين ان لاعلاقة للغة  
الارمنية مع اللغة الفرغانية لان هذه لغة لم يكن لها غير تسعة عشر حرفاً وكانت غير كافية  
للاعراب عاقبها .

بقي علينا الآن ان نشرح الداعي الى الاستعمار الايراني لتروادة وعلاقة هذه مع

الدولة التي حكمت في اليون وفي علاقة كانت السبب في تقدم ذلك الاستعمار على غيره . من المستعمرات انكريتيه اليلاسمية في هذا الجزء من آسيا الصغرى وليس غير الاستدلال نحمد اليه في بحثنا في هذا الماضي الذي لا تاريخ له ولا ندي بانناضع نظرية لعرضها كأنها حقيقة اساسية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ويتيسر لنا الحكم على ذلك الماضي بما تدل عليه بقايا ما عثر عليه من الكتابات التي ورد فيها خبر الانتصارات في الكركك او في النصوص اليونانية والظاهر ان اهل الطبقة الحاكمة من الميتين كانت لا تنظر الى تطبيق المبادئ السياسية بالحرف بل تنوحي تطبيقها مع الاحوال والزمن ولذا كان يمكن جزءاً من بلادهم شعب ضعيف كان في اخلاصه له نظراً الى ذلك الى خلع ربة دولتهم الحاكمة وتسليم مقاليد الحكومة الى دولة أخرى يتيسر الاعتد على اخلاصها أكثر . ومن صعب مراسهم من الشعوب يطردونهم من بلادهم . وهذه السياسة تشرح كيف نقل الشعوب في بلاد الميتين من ناحية الى اخرى من اتحاد مملكتهم . وبهذه الحجة دخل اللوكوسيريون الى كابادوسيا لمساعدة الدولة المينية الحاكمة التي هي من جنسهم ودخل المونيون الذين ردم الهينيون على اعقابهم واستعانوا عنهم بالفتور السامي اللودي ومثلهم التوكريانيون الذين طردوا الاستعاضة عنهم بالدرديين لمساعدة على عمردانييل ومنع اساطيل الاعداء والمزاحمين من الدخول في البحر الاسود وهو مركز تجارة كبرى لمنافسة الفينيقيين . كل ذلك يجعل على الظن بان قبيلة اولية اجتازت خليج الدردنيل على عهد الملك تومرلان المؤرخ هيردوتس يؤكد انه رأي في كولشوس مستعمرة مصرية حبشية كانت هناك منذ الزمن الاطول

واذا توسعنا في البحث في اصول الشعوب التي تبعث الجيش الهتي الى سورية من طريق البر نجد ثمة جماعات اخرى وان كان قدومها آخر الامر من كريت فليست على ما يظهر كالفيلستيين من اصل ليبي مصري . وهؤلاء الجماعات هم الكاريون والليسيون والكوكونيون الذين يظهر ان بينهم قرابة ونسباً . قال هيردوتس فيهم ان الكاريون والكوكونيين والليسيين غادروا الجزاير لستوطنوا القارة الآسيوية وكانوا في التقدم وعاليا مينوس ( ملك كريت ) ولم يكونوا يدفعون بجراحاً ولهم في ميلاسا معبد قديم للشعري الكاري وهو بينهم مشترك لما بينهم من القرابة ولذلك كانوا مستأثرين بهذا المعبد وحدهم دون جيرانهم الذين ليسوا وائام من اصل واحد . وكانت لهم عادة قلما توجد عند غيرهم من الناس وهو أنهم يدعون الالباء الى امياتهم لا الى آباؤهم اذا مثل احدهم عن نفسه ذكر والدته وصلته نسبياً . وعدم اذا تزوجت امرأة وطنية بعد مجيء اولادها اجرا اشرافا ولما اذا تزوج وطني

ولو كان سيد قومه من امرأة اجنبية أو من سرية فاولاده ساقطون لاشرف لهم وليسوا احرارا .

وقد ألف البارون دي كستين كتابا مستوفى في النكار بين قديما فبحث في اصل حكم المرأة في الامرة وفي تأثيرها في المجتمع المدني وتقودها في المملكة واثبت بان هذه العادة كانت مستحكمة عند الامم اليبية القديمة وعند قسم عظيم من شعوب آسيا الصغرى . وقد جمع بين هاته التوب ليرجعا الى اصل واحد هو في رأيه الجنس الاسمر النازل في اوساط آسيا المعروف باسم العنصر الكوشي .

وقد كانت عبادة الكوشيين عبادة ارباب البحار كما كانت عبادة الفوثيين والابريين ونشأت هذه العبادة على شواطئ المحيط الهندي وانتشرت في عامة انحاء اقليم الفارسي وبلاد العرب الجنوبية ومن هناك انتقلت الى بلاد الحبشة ومنها سرت الى اطراف موريتانيا من المحيط الاطلانطيكي . انتقل مكار وهو معبود اليبيين والابريين الى اليونان مع تعديل كثير فيه وكان حيثما انتشرت عبادته تؤوي المعابد العمورة باسمه من يربها من البحارة ومن الصعب ان تصور كيف عمت عبادة مكار في البلاد ذات الانهار والجزائر الواقعة في البحر المتوسط حتى بلغت جزائر مكار في وسط المحيط الاطلانطيكي . فقد ترك النكار يونان والمكار يون حيثما نزلوا بنايات متسعة صبرت على الدهر يتانتها . فاذا سرنا من ليبيا نجناز اولاً واحدة عمون الذي سمى اولاً باسم مكارونيدواو جزيرة مكار . وقد كان في برقة نهر اسمه مكار وفي خليج قابس بحيرة مكار وفي زونجيتانيا نهر آخر اسمه مكار . وعلى الشاطئ الاطلانطيكي في موريتانيا (شمالى) مراكش وغربي الجزائر) نهر وبحيرة باسم مكار . وقد اكتشف هاتون القرطاجني في تلك الاصقاع في القرن السابع قبل المسيح نهر لوكوس وغرائب مدينة اسوارها كارية ولا تزال هذه الاسوار موجودة الى يومنا هذا واذا تركنا وراء ليبيا ومررنا باوربا نجد في مدخل الارخبيل اليوناني جزيرة لمكار ونعني بها جزيرة كريت وربما جاء من هنا اسم كانتوراو جزيرة سيفين الكبرى على ما قال ذلك ايبس الاثري الالمانى واذا تقدمنا الى الامام نجد نهر المكار في اقليم تاساليا وآخر في ييوسيا وثالثا في بروتيدا . ويؤخذ من قول هوميروس ان لسبوس (جزيرة مدالي) كانت مقراً لمكار

ولا يقف انشاء عبادة مكار وراء تخوم بلاد اليونان بل كانت شائعة في اقليم اومبريا بايطاليا وماردينيا وايريا (الاندلس) ولا شك ان اسوار جزيرة تارتاسوس لم يستطع اهل صيدا ان يدكوها الا باختراع الخنثى وما تعامت عليهم الا لانها بنيت معبداً لمكار

وأذا سألت عن مكار هذا الذي يكاد يكون أثراً خالداً في كل مكان فهو بحسب الألواح  
الاشورية المخفوظة في المتحف البريطاني « مكار او انو — كما جاء في احدها — سيد المياه  
ورب الانهار وسultan البحار وزعيم الاحماق وربها وحظاؤها » وفي الاساطير البابلية انه  
احد الارباب التي بدت في صورة امياك . يحرس منازل الرجال الذين خلقوا على هيئة  
امياك ويتصل نسب مكار كما في الاساطير الهندية بفرع انكوشيين . اذا عرفت هذا فلا  
يسوع لك ان تخطئ بين مكار بعد ما ذكرت لك من وصفه وبين يوسيدون وهورب ليبي  
صرف رآه اليونان في جميع البحار واتخذوه مصبغوه بصبتهم . وكان على الشاعر هوميروس  
ان يعرف تلك الارباب القديمة التي كانت تصد في ليبيا لانه كثير اسما يذكر في الاوديسية  
اسم الحيشان الآسيو بين والحيشان الافريقيين .

ولغة الكاريين هي لغة البربر وهي لغة احد الفروع القديمة للجنس البشري كان يطلق  
عليها جيرانهم في آسيا وافريقية بارباروي . وهذا الاسم القديم ( البربري ) لم يطلعه على  
عمومه الا اليونان واللاتين اما هوميروس فانه يعني ببربر ذلك الفرع الهلي من الناس  
المعروف باسم بربر حتى اليوم . وبين بارباروي كما اطلقه هوميروس وبربر ليبيا تناسب  
يؤيده ما يذهب اليه علماء اللغات من انه يوجد في لغة هوميروس بعض الفاظ تقرب كل  
القرب من اللغات السامية حتى لقد قال احد العلماء انه اذا كان القوم اليوناني يدل على  
تراكيب تشبه النحوسنسكريتي واللاتيني والسلافي فان مجملهم وان حوى مفردات كثيرة  
جداً ولا سيما في المصادر الصوتية وهي آرية بالطبع قد اطلعت على قليل من المعاني القريبة  
عن جميع اللغات الهندية الاوربية والالفاظ السامية . وليست هذه التمايز مقصورة على  
الالفاظ الدالة على حيوانات ومعادن ونباتات بل ان منها ما يدل على المبادئ الضرورية  
للحياة المدنية والسياسية وفيها خالف اليونان وحدهم اجماع الامم الاوربية اه

وقد تبين ان بين خط ميونيا وخط ليبيا القديم تمازج وان هذا الخط ليس له علاقة  
بالحروف الهيكلية او الحروف الفرغانية في آسيا الصغرى بل هو مشتق من الخط الهندي  
الحميري . والظاهر على ما قاله نورمان ان الخط الهندي الحميري جاء في الاصل من جنوبي  
بلاد العرب ومن هناك انتقل الى افريقية — حيث كان الخط الحبشي والبيتي فرعاً خاصاً  
برأسه — مع الخط الحميري او هجاء سكان اليمن القدماء

وهذا التعريف الذي عرفه لنورمان من تعيينه سيرة هذه الحروف الهيكلية هو مثل  
تعريف البارون دي كوستين للخط الكوشي في نقله الى ان بلغ البحر المتوسط فغاص لنا من ثم  
ان نقول ان اللغة الحميرية اشتقت منها الفسائية والغزبية والكربونية والاسحورية والتيفغنية .

## مطبوعات ومخطوطات

## العرب قبل الاسلام

ألف جرجي اخندي زيدان منشيء الهلال هذا الكتاب وهو يبحث في اصل العرب ودينهم ودولهم وتقدمهم وآدابهم وعاداتهم من أقدم ازمانهم الى ظهور الاسلام ويدخل في هذا الجزء الاول تاريخ دول المملوك في بابل ومصر وسفلى بطرا وتدمر وغيرها وتاريخ العرب القحطانية في اليمن ودولها المعنية والسبابة والحيرة وتقدمهم في مأرب وظفار وحضرموت وفيه اخبار عرب الشمال وعدنان وما كان لهم من الدول في الحجاز ومشارف الشام والرافق وحروبهم وغير ذلك . وقد زينه ببعض الرسوم والخرائط وجعله هدية لشركه عن السنة السادسة عشرة فجاء في زهاء ٢٥٠ صفحة يشهد بطول باع المؤلف وبجته فحث على اقتنائه .

## فلسفة العمر

قد فينا المؤلفون الذين يؤمنون للذة والفائدة فقط وقل فينا من يحبون العلم للعلم ولا سيما من اهل السنة . وصالح بك حمدي حماد من اهل هذه العاصمة هو من اكتاب القدين وقفوا ايامهم وليالهم على هذا الغرض الشريف تقى حتى الآن عدة كتب من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية ولو كان يعمل عمله كل من تعلموا لغة اجنبية منا فيتعلمون لنا ما بلنا . انتم لتفتنا بأداب الامم الغربية وتاريخها واجتماعها وآخرها نشره رسالة في فلسفة العمر في ادوار الحياة الاربعه اي الطفولة والشباب والكهولة والشيوخه وما في طياتها حسب الاحوال الاجتماعية الراقية من عبر وحكم اضاف اليها بعض تراجم المشاهير الواردة اسماءهم في الكتاب وطبعه طبعا جميلا في ١٤١ صفحة ويطلب منه .

## نور اليقين

## في سيرة سيد المرسلين

هو كتاب في السيرة النبوية لمؤلفه الشيخ محمد الخضري من افاضل هذه العاصمة طبعه للمرة الثالثة اجملى طبع حين اخذ محمد صاحب مكتبة المؤيد في ٢٣٤ صفحة . وهذه السيرة على ايجازها من اتق ما كتب في هذا الموضوع الشريف ولقد راجت وطبعها ثالثة

## عنة الاولاد

عرب سليم اخندي خوري هذه الرسالة من الانكليزية فيما يجب على الاولاد معرفته

وهي في صورة مخاطبات ورسائل حوت نفايح كثيرة لطيفة وتطلب من معربها بمر .  
وهذا هو الجزء الاول ويليه ثلاثة اجزاء وفقه الله الى تعريبها ونشرها .

### رحلة ابن جبير

من اهل الرحلات وانتمها رحمة ابن جبير الاندلسي من اهل القرن السابع طبع في  
أدربا مرتين واعيد طبعها ثلاثة الان وتطلب من طابعها مصطفى افندي فعمي الكندي  
بالحلوي بخمسة قروش اميرية وشهرة ابن جبير تفني عن التنويه بكتابة الذي طارده  
وحلت في الاسماع نعمته .

### الدرر السنية

الف حسين افندي فتوح ومحمد علي افندي عبدالرحمن هذه الرسالة في اللغة العامية  
وما يقابلها من العربية وقد اعتدنا على لغة العامة في مصر وقابلها بما استحسنه وعرفاه من  
القصص لجاءت في ٦٤ صفحة فتنني على همتها ونرجوان بتوسعا في هذا الموضوع الجليل  
وسائر المشتغلين به .

### المجويات

هو ديوان الشيخ محمد الحسن المجوي فيه غروب من شعره واكثره في المديح وقد مدره  
بترجمة نفسه وحلاه ببعض الرسوم وهو في زهاء مائتي صفحة صغيرة ويطلب من طابعه بمر  
فله الشكر على هديجه .

## سير العلم والاجتماع

### بنات اميركا

ازهر تعلم البنات في الولايات المتحدة فيها ١٧٩ مدرسة تقسم ورا جدرانها ٣٠ الف  
طالبة يعلمن ٢٦٠٠ معلم ومعلمة وينسب الفضل في تأسيس معظم هذه المدارس لمقاتل  
واوانس من ربات الخورجين في هذا السيل بملايين الريالات دفع المبتلاك بعضهم دافع  
علي وبمضن دافع انساني اوديني اومدني . قال بعض الاجتماعيين ومن عيوب هذه  
المدارس كثرة البذخ والاتفاق فيها حتى انك لا تجد في التخرج من مدرسة ولسلي منذ



خمسة وعشرين سنة وعدد من اثنا عشر ألفا سوى سبعمائة ناطقين مهنة الصحافة والتدريس والياتيمات عانسات ينتظرون ان يتزوجن من رجل غني .

### وفرة الاطباء

تشكو ألمانيا الآن من كثرة اطباطها قضيها بحسب التقرير الطبي السنوي ٣١٤١٦ طبيباً وفي بروسيا وحدها ١٩ ألفاً وفي فرنسا ٢٠ ألفاً ومثلها في كل من إيطاليا وروسيا . وعدد الاطباء في أوروبا ١٦٢٣٣٤ طبيباً وعدد في العالم كله ٢٣٠ ألفاً قالت المجلة التي ذوي عنها والظاهر ان هذه الصناعة في اكثر البلاد لا تقوم بنفقة صاحبها .

### أوقات الزواج

بحسب احصاء أخير يتزوج الشبان في ألمانيا وفرنسا نحو السنة التاسعة والعشرين وفي الدانمرك والسويد نحو الثلاثين ويتزوج الصربون في الرابعة والعشرين وم أسرع أهل أوروبا الزواج الباكر . أما أهل الشرق فأسرع بكثير الى الزواج

### عناصر الولايات المتحدة

في هذه الولايات ١٥ مليون غريب ومعظمهم بقيت بينهم وبين أهلهم في أوروبا صلات مستحكة فيرسلون اليهم بما يقتصدونه من المال ليمشوا به وقد قدروا على وجه التقريب ما يخرج من مال اميركا الى أوروبا كل سنة بخمسين مليون جنيه تأخذها إيطاليا القسم الاعظم من المال فيصيبها ٧٠ مليون دولار في السنة ويصيب فرنسا ٦٥ ويصيب بريطانيا العظمى ٢٥ وروسيا ٢٥ وألمانيا ١٥ مع ان في اميركا مليونين من الطليان واربعة ملايين من الالمان ولعل الطليان يطول عليهم الامد حتى ينشأ أهلهم كما ينشأ الغريب أهل وخاله اذا طال عهده بهم في العادة او يسونه

### المداواة بالجوع

قال الاستاذ كارنجتون من علماء النفس ان عامة الامراض يتيسر شفاؤها بالجوع ومن رأيه ان جميع الاسقام على اختلاف اشكالها ونشوتها مشاكلة من حيث أسبابها وعلاؤها وما عدا بعض الازواج الناجمة من جراحات فان أسباب الامراض هي انجاس مواد لم تفرغ في التركيب الانساني لانسداد المصارف الطبيعية امامها . وما المرض قسه الا عمل يجري في الجسم لعمل هذا الدم وعلى هذا فاذا ازيل السبب زال الملب . والاشياء الفاسدة تدخل الجسم من طريق الرئة باستنشاق هواه فاسد أو من

طريق المعدة بتناول او شرب ما يضر وينتج من ذلك بانه ليس ثمة سوى واسطة واحدة  
لاخراج المواد الضارة الا وهي اسقاط الفضلات

فيقتضي ترك الرثين والمعدة تغلظ من تلقاء نفسها مما يعوقها أو يلقبها في خدار وليس  
مانسبه مرضاً في الحقيقة سوى لتنظيف طبيعي تقوم به ولا نرى فعله ومن الخطأ ان نعتقد  
انه يجب مكافحة المرض بأدوية وعقاقير ونابة ما يجب علينا في تلك الحال ان لا ندخل في  
الجسم مواد اخرى، تزيد انكشافه فيه من حيث الهواء او من حيث الغذاء

وليس من سبيل الى ذلك الا بان يدفع المرض عن المريض بان لا يستعنى بها  
فاستدأ وان يتجنب عن الاكل بتهـ . وليرصف الاستاذ المشار اليه طريقته للاسجاء بل ومغشها  
للمرضى فلا يتناول المريض طعاماً أبداً كان نوعه فيقله فيه ثقل الرأس الذي يعجزه ثقل  
المعدة ويصعب بصره حاداً وسامعه احد وذاك رته احد فيشعر المريض بالتدريج بان صحته احسن

### أعمال الفلاسفة

سئل بعض الفلاسفة كيف يكتبون فقال تيودور ريبو من فلاسفة فرنسا انه يجمع  
المواد اللازمة ثم يستخرج منها الموضوع الذي يريد ولكنه يهمل في الانشاء فلا يكاد  
يكتب أكثر من ساعة في اليوم وعلى العكس لا يفتأ يعمل عقله في التزعة والسكة الحديدية  
وقال الفرد فوليه الفيلسوف الفرنسي انه سريع الكتابة فاذا جمع معه الفكر يندفع  
يكتب ساعات طويلة ولكنه لا يمتثل حصر القهن طويلاً فيسرع الى مغادرة مقصوده  
ويسير في الخلاء ركضاً . ويكتب الفيلسوف هوفدنه الالماني في أوقات متقطعة فيسهل  
عليه التأليف في الطريف والشتاء أكثر من الصيف والربيع وفي المدينة أكثر من الريف  
ولا يستطيع الفيلسوف كوميرز الالماني ان يكتب الا املاً . اذ يستطيل المسافة بين  
التفكير والكتابة

### الهند الانكليزية

بلغت مساحة افند مع عدن وجزائر اندمان ونيكوبار ٤٥٩٣٥٠٥ كيلومترات مربعة  
وكان عدد سكانها ١٩٠٦ - ٢٩٤٣٦١٠ اي ان في كل كيلومتر مربع ٦٤٠ ساكناً وقد  
كان فيها سنة ١٨٨١ - ١٢٩٩٤١٨٩٠ رجلاً و ١٣٣٩٥١٠١ امرأة فاصبح فيها سنة  
١٩٠١ - ١٤٩٩٠٣٥٩٩ رجلاً و ١٤٤٣٨٩٨٣٤ امرأة ولا يدخل في ذلك سكان عدن  
وجزائر اندمان ونيكوبار وم ٦٨٦٨٣ بل تدخل فيها الممالك الوطنية وأكثر العناصر هناك  
العنصر الهندي وهو يبلغ ٢٠٧٠٣٥٠٣٧ ثم السلون وعددهم ٦٧٤٢٠٢٩١ والبودون

والجنين ١٠٨.٨٦٥٣ والمسيحون ٢٩١٨٧٨٦ ومن هذا المدد العظيم ٩٥٦٦٦٨٤٥ نسمة بخاصون الزراعة و ١٧٩٥٣٢٣ من طبقة العمل في الاعمال الزراعية و ٤٥٧١٩٦٤٥ يعيشون من الصناعة و ٧٧٢٥٧٣٧ من التجارة وفي الهند ٧٨ مدينة يتجاوز سكان كل منها خمسين ألفاً منها ٢٧ مدينة فيها زهاء مئة الف وتسع مدن فيها مائتا الف

### تحسين الاذواق

في اميركا مئات من ارباب النقد والاساندة آلوا على انفسهم ان يعبروا اوقات فراغهم في تحسين اذواق الشعب وغرس الميل فيه الى الفنون فيزورون خاصة المتاحف ويشجعون الفنانين من العامة ما يجلبونه ويترضون لحل سوائ كل من يسأل عن امر غامض لم يفهمه فيذكرون فنانين في بضع كليات تاريخ الفن ويترجمون في ذكر محاسن الاثر المعروف بحيث يفتح عيون الجاهلين . وفي المدارس ولا سيما الابتدائية منها يعرضون من المعصومات وغيرها ما يراه في الاولاد ملكة اصيل في الفنون وتطربون غيرهم في تعلمه عند الحاجة . كل هذا يقوم به احد اميركا لشكثير سواد النواحي في الفنون الجميلة والانشادات النفيسة

### مائيل قرطاجنية

ظفر الباحثون في عرض البحر على سبعة كيلو مترات من قرطاجنة بعدد عظيم من التماثيل المصنوعة من القلتر وهذا لاكتشاف مهم لانه يكشف القناع عن اشياء مجيدة في الحضارة القرطاجنية .

### معدة غريبة

قد احدث الاطباء مؤتمر الجراحة الالمانى معدة من اعجب المعد . وهي معدة رجل مريض استخرج منها ١٦٧٠ قطعة من حديد مثل مسامير وكلايات واسلاك وغيرها

### درس السعادة

قال احد علماء الالمان في بحث له ان من احب الاقتراب من معاهد السعادة يجب عليه ان يحسن كيف يستقي من معادير الحياة الاربعة وهي السعادة الاخلاقية والسعادة العقلية وسعادة الشعور وسعادة الخواص وان يكون حراً في باطنه اي يعرف كيف يتخلص من الافكار والارهام الموروثة . والتقوى والصالح والاخلاص مصدر السعادة الحقيقية وعلى من تطالت نفسه الى بلوغها ان يهذب نفسه بنفسه .

# المقاسر

الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث

ذي القعدة سنة ١٣٣٦ موافق ديسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠٨

## المجلس العمومي

يا شرق بشرارك ابدى شمسك الفلك  
انضى بك القوم احراراً قد اعتمسوا  
ماذا اقول وقد فزنا بؤثر  
ناد به القول من اهله مستمع  
ناد اذا قررت عنا الامور به  
يصطاد فيه شزود الحق عن كذب  
ان السحاب لم تظهر يوارقها  
وللتدابير حرب لا يخيب بها  
هذا هو المجلس الرحيم الذي وسعت  
هو السماء التي تلج السماء بها  
دارت بها شمس عز الملك حيث لها  
قد اصبح الامر شورى بيننا فيه  
واصبح التاجر في فرج وأن يندت  
هذا الذي جاءنا الدين الحنيف به  
هكذا به نهض الاسلام نهضته  
يا قوم قد حان حين تحفرون به

وزال عنك وعن آفاقك الخلاك  
من النجاة بجبل ليس بينك  
في جانيه ترى الآراء تشبك  
والحق متبع والامر مشترك  
لن يتبد من نسج النهر شرد  
كلاء يصطاد في خصافه السمك  
ما لم يكن للقوى فيه معتزك  
قوم يستنفع الآراء قد يركوا  
احكامه الناس من عاشوا ومن هلكوا  
تبدو من العدل في آفاقها حبك  
جربة العيش يرح والنعى فلك  
على الرعية لا يستأثر الملك  
ادبانهم ما بهم حقد ولا حسك  
وحيا من الله وجعنا به الملك  
من قبل اذ قام يستولي ويمتلك  
من بكر يحفروا من قبل او ضحكوا

مات الزمان الذي من قبل كان به  
 هلاً نظرت لما في الغرب من سنن  
 لم تلق للحق وجهاً فيه محترماً  
 في الغرب اصوات علم يمشون بها  
 فشمروا يارجال الشرق عن هم  
 واستاذن منكم فعل ما فعلوا  
 بل فاذكروا اولكم كيف قدسكوا  
 واستخلصوا عبيد المجد الذي بلغوا  
 لا عذر للشرق عند الغرب بعدئذ  
 واستجدوا العلم ان العلم شكته  
 اما المدارس فلترفع قواعدها  
 منابع العلم ان غاضت بمملكة  
 من شاد مدرسة العلم هد بها  
 وكما اثار رباح الجهل من سحب  
 فالعلم والجهل كل البون ينعا  
 ضدان ما استويا يوماً ولا اجتماعا  
 نادوا البدار البدار اليوه انكم  
 كرردت كلمات الناصحين لكم  
 يا قوم قد طلعت شمس الهدى وبها  
 وانشد الشرق مسروراً يورخها

يحيى امروء لم يكن في السبي بنهمك  
 كجل به سائر طلقاً ومنك  
 ولم تجد حرمة العلم لتنتهك  
 من في القبور فهل في ممك سلك  
 حجابها عند اهل الغرب منتهك  
 ولا احاول منكم ترك ما تركوا  
 ثم اسلكوا في المعالي اية سلكوا  
 سبكا على قالب العلم الذي سبكوا  
 ان لم يتم له في شأوه الدرك  
 في حومة العيش تبلى دونها الشكك  
 حتى تقوم وطود الجهل مؤانك  
 فاضت بسيل الدواهي حولها برك  
 سجتا لمن افسدوا في الارض افكوا  
 نهط لمن دم في الارض منسك  
 هذا القسوق وذاك الفوز والنسك  
 وهل ترى يتساوى النور والحلك  
 يا قوم سامعون حيث الامر مرتبك  
 حتى لقد من من مضى لها الخنك  
 للناس قد وضحت من رشحهم سلك  
 حربة الملك اهدى شمسيا الفلك

معروف الرصافي

بشداد



## منتخب من عهد اردشير بن بابك الملك

في السياسة -

'عني بنشره احمد بك نيور منقولا عن نسخة كتبت سنة ٢١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من ملك الملوك اردشير بن بابك الى من يخلف من الملوك  
السلام عليكم ان من اخلاق الملوك الاتفة والجلاء والبطر والبغث وكلما دامت سلامة  
الملك في ملكه قويت هذه الاخلاق لديه حتى يملأ عليه سكر الملك الذي هو اشد من  
سكر الخمر فيظن انه قد امن من النكبات والعثرات فيسقط يده ولسانه بالقيء فيمسه  
باعتماده جميع ما اصلحه الملوك قبل فتعود امملكه خرابا .  
وافضل الملوك الذي يتذكر في عزه القل وفي امته اخوف وفي قدرته انجز فيجمع بين  
بجعة الملوك وحذر الرعية ولا خير الا في جمعها فان رشاد الملك غير من خصب الزمان  
الدين اساس الملك . والمالك حارس الدين . فلا يقوم احدهما الا بالآخر  
اياكم ان نتهافتوا بن يطلب الرئاسة باخبار الزهد والنصب الدين فما اجتمع الناس على  
رئيس في الدين الا اتزعج ما في يد الملك من ملكه فان الناس ان رئيس الدين اميل .  
فتعهدوا حبة الناس ولتقدوا جراتهم فن فيه من قد حقره وجفونه  
واذا آذن الملك للمعلاء من مناصحي دولته في انهاء ما يتجدد عندهم من المنافع التي  
لا تليها حوامه او يملونها ويكفونها اتفقت له ابواب من الاخبار المحبوبة عنه فيجوز  
وزراؤه وخوادمه من الاتفاق على ما يسترونه عنه ولا يقدمون على امر يكرهه خوفا من  
ان يطالعهم من مكايدهم وتسلية الرعية من ظلمهم  
ومن نلت عيه حوامه حتى منعوا عنه الناس فلا يصل اليه الا من يحبون اطبقت  
فم الجباله عليه

ولا ينبغي ذلك ان يعتقد ان تعظيم الناس له هو ترك سلامه ولا ان اجلاله له هو  
بنهايته منه ولا ان محبته هي بواقفته على جميع منجبه . ولنا تعظيمه له بتعظيم عقله وصواب  
سياسته واجلاله له اجلال منزله من الله بما يجزيه على يده ولسانه من العدل ومحبتهم له  
بما يتألفهم بكرمه خلقه وصادق الحجة هو الذي يمينه على العدل وحسن التدبير بعض النصيحة  
ان في الرعية وحمية السلاح من الاهواء الغالبة والمجور فلا بد للملك معه من ان يقرن

باب الرأفة باب النظرة وباب الانعام وباب الانتقام فمن التخاص من المفسدين حياة ليلية  
الامة . ومن لم يقر حدود الله تعالى في من له فيه هوى لم تثبت هيئته في قلوب الخاصة  
والعامة ولن يستطيع الملك ان يقوم العامة حتى يقوم الخاصة

وان من كان من الملوك قبلنا قدر تبوا الناس اربع طبقت ولامرالا وخدم صنف والعباد  
والفقهاء صنف والكتّاب والحكام صنف والتجار والفلاحون صنف فلم يكنوا صنفاً منها ان  
يدخل في الصنف الآخر لتفرغ كل طبقة للقيام بما يلزمها

وليس اضرع على الملك من رأس مزر ذنباً او يد مشغولة وجدت فراغاً من شغلها  
وخير الملوك من بثت العيون على نفسه ليعلم عيوبها فيكون اعلم بعيوب نفسه من غيره  
ثم يجتهد في مداواة عيب بعد عيب حتى لا يجد احد فيه مطلقاً فهذا الذي تمت سياسته  
وان ابتهاج الملك المسدد الرأي القاهر لهواه بوفور عقله وشرف نفسه باراءها من  
التقائص اعظم من سروره بمذكه

ومن الرعية من يقارب الملك في مأكله وملبسه وتعبه وليس فيهم من يقدر كقدرته  
على اجتناء المحامد واسلاح الرعية بالعدل عليها وتأمين السبل وصيانة الحرم وكفايدي  
الظالمين فاجتهدوا معشر الملوك في بسط العدل الذي لا تقدر عليه الرعية وولنافسوا في اقتناء  
الذكر الجليل

وليس للملك ان يجعل فانه لا يخاف الفقر واذا عرف بالفضل انقطع الرجاء من خيره  
فانسلت الايدي من طاعته ولا يجتهد احد في خدمته وانحلت النيات عن مناصحته  
ولا ينبغي له ان يغضب لان الغضب مع القدرة يوجب السرف في العقوبة ثم يعقب  
الندامة مع ما فيه من الطيش والخفة وقبح السمعة

ولا ينبغي له ان يلعب لان اللعب والبث من اعمال الفراغ والفراغ من عمل السوفة  
وفي ذلك من ذهاب الوقار وامقاط المية ما ينافي جلال السيادة

وليس له ان يحسد الا ملوك الامم على حسن التدبير واصابة السياسة ومكارم الاخلاق  
ولا ينبغي له ان يجبن عند وجوب اقدام فان الشجاعة عز وهي من اهم شروط الملك  
زين الملك ان يحفظ نظام اوقايه المقدرة لاشغاله وركوبه وزاحه بدنه فتكون معينة  
لا تختلف فان في اختلافها خفة وليس للملك ان يخف

وينبغي ان يكون حذره لمن بعد عنه اكثر من حذره لمن قرب منه وان يتي بطانة  
السوء اشد من اتقائه لامة الود . ومن الناس صنف اظهروا الزهد في الجاه ولم يتقربوا

بالخدمة وادعوا التواضع وهم قد اسروا التكبر واستدعوا الى انفسهم الجاه بوعظ المنبوذ وقد  
ينفعهم ذلك عند المغفلين فيقر بين منهم من حسن ظاهره وتلطف حتى اعتقد خواصهم  
تعظيمه وان كان ناقصاً في عقله عبداً الشهواته متهاوناً على الرئاسة فان اسكنه الملك قيل قد  
استقل الموعدة وان اطلق لسانه قال بوعظه بين الملاة ما اسد حال الدولة فالرأي ان  
يهمل الملك امر هذه الطائفة فانهم اعداء الدول وآفات قوية على الملوك

اعلموا انه لا بد لكم من مضخة على بعض انصاركم ونصاحكم واعوانكم ولا بد من مبر  
يحدث لكم عن بعض اعدائكم المروفين بالنفس انكم فاذا فعلتم ذلك فلا تنقبضوا عن المعرفة  
بالنصيحة ولا تسترلوا الى الحروف : لنفس وقد خلقت عليكم رأيي اذ لم اقدر على تخفيف  
بدني فاقضوا حتي بالتمسك بهدي والسلام على اهل الموافقة ممن يأتي عليه هذا العهد  
من الام

## الرومان

### عاقبة الجمهورية

كانون الاوتيكي — يننا كان القواد يتنازعون بينهم فحين يستأثر بالسلطان على العالم  
الروماني اشتهر رجل بملقه بال دستور الجمهوري القديم الذي اخذ يمزق ولما رآه آخذاً في  
التداعي لم يلبث ان اتهم وكان كانون هذا هو الملقب بعد بكانون الاوتيكي باسم المدينة التي  
اتهم فيها .

كان هذا الرجل من أسرة شريفة من اخلاف كانون وزير الاحياء الشهير والمدافع  
عن الاخلاق الرومانية القديمة كتب له ان يكون صاحب ثروة طائلة وهو شاب بعد  
وكان قد تعلم فلسفة الرواقين وجرى عليها فانشأ يعيش عيش الزهاد بأكل قليلاً ويشرب  
قليلاً ولا يتعطي وعزود نفسه احتمال اخر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من  
فصول السنة حتى مع اصحابه الراكبين خيولهم ولا يلبس الا ثياباً بسيطة رثة وقد وقع له  
ان خرج بدون حذاء .

ولما أرسل قائد الاعداء الجيوش الى احدي الحروب ( بموجب امتياز فيان الاشراف )



أحبه جنده واحترموه اذ رأوه يعيش مثلهم عيشاً بسيطاً ولا ومدت اليه نظار 'المالية' عني بالنظر في الحسابات بنفسه على العكس فحين كان قبله من الاشراف يتولون هذه النظارة فانهم كانوا يتركون للكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف تزويرات الكتبة وحاكم المرتكبين واشتهر بغيره وكان لا يتأخر عن جلسة من جلسات مجلس الشيوخ او مجلس الامة فصار يضرب المثل بشرفه واصبح القوم يقولون عن الامر المتعذر « لا يمكن تصديق هذا ولو قاله كاتون »

وكان كاتون يقوم بما يعتقد انه واجب عليه دون ان تأخذه رافة او ناله رهبة . وحاول ان يحكم على مورينا لانه ابتاع اصوات الامة حتى انتخبته قنصلاً فبرأه شيشرون وكان اذ ذاك قنصلاً بخطاب مخيفه من فلسفة الرواقيين فقال كاتون : « حقاً ان لنا قنصلاً مضحكاً » واقترح قيصر في مسألة المشتركين في قتل كاتانينا ان يتأخر اعدامهم لانهم رفضوا قضية فاشند كاتون على قيصر واثار الى مجلس الشيوخ ان يأمر باعدام الجناة في الحال فلم يبع المجلس الا ان يقرر قتلهم .

ولا اقترح بومبي من قانون يسمح له بادخال جيشه الى رومية خلافاً لما رسمه الدنور استشاط كاتون غضباً في جلسة مجلس الشيوخ من المحامي متلوس الذي اقترح وضع القانون وصرح بانه ما دام حياً لا يدخل بومبي الى المدينة مسلحاً وما جاءه متلوس الى الساحة في جيش من المييد المسلحين الموافقة على القانون اخترق كاتون صفوف الجماعة وقعد بالقرب من متلوس ومنه من قراءة مشروعه فجاء المييد اذ ذاك صارخين يرمون بالحجارة و يضربون بالصفي فهرب الشعب وبقي كاتون فانقذه مورينا بان جره الى احد المعابد وعاد الشعب فصعد كاتون على المنبر وخطب في سينات هذا القانون فاجب متلوس ان يعرضه وذهب الى آسيا ليحقق بومبي

ولا اذ في قيصر وبومبي وكان قيصر قنصلاً اقترح من قانون فلم يجرأ غير كاتون على قتاله فارتله قيصر من المنبر بواسطة رجال الشرطة وبعث به الى السجن وظل كاتون يتكلم في الطريق وقد تبعه جمهور من اعضاء مجلس الشيوخ فعزم قيصر ان ينجي سبيله وللخلاص منه ارسلته الحكومة الى قبرص ليطرد منها الملك بططوس دون ان يعطوه جيشاً واد كان هذا الملك اتهم لم يبق على كاتون الا ان ينظم قوة ثمة بما خلف الملك من الكنوز فأتى الى رومية يبلغ كبير فاستقبله مجلس الشيوخ احسن استقبال وتقدم للاقتخاب قاضياً وكانت القبيلة الاولى واقتت على انتخابه واذا كان بومبي رئيس المجلس لم يزدأ من ان يدعي ان السماء ترعد واعلن باقضااض الجلسة ( والرعء طالع شؤم كما عرفت في بعض الفصول السابقة )

وعند ما اقترحوا ان يعطوا قيصر جيشاً تقدم كاتون الى بومبي ولطالما شغل الاول بقتال الثاني وحضه على الحذر من قيصر فبقي بومبي عدواً لهذا. وهذا لم يمنع كاتون عند ما رأى المنافسين في الحكومة يقتتلون في المدينة من معاشدة اقتراح المقترحين ان يعينوا بومبي وحده قسراً عند ما اقترب احدهما من صاحبه ولما زحف قيصر على رومية بجيشه فتح كاتون لمجلس الشيوخ ان ياتي الى بومبي بتقاليد الحكم باجمعه قائلاً على من عمل الشر ان يتلافاه . وتبع بومبي الى خارج ايطاليا ومنذ ذلك العهد اطلق شعره ولحيته بزيادة على الحزن واثار باطالة زمن الحرب وكان يخاف من عاقبة قتال يقتل فيه الرومانيون بعضهم . ولما بلغت هزيمة فارسال سافر الى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف في افرقية حيث كان لاحد اشباع بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة اوثيكا

واذ هزم قيصر جيش افرقية اقترح كاتون على الرومانيين التازلين في اوثيكا ان يحاصروا قابوا فاطلق كاتون جميع اعضاء الشيوخ الذين لجؤا اليه ثم استقم وتعش مع صحابه واخذ يخوض في المباحث الفلسفية ولما حان وقت النوم طالع عاصورة لافلاطون في خنود النفس واتس سيفه الذي كان زعم ابنه عنه مضاضاً فاحضروه اليه فجعله على مقربة منه ونام فاحيىظ عند الفجر ثم طعن نفسه في صدره وكان عمره ٤٨ سنة .

فارسال لم يبق في البلاد بعد وفاة كراسوس غير بومبي وقيصر وكلاهما يودا الاستئثار السلطة وكان من تقدم بومبي على صاحبه انه كان في رومية . متولياً على ازمة مجلس الشيوخ وكان مع قيصر جيش غاليا المدرب على الحروب منذ ثنائي سنين قضاهما في الحملات .

فاتخذ بومبي خطة الهجوم واستصدر من مجلس الشيوخ امراً بان يترك قيصر جيشه ويحيى الى رومية فعقد قيصر اذ ذاك عزمه على اجتياز حدود ولايته ( وكان الحد هو نهر رويكون ) وزحف على رومية . ولم يكن عند بومبي جيش في ايطاليا للدفع فوكن الى الترامع اكثر الشيوخ من الشاطيء الاخر من بحر الادرياتيك وكان له عدة شيوخ في اسبانيا واليونان وافرقية شنت قيصر شماليه واحداً بعد الآخر فهزم جيش اسبانيا سنة ٤٨ ثم جيش اليونان في فارسال سنة ٤٨ فجيش افرقية سنة ٤٦ ولما نلب بومبي في فارسال لجأ الى مصر فقتله ملكها .

حكم قيصر . . . ولا رجع قيصر الى رومية عهد اليه بالامر نذة عشر سنين فصار الحاكم المطلق ثم حارب جيوش اشباع بومبي في افرقية وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتفل في رومية بظفروه باربعة اعداء الغاليين والمصريين . ملك بجراخزري آسيا الصغرى

وملك التوميد بن حلف البوميين في افريقية ( لم يكن من الياقة بان يفاخر لتغلبه على جيش روماني ) .

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالتشريفات الدينية فاعطاه اولاً كرسياً اعلى من مقاعد القناصل ولقبه بالاول ثم خوله الحق ان يحمل تاجاً من الفار ( وكان ذلك من حق الارباب ) ومنحه لقب « ابوالوطن » وابتدع احتفالات والدياً اكراماً له واقام له تمثالاً خطوا فيه الفاظه التعظيم وعهدوا الى الكهنة للاحتفال بعبادة رب يوليوس قيصر . ومن الممكن ان يكون قيصر مضع في لقب ملك ومع هذا دعا نفسه بالامبراطور وقبل بان يبدس ثوب ارجوانياً وان يجلس على عرش من ذهب ويرسم خوذته على النقود .

وحفظ قيصر مجلس الشيوخ وجميع المناصب وهو الذي كان يعين المرشحين الذين يقضي على الشعب انتظامهم وهو الذي وضع نائمة لمجلس الشيوخ وكان هلك كثيرون من الشيوخ فابلق عدد الاعضاء الى تسعائة ومعظمهم من الفقهاء وكثيرون منهم من الغالين ولم يقض في رومية غير خمسة عشر شهراً من حيث المجموع فما اتسع له الوقت ان يقوم بالاصلاحات التي كان ينويها ( ما عدا تقويم السنين ) ثم قتله ندماءوه الذين كانوا يرغبون في اعادة حكومة مجلس الشيوخ ( ٤٤ )

احد الحكام الثلاثة — اضطر الشعب الروماني وكان يحب قيصر زعيمه قتلته وما يرونوس وكاسيوس ان يهربا فنتحيا الى الشرق حيث جيشا جيشاً عظيماً وظلّ الغرب تحت حكم انطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر لحكم رومية حكماً استبدادياً

وكان قيصر تبنى ابن اخته اوكتاف وحمراه ثمانى عشرة سنة يومية اوصى بها فسي بحسب العادة الرومانية باسم متبنيه ودعا نفسه يوليوس قيصر الاوكتافي . فضم الى حزبه جند قيصر وعهد اليه مجلس الشيوخ ان يحارب انطونيوس وبعد ان قلب عليه آثر الاشتراك معه لاقسام السلطة فاتفحدا مع ليديوس ودخلا ثلاثتهم الى رومية واستولوا على الامر استيلاء مطلقاً مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المهود اليهم تنظيم المسائل العامة . وشرعوا في نفي خصومهم واعداثهم الخاصة ( فامر انطونيوس بضرب عنق شيشرون ) ( ٤٣ ) ثم ذهبوا الى الشرق لتشتيت جيوش التحالفين وبعد ذلك انقسموا المملكة بينهم . ولم يدم الرفاق بينهم طويلاً بل قاتل بعضهم بعضاً في ايطاليا حتى توسط جندهم في الامر واضطروهم الى العودة لما كانوا عليه من الاتفاق ثم جرى تقسيم المملكة من جديد فاصبح انطونيوس ملك الشرق واوكتاف ملك الغرب ( ٣٩ )

حرب الاكتيوم — دام السلم بضع سنين فاخذ انطونيوس يعيش عيش ملك شرقي

مصاباً لكوبا طرة ملكة مصر وشغل أوكتاف بقتال ابن يومي الذي كان تحت امره اسلمه بحرب به شواطئ ايطاليا . وانتهت الحال بهذين الملكين باقطاع علائقها فنشبت الحرب بينهما وكانت حرباً بين الشرق والغرب تمت بحرب اكتيوم البحرية واسلم اسلمه كوبا طرة انطونيوس صاحبها فلجأ الى مصر وانفخرو في أوكتاف وحده صاحب المطلق (٢١) وكان قد انتهى امر حكومة مجلس الشيوخ .

تقرير السلطة المطلقة شكاً الناس كهم من هذه الحروب وكان سكان المدينتين يؤخذون فداء ويسبي الجند معاملتهم ويقتلهم تقريباً يضطرم كل فريق من الحكام ان يغازوا اليه ويأمنه الغالب على انضمامه الى الغالب . وكان الثوادي يمدون الجند باليكانتوم يعطائهم اراني يستغلونها فيطردون منها عامة سكان مدينة ليس محليهم فدهاء الاجتاد . وكان اغنيا الرومان يخاضرون بثروتهم وحياتهم ومقي غلب حزبهم يستعين العوبة في يد الغالب يتصرف فيه بما يشاء . فقد وضع سيلاً مثلاً من المذاهب المتدبرة (٨١) وبعد اربعين سنة (٤٣) جدد انطونيوس أوكتاف امر القتل بدون محاكمة

ولقد كان شعب رومية نفسه يشكو من سوء هذه الحالة فلا نصل الى رومية المحبوب الي في مادة غذائه على طريقة مطردة بل كانت تقع في يد قرصان البحر او تنهبها اسطول العدو فبعد ان مضى قرن على طريقة هذا الحكم لم يعد الجميع من الرومان وسكان الولايات والاغنياء والفقراء رغبة في خير السلام وعندها تقدم الى ذاك الشعب المنهوك بالقتل الاهلية وارث قصر ابن اخته أوكتاف احد الحكام الثلاثة - تقدم اليه بعد ان تغلب على رصيفيه قال المؤرخ تاسيت وقبض بيده على جميع سلطات الامة ومجلس الشيوخ والحكام . ولم تمض بضع سنين الا وقد اصبح سيداً على رومية وليس بعد هذا من لقب فلم يعد يفكر احد في مقاومته وقد اغلق مبد جانوس ونشر في العالم الوبة السلام وهذا كان ما يطلبه العالم باجمعه وذلك لان حكومة الجمهورية بواسطة مجلس الشيوخ لم تكن تمثل غير النهب والحروب المدنية فكانت النفوس تطعم في رجل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والثورات وعلى هذا الوجه أسست الامبراطورية الرومانية .

### اغسطس

تنظيم الحكومة الملكية - يقضي نظام الحكم الجديد الذي وضعه وريث قصر ان يكون الحكم المطلق . رجل واحد يدعى الامبراطور اي الرجل الذي له الامر وله الحق ان يتولى السلطات باسمها التي كانت موزعة بين الحكام القدماء فيرأس مجلس الشيوخ ويجمع الجيوش كلها ويقودها ويضع قائمة باسماء اعضاء الشيوخ والقرسان والوفديون ويجبي الضرائب

وهو القاضي الاكبر والخبر الاعظم وله سلطة القضاة . وليان ان هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر ليقوه بلقب ديني وهو اغسطس او اغستس ومعناه المحترم لم تنتظم شؤون المملكة بشوكة انت على كل اصطلاح قديم ولم يبلغ اسم « جمهورية » وانتفضت ثلاثة قرون واعلام الجنود لا يزال يكتب عليها اربعة حروف من اول اربع كلمات S. P. Q. R. ومعناها مجلس الشيوخ والشعب الروماني ولكن اجتمعت السلطة التي كان يتقاسمها اشخاص كثير وز في يد واحد وبدلاً من ان يتولاها سنة فقط اصبح يتولاها طول حياته فالامبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجسد الشعب الروماني ولذلك كان مطلق التصرف .

مجلس الشيوخ والشعب — بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديماً مجلس اعيان الاغنياء واكثر الوجوه حرمة في المملكة فكانت عضوية المجلس تمتد من الشرف المرغوب فيه فاذا ارادوا ان يقولوا الاسرة الفلانية كبيرة يقولون هي اسرة شيوخ ولكن مجلس الشيوخ على حرمة لم تمتد له سلطة لانه لا يتأتى الامبراطور ان يستغني عنه ولم يبرح مع هذا اول قوة حاكمة في الحكومة وان لم يكن المسيطر عليها وكان يتظاهر الامبراطور احياناً بأنه يريد اخذ رأيه ولكنه لا يعمل بمشوراته .

قد الشعب كل سلطة اذ ألغيت مجالسه منذ عهد تiber . واصبح جمهور الامة المزدحم في رومية لا يتألف الا من بضعة الوف من كبار السادة مع عبيدهم ومن خليط من الشحاذين وكانت الحكومة قد تعبدت باطعامهم ودام الامبراطرة يوزعون عليهم الخنطة ويرضخون لهم بشيء من النقود فاعطى اغسطس سبعمائة فرنك عن كل رأس تسع مرات واعطى نيرون ٢٥٠ فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس .

ثم ان الحكومة كانت تقيم مشاهد لتسلية هذا العوزاء . وكان عدد المشاهد النظامية ٦٦ يوماً في السنة على عهد الجمهورية فبلغت بعد قرن ونصف على عهد مارك اوريل ١٣٥ يوماً وفي القرن الخامس وصلت الى ١٢٥ يوماً دح عنك الايام الاضافية

وتدوم هذه المشاهد منذ شروق الشمس الى غروبها فيتناول المترجون طعامهم في الساحات . وهذا ما كان الامبراطرة يتخذون منه طريقة امينة لاشغال العامة . قال احد المثاليين لاغسطس : لفائدتك ياقيصر يعني الشعب بنا . بل كانت هذه المشاهد واسطة لاستئاج قلوب الامة للامبراطور فكثيراً ما كان انجم الامبراطرة اكثرهم حظوة من الشعب فكان نيرون الظالم ) بعيد لانه قام بالمعالي لطيفة فلم يصدق العامة بأنه مات وكانت ينظر قدومه بعد ثلاثين سنة من موته .

وما كان العامة في رومية يحشون عن تولي الامور بل غاية ما تطالب اليه تقوسهم ان يتسلوا او يأكلوا كآلة جوفيتال في عبارة له شديدة : « خبز والماعب الميدان »

التأليه — الامبراطور وحده سيد المملكة ما دام حياً لان الشعب الروماني يخجل له عن كل سلطة ومتى مات يبحث مجلس الشيوخ فيما اتاه في حياته ويحاكمه باسم الشعب فاذا حكم عليه تبطل جميع اعماله وتعلمة ثيله ويحى اسمه من المصانع والآثار (١) واذا اقر على اعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بان الامبراطور مات وقد ارتقى الى مصاف الارباب .

وقد غدا معظم الامبراطرة ارباباً بعد موتهم على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد الى كلهن ان يقيم لهم الشعائر الدينية وقد كان في جميع اجزاء المملكة معابد رمت باسم الرب اغسطس والربة رومية واشتهر عن اشخاص انهم قاموا بوظائف كلهن الى مدى كلود وللا في فنز بارين وهذه العادة في تأليه الامبراطور المتوفى كانت تسمى « التأليه » والسكينة يونانية وانقلت عاداتها من يونان الشرق على ما يظهر

ادارة الولايات — كان ثلثائة او اربعمائة أسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستتر باقي المعمور منذ الفتح الروماني فجاء الامبراطور يفرع منهم الحكومة ويخضعهم لسلطان ظله . حتى اصبح كتاب الرومان يشنون من فقد حريتهم للمسوبة ولم يكن لسكان الولايات ما يأمنون عليه بل ظلوا رعايا ولكن بدلاً من ان يرأسهم عدة مئات من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام ويحيثونهم بنهمين اللغى اصبح لهم رئيس واحد وهو الامبراطور يهتم بالنظر في امرهم . ولقد اوجز تيير السياسة الامبراطورية بما يأتي « الراعي الصالح يجز صوف غنمه ولا ينقعه » ففض زهاء قرنين وقد اكتفى الامبراطرة بجز سكان مملكتهم يسلبون منهم كثيراً من الاموال ولكنهم يجمعونهم من العدو الخارجي بل من عياله انفسه . وعند ما كان سكان الولايات يشكون من القضاة ومن سرقات حكامهم كانوا يستعدون للامبراطور فيعبدونهم . وكان من المعروف عند القوم ان الامبراطور يقبل الشكوى على ضباطه وهذا كان يكفي لادخال الرعب على قلوب الولاة الفاسدين وادخال الطمأنينة على رعاياهم الولايات كلها ملك للامبراطور (٢) لانه يمثل الشعب الروماني فهو قائد جميع الجنود وسيد الناس طراً ومالك الاراضي كافة (٣) قال القتيبة كايوس ليس لنا في لواطى الولايات

(١) عثر على كتابات عجي منها اسم دومنينين على هذه الصورة

(٢) ترك اغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من اقل ولاياته منزلة ولكن خال فيها حاكماً فيجها مثل ولاياته الخاصة كأنه صاحبها

الا التمتع بها والامبراطور وحده مالك لها ، واذا كان من المتعذر ان ينصب الامبراطور في كل ولاية عنه الوكلاء الذين يختارهم بنفسه يرسل الى كل ولاية بقباط يسمىونه مندوب اغسطس لتولي وظيفة القضاء وهذا المندوب يحكم البلاد ويقود الجيش ويطوف في ولايته ليقض المناخ المهمة ويبدء الحياة والموت كالامبراطور . ويبحث الامبراطور ايضا بحفاظ لجبي الخراج وادخال المال في صندوق الامبراطور (ويسمونه نائب اغسطس )

فالضابط والمحافظ يمثلان الامبراطور ويحكمان على رعاياه ويقودان جنده ويشتان ملكيته . ويختارهم الامبراطور ابدان الطيبين الشريفتين في رومية يختار الضباط من مجلس الشيوخ والمحافظين من الفرسان ولمؤ لاء المال مراتب للتشريف على نحو ما كان الحكماء في رومية القديمة يشترجون من ولاية الى اخرى ذاهبين من طرف المملكة الى اخرها (١) فمن سورية الى اسبانيا ومن انكلترا الى افريقية . واذك لتقرأ في الكتابات انكسوبة على قبور رجال ذاك العهد جميع المناصب التي شغلها مينة احسن يان . وكتابة قبورهم تكني لبيان ترجمهم بما تولد من اعماله

الحياة البلدية - وكان تحت هؤلاء المال الكبار الذين يثرون الامبراطور وم لايسألون عما يفعلون اناس من العامة الخاضعين يدرون شؤون انفسهم بانفسهم وللامبراطور الحق في ان يتدخل في شؤونهم الداخلية الا انه لايسيء في المادة استعمال هذا الحق . فيطلب اليهم فقط ان لا يجاروا وان يدفعوا على وتيرة واحدة ما يفرض عليهم من الاموال وان يحاكموا امام محكمة الوالي . وكان في كل ولاية كثير من الحكماء المحكومين ويسمون احد المدينة او البلديين ومن هنا جاءت كلمة الحكم البلدي والمجلس البلدي تجري كل مدينة خاضعة للامبراطورية في ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتنتخب حكامها لسنة ويقسمون الى فرق في كل فرقة عضوان ومجلس الشيوخ مؤلف من كبار ارباب الاملاك والاغنياء وارباب الاسر القديمة وفي الولايات كما في رومية ليس مجلس الامة الا صورة والحكم لمجلس الشيوخ اي للاشراف

من العادة ان يكون مقر الولاية مدينة اي مثل مدينة رومية مصفرة ولما ما بعدها واقواس نصرها وحماماتها العامة واحواضها ودور تمثيلها وميادين قتلها والعيشة فيها عيشة مصفرة من عيش رومية فتوزع الخنطة والدرام على الفقراء وتولم الولايات العامة وتقام

(١) قال الفيلسوف ابيكت لا يقدر كبار الرجال ان يتأصلوا في الارض كالنباتات بل عليهم ان يسبحوا كثيرا لاطاعة لوامر الامبراطور

الحفلات الدينية الكبرى والالعب العموية . الا ان رومية تقوم بما يجب لذلك من النفقات تأخذ من مال الولايات اما في الولايات فان الاشراف يقومون بالاتفاق على حكومتهم واعيادها . والخراج الذي يجبه لحساب الامبراطور يحمل كله اليه ولذلك يقضى على اغنياء كل مدينة ان يقوموا بتقضي من النفقات للاحتفال بالالعب واجاء الحفامات وتبليط الشوارع وبناء الجسور والمجاري والساحات . قاموا بذلك مدة تزيد عن قرنين واقفوا عن سعة شهدت بذلك المصانع المثبتة في ارض المملكة والوف من المكتوبات على الاحجار

المستعمرات — تقيم رومية في البلاد التي تشك في خضوعها لما جيتاً صغيراً تسكت فيها فيني مدينة تكون حصناً حصيناً وتبث اليه بأناس من الوطنيين الرومانيين يكونون جندا وفلاحين في آن واحد ويميزه الجيش الاراضي المجاورة الى حصص متساوية توزعها عليهم وهذا ما يسمونه مستعمرة

ويبقى المستعمرون وطنيين ورومانيين ويخضعون لجميع ما تأمر به رومية . وتختلف المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية — التي كانت كثيراً ما تشق عصا الطاعة حتى انها تخارب أئينة نفسها — بان تكون ابدا اينة خاضعة لانها فليست المستعمرة الاحامية رومانية مرابطة بين الاعداء . وكانت اكثر هذه المحطات العسكرية في ايطاليا ولكن كان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فاربون وليون وآرل فانها كانت مستعمرات رومانية .

جيش القوم — لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني لان سكان المملكة لا يهون الانقراض على الحكومة فلم يكن للمملكة اعداء الا على الحدود وكان الاجانب ابدآ على استعداد من مهاجمتها فالجرمان وراء نهري الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال افريقية ووراء القرات جيوش المملكة الفارسية

ولما كان من اللازم الالازب اقامة جند يكون على قدم الاستعداد على تلك القوم المعرضة ابدآ للتهديد . ادرك اغسطس ذلك فأنشأ جيشاً دائماً فلم يكن جنود الامبراطورية من اصحاب الاراضي يؤخذون من حقوقهم ليجندوا في الجندية بمحض حملات بل كانوا اناسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لم يبدخلون الجندية ليجندوا فيها مت عشرة سنة او عشرين سنة وربما جددوا هذه المدة

وعلى هذا كان للامبراطورية في رومية ثلاثون فرقة من الوطنيين اي ١٨٠ الفاهم



يجوب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو ٤٠٠ ألف رجل على التقريب وكان هذا الجيش قليلا بالنسبة لسطم تلك المملكة

ولكل ولاية على الحدود جيش صغير يبعد في معسكر دائم يشبه قلعة يحمي الباعة ينزلن بقرىها فلا يعم المسكران يصبح مدينة وهكذا يصكر الجند بازاء العدو فيحفظون شجاعتهم ودرجهم - مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زبون مع البرابرة المتوحشين ولا سيما على ضفاف الرين والطونة في بلاد ندية فاحلة منشاء بالغابات والمستنقعات - وربما بذل الجند الروماني في هذه الحروب التي لا تنتهي لها من الشجاعة والشهامة أكثر مما بذل قدماء اليونان في فتح العالم

الآداب - لم يكن الرومان بالطبع امة فنون وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقتضين فيها أثر اليونان - فن يونان أخذوا نموذجاً من فاجعاتهم وقصصهم المزيلى وملاحمهم وأنشيدهم وأشعارهم الفلسفية والعامية والتاريخية - واقتصر بعضهم على ترجمة الاصل اليوناني (كأفل هوراس في أنشيدته) وكلهم اقتبسوا من اليونان افكارهم ومناحيهم وبرزجوعا عند ما احتذوا مثالها بما عرف فيهم من صفات الصبر والشهامة حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرائب في أسلوبها

واتفق الرومان على ان العهد الذي أزهرت فيه الآداب اللاتينية حقيقة كانت الخمسين سنة التي قضاها أغسطس في الحكومة فهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس وأوفيد وتيبول وبروبرس وتيت ليف ولكن عصر أغسطس (كما يسمونه اقد سبقه ولحقه قرنان ربما عادلاه في اخراج أنشيد في الجيل الاول (القرن الاول قبل المسيح) ظهر الشاعر الغريب المدهش لوكريس وقصر رانير فآثر وشيخرون اخطب خطيب وفي الجيل اللاحق كتب سينيك ولوكين وتاسيت وبلين وجوخال ما كتبوا

وبعض هؤلاء المؤلفين المعطاء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم ايطاليون وكثيرون من الولايات مثل فرجيل من مانتووتيت ليف من بادو (في غاليا) وسينيك اسباني - وكان الفصاحة في الفن الوطني حقاً في رومية فكان الرومان كاطليان في ايماننا يجوبون انكلام عذبة - وكان الخطباء يأثرون الى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الامة في أواخر عهد الجمهورية بخطيبين وبكثرون من الحركات وسط ذوي القوم وشيخرون اعظم أولئك الخطباء وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه

ولما سقطت الجمهورية اقتضت أيام المجالس فنقدت الفصاحة قللة المادة اللغة اللاتينية - انتفعت آداب اللغة اللاتينية بفتوحات رومية ففعلها الرومان مع

لنتهم الى رعاياهم الموحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقية  
وضفاف الطونة لغاتهم اغلاصة وتعلموا اللغة اللاتينية . ولما لم يكن لهم آداب وطنية ساءة  
اقتبسوا آداب حاكمهم فتكلم لهل الامبراطورية اذ ذاك بلغتي الشعبين الكبيرين اللاتينيين  
فقل الشرق يتكلم باليونانية واخذ الغرب باجمعه يتكلم باللغة اللاتينية  
فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للوطنيين وكبار الرجال فقط كما هي الانكليزية لهندنا .  
في الهند بل ان الامة نفسها تتكلم بها ما امكن من الصحة بحيث ان النجوم في اوروبا اليوم  
بعد اقتضاء ثمانية عشر قرناً ما برحوا يتكلمون الى اليوم بنفس لغات مشتقة من اللاتينية وهي  
الايطالية والاسبانية والبرتغالية والفرنسية والرومانية

وانشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة انحاء الغرب فما كانت يدوس  
سنة القرن الرابع في مدارس وردو واوتون غير شعراء اللاتين وخطباءهم وقضاة الاساقفة  
والقسيسون بعد هجوم البرابرة يكتبون باللغة اللاتينية ويقلوا هذه العادة ايضاً في شعوب انكلترا  
والمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية . في اللاتينية كتبت في الفنون الوسطى السجلات  
والعقود والشرائع والتواريخ والكتب العلمية . وفي الاديار والمدارس لانقراض ولا تنسية ولا  
تعتبر غير الكتب اللاتينية وما عدا كتب العبادة لا يعرف غير . في اللاتين امثال فرجيل  
وهوراس وشيشرون وبلين لجون وما كانت النهضة المعاصرة الاوعية الا هائلة من احياء  
ما فقد من آثار اقلام كتاب اللاتين واصبح التسبح على متولم اسرار من ذي قبل . فكان  
الرومان انشؤا لانفسهم آداب خاصة بتقليد اليونان هكذا صر اندثون من الاوربيين  
ينسجون على مثال كتاب اللاتين . وليت شعري هل عاد ذلك بخير ام بشر؟ ومن يحرق ان  
يفوه بذلك ؟ فما لاجدال فيه اذا ان لغاتنا الرومانية الاصل هي بنات اللاتينية وان  
آدابنا طالعة بالافكار والمنزع الاولية الرومانية وان العالم الغربي بأسره مصبوع بصفة  
الآداب اللاتينية .

الصناعات - عثر الباحثون بكثرة على تماثيل واوربارزة رومانية اجتمعا الايام من  
عهد تلك الحكومة منها ما نقل عن الآثار النصرانية ويكاد يكون معظمها تقليداً لها ولكنها  
اقل من الاصل لطفاً وذكوا . ومن اغرب الامموجذبات البقية النقوش البارزة والصور المنقوشة  
فالنقوش البارزة كانت تزود بها المصانع كالمعابد والمعابد واقواس المعابد والقبور  
والواويس تمثل بها احسن تمثيل مشاهد حقيقية وحفلات وتدنوا وحروباً وطقم وكو ، ايجيظنا  
علماً بالحياة السالفة . وان النقوش البارزة التي جعلت حول اعمدة تراجان ومارك بربل  
تجملنا كأننا نشاهد مشاهد حروبها العظيمة وتلك الرسوم تمثل لك الجنود قتال البرابرة

ويحاصرون قلاعهم ويأتون بالأسرى كما تشاهد النذور العامة والامبراطور يخاطب شعبه والصورة النصفية هي في الأكثر صور الامبراطرة وسائمه. واولادهم واذ كثرت تآثيلهم في اطراف المملكة بأسرها وعثر على كثير منها حتى ان عند جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الامبراطورية وهي صور حقيقية وربما كانت شبيهة بأصحابها كل الشبه اذ نرى فيها سناء كل امبراطور واضحة اي وضوح وكثيراً ما تكون بشعة مستكرهة بحيث لم يحاول النقاشون ان يزيئوها ويغفوا من سمات المصورين.

فلم البناء هو الفن الروماني الحقيقي لانه يقوم بحاجة عملية وفيه ايضا فلد الرومان اليونان. اتخذوا الاروقة والعمد ونكس كانت لم طريقة لا يستعملها اليونان وهي العقود (الاقبية) اي قوس وضع الاحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضاً على شكل قوس مربع. فبالعقد تدفن هُمان يشواضية اوسع واكثر ثقلنا من اجنية اليونان.

الضائع - اليك اهم انواع المصانع الرومانية منها «المعبد» وهو كثيراً ما يشبه المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون احياناً أكثر حدة تعلوه قبة. ومن هذا النوع معبد البانثيون الذي بني في رومية على عهد اغسطس. ومنها «الكنيسة الكبرى» وهي بناء مستطيل طويل يعلاه سقف وتحيط بها اروقة وفيها يتصدر الملاك يحيط به نوابه وفيها يجتمع التجار لتجارتهم في ثمن البضائع فالكنيسة هي «بورصة» ومحكمة معاً. وفي الكنائس الكبرى اقيمت بعد ذلك مجلس السجيين وثلث الكنائس النصرانية قروناً محتفظة باسماء الكنائس الرومانية والهيكلها.

ومنها المزارح (المرايح) ذات الدرجات «اقتناتر» والملاعب وهي مؤلفة من عدة طبقات واروقة وضمت بعضها فوق بعض تحيط بالملاعب وكل طبقة من هذه الاروقة يعلاها عدة صفوف من التريجات وذلك مثل الكوليزة في رومية وميادين ارل ونيم. ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض صفة بحيث يكني لمرور مركبة منه وهو مزين بعمد ومزخرف بقوش كثيرة ومن هذا النوع قوس النصر في اورانج. ومنها الجسر وهو يبنى على صف من الحنايا وسط النهر. ومنها الجاري التي تجلب فيها المياه وكثيراً ما تكون على شكل جسر تتر فوق دار ومن هذا الضرب من الجاري القطعة من الجسر المسماة كارد.

وقد كان الامبراطور اغسطس يفاخر انه افشج في رومية زهاء ثمانين معبداً قال : «لقد وجدت مدينة من الترميد وهاء نذا انك مدينة من الرخام» وعمل اخلافه كلهم على زخرفة رومية وقد ازدحمت المصانع حوالى الفوروم (الميدان) خاصة واصبح الكابول مع معبده المعروف بمجد الميترتي اشتهر شيه بالا كروبول في آثينة. وفيه ذلك الهي

ايضا انشوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قيصر وساحة اغسطس وساحة نرفا  
وساحة تراجان وهي ازهاهن

استخدم الرومان (١) في ابنتهم الخجازه التي وقعت تحت ايديهم في البلاد يرصفونها بطلاط  
متين صنع بالكس والرمل بحيث اتت عليه الف وثمانمائة سنة وهو لم يمتت بما اصابه من  
الرطوبة . ولا نقرأ في مصانع الرومان تلك البهجة التي نحلى على المصانع اليونانية بل انبا  
متسعة متينة راسخة القواعد شأن اغص الروماني . وما زالت ارض البلاد الى يومنا  
هذا طافحة بانتقاض تلك المصانع ولم يبرح الباحثون يثرون حتى في قفار افريقية والمدنشة  
آخذة منهم على مصانع رومانية محفوظة سالمة . ولما أريد جلب الماء الى تونس لم يعملوا الا  
ان اسلخوا مجرى النهر الذي أنشئ في العهد الروماني .

التجارة — أصبحت رومية اعظم مدينة في العالم ( ويذهبون الى انه جاء عليها زمن كان  
فيها مليون نسمة ) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة . ولقد مضت العصور القديمة والمتاجر  
تنقل في الماء اي في البحار وفي الانهار اكثر من الطرق التي يقتضي لها عجالات ثقيلة لنقل  
تلك المتاجر . فكانت المتاجر تنقل الى رومية من طريق البحر خاصة تنقلها السفن الى مرفأ  
اوسقي عند مصب نهر التير ومنها توسق في قوارب تصمد النهر حتى تصل الى سفح جبل  
الفتتين وتنزل شحنها في مرفأ رومية . وكانت البضائع الخاصة ببقية ايطاليا تفرغ في مرفأ  
بوزول في خليج نابولي ومن هناك يرسلونها في الطرق واذا تيسر لم يرسلونها سلف قوارب  
تسير على الشاطئ او تجري صعدا في الانهار تجرها الخيول

وكانت رومية واطاليا تصرفان اكثر مما نتجان فقجارتها خاصة تجارة وارادت  
وكان تجار من الطليان ينزلون في ام مرفأء العالم يحضرون فيها حاصلات كل بلد ليمنوا  
بها الى رومية . وكنت تجد في كل بلد مركزا للتجارة مثل بلرمة في صقلية وقرطاجنة  
في افريقية والاسكندرية في مصر ومن هذه البلاد كانت تجلب الى رومية الحبوب والزيت  
والفاكهة والبقول الناشفة ومن المراكز التجارية البز في آسيا الصغرى وانطاكية في سورية  
ومنها كانوا يرسلون الاصواف والاقشة والخطة التي تخرجها البلاد الداخلية . ومن هذه  
المراكز اوليا على شاطئ البحر الاسود واليا كانت تأتي خنطة روسيا . ومنها قادش في  
اسبانيا كانت ترسل الى رومية فضة الناج او بار بتكيا ( في الاندلس ) ومن هذه المراكز

(١) لا ينبغي ان يغرب عن الاذهان ان الصناعات الرومانية هي كالأدب الرومانية  
لم تنشأ بيد صناع من الرومان بل بيد اناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد  
ولم يكن ثمة روماني الا الرجل الذي يعملون له اعمالهم

ناربون وارل في غاليا كانا يجلب اليهما في نهر الرون جلود بلاد الغال واخشابها ( اما مارسيليا فكانت سقطت منزلتها القديمة ومرسى فرميوس اصبح ميناء حرية ) .  
 وكان الرومانيون يجلبون ايضاً بضائع من خارج فيبث اليهم الشرق بادوات الزينة والرفاهية كالطور والابازير ( الفلفل وجوز الطيب والزعجيل ) والنيلة والعاج والاحجار الكريمة واقشة الصوف والحريز والعبيد السود والحيوانات النادرة ( ولا سيما القروء ) فكانت تجلب الى الاسكندرية من طريق البحر الاحمر او في النيل وتأتي الى انطاكية من طريق الخليج الفارسي وبادية الشام ( مع القوافل ) والى اوليا من طريق بلاد فارس وبحر الخزر وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تهذبها يد الصناعة مثل عنبر البليطيق وقصدير انكلترا وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والادام والشع وشعور النساء والعبيد أغسطس — مات أغسطس ولم يخلف وريثاً يرثه مباشرة فخلفه ابن زوجته تiber وهو الذي تبناه ومضى نصف قرن والامبراطور ابدأ رجل من أسرة أغسطس وادرك الرومان منذ ذاك فساد هذه الطريقة .

فكان للامبراطور مدة حياته سلطة متناهية لاحد لها فهو الحاكم على هواءه في الاشخاص والاحوال يحكم بالقتل وبصادر الاموال ويهلك من يريد اهلا كه بدون رقيب لا يقف امام ارادته حاجز من نظام ولا قانون . حتى قال المشرعون الرومان : ان لاسر الامبراطور قوة القانون . وبذلك عرفت رومية الاستبداد الذي لانهاية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينعصر في سور ضيق من مدينة بل كان عظيماً كالملك . فكما كان في يرفان ظالمون اهل حشمة وقار كان في رومية امبراطرة حكماء محتمون ولكن قل في هؤلاء من لم يستهوى دوار السلطة عند ما يرون انهم بلغوا ارقى رتبة يصل اليها انسان . ومن امبراطرة رومية من لم يستخدما سلطتهم التي لم يسمع بثلها الا ترسل اسلأهم كالامثال فغريب اللث ينرون وظلموا بكلود خليفة تiber وسخافته وكاليجولا وجنونه المطبق وتقليده حصانه رتبة قنصل وتطاوله الى ان يبعد كالارباب . فكان الامبراطرة يضطهدون الاشراف خاصة ينجولهم عن كيد المكاييد ويضفطون على الاغنياء ليصادروا أموالهم

وكانت هذه السلطة المتناهية سيئة النظام وهي تتثل كلها في شخص الامبراطور ومتى هلك يبحث فيما تاه من الاعمال . كان القوم عارفين بان العالم لا يستغني عن سيد ولكن ليس في شريعة ولا عادة ما يستبدل به على ماهية ذاك السيد . فكان من حق مجلس الشيوخ وحده ان يعين الامبراطور ولكنه يختار ابدأ بالقوة من اختاره الامبراطور السالف أو رضي عنه الجند . افند عثراس القصر الامبراطوري يتنا كانوا يبحثون فيه عقيب وفاة الامبراطور كاليجولا

على رجل اختبأ وراء القروش وهو ترتد فرائسه فأوا انه من انساب كاليجولا فعينه الحرس الامبراطوراً وكان هو الامبراطور كلود

الحرس الامبراطوري — كان يحظر زمن الجمهورية على القائد ان يأتي في جيشه الى المدينة فاصبح الامبراطور رئيس الجيوش كلها وله في رومية حرس عسكري مؤلف من نحو عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تيبير في ثكنة حصينة بالقرب من المدينة . ويتجيب هذا الحرس من قدماء الاجناد وتدر عليه الرواتب الكثيرة وتوالت عليه الاحسانات وبهؤلاء الجنود يعتز الامبراطور فلا يخاف باثقة تصيبه من الناقبين عليه من أهل رومية . يدان الخطر كان يأتي من الحرس نفسه واذ كانت القوة معهم اعتقدوا بانه يحل لهم ان يأكلوا كل شيء وكان زعيمهم أو مسع سلطنة من الامبراطور

الثورات والحروب — امتشاط أشراف الرومان غضباً مما آتاه نيرون من الفطائع وضروب الجنون فخذوا سخطهم ببعض الولاة الى الانتفاض وخلع الطاعة فشر اذ دانه مجلس الشيوخ بقوة يستند اليها فأعلن بان نيرون عدو عام فلم يسعه الا الحرب ثمالاتها .

وبعد موته ( ٦٨ ) وقع اختيار مجلس الشيوخ على والي اسبانيا المدهو غالباً فعينهوه امبراطوراً ولكن الحرس الامبراطوري لم يره كريماً جواداً فذبحه ونصب مكانه أحد ندماء نيرون واسمه أتوت . ثم ان الجنود الموابضة في تخوم جرمانيا ارادت ان تنصب بنفسها امبراطوراً فدخلت فرق نهر الرين الى ايطاليا فصادفوا الحرس الامبراطوري بالقرب من كرميون فقتلوا منه مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أخذت بعاري المئين تصبوا الامبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ وهذا القائد فينيوس

وفي ذاك الحين انتخب جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فيتليوس وعين مكانه ( ٦٩ ) وهكذا نصبت رومية ثلاثة امبراطرة في سنتين وأنزل الجند ثلاثة امبراطرة عن عروشهم . وفي خلال هذه الحروب نهب جنود جرمانيا مدينة وحرق مبد الكنايتول . الفلافيون — نصب فسباسين امبراطوراً فوطه أركان السلم وكان ايطالياً وهو خفيد أحد الفلاحين حافظ على عادات له في الاقتصاد والادخالة في عيشه . فرأى القسم الاعظم من مجلس الشيوخ قد تمزق شملهم والأسرار القديمة قد بادت أو هلكت فاستعاض عنها بأسيرات ايطالية أو من اهل الولايات ولما تجدد مجلس الشيوخ على هذه الصورة كف عن ابداء العداء للامبراطور فخلع فسباسين أولاً ( ٧٩ ) ابنه تيتوس الذي مات للحال ثم ابنه دوميتين ( ٨١ ) الذي كان قاسياً غداراً مثل ظلمة اليونان

الانطونيون — اشتهر الخسة الامبراطرة الآتون وهم زفاوترا جان ولديان وانطونين

ومارل أوريل (٩٦ - ١٨٠) بالحكمة ويدعونهم الانطونيين (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة الا الآخرين منهم) ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية بل كان تراجان وادرين اسبانيين وولد انطونين في نيوم لم يكونوا أمراء من أميرات امبراطورية خلفت لتولي رقاب الناس منذ ولادتها . وقد تولى الحكم اربعة امبراطرة وهم عتيقون فلم يتسن نقل الحكم بالوراثة . وكان الامبراطور يختار كل مرة من قواده وولائه أقدر رجل يخلفه ويبناه ويعينه باختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الامبراطورية الا اناس يحكون يخفون آباءهم في مركزهم بدون قال وقيل .

ولقد كان عصر الانطونيين اهدأ المصور التي عرفها العالم القديمة والحروب تنشب بعيدة عن تخوم المملكة ولم يحدث في الداخلية شغب عسكري بناتاً ولا مظلة ولا أحكام جائرة . فكبح الانطونيين جماع الجند بتدريبتهم على النظام ونظموا انحاءهم ومجلس الامبراطورية وهو مؤلف من الفقهاء والمشرعين واستعاضوا عن حرورهم من العبيد الذين حالما سخط الرومانيون عليهم على عهد الانتي عشر قيصراً بأناس من الموظفين النظاميين اختاروهم من أشراف الطبقة الثانية ( يعني الفرسان ) وما عاد الامبراطور ظالماً يخدعه جند بل كان حقاً الحاكم الاول في الجمهورية لا يستعمل سلطته الا لما فيه نفع شعبه

حارب الانطونيون حروباً كثيرة ليدفعوا الشعوب المحاربة التي كانت تحاول مهاجمة الامبراطور من ناحيتين . فحاربوا في أسفل نهر الطونة الداسيين وهم شعب بربري سكن البلاد الجبلية ذات الغابات التي نسميها الآن ترانسلفانيا كما حاربوا على القرات حكومة البارثيين العسكرية الكبرى التي كانت جعلت المدائن عامتها قرب بابل وكانت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس .

ولقد حمل تراجان على الداسيين عدة حملات واجتاز الطونة ورجع في ثلاثة مواقع واستولى على عاصمة ملك الداسيين ( ١٠١ - ١٠٢ ) وتفضل عليهم بالصلح ولما عاود الداسيون الحرب عمد تراجان ان يأتى عليهم فانشأ على نهر الطونة جسراً من حجر وهاجم ولا يهتم فضمها الى المملكة الرومانية ( ١٠٦ ) وأُنزل فيها طواري وهم مستمرين أنشؤا فيها مدناً وأصبحت ولاية داسيا بلداً رومانية تكلم أهلها باللاتينية وتحلقوا بالاخلاق الرومانية .

ولما انجلت الجيوش الرومانية في اواخر القرن الثالث كانت قد استحكمت اللغة اللاتينية من الداسيين وظلت شائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من غارات برايو الصقالية . وقد اطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمالي الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني ويتكلم بلغة مشتقة من اللاتينية كالفرنسية والاسبانية

حارب تراجان البارثيين أيضاً فجاز القرات واستولى على « المدائن » وهي عاصمتهم وتوغل في أحشاء البلاد الى فارس ودخل الى سوس واخذ منها عرش ملوك فارس المعمول من الذهب الاصم . وانشأ أسطولاً على دجلة وتزل في النهر حتى مصبه وإيجر في خليج فارس واستخلص من البارثيين البلاد الواقعة بين بلاد القرات ودجلة وجعلها ولايتين رومانيتين بيد ان هاتين الولايتين انتفضتا بعد سفر الجيش الروماني .

اما الانطونيان الاخيران وهما انطونين ومارك اوريل فقد شرفا الامبراطورية بنشاطهما وكان كلاهما يعيش ببساطة كما يعيش الافراد على غناهما دون ان يكون لهما ما يشبه قصرًا او سرايا وان يشعرا بأنه كانت لهما سلطة وسيادة

ولقد لقب مارك اوريل على العرش بالحكيم وكان يحكم البلاد مدفوعاً بعامل الواجب على غير ارادته ومع انه كان يؤثر هذا قضى حياته في الحكم وقيادة الجيوش . وانك لترى فيما خطه في تذكرته البيئية من افكاره صورة الفيلسوف الروافي السائح الزاهد العازف عن العالم وهو على جانب من اللطف والحلم قال : « أحسن الاساليب في الانتقام من الاشقياء هو ان لا يعمل المرء عملهم والارباب انتسهم يعطفون على الاشقياء فلك ان تفندي بالارباب »

ولقد كان مارك اوريل يأخذ برأي مجلس الشيوخ في عامة المسائل ويحضر جلساته بدون انقطاع . ولقد وقف في وجه كثير من الشعوب البربرية الجرمانية يرد غاراتها ويدفع عادياتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الجليد ودخل الى شمالي ايطاليا وانقضى له ان يؤلف جيشاً فحشد عبيداً وبرابرة (١٧٢) فانسحب الجرمانيون ولكن يينا كان مارك اوريل مشغولاً في سورية يقاتل أحد القواد المتمردين عادوا على اعتابهم وهاجموا الامبراطورية ومات مارك اوريل على خفاف الطونة (١٨٠)

ولما وقت الفتوح (بعد تراجان) كانت الامبراطورية تمتد على طول جنوبي اوربا كلها وعلى طول الشمال من الفريضة والغرب من آسيا ولا يقف في سبيلها الا الحدود الطبيعية فمن الغرب البحر المحيط ومن الشمال جبال ايكوسيا ونهر الزين والطونة وفاقصاسيا ومن الشرق بوادي القرات وبلاد العرب ومن الجنوب شلالات النيل والصحراء الكبيرة . فكانت الامبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتألف منها اليوم كل من انكلترا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا والفيرو والنمسا والبحر والبلاد الممتدة في اوربا ومراكش والجزائر وتونس ومصر وسورية وفلسطين والاناطول أي انها ضعفاً بمملكة الاسكندر .

السلام الروماني - ابطل الرومان الحروب في داخلية بلادهم باخضاع جميع الشعوب



لسلطانهم . فتوطد السلم الروماني الذي وصفه احد كتاب اليونان بما يأتي: « لكل فرد ان يذهب حيث شاء فالرواني غاضة بالسفن والجبال آمنة على سالكيها أمن المدن لساكنيها ولم يبق داع للخوف وقد طرحت الارض سلاحها الحديدي القديم ونجحت في ثياب الاعياد . وها انتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بان الارض ملك للجميع »

فاصبح الناس في الغرب للمرة الاولى في حل من انشاء بيوتهم وزرع حقولهم والاستمتاع باموالهم واوقاتهم دون ان يكونوا كل ساعة عرضة لهدد يتهددهم باستلابها منهم او ان يذبحوا او يقادوا كالامرى والسبيد . وهذا أمان قلما نقدره قدره اذ قد تمتصنا به كلنا منذ الصغر ولكن الظاهر انه كان يعد من حسنات الامور النادرة عند القدماء

سهلت الرحلة في تلك الامبراطورية المسالمة وأنشأ الرومان طرقاً في كل مكان مع محطات ومواقف وصنعوا مصوّرات (خراط) لطرق المملكة وكان كثير من ارباب الصناعات والتجار يرحلون من طرف الى طرف آخر من المملكة . ويرحل علماء البيان والفلسفة في بلاد الامبراطورية ذاهبين من مملكة الى أخرى وهم يلقون المحاضرات .

وكان ينزل في كل ولاية أناس من اهل الولايات القاصية فقد دلت الكتابات على الاحجار انه كان في اسبانيا اساتذة ومعورون ونقاشون من اليونان وفي غالبا صياع وصناع آسباويون

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم وأديانهم ويمزجوها بما يرونه عند الامم التي ينزلون عليها ثم يتأدون بالتدريج على التكلم باللغة الرومانية وما انبلج فجر القرن الثالث عشر حتى غدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة كما صحبت اليونانية لغة الشرق منذ قام خلفاء الاسكندر . فنشأت في رومية كما نشأت في الاسكندرية حضارة مشتركة سموها الحضارة الرومانية ولم تكن كذلك الا باسمها ولغتها واجتمعت حضارة العالم القديم في قبضة الامبراطور

### الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السيفيريون — بدأت الفتن الاحلية بعد عهد الامبراطرة الانطونيون فذبح الحرس الامبراطوري سنة ١٩٣ : الامبراطور يريتيناكس ورأوا ان يضموا المملكة في الزاد فتقدم طالبان يريدان ايجاعها احداهما سولسطين تقدم على ان يعطي كل جندي خمسة آلاف فرنك والثاني ديدويوس ورفع مايدفعه لكل جندي الى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس الى مجلس الشيوخ وعينوه امبراطوراً ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فندبوه وفي خلال ذلك يوبع بالملك ثلاثة قواد لثلاثة جيوش كبيرة وها قائد برتانيا وقائده

ايليريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المتنافسون الى رومية فوصلت فرق ايليريا قبل غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير امبراطوراً على رومية فشبثت عندئذ حرمان سالت فيهما الهدنة انتهياً أحدهما لمداخلة جيش سورية والاخرى لمداخلة جيش برتانيا وظلت لسيفير الكلمة النافذة مدة سنتين وهو الذي اوجز سياسته في كلمتين فقال : « ايها الابناء ارضوا الجند واهزوا بمن بقي »

الفوضى والغارة — مضى قرن ولم يكن قاعدة في الحكومة غير ارادة الجند وكان سيفه الامبراطورية ماخلا جيش الحرس الصغير في رومية عدة جيوش كبيرة على نهر الرين والپونة والشرق وانكلترا . وكل جيش يود ان يجعل قائده امبراطوراً والمتنافسون يتقاتلون حتى كتبت القلبة لواحد حكم بضع سنين ثم قتل (١) واذا اسعده الحظ بنقل السلطة الى ابنه من بعده فالجيش يتردد على ابنه ذاته وتعود نار الحرب تستمر .

وفي ذاك الحين نشأ امبرطوة غرائب في اطوارهم فكان ايلاجابال كاهناً سورياً لبس ثياب امرأة وترك امه تؤلف مجلس شيوخ من النساء (مجلس شجيات وهجائز) ومنهم الامبراطور ماكسيان وهو جندي بالعرض وجبار قاس وصفاك كان يأكل على ما يقابل ٣٠ ليرة من الخم ويشرب عشرين ليرة من الخمر . وجاء زمن على هذه المملكة والذين يدعون الامبراطورية ثلاثون امبراطوراً اتقطع كل منهم الى ناحية من المملكة (٢٧٨-٣٦٠) وسمى نفسه امبرطوراً فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً .

وبينا جند البلاد مشغولون بقتال بعضهم بعضاً كان يرى البرابرة ان اتخوم خالية من الحامية فيجتازون ارض الامبراطورية ويخربونها . وكان اقليم غاليا خصوصاً هو الذي يقاسي الامر من هذه الغارات في القرن الثالث فجتازها عصابات من الحارين الجرمان كالالان والفرنك واذا لم يجدوا فيها مدناً حصينة ولا جيوشاً نهبوا المدن وحرقوها واخذوا ماشأوا من اهلها اسرى معهم وذبحوا الباقين . وفرسان السكسون يجربون شواطئ بحر المانش . كان هذا القرن الذي انتفضي في حروب قرن خرافات فكنت تجدي في كل مكان اناساً يعبدون ارباب المشرق مثل الرب ايزيس واوزيريس والرة الكبرى ولكن ميترا وهو رب فارسي رب عام اكثر من الارباب قاطبة في الامبراطورية . وميترا الشمس وهي مصورة في المعانم التي انشئت اكراماً لها وهي تصرع ثوراً وقد كتب عليه ما يأتي : « الشمس التي تغلب الرب ميترا » وقد عثر على مثل هذه الرسوم في جميع اجزاء الامبراطورية . وعبادة الشمس ملتبة مبهمة فهي احياناً اشبه بالشعائر النصرانية فيكون فيها عماد وولائم

(١) فسدوا ان عدد الامبراطرة من القرن الاول الى الثالث ٤٥ مات منهم ٢٩ قتلاً

مقدمة ومسحة وتوبة وشعور ولاجل ان يقبل المرء في جملة اهل هذه العبادة يجب القيام باعمال من صوم وعين مخوفة

وقد كان دين ميتر في اواخر القرن الثالث الدين الرسمي في المملكة . ودان الامبراطرة والجيش بهذا الرب القهار ولهذا الرب في كل مكان معابد على شكل مناور ذات مذابح وتقوش بارزة وكان في رومية ايضاً معبد نجيم انشاء الامبراطور اورليان . وكان من اشد الحاجات للماسة في ذاك العهد البقاء مع الارباب على صلح ووثام فاخترعوا حفلات لتزكية النفس فليس المؤمن ثوباً ابيض مزينا بالذهب ويقعد في اسفل حرة فيطبقونها على رأسه بلوح من الخشب مثقوب ويأتون بشور يقفونه على هذا اللوح فيخرو الكاهن فيجري دمه من الثقوب على اثواب المؤمن ووجهه وشعره . وكانوا يعتقدون ان هذا التعمد بالدم يطهر المرء من السيئات كافة ومن يجري له يكون كيوم ولدته أمه في حياة جديدة ويخرج من الحفرة بشع الصورة ولكنه سعيداً مضبوطاً .

اختلاط الاديان — اخذت الاديان كلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز النصرانية على غيرها بالاختلاط فتعبد الشمس تحت اسماء متنوعة (وهي التربة وهليوس وبعل وايلكابال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوخة بعضها عن بعض وكثيراً ما يجري على مثال العبادات النصرانية ومن اعظم الامثلة في هذا الاختلاط الديني ما كان يتوفر عليه اسكندر سيفير الامبراطور الحشم الطيب ذو الذمة فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسنين للانسانية وم ابراهيم واورفيه ويسوع وابولونيوس دي تيان .

ديوكسين — بعد مرور زمن في الحروب الاهلية قام امبراطرة تمكنوا من وضع حد للشغب وكانوا قساة عاملين وجنداً ترقوا في درجات الجندية حتى اصبحوا زعماء وقواداً ثم صاروا امبراطرة . ويكاد يكون منشأ معظم اولئك الامبراطرة من ولايات نصف متوحشة كولايات الطونة وايليريا وبعضهم كانوا في طفولتهم رعاة او مزارعين . وكانوا في سذاجة اخلاقهم على مثال قدماء قواد الرومان ولما طلبت وفود ملك فارس ان يروا الامبراطور برويوس راوه شيخاً اصلع يلبس عباءة صوف ويضطج على الارض ويتناول حمصاً وشحم خنزير وكانت هذه سيرة كور يوس دانتوس قبل خمسة قرون

ولقد كان هؤلاء الامبراطرة اشداء على الجند فاحدثوا في الجيش نظاماً وفي البلاد اماناً ولكنه ثأنت بحكم الضرورة ثورة اضرم نيرانها الامبراطور ديوكسين الذي تدرج من الجندية الى تولي مقام الامبراطورية (٢٨٥) وتنازل عن الملك بعد ان نظم شؤون الامبراطورية .

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي شؤون الحكم في تلك البلاد المسعة والدفاع عنها فأتخذ كل امبراطور له كما اتخذ ديوكسين من انسابه واصحابه اثنين او ثلاثة يؤازرونه وعهد الى كل واحد النظر في جزء من مملكته . وفي العادة ان يُدعوا باسم " قيصر " ويحدث أحيانا ان يتولى امبراطوران متكافئان يدعى كلاهما باسم اغسطس ومتى مات احدهما يخلفه احد القياصرة اما الجيوش فلا تستأج ان تنصب امبراطورة .

واتسعت الولايات اي اتساع حتى ادى ذلك بديوكسين الى تقسيمها فكان عددها ٤٨ ولاية في القرن الثاني فاصبحت ٩٠ ولاية ( وغدت غالبا سبع عشرة ولاية بعد ان كانت سبعا ) واسمى الحرس الامبراطوري في رومية خطرا على البلاد فاسموا من الامبراطور ديوكسين عنه بفرقتين سماها فرقتي القصر .

### المدينة الرومانية على عهد الامبراطورية

مدينة بومبي — ذكر بلين القتي في كتاب له قصة ثوران بركان فزوف ( سنة ٧٩ ) الذي هلك فيه خاله بلين القديم . وكان المعلوم ان هذا البركان اخرب مدينتين صغيرتين نزهتين وما هر كولانوم وبومبي ولكن لم يعرف احد موقعها . واكتشفت في القرن الثامن عشر بالعرض مدينة هر كولانوم متشاة بطبقة من الحم ثم كشفت مدينة بومبي مدفونة تحت طبقة من الرماد وحجر الكذبان . وبديء بالبحث في هر كولانوم فشر فيها على تماثيل صغيرة جميلة ومدارج مخطوطة معروفة توصل العلماء الى حل بعضها ولكن حالت صعوبة العمل في الحم فوقف الباحثون عن التوفر على ما كانوا بدؤوا به . وآثروا ان يبحثوا في بومبي حيث يسهل نزع الرماد وقد مضى القرن التاسع عشر باجمعه والمهم متوفرة على نزع الرماد عن المدينة حتى كادت تظهر بأسرها الآن كما كانت .

ظهرت بومبي للانظار على ما كانت عليه قديما وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد وفر السكان من كثير من البيوت عند وقوع هذا البلاء ثم عادوا يبنشون عن اعم الاعلاق وانفس النفاس . وما برحت الحيطان قائمة ولم تقع منها الاعلانات المكتوبة بالحمرة بل ما زلت ترى فيها المخطوط التي خطها المارة بالقيم وملت التواريخ وبلاطها المخفوق بسير المركبات والعجلات . وقد وجدوا ايضا على الرماد ما تركته جثث الذين هلكوا اختناقا من الرسوم وقد توصلوا بان جعلوا جيسا مانما في تلك الرسوم واخرجوها فكانت قوالب لتلك الاجساد الميتة .

البيشة الرومانية — تصور بومبي للفكر كيف كانت العيشة في مدينة رومانية صغيرة فقد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة الى زوايا قائمة ومبلطة

يلاط يحكم الاجزاء ولما ارضفه الا ان الشارع الاعظم كان معوجاً وبلغ من ضيقه ان كان يعمر على مركبتين ان تلتقيا في وسطه .

ولم يكن للسكان غير نوافذ صغيرة وقليلة تطل على الشارع بل كانت الغرفة كلها نوافذ من وسط الدور يدخل اليها النور . وبهذا عرفت ان الشوارع كانت محاطة بجدران ما عدا الشوارع الرئيسة وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوق والباعة .

وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومحاكم وسوق مسقوف ورواق ذو عمد وفيه كان يجتمع اهل البطالة وفيها داران لتمثيل حفر القسم الاعظم من الكبير فيهما في أكمة وهو سبع خمسة آلاف متفرج والصنير يسع الفا وخمسمائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة « انقيتيار » تقام فيه الالعاب ويتصارع فيه المصارعون . وفيها ثلاثة حمامات عامة ( على الاقل ) لاصفرها وهو الذي حفظ اكثر من غيره مقصورة للاستحمام واخرى الحمام السفين وثالثة للبارد وصوان ( محل الثياب ) وليس في الدور غير اخوة ومقاعد وصناديق ومرمر وشعدانات وكثير من المصايغ اذ لم يكن القدماء يكثر من الاثاث . اما الغرف فصغيرة ويجهلون وزينة كلها في قاعة الاستقبال الكبرى الا ان مصايغ اغنياء السكان مبلطة بالفسيفساء والجدران مشغاة بصور جميلة فيها مشاهد اساطير وتزيينات من الكاليل وازهار اما الحوانيت فخاليتها تشع بضعف القجارة والحوانيت باعة المشروبات اشارات مصورة وقد صورت سيف احداها صورة باخوس ( رب الكرمة ) يصغر عنقوداً . وكتب على حانوت آخر : « هنا فندق يؤجر غرفة ذات ثلاثة سرر » وقد عثروا في تلك المدينة على مخبز فيه رحبان تداران باليد وعلى معمل لقصر الثياب وكان حلاق ويصنع جراح وادواته من القنز ( النحاس الاصفر ) ومعمل نقش ودباغة .

المشاهد — كان للمشاهد في حياة هذا الشعب العطل من الاعمال في رومية شأن يصعب علينا تصويره فكانت المشاهد كما في يونان عبارة عن ألعاب اي حفلات دينية وتغائب المشاهد طول النهار وتعود من الايام التالية مدة اسبوع على الاقل . والمشاهد عبارة عن موائد تتواعد اليه الامة الحرة بأسرها وهناك كانت تقام المظاهرات ففي خلال الحروب المدينة سنة ١٩٦ اخذ المتفرجون بلسان واحد يهتفون : السلم . والمشاهد ( التفرجة ) اكان يحسب ما تميل اليه النفوس في ذلك الزمن فقد مثل فيه ثلاثة امبراطرة قتل كاليجولا في هيئة جودي ونبرون ممثلاً وكومود مصارعاً . والمشاهد ثلاثة اضرب وهي ١ : المسح ( المرمي ) والملمب وشكل نصف الدائرة ( انقيتيار )

وكان المرنجح على الاسلوب اليوناني والممثلون يمثلون وقد جعلوا اوجهما مستطارة على وجوههم يشخصون قصصاً اخذوها من اللغة اليونانية . وقبلما كان الرومان يقدرون مثل هذه الروايات قدرها لانها تملو عن عقولهم وكانوا يؤثرون الروايات المفجكة الجافة المروفة بالمح ولا سيما « البانتوميم » التي يشخصها الشخص دون ان يتكلم ويظهر عواطف الاشخاص الذين يمثلهم بحركاته وسكناته . تمتد بين اكثين من جبل افانين وبالاتين ساحة للسباق تحيط بها اروقة عنها مراق وادراج . وهذا المكان هو الملعب الاعظم اصبح يسع منذ وسعه نيرون ٢٥٠ الف متفرج . ثم وسع في القرن الرابع حتى صار صالحاً لاجلاس ٢٨٥ الف شخص وهناك كانوا يمثلون الفرجة التي يحبها الشعب الروماني وهي سباق المركبات ذات الاربعة الخيول فالركبة الواحدة تطوف الملعب من اقصاه الى اقصاه ثلاث مرات وعليها ان تقطع ٢٥ شوطاً في اليوم الواحد . وسائقو المركبات تبع لشركات تزام كل منها الاخرى ويلبسون لواناً من الالبسة خاصاً بشركم فكانت الشركات اربما باديء بدء ثم استخفات ثنتين وهما الزرقاء والخضراء وتكليمها شهيرة في تاريخ التردد . ولقد اولى القوم في رومية سباق المركبات كما يولى الناس اليوم سباق الخيل حتى كان موضوع حديث النساء والاولاد ايضا كثيراً ما يتعصب الامبراطور لفریق دون آخر في السباق وتنتكون من النزاع بين الزرق والخضر مسألة سياسية

انشأ الامبراطور فسبازين على ابواب رومية بناء الكوليزة وهي علامة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين الف متفرج كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه ويتقاتلون فاذا ارادوا الصيد يجعلون الميدان غابة يطلقون فيها الوحوش الكاسرة فيجرب رجال مسجون بحرب بصيدها . وكانوا يتوعون المشهد بجمل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالاسود والتمود والبقيلة والهدية والجواميس والكركن والزرافة والتمور والتاسيح . وظهر في الالامب التي احتفل بها الامبراطور يومى ١٧ فيلاً و ٥٠٠ اسد في الميدان وكانت لبعض الامبراطرة دار لغرائب الوحوش . ثم رأى القوم بدلاً من ان يجعلوا الرجال المسلحين امام الحيوانات ان يطلقوا الحيوانات على الرجال وهم عراة مقيدون . وشاعت العادة في جميع مدن الامبراطورية باستخدام المحكوم عليهم بالاعدام في هذه التسلية فافترست الحيوانات الواناً من الناس من كل جنس ومن ومنهم كثير من شهداء انسييين على مرأى من الحضور .

المصارعون — كان قتال المصارعين ( رجال بايديهم السيوف ) من اجنء المشاهد الوطنية عند الرومانيين فينزل رجال مسلحون الى الميدان يتبارزون حتى يقتل بعضهم بعضاً

وبلغ الحال بالرومانيين على عهد قيصران صاروا يقتلون ٣٢٠ زوجاً من المصارعين في آن واحد وقد قتل اغسطس في حياته كلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلك سيفاً لربعة اشهر - وكان المغلوب يذبح في الحال الا اذا غدا الشعب عنه

وكثيراً ما ياتون باناس من المحكوم عليهم في ميدان الصراع ولكن المتصارعين يكونون في الخالب من البيد وامرى الحرب - وكل انتصار يجلب الى ميدان الصراع عصابات من البرابرة يقتل بعضهم بعضاً ليتلذذ المتفرجون (١١) وكان في رومية مصارعون من كل بلد فمنهم الغاليون والجرمان والتراسيون وربما كان منهم الزنوج فيقتلون بالسلحة مختلفة عن اسلحتهم الرومية عادة - وكان يحب الرومان ان يروا هذه المقاتلات في صور مصفرة -

وكنت ترى بين هؤلاء القتلتين في الخلب انساناً من المتطوعة الاحرار حدا بهم حبيب لقطران يقدموا انفسهم للصراع وقواعد القاسية وان يقسموا لزعائهم بانهم يقدمون ليضربوا بالمعوي ويحرقوا بالحديد النحى ويقتلوا ثقيلًا - وقد تجند غير واحد من اعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من البيد والمتشردين بل تجند في زمرة الامبراطور كمود وتزل الى الميدان بذاته - ولا تقام هذه الالاب الخطرة في رومية فقط بل في جميع مدن ايطاليا وغاليا واثريقية ( اما اليونان فقد استنكفوا من قبول هذه الالاب ) واليك صورة كتبت على تمثال اقيم لاحد اعيان بلدة منشورن : « قد اظهر في اربعة ايام احد عشر زوجا من المصارعين ما برحوا يقتتلون حتى بعد ان سقط نصفهم في الميدان وصاد عشرة دية هائلة ولا شك انك تذكرونه ايها الوطنيون الاشراف »

وكان الشعب يهوى اوراق الدماء على نحو ما يجري اليوم باسبانيا في سباق الثيران - وبني للامبراطور كما يبني الملك اسبانيا ان يحضر هذه المجازر - ولقد فقد الامبراطور مارك اوريل ثقة العامة في رومية لانه اظهر مللاً من مشاهدة تلك الالاب فكان يقرأ ويشكم ويقابل الناس بدلاً من ان يفرج - ولما صحب معه المصارعين ليشاهدتهم في قتال الزايرة الذين هاجموا ايطاليا اوشكت الغرغاة ان تنفرد وصرخوا قائلين : « انه يريد ان يلبنا تسليحاً ليضطرنا الى التفلسف »

للدائوس = لم يخطر لقدماء قط ان يعلموا الاولاد كلهم فليس البيد وحدهم بل السواد الاعظم من سكان الامبراطورية لم يتعلموا القراءة - على انه لم يكن في المملكة

(١) شكر احد الخطباء الامبراطور قسطنطين في خطاب رسمي القاه لانه قدم جيشاً يرمته من البرابرة الاسرى ليتصارع امام الجمهور ولانه استعمل قتل الناس لتسليه الناس - قال وليت شعري اي ظفر اجل من هذا ؟

غير مدارس الاغنياء والوطنيين الرومانيين . وقلما تعرف المدارس التي يتعلم فيها ابناؤه الوطنيين والاجناد القراءة والكتابة . وقد كانت راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وآباء الاولاد هم الذين يؤدون اليه راتبه . وطريقة التعليم عبارة من ضرب الاولاد بمقرعة او بالعصي . وقد مثلوا في صورة وجدت في مدينة يومي ولدًا يحسكه اترابه بينما كان المعلم يضر به بالسوط .

وتعلم الاسرات الغنية اولادها على مؤدب عبد يكون رومياً في الغالب فيعلمهم اللغتين والامانة اليونانية . والمدارس العامة تقبل الثبان الاغنياء خاصة يرسلهم آباؤهم اليها لتعلموا فيها الخطابة . والناذا المتأخر لم ينزع من الناس ذوقهم في الخطابة ومراهم عليها . وعلى ذلك العهد بدأ الفوهون او الخطباء يكثرون ويملكون الناس كيفية الاداء فافتتحوا منذ القرن الاول في رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الاغنياء . وكان بعضهم يبرهن تلاميذه على انشاء المرافعات في موضوعات خيالية في الخطابة وقد حفظ لنا الخليل سنيك عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها اولاد مخطوفون ولصوص ومتشردون على اساليب مختلفة أسست على الولاة مدارس من هذا الطراز في جميع اقطار المملكة فكان في غالبا مدرسة قديمة في مدينة مارسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من ايطاليا . واصبحت مدرسة اوتون منذ زمن اغسطس عامرة اكثر من غيرها بالطلاب وهي التي بقيت عامرة الى آخر ايام الامبراطورية .

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريمس واخرى في تريف . وكانت في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه واشهرها هي التي اصبحت مدرسة بوردو بعد ذلك .

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الاساتذة وتدفع لهم اجورهم والمقصد الاول منها تعليم ابناؤ الاسرات الغنية التكلم باللاتينية واليونانية وان يكتبوا فيها ليتمكنوا من ان يكونوا موظفين . ويعلم فيها النحو والبيان خاصة . وكان اشهر اساتذ في مدرسة اوتون في القرن الرابع الخطيب اومين ارسله الامبراطور قسطنطين وكان مدحه . واعظم رجل في مدرسة بوردو هو اوزون حربي ابن الامبراطور (٢٦٩) ومؤلف عدة مقاطع شعرية لاتينية متكلفة .

الاشراف — دثرت الاسرات القديمة الغنية في رومية الا قليلاً ولكن قام غيرهم من الاسر الحديثة التي اغتنت بالصيرفة والتجارة والزام الجباية واستئثار الاراضي القنوقة . وكلما تمكن غني من ارباب الاملاك من ان يعينه الامبراطور حاكماً تشرف امرته وبذلك شرفت



جميع الأمرات الغنية في إيطاليا والولايات ( حتى لم يبق في اواخر القرن الثالث اناس من الفرسان الماديين ) وكان كل عظيم من كبراء هؤلاء الملوك يعيش بين عبيده ملكاً صغيراً لا عمل له الا اتباع الشبوات وداره في رومية اشبه بقصر قنص غرفة التشريفات ( الانزويم ) كل صباح باناس من الزين ( الزيونات ) وهم اناس من الوطنيين يختلقون اليه لا مورطيفة صباح كل يوم يملكون عليه بالسيادة ويسايرون موكبه في الشارع . لان الاصطلاح يطلب ان لا يظهر الغني ابداً امام الجمهور الا ويحيط به جماعة . وقد ضحك هوراس من احد التفضاء لمروره بشوارع تيبور في خمسة من العيد فقط . ولكبراء خارج رومية مصائب بهجة على شواطئ البحر او في الجبال ينتقلون فيها لا عمل لم والغني أخذ منهم

ولم تكن واجبات لبيوت هؤلاء الاغنياء من الرومانيين على العكس من يوننا الحديثة بل كانت كلها دائرة من داخل اما من الخارج فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها والغرف صغيرة وفرشها قليل وهي مظلمة لا يدخلها الضوء الا من قاعة التشريفات وهي في وسط البيت وفيها نعتبت تماثيل الاجداد وفيها يستقبل الزوار ويدخل اليها النور من شق في السقف ووراعها البريستيد وهي حديقة محاطة بصفوف من الحمى وعليها تطل غرف الطعام مزينة اغرزية وفيها سرر للجلس الضيوف ويتناولون فيها الطعام لان ذلك كان من عادة اغنياء الرومان كما كان من عادة اليونان في آسيا . وكثيراً ما يكون بلاط الدار ممولاً بالفسيفساء .

الاخلاق — وصف سينيكا في رسائله وجوفنال في احاجيه الرجال والنساء في عهدهما وصفاً مزيجاً حتى اصبح فساد رومية القياصرة مثلاً سائراً في النابرين . على ان هذا ناشئ من دوام اضطرابات القرون الاخيرة للجمهورية مثل بذخ الاغنياء الفليظ وقسوة السادة مع عبيدهم وطيش النساء المزوج يجنون . فلم يأت الشرف من طريقة الحكم الامبراطورية بل من الافراط في جمع ثروات العالم اجمع يد بضعة الوف من الاشراف او ادعاء الشرف وتحجهم بضع مئات من الاحرار يعيشون عيشاً سافلاً وملابسين من العيد يملكون ظملاً هائلاً وكانت الامرة الكبرى تندثر بسرعة حتى هال الامبراطور اغسطس ما رأى من نقص عدد الرجال الاحرار فسن قوانين لجل الناس على الزواج والعقاب على العزوبة واذ كان تأثير هذه القوانين يحتاج الى زمن لم نجح اصلاً . ولقد كثرت عند الاعزاب من الاغنياء حتى غدت مداختهم من الصناعات الراجحة وذلك ليوصي لهم من يدعونهم لم بشي من المال يأخذونه بدم . ومن حسن التدبير ان لا يرزق الغني ولداً فيكون محاطاً بالرائين والمتقربين . قال احد القصصيين الرومانيين : « ينقسم الناس في هذه المدينة الى طبقتين

منهم من يصطاد ومنهم من يصاد» وقال سينيكا : « ان في حرمان الاولاد زيادة نفوذ المرء » .

الطبقات النازلة — فقد التمييز بين الوطنيين الرومانيين والغرباء موقعه ومكانته اذ لم يعد في رومية التقييدات وشمل حق التملك على التدرج سكان الولايات . وجاء زمن على عهد كارا كالا سنة (٢١٢) صدر فيه امر بمنح حق الوطنية لجميع سكان الامبراطورية ولم يشعر بهذا الامر كثيراً لان العمل كان جارياً عليه من قبل بالفعل . ويمتاز الرجل امتيازاً خاصاً بثروته التي يملكها ويقسم الناس الى طبقتين : الاغنيا . ويدعون اشرف الشرفاء . وهم اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان واعضاء مجالس الشيوخ في المدن وتتألف منهم طبقة قواد العشرة اما بقية الشعب وهم العامة فيتألف منهم الفقراء المدقعون والسوقة الحقيرون .

فاشراف الاشراف وحدهم يحسبون في المجتمع وهم يقومون بمهمة الوظائف المدنية وجميع موظفي الامبراطور من طبقة اعضاء الشيوخ او طبقة الفرسان وجميع حكام المدن من قواد العشرة . ولم كلف امتيازات رسمية ومحال خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات واذا حكم عليهم بالاعدام لا يصلحون ولا يلقى بهم للوحوش في الملأ لان هذه العقوبات المخزية كانت خاصة بالفوضى والعامة

ولقد طاش الفقراء في هذا المجتمع الارستوكراسي عيشة ضحكا فيعيش فقراء رومية من الصدقات العامة او بالاختلاف الى الاغنياء ومدامتهم وهذه العيشة كانت ضريباً مستوراً من الشحاذة . ويصبح الفقراء في القرى مستمرين في اراضي كبار ارباب الاملاك الذين يعاملونهم معاملة تقرب من معاملة الصبيد وترى الفقراء في المدن صناعات او مرتزقة ومنزلهم منزلة المعتقين من الصبيد . واذا حسنت حال المدينة يكون لهم نصيب فيما يوزعه الحكام من الصدقات ويدخلون بدور اجرة الى مشاهد التمثيل والالعاب والحمامات العمومية وكنت ترى في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات احواض تأتينا الحرارة من موقد جعل تحت الارض . والحمامات في مدينة رومانية كحال الرياضة في المدينة اليونانية في مكان اجتماع من لا عمل لهم . بل كانت الحمامات في مدن الرومان اعظم من مجال الرياضة عند جيرانهم اليونان مئات من المقاصير على اختلاف اجناسها فمن مقصورة باردة الى فاترة الى حارة الى صوان للتياب ومقصورة لذلك البدن بالزيت وعمل للمحاضنة ومقاصير للرياضة وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم . وقد شغلت خرائب حمامات كار كالا بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الارض .

العبيد - وتأقي تحت طبقة للاحرار الطبقه الاخيره هي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معقل انسانك . والساده من الرومانيين كالثريين لم يهدوا كانوا يبيعون ان يحيط بهم جمهور من العبيد . في البيت الكبير الروماني يعيش مئات من العبيد ينسجون بحسب الخدم التي يتولونها ثمع الموكبون بالثرى وتهد الآلهة في الضيعة والاملاق والتحف ومنهم حفظة ثياب ومنهم وصائف ووصيحات ومنهم ائتميون على الخيل والحمار ومنهم رئيس المشاكل ومعاونوه ومنهم عبيد الموكب انسي يرافق سيده البيت وسيدته في التواضع ومنهم حمية الخفة (الخفارة) ومنهم الخوذيون والسواص ومنهم أملاك السر والقراء والنساج والمطابخ والمربون والممثلون والموسيقين وارباب الصناعات من كل صنف لانه في كل بيت كبير يخدمون الدقيق ويتكيفون الصوف وينسجون الثياب . ومن هؤلاء العبيد من يحسب انفسه في العمل يصنعون اشياء بيه باسائده . يكثر رعاياهم منهم من يخدمهم انفسهم الى اخراج على انهم بناؤون او نجارة فقد كان كرسوس حسانه يرد من بنائين . وكل هؤلاء يدعون عبيد المدن .

عبيد الريف - كل مالك الفتيش اكبر يتوفر على زراعته عصابة من العبيد فهم الحراثون والزراعة واكرامون والبساتينون والصيدون يجمعون شراذم قدام كل نعمة من عشرة اشخاص . وبلا حظهم . وكيل منهم يمين تاليه . ويرى صاحب الملاك ان من دواعي اعجاب ان تخرج ارضه كل شيء فبولايحتاج شيئاً وكل حاجياته تلبث في ارضه وهذا مما يجعلونه من جملة الثناء على الاغنياء فصاحب الارض يؤوي اليه عدد اعصابا من عبيد الريف كما يسمونهم . والملاك الروماني انبه بقرية ويسمى مصيفاً فبالاوقد بقي اسمها فاطلق عليه اسم مدينة (فيل) منذ القرون الوسطى وهو الملاك الروماني القديم مكبراً

معاملة العبيد - يعامل العبيد بحسب اخلاق سيدهم فمن السادة الشورين الذين اشتهروا بالانسانية شيشرون وسينيكوبلين فقد كانوا يعظمون عبيدهم طاماً جيد او يخذلونه وربما اجلسهم معهم على موائدهم ويسمعون ان يكون لهم اسيرة وثروة صغيرة . وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبهم اشد العقوبات بل ربما قتلهم لموى في النفس . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد كان نويوس بوليوت عتيق اغسطس يعلم اللور البحرى اسماك مريدة في بركته فكسر له احد عبيده آتية على غير قصد فما هو الا ان القاء في البركة ليكون طعاماً لسمكة

وصف الفيلسوف سينيكا فظانم السادات بهذه العبارة : « اذا سئل أحد العبيد أوعطس خلال المأذبة أو طرد القباب متهاوئاً أو رمى مفتاحاً أو سمع له صوت تكلم في

الاقتصاح منه وأي كلب فإذا اجاب رافعا صوته قليلا ودلت تلايح وجهه على سوء خلقه أبحق لنا ان نصره بالسياط؟ وكثيرا ما نبالغ في الضرب ونقطع له عضوا ونقطع سنا» وهكذا رأينا الفيلسوف ابيكثيت وكان عبداً كبر مولاه مائه . اما الشاه فلم يكن أيضاً على شيء من الشفقة واليك كيف امتدح ادفيد احدى العقائل قال: «مشطوا رأسها أمامي مرات وماقط غرزت الابرة في ذراع العبد الذي يشطبها»

وما كان الرأي العام ليجول دون هذه الفظائع فقد مثل جوفناك عقيلة غضبي على أحد عبيدها وهي تقول أصلبوه — وأي جرعة أتاها العبد حتى استحق هذا العذاب؟ وما أخذه وحل العبد من البشر؟ وسواء أتى أمراً أم لم يأت فاني أريد عقابه وأمر به وارادني في الحجة في هذا الباب

اما الشريعة فلم تكن الطيف من الاخلاق فكانت في القرن الاول قبل المسيح توجب بان صاحب البيت اذا ذبحان بقتل عبيده كلهم به . ولما أريد الناء هذا القانون خطب ترازيا أحد معتبري الفلاسفة في مجلس الشيوخ مطالبا ببقاء هذا القانون .

وللعبيد مطبق تحت الارض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا يتيسر الوصول اليها فاذا اتوا ما يفتصب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل وفي النهار يمشون بهم ليشتغلوا قيديهم بسلاسل من حديد ثقيلة . وكثير منهم من وسعت وجوههم بمجديدة محما

لم يعرف القدماء المطاحن الميكانيكية بل كانوا يحنون الحنطة بمطاحن باليد يديرها العبيد وكان ذلك من اشق الاعمال يُندبون اليها عقوبة لهم في العادة . وكانت المحنة قديما مثل مجبس (لومان) وقال بلوت «كان يكي أشقياء العبيد الذين يضمرون البولواتنا (سويق من دقيق القنرة) وهناك يرن دوي الاسواط وقصعة السلاسل والاغلال» وبعد ثلاثة قرون أي في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي ابوليه داخل مطحنة بقوله: «ايها الارباب ما اتقص هؤلاء المساكين من البشر فقد اسودت جلودهم وتبرقشت من ضرب السياط ولا تستر ابدانهم غير خرق من قيص مدمنوغة جباههم محلوقة رؤوسهم مقيدة ارجلهم مشوكة ابدانهم من الثيران مقروضة جفونهم من الدخان وقد غلام غبار الدقيق»

ولم يكن العبيد يكتبون ولذلك لا نعرف ما هو رأيهم انفسهم في معاملة ساداتهم لهم . الا ان الموالى أقتسم كانوا يشعرون بمجدد عبيدهم عليهم . ولما انتهى الى بلين لجون ما اصاب احد ارباب الاملاك من ذبحه في حمام يد عبيده قال ملاحظا: «هوذا الخطر الذي يتهددنا كانا» . وقال كاتب آخر: «اصح كثير من الرومان عرضة لخدع عبيدهم أكثر من حقد الظالمين»

الشركات — كان في جميع بلاد الامبراطورية في الشرق اليوناني أكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الغروب والاشكال . فنهنا شركات لارباب الصناعة الواحدة وشركات للمثلين والمصارعين وشركات ادية وشركات لاجتماع الكيرين على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الاغنياء مثل جمعيات الحياة . كان اعضاؤها يلتزمون الاموال الاميرية . ومثل جمعيات التجار الذين يقيمون بين ايطاليا وغاليا ولكن معظم تلك الجمعيات كان مؤلفا من صماليك القوم .

ولقد طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجمعيات والشركات ثم تساحت بها حتى اذا كان القرن الثالث اخذت تمد اليها يد مسانعتها ولكن الحكومة لم تمنع قط الجمعيات لدفن الموتى وكانت هذه الجمعيات ثلث من اناس مساكين لا يستطيعون ان يقتنوا ارضا لتكون لهم قبرا فكانوا يشتركون ويدفنون اقساطا للحصول على مهرب يكون مشتركا بينهم ليدفنوا فيه امواتهم . فالمطارة او السرب الممد لدفن الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة من المقاصير يحمل في كل واحدة منها رفات ميت ويسمونها برج الحمام بسبب شكلها .

وعلى هذا كان اعضاء جمعية الموتى على ثقة من الحصول على مدفون لائق بعد موتهم وقبر دائم لم على الدهر وهو ما كانت القدماء يحرمون عليه كل الحرص ويسمون هذه الشركات لا بأساء حزن ثلثا تكون شؤما بل يسمونها باسماء ارباب ويسمونهم شركات الصغار وكان يدخل فيها كثير من العبيد . وتعمل جميع الشركات الا قليلا تحت حماية احد الارباب لجمعها . مثل جمعيات الاطباء التي اطلقوا عليها اسم اسكولاب) وما كان لكثير من هذه الشركات من غاية الا ان يتعبدوا كلهم جماعة . والحكومة لاتندر الارزاق الا على المعابد والكهنة وبعض الشار الرسمية . وجميع الاديان الاخرى كانت منظمة على هيئة جمعيات . ولاهنا صندوقهم وكاهنهم ومصلاتهم ومذبحهم وحفلاتهم . وكانت الكنائس النصرانية اولا شركات من هذا النوع .

وام الشركات شركات ارباب الصناعات فكان منها في عامة المدن حتى ان العواصم كان فيها عدة شركات من نوعها واعضاؤها في المادة من ارباب الصناعة الواحدة وتسمى كل شركة باسماء صناعات اعضائها فقد كان في افيز شركة حلاجي الصوف وفي جنيف شركة الملاحين وفي ليون شركة عملة البناء . وتقبل كل شركة في اعضائها اناسا من اهل صناعة اخرى . ومن العادة ان يكون لكل شركة عبادة فتعبد رباً وتقيم عيد الاحتفال به يجمعون فيه عمله ( ودامت هذه العادة في القرون الوسطى في شركات الصناع المسيحيين ) وهذه

الشركة تقوم بدفن أعضائها متى ماتوا في مدافن لائقة . ولكل شركة مديران يختاران من المعلمين فيكونان في العادة وكيلًا وأمين صندوق يتخيهما الاعضاء كلهم الا انه لم يكن لها ادى سلطة على ارباب الصناعة وما كان يكره احد على الدخول معهم

### الحقوق الرومانية

دين البيوت — يعبد اعضاء كل اسرة باجمعهم اجدادهم ويجمعون حول مزار واحد فاربايه واحدة ولم وخدم ان ينظروا اليها ولا يحق لاحد ان يعبد اجداداً مرة الا اذا كان من فرع اولئك الجدود . ويقام المزار الذي يجعل فيه ارباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقترب منه غريب . والاسرة الرومانية اشبه بكنيسته صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيها احد غير اعضائها ولذلك تختلف كثيراً عن الاسرة الحديثة لان نظامها ديني . الزواج — اخذ الزواج الروماني يصير احتفالاً دينياً فيسلم الاب ابنه الخطوبة الى خارج الدار فحصل في موكب الى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة وهي : « العرس ايتها العروس » حتى اذا جاؤا بها الى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار وهناك يقسم الزوجان بحضور ارباب الاسرة قطعة من الحلواء مملوءة من الحوارى وكانت تسمى الزواج اذ ذاك شركة الحلواء .

وتد اخترع الرومان منذ الزمن الاطول غرباً من الزواج يسوئ للطبقة الوسطى فقط وهو اما ان يبيع اغتوبة احد اوليائها واقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بانه ابتاعها على ان تكون زوجته وهذا زواج البيع واما ان تنجب الزوج فساكن زوجها ومضى قضيا سنة مما يعتبران متزوجين وهذا الزواج بالعادة

الرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً والدين يأمر بان لا تندثر الاسرة . وعند ما يتزوج الروماني يصرح بانه اتخذ زوجته ليكون له منها اولاد . وقد طلق احد اشراف الاغنياء زوجته وكان يحبها حباً جماً لانه لم يرزق منها اولاداً .

المرأة — ليست المرأة الرومانية حرة اصلاً فهي في شبيبتها ملك ايها يختارها زوجها واذا تزوجت يصير امرها بيد بلعها ويقول الفقهاء انها في يده وانها مثل ابنته . وبالجملة فللمرأة سيد على الدوام بيده موتها وحياتها .

ومع هذا لم يعاملوا المرأة قط معاملة الرقيق بل هي مساوية في انكحة زوجها ويدعونها أم الاسرة كما يدعون الرجل أبا الاسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على النساء الرقيقات فتكلفهن بجميع الاعمال الشاقة كغسل الحب وغزل الخيز وعجنه . وتجلس في قاعة التشريفات من الدار لتسبب وتحبك وتوزع الاعمال بين الاماء وتلاحظ الاولاد وتدير

شؤون البيت . وليست المرأة الرومانية كالرأة اليونانية بعيدة عن الرجال بل لتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر امام الناس في الحفلات وفي دور التمثيل وامام المحكمة . الا انها في العادة تكون جاهلة بامية وذلك لان الرومانيين لا يهتمون بتعليم بناتهم . واهم صفة يعتبرونها في المرأة ان تكون زاهدة ناذا ماتت يكتبون على قبرها اشارة الى مدحها : « انها التزمت ببيتها ولم تخرج منه وغزوات الصوف » الاولاد - الولد الروماني لايه ثقبانة ملائكة له والوالد الحق في ان يعرضه في الشارع فاذا اخذه يريه في بيته اولاً والبنات يبقين في البيت يرثن يتزوجن وهن يخرجن ويحكن تحت ملاحظة لحيتهن والبنون يعملون في الحقول مع آبائهم ويترنون على استعمال السلاح ليس الرومان شعباً مفتناً في الصناعات ونانية امانتهم ان يعرفوا صناعاتهم القراءه والكتابة والحساب وهم لا يطلبون على ذلك مزيداً فلا يعملونه الموسيقى ولا الشعر ويأقتونهم القناعة والحيث والحسنة في ما يتيه والطاعة في منازعهم .

ابو العائلة - ان من يطلق عليه اسم سيد انييت يدعو الرومان بالاميرة . فابو الاسيرة مالك للمالكة وكهن في عبادة الاجداد وسلطان الاسيرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له ان يطلق زوجته ويطرد ابنائه وان يبيعهم ويزوجهم بدون ان يأخذ رخصه . ويحق له ان يستأجر ما يملكونه نفسه بل وكل ما يملكه اليه زوجته وكل ما يملكه اولاده . اذ لا يزوج المرأة ولا اولادها ان يملكو شيئاً وبالجملة فيبيده حينئذ ويحتبه اي انه قاضيه الوحيد . ان ارتكبوا جريمة قرب الاسيرة يحكم عليهم بالهلاك .

اسد مجلس الشيوخ (١١٨٦) الروماني امره ذات يوم باعدام جميع من اشتركوا في الاحتفال بعبادة باخوس فنفذ الحكم على الرجال . اما النساء اللاتي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فبعد المجلس اتى آباء الاسرات في اسرهن وهم الذين اعدوا نساءهم وبناتهم . كان الشيخ يقول « ان الزوج قاضي امرأته له ان يهمل بها ما يشاء فاذا ارتكبت غلطاً يعاقبها واذا تناولت نحرأ يحكم عليها بالاعدام واذا خانت يقتلها » ولما كان كاتالينا يكيد المكابذ لمجلس الشيوخ لاحظ احد من ابنه اشترك في المكيدة فاقفه وحاكمه فحكم عليه بالموت . وتدوم سلطة ابي الاسرة بدوام حياته والابن لا يخلص من عبوديته له حتى انه اذا اصبح قسلاً يظل خاضعاً لسلطة ابيه . ومضى مات الاب يصحب الاولاد اصحاب بيوت اما امراته فلا تكون حرة اصلاً بل تكون تحت سيطرة وريث زوجها بل تخضع لابنها نفسه التملك - كانت الثروة في القرون الاولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصاً واللفظ الذي دل على الدراهم معناه قطع ويسمى المالك رب الاسرة . ومن المحتمل

ان الارض لم تكن تشتغل بالارث لان لفظة ارث عندهم تدل على ارض مساحتها فدائنان وهو المكان الذي يكنى لانشاء بيت وحديقة . ولم يلبث الرومانيون ان قبلوا عادة اعتبار المالك لحقل صاحب له وعندئذ وضع حق التملك للأشياء والعبيد والاراضي والبيوت وكانوا يعرفونه بأنه حق الانتفاع والتخريب ( الاستعمال وسوء الاستعمال )

ثم صار هذا الحق ان يتناول كل شيء من الحاجات والاثاث والدرام والعقود والديون وحقوق الاستئجار . ويجب على من اراد ان يملك شيئاً ان يملكه على الصورة التي عرفت العادة . واليك مثلاً كيف تجري صفقة المبيع : يضع البائع امام خمسة من الوضعيين يتوبون عن جميع ومعهم مئتين الميزان يديه قطعة من النحاس في هذا الميزان : ثمن المبيع . فاذا كان هذا حيواناً او عبداً يمسكه البائع بيده ويقول : هذا لي تبوؤ حسب القانون الروماني ابتعته بهذا النحاس الموزون وزناً حسناً .

ثم ابتدعوا طرقاً اسهل لنقل الملك من يد الى يد فصاروا يكتفون بدفع المبيع اذ المبتاع . وهذه الطرق لا تملك تملكاً رسمياً بل يكون التفتي للملك متمتعاً به ولكن هذا التمتع يحول نفسه الحقوق كما لو كان ملكاً رسمياً له .

ولصاحب الملك الحق في ان يعطي املاكه بعده لمن يشاء واذا لم يوص بشيء من هذا القبول يقتسم اولاده ثروته واذا اراد ان ينير نظام الوراثة يكتب وصيته . وكان يجري ذلك بمجلس امام مجلس الامة زمناً طويلاً ثم اصطلحوا على صورة متكلفة في البيع كأن يبيع المالك ماله لمن يريد ان يحمله ورثته له وانتهت الحال بان اصبحوا يكتبون بوصية مسطورة وكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الاولى ان يوصي لمن يشاء وان لا يترك شيئاً لاولاده ثم اكراه القضاة آباء الاسر بالتدريج على ان يوصوا لكل واحد من اولادهم بقسم من ثروتهم فاخذ ينال كل ولد نصيباً من الارث .

الروح الوسايا الاثنى عشرة = لم يكن عند الرومان في مبداء امرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة بل كانوا يحضرون على عادات الاجداد اي ان كل جيل يجري في كل شأن من شؤونه كما جرى الجيل السالف . وقد سن حوالي سنة ٤٥٠ عشرة حكام متقنين شرائع كتبوا في اثنتي عشرة لوحة من الحجر : وكانت هذه الشريعة الاثني عشرة لوحة أنشئت احكاماً موزجة شديدة قطعياً وما هي الا نقنين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له : فموجب هذه الشريعة يعاقب الساحر اذا تلا كلمات سحرية ومر على حقله بغلة جاره . واليك حكم هذا القانون في المدين الذي لم يؤد ما عليه من دين : « اذا لم يدفع ارضه الى القبض واذا طافه المرض او السن عن الحضور يركب حصاناً او



محفة ويمهل ثلاثين يوماً فإذا لم يوفد ما عليه يربطه الدائن بسور أو سلاسل وزنها ١٥ ليرة وبعد ستين يوماً يبيعه فيما وراء نهر التيبر والدائنين إذا تعددوا أن يقطعوا المدين أرباباً ولا عين إذا قطعوا منه قليلاً أو كثيراً قال شيشرون كانت شرعية الاثنتي عشرة لوحة منبع الثنتين الروماني بأسره وكان الاولاد في المدارس يستظهرونها بعد اربعة قرون من وضعها .

الاسارات في الدعاوي — لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الاشخاص في مسائل البيع والشراء والارث فلا يكفي لاجل اخذ حكم المحكمة الرومانية ان يعرض الانسان قضية بل يجب عليه ان يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض اشارات تقضي بها العادة وكل قضية تقام امام المحكمة بحري تمثيلها بالاشارات . فالمطالبة بشيء يسكه المدعي بيده وللاحتجاج على جار رفع حائطه على جاره يرمون بحجر على هذا الحائط . وهاك مايجري اذا اختلف اثنان في ملكية حقل . يأخذ الخصمان بايديهما كاتهما يريدان ان يتضاربا ثم يفترقان ويقول كل منهما : « اصرح بان هذا الحقل لي بموجب حقوق الرومانيين فانا ادعوك باسم محكمة القاضي الى مكان الحقل ليفصل فيه بيننا » فيأمرها القاضي ان يذهب الى الحقل قائلاً لها : اذهبا فهذا طريقكما امام الشهود الحاضرين . فيخطو الخصمان بضع خطوات كاتهما ذهابا وفي ذلك رمز الى ذهابهما . فيقول لها احد الشهود : ارجعا . وبذلك اشارة الى انهما ذهابا الى الحقل فيقدم كل من الخصمين مدرة من التراب وهي اشارة لتفصل . وهكذا تبدأ الدعوى وعندئذ يستمع القاضي للمختصمين . والرومانيون كسائر الشعوب القديمة لا يحسنون فهم غير ما يقع تحت انظارهم فبالاديات يتمثلون الحق الذي لا يرى .

ولتد كان الرومان يحترمون هذه الاشكال القديمة من الاحكام من وراء الغاية فكانوا في القضاء كما في الدين يطعون نص القانون دون ان يهتموا بالبحث عن معناه وعندما ان كل دستور مقدس تجب المبالغة في تنفيذه ومن الحكم الجارية في قضاياهم ان كل مايقوه به اللسان يكون حقاً . فاذا غلط صاحب الدعوى في ايراد مدعاه ينحصر قضيته واذا اتهم رجل قضيته على جاره لانه قطع له كرمه يجب ان تكون الصورة التي يوردها امام المحكمة حاوية لكلمة « شجرة » فاذا استماض عنها بكلمة « كرم » لا يحكم له .

واحترام هذه المراسم على اطلاقها فجع للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في أمور كثيرة فالشرعية تقول ان الاب اذا اباع ابنه ثلاث مرات يمرر الولد من سلطة أبيه ومتى اراد روماني تحرير ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية وهذا العمل المضحك في يعمه يكفي لتقريده .

وكانت الشريعة تنفي قبل البداءة بحرب ان يرسل مناد يتادي بها على تخوم العدو . ولما أرادت رومية اعلان الحرب على ييروس ملك ابير الذي كانت مملكته في عبرالادرياتيكا رأّت الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات ان يتنازع احد رعايا ييروس . وربما كان من الآبقين من الجندية حقلاً من رومية فاوموا بان هذا الحقل اصبح ارضاً من بلاد ابير وراح المنادي يلقي فيها حربة ويدعو فيها للحرب علناً . وكان الرومانيون مثل جميع الامم القتيبة يعتقدون باطلاً ان للراسم المقدسة فضيلة سحرية

الفقه — كانت شريعة الاثني عشرة لوحة والشرائع التي وضعت بعد موجزة ناقصة فكانت تعرض مسائل كثيرة لاحل لها في قانون من القوانين الموضوعة . ففي مثل هذه الاحوال الصعبة كانت العادة متبعة ان يمدد الى الاخذ برأي بعض اشخاص اشتهروا بمعرفتهم في مسائل الحقوق . وكانوا من اهل الاعتبار ومنهم فاضل قدماء او اجبار فيكتبون آراءهم كتابة وتسمى فتاويهم اجوبة العقلاء . ومن العادة ان يكون لهذه الاجوبة شأن وقمة لان اصحابها الحكماء على جانب من الاعتبار والحمة . وقد زاد الامبراطور اغسطس بان عين بعض هؤلاء الحكماء وقرر ان تكون اجوبتهم قانوناً يعمل به . وعلى هذا صار الحقوق علماً وعلاء الحقوق او الفقهاء المشرعون يضمنون القواعد الجديدة التي أصبحت سارية نشأ بذلك علم الفقه

أمر القاضي — دعت الحال في رومية الى نصب حاكم اعلى لينفذ قواعد الحقوق المقدسة والقتصل أو القاضي فقط ان يدير شؤون محكمة او يحقق الحقوق . واذ كان التناصل بمنون بقيادة الجيوش فهم يهتدون في المادة بالنظر في الحقوق الى انقضاء . وكان في رومية قاضيان حاكمان على الاقل يفصل احدهما في المسائل التي تحدث بين الوطنيين ويسمى قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوي التي تنشأ بين الوطنيين والاجانب ويسمى قاضي الاجانب وهناك محكمتان لان الغريب لا يجازى امام محكمة الوطنيين .

وهذان القاضيان بالنظر لما لها من السلطة المطلقة يفصلان القضايا على ما يترأى لها . بل ان قاضي الاجانب لم يكن مقيداً بقانون لان الشرائع الرومانية لم توضع الا للوطنيين الرومانيين . ولما كان كل قاض يتولى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عند دخوله أمراً يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الاحكام ويسمون هذا الامرام القاضي . وبعد سنة عند ما تنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيبقى خلفه ان يسن قانوناً مخالفاً لقانون سلفه جملة واحدة ولكن جرت العادة ان يحتفظ كل قاض بما سدر عن اسلافه من الاوامر فيدخل فيها بعض التبدلات ويضيف اليها بعض زيادات . وهكذا تجمعت أوامره

قروناً . ثم أثناء الامبراطور حاردين في القرن الثاني « براءة القاضي » وجعلها قانوناً  
سرعي الاجراء .

واذ كان هناك محكمةان منفصلتان احدهما عن الأخرى وضعت قاعدتان متباينتان  
وقانونان مختلفان فتأثمت من القواعد المتبعة التي يجري عليها قاضي المدينة في مسائل المواطنين  
الحقوق المدنية أي حقوق المدينة ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الاجانب لتألف  
حقوق الناس اي الشعوب ( الغريبة عن رومية ) فادرك القوم اذ ذاك ان عدل هذه  
القواعد في الحقوق وابطسها واعقلها وبالأجمال افضلها الحقوق الاجنبية وإن حقوق المواطنين  
المأخوذة ضمن قوانينهم محصورة عن قدماء الرومان كان فيها خشونة وقواعد بربرية . اما  
حقوق الناس الاجانب فكانت تساهل على العكس عادات التجار وعادات أناس من بلاد  
مختلفة زلوا رومية وهي تساهل من كل شائبة ووم وطفي أخذت بمرور الايام واقرها  
الاختبار قروناً كثيرة . ورأى القوم كيف كانت الحقوق القديمة تخلفه للمقتل . فقد جاء  
في بعض الامثال الرومانية « ان الحق الذميع هو الذي نفذه سلطة عليا ظالمة » وعلى هذا  
أنشأ قضاة المواطنين يمحسون القانون القديم ويتمكنون بالحكم العدل حتى بلنوا بالتدريج  
ان ينفذوا في الوصيين قس القواعد التي كان قاضي الاجانب يجري عليها في محكمته .  
مثال ذلك ان القانون الروماني يقضي ان يرث الاقارب من الذكور فقط الا ان  
القاضي دعا الاقارب من النساء ان يشتركن في الارث . ويقضي القانون القديم بان  
لا يكون المرء صاحب ملك الا اذا قام بالاخفال في المبيع فاعترف القاضي بانه يكتفي بالمبيع  
ان ينقد البائع ثمن ما ابتاعه وان يضع يده على الملك حتى يعد ما كفاً - وانت ترى ان  
حقوق الاجانب تقلبت على الحقوق المدنية وأبطلتها

القانون المسطر = أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الامبراطرة خاصة فاصدر  
الامبراطرة الانطونيون كثيراً من الاوامر والوائح وكانت هذه رسائل تصدر عن الامبراطور  
جواباً عن الموظفين الذين يستظلمون طلع آرائهم فيساعد على القيام بهذا الاملاح القضائي  
اناس من المشركين عديم وظل بعض المشركين في أوائل القرن الثالث زمن من حسن  
سيرتهم اوساس من الامبراطرة يضعون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ما وجدوه  
منها قديماً . ومن أشهرهم بابتيين واوليين ومودستين وبولس فان تأليفهم هي التي كانت أساساً  
لحقوق الرومانية بعد

وهذه الحقوق التي نقلت في القرن الثالث لاشبهه بينها وبين الحقوق الرومانية القديمة  
يحال من الاحوال اذ القديمة لم تكن ترمح الضعفاء فاتيس المشركون افكار فلاسفة اليونان

ولا سيما الرواقين منهم وذهبوا الى ان الحرية حق طبيعي لكل من يولد حراً أي ان العبودية مخالفة للطبيعة ولذلك رأوا انه يحق للعبد ان يطلب انصافه حتى من سيده وان هذا اذا قتل عبده يجب ان يعاقب عقاب القاتل وكذلك حموا الولد من ظلم ابيه وهذا القانون الجديد هو الذي سمّوه بمد بالقانون المسطور وهو الحقيقة في قانون جبرانيه مع الفلسفة على نحو ما يأمربه العقل الناس كافة ولذا لم يبق فيه اثر للقانون الجائر المعروف بقانون الاثني عشرة لوحة . فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الامبراطورية بأسرها زماناً طويلاً ذاك القانون الذي لم يبرح بعضه داخلًا في قوانين تابل هو قانون قدماء الرومان . وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسخ فيه على مثال الحكم الماثورة من حكماء اليونان ثم مزج كل ذلك مزيجاً واحداً وكتبه اناش من الحكماء والقضاة الرومانيين فروعاً طويلة

### النصرانية

تعلم المسيح (عليه السلام) = كان الامرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكاً لهم ومخلصاً فظهر عيسى في الناصرة في ولاية صفراء، من الشمال اسمها الجليل لا تكاد تعرف بانها يهودية . ولد من امرة وضعة تحترف بالنجارة . فسماه اتباعه من الروم المسيح اي الممسوح بمنون الملك الممسوح بالزيت المقدس كما دعي السيد والرب والمخلص . كنا نعرف الديانة المسيحية . فيكني اذاً ان نبين ماهي التعاليم الجديدة التي نشرتها في العالم . فقد اوصى المسيح اولاً بلحبة فقال « انك تحب الرب الهك من كل جوارحك وفكرك وتسحب قريبك كما تحب نفسك فاجمع الشريعة وتعاليم الانبياء داخله في هاتين الوصيتين »

فمن الواجب محبة الغير واسماهم ومتى قضى الله بين عباداه يحمل على يمينه من اطعموا الجياع وسقوا العطاش وكسو العراة . ويقول المسيح لمن يريد اتباعه اولاً : « اذهب فبع مالك وادفعه للفقراء ولقد كان القدماء يعتبرون الشريف والنفى والشجاع هو الرجل الصالح الا ان هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فاصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره . فعمل الخير هو محبة الغير والسعي في تقمّم . والاحسان ( وهو باللاتينية مرادف لمحبة ) اساس التقوى . وغدت لفظة محب مرادفة للفظه محسن . وضع المسيح تعليمه في الاحسان بدلاً من التعليم الامرائيلي القديم في الانتقام فقال « عرفتم بانه قيل العين بالعين والسن بالسن اما الان فاقول لكم اذا ضربكم احد على خدكم الايمن فقدموا له الايسر . وقيل احبوا قريبكم وابعضوا عدوكم اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم واضعوا الخبز مع من يفضونكم وباركوا لمن يضطهدونكم لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي ينزل المطر على المادلين والظالمين

حتى ان المسيح وهو على الصليب استغفر لجلاده فقال « اعف عنهم يا رب فانهم لا يعرفون ما هم فاعلون » .

احب المسيح الناس قاطبة . ومات لا من اجل شعب واحد بل من اجل الانسانية كلها . وما قط ميز بين الاثنيان فكلهم سواء امام الله . ولقد كانت الاديان القديمة حتى دين اسرائيل دين شعب يحفظ به ويكتمه بمثابة احتفاظه بكثر ثمين دون ان تحده نفسه في تبليغه شعباً آخر فقل المسيح لتلاميذه اذهبوا اذاً وعلوا جميع الامم .

وبعد ذلك قام بولس احد الحوار بين وقرر تعليم المساواة النصرانية بقوله : « لم يبق اولون ولا آخرون كما لم يبق روم ولا يهود ولا مطهرون ولا قلفسولا برابرة ولا عبيد ولا احرار فقد اصبح المسيح هو الكل في الكل » .

كان القدماء يذهبون الى ان الثروة تعلي شأن الانسان و ينظرون الى ان الكبر عاطفة شريرة فقال المسيح : « طوبى لفقراء فان لهم ملكوت السموات » « من لم يتنازل عما يملكه لا يكون تلميذاً لي » حتى انه هو ايضاً كان ينتقل من مدينة الى مدينة ولا سبد له ولا لبد وعند ما كان تلاميذه يهتمون للمستقبل كان يقول لهم : « لا تعلقوا لما تأكلون ولا تلبسون والتقوا بانظاركم الى الطيور في السماء فهي لا تزوج ولا تحصد ومع هذا فان اباككم السماوي متكفل بوزنكم »

فعلى المسيحي ان يحترق الثروة وان يشتد في الازدراء بالعظمة . كان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فيمن يكون له المقام الاول في السماء فقال : « ان اعظمكم هو الذي يخدم غيره لان من يرتفع يسقط ومن يسقط يرتفع » وما زال البابا الى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعي بخادم خدمة المولى . كان المسيح يؤثر ان يجتذب اليه الساكنين والمرضى والنساء والاولاد بل والضعاف والمحرورين واختار حواريه من عامة الناس وكان يكرر على مسامعهم « تعلقوا وألنوا قلوبكم »

ملكوت الله — كان المسيح يقول انه جاء الى الارض ليؤسس ملكوت الله . فظن اعداؤه انه طامع في ملك وعند ما صلب كتبت على صليبه هذه العبارة : « يسوع الناصرة ملك اليهود » وهذا كان خلاف ما يقصده . فقد صرح المسيح نفسه بان ملكوتي ليس في هذا الارض . فلم يجيء ليقلب الحكومات ولا ليصلح المجتمع واجاب من سألته فيما اذا كان يجب اداه الجزية للرومانيين بقوله : « ادفع ما اتعصر لقيصر وأد ما لله لله » ولذا رضي المسيح بما رآه موجوداً وعمل على تهذيب نفسه وتكليفها لا على اصلاح المجتمع

ولاجل ان يغوز المسيحي بمرضاة الله ويكون اهلاً لبوغي ملكوته لا يقتضي له ان يقدم

النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة كما فعل القريسيون اليهود أو عبدة الارباب القديمة « فان المتعبدن الحقيقيين يعبدون اباهم بالفكر وبالحقيقة » وكلمة المسيح هي جماع آدابهم وهي : « كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السموات فانه كامل »  
الحواريون — عهد الى الاثني عشر حوارياً الذين كانوا ملتفتين حول المسيح ان يبشروا بتمامه في الامم بامرهما . فدعوا بالحواريين ( المرسلين ) سكن معظمهم القدس ودعوا الى دينهم في ارض اليهودية . وكان المنتصرة الاول من الاسرائيليين .

وكان شاول اول من دان بالنصرانية وخف يحمل تعاليم هذا الدين الي امم الشرق فقضى بولس ( هو الاسم الذي اتخذ ) حياته يطوف المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومكدونية داعياً الى الدين الجديد لا الاسرائيليين فقط بل ابناء الامم الاخرى قائلاً كنتم فيما سبق بدون المسيح وبمدين عن المحالفات والوعود وها قد التأم بكم بدم المسيح لانه هو لا يميز بين الشعبين وينظر اليهما كأنهما شعب واحد . ولم يعد من حاجة ان يكون المرء اسرائيلياً حتى يتحمل النصرانية فان الامم الاخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقاربت فيما بينها بفضل شريعة المسيح . وهذا الامتزاج هو بصنع القديس بولس ولنا سعي رسول الامم .

كان المتخولون للنصرانية باديء بدء من يونان آسيا الصغرى ثم نصر كثيرون في جميع المدن الكبرى واتى زمن طويل والطائفة المسيحية في رومية ايضاً مؤلفة من ابناء يونان . فانتشر دين المسيح اولاً يبطء على فهو مباشر بذلك المسيح بقوله : « يشبه منكوت الله حبة من الخردل فهي اصغر الحبوب ومع هذا بنبت منها نبات اطول من جميع البقول فتؤوي طيور السماء الى ظلها » .

الكنيسة الاصلية — كان المسيحيون في جميع البلاد التي نزولوا يجتمعون للصلاة جماعة وانشاد امداح المولى وللاحتفال بالشاء السري وهي اكلة يتناولونها بالاشتراك تذكر الآخرة اكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة ( المجلس )

ومن العادة ان يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضاً معاملة الاخوة ويأتون بالطعابا لينفقوها على الارامل والفقراء والمرضى . واكثر رجالهم احتراماً بينهم الرهبان ومعنى ذلك التقدم يدبرون شؤون الطائفة و يقومون بالبروخ الدينية . ويتولى آخرون النظر في املاك الطائفة وكانوا يدعون الشمامسة ( الملاحظون ) ثم كثرت احوال الكنيسة حتى انقسم سواد المسيحيين الى فرقتين احدهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة ومموم رجال الكهنوت ( اي خدمة الرب ) والياقونهم جمهور المؤمنين سموم العامة (المالائين)

لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة انطاكية وكنيسة كورنث وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة وهي كنيسة المسيح حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بايمان واحد . فالاختلاف العام او الكاثوليكي كان هو المول عليه دون سواه اما الاراء الخاصة (المهرقات والاختلاف) فكان يحكم عليها بانها اوهام وانغلاق .

وفي الكتاب المقدس عند اليهود اي العهد القديم مقدساً عند المسيحيين وصار لهؤلاء كتب اخرى جمعتها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد . فالانجيل الاربعة نصوص حياة المسيح والبشارة بما حمله من السلام . واعمال المرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارة في العالم . ورسائل الرسل هي رسائل ارسلها الحواريون الى مسيحيي العهد الاول والابوكاليبسيس (رويا القديس يوحنا الانجيلي او الجليلان) هو الواحه القديس يوحنا الى السبع كنائس في آسيا . كتبت جميع كتابات العهد الجديد باليونانية وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين الى اواخر القرن الثاني وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا انها مقدمة فرفضتها الكنيسة كلها وسموها المزورة

الاضطهادات — اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها فكان اليهود اعداءها الاول اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم الى صلب المسيح ورجعوا القديس اتيان (الشهيد الاول) واشتدوا في طلب القديس بولس وكانوا يقتلونه ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فان هؤلاء كانوا ينساحون مع جميع اديان الشرق لان عبدة اوزيريس وميترا والربة الصالحة كانوا يمتدحون بالاديان الرومانية مع اربابهم الا ان المسيحيين عبدة الله الحي كانوا يزدرون بالمعبودات الصغيرة القديمة بل ان الجريمة الكبرى التي تعد على المسيحيين في نظر الرومانيين انهم كانوا يابون عبادة الامبراطور كما يبد رب وان يحرقوا انجور على مذبح ربة رومية

وقد اصدر كثير من الامبراطرة اوامراً الى ولايتهم بأمر ونهيم بالقبض على المسيحيين واعدامهم . وقد كتب بلين وكان والياً في آسيا الى الامبراطور تراجان كتاباً يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيين قال : «جريت الآن مع من اتهموا بانهم نصاري على الطريقة الآتية وهو اني أسألم عما اذا كانوا مسيحيين فاذا اقرروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً ايام بالقتل فان أصرروا أنفذ عقوبة الاعدام عليهم مقتنعاً بان عظلمهم الذي يستوفون به مما كانت فظاعته وان عنادم الشديد وعظم طاعتهم يستحقان العقوبة .

وقد وجهت الشكوى الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها فانكروا بانهم نصاري وكبرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءها امامهم وقدموا الخمر والبخور لثقتال

اتيت به عمداً مع غائل الارباب بل انهم شتموا المسيح . ويقال ان من الصعب اكراه النصارى الحقيقيين . ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ولكنهم كانوا يشتون بان جريمتهم وخطأهم محصوران في انهم اجتمعوا بعض ايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه رب . وعلى انشاد الاناشيد اكراماً له وتعاهدوا بينهم قسمين الايمانات لئلا ارتكاب جريمة بل على ان لا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يزناؤا ويوفوا بعهودهم . ورأيت من الضرورة للوقوف على الحقيقة ان أعذب امرأتين أميتين دعوها خادمتي الكنيسة يد ابي لم اقف على شيء اللهم الا ما كان من خرافة مخيفة مبالغ فيها »

وعلى هذا فقد كانت الحكومة في المضطربة (١) الا ان العامة في المدن انكبرى تنابوا أكثر اضطهاداً للمسيحيين فلم يكونوا يسامحون مع هؤلاء الذين يعبدون الهما آخر غير ابايهم ويحتقر هذه الارباب ويرون ان انكار المسيحيين لا يعبد الرومان يجلب على العالم غضب هذه الارباب . وكنت سمع القوم اذا وقع قطع ومجاعة ووباء يهتفون هتافهم الذي اشتهر امره «النصارى للاسود» والشعب يكره الحكام على البحث عن المسيحيين ومطاردتهم .

الشهادة — هلك الوف من المسيحيين في خلال قرنين ونصف نالهم فيها الاضطهاد في طول المملكة الرومانية وعرضها وكان الهالكون من كل سن وجنس وطبقة . فالوصيون الرومانيون تضرب اعناقهم كما جرى للقدس بولس والباقيون يصلبون ويحرقون وكثيراً ما يلقون للوحوش الكاسرة نهشهم . واذا ابقوا عليهم يبعثون بهم الى الاعمال الشاقة في المناجم وكثيراً ما كانوا يبالغون في عقاب النصارى بايحاء وسائل لاهلاكهم من كل نوع . ففي المقتلة العظمى التي وقعت في ليون سنة ١٧٧ اخذ المسيحيون بعد ان عذبوا ومجنوا في مطبق ضيق الى الملعب فاخذت الحيوانات الكاسرة تمزق اوصالهم ولا تقتلهم ثم اجلسهم على كراسي من حديد محما بالنار . واذا قاومت فتاة من الإماء اسمها بلاندين انت تمذب على هذه الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها امام ثور غضبان .

وكان المسيحيون يلقون بسرور هذا التعذيب الذي يقع لهم ابواب السموات ويرون فيه وسيلة الى الاستشهاد علناً في حب المسيح ولذلك كانوا يسمون انفسهم بالشهداء (اي الشهود) لا بالمتكبرين وعقوبتهم شهادة . بل انهم كانوا ينظرون الى تعذيبهم نظراً الى قتال الالامب الاولية ويرون انهم كالصارع الظافر يالون الفخار والتاج . وما يرحوا حتى اليوم يحتفلون بعيد الشهداء وايادهم مواقفة للايام التي قتلوا فيها . كثيراً ما كان احد من

(١) تقول الكنيسة ان المسيحيين اضطهدوا مرات الاولى على عهد نيرون (٦٤) والثانية

على عهد ديوكسين (٣٠٣)



يحضرون تعذيب اخذ الشهداء يكتب قصته وكيفية توقيفه واستنطاقه وتضديه وعقوبه وهذه الكتابات على اختصارها طائفة بالعبارة وكانت تسمى اعال الشهداء وتنتشر حتى بين الطوائف البعيدة من اقصى المملكة الى اقصاعا وما هي الا مرددة للجد الذي احرزه المعروفون بالايمان الصحيح وداعية الى الترغيب في الجري على مثاله

ولقد حدا حب الشهادة بالوف من المسيحيين ان يعلتوا امرهم بانفسهم ويطالبوا بالحكم عليهم واراخذ حكام آسيادات يوم بالقاء القبض على بعض المسيحيين فجاء جميع متنصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين اليها محاكمتهم . فاستشاط الوالي غضباً فقتل بعضهم وطرد الآخرين قائلاً : « ارجعوا اليها الاسافل ان كنتم تحمسون كثيراً على الموت فهل عندكم قيور نسمعكم وحبال ثقيدكم » وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد ويقبلون فيها اصنام الارباب ليكونوا على ثقة من انهم يشقون حتى قصت الحال ان تمتع الكنيسة مرات تعرض النصارى ليل الشهادة

الدياميس — كان المسيحيون يشكرون العادة القديمة في احراق الموتى فاخذوا يدفنون موتاهم كالقيود في نواويس بعد ان يكفونهم في اكفان فاحتاجوا الى قيور . واذ كانت الارض غالية الثمن جداً نزل المسيحيون الى تحت الارض وحفروا في الارض الرخوة التي كانت رومية قائمة عليها دهاليز طويلة وغرفاً ارضية وهناك كان المسيحيون في مقاصير احترفوها على طول الحواجز يدفنون موتاهم واذا خذ كل جيل يحفر لنفسه دهاليز جديدة صارت تحت الارض مع الزمن مدينة ارضية سموها الدياميس . ومثل هذه الدياميس كان في نابولي وميلان والاسكندرية الا ان اشهرها دياميس رومية . وقد فحمت في ايماننا فرأوا فيها الوقا من القبور والكتابات النصرانية وباكتشاف هذا العالم المدفون تحت الارض نشأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية وهو علم الكتابات والآثار النصرانية . وقد شهد ان قاعات المدافن في الدياميس منقوشة برسوم بسيطة وضوء ولكنها تمثل مشاهد واحدة الاقليات وهي اما ان تصور المؤمنين من المسيحيين في الصلاة او الراعي الصالح وهو رمز للمسيح . وكانت بعض هذه القاعات اشبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القديسين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا في ان يدفنوا في جوارهم وكانوا يأتون كل سنة لتناول الاسرار . وكثيراً ما اتجأ المسيحيون في رومية خلال اضطهادات القرن الثالث الى هذه الكتابات الارضية لقيام بصلاتهم او لفرار من الطلب عليهم .

### قسطنطين

تقلب النصرانية :— مضى القرنان الاولان لليلاد والمسيحيون ضفاف الشأف في

الامبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوق والعملة والبيد المعتقن والبيد من يضعون في غار الناس بالمدن الكبرى وقد مضى زمن والطبقة العالية تنكر وجودهم حتى ان سويتون في القرن الثاني لما تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح قال انه رجل انتمه كريسوس يلقي الاضطراب بين سكان رومية . ولما اخذ الاغنياء والادباء يعنون بامر الدين الجديد لم يكن ذلك منهم الا ليهزوا به ولا يذكرونه الا انه دين فقراء وجهلة . واذا جاءت النصرانية لمساكين هذا العالم بان وعدتهم الجزاء عن هذه الحياة في الآخرة كثر اشياعها والقائلون بالدين بها ولم يجل الاضطهادات دون انتشارها بل قوتها وبشت كبتها فقد كان المسيحيون يقولون ان دم الشهداء بذر للمسيحيين ولقد ظل الاهتداء الى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث كله بين رجال الاسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط وما جاءت اوائل القرن الرابع الا وقد اصبح الشرق كله ارض البلاد التي تحكم باللغة اليونانية مسيحياً باسمه وكانت هيلانة ام الامبراطور قسطنطين مسيحية فجعلتها الكنيسة في مصاف القديسات ولما زحف هذا الامبراطور على مزاحمه ملك رومية وضع على علمه شارة الصليب وشعار المسيح وكانت الغلبة التي كتبت له غلبة للنصرانية فسمح للنصارى ان يقوموا بشعائر دينهم دون ان يعارضهم احد ( بامره الصادر سنة ٣١٣ ) ثم اخذ يعطف عليهم جهاراً . ومع هذا لم يفل عن الدين القديم ( الوثنية ) . فيينا كنت تراه برأس مجلس اساقفة المسيحيين الاعلى كان يلقب بلقب الحبر الاعظم ويحمل على خوذته مساراً من الصليب الحقيقي وتقوده منقوش عليها صورة رب الشمس . وقد انشأ في مدينة القسطنطينية كنيسة نصرانية كما انشأ معبداً تذكراً لهذه الغلبة . ومضى نصف قرن كان فيه من الصعب معرفة دين المملكة الرسمي في الامبراطورية .

• ننظم الكنيسة — لم يخطر في بال المسيحيين حتى في الازمان التي تالم فيها الاضطهاد ان يقلبوا كيان الامبراطورية ومنذ بطل اضطهادهم اصبح اساقفتهم حلفاء الامبراطور وعندما انتقلت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها الى يومنا هذا . فصار لكل مدينة اسقف يقيم في الحاضرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الارض الخاضعة لاسقف ابرشية . وكان في اقطار الامبراطورية الرومانية ابرشيات واساقفة على قدر ما فيها من مدن وهذا هو السبب الذي من اجله كان الاساقفة كثيرين والابرشيات صغيرة في الشرق وفي ايطاليا حيث كثر عدد المدن . وعلى العكس في مدن غالبا فانه لم يكن بين الرين والبيرنيه سوى ١٢٠ ابرشية ومعظمها ما عدا ابرشيات الجنوب في الجسامة كولاية .

اصبحت كل ولاية مقاطعة كثنائية وسمي اسقف العاصمة واسقف المركز بعد رئيس الاساقفة . وكثيراً ما ينظر الى اسقف اعظم مدينة في بقعة بأنه ارق الاساقفة في تلك الاراء وكان اساقفة المدن الرئيسية بالشرق في القدس وانطاكية والاسكندرية والاستانة يدعون بالبطاركة وفوقهم كلهم البابا اسقف رومية وهو الرئيس الاعظم في الكنيسة . وفي هذا القرن انشئت المجامع الدينية الكبرى فكان في آسيا الصغرى اولاً مجامع خاصة يجتمع فيها اساقفة ناحية من النواحي وكهننتها . وفي سنة ٣٢٤ دعا قسطنطين للمرة الاولى مجمعاً دينياً عاماً من اهل الارض الى مدينة نيقية في آسيا الصغرى لحضره ٣١٨ رجلاً من رجال الكنيسة فتناشوا في المسائل اللاهوتية وانشأوا الاعتراف بايمان الكاثوليك الذي سموه قانون نيقية وما زال المسيحيون ينشدونه الى اليوم في قداس كل احد . ثم كتب الامبراطور الى عامة الكنائس ان تمتثل ارادة المولى التي تجلت فيها اجمع عليه المجمع العام وكان هذا هو المجمع المسكوني الاول . واصبحت القرارات التي تقرها المجامع شرعية يجب على المسيحيين قاطبة ان يملأوا بها وسموها القوانين او القواعد . ويتألف من مجموع هذه القواعد القوانين الكئناسية .

الملاحدة ( المراطقة ) — نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يخالفون في آرائهم السواد الاعظم من ابناء الكنيسة . وكثيراً ما اجتمع الاساقفة في بلد ليمدوا للؤمنين بان المذهب الجديد باطل ويكرهوا مبتدعه على الرجوع عنه واذا ابى يخرجونه من الوحدة المسيحية . وقد يتجشش صاحب البدعة اعواناً يقتنعون بصحة دعوته فلا يروون الرجوع عما واقفوه عليه ويظلون يدينون بماحكم المجمع برده من الآراء . ومن هنا نشأت العداوات والفتن الشديدة بينهم وبين الميحيين المتعلقين برأي الكنيسة ( الارثوذكس ) واذا كان المسيحيون ضعافاً ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم الا بالكلام والكتابة ولكن لما اصبحت البلاد مسيحية كلها استحال النزاع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الآراء الى اضطهاد الملاحدة وكثيراً ما تنشب منه حروب اهلية .

وتكاد تنشأ جميع البدع في ذاك العهد بين يونان وآسيا ومصر على يد اناس من الازكياء والفسطاطيين والمجادلين وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم اسرار التثليث والتجسد . وكانت بدعة آريوس اقوى جميع البدع فمن مذهبه ان الله الاب خلق المسيح وليس هو مثله فحكم المجمع النيقية بتجديمه ولكن مذهبه انتشر في بلاد الشرق عامة . ومذ ذاك العهد ظل الكاثوليك والا ريوميون يتنازعون بينهم ايهم يستأثر بالسلطة في الكنيسة والحزب الاقوى يزل ويبنى ويحبس واحياناً يذبح زعماء الحزب المخالف . ومضى زمن

والقوة للآريوسيين وقد تحزب لقولم عدة من الامبراطرة ثم ان الآريوسية كانت تقوى  
بكثرة دخول البرابرة في الامبراطورية وتغلغلم بهذا المذهب ومعاضدتهم لاساقنته .  
فقضى الكاثوليك زهاء مائتي سنة حتى قضوا على هذا المذهب المتبدع .

### اواخر ايام الامبراطورية

لما ذبح الجنود اخوة قسطنطين وابناء اخته سنة ٣٢٨ اقلت منهم طفل في السادسة  
من عمره اسمه جولين فجعله الامبراطور نسيبه سيف اقامي آسيا الصغرى ورباه على يد  
قسيسين مسيحيين فبعث به هؤلاء الى قبر الشهداء ينشد الزامير ويتلو الكتاب المقدس  
امام الشعب ولما شب رخص له بالقدوم الى الاسكندرية فانشأ يدرس كتب بلغاء الروم  
وفلاسفتهم واولع باحد الفلاسفة الانفلاطونيين فانصرفت نفسه عن النصرانية . واتم دور  
في آئينا وتعلم فيها اسرار معبد الوزير ثم جاهر بانه من اشياع الدين القديس نكلاً به اخذ  
يحتفل بعبادة الارباب فلقبه المسيحيون بالمرتد .

كان جولين آخر من بقي حياً من الاسرة الامبراطورية واذ لم يكن للامبراطور قسطنطين  
وارث يرثه غير هذا اجمع امره على ان يلقيه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش غاليا  
(٣٥٥) وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وجاءت حصانة من الالمانيين على مقربة من  
مدينة اوتون . واذ لم يكن لجولين خبرة بالحرب انصرفت همه الى درس الفلسفة فصرف  
شتاء بطوله في تعلم صناعة الكر والفر وانشأ يريض نفسه ويتمرن ويتلوسيرة مشاهيرة الغزاة  
فلما تم له ذلك حمل على الالمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة  
فكسب له الظفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورغ وركب اكتشاف  
الالمان ورجعوا يجتازون نهر الرين (٣٥٧) وقضى جولين في غاليا ثلاث سنين اخرى وجعل  
مشتاه في بلدة لوتيس حاضرة الشعب الباريزي وهي مبنية في جزيرة من جزر الدين وكان  
يدعوها «لوتيس المحبوبة» وهو اول من وصفها .

وفي هذه المدينة اتاه امر الامبراطور ان يبعث اليه بقسم من جيشه الى الشرق ليقاتل  
البارثيين الذين داهموا بلاد الامبراطورية فلم ير الجند ان يشتدوا من بلادهم الى مثل تلك  
التماسية واذا ان يقاتلوا ثم اخذوا جولين ورضوه على ترس (وكان هذا الاموي هو الذي يجري  
عليه الحاربون الجرمانيون في مياصة ملوكهم) وحملوه وهم ينادون «جولين اغسطس» (٣٦٠)  
فكتب جولين الى الامبراطور يريد ان يرتضيه وصيقاً له فلما قسطنطين عليه  
ذلك فرحف جولين في جيشه على القسطنطينية وكان قسطنطين قفى نحيه قبل وصوله (٣٦١)  
ولما خلا الجو لجولين واصبح امبراطوراً وحده اقام في الشرق وحاول ان يعيد الدين

القديم (الوثنية) فارجع الى الكهنة املاكهم ومناصبهم واعاد تقديم التذوق الارباب بل اصدر امره الى المسيحيين بان يرجعوا المعابد التي كانوا حولوها الى كنائس وانثأ يناهض النصرانية مباشرة واى ان يعين المسيحيين في الوظائف وطرد المعلمين المسيحيين من المدارس قائلا انه لا يحق لهم ان يدرسوا كتباً يذكر فيها اسم الارباب وهم لا يعتقدون فيها . وسعى الى اعادة الدين القديم الى حاله بان عهد الى الكهنة ان يقرؤا على العامة مواضع ودرسا دينية الا ان الزمن خانه فسافر في حملة على البارثيين وعلبهم واصيب بهم في احدي المعارك . وقيل انه صرخ وهو يجود بنفسه «لقد غلبت يا غاليلي ٥»

الفضاء على الوثنية — لم يقض على دين السوقة القديم لاول مرة فقد اعتدى الشرق في الحال اما في الغرب فلم يبق مسيحيون الا في المدن بل ان الامة ظلت هنا أيضا تعبد الاصنام وذلك لان الامبراطورة الاوول المسيحيين لم يريدوا ان يقضوا القضاء الاخير على دين المملكة القديم بل كانوا يحمون القسيسين المسيحيين كما يحمون كهنة الارباب برأسون المجامع الدينية ويقون اجاراً عظاماً . وكان الامبراطور فراسين سنة ٣٨٤ اول من اى ان يلعب بالحبر الاعظم واذ عم التسامح في ذلك القرن بديء باضطهاد الدين الروماني منذ ندا غير رسمي . واطليء المولد المقدس الذي كان يشتعل في رومية منذ احد عشر قرناً وطردت الكاهنات اللائي كن في معبد فستا يوقدن النار كلها خمدت . واحتفل آخر مرة بالالعب الاولية في بلاد يونان سنة ٣٩٤ . وعندئذ خرج النساك في مصر من الصحراء ليتنصروا مذابح الارباب المزورة ويجعلوا بقاياها في قبور انوبيس وسبرائيس . وقام وارسل الاسقف السوري في مقدمة عصابة من الجند والمشعوذين تخرب معبد المشتري في افامية وأنشأ بجوب البلاد وتخرب المزارات فقتله الفلاحون فجعلته الكنيسة من القديسين فما هو الا قليل حتى لم يبق عبدة اوثان الا في القرى بأوون اليها فراراً من المراقبة وهم فلاحون ممن بقوا يعبدون الاشجار المقدسة والنيايع ويحتمعون في المزارات البعيدة . واخذ المسيحيون يطلقون اسم الوثنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم الى ذلك العهد بالظرفاء وبقي ذلك الاسم يطلق عليهم . وهكذا اشتلت الحال على الوثنية في ايطاليا وغاليا واسبانيا الى اواخر القرن الرابع وطوي بساطها تحت طي السكوت .

### التنظيم الجديد في الامبراطورية

رومية والقسطنطينية — خرب الغرب وقل سكانه في القرن الثالث بما تواتر عليه من الحروب والغارات فاصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الامبراطورية . وكان ديوكسين قد تخلى عن رومية وجعل عاصمته في نيكوميديا في آسيا الصغرى . اما قسطنطين فتوسع

في الامر أكثر من ذلك فأنشأ رومية جديدة في الشرق وكانت القسطنطينية على رأس من البحر في محل لا يوصل اوربا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق في ارض كثيرة الكروم والفلات ونحت سفاه ضافية الاديمواشاً طواريه من الروم مدينة بيزانس وكان لها من الآكام ما يجعلها سهلة على الدفاع ومرقاً وما المعروف بقرن الذهب من احسن مرافئ العالم يؤوي ١٢٠٠ سفينة ويمكن سده بسلسلة طولها ٢٥٠ متر الثلاث نقطاه اساطيل العدو . فهناك أنشأ قسطنطين مدينته الجديدة القسطنطينية (مدينة قسطنطين) وجعل في اطرافها اواراً عالية وأنشأ فيها ساحتين اثنتين تحيط بهما الروقة . وأنشأ فيها قصراً وملعباً ودور تمثيل واقفية وحمامات ومعابد وكنيسة مسيحية

وترجع قسطنطين من المدن الاخرى ما كان فيها من التبايل والقوش البارزة المشهورة لبزين بها مدينته ولأجل اسكانها نقل اليها سكان المدن المجاورة بالقوة . مكافآت والقاب تشريف للأمير الكبرى التي تنتقل اليها وقرر كما كان الحال في رومية توزيع المنطة والخمر والزيت على الناس وتوفير المشاهد والفرج لهم فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة الغربية على نحو ما يجب القوم في الشرق فبدأ العمل بذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٣٢٦ واحتفل بافتتاحها في ١١ ايار (مايو) سنة ٣٣٠ ولكن استمرت بحيث تبقى على الدهر فقد صيرت القسطنطينية على عجمت المهاجرين عشرة قروء وبقيت بتمام عاصمة اهداً والمملكة الرومانية تمزق ولا تزال الى اليوم اول مدينة في الشرق

وذا ترك الامبراطور رومية لم تعد مقراً للحكومة وظل فيها مجلس اعيانها وان لم تعد له سلطة وبقيت مزاراتها واحتفالاتها كما بقيت الى اواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم . القصر - اخذ الامبراطرة الذين تولوا الشرق في التعمود ساداته (١) وأنشؤا يلبسون ثياباً ضافية من الحرير والقصب ويحملون على رؤوسهم تاجاً مرصعاً بالؤلؤ ويحجبون في قصورهم حيث كانوا يجلسون على عرش من ذهب يحف بهم وزراءهم ويصلهم عن الناس جمهور من الحشم والخدم والموظفين والحرس . وعلى من يتال شرف الحظمة من

(١) كثيراً ما يتولى الامبراطورية اثناث احدهما في الشرق والاخر في الغرب وان تكن المملكة واحدة . فالامبراطوران وان كان احدهما يغزل الاستانة والاخر ايطاليا كانا ينيان بان يكونا كشيخ واحد . فكان القوم اذا خاطبوا احدهما يخاطبونه بالجمع فيقولون له انتم كما أنهم يخاطبون الامبراطورين كليهما وهكذا أنشأت عادة الخطاب بالجمع للمفرد لان الناس في القديم كانوا يخاطبون بصيغة المفرد «انت» حتى الملوك والامبراطرة

مواجهتهم ان يمجّد امامهم ويمرغ وجهه في الارض تلامّة المباداة والخضوع و يطلّون عليهم القاب «المولى» و«الجلالة» ويعاملونهم معاملة الارباب وكل ما يتيسر امتصاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والثرقة المقدسة . ويجلس الامبراطورية المقدس والخزانة المقدسة . فكان عيش الامبراطور في الامبراطورية الغربية ( ايطاليا ) من القرن الاول الى الثالث اشبه بمجبة حاكم او قائد اما قصر الامبراطور في الامبراطورية الشرقية ( القسطنطينية ) فهو اشبه بقصر ملك فارس . وقد أطلق على طريقة الحكم في الامبراطورية الشرقية اسم الامبراطورية الواحدة معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقيوها بالامبراطورية العانية .

الموظفون - اصبح الموظفون اكثر عدداً مما كانوا ويحفظ بالامبراطور جيش صغير من الخيالة يحرسون قصره وهناك حرس وقرة؟ وكلاء وخدم ويجلس عال وحجاب وسماة وامناء يرتفعون الى اربعة مكاتب . واصبح الموظفون في الولايات اكثر سواداً ايضاً . اذ رأى الامبراطور ديوكسين الولايات منسمة فقسمها الى عدة قطع فوي غاليا مثلاً قسم ولاية ليون الى اربع واكتين الى ثلاث . وبعد ان كان في الامبراطورية ٤٦ والياً اصبح فيها ١١٧ ثم فصلوا الوظائف فجعلوا مع الولاة والكلاء قواداً عسكريين من دوقات وكنتية في الولايات الواقعة على التفرع .

واصبح جميع الموظفين لا تعلمهم اواسر الامبراطور مباشرة فلا يخاطبون الا كبار الموظفين رؤسائهم . فينضم الولاة لقائدي حرس القصر والموظفون في الاشغال العمومية لحرس المدينة . وجباة الاموال الى الكونت الذي يتولى الاعطيات المقدسة . والكلاء لكونت المشرف على الاملاك والضباط الى موالى الاجناد وجميع موظفي القصر يرجعون الى مولى التشرفات وخدمة القصر الى رئيس التفرقة المقدسة . وهو لاه الروساء كالوزراء وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها فقد اعتدنا ان نرى موظفين وقضاة قواداً وجباة ومهندسين على اختلاف في اعالم التي يتولونها ولكل واحد عمله الخاص ويرجع امره الى ناظر هورئيس ديوانه . بل ان عندنا من النظارات اكثر مما في الامتانة . الا ان هذه الاداة الادارية التي اُفتتحتها لانا نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس ولا خروج عن حد الطيعة . فقد كانت الامبراطورية الشرقية النموذج في هذا الباب واحتفظت به المملكة البيزنطية ومن ذاك العهد جاءت جميع الحكومات المطلقة ان تنسج على منوالها لان في ذلك من التسهيل في العمل ما ينتفع به من يتولون اعمال الحكم .

المتجمع في الامبراطورية الشرقية - كانت هذه الامبراطورية هي الحد الفاصل

في تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع نخضة ملوك الشرق يتألف منهما سلطة لم يكن بها عهد الى ذلك العهد . وهذه السلطة التي لم يسمع بمثلا تأقي على كل شيء في يدها فلم يعد سكان الامبراطورية وطينين رومانيين منذ القرن الرابع بل صاروا يدعون باللاتينية الرعايا ( الخاضعون ) وبالرومية « المييد » فكانوا كلهم من ثم عبيد الامبراطورية ولكنهم يختلفون في المقام وهم درجات في الشرف الذي يولييه اياه مولاهم ويورثونه ابتاءم واليك تلك المناصب بحسب درجاتها .

- (١) اشرف الاشرف وهم الاسرة الامبراطورية
- (٢) المشاهير وهم وزراء رؤساء الدواوين
- (٣) المختبرون وهم كبار ارباب المناصب
- (٤) المسجودون وهم كبار الموظفين ( ويدعون الاعيان )
- (٥) اهل الكمال

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظائفه . واكثر الناس احتراماً الندماء والموظنون حتى صبح ان يدعى ذلك العهد عهد الاقناب والتشريفات . وما قط شوهه الى حد تبلغ السلطة المطلقة اذا دعمها الجنود في الاقناب والميل الى ترتيب كل امر بالاكثر من القوانين وعليه فقد كانت الامبراطورية الشرقية مثالا تاما لمجتمع يدار بالاقناب والحكومة فبيت لي ارادة تصيرها فحازت اقصى ما يطال اليه حتى اليوم انصار السلطة المطلقة وسيكافح بعد اشباع الحرية زمنا طويلا تلك التقاليد التي اقيمت امبراطورية الشرق .

حكومة المدينة — لم يمتن الرومان بجباية اموال الرعايا بانفسهم بل كان الامبراطور يكتبني بيان الخراج المطلوب من كل ولاية ( وذلك كل خمس سنين في الغالب ) ويحدده كما يريد . ويعلم الوالي كل مدينة ما يجب عليها اداؤه . فحكومة المدينة هي التي تقدم المبلغ المطلوب . وما دامت المدينة غنية يبيح الوالي خراجها موزكاه بين السكان فاذا عجزوا عن الدفع فيقيم على من تولوا الخراج ان يسدوا العجز لانهم مسئولون عن الخراج وخزانة الامبراطورية لانتازل عن حقوقها .

ولقد كان منصب الجباية حتى القرن الثالث مرغوبا فيه كانه من اسباب الشرف فيعد الجباي في مدينته كعضو الشيوخ في رومية . واذا اختبرت البلاد يعود منصب الجباية من المناصب التي تكسر متوليها فتزحف النفوس في توليتها . فرأى الامبراطورة ان يسنوا قانونا لاقاب من يأبى جباية الخراج فصار الجباي يتولى ذلك رغم اقله ويجب على كل من يملك خمسة وعشرين فدانا من الارض ان يكون احد الجباة طوعا أو



كروما - وكثير من الحياة كانوا يؤثرون ان يخرجوا عما يملكون من الاراضي ويهربوا ويدخلوا في سلك الرعية والمخورة او الاستخدام والجندية . فأصدر الامبراطرة اوامرهم بالبحث عن هؤلاء الفارين وان يبادوا الى مدتهم بالقوة . وقد جاء في احد القوانين المستونة انهم عبيد الامبراطورية

فكانت الحكومة تحاول ان تبي محابس الشيوخ في المدن على هذه الكيفية واذ كانت تخرب بيوتهم بخراجها اصبح عدد الجناة ابدًا في قلة . وكان مجلس الشيوخ يتألف على عهد الامبراطورية النورية من مئة عضو . وفي القرن الرابع نشبت قتل في احدى الولايات فأمر احد الامبراطرة ان يأتوه برؤوس ثلاثة من الجناة من كل مدينة فكشبت اليه الوالى « ليسع حكم ان يقرر ما الذى يجب ان نعمله في المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الجناة »

للمتصرون - وقع في الامبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل اسبارطة ويونان وايطاليا وهوان بفضل الاحرار ويخلفهم العبيد ولم يبق في القرى ما يكفيا من الحرائث . لاجرم ان المدينة الرومانية لم تخرب بل كانت آخذة بالنهـاء . فقد كان عدد الوثنيين في القرن الاول زهاء مليون نسمة وفي القرن الثالث ( ٢١٢ ) صدر أمر الامبراطور بمخ جميع سكان الامبراطورية حق الوطنية فصار الوطنيون الرومانيون يعدون بالملايين (١) وتتمون باضمحلال سائر سكان العالم بيد ان الحكم الروماني كان سببا في اضمحلال شعوب المملكة كما اضمحل به من قبل اهل ايطاليا وكان يقتضي له كثير من الجنود وكثير من العبيد .

وبهذا الحكم فلع الاغنياء ويصعب على صغار ارباب الاملاك ان يقفوا امام الكبراء فيستخدمون في الجندية او يخرجون بيوتهم بأيديهم . ويقتني صاحب الاملاك الواسعة اراضيهم حتى أنقزم لم يبق في بعض البلاد غير املاك واسعة يجرشها العبيد . وهؤلاء السكان من السيد لا يتجهدون فاذا عرض عارض من العواض المألوفة اذ ذلك من مثل وباء وحرب وغارة براوية وهلك جهور من الحرائث في احدى الاملاك تبق الارض بورا

غلت القرى على التلويج ولا سيما ما كان منها على التخم من الناس ولم يبق سكان الا في المدن بل صار في عدة اشخاص من المملكة قفار حقيقية خلت من السكان والعمران

(١) كان سكان المملكة يدعون كلم بالرومانيين منذ ذاك العهد ولما دخل البرابرة الى غاليا لم يجدوا فيها غاليين بل رومانيين حتى كان الشعب في الشرق حيث كان السكان يتكلمون باليونانية يدعى الى عهد القمح الميثاني بالشعب الروماني وما زالت الى اليوم بلاد الاساتنة تدعى روم الجيا .

فانشأ الامبراطرة يسكنون فيها عصابات من البربر من شربوم وأسروهم ليبيواهم  
موات تلك القرى . الا ان هؤلاء البرابرة لا يمكنون الاراضي بل يستعمرونها قتل مثل  
الميلويتين في اسبارطة ويقضى عليهم ان يقوا في الارض التي أتوا فيها لا يغرقوها ولا  
اولادهم بحال يؤدون الى صاحب الارض مالا مقررا فن تم كانوا مستأجرين الى الابد  
بالقوة . وليس هذا النظام جديدا بل كان في ايطاليا على عهد الامبراطورية الشريفة  
أناس من الطواريء من الاحرار الفقراء قيدوا انفسهم في خدمة صاحب مائة منظم  
لينالوا منه أرضا يزرعونها . وزاد سواد هؤلاء الطواريء زيادة كبرى لما ضموا اليهم  
الاسرى من البربر

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف في احياء امة لان اولئك الحرائين كانوا يفرون  
او يهلكون وفي القرن الخامس بعد مرور الجيوش العظمى من الغربين ( داسية ، ايتاليا )  
كان في اراضي المملكة فراغ كبير تمزق على الامبراطرة ان يسدوه . وبقي في غالب  
اسبانيا وايطاليا وفي الغرب كله جزء من الاراضي بورا لقلّة العاملين فيها وانقرت ولايات  
القوم وقد اضمحل الشعب الروماني في جميع حوض الطوبة من سويسرا الى البلقان منذ  
القرن السادس فلم يكن في تلك البلاد الا ام جرمانية اوسلافية . حتى ان الفرنك لم  
يجدوا في البلجيك غير قفر .

البرابرة في الجيش الروماني - هذه الاراضي الخالية تستدعي سكانا جديدا فكان  
البرابرة يحاولون على الدوام ان يخطوها وما دام للحكومة الرومانية بعض جيش لا يصعب  
عليها ان تردم على اعقابهم . الا ان الامر في التجنيد صار الى الصعوبة كالتجديد للمال . وألف  
سكان الامبراطورية حياة السكون ولم يعودوا يهتمون بخدمة الجندية . حتى اضطرت  
الحكومة ان تطلب جندا من كبار ارباب الاملاك فياخذ هؤلاء بعض الطواريء الذين  
يملكون في اراضيهم فكان هؤلاء الملاكين المأخوذون بالقوة من وراء محاربتهم جندا  
غير كفو للقتال . وغدت الجنود منذ القرن الرابع من الضعف بحيث لا تستطيع حمل  
الدروع واستعاضت عن الخوذ بالقبعات

واصبح القواد يؤثرون ان يستعملوا اشرار من البربر لانهم يقاتلون بشدة على الاقل  
وقد جندت الامبراطورية في خدمتها منذ زمن جنودا من الجرمانيين يتناولون جرايات  
ويقاتلون باستحمتهم وكان اكثرهم من الفرسان واخذ امبراطرة الرومان في القرن الرابع  
يخذون منهم عصابات برمتها ينزلون مع نسايتهم واولادهم وخدمتهم في اراض يهبونهم اياها  
على سبيل الجراية . ويحتفظ هؤلاء المحاربون النازلون في ارض رومانية بلقمتهم وعاداتهم

وبسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المخالفين» وبلغ بالامبراطور انه اخذ يقبل منهم في جيشه شعبياً يرمتها مثل الوزيفوت والبورغند . وكانوا اجتازوا العقوم بالقوة احياناً ثم آثروا ان يكونوا في خدمته على ان يقاتلوه . فأصبحت اذ ذاك جيوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية يقودها قائد يوري . ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيللا سنة ٤٥١ مؤلفاً من الوزيفوت والفرك والبورغند وصار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفانوس وار يوكاست لومظمم في القرن الخامس) مثل ستيلكون وريمير وادواكر (من اصل يوري ولم بعد الامبراطورية الرومانية محمية الا باناس من الحاربين من البرابرة فاحتلها بعد ابناء جنسهم

## طبقات الاطباء

من الكتب ما لوظفر به المره أغناه عن مكتبة وكم من مكتبة لانفني عن كتاب . والكتب كالفاس واحد بألف والف لا يماوي واحدا . ومن الكتب التي تعد بألف كتاب «عين الانباء في طبقات الاحياء» مؤلفه موفق الدين أبي الباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ بصرخد من أعمال جبل السروز في بلاد الشام الفه في دمشق يوم امين الدولة بن غزال بن أبي سعيد وزير الملك الصالح ابن الملك العادل

صاحب هذه الطبقات من الاطباء العلماء منقح الفكر منقح العبارة منظم الاسلوب حسن الطريقة ذكر في كتابه كما قال نكتاً وعبوناً في مراتب التميز من الاطباء القدماء والحديثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازممنتهم وأوقاتهم وأودعه نبذة من اقوالهم وحكاياتهم ونواديرهم ومخاوراتهم وشيئاً من اسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم قال فان كثيراً منهم وان قدمت ازمناهم وتفاوتت اوقاتهم فان لهم علينا من العلم فيما صنفوه والمثل لما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ما هو تقصّل العلم على تليذه والحسن الى من احسن اليه . وقد اودع كتابه جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن لهم نظر وصناعة بصناعة الطب وجملاً من احوالهم ونواديرهم واسماء كتبهم وجعل ذكر كل واحد منهم في الموضع الا ليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم وقسمه الى خمسة عشر باباً الباب الاول في كيفية وجود صناعة الطب واول حدوثها . الثاني في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم اجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها وهم ثلاثة . الثالث في الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس وهم ستة . الرابع في الاطباء اليونانيين الذين اذاع ابقراط . فيهم صناعة الطب وهم تسعة . الخامس في الاطباء الذين كانوا منذ زمان

جاليثوس وقريبا منه . السادس في الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في ازمنتهم . من  
الاطباء النصارى وغيرهم . السابع الاطباء الذين كانوا في اول ظهور الاسلام من اطباء  
العرب وغيرهم وهم عشرة . الثامن في الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة  
بني العباس وهم اربعة وثلاثون . التاسع الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وزيرو  
من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم وهم سبعة وثلاثون . العاشر  
الاطباء العراقيون واطباء الجزيرة وديار بكر وهم اثنان وثمانون طبيباً . الحادي عشر  
الاطباء الذين ظهرُوا في الحجج وهم ثلاثة وعشرون . الثاني عشر الاطباء الذين كانوا في  
المند وهم ستة . الثالث عشر الاطباء الذين ظهرُوا في بلاد المغرب واقاموا بها وهم تسعة  
وثلاثون . الرابع عشر الاطباء المشهورون من اطباء مصر وهم سبعة وخمسون . الخامس عشر  
الاطباء المشهورون من اطباء الشام وهم تسعة وخمسون . ورتبهم المؤلف على سبب فيانهم  
كل من استعملوا عقولهم جادت والاطباء هم من يستعملون عقولهم ولذلك كان فيما كتبه  
ابن ابى أصيبعة برهان على صحة العقل وجودة التأليف بحيث انك تقرأ كتابه وهو في سبعة  
صفحة فلا تكاد تجد فيه مفعلاً اللهم الا بعض الفاظ واشعار قليلة بذيبة رواها بعض المترجم  
بهم ولعل ذلك لم يكن منكراً في عصره او اطالة في ايراد بعض التراجم مثل اطالته في  
ترجمة ابى الحكم الاندلسي وقتل شعره وسد يد الدين ابن رقيقة وشعره واكثر ما رواه من  
الشعر لابى القاسم حبة الله بن الفضل وغيرهم ممن جاد شعرهم ولكنه لا يخلو من بعض  
مخالفات وعذره في ذلك انه يريد التنويه بالاطباء كيف كان حالهم ويود لو ان لم بكل  
ما قالوه . قلت مرة لاحد اساطين العلم ما بال ابن ابى أصيبعة استعمل بعض اشعار ونوادير  
مخفية قلها كأنه راض عنها على حين انه غاية في الكمال والعلم الصحيح فقال ان المؤلف  
اراد ان يجعل كتابه مرجعاً كبيراً ومورداً فائداً في كل أطروفة وأطروبة ولذلك لما  
اهدى نسخة لبعض من يطلب عليهم الوفاء حذف هذه الزوائد ومن رآهم يحبون الاشياء  
على اصلها استنسخ لهم من كتابه نسخة تامة وهذا هو السبب في اختلاف النسخ التي ظفر  
بها طابع الكتاب .

وقصارى القول ان هذه الطبقات هي من الكتب المهمة فلا تند كتاباً للطب والاطباء  
بل هي كتاب في الحكمة والحكمة والمفنيين من العلماء يتنزل فيه المطالع طرقاً من مدينة  
الاسلام ويقرأ فيه براهين دامغة على ان الناس في تلك القرون السبعة الاولى كانوا سواء  
على اختلاف مللهم وغلظهم يصف المؤلف المخالف بانه اوحى العلماء فاضل كامل ويذكر له من  
الصفات ما يتراءى معه لقليل الحبرة باخبار تلك الازمنة ان المؤلف ينقل عن اهل دين

المترجم بهم ويأتي بصفاتهم مجردة دون ان يلحقه شيء من تبعاتها على ان ذلك كله من بنات افكار المترجم . سادى العلم في نظره بين ابن دينة وغلظه مساواة لم ينمط بها حقاً لمخالف ولم يبالغ بين يود ومخالف كما ترى في ترجمة جبرئيل بن جئيشوع ويوحنا بن ماسويه وموفق الدين بن الطرآن وامين الدولة ابن التليذ وحنين بن اسحق وهناك تجد تراجم كثير من العلماء من كان الطب بعض علومهم مثل الرئيس بن سينا وابي نصر الفارابي وابن الهيثم ويقوب ابن اسحق النكدي وثابت بن قرة وكمال الدين بن يونس وابي بكر الرازي وابي بكر ابن زهر وابي الوليد بن رشد والسهرووردي وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم من الاعلام الذين ترجمهم فاحسن ترجمتهم حتى لم يبق حاجة في النفس من امرهم .

نقرأ في هذا السفر تعريب الترجمة الاول في الاسلام مشفوعاً بنبذة من اخبارهم وتداول بين تلاوة الحكم المستعذبة والاشعار اللطيفة والنثر البديع بحيث تحكم بان الطبقات هي كتاب ادب ومحاضرة كما هي كتاب حكمة وطب تنتقل بين الاستفادة من هذه وترويج النفس بتلك فمن الحكم ما اوصى به ابقراط الاطباء فقال : ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنسه حراً وفي طبعه جيداً حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفاً شجاعاً غير محب للفضة مالئاً لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركاً له في الغاية ولا يكون بليداً وينبغي ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه حافظاً للاسرار لان كثيراً من المرضى يوقفون على امراض بهم لا يجرون ان يقف عليها غيرهم وينبغي ان يكون محتسباً للشجعة لان قوماً من المبرصين واصحاب الوسواس السوداوي يقابلوننا بذلك وينبغي لنا ان نحملهم عليه ونعلم انه ليس منهم واث السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة وينبغي ان يكون خلقاً رأسه معتدلاً مستويّاً لا يميله ولا يدعه كالجملة ولا يستعصي قص اظافر يديه ولا يتركها تدل على اطراف اصابعه وينبغي ان تكون ثيابه يضا نقية لينه ولا يكون في مشيه مستعجلاً لان ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لانه يدل على قصور النفس واذا دعي الى المريض فليقدم متربماً ويختصر منه حاله بسكون وتأن لا يلقط واضطراب فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي افضل من غيره . هذا ما قاله ابو الطب ولو عمل الاطباء طراً بمشورته لما ساءت ظنون العامة والخاصة ببعضهم .

ومن مواعظ افلاطون : اذا حرب الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاعرب منه . وقال من لا يواسي الاخوان عند دولته خذله عند فاقته . وسئل من احق الناس ان يؤتمن على تدبير المدينة فقال من كان في تدبير نفسه حسن المذهب . وقال الملك هو كالنهر الاعظم يستمد منه الانهار البهار فان كان غدياً عذبت وان كان مالئاً لمحت وقال اذا اردت

ان تدوم لك اللذة فلا تستوف المتذ ابداً بل دع فيه فضلة تدم لك اللذة . وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسألون في كم فرغ من هذا العمل وانما يسألون عن جودة صنعته وقال اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع وان خالفها لم يحزن موقعه من اريد به . وقال رجل جاهل لافلاطون كيف قدرت على كثرة ما كتبت فقال لاني اغنيت من الزيت بمقدار ما اغنيت من الشراب . وقال اذا صادقت رجلاً وجب عليك ان تكون صديق صديقه وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه . وقال الافراط في النصيحة يهجم بها احبها على كثير من الفطنة .

ومن حكم ارسطو اعلم ان من علامة ثقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح منها جانب الا فساد جانب آخر ولا سبيل لصاحبها الى عز الا بالاذلال ولا استغناء الا بالافتقار واعلم انها ربما اصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين فان ادبت حاجتك منها وانت تخطيها او ادبرت عنك وانت مصعب فلا يستحقك ذلك الى معاودة الخطأ ومجانبة الصواب . وقال لا تبطل لك عمراً في غير نفع ولا تضع لك مالاً في غير حق ولا تصرف لك قوة في غير غناء ولا تعدل لك رأياً في غير رشد فعليك بالخطى لما اتيت من ذلك والجد فيه وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواء وان كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذة فتكن في معاداة العلماء ودرس كتب الحكمة . وقال: العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالمًا . وقال: اصح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك . وقال: ممن نازع السلطان مات قبل يومه . وقال: اي ملك نازع الدوقة هلك شرفه . وقال: اي ملك يسف الى المحقرات فتلوث اكرمه له . وكتب ابي الاسكندر في وصاياه ان الاردياء ينتقدون بالخوف والاختيار يتقادون بالخياء فيز بين التطبيق والتمهل في ايئتك الغلظة والبطش وفي هؤلاء الافضال والاحسان . وكتب اليه ايضاً ان الامور التي يشرف بها الملوك ثلاثة من الدين الجنية وفتح الفتوح المذكورة وعارة البلدان المعطلة .

ومن كلام عبد الطيف البغدادي : اجعل كلامك في انقالب بصفت ان يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم او مستحسن فيه الفاظ ما وايها كثير او قليل ولا يجعله مهملاً ككلام الجمهور بل رنمه عنهم ولا تباعد عليهم جداً . وقال : وايانك والمذر والكلام فيما لا يعني وايانك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة اليك اما لا تخرج حق او اجتلاب مودة او تنبيه على فضيلة وايانك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتغيير الكلام اجعل كلامك سرداً يسكون بحيث يستمر منك ان وراءه اكثر منه وانه عن مخبرة مابقة ونظر متقدم . وقال : وايانك والفطنة في الخطاب والجفاء في المناظرة فان ذلك يذهب بنجمة الكلام ويقطع

فأندته ويهمل حيلته ويحلب الضعائن ويحقى المودات ويصير القائل مستقلاً سكوتة انتهى إلى السمع من كلامه ويثير النفوس إلى معاندته ويسطو اللسان بمخاشنته واذهاب حرمته وقال لا ترفع بحيث تستنق ولا تنازل بحيث تستخس وتسحق .

ومن كلام رشيد الدين بن خليفة : احترم الماتية ولو سكنوا عن جواب سؤالك فلا من ذلك لبعد الهد وكلال القوى او لانك سألت عما لا يدريك او معرفتهم يحجز فهمك عن الجواب وانما ان فوائدك منهم اكثر من ذلك وقال : اشتغل بكلام المشهورين الجاهلة أولاً فاذا حصلت الصناعة فاشغل بالكتب الجزئية من كلام كل قائل وقال : خذ كلام كل قائل عارياً عن حجة او بشفة ثم زنه بالقياس وامتنع ان امكن بالتجربة وحينئذ اقبل الصحيح واذا اشكل فاشرك غيره فيه فان لكل ذهن خاصية يمان دون ممان

وقال : الامراض لما اعمار والملاج يحتاج الى مساعدة الاقدار واكثر صناعة الطب حذر وتحمين وقفاً مع فيه اليقين وجزأاً القياس والتجربة لا الغسطة وحب الغلبة ونهيتها حفظ الصحة اذا كانت موجودة وردعا اذا كانت مفقودة وفيها يتبين سلامة الفطر ودقة الفكر ويتبين الفشل من الجاهل والمجد في الطلب عن المتكاسل والعمال يقتضى القياس والتجربة عن التحذل على اقتناء المال وعلو المرتبة . وقال : ما اكثر المتلذذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها وقال : الآمال احلام اليقظان . وقال : اكثر من مطالعة سير الحكماء واقنع منها بما يمكن الاختلاص به في زمانك . وقال : كتب بعضهم الى شيخه يشكو تعذر امورهم فكتب اليه انك لن تجز ما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ولن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره وما يكاد يخفى به كتاب الطبقات انك قد تأثرت على ترجمة الرجل والرجلين ولا تفهم غلته ومذهبه اذ لم يكن في اسمه او كنيته او لقبه ما يشعر بانه مسلم او غير مسلم وربما اشتهر الاسم ايضاً فان من الصائبة من اسمه حسن ومن الجبوس من اسمه عثمان وعلي والعباس والعباسي يكتفى بموفق الدين وقطب المدين .

ومن العجب ما قرأته ان فتناً بن لوقا البعلبي وكان مسيحي اتمه الف كتاباً له في علو الموت فجاءه لابي الحسن محمد بن احمد كاتب بطريق البطارقة والغالب ان اسم هذا ابو غانم العباس بن سفيان . وقد استفدت منه عدة الفاظ لم تكن مألوفاً لزمينتمامثل الجوارشات المحبوب المستعملة والاقرباذينات اي تركيب الادوية والساعور وهو مقدم النصارى في الطب وفي الناج ان اصله ساعور ارميه . وقد اشتق منه فعلاً فقال : كفا جميعاً يسرنا المرضي اي يتفقدانها الى غير ذلك من الفصح والشوارد مثل قوله عن اسم كتاب لاحد المشاهير « الخمس » اي المختار بالدين ونحوه على شيء يستره .

والغالب ان المؤلف لم يدخر وسعاً في تنقيح كتابه وتعديجه الى ان هلك فجاء زبدة  
في موضوعه فيه كل ما طالب وحلا فن منظومه وهو بما تأخذه لنكتة فيه وخبر الشعر . ازيد  
معناه على لفظه وقصدت به غاية كما قال يعقوب بن اسحق الكندي

اناف الذنابي على الارؤس ففحص جفونك او فحس  
وضائل سوادك واقبض يدك وفي قصر بيتك فاستحسن  
وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس  
فان النفي في قلوب الرجال وان التميز بالانفس  
وكأنت ترى من اخي عسرة غني وذبي ثروة مفلس  
ومن قائم شخصه ميت على انه بعد لم ير مس  
فان تعلم النفس ما تشتهي ثقيك جميع القسي تخشي  
وكا وصي يحيى بن عدي ان يكتب على قبره

رب ميت قد صار بالعلم حيا وميت قد مات جهلا وعيا  
فاقتنوا العلم لكي نألوا خلودا لا تعدوا الحياة في الجبل شيا  
وكا قال ابو طاهر بن البرخشي وقد رأى اذانا يكتب كتابا الى صديق له فكذب  
في صدره العالم .

لما نحت منن المكارم والى وغدا الانام بوجه جهل قائم  
ورضوا باسماء ولا معنى لها مثل الصديق تكاتبوا بالعالم  
وكا قال المعتري

الحق ينكره الجهول لانه عدم التصور فيه والتصديقا  
فهو العبد لكل ما هو اهل فاذا تصوره يعود . صديقا  
او كما قال

كن غنيا ان استطعت والا كن حكيما فاعدا ذيت غفل  
انما سودد النفي المال واله لم وما ساد قط فقر وجهل  
وقوله

ومن نكد الدهر القشوم وصيرفه يحاور رغما فيلسوف . لاجمى  
وكقول النبي بكر الرازي

نهاية اقدام المقول عقال واكثر نسي العالمين ضلال  
وارواحنا سيف غفلة من جسوننا وحاصل دنيانا اذى ووبال



ولم نستفد من مجشنا طول عمرنا  
وكم قد رأينا من رجال ودولة  
وكم من جبال قد علت شرفاتها  
وكقول امية بن عبد العزيز -

مارست دهري وجربت الانام فلم  
وكنتمت انت التي به احدا  
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا  
وكان لي مبيب قد كنت احسبي  
فما مقل اظفاري سوى قلبي  
وكقول عبد الله بن الجلياني

من لم يسل عنك فلا تسأل  
وكن فتى لم تدعه حاجة  
وكقوله

فانما نرى نفرا عند الملوك سماء  
وانت ذو همة في الفضل عالية  
فقلت باعوا نفوسا واشتروا ثمنا  
قد يصكركم القرد اعجابا بحسنة  
ومثل قول امين الدولة بن التميمي

سق النفس بالعلم نحو الكمال  
ولا ترج ما لم تسبب له  
وكقوله

لا تحزن عدوا لان حابيه  
فلذاباة سيف الجرح المدة يد  
وكقوله

وارى عيوب الغائب ولا ارى  
كالطرف يستجلي الوجه ووجهه  
وكقول سعيد بن عبد ربه وكان جميل  
امن بعد غوصي في علوم الحقائق  
وعيا لنفسي وهو مني اقرب  
منه قريب وهو عنه مغيب  
المذهب متبعنا عن الملوك  
وطول انبساطي في مواهب خالقي

سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا  
فبادوا جميعا مصرعين وزالوا  
رجال فزالوا والجيال جبال

احمد قط في جد ولا لعب  
يسلي من الملم او يمدي على التوب  
كانت مواعيدهم كالا في الكذب  
احطى به واذا دائي من السبب  
ولا كتاب اعدائي سوى كتبي

عنه ولو كانت عزيز الذر  
الى امتنات النفس الا نفر

وما لم همة نسو ولا ورع  
فلم ظمئت وم في الجاه قد كرعوا  
وصنت نفسي فلم اخضع كما خضعوا  
وقد هيأت لفرط الخفة السبع

نواف السعادة من بابها  
فان الامور باسبابها

ولو يكون قليل البطش والجلد  
نثال ما قصرت عنه يد الاسد

وقتي حين اشرايفه على ملكوته  
وايام عمر المرء متعة ساعة  
وقد اذنت نفسي بتقويض رحلها  
واني وان اوغلت او سرت هاربا  
وكقول الي الفرج بن هندو

قوض خيامك من ارض تقام بها  
وارح اذا كانت الاوطان منقصة  
وكقوله

اطال بين البلاد تيجوالي  
ان رحت عن بلدة غدوت الى  
كأنني ففكرة الموسوس لا  
وكقوله وكتيبها على عود

رأيت السود مشققا من العود بانقائب  
فهذا طيب آفاق وهذا طيب آذانب

وكقوله

لنا ملك ما فيه الملك آلة  
اقم لاحلاح الوري وهو فامد  
وكقول الرحي

اذا نقضي شباب المرء في نفس فما له في بقا العمر من ارب

وهناك من المنظومات الطويلة وهو الشعر الحلال . اما المنشور فطر يقته طريقة الشيع  
التي غلبت على اهل القرن الخامس فن بعدم الا ان فيه المرسل مثل كلام لامين الدولة  
ابن التليذ كنبه في ضمن رسالة الى ولده وكان يعرف برضي الدولة الي نصر قال : والتفت  
هناك عن هذه الترهات الى تحصيل مفهوم تميز به وخذ نفسك من الطريقة بما كررت  
بذهنك عليه وارشادك اليه واغتنم الامكان واعرف قيمته وتشغل بشكر الله تعالى عليه وفر  
يحفظ نقبس من العلم تثق من نفسك بان عقلته وملكته لا قرأته ورويته فان بقية المخطوط  
تتبع هذا الخط المذكور وتزعم صاحبه ومن طلبها من دونه فاما ان لا يجدها واما ان لا يعتمد  
عليها اذا وجدها ولا يثق بدوامها واعوذ بالله ان ترضى لنفسك الا بما يليق بملك ان ينسأى  
اليه بعلومه وشدة ثقته وغيرته على نفسه وبما قد كررت تلك الرواة به على ان لا تحصر

على ان تقول شيئاً لا يكون مذهباً في معناه ولفظه ويتعين عليك ايراده فاما معظم حردك  
فنصرفه الى ان نسمع ماتتفيدة لا مايليك وبلد للاغفار واهل الجباله تزك الله عن  
طبقتهم فان الامر كما قلنا افلاطن الفضائل مرة الورد حلوة الصدر والردائل حلوة الورد  
مرة الصدر وقد زاد ارسطوطاليس في هذا المعنى فقال : ان الردائل لا تكون حلوة الورد  
صند ذي فطرة فائقة بل يؤذيه تصور قبحها اذى يفسد عليه ما يستلذه غيره . ومنها وكذلك  
يكون صاحب الناجع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى ويجتنب كالتام الصحة يكفي  
حسه في تعريفه الدافع والفساد فلا ترض لنفسك حفظك الله الا : با تعلم انه يناسب طبقة  
مثالك واغلب خطرات الهوى بعزيمات الرجال الراشدين والصحح نفسك اليها تركك في  
طاعة عتلك فانك تسر بنفسك وتراها في كل يوم مع اعتقاد ذلك في رتبة عليّة ومرفاة من سواه  
ومن رسالة في السادة كتبها انوار الى رشيد الدين الصوري وقد اهدى اليه تاليفاً  
له يحتوي على فرائد ووصايا طبية وهي من الصحيح على خلاف عادته : ادام الله ايام الحكيم  
الاجل الاوحد الامجد العالم العامل الفاضل الكامل الرئيس رشيد الدنيا والدين معتمد  
الملوك والسلطين خالصة أمير المؤمنين بلغه في الدارين نهاية سؤله وامانيه وكبت  
حسدته واعاديه ولا زالت الفضائل مضيئة بفنائهم والفاضل صادرة منه الى اوليائه والالسن  
مجمعة على شكره وثمائه والصحة محفوظة بحسن مراعاته والامراض زائلة بتدبيره ومعالجته  
المملوك بنهي ما يبعده من الاشواق الى خدمته والتأسف على الفائت من مشاهدته ووصلت  
المشرفة الكريمة التي وجد بها نهاية الامل والارشاد الى انطالاب الطبية الجامعة للعلم والعمل  
وقد جعلها المملوك اصلاً يعتمد عليه ودستوراً يرجع اليه لا يخلجها من فكره ولا يخل بها تنقصه  
في سائر عمره وما للملك ما يقابل به احسان مولانا الا الدعاء الصالح والثناء الذي  
يكسب من محاسنه النشر الطاهر والفائض وكيف لا اشكر وانشر محاسن من لا اجد فضيلة الا به  
ولا انا لراحة الا بسببه والله يتقبل من المملوك صالح ادعيته ويجزي مولانا كل خير على  
كال مروءته ان شاء الله

واما فرائد الكتاب الطبية والاجتماعية فما ينبغي ان يفرد بالبحث ولا يسع الطبيب  
والاديب جهله فن ذلك ما قاله ثابت به منان قال ولما كان سنة تسع عشرة وثمانمائة اتصل  
بالمفتدر ان غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطبيين فأت الرجل فابر ابراهيم بن  
محمد بن رطحا بمنع سائر المتطبيين من التصرف الا من امتهنه والذي ستان بن ثابت وكتب له  
رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فصاروا الى والذي وانقهم واطلق لكل واحد ما يصلح  
ان يتصرف فيه وبلغ عددهم في جانبي بتعداد ثمانمائة رجل ونيقاً وستين رجلاً سوى من

استغنى عن محنته بأشتهاره بالتقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان . قلت وهذه الشهادة الطيبة نالها من نالها من اطباء بغداد بعد العلم والعمل ولا عجب ان يكون لبغداد هذا العدد الدثر من الاطباء والقاهرة على ما بلغت اليه من الحضارة في هذا العهد لا يتجاوز ارباعها نصف هذا القدر . وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وما والاها كان اذا اكل الطعام حضر على مائدته اربعة وعشرون طبيباً وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطي عيّن ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم

ونقل المؤلف من كلام لابي نصر الفارابي في معنى اسم الفلسفة قال اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم فيلسوفيا ومعناه ايثار الحكمة . وبني لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا فتिला الايثار وسوفيا الحكمة والفيلسوف مشتق من الفلسفة وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس فان هذا التفسير هو تفسير كثير من الاشتقاقات عندهم ومعناه المؤثر للحكمة والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يجعل التوكيد من حياته وغرضه من عمره الحكمة . وحكي ابو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه : قال ان امر الفلسفة اشتهر في ايام ملوك اليونانيين وبعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الى آخر ايام المرأة وانه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها الى ان ملك ثلاثة عشر ملكاً وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلماً احدهم المعروف باندرونيقيوس وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة فقلبها اوسطس الملك من اهل رومية وقتلها واستحوذ على الملك فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصننها فوجه فيها نسخاً لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في ايامه وايام ثاوفرسطس ووجدوا المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها ارسطو فامر ان تنسخ تلك الكتب التي كانت نسجت في ايام ارسطو وتلا هذه وان يكون التعليم منها وان ينصرف عن الباقي وحكم اندرونيقيوس في تدبير ذلك وامره ان ينسخ نسخاً يجعلها معه الى رومية ونسخاً يقيمها في موضع التعلم بالاسكندرية وامره ان يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية ويسير معه الى رومية فصار التعليم في موضعين وجرى الامر على ذلك الى ان جاءت النصرانية فبطل التعليم من رومية وبقي بالاسكندرية الى ان نظر ملك النصرانية في ذلك واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يضل فرأوا ان يعلم من كتب المنطق الى آخر الاشكال الوجودية ولا يعلم ما بعده لانهم رأوا ان في ذلك ضرراً على النصرانية وان فيما اطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرته دينهم فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار وما ينظر فيه من الباقي مستوراً الى ان كان الاسلام بعده بمدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية وبقي بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فتعلم به رجلا ن

وخرجوا ومعهما الكتاب فكان اجدهما من اهل حران والاخر من اهل مرو فاما الذي من اهل مرو فتعلم منه رجلا : احدهما ابراهيم المروزي والاخر يوحنا بن حيلان فتعلم من الحرافى اسرائيل الاسقف وقويرى وسارا الى بغداد فشاغل ابراهيم بالدين واخذ قويرى في التعليم واما يوحنا بن حيلان فانه تشاغل ايضا بدينه وانحدر ابراهيم المروزي الى بغداد فاقام بها وتعلم من المروزي متى بن يونان وكان الذي يتعلم في ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية . وقال ابو نصر الثمار ابى عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان وكان يسمى مبدء الاشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ الى ان قريء ذلك وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الى معلى المسلمين ان يقرأ من الاشكال الوجودية الى حيث قدر الانسان ان يقرأ فقال ابو نصر انه قرأ الى آخر كتاب البرهان

ومن الفوائد التاريخية في الكتاب ما ذكره صاعد بن بشر في مقالته في مرض المراقبا ما عاينه في ذلك الزمان من احوال وجدما ونحوه شاهدتها . هذا نصه وقال وانه عرض لنا من مضايق الزمان علينا والتشاغل بالناس الامر الضروري ولما قد شغلنا من الخوف والحزن والفرع واختلاف السلاطين وما قد بلينا به مع ذلك من التنقل في المواضع وضباع كتبنا وسرقناها ولما قد اظلمنا من الامور المذعرة المخوفة التي لانرجو في كشفها الا الله فندس اسمه قال ابن ابى اصبعة هذا ما ذكره ابي صاعد وما كان في ايامه الاختلاف ملوك الاسلام بعضهم مع بعض وكانت الناس سالمين في انفسهم آمنين من القتل والى فكيف لو شاهدنا ما شاهدناه ونظر ما نظروه في زماننا من التناثر الذين اهلكوا العباد واخربوا البلاد وكونهم اذا اتوا الى مدينة فما لم هم الا قتل جميع من فيها من الرجال وسبي الاولاد والنساء ونهب الاموال وتخريب القلاع والمدن فكان استنصر ما ذكره واستقل ما عاينه وحقره ولكن ما طامة الا فوقها طامة اعظم منها ولا حادثة الا غيرها تكبر عنها والله الحمد على السلامة والعافية ومن فوائده التاريخية ايضا ما ذكره في ترجمة ابن بطلان قال ان مشاهير الارباء في زمانهم وباه سنة ست واربعين واربعمائة فانه دفن في كنيسة لوقا بعد ان ابتليت جميع المدافن التي في القسطنطينية اربعة عشر الف نسمة في الخريف فلما توسط الصيف في سنة سبع واربعين لم يوف النيل ففات في الفساطط والشام اكثر اهلها وجميع الغرباء الا من شاء الله وانتقل الوباء من العراق فاقى على اكثر اهلها واستولى عليه الخراب بطرق المساك المتعادية واتصل ذلك بها الى سنة اربع وخمسين واربعمائة وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداوية واورام الطحال وتغير ترتيب نوايب الحيات واضطرب نظام البحارين قائم وتكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وريية ومضر وفارس وكرمان

وبلاد المغرب واليمن والنمسا والشم وأضربت احوال ملوك الارض وكثرت الحروب والفلاء والوباء

ومن فوائده الاجتماعية ما ذكر في ترجمة اسرائيل بن المايغوري ان الوزير الفتح ابن خاقان كان كثير العناية به فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختيشوع وعظم قدره وكان مقر ركب المدار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الامراء واجلاء القواد وبين يديه اصحاب المقارع . قلت ولعل اصحاب المقارع مثل الذين يشون امام عجلات الاعيان والامراء ومركباتهم في هذا القطر وهذه العادة من اشنع العادات التي اقبلتها الايام . كما انه كان يحمل بين يدي الكبراء مشاعل في الليل كما ذكره في ترجمة ابي الفرج بن توما ومن فوائده الادبية قوله : ذكروا ان الاصل كاتب في اسم جالينوس نالينوس ومعناه الساكن او الهادي وقيل ان ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل وقال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب الحاوي انه ينطق في اللغة اليونانية ان ينطق بالجم غينا وكافا فيقال مثلاً جالينوس وغالينوس وكالينوس وكل ذلك جائز وقد جعل الانغ واللام لاما مشددة فيكون ذلك اسم في اليونانية اقول وهذه فائدة تتعلق بهذا المعنى وهي حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد انكردي قال حدثني ابنا غاثون المطران بشوك وكان اعلم اهل زمانه بعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية ان في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة من اسماء الناس وغيرهم فأخراها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطو طاليس وديوجانس واريسايوس وغير ذلك وكذلك مثل قولهم قاطيفوريس وبارينياس ومث اسطوخودس وانائاس فان السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة مثل قولك زيد وعمرو وخالد وبكر وكتاب وشجر فتكون التنوين التي تبين في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك اقول ويقع لي ان من الالفاظ التي في لغة اليونانيين وهي قلائل ما لا يكون في آخره مثلاً سقراط وافلاطن وانائا ديون وانلوقن وامور وياغات وكذلك من غير اسماء الناس مثل اندلوطيقا ونيقوماخيا والريطورية ومثل جند يديستر وترياق فان هذه الاسماء تكون في لغة اليونانيين لا يحوز عندهم لتوبنها فتكون بلا سين وذلك مثل ما عندنا في لغة العرب ان من الاسماء ما لا ينون وهي الاسماء التي لا تصرف مثل اسماعيل وابراهيم واحمد ومساجد ودنانير فتكون هذه كذلك اه

اما فوائده الكتاب الطبية فكثيرة جداً فمنها ما رواه عن جالينوس ان كل بيت لا تدخله الشمس يكون ربيعاً وهو مثل قول الفريسي في امثلهم حيث لا تدخل الشمس

يدخل الطيب . وما ذكره ابن بحر في كتاب المقدمات صفة تجميد الماء في غير وقته زعم انه اذا اخذ من الشب الرطبي الجيد رطلا ويسحق جيدا ويحبل في قدر فخار جديدة ويلقى عليه ستة ارطال ماء صاف ويحبل في ثنور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان وبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص فانه يشتد ثم يرفع في قينة ويدد رأسها جيدا فاذا اردت العمل به اخذت ثلثة جديدة وفيها ماء صاف واجعل في الماء عشرة مثاقيل من الماء المعمول بالشب ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلثا وكذلك ايضا زعم بعض المنارة في صنعة تجميد الماء في الصيف قال : احمد بن بزر الكتان فانقمه في خل خمر جيد ثقيف فاذا حمد فيه فالفه في جرة وجب له ماء قال فانه يجمد ما كان فيه من الماء ولو انه في حزين او غمز

بقي في الكتاب كثير من النكات المنحكة ننقل بعضها للاحماض وترويحاً للنفس فما رواه يوحنا بن ماسويه العاذ العالبي المشهور وكان فكها ذا دعابة وضرف قال : شكنا اليه رجل جرباً قد اغمر به فامره بغسل الاكل من بده اليمنى فاعلمه انه قد فعل فامره بغسل الاكل ايضا من بده اليسرى ان ذكر انه قد فعل فامره بشرب المطبوخ فقال قد فعلت فامره بشرب الاسطوخودوس فاعلمه انه قد فعل فامره بشرب ماء الجبن اسبوفا وشرب مخيض البقر اسبوفا فاعلمه انه قد فعل فقال له لم يبق شيء مما امر به المتطببون الا وقد ذكرت انك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيتاه يعمل على التجربة كثيرا فاستعمله فاني ارجو ان ينفع علاجك ان شاء الله فسا له ما هو فقال ابع زوجي فرائيس وقطعهما رقاعا صغارا واكتب في كل رقعة رحم الله من دعا ليتلى بالعافية والتي صفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام والنصف الاخر في المسجد الغربي وقرأها في المجالس يوم الجمعة فاني ارجو ان يفعلك الله بالدعاء اذ لم ينفعك بالعلاج

وطى الجلة بالكتاب مادة واسعة في علوم الحضارة فنشكر لناشره العالم الالماني الذي سمي نفسه امراً القيس الطعان وهذا الاسم ترجمة اسمه الحقيقي ما كس مولر فقد ضمه في مصر وصححه على عدة نسخ واهبات صحيحة والحقه بفهرس الاعلام بحيث جاء مفيداً يكاد يغلط لا يذكر وبذل وقته وماله فيه حتى تقع العلم والادب وجلا كثيرا من الحقائق التي كانت مستورة وهاقد اخذ الالمان اليوم يتجهون الى لغتهم وسيتم طبعه قريباً واني لاوصي كل طالب علم وعاشق معرفة ان يقتنيه فهو من الكتب التي لا يلقى بمنفعة ان تكون خالية من نسخة منه باخذ كل مطالع منها ما يفلب عليه دع عنك ما هنالك من تاريخ بلقيع كل حين فكراً جديداً ولو كان في موضوع هذا المصنف المفيد مئة كتاب من امهات كتبنا جميلة الطبع والوضع لمدت العربية في التاريخ والسيرة اغنى لغات العصر .

## سير العلم والاجتماع

### تربية الحواس

لم يمن علماء التربية حتى الآن بأن يجعلوا من جملة موادها تربية الحواس ولا يمتحن الولد في المدارس الابتدائية كيف يصبر ويسمع ويلس ويشم ويميز الطعوم فيأقي الطفل من ذلك ما يروقه ويكون الجهل من هذا القبيل عاماً . فقد يصبر المبهزون بدون عيب فيسبون البصر وليس غير العادة من قاعدة للمشمومات والمطعمومات ولا يعرف الناس استعمال اصابعهم لتمييز الاشياء بمجرد لمسها . وقد عني الاستاذ المرغاس من اعضاء المجمع العلمي السيشوني في اميركا منذ بضع سنين بتلافي هذا النقص في تربية اخواس فوضع طريقة جربها في اولاده البنين منهم والبنات فجمع الى تمرين الحواس تهذيب العقل وهو ممر الحواس بل المركز العام لكل باصرة وسامعة ولاسة واخذ يعلم الاطفال على الفكر بسرعة وان يستقدموا كل حاسة بسرعة فربى خلايا الدماغ واول ما كان يعلم الطفل التمييز بين الالوان فانه استعمل لذلك أطراً متنوعة الالوان واطراً من الوان واحدة تختلف بعض الشيء ويكرر من هذه الأطر نحو ثلاثين الف لون على نظر الطفل يعلمه التمييز بين الوانها باختيارها بحيث تربي فيه ملكة النظر فلا يرتكب خطأ بعد في التمييز بينها .

وبدأ بتعليم الطفل تمييز الالوان وهو في الثانية او الثالثة عند ما يأخذ يتكلم وينتهي من التعلم في السابعة او الثامنة . وفي الرابعة من عمره تربي فيه ملكة السمع بواسطة آلة الاستماع التي تحقق الاصوات وتقيها الارتجاجات ولتقوية العقل يضعون بين ايدي الطفل العاكب علمية من فوخ خشبية مثقوبة ثقوباً كثيرة يدخل فيها مسامير مختلفة الحجم على اسرع ما يكون فيتربي بصره على التمييز في الحال بين المسامير الصالح للثقب الذي يريد ان يثقبه يده ثنتاؤه يده بسرعة وتدخله في محله . وهناك لعبة الخاتم وهي عبارة عن هدف تقبل فيه كلابات فيقفى على الولد ان يرمي بالحوام بحيث تعلق في انكلاية الخاصة بها . وقد ذكر الاستاذ غراتس بان قوة العضلات يمكن اتقاصها وزيادتها بزيادة الحرارة والبرودة سيفي الاعضاء بل بواسطة الميهايات كالشاي والقهوة وذكر ان الصباح خير الاوقات للرياضة العضلية بعد ان يكون الانسان استوفى حظه من نوم الليل وانه لا بد من ان يعقب تلك الرياضة شيء من الراحة . وقد اخذت هذه الطريقة تسري في الولايات المتحدة واخذوا هناك يزمدين في انواع الرياضات القليلة الجدوى ليستعوضوا عنها بتربية الحواس والقوة فكانت النتيجة بالهرة



### الاستقامة في الخط

تألفت في باريز جمعية من كبار العلماء والاطباء تدعو الناس الى تعليم اولادهم الخط وم على وضعة مستقيمة في اجسامهم لان اعوجاج الجسم وانحناءه مضران بصحة الكتابين وم يرون ان يلاحظ الولد الذي يكتب وهو مغمض مستنداً على طرف واحد وذراعه اليسرى بعيدة وذراعه اليمنى قريبة ملصوقة بالجسد ورجله اليسرى موضوعة امام اليمنى . فبدلاً من ان يحمل ثقل الجسد على طرفي الانسان ينزل على الذراع وحق القفص الايسر واذ كانت سلسلة الظهر سريعة المطب في الطفل لا تلبث ان تخرج عن اتجاهها الا فتي فتتولى وتضي ويصيب الفقرات التواء ويقع اليسار من الصدر على طرف المنقصة فيضغط على الرئتين فينوله من ذلك تشويه في الاعضاء وقص الصدر . وبهذا الوضع المائل يفسط الرأس الى الانحناء الى اليسار والى الامام وتغزب العينان من الورق فيضعف البصر فالخط باحناء الجسم يورث انحراف سلسلة الفقار والحسر ( ضعف البصر ) . اما الخط يجعل الجسم مستقيماً والورق امام الكاتب مستقيماً فتستقيم به بالطبع وضعة الجسم والرأس وسلسلة الفقار ولا ينشأ عن ذلك ضيق ولا انحراف ولا عائق يضر بالصدر . وقد كاد هذا الرأي يعم الاساندة وانحياز والعتناع ولذلك قامت هذه الجمعية تدعو الى تعليم الكتابة والاجسام مستقيمة . والاستقامة شرط في كل شيء لا في الكتابة فقط

### فائدة الدموع

ادعى احد الاطباء ان ارسال العبرات مفيد لصحة الباك في فكتب احد مشاهيرهم مقالة في تأييد رأي صاحبه قل فيها : ان الدموع تجري في حالتين متناقضتين الحزن الشديد والفرح العظيم في الحزن يصعب صراخ وعويل وفي السرور يشفعها ضحك وقهقهة واذا نظرتنا في طبيعة الانسان الضاحك وطبيعة الباك في يحل لنا كيف نضحك ويكي من عمل واحد . ليس الضحك الشديد من حيث النظر الفسيولوجي الا تأثيراً وجهداً في حالتي الجهد والضحك تنقبض الاعصاب فطبق لكمة الخنجر ثم تخفض الحجاب الحاجز وتقف حركة الاعصاب التي يكون من تحريكها تحريك الترقوة ثم يزيد الضحك كثيراً فتستمين بتحريك اعصاب اخرى فتشتي سوقنا وانفاذاً ونكتك بارجلنا الارض

و يتخلل التنفس شيء من الوقوف ولكنه لا يزيل حالة الاغواء التي تحدث في الضاحك ويكثرك ان نظرا الى عروق جبهته كيف تنتفخ وال شفيعه كيف تنكم الى وجهه كيف يحمر لتدرك الانتفاض الشديد الذي يصيب دماغه وعند ما تنقبض الوداج الخارجة

بكثرة الضحك وينقلب الدم من الودج الاصلي الى الودج الداخلي ويتراكم على الدماغ فيطفح هذا بالدم الذي لا يجري بما يحول دونه ودون التنفس وينفجر بما يدفق الدم الشرابي الواصل اليه وبواسطة عصب البصر الواقع بين الودجين يتجه الدم نحو الدماغ . من جهة العيون ويحقق المنقحات والغدد الدمعية وعندئذ تفيض الدموع بتواتر الدم على تلك الصورة . بمعنى ان الغدد الدمعية تحيل الدم الذي ينال عليها الى دموع لان تركيب الدموع كتركيب الجزء السائل من الدم . وفي تلك الحال يؤثر جريان الدمع في الدماغ المحقق سراً . فصد ايضاً يفعل دماغ الضاحك الذي يوشك ان ينفي عليه بما يتواتر اليه من الدم . والدموع نافعة في حالة الحزن ولكن عملها في تلك الحالة مخالف لعملها في حالة السرور فان كان الدماغ يعيق في حالة الضحك فانه يقل دمه في حالة الحزن فجريان الدموع على صورة فصد لا يزيد الدم الا فقراً في المراكز العصبية ولكن هذا العفر في الدم ينتج ضرراً من ضرور الديات في الدماغ ونوعاً من الكسل الطبيعي وقلة المبالاة والاحاسيس في الدماغ فيقل بذلك التأثير من الحجاب او الالم . وقلة الاحاساس هذه في تخفيف ما احسب المرء اشبه بخدر صناعي كالكاوروفورم والاثيروالالكحول فيضيق الحزن في المبررات كما يضع في الالكحول . ومن العجيب ان التقليل الذي تقطبه عند ما تبكي يحدث من انقباض الاعصاب الذي تفعل فعلها في الغدد الدمعية والشرابين البصرية وجميع اعصاب الجفون والاهداب وغيرها اذا انقبضت تؤثر في الغدد الدمعية وهكذا كانت الدموع فرجاً للحزن كما هي فرج للطفل وسلامة دماغه فهو لما نه اخدر واحسن مداوي من الاضطرابات كما يرى في النساء ايضاً وهن لا يقلن عن الاطفال بتأثراتهن .

## مكتبة الاسكندرية

لما ظهر « الكتاب » الذي تكميلاً عليه في فصلين خاضعين . صفحة ٢٧٦ و ٤٥٧ ) من مقبض هذه السنة أجبنا به وبما ظهر من انصاف مؤلفه في كلامه على حريق مكتبة الاسكندرية الذي نسب بعضهم زوراً لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإدركنا الى كتابة كلمات للمؤلف العالم نشره له حسن صنيعه فجاءنا منه الكتاب الآتي نشره بحمائه نعمة لهذا البحث الذي خبط فيه بعضهم تقليداً وبعضهم تعدياً قال حفظه الله :

Paris, le 14 Août 1908

Monsieur .

J'ai été très touché de votre lettre, des sentiments de sympathie que vous m'exprimez, et des éloges que vous voulez bien donner, dans cette lettre ainsi que dans votre revue, à mon ouvrage le Livre. Soyez bien persuadé que ces éloges sont pour moi la meilleure récompense de mon travail, et le plus précieux encouragement que je pusse recevoir.

L'erreur historique relative à Omar et à la bibliothèque que d'Alexandrie, erreur qui a régné si longtemps, tend de plus en plus à disparaître. Je suis heureux, pour ma part, d'avoir eu occasion d'aider à combattre cette erreur, et d'attester, en donnant les preuves que j'ai pu recueillir, ce que je crois être la vérité.

Veuillez etc.

Signé :  
Albert Cim

وهذا تعريبه

باري في ١٤ اغسطس ١٩٠٨

سيدي

كان لما اظهرتموه في كتابكم وايديتهم من عواطف وذك موقع كبير من نفسي على نحو ما كان لما فضلتم به علي في رسالتكم ومجلتكم من الثناء على تأليفي « الكتاب » فتقوا كل التفة من اني اعد هذا المديح احسن مكافأة على عملي وانغلي باعث على التشييط الذي اناطاك الى قلبه .

لشد ما استعجم اليوم التاريخي زمنا بشأن عمرو مكتبة الاسكندرية وما هو آخذ بالاضمحلال . اما انا فقد اغتبطت بما سخر لي من الفرصة فكنت . العاملين على مكافئة هذا اليوم واثبت بالبراهين التي وصلت يدي اليها ما اعتقدت انه هو الحقيقة .

التوقيع

البرسيم

وتفضلوا الخ

# المقبر

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث

ذي الحجة سنة ١٣٢٦ موافق يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٩

## الحافظة والحفاظ

اي نعمة بذلها المرء اعظم من ان تمي ذاكرته كل ماتريد وعيه وتدخره الى ساعته حاجة للانتفاع به . الحافظة من العوامل المؤثرة في ترقية الافراد والجماعات وبدونها يصعب الوصول الى ادراك الحقائق وتحيصها لانا اذا لم نؤمن في كل مطلب من مطالب الحياة بتجارب من سبقونا ونحفظ المأثور عنهم لنستج على منواله كنا اشبه بمن يريد ان يني له كل يوم : وظلت العلوم والصناعات والاداب في طفولتها الاولى تجري على نظام مضطرب اذ يكون كمر . ري وما يختار

والذاكره : والحافظة حاسة يحفظ بها الثمن على صورة دائمة أموراً مضت وتأثرات وقعت فهي بذلك كما قال مونتين الفيلسوف (١٥٣٣ - ١٥٩٢) وعنه العلم وصواب الحكمة . وقال لاروشفوكولد الكاتب (١٦١٥ - ١٦٨٠) جميع الناس يشكون من حافظتهم وما قط شكاً احد من عقله . وقال آخر : ان الذكاء بدون حافظة اشد بفريال لا يكاد يمسك ما تضعه فيه . وقال احدم : الحافظة واسطة من وسائط التكال وبدونها لا يستطيع امرؤ ان يقلد شيئاً وينسج على منواله . وقال كورنيل الشاعر : يجب لمن يعتمد الكذب ان يكون ذا ذاكرة جيدة . وهذا مثل قولم اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً . وقال يكتنه الاديب السويسري (١٧٩٩ - ١٨٢٥) : لقد كان للحافظة شأن مهم جداً عند الناس في العصور الاولى أكثر مما صار لها في القرون اللاحقة . كانت الحافظة قبل اختراع الكتابة هي التي تتولى خاصة نقل التقاليد الوطنية والدينية وعامة القوانين والعادات والشعر . ولذلك كانت هذه الحاسة التي قلما تفعل الآن بأمرها عند قدماء الاربيين مشابة للفكر نفسه

اختلفت مذاهب الفلاسفة فيما اذا كانت الحافظة حاسة قائمة بذاتها او فيما اذا كان لكل حاسة فينا ذاكرة معينة ومعظم الحكماء وعلماء النفس على ان الحافظة حاسة مستقلة عن بقية حواس الانسان ولا يكاد احد يدرك كيف تمي الحافظة الارقام والاعداد وتحفظ العبارات والمفردات وتحكم اللغات والفجيات وتردد الالخان والاصوات . ويقول علماء النفس ان الشروط النفسية اللازمة لجودة الذهن متوقفة على جودة تركيب اشججة الدماغ وحسن تغذية هذه الانسجة . والسبب والشيجة من العوامل المؤثرة في ضعف الحافظة لانهما ملازمان لضعف تغذية الانسجة ولذلك قالوا ان درجة الحافظة لا تختلف بحسب الاشخاص بل تختلف في الشخص الواحد في ادوار مختلفة من حياته واذا صرفنا النظر عن الآفات العضوية التي نعرشها فان هناك ايضا احوالا اقل منها تزيدها ضعفا الى ضعفها مثل اضطرابات المعدة وسوء المزاج والشقيقة فان جميع هذه العوارض على الجسم تغيرها تغييرا محسوسا

ولتركيب الدماغ وحالته تأثير ظاهر في الحافظة فقد ذكر بلين العائبي الروماني ان رجلا نسي حتى رسائله بعد ان اصاب بشجة في رأسه . وزعم البابا كليمان السادس ان حافظته قوية لوه عجيبة عقب ان اصاب برضة شديدة في دماغه . وكيف كانت الحال ففترين يد طول في تخصيص الحافظة بشيء معين فالمثلون تقوى فيهم الملكة الحافظة الشفاهية وهي من الوازم لهم في صناعتهم ورجال الشرطة تقوى فيهم الحافظة في تذكر صور الاشخاص وليس البشر كلهم سواء في الحفظ والاستظهار ففهم من يحفظون الاشكال الهندسية وهم الذين خلقوا رياضيي بالقطرة ومنهم من يركزون حافظه قوية في الانعام كالومسقيين . وغيرهم في غير ذلك . ومن الناس من يذكرون الكلمات بسرعة غريبة ومن الاطفال من تقوا لهم بصوت طال عدة صفحات فيستظهرونها في الحال ويتلون على مسامعك لاول مرة . وتذكر الالفاظ خاصة يمتاز بها الاولاد في العادة اكثر من الكبار في السن ممن لا تكون قوية فيهم حاسة التفكير فيحفظون الكلمات التي يسمعونها على اسروجه بدون ان يفهموها والسبب في سهولة الحفظ عليهم فقدان قوة التفكير فيهم وعند ما يبدأ التفكير في معظم الناس تضعف الحافظة فيهم وقد تزل من بعضهم . والحافظة الشفاهية اذا كانت هي وحدها في الانسان لا تكون له سبيلا الى التفكير ومن فقد الاولى فلا يأسف لحاله لانه يستطيع بقوة التفكير ان يأتي بالجيد من الافكار ولكن الحافظة وحدها قد تكون من اكبر العوائق عن جودة التصور

وبعد فان الحافظة شأن عظيم في ترقية الفكر الانساني وبدونها يكون كل شيء عقبا لا ثمرة له لانها واسطة لبقاء الافكار التي صدرت واحسن ذريعة للحصول على افكار جديدة

ولم يعرف القانون الذي تسميه عليه كما ان جوهرها لم يدرك اباحثون حقيقته وغاية ما عرف من امرها انها تقوى بالانبياء والتمرن كما تقدم وان الكل ابن الترف والكل يحس الحافظة ان لم تقل يقتلها

ذكر التاريخ كثيرين من ارباب الحافظة النادرة فمنهم في القديس ميثر يدانس الكبير ملك شمالي غربي آسيا الصغرى (١٢٣-٦٣ ق.م) فقد كان يحكم على اثنين وعشرين امة مختلفة ويخطب امام كل منها بلفتها ويدعو كل واحد من جنده باسمه . وذكروا مثلاً ذلك عن قورش ملك الفرس ونيومسقلس وسيبيون الاسياوي والامبراطور اديريان وبدا ان مزية الحافظة هيأت لاونون الروماني تولى الملك . وتعلم نيومسقلس اللغة الفارسية في سنة وكان ليس الغوي الاديب البليجي (١٥٤٧-١٦٠٦) يحفظ تاريخ تاسيت المؤرخ اللاتيني بالفاظه حرفاً بحرف وقد قال انه يريد ان يتف جلا د ويده سيف على رأسه وهو ينل هذا التاريخ فاذا اخل بحرف واحد يضرب عنقه

وكان لربنودي بون حافظة سميدة يذكر جميع الايات اللاتينية واليونانية التي قرأها في صباه ويتلو صفحات برمتها من ديوان هوميروس وان كان مضى عليه اربعون سنة وهو لم ينظر فيه نظرة واحدة . وكان هوج دونو الفقيه المشهور في القرن السادس عشر ينظر في القوانين المعروفة في عصره بالحرف الواحد . وحفظ يوسف سكاليجي الاديب (١٥٤٠-١٦٠٩) الاياداة والاذينية في احد وعشرين يوماً . ومن الطف ما يروى في باب الحافظة ان احد الفلاحين في فرنسا جاء الى باريز يقصد صاحباً قديماً له كان اسلاف منه خمسة فرنكات منذ خمس عشرة وطلب اليه ان ينقده ماله قبله فتركه صاحبه وعاد فدفع اليه ليرة واحدة وخمسة فرنكات وقال له: هذا يا صاح فقد كنت نلت وانا في المدرسة ليرة جائزة عن حافظتي فأرأيتك احدي مني ذاكرة وانتك احق بهذه الجائزة مني

\*\*\*

ليس في الدنيا خير محض فقد اخترعت الطباعة منذ نحو خمسمائة سنة فم نفعها اهل الارض كافة ولكن ما عمت ان تفي عنها بعض شرذ اصبح الناس يعتمدون على الكتب في جماع علومهم وآدابهم بعد ان كان جل اعتمادهم على محفوظاتهم وخطوطاتهم . والغالب ان الاعتماد على الحافظة والحفاظ كان في الاسلام على اشده قبل تدوين الكتب وتأليف الرسائل والمصنفات ولما بلغ بعض الائمة تدوين الكتب انما عودوا وعوده من دواعي تفهيم العلم واتقطاع سند الرواية وما زالت الحال ترتقي بعض الشيء في بعض الاعوام ثم يزهد في الحفظ حتى انتشرت الطباعة في بلادنا بانتشار الصناعات الفكرية فامسى الناس يستندون

الى السطور بدل الصدور والقراطيس والاسفار بدل الحفظ والاستظهار . فضعفت بهذا الضعف الحافظة وان قويت المفكرة وقلت الرواية وان لم نقل الدراية .

انقطع سند الحفظ الا في بعض ما لا يسع الامة جهله من القرآن وتلاوه . ناخذ بعضهم يفتاتون على من عرفوا قديماً بسعة محفوظهم ويزيفون ولكن بدون رحمة ما رواه طائفة الراويين من انباء الاذكياء الحافظين . ولو صح الاعتماد على انباء الكلام على عواهنه في هذا الباب اذا لسط التاريخ وارفعت الثقة من كل خبر حتى من عجبي الرمل وحروب الملوك ودثور الشعوب والمدن وما اليها . وما اشبه من يكذب باديء الرأي بلا دليل قاطع تين يؤثر المدم على البناء . وشتان بين المحرب والممر والمثلف والمخلف والمفسد والمعلم .

ما عنت امة بتدوين دينها وحفظه ولقتها وضوابطها عناية المسلمين بدينهم ولغتهم فكان من امر حفظة الكتاب العزيز ما اشتهر في كل عصر وعصر ولا يزال في البلاد اثر من آثار تلك العناية . اما الاحاديث فقد غنوا بها قديماً وجمعوا اشتاتها وبنوا عليها من موضوعها وضمينها من قويمها ما يدركه كل من كان له الملم بالمرجعة ونظر في كتب القوم . لم يكن العلم في القرون الاولى للاسلام بالارث ولا بالمظاهر ولا بالوامضات والشفاعات بل كان بالاشفاق وكدة القرائح بسير على قوانين بقيود وروابط ولذلك لم يكن ينال لقب حافظ من لم يحفظ أولئك من الاحاديث باسانيدها (١) فقد كانوا يطلقون اسم المستدلى من يروي الحديث باسناده سواء كان عنده علم به او ليس له الا مجرد رواية ويطلقون اسم المحدث على من كان ارفع منه والعالم على من يعلم المتن والاسناد جميعاً والفقهاء على من يعرف المتن ولا يعرف الاسناد والحافظ على من يعرف الاسناد ولا يعرف المتن والراوي على من يعرف المتن ولا يعرف الاسناد . وكان السلف يطلقون المحدث والحافظ بمعنى . والمحدث من عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال والاهالي والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتن وسمع الكتب الستة ومسند احمد بن حنبل وسنن البيهقي ومجمع الطبراني وضم الى هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثة هذا اقل درجاته فاذا جمع ما ذكر وكتب الطباق بدار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والمسانيد كان في اول درجات المحدثين . وكان السلف يستمعون فيقولون فيفسرون ويحفظون فيسمعون قال بعضهم

ان الذي يروي وتكلمه . يحفل ما يروي وما يكتب

كصخرة تنبع امورها . تقي الاراضي وهي لا تشرب

سألني الدين السبكي الحافظ جمال الدين المزي عن حد الحفظ الذي لذا انتهى اليه

الرجل جازله ان يطلق عليه الحافظ قال : يرجع الى اهل العرف قلت واين اهل العرف قليل جداً قال : اقل ما يكون ان يكون الرجال الذين يعرفهم ويعرف تراجمهم واحوالهم وبلدانهم اكثر من الذين لا يعرفهم ليكون الحكم للغالب قلت له : هذا عزيز في هذا الزمان ادر كنت انت احداً كذلك فقال : ما رأيتا مثل الشيخ شرف الدين الدماوي ثم قال : واين دقيق الصيد كان له في هذا مشاركة جيدة . قال فحق الدين بن سيد الناس واما المحدث في عصرنا فهو من اشتغل بالمحدث رواية ودراية وجمع رواية واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه غيبته فان توسع في ذلك حتى عرف شيوخه وشيخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من علل طبقة اكثر مما يحيط بها فهذا هو الحافظ واما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم كذا لنا عند صاحب حديث من لم يكتب عشرين الف حديث في الالة فذلك بحسب ازمنتهم .

وقال ابو زرعة الرازي : كان احمد بن حنبل يحفظ الف الف حديث قيل له وما يدريك قال : ذاكرته فاخذت عليه الابواب . وقال البخاري : احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح . وقال الحاكم في المدخل : كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة الف حديث سمعت ابا جعفر الرازي يقول سمعت ابا عبد الله بن وارة يقول كنت عند اسحق ابن ابراهيم بنيسابور فقال رجل من اهل العراق : سمعت احمد بن حنبل يقول سمع من الحديث سبع مائة الف وكسرو هذا الفى يعني ابا زرعة قد حفظ سبع مائة الف حديث . قال البيهقي : اراد ما سمع من الاحاديث واقاويل الصحابة والتابعين وقال غيره : مثل ابو زرعة عن رجل حلف بالطلاق ان ابا زرعة يحفظ مائتي الف حديث هل يحتمل قال لا . ثم قال احفظ مائة الف حديث كما يحفظ الانسان سورة قل هو الله احد وفي المذكرة ثلثة الف حديث وقال ابو بكر محمد بن عمر الرازي الحافظ : كان ابو زرعة يحفظ سبع مائة الف حديث وكان يحفظ مائة واربعين الف في التفسير والقرآن . وكان اسحق بن راهويه يلى سبعين الف حديث حفظا واستند ابن عدي عن ابن شبرمة عن الشعبي قال : ما كتبت سوادا في يضاء الى يومى هذا ولا حدثني رجل بمحدث قط الا حفظته فحدثت بهذا الحديث اسحق بن راهويه فقال : تعجب من هذا قلت : نعم قال : ما كنت لاسمع شيئا الا حفظته وكفى في النظر الى سبعين الف حديث او قال اكثر من سبعين الف حديث في كتبني . واستند عن ابي داود الخفاف قال : سمعت اسحق بن راهويه يقول : كأني انظر الى مائة الف حديث في كتابي وثلاثين الف اسردها . واستند الخطيب عن محمد بن يحيى بن خالد قال : سمعت اسحق بن راهويه يقول : اعرف



مكان مائة ألف حديث كأني انظر اليها واحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي واحفظ اربعة آلاف حديث ضرورة وقال عبدالله بن احمد بن حنبل قال ابي لداود بن عمرو الضبي وانا اسمع : كان يحدثكم اسماعيل بن عباس هذه الاحاديث بحفظه قال : نعم مارأيت معه كتاباً قط قال له : لقد كان حافظاً كم كان يحفظ قال شيئاً كثيراً قال : اكان يحفظ عشرة آلاف قال عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف قد كان ابي هذا كان مثل وكيع . وقال يزيد بن هرون احفظ خمسة وعشرين ألف حديث وقال الآجري : كان عبدالله بن معاذ العبدي يحفظ عشرة آلاف حديث

قال السبكي لم نر عينا احفظ من أبي الحجاج المزني وابي عبدالله الذهبي والوالد وغالب ظني ان المزني يفوقها في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كل منهم لصاحبه فيما يتميز به عليه المشاركة البالغة سمعت شيخنا الذهبي يقول : مارأيت أحداً في هذا الشأن احفظ من الامام أبي الحجاج المزني وبلغني عنه انه قال : مارأيت احفظ من اربعة : ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزني فالاول اعرفهم بالعلل وقته الحديث والثاني بالانساب والثالث بالمتون والرابع باسماء الرجال . وكان الدمياطي يقول : مارأى شيخنا احفظ من زكي الدين عبد العظيم وما رأى الزكي احفظ من ابي الحسن علي بن الفضل ولا رأى ابن الفضل احفظ من الحافظ عبد الغني ولا رأى عبد الغني احفظ من ابي موسى المديني الا ان يكون الحافظ ابا القاسم بن عساكر ولا رأى ابن عساكر والمديني احفظ من ابي القاسم اسماعيل بن محمد انتهى ولا رأى اسماعيل احفظ من ابي الفاضل محمد بن طاهر المقدسي ولا رأى ابن طاهر احفظ من ابي نصر بن ماکولا ولا رأى بن ماکولا احفظ من ابي بكر الخطيب ولا رأي الخطيب احفظ من ابي نعيم وابو نعيم مارأى احفظ من الدارقطني وابي عبدالله بن منده ومعها الحاكم وكان ابن منده يقول : مارأيت احفظ من ابي اسحاق بن حمزة الاصماني وقال ابن حمزة : مارأيت احفظ من ابي جعفر احمد بن يحيى بن زهير القشيري وقال : مارأيت احفظ من ابي زرعة الرازي واما الدارقطني فمارأى احفظ من نفسه واما الحاكم فمارأى احفظ من الدارقطني بل وكان يقول الحاكم مارأيت احفظ من ابي علي النيسابوري ومن ابي بكر ابن الجاني وما رأى الثلاثة احفظ من ابي العباس بن عقدة ولا رأى ابو علي النيسابوري مثل النسائي ولا رأى النسائي مثل اسحاق بن راهويه ولا رأى ابو زرعة احفظ من ابي بكر بن ابي شيبة وما رأى ابو علي النيسابوري مثل ابن خزيمة وما رأى ابن خزيمة مثل ابي عبدالله البخاري ولا رأى البخاري فيما ذكر مثل علي بن المديني ولا رأى ايضاً ابو زرعة والبخاري وابو حاتم وابوداود مثل احمد بن حنبل ولا مثل يحيى بن معين وابن راهويه ولا

رأى أحمد ورفاقه مثل يحيى بن سعيد، لقطان ولا رأى هو مثل سفيان ومالك وشعبة ولا رأوا مثل أيوب السخيتي نعم ولا رأى مالك مثل الزهري ولا رأى الزهري مثل ابن المسيب ولا رأى ابن المسيب أحفظ من أبي هريرة ولا رأى أيوب مثل ابن سيرين ولا رأى، مثل أبي هريرة نعم ولا رأى الثوري مثل منصور ولا رأى منصور مثل إبراهيم ولا رأى إبراهيم مثل علقمة ولا رأى علقمة كأمين مسعود

هذا كان مبلغ القوم في حفظ الحديث وروايته على كثرة التشابه فيه وتوفر الأسانيد والرواة بحيث لو أراد أحد لهذا العهد أن يحفظ شيئاً مما كانوا يحفظونه لاختار استظهار اللغة الصينية واستسلها أكثر وذلك لضعف الحافظة من هذا المعنى وانقطاع سند هذه العلوم الجالية الأقلية

كان الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون من أعيان حفاظ الإسلام قال ابن عساكر أنه أحفظ شيخ لقيه وشيوخ ابن عساكر زهاء ألف ومائتي شيخ وكان أفتقه أعلم الدين القمعي يحفظ ما يسمعه من مرة واحدة . وكان الشافعي من أحفظ أهل دهره قضى عشرين سنة في تعلم الأدب والتاريخ وقال ما ردت بهذا إلا الاستعانة على التقه ويروى أنه نظر في كتاب لابي حنيفة فأكان من الغد إلا أن غداً رآوياً له مستظهِراً آياه بمجملته . وابن دريد صاحب القصيدة من علماء اللغة كان آية من آيات الله في اتساع صدره للرواية نقرأ عليه دواء بن العرب فيسارع إلى إملائها من محفوظه

وقيل إن أحمد بن حنبل إمام المحدثين كان يحفظ ألف ألف حديث . قال سعيد بن جبير من أعلام التابعين قرأت القرآن في ركة في البيت الحرام وقال اسمعيل بن عبد الملك كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبدالله بن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وليلة بقراءة غيره هكذا أبداً ولا عجب وهو الذي قال فيه أحمد بن حنبل قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو منتقراً إلى علمه

وكان علي الرازي يقول من فهم هذا الكتاب (يعني الجامع الصغير لحمد) فهو من أصحابنا ومن حفظه كان أحفظ أصحابنا وإن المتقدمين من مشايخنا كانوا لا يقدرون أحداً القضاء حتى يتخوه فإن حفظه قلده القضاء والأمر به بالحفظ . وذكر صاحب فتح الطيب أنه كان خارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفيه مقصص تكون الفتيا في الأحكام والشرائع له وكان لا يحيل القائل منهم على رأسه إلا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث والمدونة

كان بديع الزمان الهمداني يحفظ خمسين بيتاً بسلام واحد وبوجهها من أولها إلى

آخرها وينظر في كتاب نظراً خفيفاً ويحفظ أوراقاً ويؤديها من اولها الى آخرها وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهداها عن ظهر قلبه هذا ويسردها مردداً وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها . وكان ابورياش احمد بن ابراهيم من رواة الادب يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة وعشرين الف بيت شعر الا ان اباحمد المقرئ يزع عليه لانها اجتماع اول ما تشاهد بالبدرة فتذاكرا اشعار الجاهلية وكان ابو محمد يذكر القصيدة فيأتي ابوزياش على عيونها فيقول ابو محمد الا ان نهذا من اولها الى آخرها فينشده معه ويتناشدان الى آخرها ثم اتى ابو محمد بعدة بقائد لم يتمكن ابوزياش ان يأتي بها الى آخرها وفعل ذلك في اكثر من مائة قصيدة حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما - قوله باقوت في جميع الاديان .

وكان الحفظ في كل فن شائعاً بين اهل الادب وطلاب العلم على اختلاف فسرو به عند العرب نلى نحو ما يتخصص تصفح سير رجالهم ولولم يكن استناداً لثلاثين في الاغلب الاعلى ما في لوح محفوظهم لما يسر لهم ان يؤلف احدهم عشرات من المجلدات يمجز العالم اليوم عن نسخها بل عن تصفحها فقد كان العرب قبل البعثة يروون قصائد شعرائهم وانما هي حديثهم كما يؤخذ من اجتماعهم في سوق عكاظ ومربد البصرة ولم تكن بضاعتهم من ذلك كثيرة لان امراء التكلام لم ينجخوا الا في الاسلام بظهور نور النبوة وفصاحة الكتاب العزيز . ولقد كان الراوية والنسابة ينشد عشرات بل مئات من القصائد كما يحفظ احداً لهذا العهد الايات القليلة غير متلهم ولا تتردد . خذ مثلاً ذلك حماد الراوية الخوف سنة ١٥٥ فقد كان على قلة بضاعته من العربية يروي المئات من القصائد للجاهليين والمختصرين كما يروي فاتحة الكتاب ويذكر اشعار العرب وابائهم وانسابهم ونسائهم كأنه يروي قصة وكانت ملوك بني امية يرجعون اليه في هذا المعنى ويحلونه منزلة عالية من التجارة والاكرام روى الوليد ابن يزيد الاموي قال له يوماً وقد حضر مجلسه : هم استجقت هذا الاسم فليل لك الراوية فقال : يا بني اروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لا أكثر منهم من تعرفت انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا يفتدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا يميزت القدم من الحديث فقال : ثم فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قل : كثير ولكفي انشدك على كل حرف من حروف البعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام قال سامعك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى خبر الوليد ثم وكل به من استحقه ان يصدق عنه ويستوفي عليه فانشده العين ونسجاة قصيدة للجاهلية وأخبر الوليد بذلك فامر له بجائة الف درهم ونوادره كثيرة

وكان الاصمعي المتوفى سنة ٢١٧ او قبلها صاحب لغة ونحو واماماً في اخبار العرب  
وملهم وغرائبهم قال عمر بن شبة : سمعت الاصمعي يقول : احفظ ستة عشر ألف أرجوزة  
وقال اسحق الموصلي : لم ار الاصمعي يدعي شيئاً من العلم فيكون احداً اعلم به منه وحضر  
يوماً عند الفضل بن الربيع هو وابو عبيدة معمر بن المثنى فقال له : كم كتابك في الخليل فقال  
الاصمعي مجلد واحد فسأل ابا عبيدة عن كتابه فقال : خمسون مجلدة فقال له : فإني هذا  
الفرس وامسك عضواً عضواً منه وصممه فقال : لست بيطاراً وانما هذا شيء اخذته  
عن العرب فقال للاصمعي : فوافض انت ذلك فقام الاصمعي وامسك ذاصيته وشرع يذبحها  
عضواً ويضع يديه عليه واتشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغ منه قال : ابو حمدون العلي بن  
اسماعيل شهدت ابن ابي العتاهية وقد كتب عن ابي محمد اليزيدي فربما كان الفجل عن ابي عمرو  
بن العلاء خاصة ويكون ذلك نحو عشرة آلاف ورقة لان تقدير الجلد عشر وروقات .

قال ابونواس : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منه اختصاراً وليت فإني  
ظنك بالرجال . قلت ولذلك جاء شعر ابي نواس احسن شعر المولدين كما شهد له بذلك  
اصحاب الشأن في هذه الصناعة وفي مقدمتهم الجاحظ الذي فضل شعره علي شعر العرب  
العرباء قال اسمعيل بن نويج : ما رأيت قط اوسع علماً من ابي نواس ولا احفظ منه مع قلة  
كتبه ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له الا قطراً فيه جوازاً مشتمل على غريب ونحو  
قال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب دخل ابو عمرو اسحق بن مراد الشيباني البادية  
ومعه دسيتين من حبر فما خرج حتى افناها بكتب سماه عن العرب وكان ابو عمرو عالماً  
بابام العرب جلمة شعارها ويروي عن عمرو بن ابي عمرو قال : لما جمع ابي اشعار العرب  
كانت نيفاً وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة واخرجها الى الناس كتب مصحفاً بخطه  
ويحكى انه اخذ عن الفضل الضبي ودواوين العرب وصممها منه ابو حيان وابنه عمرو بن  
ابي عمرو وحكى ابو العباس قال كان مع ابي عمرو الشيباني من العلم والسماح اضعاف ما كان  
مع ابي عبيدة ولم يكن من اهل البصرة مثل ابي عبيدة في السماح والعلم قال سلمة : املى الفراء  
كتبه كلها حفظاً لم يأخذ يده نسخة الا في كتابين ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف  
ورقة وكان مقدار الكتابين خمسين ورقة . ويقال ان الاصمعي كان يحفظ ثلث اللغة  
وكان الخليل يحفظ نصف اللغة وكان ابو زيد يحفظ الثلثين وكان ابو مالك يحفظ اللغة كلها  
وكان الثعالبي علي ابي مالك حفظ الغريب والثرادر . وكان ابن الاعرابي احفظ الناس اللغات  
والايام والانساب وقال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب : قال لي ابن الاعرابي : املت قبل  
ان تجيئي يا احمد حمل حمل وقال ثعلب : انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الاعرابي وقال

ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول في كلمة رواها الاصمعي سمعت من الف اعرابي خلاف ما قاله الاصمعي .

وكان قتادة عالماً نحريراً واجم الناس في اشعار العرب وانسابهم قال ابو عبيدة : ما كنا نقتدي بكل يوم اكبنا من ناحية بني امية نبيح على باب قتادة فيسأله عن خبر او نسب او شعر وكان من انساب الناس . وكان ابن الكلابي النسابة واسع الرواية ومن اعلم الناس بالنسب وكان من الحفاظ المشاهير قال : حفظت ما لم يحفظه احد ونسيت ما لم ينس احد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتاً وحلفت ان لا اخرج منه حتى احفظ القرآن فحفظته في ثلاثة ايام ونصائفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفاً وتوفي سنة ٢٠٤ .

وكان ابو عبيدة ممر بن المثنى من اعلم الناس بايام العرب واخبارهم واشعارهم قال الجاحظ : لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي اعلم بجميع العلوم منه ومع انه كان يلحن ويخطي اذا قرأ القرآن واذا انشد بيتاً لا يقيم وزنه واذا تحدث او قرأ لحن اعتاداً منه لذلك فقد صنف قرابة مائة مصنف وكان يرى رأي الخوارج ولذلك كثر الطاعنون في نسبه ومشربه ومذهبه وتوفي سنة ٢٠٩ .

كان ابو المحاسن الروياني المتوفى سنة ٥٠٢ من رؤوس الافاضل في ايامه يقول لو احترقت كتب الشافعي لامليتها من خاطري . وقال ابو بكر الهوي : لما قدم الحسن بن سهل المراق قال : احب ان اجمع قوماً من اهل الادب فاحضر ابا عبيدة والاصمعي ونصر ابن علي الجبهي وحضرت معهم وافقت مرة في ذكر الخلفاء فذكرنا الزهري وقتادة ومررنا فالتفت ابو عبيدة فقال : ما الغرض ايها الامير في ذكر من مضى وبالحفصة ههنا من يقول ما قرأ كتاباً قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء ؟ فخرج عنه فالتفت الاصمعي وقال : انما يريدني بهذا القول ايها الامير والاسر في ذلك على ما حكى وانا اقرب اليك قد نظر الامير فيما نظرفيه من الرقاق - وكان نظرفيل ان يلتفت اليهم في رقاق بين يديه للناس في حاجتهم فوقع عليها فكانت خمسين رقعة -- وانا اعيد ما فيها وما وقع به الامير على رقعة رقعة قال فارو واحضرت الرقاق قال : الاصمعي سأل صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مرفي نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصرين علي فقال : ايها الرجل ابق على نفسك من العين فكلف الاصمعي .

ومالي وتعداد الاسماء على هذا النحو فكتب القوم طائفة بها وانما يكني منها التمثيل والقليل ينفي . ولما نال ان هذا القدر من الحفظ كان بعضه شائناً في القرنين الاولين والقرن الثلاثة وقد بالغ فيه الرواة حتى اتصل بنا على هذه الصورة وما حجت في نقض هذا الاوتوع

امثال امثاله في كتب اهل القرون المتأخرة مما تواطأ التفات على نقله ونحزروا في اثباته .  
ولقد كان الغرب في هذه المزية كالشرق اذ قد هذا الماربة في حضارتهم وعلمهم حذو  
المشاركة . فقد كان ابن عبدون احد فحول شمراد الاوندلس وكتابتها مستكثراً من الحفظ  
قال الوزير ابو بكر بن زهر : بينانا قاعد في دهلج دارنا وعندى رجل شيخ امرته ان يكتب  
لي كتاب الاغانى فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها فقلت له : أين الاصل الذي كتبت  
عنه لا قابل معك به قل : ما اتيت به ممي فيينا انا معه في ذلك اذ دخل رجل بذر الميثة  
عليه ثياب غليظة اكثرها صوف وعلى رأسه عمامة قد لاشيا من غير الثقان وقال : يا ابن  
استاذن لي على الوزير ابي مروان فقلت له : هو نائم . هذا بعد ان تكلفت جوابه غاية  
التكلف حملني على ذلك نزوة الصبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل ثم حكيت من ساعة  
وقال : ما هذا الكتاب الذي بايديكما فقلت له : ما سؤالك عنه فقال : احب ان اعرف اسمه  
فاني كنت اعرف اسماء الكتب فقلت : هو كتاب الاغانى فقال : الى اين بلغ الكتاب منه  
قلت : بلغ موضع كذا وجمعت اتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قلبه فقال :  
وما لكاتبك لا يكتب قلت : طلبت منه الاصل الذي يكتب منه لا لارض به هذه الاوراق  
فقال : لم اجمي . به ممي فقال : يا بني خذ كراريسك وعارض قلت : باذا وأين الاصل قال :  
كنت احفظ هذا الكتاب في مدة صباهي قال : فقبضت من قوله فلما رأى لبسمي قال  
يا بني امك تلي قال : فامسكت عليه وجعل يقرأ فوافقه ان اخطأ واو لا فاء ، قرا هكذا  
نحواً من كراسين ثم اخذت له في وسط السفر وآخره فرأيت حفته في ذلك كله - واه - فاشتد  
عجبى وقت مسعاً حتى دخلت على ابي فاخبرته بالخبر ووصفت له الرجل فقال كم هو من  
فوره وكان ملتفاً يرداه ليس عليه قميص وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لا يرفق عى  
نفسه وانا بين يديه ويقول : يا مولاي اغدري فوافقه ما اعلمني هذا الخلف الا الساعة وجعل  
يسبني والرجل يحفض عليه ويقول : ما عرفني واني يقول : هبه ما عرفك فاعذره في حسن  
الادب . ثم ادخله الدار واكرم بمجاسه وخلا به فحدثني طويلاً ثم خرج الرجل واني بين  
يديه حافياً حتى بلغ الباب وامر بدابته التي يركبها فاسرجت وحلف عليه ليكرهها ثم لا يرجع  
اليه ابداً فلما تفصل قلت لابي : من هذا الرجل الذي عظمت هذا التعظيم قال لي : اسكت  
ويحك هذا ادب الاوندلس وامامها وسدها في علم الآداب هذا ابو محمد عبد المجيد بن  
عبدون ' ليس بمخوضاته كتاب الاغانى - واما المراكشي

و روى أيضاً قصة تشبهها قال انه لزم ابا جعفر الحميري آخر من انتهى اليه علم الآداب  
بالاوندلس الشوف سنة ٦١٠ نحواً من سنتين فلما رأيت اروى بزم قديم ولا حديث ولا

اذكر بحكاية لمخلق بادب او مثل سائر اويت نادر او حجة مستحسنة منه امر. جبه من مشايخ الاندلس فاخذ عنهم علم الحديث والقرآن والآداب واعانه على ذلك طول عمره وصدق محبته وقراء شغفه بالعلم قال في ولده عصام وقد رايت عنده نسخة من شعر ابي الطيب فرثت علي او اكثرها فاميتها شديدة الصحة فقلت له : لقد كتبتها من اصل صحيح وتحزرت في نقلها فقال لي : ما يمكن ان يكون في الدنيا اصل اصح من الاصل الذي كتبت منه فقلت له : اين هو فقلت له : عن عيذك فعلت انه يريد الشيخ فقلت : ما على يدي الا الاستاذ فقال لي : هو امي وباملائه كتبت كان يلي علي من حفظه فجاءت اتعجب فسمع الاستاذ حديثنا فانفتحت لنا وقال : فيم انتما ذاك خبره ولده الطبر : رأى تعجبني قال : بعيداً ان تغفوا يجب احدهم من حفظ ديوان المتنبي والله لقد ادركت واما لا يبدون من حفظ كتاب سيويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً

ومن نظرياً اُتْرعن الاندلسيين وحدهم من هذا القبيل يكذب اوراقاً كثيرة وكنت قرأت في الاستقصاء من جملة من غرق مع السلطان الي الحسن لما قصد المغرب في البحر باسطوله الفريق وكان مؤلفاً من نحو سبائة قطعة مع من غرق من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف ابو عبد الله محمد بن الصباغ المكنى امي الذي امل في مجلس درسه بكناسة على حديث يا ابا عمير ما فعل النضر اربعة ايام فائدة .

وقيل ان هدر الدين بن الركيل ويعرف عند المصريين بابن الرجل من ائمة الشافعية حفظ القصص في مائة يوم ويوم والمقامات الحريرية في خمسين يوماً وديوان المتنبي على اقل في جمعة واحدة

وذكر القرطبي عن حكايات اهل الاندلس في الحفظ ان الاديب الواحد حافظ اشبيلية بل الاندلس في عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابي غالب كان اعجوبة دهره في الرواية للاشعار والابحار قال ابن سمي : اخبرني من اثنى به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فخرى ذكر حفظه وكان ذلك في اول الليل فقال لهم : ان شئتم فخبروني اسبئكم فقالوا له : سمع الله انا زبد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اي فافية شئتم لا اخرج عنها حتى نجيبوا فاخترنا والقاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن ( ارق على ارق ومثلي يارق ) وصباره تد نام بعض وشيح بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سمي : دخلت عليه يوماً بدار الاشراف اشبيلية وحوله ادباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرمة فد الهيثم يده الى الديوان المذكور فنعه منه احد الادباء

فقال: يا ابا عمران اوجب ان يمنعه مني وما يحفظ منه بيتاً وانا احفظه فاكدته الجماعة فقال  
 «صموني» واسكوه فابتدأ من اوله حتى قارب نصفه فاقسمنا عليه ان يكف وشهدنا له  
 بالحفظ وكان آية في سرعة البديهة مشهوراً بذلك قال ابو الحسن ابن سعيد: عهدي به في  
 اشيلية يلي على احد الطلبة شعراً ولى ثمان موشحة وعلى ثالث زجلاً كل ذلك ارجحاً لا  
 ل ابن خلكان: كان ابو الفرج الاصمغاني صاحب كتاب الاغانى يحفظ الشعر  
 الشعر والاغانى والاخبار والآثار والاحاديث المسندة والنسب مالم ارقط من يحفظ مثله  
 ويحفظ دون ذلك من علوم اخر منها الفقه والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المذاكرة  
 شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والنجوم والاشربة وغير ذلك. وذكر  
 صاحب الصبح النبى ان العلم الفرد في قوة الحافظة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما. ولقد شرط  
 الملك المعظم عيسى اكل من يحفظ الفصل للزخشي مائة دينار وخمسة لحفظه لهذا السبب جماعة  
 قال ابو عمر الطنكي دخلت مرسية فتشبت في اهلها يستمعون عليّ الغريب المعصف قلت  
 انظروا من يقرأ لكم وامسكت انا كتابي فأتوني برجل اعشى يعرف بابن سيده (وهو صاحب  
 المخصص في اللغة الذي طبع مؤخراً) فقرأ عليّ من اوله الى آخره فحجبت من حفظه .  
 ولقد لازم نعلب ابن الاعرابي فما رآه نظر في كتاب . واخبار الاصمعي في الحفظ والرواية  
 اشهر من ان تذكر وكذلك خلف الاحمر والكلبي وعبيد ودعل . وكان ابو تمام لا يلحق في  
 محفوظاته وقيل انه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع .  
 قال ابو الحسن محمد بن علي العلوي كان المتنبى يلازم الوراقين فاخبرني وزان كان يجلس  
 اليه: قال: ما رأيت احفظ من هذا الفقيه بن عبدان السقا (المتنبى) قلت له: كيف: قال: اليوم  
 كان عندي وقد احضر رجل كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحواً من ثلاثين ورقة  
 ليضعه فاخذه فنظر فيه طويلاً فقال له الرجل اريد يعمه وقد قطعني عن ذلك فان كنت  
 تريد حفظه فهذا يكون ان شاء الله تعالى بعد شهر قال فقال له ابن عبدان: فان كنت  
 قد حفظته في هذه المدة فإني عليك قال: اهب لك الكتاب قال: فاخذته من يده فاقبل  
 بهذه عليّ الى آخره ثم استلمه فجعله في كفه وقام فتعلق به صاحبه طالباً بماله فقال  
 ما الى ذلك سبيل وقد وهبته لي قال: فتمناه منه وقلنا: انت شرطت على نفسك هذا للعلم  
 فتركه عليه . والا مثله كثيرة في هذا الباب والله اعلم .





## حماسة الخالدين (١)

الخالديان اخوان شقيقان من اهل القرن الثالث كتب بعض المؤلفات ونسبت اليهما آداب وغرر ولم يكونا يترقان في حال من الاحوال ولا تعرف في ادباء العرب شقيقين آخرين اتفقا على اخراج بنات افكارهما في مجلد واحد كما اتفقا على الخروج من بطن واحد الا اولئك الادباء الاخوة المشهورون عند الفرنسيين باسم كونكور وبول وفيكتور مارغريت وروسني (٢)

قال الثعالي في البتية : ابوبكر محمد وابوعثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان : ان هذان ساحران يربان باجلبان ويدعان فيما يصنفان وكان ما يجمعهما من اخوة الادب مثل ما يجمعهما من اخوة النسب فها في الموافقة والمساعدة يحميان بروح واحدة ويتركبان سيف فرض الشعر وينفردان ولا بكادان في الحضر والسفر يترقان وكنا في التساوي والتشاكل والتشارك كما قال ابوقمام

رضي لبان شريكي عنان عتيقي رهاث لطيف صفاء

- (١) النسخة التي اعتمدنا عليها استنسخها احمد بك ليومر من دار الكتب المصرية عن نسخة كتبها الحسين بن المصطفى الحلبي في رجب ١٠٨٤ وبلغت اوراق نسخة دار الكتب ١٥١ ورقة والورقة الاولى بخط جديد وفي رأينا ان نسخة الكتاب ليست قديمة الا هذا الحد
- (٢) لكونكور Les Goncourt اخوان اسم الاول ادمون لوبيز انطوان والثاني جول انطرد هوو . ولد الاول سنة ١٨٢٢ مات سنة ١٨٩٦ وولد الثاني سنة ١٨٣٠ ومات سنة ١٨٧٠ وقد أولما بالادب وخدماته اجل خدمة واشتركا في تأليف لها كثيرة منها القصص ومنها النقد ومنها الروايات التمثيلية وما يؤثر عنهما ان المرة لا يحسن كتابة ما لم يره . ولما قاما سام في عالم الادب . وكان يختلف الى ادمون في منزله الذي سماه « الانبار » في نزل اوتيل جماعة من اهل الادب اذ لهو في هذا الانبار نشأ له فكر بتأسيس مجمع علمي حريق عليه من ماله ويكون مؤلفا من عشرة اعضاء وعين ثمانية منهم وخصص لكل واحد دخل سنويا قدره ستة آلاف فرنك اي ٢٤٠٠ جنيه في السنة ١٩٠٠ بول وفيكتور مارغريت Paul et Victor Marguerite فها اخوان من معاصرينا من اهل الادب ولد الاول سنة ١٨٦٠ والثاني سنة ١٨٦٧ ولما تأليف كثيرة في الادب وبزازران في جرائد فرنسا انعمه ويوقمان على كتابتها بتزقيم واحد . وروسني RUSNY اسم اخوين ايضا هما يوسف هنري اونوري وجوسفين بويكس من كتاب القصص المعاصرين كذلك

بل كما قال المجتري

كالفرقدين اذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد  
بل كما قال ابو اسحق الصابي فيها

ارى الشاعرين الخالدين سيرا قصائد يفنى الدهر وهي تغد  
جواهر من ابيكار لفظ وعونه يقصر عنها راجز ومقص  
ننازع قوم فيهما ونناقضوا ومر جدال بينهم يتردد  
فطائفة قالت سعيد مقدم وطائفة قالت لم بل محمد  
وصاروا الى حكمي فاصلحت بينهم وما قلت الا بالتي هي ارشد  
ها في اجتماع الفضل زوج مؤلف ومعتاها من حيث يثبت مفرد  
كذا فرقدا الظلاء لما تشاكلا علا اشكلا هل ذاك ام ذاك امجد  
فزوجها ما مثله في انفاه وفردهما بين الكواكب اوجد  
فقاموا على صلح وقال جميعهم رضىنا وساوى فرقدا الارض فرقد

وما اعدل هذه الحكومة من ابي اسحق فما منها الا محسن ينظم في سلك الابداع  
مافاق وراق ويكثر بحجاسنه وبدائمه الافراد من شعراء الشام والعراق وقد ذكرت ما شجر  
بينهما وبين السري في شأن المصالاة والمنازعة وما اقدم عليه السري من دس احسن  
اشعارها في شعر كشافه وكان اخافه الشام والعراق اذ ذاك فرئنين احدهما وهي في شق  
الرجحان تنعصب عليه لها افضل مارزقاه من قلوب الملوك والاكابر والاخرى تنعصب له  
عليها ثم اورد صاحب التهمة من اشعارها ما هو السحر الحلال وما اتفق لها من التوارد  
مع السري او التسارق في زهاء عشرين صفحة وقد غفرنا لخالدين بكتابهما الحماسة والاشباه  
والنظائر فرائد جمع فاعى من شعر الجاهليين واشتهد عليه بما اخذه عنهم المولدون او  
زادوه عليهم من المعاني والتصورات قالوا في مقدمته :

الحمد لله بلا كيفية تقع بها الاحاطة عليه والا زلتي بلا وقت لنسب الصفات اليه حمدا  
يورد من جليل نعمه وجزيل قسمه مشربا عذبا ومسحبا رحيبا وحلى الله على سيدنا محمد ما  
اورق شجر وايث ثمر وعلى الطاهرين من عترته وسلم تسليما وبعد فسمع الله ثاني مدتك ووقفنا  
لما نؤثره من خدمتك فانا رأيناك باشعار المحدثين كلفا وعن القدماء والمختصرين مفردا  
وهذان الشريحان هما اللذان قمنا للمحدثين باب المعاني فدخلوه ونهجو لهم طريق الابداع للمعاني  
فسلكوه اما سمعت زاد الله قدرك علوا ورفعة ومموا قول الشاعر

فلو قبل ميكالها بكيت صباية اليها شغيت الـ قبل التندم  
ولكن بكت قبلي ففج لي البكا بكها فقلت انفسل للمقدم  
ومن امثالم السائرة ما ترك الاول للآخر شيئاً الا ان ابا تمام لم يرض بهذا المثل حتى  
قال يصف قصيدة له .

لا زلت من شكري في حلة لايسها ذو سلب فاخر  
يجول من تقريع اسماعه صم ترك الاول للآخر  
ومن المنى الاول قول عنزة هل غادر الشعراء من متردم اي ما تركوا كلاماً لتكلم  
فاذا كان عنزة وهو في الجاهلية الجاهلاء وما لم من فصاحة الفصحاء يقول مثل هذا القول فما  
ضلك بهذا المعروفيته ياتني سنة فلما بقولنا هذا ايدك الله نطقن على المحدثين ولا ينقصهم  
تجويدهم ولطف تدقيقهم وطريف ممانهم واصابة تشبيهم وصحة استعاراتهم الا انا نعد  
ان الاول من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم وعول عليها من قفا اثرهم وقل شعر  
من اشعارهم يخلو من معان صحيحة والفاظ فصحة وتشبيات مصيبة واستعارات عجيبة ونحن  
احاط الله في الزبكا وكبت بالذل اعداك ففمن رسالتنا هذه مختار ما وقع اليان من اشعار  
الجاهلية ومن تبعهم من المخضرمين ونجنت اشعار المشاهير لكثرتها في ايدي الناس ولا نذكر  
منها الا الشيء السيور ولا نخليها من غرر ما روينا للمحدثين ونذكر اشياء من النظائر اذا  
وردت والاجازات اذا عنت وتكلم على المعاني المختصرة ولا نجعل نظائر البيت والمتبعة في  
مكان واحد ولا المعنى المروق في موضع بل نجعل ذلك في موضع ذكره وان كنا نعلم  
انك ادام الله تأييدك اعلم بما نحمله اليك ونعرضه منا عليك ومن اين لنا قرائح نتق ما لا تزال  
ترياه وتسلنا عنه من دفين المعاني فطرائف السرفات ولقد اتى لك ايدك الله في يقي  
ابي تمام والهجري على غموض المنى وبدء في النوعين من دقة النظر ولطيف الفكر ما لا  
يؤم انه يبارد لسواك ولا يمن لنيرك بهو انك ايد الله عزك قلت لئامن اين اخذ الهجري قوله  
وكنا القنا من بد ما حملا انا في عسكر محامل في عسكر  
فلم يكن عندنا فيه شيء غير الامتحان والتعريض فعرفنا ايدك الله انه مأخوذ من  
قول ابي تمام

وعنه الثيابي بعد ما كان حقة رطاه ومن الروض ينهل ساكبه  
ولا صرف في النظر اذق من هذا ولا الطف الا انا نور الخدمة حقها بما تكللته من  
الاختيار والكلام على ما ذكرناه وبالله التوفيق  
هذه هي المقدمة ومنها نفهم الغرض وتذكر صعوبة ما سلكه المؤلفان وما يحتاج اليه

هذا البحث من بعد النظر وسعة الاطلاع ولقد تصفح الصفحات الكثيرة من هذا الكتاب  
فقرأ فيها اشعاراً لم تكن معروفة لنا لقلة ما طبع من شعر العرب العرباء فالأبعد للتقدمة  
قال المهلهل بن ربيعة

بكرو قلوبنا بأل بكر  
فناديكم بمهفة النصال  
لما لحن من الهامات جوت  
وان كانت تفادى بالصفال  
ونبكي حين نذكركم عليكم  
ونقتلكم كأننا لا نبالي  
ايات المهال هذه هي الاصل في هذا المعنى ومثله قول الحصين بن الحمام المزي  
نفلق هاماً من رجال اعزة  
علينا وهم كانوا اعق واظالا  
فاخذهم بعضهم فقال

قومي هم قلوبا أمم اخي  
فاذا رميت اجنبي سمي  
ولئن عفوت لا عفوت جالا  
ولئن رميت لا وفت عثمي  
واخذهم مالك بن مطلق العدي فقال :

قلنا بني الاحام يوم أواره  
هم اخرجونا يوم ذاك وجردوا  
واخذهم حرب بن معمر فقال

ولما دعاني لم اجبه لانني  
فما اعاد الصوت لم اك عاجزاً  
عظفت عليه المهر عطفة محرج  
صؤول ومن لا يشم الناس يشم  
واوجرت له الدن الكموب مقوماً  
وخصر صريماً لليندين ولغم  
وفادرت له والدمع يحرج لقلته  
فاخذ هذا المعنى ديك الجبن فقال في جارية كان يحبها فقتلها

فرانا استفرجته من دجنة  
ليتي وجلوت من خدره  
فقتله وله علي كرامة  
ملء اخشا وله الفواد باسره  
عهدي به ميتاً كاحسن ذم  
والخزف ينجر عبرتي في غره  
والى المعنى الاول نظر ابو تمام فقال

قد افنى بالنساي في اسنته  
وقد اقام حيارا كم على اللقم  
جدلان من ظفر حران ان رجعت  
اظفاره منك محضوبة بدم  
ومن هذا المعنى اخذ الجعدي قوله

إذا احتربت يوماً فقاضت دماؤها      تذكرت القربي فقاضت دموعها  
وبيت المجتري اظرف وابعد من بيت المهمل الا انه هو الذي ارشده الى المعنى ودله  
عليه ومثله للقتال الكلاسي

فلا رأيت انه غير منتبه      أملت له كفي ببلدن مقوم  
فلا رأيت اني قد قتلته      ندمت عليه اسبى ساعة مندم  
وبعضهم

التفتي آية من ام عمرو      فككت اغصن بالماء القراح  
فما انسى رسالتها ولكن      ذليل من يئوه بلا جناح  
قوله ذليل من يئوه بلا جناح من الامثال الجياد المختارة

وقال جبران العود النيري ولا يعرف في نسيب الاعراب وغزلهم احسن الفاظها من هذه  
القصيدة ولا الملح معاني والمختار منها قوله

ذكرت الصبا فانهلت العين تعرف      وراجمك الشوق الذي كنت تعرف  
وكان فؤادي قد صحا ثم هاجه      حاتم ورق بالمدينة تهتف  
فبت كأن العين افنان سدره      عليها سقيط من ندى الطل يطف  
اراقب لوحاً من سبيل صكأنه      اذا ما بدا من آخر الليل يطرف  
فلا وجد الا مثل يوم تلاحقت      بنا العيس والحادي يشل ويطف  
وفي الحى ميلا الخمار كأنها      مياة بهجل من غيباء تعطف  
تقول لئار العيس صر من السرى      فاخفافها بالجندل الصم تطف  
حمدت لنا حتى تمناك بعضنا      وفلنا الخو جدد من الهزل يعدف  
وفيك اذا لا قبينا عجرفية      مراراً وما نهوى الذي يتعجرف  
فروعدك الوادي الذي بين اهلتا      واهلك حتى نسمع الديك يهتف  
ويكتيك آثار لنا حين تلتقي      ذبول نفقها بين ومطرف  
فصيح لم يشمر بنا غير انه      على كل حال يحلقون وتغلف  
فقبلت بمشيم الهوىنا تماديا      فصار الخطا منهن راب ومزحف (٢)  
فما هبطن السهل واحتلن حيلة      ومن حيلة الانسان ما يتخوف  
حملن جزان العود حتى وضعنه      بعلياء في ارجائها الجن تعزف  
فبينا قوداً والقلوب صكأنها      قطعاً شرع الاثراك بما تخوف  
علينا الندى طوراً وطوراً يرشنا

يتازعنا لداً وخبيا كأنه  
 رقيق الحواشي لو تسمع راهب  
 ولا رأي الصبح بأذن ضوءه  
 وما بين حق قلن باليت اتنا  
 فأصبحن صرعى في الحال كأنما  
 يلفنهن الحاج كل مكانب  
 رأى ورقاً أيضاً قد حزيمه  
 ولن يستهم الخرد البيض كالدمى  
 ولكن رقيق بالصبا متطوف  
 بل كلام القطارى بالقطا  
 فأصبح في حيث الثقينا غذية  
 عواير من قطر حدها من صيف  
 يطنان قولاً مثله ظل يرحف  
 كشي قفا البطحاء او من اقطف  
 تراب وان الارض بالناس تخسف  
 سقاها من ماء المدامة قرفن  
 طويل الصبا او مقدر يترسف  
 لها فهو امضى من سليل والطفه  
 هدان ولا هلباجة الليل مقره  
 خفيف لطيف سابغ الذيل اهيف  
 واسرع منه لمة حين يخطفه  
 سوار وخلخال وبرد مفوفه

أما قوله

فبت كأن العين أفتان سدره  
 فمن أحسن ما قيل في الدمع وأجوده  
 ولعينك يوم البين أسرع واكفا  
 من الفن المطور وهو مروءح  
 وقيل هذا البيت قد جرد أفضاً وزاد على من تقدمه وأتى بعده وذلك انه لم يرض  
 ان يكون دمه مثل الفن وهو الفصن الذي يقطر المطر على ورقه فهو يجري حتى قل وهو  
 مروءح اراد ان الريح تحركه فهو لا يهيناً من القطر وليس بعد هذا نهاية في تحاور الدمع  
 وسرعته وقوله

أراقب لوحاً من سليل كأنه  
 مليح التشبيه صحيح لان من تأمله رآه كأنه عين تطرف وقوله يصف قولها له  
 وفيك اذا لا قيتنا عجزية  
 مراراً وما نهدي الذي يتجرف  
 يقال ان النساء يملن الى من كان فيه دعابة وهو ولا يملن الى غير ذلك فذكر جبران  
 المرء عنهن انهن قلن له است على ما وصف لنا لان فيك عجزية وقد وصفت لنا بغيرها حتى  
 تمنيتك وما نحب الذي يتجرف ويذكر ان كثيراً أشد بعض نساء الاشراف قوله  
 وكنت اذا ماجئت اجللن مجلسي  
 وأعرضن عنه هية لانفهما  
 يحذرن مني نبوة قد عرفنها  
 قديماً فما يتحكن إلا تبسما  
 فقالت له يا ابن أبي جمعة أهذا القول تدعي الغزل والله لا نال وصلنا وحظي بودنا الا

من يجري معنا كزبد ويجعل النبي اذا أردناه رشداً ثم لعنك الله فقام منقضاً الى قولها  
نظر المجتري فقال :

ولا يؤدي الى الملاح هوى من لا يري ان غيه رشد  
وقوله

وبكيفك آثار لنا حين نلتقي ذبول نصفها بهن ومطرف  
معنى ملج وقد اشترك فيه جماعة من الشعراء فأول ذلك امرؤ القيس في قوله  
فقتعت بها امشي تحير وراءنا على أثرا أذبال مرط مرجل  
وقال ابن المعتز

فقتعت افرش خدى في الطريق له ذلاً وأسحب اكماما على الأثر  
ولابن المعتز في هذا المعنى زيادة حسنة على من تقدمه وقوله

فخصم لم يشعر بنا غير انه على كل حال يحلفون ويحلف

كلام ضريف ومعنى ملج لانه قال لابد من تهمة لنحلفنا فنحلف انا لم نعمل ويحلفون .  
انا قد فعلنا وقوله

فأقبلن يمشين المويثا تهاديا قصار الخطا منهن راب ومرجف  
من احسن ما يكون في صفة المشي وقد أكثر الشعراء في هذا الباب فن ملجهم  
قول بعضهم

يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب البطون رواج الاكفال  
وانما شبهوا مشي المرأة بمشية القطاة لان فيها سرعة وتأيدا قال الخنجل :

ودفعتها وتدافعت مشي القطاة الى القدير

وللاعلى في المشي شيء حسن واشياء يفرط فيها فن الجيد قوله

غراه فرعاه مصقول عرارضا تمشي المويثا كما يمشي الوجي الوجل

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السجاية لارث ولا عجل

وقد شبه بشار بن برد خفقان القلب بالكرة في تدورها وهو قوله

كان فؤاده كرة تترى حذار البين ان تقع الحذار

وهذا لعمري تشبيه جيد ومعنى صحيح وقال آخر وهو غير هذا المعنى فجود

كان فؤادي في محاليب طائر اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

هذا ذكر ان فؤاده اذا ذكرت عشيقته قبض عليه ولم يذكر انه شديداً الخفقان

وهو يدخل في هذا المعنى او يقاربه فجود واحسن وزاد واورد معنى ثانياً وهو قوله

كَانَ قَلْبِي وَشَاحِلًا إِذَا خَطَرْتُ      وَقَلْبَهَا قَلْبَهَا فِي الصَّمْتِ وَالْخُرْسِ  
هَذَا ذِكْرَانِ قَلْبُهُ مِثْلُ وَشَاحِي صَاحِبَتِهِ قَلْفًا وَتَحْرَكَا ثُمَّ اتَى وَزَادَ فِي الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ إِذَا  
خَطَرْتُ لِيَكُونَ أَشَدَّ لِمُحَرَكَةِ ثُمَّ اتَى بِمَعْنَى وَهُوَ قَوْلُهُ وَقَلْبَهَا قَلْبَهَا فِي الصَّمْتِ وَالْخُرْسِ . وَقَدْ  
ذَكَرَ أَنَّ قَلْبَهَا غَيْرُ خَافِقٍ وَلَا قَلَقٍ وَالْقَلْبُ السَّوَارُ وَمِنْ يَصِفُونَ الْمَرْأَةَ بِضَيْقِ السَّوَارِ وَالْخَلْخَالِ  
وَقَوْلُهُ حَرَكْتُهُمَا هَذَا السَّاعِرُ ذَكَرَ قَلْبَهُ بِالْقَلَقِ وَقَلْبٌ مِنْ يَجِبُهَا بِالْكَوْنِ فَوَادٌ وَجُودٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ  
فِي ذِكْرِ الْحَدِيثِ وَحَسَنَهُ

يَنَازَعَتَانِ لَدَا رَجُلًا كَأَنَّهُ      عَوَايِرُ مِنْ قَطْرِ حِدَاهُنْ حَبِيبٌ  
رَقِيقُ الْحَوَاشِي لَوْ تَسْمَعُ رَاهِبٌ      يَطْنَانُ قَوْلًا مِثْلَهُ ظَلَّ يَرْجِفُ  
فَهُوَ حَسَنٌ نَادِرٌ إِلَّا أَنَّ الشَّعْرَ فِي الْحَدِيثِ كَثِيرٌ وَجِيدُهُ وَحَسَنُهُ قَوْلُ الْقَطَامِيِّ  
فَهِنْ يَبْذُنُ مِنْ قَوْلٍ يَصِينُ بِهِ      مَوَاقِعُ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي  
يَقْتَلِنَا بِمَحْدِثٍ لَيْسَ بِفَهْمِهِ      مِنْ بَقِيَّةٍ وَلَا مَكْنُونِهِ بَادٍ  
وَمِنْ مَلِغٍ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَشَّارٍ

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ قَطَعَ الرُّو      ضَ زَهْتَهُ الصَّفْرَاءُ وَالْجَهْرَاءُ  
ذَكَرَ أَنَّ حَدِيثَهَا مِثْلُ الرِّيَاضِ فِي مَلَاحِظَتِهَا وَأَنَّهُ يَجْمَعُ جَدًّا وَهَزْلًا وَقَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا  
وَلَهَا مَضْحَكٌ كَنُورِ الْإِقْلَاسِيِّ      وَحَدِيثُ الْوُثْيِيِّ وَثِي الْبُرُودِ  
وَلَهُ أَيْضًا

دَعْنِي حِينَ شَبْتُ إِلَى الْمَعَاصِي      مُحَاسِنُ زَائِرِ كَالَرِّمِ غَضُ  
كَأَنَّ كَلَامَهُ يَوْمَ التَّقِينَا      تَأْخُذُنِ ( ٩ ) فِي طَوِيلِي وَعَرْنِي  
وَلَهُ أَيْضًا

حَوْرَاءُ أَنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ      حَقَّتْكَ بِالْبَيْنَيْنِ خَمْرَاءُ  
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثَهَا      قَطَعَ الرِّيَاضِ كَسِينُ زَهْرَاءُ  
وَقَالَ بَعْضُ وَلَدِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ  
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ بِمَا      يُوْنِقُ السَّامِعِينَ يُوْنِزُ وَزْنَاءُ  
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْحَنُ أَحْيَا      نَا وَاحِلُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَاءُ

ذَكَرَ أَنَّهَا تَحَدَّثُ بِمَحْدِثٍ فِيهِمْ ثُمَّ تَحْشَى فَتُخَصَّرُ مِنَ الْوَشَاةِ فَتَلْحَنُ لَهُمْ بِمَعْنَى يَعْرِفُهُ وَأَشَارَةً  
يَقِفُ عَلَيْهَا لَا يَعْرِفُهَا غَيْرَهَا وَغَيْرُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ الْقَوْلُ أَيْ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ  
وَيُقَالُ هَذَا لِمَنْ بَنَى فَلَانٌ أَيْ لَهُ بَنَى فَلَانٌ وَمِنْ أَجْوَدَ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَدِيمًا  
وَحَدِيثًا قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ



وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يمين قتل المسلم المتحرز  
 أن طالع لم يمل وان في أوجزت. ودَّ للحديث أنها لم توزر  
 شرك القلوب وزمة ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز  
 هذا نهاية ما قيل في هذا الباب وقد تناول ابن الرومي قوله ودَّ الحديث أنها لم توزر  
 من بعض المتقدمين وهو قوله

من الغفرات البيض ود جلسها اذا ما قضت أحذنة لو نعيمها  
 ومن ملج ما قيل في الحديث ايضاً قول بعض الاعراب:  
 وحديثها كالقطر يسممه راعي سنين تواصلت جدبا  
 فاصح يرجو ان يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا  
 وقال آخر:

وانا ليمرى بيننا حين فلتني حديث كسج المريضين (٩) مزيج  
 حديث لو ان الحبيب يولا يعفه غرباً اقي احبابه وهو منفيج  
 ومثله قول الرازي:

تقول لي! وهي تحف المودجا قولا جميلا حسنا شملاجا  
 لو طبخ اللحم به لانفجا

والقول في الحديث كثير ولو استقصينا جميع ما فيه لخرج كتابنا عن النرض الذي  
 تصدنا له وقوله :

ونا رأيت الصبح بادر ضوءه كشي قضا البطحاء او هن اقطف  
 وما ين حتى نلت ياليت انا تراب وان الارض بالناس تحسف  
 هذا القول شبيه بقول بشار:

حتى اذا بث الصباح فراقتا ورأين من وجه الظلام صدودا  
 جرت الدموع وقلن فيه جلادة عنا ونكره ان تكون جليدا  
 ومثله قول عبد الحميد بن المهدي:

فصحك في وجه الدجى وبكين في وجه الصباح

يريد انهن اشتتهين طول الليل ليتمتن بالحديث ويبت عبد الحميد احسن مما تقدمه  
 واغرب الفاظا وقوله

فأصحين صرعى في المجال وبيننا رما- العدى والجانب المتخوف  
 مأخوذ من قول امرئ القيس

فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها  
وقد يلغى الحاج كل مكاتب  
رأى ورقاً أيضاً فشد حزيه  
لها فهو أفضى من سليل والطف

بذكر أنه يرسل إلى من يهوى بين لا يؤبه له وقوله مكاتب ابن ضعيف ويجوز أن  
يكون قد كاتب هذا الرسول عن نفسه فهو يسأل الناس في مكاتبته فليس ينكر دخول البيوت  
وكلامه النساء أو مقعد يتزحف أراد أيضاً ضعيفاً وهذا مثل قول الفرزدق

فابلغني وحي القول عني      وأدخل رأسه تحت القرام  
ضعيف ذو خريطة مبهين      من الخلقطي فرد القام

و. فـه أيضاً بالضعف والمسكنة وأنه يلتقط النرد وهو ما يقع من الصوف في خريطة  
معه وقوله:

فأصبح في حيث الثقبنا غديّة      سوار وخلخال ويرد مغوف  
أراد أنا نجاذبنا وتعاركنا فتكسرت الاسورة      خلخال وتخرقت الثياب فبن أنى  
موضع الثقبنا وجد فيه ما قلنا وهذا مثل قول عبد بن اسسطاس

فكم قد شققنا من رداء مطرف      ومن يرفع عن طفلة غير نانس  
أذا شق برد شق بالبرد يرفع      دواليك حتى كئنا غير لابس

وقال الخالديان في مكان آخر: ومن أجود أشعار أهل الجاهلية بل هي مقدمة في  
فصائدهم قصيدة سويد بن أبي كاهل وأولها

بسطت رابعة الجبل لنا      فوصلنا الجبل منها ما اتع  
جرة تجلو شتيتاً. وأضحا      كشعاع البرق في الذيم سطح  
صقلت به بقضيب ناعم      من أراك طيب حتى ننع  
تنح المرأة وجهها وأضحا      مثل قرب الشمس في الصحرا ارتقع  
وأيت الليل ما أرقده      وبسيت إذا نجم طلع  
فاذا ما قلت ليل قد مضى      عطف الأول منه فرجع  
رب من انفضت غيظا قلبه      قد تقى لي موتاً لم يطلع  
ويراني كالشجا في حلقه      عسراً مخرجه ما يتزعزع  
مزبد يخضر ما لم يربي      فاذا أسمعته صوتي انقسم  
قد كفاني الله ما في نفسه      رمتي ما يكف شيئاً لم ينع

لم يضرني غير ان يحسني  
 ويحييني اذا لاقيته  
 ماء ما ظنوا وقد ألبتهم  
 كيف يرجون سقاطي بعدما  
 أنفض الغيب برجم حائب  
 فارغ الصوت فما يحسني  
 هل سويد غير ليث خادر  
 صرصر لي حقدًا قلبه  
 ورث البتة عن آبائه  
 فسي مسعاتهم في قومهم  
 زرع الداء ولم يدرك به  
 نفعًا دمي صفاة لم ترم  
 لبث عادا وأردت حميرا  
 لا يراها الناس الا فوقهم  
 فهو يرميها ولا يبلغها  
 كمت عيناه حتى انضتا  
 اذ رأى ان لم يضرها جهده  
 وعدو جاهد ناضلته  
 تتساقبنا بمر مقصر  
 وارثينا والأعادي خضر  
 بنال صكلها مذروبة  
 خرجت من بنفسه بينة  
 ففارسنا وقالوا انما  
 ثم ولي وهو لا يحصي استه  
 ساجد الخضر لا يعرفه  
 فر مني هاربا شيطانه  
 ورأى مني مقاما ثابثا  
 ولسانا صيرفيا صارما  
 فهو يرونو مثلا يرونو السرعة  
 واذا يخلو له لمحي رنح  
 عند غايات المدى كيف أقع  
 جلال الرأس بشيب وصلح  
 ليس بالبطيش ولا بالمرتجع  
 قلب عودلا ولا شخت ضرع  
 اجديت أرض طيه فالتجع  
 فاذا قابله شخصي دلح  
 حافظ العقل لما كان سمع  
 ثم لم يظفر ولا عجزا ودع  
 نرة فانت ولا وهب رفع  
 في ذرى غيطاء ليست تطلع  
 وأبت هضبتها ان تقطع  
 فهي تأتي كيف شئت وتندع  
 وكذا الاحمق يرضى ما صنع  
 فهو يلجي نفسه لما ندع  
 ورأى خلفاء ما فيها طمع  
 في تراخي الدار عنكم والجمع  
 في مقام ليس بشيء الفزع  
 بنال ذات سم قد تقع  
 لم يطلق صنعتها الا صنع  
 في ثياب السحر والسحر خدع  
 ينصر الألسن من كان خرع  
 طائر الانراف (؟) عنه قد وقع  
 خاشع الطرف أصم المستمع  
 حين لا يعطي ولا شيئا منع  
 صادق الحملة كتام المزج  
 كل حسام المضرب ما من قطع

فكفاني الله ما في نفسه ومنى ما يكف شيئاً لم يضع  
وقع الاختيار من هذه القصيدة على ما أثبتناه وتركناها منها ما لو أنينا به كان مختاراً  
فأما قوله

مقياً يرمي صفاء لم ترم في ذرى غيطاء ليست تطلع  
غلبت عاداً وأردت حميراً وأبت هضبتها ان تقطع  
لا يراها الناس الا فوقهم فهي تأتي كيف شاءت وتدع  
وما بعد هذه الايات من هذا المعنى فهو يشبه قول زيد بن احمد البردعي يمدح به  
ابن أبي الساج ويصف قلعة

وكانما تلك الشوا	مخحول فلعنتها عشائر
وكانها حسنة	غيداه أو في غيد فرائر
شمطاه عن دار توا	رثها الاكابر والاكاير
لا الروم رامتها ولا	قصرت تطاولها القياصر
وتأبى عن ذي رعيه	ن وذي نواس وذي شنائر
عنراه لما تقترع	سبلا ولا شعرث للماهر
معقومة ما امفت	لكنها أم الحماكر
بسكر قوابلها الموا	مل والمذلة البوائر
في فرع سامقة على	خلفاه بامقة العراعر
عنقاه عازية المسا	لك والموارد والمصادر
زعره حصاه القرى	جرده زلاه المآخر
صاه دلساه الموا	دي والخناجر والكرار
روقه لم تنكسر وكم	شربت نواجزها الاواثر
مثل الربابة في السماء	خلاء انجمها الزواهر
يوند عن شرفاتها	نقد التواظر وهو شادر
منظومة ابراجها	مطوية على القناطر
مثل الموادج والقوا	لج تحتها المذل المشافر
محبوبة حجابها	ما بين مأمور وآمر

هذا الشعر من اجود ما وصفت به قلعة وهو اكثر من هذا الا انا اختصرناه ولشعره  
في ذكر القلاع وصفاتها اشعار تكثر ونسج ونحن نذكر منها هنا شيئاً مما مختار من جيد ذلك

قول كعب الاشقري او غيرهم من شعراء خراسان في ايام الفتوح يقول في قلمة افتتحها المسلمون

معلقة دون السماء كأنها غمامة سيف زال عنها مجاهبا  
فأبلغني الاروى شماريخها الدف ولا الطير الا نسرها وعقابها  
وما روعت بالذئب وثبان اهلها ولا فجحت الا النجوم كلاها

ولنا في صفة القلمة أيضاً قصيدة اتفدناها الى الامير سيف الدولة الى الشام

وخرفاء قد ناهت على من يرومها يرقبها المالى وجانبها الصب  
يزر عليها الجو جيب غمامة وبليها عقدًا بانجمه الشهب  
اذا ما سرى برق بدت من خلاله كالأحاح العنقاء من حلل الحجب  
فكم ذي جنود قد امانت بنصه وذو سطوات قد ابانت على عتب  
سموت لها بالراي يشرق في الدحي ويقطع في الجلي ويرع في المصعب  
فابرزتها متهوكة الجيب بالقنا وغادرتها ملصوقة الخلد بالترب

ولنا اليه من قصيدة اخرى في هذا المعنى اتفدناها اليه الى الشام

وقلمة طائق العيوق سافلها وجاز منطقة الجوزاء عاليها  
لا تعرف القطر اذ كان النعام لها ارضاً توطأ قطريه مواشيها  
اذا التامة راحت خاض ساكبها حياضها قبل ان تعمي عواليها  
يعدن من النجم الافلاك مرقبها لو انه كان يجري في مجاريها  
على ذري شامخ وعرق امتلات كبراً به وهي ملو بها نياها  
له عقاب عقاب الجو حائمة من دونها فهي تحفى في خوافيها  
ردت مكائد املاك مكائدها وقصرت بدواهيهم دواهيها  
اوطأت ممتمك العلياء هامتها لما جعلت العوالي من مراقبها  
ولم يقس بك خلقاً في البرية اذ رأت قسي الردى في كف باربها

وقال مسكين الدارمي

ونار دعوت المعتفين بضوئها فباتوا عليها اهديت بهم سفرها  
تقصر في ليل التمام وقد بدت هوادي نجوم الليل تحبها جمرها  
وضيف يخوض الليل خوفاً كأنما يخوض به حتى تأويني مجراها  
وكم من كريم بوائته رماحنا فتاة أناس لا يسوق لها مهرها  
وما انكرونا طائفت بناتهم ولكن نكحناها بارماحنا قسرها  
وكان نرى فيها حب ابن سبية اذا لقي الابطال يطعنهم شزرها

فما ردها فينا السباه وضبعة  
ولكن جعلناها كخير نائنا  
اذا لم تجد بداً من الامر فاته  
ولا تأمن الخلان الا اقلهم  
وفي ابرو لا آلف اليت قائدًا  
ولا مقسم لا تبرح المدبر بيتا  
اذا هي لم تحصن امام فئائنا  
ولا حامل ظني ولا قيل قائل  
وهي ابرأ راعيت مادمت شاهدا  
اما قوله :

وكم من كريم بوائه رماحنا  
فاليه نظر ابو تمام في قوله :

لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على  
الا ان بيت ابي تمام اجود بناء ورصفاً  
ذكرهن بأحسن من ذلك ولا اجود ويقال ان عبد الملك بن مروان سابق بين ابنه مسلمة  
والوليد وكانت ام مسلمة ام ولد وام الوليد عسيرة فسبق الوليد مسلمة فقال رجل من  
اخوان الوليد من بني عيس احسن واقه امير المؤمنين الذي يقول :

نيتكم ان تحملوا هجاءكم  
وما يستوي المرآن هذا ابن حرة  
على خيلكم يوم الزمان فيدركوا  
وهذا ابن اخرى ظهرها مشرك  
ويبقى على الاعواد لا يترك  
وادرككنه جداته فخلجته  
الا ان عرق السوء لا بد مدرك

فاجب عبد الملك هذا القول لميله الى الوليد يقال مسلمة وسمع اكلام : كتب يا امير  
المؤمنين بل احسن من هذا واصوب قول مسكين الدارمي وذكر الايات التي قلنا ذكرها  
قبل هذا فتجب اناس من ذكاء مسلمة في ذلك الوقت وقلة دهاءه واما ابياته في ذكر قلة  
الذيرة فقد ورد مثلها في موضع آخر من شعره

الآن ايها النائر الماتشي  
فما خير عرس اذا خفتها  
ط علام تدار اذا لم تفر  
وما خير بيت اذا لم يزر  
وهل يفتن الصالحات النظر  
يفار على الناس ان ينظروا

فاني سأخلي لها بيتها فحفظ لي نفسها او تذر  
وما نعلم ان احداً من الشراء سهل ترك الغيرة غير هذا وظنه كان يقول بالاباحة  
والا فأي شيء دعاه الى هذا القول الذي بأنف منه الاحرار ولقد روي ان بعض  
الملوية قال في هوى له

ولما بدالي انها لا تحبني وليس هواها عن فؤادي بمغلي  
تمت ان تهوى سواي لعلها اذا عرفت طعم الهوى ان تجودلي  
لجاء رجل يسأل عنه فقال مفضل المتديث في شعره فهذا عيب عليه ما قال سيفه خير  
زوجته ونسب الى التديث بما قال ولقد عيب على القتل

لعم بدعد ما حبيت فان امت فواحرنا من ذلبيم بها بعدي  
فقال له بعض من سمع هذا البيت وما همك بين ٠٠ بمدك وشنان بين مسكين الـ ارمي  
في اغفاله امرأته وتركه الغيرة عليها وبين الذي يقول

اذا كنت ذا عرس تضن بوصلها فلا تخرجنها تبني ليلة القدر  
فلا تدخل الحمام عرسك انني أخاف من الحمام قاصمة الظهر  
والى هذا اشار ابو علي البصير في قوله

دهتك بسلّة الحمام خشف ارى اخبار يثك عنك تخفى  
ومال بها الطريق الى سعيد فكيف وليت اعمال البريد  
والى هذا نظر عثمان بن سعدان بقوله

سألت زوجها الخروج عن الح واستقامت على الطريق اليه  
لم تخف فتنة الفتور لا في قلوبها من تلهب وحرق  
واقامت بهائم الهوى لأما ثم شق الجيوب والتخربق

ويروي ان جميل بن معمر كان يقول ما رأيت مصعب بن الزبير يمشي بالبلاط لحقتني  
الغيرة على شينة وهي بالجناب وبينهما مسيرة عشرين ليال للراكب المجد المسرع ويقال انه لم  
ير في الدنيا رجل كان اغبر من مالك بن طوق تزوج امرأة من بني تغلب فجاء اخوها يزورها  
فأقام ستة حتى وصل الى من أدى وسأله اليها

هذه نموذجات من حجاسة الخالدين بها تعرف ما هو فضل صاحبيه وما فائدة هذا  
الكتاب في فن الادب فان بيان كل شعر ونسبته لغائله الاول ومن هذا على منواله ومن كان  
المتجمل او السارق لمع شرح محال الغموض والدلالة على الرائق من القول كل هذا مما ينتج

التمن ويمن الكاتب والشاعر وقد أخبره أحد كبار أهل العلم أنه لم يفتح كتاب في جودة هذا الكتاب حتى الآن في علم الأدب بهذا لو تصدى أحترار باب المطابع لطبعه . وقد كنا نود أن نقض في الاقتباس منه أكثر ولكن خشنا أن تضيق صفحات المقتبس لأن كل ما نقله المؤلفان حري بأن ينقل ويؤثر وقد ختما كتابهما وهو في ٢٢٣ ورقة من قطع نصف بهذه الأسطر : قد اخترنا في هذا الكتاب من أشعار العرب وبديع معانيهم وفريب استعاراتهم وتشبيهاتهم ما وقع في جملة من الورق كثيرة وضمت عدة أجواف في أردنا أنه ذلك لا تنفرد علينا ونكتنا نكرم به إلا أننا ملنا إلى الاختصار وتجنبنا إلا أكثر وفي ذلك من ذلك مقنع وبلاغ ودلالة على فضل المتقدمين وجميع ما اثبتناه باختيار من أشعارهم المشهورة والمجهولة وما لنا إلا الجمع والتأليف ولعل غيرنا ممن يقرأ هذا الكتاب يزدل شيئاً مما اخترناه ويهجن شعراً نقلناه وهذا غير مشربنا ولا ناقص لنا لأن لكل إنسان اختياراً وليس آخر ممن يتصفح يعرف الظاهر لشيء مما ذكرناه وهو لا يعرف غيره فيشبع تائلاً ويقول تركوا نظائره ولم نشرط أنا أن يجمع الظاهر ولعلنا أعرف بما خرج الزاري علينا منه : لا أن تركناه لمضى ويجوز ألا نعرفه لأننا لم نعط جميع العلم . والشعر أكثر مما يحصى . والغرض الذي ذكرناه وأردناه من البيئة على محاسنهم فقد بلغناه والآن بدأ بمون الله وحسن توفيقه في اختيار أسفار المحدثين وغريب معانيهم وحسن استعاراتهم بعد هذا الكتاب ليشتغل الكتابان عنى القئين من الشعر القديم والمحدث ونرجو أن يقع هذا الكتاب الآخر . وقع الكتاب الأول من قلب من صنفناه من أجله أبده الله أن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

## أبولامة والمستقبل (١)

قضت المطامع أن نطيل جدلاً      وإيبرت إلا باطلاً ومحالا  
سنة كل يوم للمطامع ثورة      باسم السياسة تمحيش قتالا  
ما عسر من ساسوا البلاد لو انهم      كانوا على طلب الوفاق عيالا  
امن السياسة أن يقتل بضنا      بضاً ليدرك خيرنا الأمان  
لا در دره اولي السياسة انهم      قتلوا الرجال ويقرأ الأطفالا

(١) المقتبس - نظم الشاعر العالم جاب هذه القصيدة قبل إعلان الدستور العراقي أو إطلاق الحرية بثلاثة أشهر فكانه أدرك بمسره فكره ما سيكون



غرسوا للطامع واخذوا يسقونها  
شروا الدماء على البطاح شقائقا  
تفني الجيوش ولا ضغائن بينها  
قالوا كرهت الحرب قلت لانها  
واجلت فكري في الحروب فلم اجد  
طاشت منافعها الصغار عن الوري  
ما اجشع الحرب القروس فانها  
كم سح من ربح الحروب على الربي  
لولا الحروب ومحركات صواعق  
فجئت بنا الارض البيضاء وما حوت

\*\*\*

ابني السياسة ان سلكتكم بالوري  
ان جرت الحرب الكال لامة  
ان الحياة كثيرة اعمالا  
وتقسموا حرب الحياة فانها  
واستلثموا زرد الوفاق واشرعوا  
واقنوا ان بيض المساعي شربة  
واعلوا على صهيواتهن رواكف  
ودعوا صيالا في الملاحم ان في  
اوكلما ضمع القوسية شربة  
لاغرو ان بلد الزمان بمره  
ليذراع يقتل بالمواطف قرنه

\*\*\*

اذ جاوز «التصور» جيشا قاده  
فقد وفيه ابو دلامة مكرما  
حق اذا التفت الجيوش وجهت  
برز الكمي من الشراة مجردا  
فاجال روح في الجنود بلاظه

بدم تحريق على الثرى سيالا  
وتوهموا الروضة المحتللا  
سبقت ولا ترة ولا اذحالا  
دارت لتتصب الحقوق الا لا  
ابدا لمن سوى الخور بهالا  
ورست ما تمها الكبار جيالا  
تحسوا النفوس وتأسكل الاموالا  
وبل الدماء فزادها اسمالا  
منها لا بقت. الزنى ابقالا  
في غير ما زمن القطل جمالا

طرق الرشاد فملوا الجبالا  
فالعلم احري ان يمر كمالا  
فدعوا الاقام وحاربوا الاعمالا  
فهر اضيق مأزقا وبجبالا  
فيها تعاونكم فتا وفصالا  
تجربتي رعالا للخي فرعالا  
لثكرات تسابق الاجالا  
هذي الحياة ملاحم وصيالا  
اكل الضيف تحيفا واغثالا  
كأبي دلامة من بنيه رجالا  
قتل ادام حياته واطالا

«روح» يودع «الشراة» قتالا  
لحروب اخرج كي يصب نكالا  
سقا خضفا بمنة وشمالا  
لثيف يطلب من يطبق زالا  
والقوم ينتظرون منه مقالا

فدعا اليه ابا دلامة قائلاً  
 فجرى اليه ابودلامة هازلاً  
 فشكى لروح جوده فازاده  
 فانصاع من عجل وسخط زاده  
 ياليت دونك ذلك الزبالة  
 ثم استقال فلم يكن ليعالا  
 بدجاجتين وحته استجبالا  
 ومضى يحجب لقرنه مختالا

\*\*\*

فاق وقد شهر الكمي بوجهه  
 فدنا اليه ابو دلامة قائلاً  
 الي ايتت وما ايتت مقاتلاً  
 فاسمع مقالة من اناك ولم يكن  
 واعلم بالي لا اخاف منيتي  
 لكن ارى سفك الدماء محروماً  
 امن المروءة ان تريق دماءنا  
 هل كنت من قبل اللقاء رأيتني  
 او هل طرقت خيام قومك لجانبنا  
 ما ذا جرى بيني وبينك قبل ذا  
 احق شهرت علي سيفك تبغني  
 فارياً بنفسك ان تكون من الاولى  
 سيفاً يودع غواره الاغوالا  
 سهلاً قاغمد سيفك القصالا  
 من لت اطلب عنده اذحالا  
 فيما يكون مخادعاً محتالاً  
 جيتاً ولا اتبهب الابطالاً  
 واعيد رأيك ان تراه حلالاً  
 سنباً لمطمع طامع وضلالاً  
 يوماً وهل مني لقيت نكالا  
 او هل خربت بحيم آبالا  
 مما يجور خصومة وجدالا  
 ضرباً يقطع مني الاوصالا  
 زحفوا جنونا كوغى وخبالا

\*\*\*

فراى الكمي مقاله متعالي  
 فمتنا وأذعن الحقيقة مقعداً  
 ولوى اللسان من المظم قائلاً  
 فثنى اليه ابودلامة مخرجاً  
 ودعاه يالين اولي للكارم راشداً  
 الي لا رجو ان تكون مواكبي  
 فتدانيا مخلفين واقبالا  
 حتى اذا اكلا شواء اديرا  
 حقاً وكل حقيقة ثعالا  
 سيفاً اجادته التيور صفالا  
 روح بالامان فلا لقيت وبالاً  
 زاداً تملق بالسموط مثالا  
 اكرم اخاك بوقعة اجمالا  
 في ذا الشواء الا تحب اكالا  
 وما علي فرسيما اقبالاً  
 بعد الروداع ووليا الاكفالا

\*\*\*

رجا فزار ابو دلامة ظاهراً والنهر يحفل تحتهم اجتمالا  
حتى اذا وافى الامير وقام عن كسب نرجل دوله اجلالا  
ونغا يقول وكان روح فاضحاً اني كنيك قومي الرئاسالا  
وقتلته بالقول لا يهنديني والحرب اخرى ان تكون مقالا  
واخذت سبة العيجا عليه موثقاً انت لا يعود يذول الابطالا

\*\*\*

انت المواقف لا تزال مجسم مني تقول اذا شكوت الحالا  
لا تيقن فلزمان تنفس فارقه انت يتبدل الابدالا  
والمنع منه سوف يغيي اهله بالحادثات يزيدوها اشعالا  
انت المبحور ومن امهر سابت سترد اخذداد للورى اشكالا  
حتى كاني بالغباع تبدلت غير البباع وزلت زوالا  
وكانني بنى انلاحم اسجوا لابي دلامة اكهم امثالا

بنفاد  
معروف الرصافي

## حكومة الشورى في المملكة العثمانية

من أدق المسائل واعظها مسألة تولية الملك واختيار الصالح لحكم الناس بالعدل والميل . . .  
مسألة شغل البشر في كل دور من ادوارهم فقتت ولا تزال تقضي في تأييد سلطة الملوك ملايين  
من الناس . على هذا كان الحال في حكومات الفرس والرومان واليونان وهي ارقى الامم  
القديمة وعلى هذا صار أمر حكومات العرب بعد الاسلام في التمرن الوسطى والحكومات  
الاخرى في القرون الحديثة

الناس يجير ما حافظ ملوكهم على النظام في الجلة فاذا استرسلوا في شهورتهم وامواتهم  
واستهانوا بن تولوا وقابهم فمالوم مسألة الانعام التي يرثها الامن عن ابيه ويتصرف فيها  
بما يشاء بعد الامر وتنتشر الفوضى ويتراج الممران ويذهب السكان . ستة من سنن  
هذا البكون منذ قامت المجتمعات الاولى وما من شيء يدل الآن على زوالها من العالم  
كل الزوال .

لا بد للناس من طاعة زعيم يرجعون اليه ببعض أمور دنياهم ولو صورة فاذا استقام

هذا الزعيم وسار بشورة اهل الرأي من قومه انتقامت شؤنهم وتددت مراميهم . وقد كان من الخلافة الاسلامية وهي تجمع بين السلطين الدينية والديوية اثر عظيم من الجبري على هذه الطريقة باشارك الخليفة اصحابه وسروات بلاده في حربه وسلمه وغنمه وغرمه الا ان هذه الصورة من الحكم لم يطل عهدها كثيراً فانقلبت بعد زمن قليل الى ملك عضوض يسعي معاوية بن ابي سفيان وغدا يتقلدها صاحب القوة بل كل ابن يوصي له بها ابوه معها كانت اخلاقه وكفافته وسنه

قال ابراهيم الانصاري وهو ابراهيم بن محمد القلوج من ولد ابي زيد القاري : اخلناه والائمة وامراه المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة واماماً قال : ولذلك فضل بينهم ابو بكر رضي الله تعالى عنه في خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : انت اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرغ الناس رؤوسهم فقال : ما لكم ايها الناس انكم لطلعاتون عجولون ان من الملوك من اذا ملك زعمه الله فيما عنده ورغبه فيما في يدي غيره وانقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويستغضب الكثير ويسأم الرخاء وتقطع عنه لذة الباء لا يستعمل العبرة ولا يمكن الى الثقة فهو كالدرم القسي ( الرديء ) والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونفس عمره وذهبي ظله حاسبه الله فأشد حسابه واقل عفوه الا ان الفقراء هم المحرومون وخير الملوك من آمن بالله وحاكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق الحجة وسترون بعدي ملكاً عضوضاً وملكاً عنوداً وامة شعاةً ودما مفاحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفونها الاثر ويموت لما البشر فالزموا المساجد واستذكروا القرآن والزموا الطاعة ولا تقارفوا الجماعة وليكن الابرار بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر اي بلاد كبره (٩) ان الله يفتح عليك انصاها كما فتح عليكم ادناها .

وبعد فان معاوية مبدأ شقاء هذه الامة بما كفا اسفد امرها كما قال الحسن البصري ليحقق اطاع نفسه ولم يكفه منك دماء المسلمين في وقعة صفين حتى قام يعبد بالخلافة لابنه يزيد من بعده وفي العرب وقتئذ من رجال قريش والصحابة بقية سالحة اضطرم الى مبايعة يزيد والسيوف مصلنة على رقابهم في مسجد المدينة . واجتال لذلك بكل حيلة تأليب النفس الشريرة ان تأنيها . فأصبح خلفاء الاسلام بعد ان كانوا مساوين للرعية أرباباً يحكمون بالاموال والدماء والاعراض تحكم الحر المطلق الذي لا يسأل عما يفعل يقولون بضعف الناس ويشنون بل قمارهم ويعتزون باذلالهم

جاء خلفاء من بني أمية وبني العباس عقلا معنى الخلافة وادركوا حقوق الرعية وعرفوا ان الشورى لا تستقر الا اذا كان الخليفة كاملا في ذاته وصفاته فأحبوا ان يجعلوا الملك بانتخاب الاصح بعدم كهم بن عبد العزيز الذي مثل الخلافة الاسلامية على قاعدة الشورى احسن تمثيل ولطالما قال وقد رأى محمد بن ابي بكر : لو كان لي من الامر شيء لقلدته الخلافة بعدي . ولكن بني مروان يشق عليهم ان يخرج الخلافة عن رسمها القيصري الذي رسمه كبيرهم لتكون كالبقرة الملوحة ينتفع بها الاقرب فالاقرب من الخليفة . وكذلك فعل المأمون وقد رأى علي بن موسى الرضا عقل اهل زمانه واشرفهم فعهديه بالامر من بعده فلم يرض عن صنيعه آل بيته ولا الطالبيون ورماء اهل السنة بالشيوع والشيعه بالاعتزال وهو الموقر العلم في عدله وسيرته واشار مصلحة الامة على مصلحته نفسه وآله . ومنذ ضعف امر بني العباس واستولى ملوك الطوائف ضعف امر الخلافة بل ذهب رسمها جملة واصبح الملوك بحسب الاتفاق ان صلح واحد من مئة يجي : اخلافه يفسدون ما وضعه . ساعد على ذلك في الاكثر ضعف الآداب والاخلاق وزهد المتأخرين بعلوم الدنيا والدين فصيح فينا قول ذي همرو من امراء المؤمنين لجرير بن عبد الله (١) : « انكم معشر العرب لن تزالوا تبغى ما كنتم اذا ملك امير تأمرتم في آخر فاذا كانت بالسيف كانوا ملوكا يفضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك » بل صدق علينا ما رواه الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لا تزال هذه الامة تحت يد الله ما لم يار قراؤها امراءها ولم يترك حلها ما لم يار خيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم سلط عليهم جبارتهم فساموم سوء العذاب وضربهم بالفاقة وملأ قلوبهم رعبا .

ولقد كتب لبي عثمان ان يغلبوا على معظم بلاد الاسلام ويتوا دولتهم على انقاض حكومات كثيرة فدان لهم المغرب الاوسط والمغرب الادنى وبقية مصر والشام واليمن والحجاز والعراق والجزيرة وآسيا الصغرى وجزر البحر الرومي ومكدونية وغيرها من بلاد البلقان وكانت كلها تن من وطأة الحكم المطلق في كل عصر من اعصارها وتحتفل حتى عصا الطاعة اذا امكنتها احوال على نحو ما وقع للمغربين ومصر وبلاد اليونان والبنغار ورومانيا والعرب والبرسنه والمرك والجبل الاسود وكريت وقبرص فانسلخت عن جسم الدولة بتساعده أوروبا لها من الخارج وما عي سكانها من الداخل

والسبب الاعظم في ذهاب القاصية من بلاد الدولة كونها ما برحت منذ اول تأسيسها دولة سيف وسان لا دولة علم وعرفان . وشخامة الملك لا تجدي اذا لم تنظم شؤونها بنظام الاجتماع

(١) صحيح البخاري باب ذهاب جرير الى اليمن ص ١٦٦ ج ٥

والعلم الصحيح . فغربت البلاد بسياسة التفرق بين العناصر والاجناس بيد ان دول الحال على ذلك مجال مادامت أوروبا شاخصة بسماها نحو الشرق لنخسر كل ساعة لاكتساحه منذ زهاء مئة سنة وننتال الى استماره القطعة بعد القطعة .

عرف وخامة العاقبة اهل الرأي في الامارة العثمانية فقاموا منذ نحو أربعين سنة يتادون سبغ الدعوة الى لم التمثع وبجارة الحكومات الا وربية في نظامها مدعا شناسي وكبيل ومدحت وفاضل وسماوي وم طليعة الاحرار الا يرار الى نبذ الحكم المالمى والامتعاضة تنبالحكم المفيد اي ترك الحكومة الاستبدادية الشخصية والاخذ بسن الحكومة المدنية الشورية لتشارك الامة سلطانها في ادارة شؤون البلاد وهو يشرف عليها اشراقاً وبفدما تقرر تنفيذاً كما هو حال اعظم ملوك الارض لهذا العهد امراطور الالمان ومالك الانكليز وميكادو اليابان ورئيس جمهورية اميركا على اختلاف طفيف في كيفية تأليف مجالسهم وائتلاف ذوي الرأي من اهلهم في سلطانهم .

وما فني الاحرار ينشرون دعوتهم في جرائد لهم انشؤها وجمعيات تنوعها وكلمتهم تزيد انتشاراً كلما اشتدت الحكومة في ارضهم ولا سيما في المدارس العالية في الاستانة والمدارس العالية بجمع شمل اذكيا الطلاب من الترك والعرب والجرس والارمن والاولاد والالاز والروم والارمن حتى اذا عادوا الى بلادهم وتفرقوا في الولايات يضيئون نبي تدمر الاهلين من فساد الاحكام تدمراً ويكثرون سواد الخنقين على ذلك النظام الرث القدي .

ونا اوشكت الدولة العلية ان تسقط سنة ١٢٩٣ باحتجاج كلمة أوربا عليها أعلن

القانون الا-ا-ي سعي مدحت باشا واعوانه وذئنتع الامة اربعة اشهر بافتتاح مجلس نوابها حتى أقفل فمادت الحكومة ترسف في قيود الحكم الاستبدادي حتى كيفية اشد من قبل ففسدت انبيات والثائت الاحوال وتنكرت الاخلاق وهرلت الفضيلة وبات القول الفصل للرشي وللمحابة والشفاعات وراحت سوق النفاق رواجاً لم تعيده آتية في آخر ايامها ولا رومية عند زوال سلطانها بين ولا فروق لما تاذنت الله باغتيال النعمة البيزنطية منها . كثر الفس والخذلية وغلوا في التجسس والوقعة وكثرت المجرة من البلاد فهجروا قسم عظيم من العالمين والمثكرين من اهلها وتقهتر عمراتها فوصلت بعض اقطرها الى درجة من الفقر لم يعرف التاريخ انها بلغت في وقت من الاوقات واسى العاقل فيجب من بقاء الدولة العثمانية على هذه الحال وما بقي منها الى اليوم هو من اخصب بقاع الارض جمعت اطايب الكور من القارات الثلاث أوروبا وآسيا وافريقية وهي العدة والمائد بين شرق المعمور وغربه واهلها من اقوى العناصر ذات الحضارة القديمة المنيفة كاتب لها ايامها التي

المججلة وفيهم العرب والفينيقيون والحيثيون والروم والبالينيون والاشوريون والمكدونيون والارمن واليهود

زاد ضغط الحكومة على الامة في السنين الاخيرة وضعت فيها كل مكة ونال المجند حظ وافر من النشأ فصار المرابطون منهم والنزاة لا يصحون الا ما يحفظ عليه رمة فقط وكثيراً ما كانوا يهلكون جوعاً كما وقع لهم في ايجن مرات وقد يتخذون السنين ولا يلبسون ثياباً تقبهم حرارة الحر وصاروا للقر والجند سياج المظنة اذا استهين به فهناك العطب .

دامت هذه الحال زمناً وازداد الضباط من الناشئة الجديدة لا يحسمون على بث دعوتهم علناً فلما زاد برؤس الاجناد اخذوا يشون فيه مدي الثورة فزوا قلوبهم مستعدة لقبول ما يلقى عليها فتردوا بعض الجند في آسيا الصغرى ثم سرت روح التمرد الى جند مكيدونية وقد اتفق الجنود بأن الدولة لا تبهم بأرواحهم اهتمها بلينادق التي يحملونها . واتفق ان ضاقت صدور الارناؤد في مكيدونية من ضمع الدول الاوربية فيهم وادركوا ان حكومتهم تسلم وتلقي في عجزت عليهم على غاربه كما فعلت مع غيرهم فيمكنون تحت سلطة الحكومات الاجنبية على نحو ما وقع لسلي البوسنة والمركس وبلغاريا ورومانيا والصرب والجبل الاسود . ولما تم كل هذا قام الارناؤد وهم في الشجاعة كعرب البادية بدءاً واحدة في مناصرة ذلك الجيش المطالب بالدستور واتحد الفيلقان الاول والثاني في مكيدونية وتبعه ما الفيلقان الرابع في كردستان

وكانت جمعية الاحرار التي جمعت شعارها «الاتحاد والترقي» ودير امرها تدبير من ضب لمن حب تسعين على قضاء حاجتها بالكتان الشديد فتنتقل اسرارها شفاعاً واذ عرف القابضون على ازمة الاستبداد بما تنزع اليه وهالته عاقبة شأنها وكانت طمعة الجواميس قد هوت في نادي الضابطان البطلان نيازي بك وانور بك الى الدستور اوزيرخان يمجدها على الاستانة فلم يسع صاحب البلاد الا ان يعيد العمل بالقانون الاسامي الذي كان اوقعه منذ احدي وثلاثين سنة فصدرت الارادة بوضعه موضع العمل صحيفة يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية هجرية الموافق ١١ تموز سنة ١٢٢٤ ١٢٢٤ شرقى و ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ غربي وبوشر انتخاب نواب الامة . وما نحن نكتب بعد مضي شهرين على اعلان الحرية في البلاد وقد انقلب كبرها الا قليلا

فسيحان من قلب بالجيش نظام المملكة العثمانية كما انشأ بآبي مسلم انخراساني دولة الخلافة العباسية . واتقلاب الحكومة المطلقة في السلطنة العثمانية الى حكومة مقيدة لا يقل

في الغزاة عن تأسيس الي مسلم لقولة بني العباس لا عرفت به الامة في عهدنا الاخير من اتخذوا الفشل ورثته من القتل والصفار ولا بلغ من سلطان الاستبداد على النورس الذي طوي الان بساطه آخر الدهر ان شاء الله . فساغ ان نطلق على الدولة استبداداً مخفية ما « نقل عن عبي بن عيسى بن الجراح قال : سألت اولاد بني أمية ما سبب زوال دولتهم قال : اربع خصال اولها ان « زراءنا كتبوا عنا ما يجب اظهاره لنا والثانية ان جباة خزاننا ظفروا الناس فارغوا عن اوطانهم فغرت بيوت اموالنا والثالثة انقطعت الارزاق عن الجند فتركوا طاعتنا والرابعة ايس الناس من انصافنا فستراحوا الى غيرنا فهذا كان سبب زوال دولتنا »

سارت الدولة للاحرار وقبضت بعمونة شيخ الاسلام السيد جمال الدين افندي . على قياد الساطنة وظهرت دواوين الحكومة من الخريين وتحسين واشقى الامراء كما قال القنفي الفاضل من سمن كيه واهزل الخاق واجدم من الحق من اخذ الباطل من الناس ومما الحق . فبدأ أولئك المصلحون بالاستقامة وثبتوا بالولايات ولا يزالون بفضل وزارتهم الحرة يخون عن الوظائف كل من وصم بالخيانة والاضراب بالناس ويوسدون بها الى كل حرافة وتوشك ان تغدو دولة بني عثمان من ارقى حكومات هذا العصر اذا ظلت سائرة نحو عشرين على النهج الذي اختطته من النظر في احوال البلاد والامة باخلاص في القصد وتيقظ لا يقطع طريق الرجعة على المستبد والهي الى ترقية الدولة والامة في الماديات والمعنويات .

نكتب هذا وقد خنس شيطان التفريق بين عناصر الدولة واهل اغل المختلفة فيها بعد ان وسوس القرون بينهم وغدا المسلم وغيره بل والتركي ومواجهته سواء في الحقوق مع مواطنه لا يمتاز عربي عن جمعي الا بالعمل الصالح ولا سلم عن ذمي الا بما ينفع البلاد . وقد اطلقت حرية الاجتماع وحرية القول وحرية الكتابة بعد ذلك الفسطة المحيطة والنيية الجاسوسية التي جعلت وكدها في كشف عورات الناس بما لا يفيد شيئاً في حياة الدولة وبطل الاسطناع والثفاة والمحاباة والمدحاة وأصبح كل فرد يغتن بجهته وتحت امام ابناء البلاد ابواب الثروة والرخاء وبات الامل معقوداً بان ينسى الناس او يتناسون ذلك التاريخ المحض بالدماء مدة ستائة سنة .

ومن الجدير بالتدوين ان الامة نالت هذا المستور الجديد بدون امراق دماء على نحو ما جرى للامم الغربية قبلنا ولم تعد ابواب فيه التهديد والايها . وليس انتقال الامر من يد قادية الى يد اخرى من الامور الهينة الآلية وكان الله اراد خيرا بهذه الامة لحفظ لها



دماءها من الأحرار في هذا السبيل ولطالما امرقتها طائفة أو كارهة فيما لا يجدي. نعماً  
 هذا الدستور عهد يكتب بين الراعي والرجة أو بين الحاكم والمحكوم عليه ولم يكن  
 ما يشبهه في الحكومات القديمة على ما اجمع عليه المحققون وإن كان للرومان مجلس اعيان  
 ولجمهورية اليونان نواب ولدولة العرب دار ندوة . والاولى أن يقال أن الدستور آخر ما  
 بلقته الحكومة الراقية في البشر وهو زبدة أنواع الحكم واسلمها وانفعها وأنه من عمل القرون  
 الحديثة يعلن في الغالب زمن الثورات والازمات ويكون أما بتعديل النظمات القديمة أو  
 بالفاؤها وقد اختارت الحكومة العثمانية تعديل القديم ونما فعلت فكانت أول حكومة اسلامية  
 سبقت الى الدستور كما كانت انكلترا أول دولة اوروبية جاء من مدنها وكلاهما عن الأمة  
 ودخلوا في الشورى العامة الاهلية سنة ١٢٦٥ م قال روبرتسون: ولولم يكن من الشورى في  
 اوربا الا ابطال الرق لتكنى فقد كان أهل الفلح والقرى ارقاء تابعين لمالك الأرض التي كانوا  
 يزرعونها فكان للمالك حق التصرف فيهم مع الأرض بالبيع للمالك آخر وصار لفظ سيد ولفظ  
 عبد وهما من انقطع الانقلاب البشرية وانفضها الى النفوس متوكلين رأساً وبطل استعمالها  
 جملة واحدة . فمضى ان يكون الدستور العثماني النظري الآن عملياً في البلاد كاللستور  
 الانكليزي الذي ادهش الامم وهو عملي صرف لم يسطر حتى الآن وإن يأخذ العثمانيون  
 خلاصة ما تعلمته الحكومات الديمقراطية الدستورية بطول التجارب فتكون دولة بني عثمان  
 كالمانيا في علمها وبربها وانكلترا في سياستها وبحريتها وفرنسا في مالياتها وزراعتها واميركا  
 في شركاتها وعظمتها وما ذلك ان سمعت المزامير يز .

## بين العرب والفرس

من اشهر القصائد الاجتماعية العربية قصيدة لقيط بن يمر الايادي ينذر قومه غزو  
 كسري اياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعا على غزو اباد كتب اليهم  
 بهذا الشعر فوقع الكتاب بيد كسري فقطع لسان لقيط وغزا اباداً . قال ابن دريد في  
 كتاب الاشتهار الذي نشره وتنفيل سنة ١٨٥٤ : ومن رجالهم لقيط بن مبيد صاحب  
 القصيدة التي اندربها اباداً لما غزتهم الفرس وهي

كتاب في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من اباد

يعني جزيرة العرب وله قصيدة اخرى على العين مشهورة . وقد نيسرت لنا هذه مظان

ومنها بعض مخطوطات فعارضنا القصيدة عليها واثبتنا منها هنا اصح الروايات واشفنا اليها بعض زيادات وما هي بنصها المحجب

بادار عصرة من محتلها الجزعا حاجت لي الهم والاحزان والخذنا (١)  
 تامت (٢) فؤادي بذات الجزع خربة (٣) موت تريد بذات العذبة اذينا  
 بقلقي خاذل ادماء طاع لها نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا  
 وواضح اشنب الانياب ذي أسر (٤) كالأقحوان اذا ما نوره لنا  
 جرت لما يئنا جبل الشموس (٥) فلا يأساً مبيتاً ترس منها ولا ثلماً  
 فما ازال على شطح يؤرقني طيف تعمد رجلي حيث ما وثقنا  
 ارى بعيني اذا أمت حملتهم (٦) بطن السلطح لا ينظرون من تهما  
 طوراً ارام وطوراً لا أينهم اذا تواضع خدر سانة لهما  
 يا ايها الراكب المزجي على عجل نحو الجزيرة مرتاداً ومتجماً (٧)  
 ابلغ اباداً وخلل سيف مرانهم اني ارى الرأي (٨) ان لم أعص قد نسما  
 يالغ نفسي ان كانت امورك تنق واحكم امر الناس ما اجتمعنا  
 اني اراكم وارضاً تعجبون بها مثل السفينة تقذف الوعث والطبعنا (٩)  
 الا تخافون قوماً لا ابانكم امسوا اليكم كامثال الدبا سرعاً (١٠)  
 ابناء قوم نأووك على حلق لا يشعرون اضمر الله ام تقعا  
 احرار فارس ابناء المسوك ثم من الجوع جوع يزدحم القلعا (١١)  
 هم سراع اليكم بين مقتط شكوا وأخر ينجي الصاب والسلمنا (١٢)

(١) الرواية في امالي ابن الشجري : اخبرنا بدل الجزعا والجرع والاجرع والجرعاء  
 الرملة لا لثبت . وفي رواية والوجعا بدل الجذعا (٢) تامت نبت اي عجلت وذلك ومنه  
 نيم الله كأنه عبد الله (٣) انخرجة التابة الحسنة القوام (٤) اشنب دقة في الاستان  
 وعذوبة والأشرحن الاستان وحده اطرافها (٥) الشموس من الدواب الذي لا يكاد  
 يستقر (٦) وفي رواية : ارى بعيني اذا مالت حملتهم (٧) في النسخة المطبوعة

بل ايها الراكب المزجي مطيته الى الجزيرة مرتاداً ومتجماً

وفي رواية المسري بدل المزجي (٨) في رواية : ارى الامر بدل الرأي (٩) الطبع  
 الصداً بكثرة على السيف والطبع تدنس العرض وتلطفه واستماره هنا للقضاء والكدر  
 (١٠) الدبا صغار الجراد والتمل (١١) ازدهيت فلاناً تهازت به (١٢) الصاب والسلم

شجران مران

لوان جمعهم راموا بهدته (١) في كل يوم يغترب الجراب لكم خزر عيونهم كأن الحظير لا الحوت يشغلهم بل لا يرون لم وانتم تحرقون الارض عن سفه ويلحقون حمال الذول آونة وتلبسون ثياب الامن ضافية انتم فريشان هذا لا يقوم له وقد اقلكم من شطر ثورك ما لي اراكم نياما في بلهنية ١٠١ فاشفوا غالي برأي منكم حسن ولا تكونوا كمن قد بات مقتنعا ١٠٢ يسي ويحب اب المال نظله فاقوا جيا دكم واحوا ذماركم واشروا تلادكم في حرز انكم ولا يضع ١٠٥ بعضكم بعضا لتائبه اذكوا البون وراه السرح واحترسوا فان غلبت على ظن ١١٦ بداركم

شم الثمار يخ (٢) من ثهلان لانصد لا يهجون (٣) اذا ما غافل مجما حريق نار ترى منه انسا قطعاً (٤) من دون يفسنك (٥) ريكاً ولا شيعا سيف كل محتل تبغون مزدرا (٦) وتنفون بدار القلعة الزتما (٧) لا تنزعون (٨) وهذا الليث قد جما مصر الليوث وهذا هالك حقا م له ظلل (٩) تقاسم قطعاً وقد ترون شهاب الحرب قد سطا يفغي فؤادي (١١) له رين قدنقا اذا يقال له ادفع غمة كنما اذا استفاد طريفاً زاده طما واستشعروا العبر لا تشتعروا الجزعا ١١٣ وحرز سونك لا يهلكوا هلمنا (١٤) كما تركتم باعلى يشة نجما حتى ترى الخيل من تعدادها رجما فقد لقيت بامر حازم (١٧) فزما

(١) في رواية شدته (٢) الثمار يخ والثناخير رؤوس الجبال (٣) في رواية لا يغفلون (٤) تخازر قبض جفنه ليحدد النظر . وفي رواية حريق غاب بدل حريق نار (٥) سيف رواية من دون قتلكم (٦) وفي رواية في كل ناحية تبغون مدرعا (٧) وفي رواية وتلقون حمال الخ وبدل الزتما الزما وهي الناقة الصغيرة والبيضة هنا كناية عن مقدار الدار . ومعلقة القوم . ويقال هذا منزل قلعة اذا لم يكن مستوطناً والقوم على قلعة اي رحلة (٨) في رواية لا تجعون (٩) وفي رواية حول له ظلم ١٠١ (١٠) البلهنية العيش اللين (١١) برأي منكم حصد يصيح فؤادي له (١٢) مكتنعا

(١٣) صونوا جيا دكم واجلوا سلاحكم وجددوا للقمي الثبل والسرا وفي رواية بدل جيا دكم خيالكم وبدل سلاحكم سيوفكم (١٤) وفي رواية تلادكم بدل بلادكم واحلكم بدل سونكم ولا يهلكوا بدل لا تهلكوا (١٥) ولا يدع (١٦) عن (١٧) الحازم

هيئات لا مال من زرع ولا ايل  
لا يهلك ايل ليست لكم البلاد  
لا تثرؤا المال للاعداء انهم  
واقه ما انتقل الاموال منذ بدال (٢)  
يا قوم ان لكم من اوث اولكم  
ماذا يرث عايكم عز اولكم  
فلا تفرسكم دنيا ولا طمع  
يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غربا  
يا قوم يضربكم لا تجمعن بينا  
هو العناد الذي تبقى مذلته  
هو الجلاء (١٥) الذي يبحث اصلكم  
قوموا انما على امشاط (٧) ارجلكم  
وقلدوا امركم لله دركم (٩)  
لا متفرقا رخاء (١٠) العيش ساعده  
لا يعلم النوم الا ريث يمشه  
مسهد النوم تنبيه امورككم  
ما اتلك يحلب در (١٤) الدعر اشطره  
وليس (١٥) يشغله مال يثره

(١) ان العدو يطمع منكم قوما (٢) وفي نسخة ان يظهر وا يمتوكم والثلاث معاً (٣) والله ما  
انتفكت الاموال مذابد (٤) الجذع من الابل الذي اتى له خمس ومن الشاة ما تمت له سنة  
ويقال للهر في السنة الثانية جذع ويقال للدهر الازلم الجذع لانه جديد ابد وقوله اخاف عليها  
الازلم الجذع اراد الدهر ويقال اراد الاسد (٥) الفناء (٦) يوما (٧) المشط سلاميات  
ظهر القدم وهي عظام الاصابع واحسنتها سلاحي (٨) الامر (٩) الدر اللين وقه دره اي الله  
عمله ويقولون في الدم لادر درماي لا كثر خيره (١٠) رخي (١١) حل (١٢) في رواية  
لا يعلم النوم الا حيث يحتره هم يكاد شبهه يقعب الضلما

(١٣) على (١٤) قوله حلب فلان الدعر اشطره معناه مرت عليه ضروب من خيره  
وشره واصل ذلك من اخلاف الناقة لما خلفان قادمان وخلفان آخران فكل خلفين شطر

(١٥) فليس

الجزء ١٢

(٩٨)

المجلد ٣ من المختصر

قد استمر على شزر مريته مستحکم السن لا قمًا ولا ضرطاً (١)  
 كمالك بن سنان (٢) او كصاحبه زين القنا (٣) يوم لاقى الحارثين معا  
 اذ عابه عائب يوماً فقال له دمث لجنبك قبل النوم (٤) مضطجعا  
 فثاروه فآلقوه اخا عل في الحرب يحمثل الرئبال والسبعاً (٥)  
 مستنجداً يتجدي الناس كلهم لو قارع القوم عن احاسينهم قرطاً (٦)  
 هذا ك: بني اليصم والقدير لكم لمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا (٧)  
 فقد (٨) بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا ان خير العلم ما تقعا

## (١) في رواية

حتى استمر على شزر مريته مستحکم الرأي لا قمًا ولا ضرطاً  
 والحبل المشزور المقتول مما يلي البار وامررت الحبل شدت قتله والمرة شدة القتل  
 والمير الحبل الشديد قتلاً والقم الشيخ الحرم والضرع الشيخ الضعيف (٢) اخ قنان (٣) عمر  
 القتي (٤) الليل (٥) وفي رواية

فثاروه فآلقوه اخا عل في الحرب لا عاجزاً تكسأ ولا ورعاً  
 وفي اخرى بعد هذا البيت

عبل القراع ايًا ذا مزانية في الحرب يحمثل الرئبال والسبعاً  
 (٦) لو صارعه جميعاً في الوغى صرعاً (٧) لمن رأى الرأي بالابرار قد نصعا وفي رواية  
 لمن رأى رأيه منكم (٨) وفي رواية فقد بذلت وفي اخرى لقد محضت لكم ودي بلا دخل  
 والدخل كاللقل والدخل الميب في الحسب وبنو غلان في بني فلان دخل اذا انتسبوا معهم  
 وليسوا منهم . وفي نسخة تقدم البيت الاخير في الاصل على الذي سبقه



## الاكتشافات الحديثة في القطب الشمالي

قالت مجلة مستندات التري ما مثاله : كانت أول حملة أرسلت لاكتشاف القطب الشمالي سنة ١٥٥٣ غلام شانلور ودورفورت وويلوغبي من الانكليز يحاولون الانسحاب من طريق الشمال الى طريق بحري للوصول الى آسيا الشرقية ودعي هذا الطريق بطريق الشمال الشرقي . وما يروح حب اكتشاف القطب آخذاً بنجامع العقول في سائر كثيرين الى تقمص تلك الصحاري الجلمدة في الشمال لكشف ما وراءها من الاسرار . ولما قُترحت المهمة في سبيل اكتشاف القطب من سنة ١٦٥٠ الى ١٧٥٠ بالنسبة لبيرو الادوار الا ان الرغبة في اكتشافه لم تنقطع منذ ذلك العهد . ومما اعتقد الناس بان ما ورد في أسطورة قديمة من ان في بحار الشمال جبلاً من المذطيس كان يدعو السفن الى هلاكه حين الى اكتشافه فتملك فيه - وهي اسطورة من الاساطير الخيالية العارية من كل حقيقة - فان القطب الجغرافي من الارض وان لم يره احد حتى الآن قد اثر في العقول تأثير ذلك الجبل من المخاطيس وكان من قوة تلك الجاذبية ان كانت السبب في هلاك ارواح كثيرة من البشر .

وغالب ذلك الفزع القديم بدون حل بعد جهاد لا يوصف مدة ثلاثة قرون ونصف ووقعت معائب هائلة في القصب والقطب نفسه لم يكشف . على ان هذا المسألة قد فقدت في العهد الاخير شيئاً كثيراً من شأنها العلمي . ومع هذا فلم يفت الباحثين عما يسادفونه في القطب ونزعوا من الافكار ما كان علق فيها مدة قرون من ان وراء تلك الاسوار الكالحة من الجليد متاعاً ومتدلاً وعدوه من باطل التقدير وقالوا ليس فيها الا الجليد والتلوج وبحر عميق فيه بعض جزر تختلف كثيراً وصغراً ولا تزال مجهولة وهذا ما يروونه في جوار القطب كما رأوا مثله حتى الآن في الاصقاع القديمة

ولا يرجى من اكتشاف القطب الشمالي حل مذكر ينفع العلم وما يتناس فيه القداميون في هذا السبيل بل يورغ القطب ليس سوى عبارة عن غريب من غروب الارتياض الهم الا ما كان من حيث الفائدة الجغرافية الصرفة . بيد ان الانسانية لا يقر لها قرار ان لم يكتب لاحد شجمان الزمان ان يدوس ذلك الطرف الآخر من محور الارض . والظاهر ان هذا اليوم وان طال العهد على قدمه غير بعيد الآن . فان ما تم من تقدم اكتشافات القطب في الخمس عشرة سنة الاخيرة قد بلغ حداً لم يكن يتأتى بلوغه حتى قري الامل بان ستكافئ تلك المهمة الماضية على جهادها قريباً والزمن حلال كل مضل . يعلم ذلك

بأنظر نظر لمن بقي يعمره على تاريخ القطب والبعثات إليه وما بلغه الباحثون من العرض الشمالي.

قدم التقدم بارتنس الهولندي فتح للمرة الأولى سنة ١٥٩٦، الدرجة التي بين من العرض ٥٥ وفي على المس زهاء مائتي سنة حتى تيسر له أن يتقدموا إلى الأمام ثلاث درجات أخرى وكان الضياد مكرسي أول من وصل في الحقيقة إلى الدرجة الثالثة والثلثين من العرض سنة ١٨٢٣ وقد يعلى الرحالة مارخام الأميركي إلا في سنة ١٨٧٦ أن تجلي نوا نندا أي إلى الدرجة ٨٣/٤٠ وبعد ست سنين بلغ وطيه سو كغورد الدرجة ٨٣/٤٠ وهكذا مضت ثلاثة قرون وقد يعلى البشر إلى أكثر من الدرجة ٨٣ في التقدم نحو القطب ولكن لم تمض أقل من خمس عشرة سنة حتى كثر التقدم في اعماق القطب وزاد شأنه أكثر من القرون الثلاثة الأخيرة فكان الرحالة ناندن اعظم فتحة لمولين باكتشاف القطب هار جابديدة فكان بذلك فتيه عهد سيودي ولا شلد إلى الاحتذاء بقطب واقتراح اقتناحاً أخيراً فوصل مع رفيقه جوهانسون في ٢ نيسان (أبريل) إلى الدرجة ٨٦/١٤ في شمال الأرض المعروفة بأرض فرنسيس يوسف ولكنه اضطر إلى الرجوع على اعتقابه وتقدمت بعثة البوق دي زايروز إلى أبعد من ذلك نحو الشمال فبلغ بعض أعضائها درجة ٨٦/٣٣ إلى شمالي أرض فرنسيس يوسف وقليلًا نحو الغرب من الجهة التي وصل إليها ناندن. ووصل الأميركي بري في مارس ١٩٠٦ إلى الدرجة ٨٦/٩ وكان بلغ سنة ١٩٠٢ إلى درجة ٨٧/١٧.

وهذا جدول بأسماء البعثات إلى القطب وما تم فيها من التقدم منذ بديء بأرسالها إلى عهدنا.

تاريخ البعثة	اسم رئيس البعثة	جنسيتها	ما وصلت إليه من درجات العرض الجبلة
١٥٥٣	شانسلور ديرغورث وويلوغي	انكليزي	٧١/٧٠ شمالي أوروبا
١٥٨٧	دافيس	انكليزي	٧٣/٤٠ بحريانين
١٥٩٤	بارتنس	هولندي	٧٧/٥٥ زيمبل الجديدة
١٥٩٦	"	"	٨٠/١١ سبيتزبرغ
١٦٠٧	هودسون	انكليزي	٨٠/٢٨ شرقي غراندلندا
١٧٢٣	فيس	"	٨٠/٢٨ سبيتزبرغ
١٨٠٦	مكورسي البكر	"	٨١/٣٠ شرقي غراندلندا
١٨١٧	مكورسي الثقي	"	نحو ٨٢
١٨٢٢	"	"	٨٣

١٨٣٤	غراه	دانييركي	الحامد ٨٣
١٨٧٦	ماركام	اميريكي	٨٣/٢٠
١٨٨٢	سوكود	"	٨٣/٢٤
١٨٩٥	فانسن	نرويجي	٨٦/١٤
١٩٠٠	كافني	ايطالي	٨٦/٣٣
١٩٠٦	بري	اميريكي	٨٧/٩

ومن الفوائد التي حدثت من السعي في اكتشاف القطب للمعلم ولا سيما الجغرافيا، ان  
عرفنا من بعثة فانسن ان رأس القطب الشمالي - ربما كان مقابلاً من الجهة التي كان  
الجنوبي - مفضى من كل مكان ببحر قليل العمق ليس فيه الا بعض جزائر وارث - قليلة  
ذات اتساع كبير هي غرانلاندا . وقد اثبت سفودروب وهو صديق فانسن لخاصته  
سنتين ان الشاطئ الشمالي من غرانلاندا لم يكن يعرف منه الى ذلك العهد غير قسم  
لا يتعد نحو الشمال . وقد قطع الدوق دورليان سنة ١٩٠٥ جزءاً من الشاطئ الذي  
الذي لم يعرف في شمال رأس بسمرك . وحدثت الاكتشافات اكتشاف بري الذي  
انه يوجد في شمالي غرانلاندا بحر عميق وتيار عظيم يذهب الى الشرق . وتبين من البحوث  
الى ارجاء شمالي القارة الاميركية بان الشاطئ الشمالي الاميريكي من الغرب متصل بكتل  
الاتصال ببحر القطب الذي يسمى هناك بحر بوفنور على حين ان مجموع الجزائر الغربية  
الموجودة في الشرق تمتد ولا شك الى ابعد من ذلك نحو الشمال نحو اكثر مما كان يظن حتى  
الآن . اذ قد شوهدت في شمالي ارض اكسل هيرغ في المحل الآخذ نحو الشمال جزيرة  
جديدة سموها ارض كروكر

وبينا كانت الفوائد كثيرة مهمة من السعي في ارياد الارحاء القطبية خلال السنين  
الاخيرة في شمالي اميركا كان ما بذل من الجهد في شمالي آسيا للوقوف على اسرار المحيط  
الجمهد غير مثمرة اذ في سنة ١٩٠٣ البارون تول الروسي الالماني ولم يبق  
اثراً وهو يحاول بلوغ ارض سانيكوف والغالب انه هلك واتباعه جونا  
ولقد حصرت دائرة الارحاء القطبية التي لا تزال غير معروفة في دائرة ضيقة في غفون  
السنين الاخيرة بفضل الرحلتين : نسن وبري خاصة . وما يرحب التظبير كثيرين من  
ارباب الرحلات فقد مضت على الرحالة اندره الذي سافر يوم ١١ يوليو ١٨٩٧ من سيبتزبرغ  
سيف منطاده احدى عشرة سنة ولم يأت خبر عنه وربما لم يتعد اكثر من الدرجة الثالثة  
والثلاثين من العرض وهو الذي ساق نفسه الى الحلف هذا لم يقل الى ان اقامه على ما قدم



عليه كان من الجنون المطبق ان لم يكن الانتحار بعينه . وليس هو وحده الذي حاول ان يقطع تلوج القطب في منطاد متخلصاً من ركوب البحر والمركبات التي لا يجبل لها فقد حاول ذلك غيره كالاميركي ولان الذي اخفق في المرة الاولى ويحاول في الثانية بلوغ النجاح . والامال معقودة الآن بان النجاح ينال يري وامندسون وتكتب اسماؤهم في سجل اعظم العاملين في خدمة العلم باكتشاف القطب وكلاما الآن 'بعد بضعة الى تلك الارضاء المتجمدة وسياسر الاول هذه السفرة للمرة السابعة على باخرته ليجث عن طريق لبولوج القطب والناس يؤمنون له الخير لانه ابان في رحلاته السابقة عن حذر عظيم وهممة عالية وكانت رحلاته مفيدة فكاد يبلغ الدرجة التي يري اليها لولم يداخمه الشتاء وتيارات الثلوج واذا اسعده الحظ وبدونه لا يستطيع اكبر الرجال عقلا ان يعمل عملاً يذكر - فان سفرته ستكون بعد سنة مسفرة عن انتفاع القطب واذا خانه الحظ ايضاً في رحلته هذه فان رصينه امندسون التروجي الذي يعمل لهذا القصد منفرداً سيجي ثمار هذا الظفر اول الجانبين من الناس . وللاميركان والتروجيين في الثلاثين سنة الاخيرة يد في السعي لاكتشاف القطب . ويرجى ان يكون لامندسون ثمرة النجاح بعد يري اذا اخفق هذا . وبشتاهذين الجنتين هما ام البعثات الاخيرة واغناها وانعمها ويؤمل ان نحل بهما هذه المشكلة التي شغلت بال الناس اعواماً وقرناً

## التأليف في الملوك

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لاشراف نفوسهم الملكية على علوقهم وموجلة ادره فتمهم من كان يرغب فيه ويقرب اهله ويسعى في نشره . ومنهم من اشتغل به وسمى في تحصيله حتى فاز بمجذ وافرمته . ومنهم من زاد على ذلك فالف فيما يعني به من العلوم غير ان المؤلفين منهم قليلون لمنع شواغل تدبير المملكة والقيام باعباء امورها في اكثر الاوقات من التفرغ للتأليف . ومن الملوك الذين الفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب الجيوش . وفي كثير من خزائن الكتب شي من مؤلفاته واغرب مؤلفاته كتاب (١) عثرنا

(١) هو من الاسفار التي دخلت حديثاً الى خزائن كتب احمد بك تينور في القاهرة .  
وبعد نسخة كانت ملكاً لملك الجليل

عليه في هذه المدة الله في صنع الأعمال لابد ان زاول عمله مدة واقته وتجد اجاد في هذا الكتاب اجادة وافرة بحيث قرب هذه الصناعة على الراغبين فيها ولم يستعجل الاجاهم الموجب للايهام . فاحيينا ان نورد منه ما ذكره في المقدمة لتنف على اسلوب كتابه والنرض منه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والثقة يقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن عمر بن علي بن رسول غفر الله له الحمد لله الذي لا يبلغ اداء حمده والثناء وشكراً له على نعمه فوق ما شكره الشاكرون فهو الواحد الذي لا تحيط به العقول والنفوس الفخيم دلائل جهدي بها المهتدون فقال سبحانه وعلامات وبالجمم هم يهتدون . الحمد لله وقصه واستهديه الى طريق الصواب واستصمر وصلواته على محمد النبي الكرم الذي اثنى عليه في كتابه العزيز الحكيم فقال مادحاً له : واناك لعل خلق عظيم . وعلى آله التحية والبركات . سلاماً دائماً . متلازمين الى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة اجمعين . وبعد فلما كان الاصل لطلاب اشره آله وضمت في علم الفلك وطريقه اوضح طريق بين في هذا الفن سلك احببت ان اجمع في علمه رسالة موشحة قربة المسلك بطريقة مصححة فاذا دخل اصحاب هذا الفن واستقبل درهم بالجمم التحسين لتعرف من منهم يورد من فنونه ويبين ويصور خلاف غيره ويبرهن حتى ايسر النفس بما مثله وعرفت نقل الاصل الذي اصله فتشجعت بان كررت التعلم والتحرير والتصوير لاشكاله الموضوعه والتقدير الى ان حسنت ما لم يحسنوا من آله وعرفت ما يختار من عمله وصناعته ولم يذكر في علمهم بالتحقيق سوى المتطلبات والبروج والكواكب بالتدقيق واستكفوا فيما عداها بحسن الروبة من غير تقدير فلم ازل افكر فيما املوه حتى وضعت له المقادير تالفاً لما رسمه الاولون من الحساب مكتبة بما امكنتني منه الاكتساب فوضعت على ناية ما بلغ الاجتهاد اليه ووقع عند اختيار الاختيار عليه ما يغني الصانع في تيسير المعرفة ويكفيه عن كثير من الكتب المصنفة وعليه في وضع المتطلبات والكواكب . المول والحمد لله على وضعها وتخويرها على المصنف الاول مع معرفتي بملك حروفها واعدادها وابعاد مراكزها وانصاف اقطارها ولست بالمُدعي في معرفة هذه الصناعة ولا بمن يتخذها حرفة وبضاعة . بل اجتهدت فيها واتممت واحتذيت من ضروب صناعاتها واقتبست فالت في هذه الرسالة لتكون للصانع ارضع دلالة ومبيها ممين الطلاب على عمل الاصطلاح فمن رقب عليها فليست اسامع عما فرط وليكن اول من لعنر بسط فان ظلم اذا رأى حسناً متحقيقاً اظهره وان رأى قبيحاً منشوراً ستره وسأله الله الهداية في السبل والبروق الى افضل المقاصد والنجاح انه العظيم الخالد . والكرم الشان .

انعم ان الاصطrolاب يحمل بحالات فنها ما يكون تاماً وتدد مقنطراته تسعون ومنها ما يكون ثلثياً وعدد مقنطراته خمسة واربعون ومنها ما يكون ثلثاً وتدد مقنطراته ثلثون ومنها ما يكون خمساً وتدد مقنطراته ثمانية عشر ومنها ما يكون سدساً وتدد مقنطراته خمسة عشر ومنها ما يحمل عشراً بصغره وشيق مداراته وتدد مقنطراته عشرة فالتام هو الذي يكون درج يروجه ومقنطراته مقسومة على درجة درجة والنصف ما كان يروجه ومقنطراته مقسومة على درجتين والثلث ما كان درج يروجه ومقنطراته مقسومة على ثلاثة والنسب ما كان درج مقنطراته ويروجه مقسومة على خمسة خمسة والسدس ما كان درجه ومقنطراته مقسومة على ستة ستة والعشر ما كان درج يروجه ومقنطراته مقسومة على عشرة عشرة واما الرسوم التي لا يقع فيها اختلاف في جميع الاصطrolابات فهي دوائر المدارات أعني مدار السرطان والحمل والجدي وخط نصف النهار وخط الاستواء فان هذا الخطوط كلها في جميع الاصطrolابات لا يقع فيها خلاف البتة وانا تختلف دوائر المقنطرات وهذا الذي اتصل الى عظام من اعمال الاصطrolابات واعمال التاراجهار فانه لا يتمتع ان يكون قد زيد على هذه الاقسام التي ذكرناها ولم نطلع عليه فليس لنا ان تقطع بان هذه الاقدام التي ذكرناها هي التي تعمل فقط فعلى هذا ما كان صغيراً وقسم على درجة او درجتين او ثلاث تراجمت خطوط المقنطرات لا سيما عند المراكز فلالجل ذلك جعل ما صغر منها على عشر وعشر واحدا ما كانت مقنطراته مقسومة على درجة درجة ليتحقق منها الخمسة لان ما اكبر منها وكان فمجه ذواً بالحديد خلص نصف درجة اي تقسم درجته الواحدة بنصفين لسة ما بينها وبين المقنطرة الثانية وما كان فمجه ذراعين جديد خلص عشر دة ثقب اي تقسم درجته الواحدة بستة اقسام كل قسم منها عشر دقائق وما كان منه اربعة اذرع او خمسة بالحديد خلص دقيقة اي تقسم الدرجة الواحدة بنسباً كل قسم منها دقيقة لان كل ما اتسمت الآلة صح تقسيها ويؤدي الى الصواب لاحاطة النظر واحاطة الصانع بالصنعة والتكمن من قسمة الدقائق بين الدرجات لكبر الآلة فيؤدي ذلك الى الضبط والى الصحة فقد قيل ان الحاكم من خلفاء المصريين عمل ذوات الحلق وهي تسع حلقات الحلقة يدخل فيها الفارس راكباً يرمحه فيكون وزن الحلقة الواحدة قسماً الى رطل وكانت جوانبها حمزوزة مربعة على زوايا قائمة حتي اذا ركب بعضها في بعض كانت كصفحة واحدة فيرصد بها وبها حققوا طول مصر وعرضها ثم ان التتر لا طلبوا الرصد صنعوا دائرة بناه طول حلقة سعتها عشرون ذراعاً فاستخرجوا ربع دائرة من محيطها ثم بنوا جداراً طوله مائة ذراع ونصبه مائة ذراع مربع وضعوا عليه ربع دائرة طول قائمها على زوايا قائمة ستون ذراعاً وطول القطر

الآخر الممتد على الارض مثل ذلك والقوس تسعون درجة كل درجة ذراع قديمة اي قطعة من قوس هذا الربع ودرجوه درجاً كدرج القطر من اسفله الى اعلاه ليعلم ان المثلث لاخذ الارتفاع واقفوا على ذلك اموالاً طائلة وقيل ان حلاوون اخذ آلة الحمالين على رأسه ليرد عنه الم الحبر وحمل حجراً كبيراً فلم يبق احد الا وحمل وبهذا الارتفاعية جعل الارتفاع بدقائه ورتباً بنوايه فقوس كل درجة في ذراع فتمت هذه الآلة واستخرجوا بها اعمال الرصد وطوله وما ارادوا من باقي الاعمال . واوردنا هذا ليعلم منها فائدة كل ما كبر من الاضطرابات وزادتها فائدة في التحقيق ومع ذلك كان الاضطراب ستمه كما قلنا في فتح ذراعين وما فوقه الى خمسة فلا يملك ان لاخذ الارتفاع لكبره وعظمه بل يرفعه شخص يديه وآخر يأخذه الارتفاع فان عظم السبيل بقدر ما يتمكن منه الناطر وهو معلق بالسبيل فعند اخذ الارتفاع يرفع الناطر السبيل ويخفضها حتى يصير له اخذ ارتفاعه من الشمس او الكواكب واول ما يشتدي به الناطر من العمل يخط خطاً باي قدر شاء ثم يقسمه بتسعين قسماً اجزاء صحيحة محكمة بقدر ما يمكن والطاقة فان صحة العمل موقوفة على صحة الخط المذكور ففي كان في القسمة خلل لم ينجح الاعمال والخط هو المسطرة المقسومة وهذا مثالها ( ومنا اورد صورتها ) وان كانت هذه المسطرة بخلاف المسطرة الستينية التي ذكرها القرطبي في كتابه فان تلك مقسومة بستين قسماً فاذا اردت عمل هذه المسطرة الستينية التي يقاس منها اعمال الاضطراب فانك تبدأ اولاً بعمل مسطرة صحيحة من خشب صلب

الى ان قال : فاذا اردت عمل الاضطراب كبيراً كان صغيراً على أي قدر شئت عمله من الاقدار فانما يكون كبره وصغره من حساب هذه المسطرة لانه متى أراد الاضطراب كبيراً كبر في طول المسطرة ليتعاد ما بين أقسامها ومتى أراد الاضطراب صغيراً صغر المسطرة ليتقارب ما بين أقسامها لان فتح نصف قطر دائرة الاضطراب بقدر الثلث من طول المسطرة المقسومة بتسعين جزءاً ويكون قسمة هذه المسطرة اما في مسطرة من خشب صلب كالابنوس والعاج او ما كان في صلابتهما من الخشب والعاج وما شاكله في الصلابة واللون والعاج أجود من الابنوس لكونه اسود لا يتبين فيه اجزاء المسطرة وان كانت من نحاس كانت اجود من الجميع اذ المراد بالصلابة ان لا ينزل شيء من رأسي اليكبار في الغضب فيخل العمل فاذا اراد قسمة الصفائح فانه يبدأ اولاً بفتح اليكبار بقدر ما يذهب على ظنه انه نصف قطر الصفحة اهو في آخر الكتاب شهادتان من أهل هذه الصناعة . وهذا له باقاهما والبراعة فيها وهذه صورة الاولى منها :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي قدر مقادير الكواكب وأظهر من  
مكتونات الغيب أسرار الجانِب وسير النورين كتهادي الكواكب وأجرى التصيرات تجري  
القواضب وقدر بر وجهها بين السابق واللاحق والطالع والغارب وجعل النجوم السبعة مقبرة  
بالقواعد والمراتب فحسب الشمس كالسلطان والتمركولي العهد والهابب وزحل كالقهرمان  
والمشترى كالخاتم والمرنج كصاحب الجيوش والكتائب والزهرة كالخادم والمطرب وعطارد  
كالوزير والكناب فيجاء خلق هذه الحاسن والفرائب ووصفها في كتابه المنزل على سيد  
الانبياء والشهداء والاباء والاقارب قتال عز وجل : انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب  
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله الكرام واصحابه الاطايب وبعد فأقول وانا  
اقل عباد الله واصغرهم ابراهيم بن معدود الحاسب الملكي المظفري الاشرفي : انا لا شاهدت  
الاصطولا بين قسمة السدس من عمل مولانا الملك الاشرف عمر بن مولانا ومالك  
وقنا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله ملكهما وطول عمرهما من سنة  
٦٨٩ وصحة جميع ما عمله بهما من صحة الدوائر والقطرات والمراكر وانصاف الاقطار  
والكواكب والحجرات والصفائح سبكاً وضرباً بقسمة ووضعاً وصحة دائرة البروج وصحة الضفايد  
وعيار المجموع فيها ولم اجد فيها مأخذاً الا ان كان اليسير من جهة الصانع الخراط ومولانا  
خلد الله ملكه عارف به وباصلاحه فشهدت له بالفضيلة وبغيره في صناعة الاصطولا  
ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك واجزت له ان يعمل ما شاء من ذلك اي من  
الاصطولا بات بما استقرت به من اتيانه ومعرفته وذكائه وخبرته واختباري له في ذلك واتممتاني  
اياه وكذلك في اصطولا بين عملهما في سنة ٦٨٩ احدهما اصغر من الآخر قسمة السدس  
والاكبر فيها قسمة اثلاث اجزته وشهدت له بالصحة في الاربع اصطولا بات المذكورة  
وكذلك اجزته في عمله لساعات مستوية يستخرجها بترجهاار يحمله علماً وعملاً وان يعمل منها  
ما شاء لوثوق بعلمه وعمله فيما استقرت به من اعماله في جميع ما ذكرته عنه نفعه الله بالاستفادة  
ونفعنا بما اقدناه وكنت اقل العبيد المظفري الاشرفي ابراهيم بن معدود الجلال الموصل الحاسب  
في شهر سنة ٦٩٠ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين والصلاة  
والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه اجمعين وشرف وعظم ثم اقول  
وانا اقل عباد الله ابراهيم الحاسب الملكي المظفري الاشرفي ان مولانا الملك الاشرف بن مولانا  
السلطان الاعظم الملك المظفر خلد الله ملكهما جدد اصطولا بقسمة السدس سنة ٦٩١ هجرية  
صحيحة وتحريز بالغ اعظم مما قبله مما استدلت به على زيادة فضائله فآله تعالى يزيده من  
فضله وينور باطنه بطله بتمه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم

واقول أيضاً ان مولانا الملك خلد الله ملكه اوقفني على سموت باصطراباب نسخة الثالث سنة ٦٩٢ والسموت لشراف فاستقرت الكثير منها اعني من السموت التي عملها بالاصطراباب الصحيحة والحساب فوجدتها في غاية الصحة والثنايب عما استدلت بصحة يده وبصحة عمله وتمكنه في العمل فحكمت بصحة ما عمله من السموت واجزت له ان يعمل بعد ذلك ما يشاء من الاصطراباب المسخرة وكذلك مما يعمل من الساعات الزمانية والمستوفية في باقي السنين والنفق باي اصطراباب شاء وذلك من جمادى الآخرة سنة ٦٩٢ والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه كتب ذلك اقل المبيد المظفر في الثاني من المطالب في التاريخ المذكور

وهذه صورة الشهادة الثانية منها : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وكذلك يقول العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن علي الفهرسي المظفر في شامدت الاصلرلابات التي انقن احكامها ووضعها مولانا ومانكنا الى يد الانجيل العالم الانبل الملك الاشرف مهاد الدنيا والدين عمر بن مولانا ومانكنا السلطان الانجل السيد الاوحد العالم العادل الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر بن عتي بن رسول خلد الله مملكتهما ففيها اثنان قسمه السدس عملاً في سنة تسعين وستائة واثنان احداهما قسمة السدس والاخر اكبر منه قسمة الثلث عملاً في سنة تسع وثلاثين وستائة واصطرلابان قسمة السدس ايضاً عملاً في سنة احدى وتسعين وستائة وشاهدت جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمختبرات والمراكر وانصاف الاقطار والقطين اشتقاقهم على منبورها واتخذت حروف المعاني المستعملة وقيام الشطابا على المضائد ومقابلة تنقيب الشطابا بعضها لبعض على موازاة حروف المضائد المستعملة واعتبرت كل واحد من ربعي الارتفاع فيها وادراجها من الواحد الى التسعين وربعات الظل واصابعها الاثني عشر واقدم الغل واعتبرت ارباع الحجرية في جميعها وادراجها الثلاث مائة وستين وخط وسط السماء مع وتد الارض وخط المشرق والمغرب وانتهاء اطراف كل واحد من هذين القطرين الى محاذاة ارباع الحجرية ودوائر المقنطرات ودائرتي مداري المتقلبين ودائرة مدار اول الحمل وأول الميزان وخط العصر وخط الفجر ومغيب الشفق والساعات الزمانية وفي الاصطرلاب السداسي الصغير المعمول في سنة تسع وثلاثين وستائة خطوط للساعات المستوية متقاطعة مع خطوط الزمانية ثم بعد ايام قرينة شاهدت الاصطرلاب قسمة الثلث المعمول في سنة تسع وثلاثين وستائة وقد سمعت صفائح الثلث لست عروض وهي تعرض يوم عرض يده وعرض بدنه وعرض يدل وعرض ٥٠ وعرض كاه فوجدت سموتها متنفة العمل صحيحة بحقيقة غمتها بشرقي

عشر قسمي من قسي السموت ووجدت الجميع من الاصطلاحات المذكورة بقسمتها وتاريخها كاملة  
الجودة والتحقيق والصححة واجزت له صناعة الاصطلاح ووضعها تأوضر باورسيا لما استقرت  
من اتفاقه ومعرفة ذلكاته وفطنته واختباري لاعماله التي احكها ونحو في اياها ثم اجزت له ان  
يصل ما شاء من الساعات السنوية يستخرجها بطرحها بحكمه علماً وتحقيقاً وشاهدت طرجهارين  
من احكامه وعملها فضة والثاني نحاس فوجدتهما في غاية التحقيق فليعمل ما شاء منها  
فقد وثقت بما استقرت به منه في جميع ما ذكرته في خطي هذا ووثقت بثقوب معرفته وفطنته  
تقته الله بالعلم والعمل آمين وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب الا ب سنة اثنين وتسعين  
وسنة احسن الله خاتمتها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اه

وفي الكتاب تساهل في كثير من المواضع في اللغة والاعراب وهو مما ينقص عنه في  
مثل هذه الكتب لاسيما ان كان من طبقة الملوك الذين لا يساعدون الوقت على التفتيش والمهم في  
مثل هذا هو تعليم الصناعة بأي عبارة كانت

ناظر في الكتاب

القاهرة

## مطبوعات ومخطوطات

بنية الوعاة في طبقات القرويين والنخاة

طبع احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخوه هذا الكتاب للحفاظ  
جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وجلال الدين هذا من المكثرين من التأليف  
وبعضها جيد متعمق . اما هذا الكتاب فهو ظاهر من اسمه جميع فيه تراجم مختصرة للنخاة في كل  
عصر مستنداً فيه على ما انتهى اليه من كتب طبقاتهم على اختلاف المصور وقد تبين من  
الكتب التي مردها في المقدمة ان معظم كتب التاريخ المفقودة الآن كانت في عصره موجودة  
بكثرة فاستدلنا على ان الزهد في هذا الفن كثير بعد التسعمائة . والاربعة القرون الاخيرة  
في عصور الظلمات لا محالة . وقد بدأه بالمحمديين ثم ذكر الاحمديين ثم ساق اسماء الرجال  
على حروف المعجم ووقع في ٤٦١ صفحة بالقطع الكبير وهو يطلب من مكتبة محمد امين  
افندي الخانجي الكتيبي الشهير في الحلبي اثني عشر قرشاً وقرشاً وخمسة عشر قرشاً مجلداً وهو  
من الكتب التي يجدر بكل طالب فهو ان يقتنيه ليعرف رجال فنه ويطلع على احوالهم  
ونكاتهم وآدابهم . وقد اعتمد الطابعون في طبع هذا الكتاب على نسخة في دار الكتب

المصرية وصححوها بقدر الامكان على ما ظنوا به من التصحیح واجادوا انتقاء حروف طبعا فشكراً لهم .

### نهضة الامة وحياتها

في مقالات كانت ديجتها براعة الشيخ طنطاوي جوهرى المشهور بكتبه الدينية ونشرها تباعاً في جريدة اللواء الفراء فازت استحسان القراء وهي في موضوعات تتقرب الى الدين وعلمية . وقد قدم له صالح بك حمدي حماد من ارباب الاقلام في هذه المراجعة . ذكر فيها ما حواه الكتاب فقال انه ضم ثلاثاً وخمسين رسالة او بحثاً في مسائل متنوعة مما يهمنا معاشر المسلمين في جميع اقطار المعمور معرفته والاطلاع عليه فدور رجال الامة اجمالاً تصوير وارشد احكام ايما ارشاد ووصف الامم المطلوبة احسن وصف وقال :  
المدنية وعلمها ما شاء ان يصوغ قلمه البليغ وجمال جولة في علم الاسلام والازهر ورجال الدين وافاض في شرح المجلس الثمانية بيان لم ينسج على منواله وذكر تأليف الكتاب وتصنيف الاسفار وبيان التأليف عند الامم وكيف يؤلف التاريخ ثم التزم ودرجاته وذكر نظام الجندية والقرعة العسكرية الى غير ذلك من الافكار المأيلة التي تدل على علو كعبه في البيان والتبيين وقد وقع هذا السفر في ٢٨٤ صفحة ويطلب من ادارة اللواء والمكتب الشهيرة فنشئ على مؤلفه ونأثره وطابعه بآمل امله ونشكرهم على هذه الهدية النفيسة .

### تاريخ الحضارة

المسيو شارل - نيبوبوس احد اساتذة كلية السوربون في باريس كتاب في ثلاث مجلدات سلسل فيه تاريخ الحضارة فالاول في الحضارة عند الامم القديمة والثاني في الحضارة في القرون الوسطى والعصور الحديثة. والثالث في الحضارة المصرية . وقد عرب صاحب هذه المجلة الجزء الاول منه الآن وبعد ان نشر في المقتبس تباعاً فردناه في كتاب على حدة وهذا المجلد فيه ذكر الحضارة عند امم الشرق القديمة من المصريين والكلدانيين والاشوريين والبابليين واليهود والفينيقيين والفرس وامم الغرب القديمة وهم اليونان والرومان وقد توسع المؤلف كثيراً في الكلام على هاتين الاممتين حتى لم يبق في النفس شيء من امرهما كل ذلك على اسلوب لطيف وتسيق في الغاية من الجودة وقد التزمنا فيه التعريب بالحرف مخافة ان يضيع شيء من معانيه وان كان هذا النوع من الترجمة لا يُحمد في الاغلب . وهو في زهاء ٢٢٠ صفحة من صفحات المقتبس ويطلب في القاهرة بدنة قروش اميرية من مكتبة



المؤيد شارح محمد علي بالقاهرة ومكتبة هندية بالموسكي ومكتبة البائي الحلبي . ومن دمشق من مكتبة محمد افندي هاشم الكنتي .

### الدين الاسلامي والتمدن

كرامة القبا باللغة الافرنسية السيد ابوبكر عبد السلام بن شعيب من تلمسان اقي فيها بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي ثبتت ان الاسلام موافق كل المواقفة لروح التمدن الحديث فضلاً عن منافاته للمدنية كما يدعي بعضهم في اوريا وقد اورد بما اورده خلاصة الشرع الاسلامي رداً على من يصوّرونه في صورة تغاير حقيقته وقال ان فرنسا اذا احبت ان لا يعود المسلمون من اهل الجزائر الى ما كان عليهم اجدادهم العرب من المهجبة قبل الاسلام وجب عليها ان تضاعف عدد المدارس وتسهل على ابنائهم دخولها وتعلمهم بحيث يكونون على استعداد لادراك مبادئ دينهم والتامع رائداهم . وقد نشرت هذه الرسالة في المجلة الوطنية بباريز اولاً فنشكر لغيره كاتبها وادبه النض وهي تطلب منه في تلمسان احدي ولايات الجزائر

## سير العلم والاجتماع

### آثار خوزستان

اقليم خوزستان في فارس من الاقاليم التي رخصت حكومتها لفرنسا ان تأخذ منها جميع ما تضر عليه من الآثار كما عقدت معها عقداً سنة ١٩٠٠ يكون بموجبيه لفرنسا حق استخراج العاديات من فارس كلها دون غيرها وقد حفر الميوميورغا: العالم الاثري في سوس عاصمة ذلك الاقليم فظهر فيها بآثار مهمة حملها في ثمانين صندوقاً وراح يعرضها في متحف البوفر باريز وقد كتب عنها بعضهم في جريدة «الآنال» فصلاً اضافياً قائلاً ان الحفر ما زال في سوس قائماً على ساق وقد تم منذ بضع سنين برعاية هذا العالم الاثري وسوس هي المدينة الفرية التي خربت مرات واعيد بناؤها فائشاً بالآجر المستخرج من انقاض الاسوار في تلك المدينة قصرًا حصيناً اشبه بقلعة ليكون في مأمن للقيام بمهمته وقد نجربناه هذا الحصن وكانت هذه البعثة الاثرية من قبل عرضة لنهب البابين من سكان البوادي واكتشف في الحفريات الحديثة بغايا المدينة الاولى التي كانت قبل المسيح بمئسة آلاف سنة واكتشفوا

ككية من الخزف والاواني المنقوشة التي رسمت على مثال الصناعة اليونانية مما استدل منه على ان الصناعة الكلدانية اساس الصناعة اليونانية فان ملوك خوزستان بعد ان اهلاد الكلدان اخذوا الى عاصمتهم سوس كل ما كان عند الملوكيين من الاعلاق والانس وزيوتها به قصورهم . وانك لتجد هذه الاعلاق المذكورة بتلك الحضارة في سوس اكثر مما تجد منها في بابل نفسها . وقد جمعت تلك البعثة ما طالت اليه يدها من الخزف المنقوش الذي كانت جعلت منه جدران قصر ملوك الاخمينيين ومضى جمعت كلها ليكون منها تالفة نائمة بآق الوقوف بها على واجهات ذاك القصر وكيف كانت . قال ولقد دهشنا باننا نرى تلك الاواني والا كواب والصحاف المنقوشة بالشجر اللطيف وبصور الحيوانات التي جعلت على نسق دل على ذوق اكيد وذكاة حقيقي وتحققنا ان هذا الخزف صنع بمقدرة يوازي حذق صناعنا في صنع الصيني وقد جعلوا منه اشكالاً كثيرة فنه تشبه ديبية او العلب للاولاد او مجملات صغيرة او غير ذلك من التحف والطرائف . وفي هذه المجموعة النفيسة تماثيل لشاهير منها بعض رجال معروفين مثل تمثال الملك مونيشتوزو الذي اتى المسيو مورغان بقانونه الذي كتبه منذ اربعين قرناً قبل المسيح وقد كتبت على التمثال كتابة نوكد انه ملك سوس بعينه

### الانتحار

اثبت الاستاذ قيصر لومبروزو الفيلسوف الطلياني ان الحب هو اول باعث على الانتحار واذا ان الرجال في العادة اكثر اقبالاً على الانتحار من النساء في الغالب فقد بلغ عدد المنتحرين في ايطاليا في سنة ١٨٧٥ و٧٧ و٧٨ - ٢٥١٦ مقابل ٥٦٩ منتحرة وان عدد الانتحرات بهوامل الحب هو من ٧٠ الى ٧٥ في المئة . وعدد الرجال من ٢٠ الى ٤٠ في المئة وكذلك الحال في فرنسا فان عدد المنتحرين ١٧٠٠٠ مقابل ٦٠٠٠ من النساء فتعثر بدواعي الغرام ٣٨ في المئة من النساء وسبعة في المئة من الرجال فقط وبهذا صدق المثل الانجليزي القائل " فنش عن المرأة " اشارة الى انها سبب كل بلية

### مساويء العلم

ثبت بالتجارب الكتابية والفسيولوجية مؤخراً ان الملع يستعمل في المطابخ لاجل تحضير الاطعمة يأتي في بعض الاحوال بضرار شبيهة بالنسجم . ويكفي ان الكلى لا تفرز الفضلات من كلورور الصوديوم بكية كافية وتبقى في الجسم فتحدث فيه اضطرابات . وكان الاطباء يصفون لمن يصاب بهذا التسمم الاقتصاد على اللبن لان فيه راحة للكلى ولا يثأ من تناوله

اقل تأثير في اخراج الفضلات . فيقل بالتدريج معدل الالبومين الذي يخرج في البول بواسطة استعمال اللبن ويزول التورم والاستسقاء . الا ان الناس لا يرونهم تناول اللبن ويريدون ابدال غيره به ويسوغ لم استعمال الحبوب والخبز والسكر والارز والمخجنات على شرط ان لا يكون فيها ملح قبل الطبخ ولا بعده . وقد قال الدكتور فندال القائل بمحذ الملح من الطعام ان احدهم اصيب بانفاس في كبه ثم جرى الى ساقه فكان يألم كثيرا فوصف له استعمال الخبز والحم والباطا والزبد . ولكن بدون ملح فأسرع شفاؤه اكثر من اللبن ولكن لما اضافوا الى الطعام شيئا من الملح عاود المرض المريض . فمن يرى الطبيب المشار اليه ان يتمتع تماما عن اخذ الملح في بعض الامراض .

### الكس

رأت بعض المجلات العلمية ان خير واسطة لدفع مضار الذباب من الدخول عند كس الشوارع من التوافد والابواب بل من السريان الى انوف المارة وانفواهم هو ان لا يكس الكناسون الا بعد ان يرش الرشاشون وكذلك الحال في قنص البسط والاثاث فان على من اراد ان لا يضر بصحة الناس ان لا ينفذها قبل ان يرشها بماء نصيح ندية وان من الواجب على البلديات ان لا تنقل هذا الامر الصحي .

### اللبن الحليب

منذ تبين ان في بعض البقر جراثيم السل تنقل عدواها بواسطة لبنها اخذ الغريونوم اثمة في الوفاة يحترزون من اخذ الحليب من بقرة مريضة ويطافون في التوقي الا ان النفوس ما زالت على كثرة النظافة التي اصحبت طبيعية في الفلاحين واهل المدن في الغرب غير معتمنة في هذا السبل فانشأت مدينة روييه في فرنسا محلا لتربية البقر يعني فيه بصحتها وظافتها عناية لا يكاد يصدقها العقل كما يعني بصحة من يحلبونها ونظافة اجسامهم واطرافهم

### اجور الكتاب

فرنسا من اكبر بلاد الحضارة كتابا ولذلك قلت فيها اجورهم حتى لا تكاد تقوم بنفقات الطبقة الوسطى منهم اما في انكلترا فان الكتاب قليل وهم يعيشون في سعادة اكثر فقد زادت اجورهم خمسين في المئة منذ خمس عشرة سنة . ونسب بعضهم ذلك لوجود تقايات لكتاب تنظر في مصطلحهم كما تنظر في مصلحة ارباب المطابع . ويقال ان تسعين في المئة من المسائل الادبية في لندنا تحض بواسطة نقابات تحض لهذا الغرض فتدفع المجلات ثمن القصة في الغالب من ثلاثة جنيهات الى خمسة في كل الف كلمة وعن

يرجعون كثيراً من كتابتهم كبلغ الكاتب فانه يأخذ شيئاً عن كل كلمة تخطأ به . يأخذ كونهان دويل ثلاثة فرقكات عن كل كلمة من سلسلة رواياته شارلوك هولمز . انما الشرق نادى فقد ارتقت اجور الكتب في السنتين الاخيرتين فابتدأت مصر تدرك الساحة العالمية من كتاب الحرائد ورواتب متناسبة مع ثروة الصحف وحالة البلاد وتنبعها الدولة الآن التي تمنح على منوال الصحف الاوربية في محرريها وموآزريها ومكاتبها .

### غلاء المنازل

ارتفعت اجور المنازل في جميع عواصم الارض في هذا القرن من القرن الازدحام الامم . فقد نشرت نظارة الاشغال في باريس احصاء جاء فيه ان المازل الذي كان يؤجر بثلاثين فرنكاً سنة ١٨١٠ اصبح يؤجر بثمة وعشرين سنة ١٨٥٠ وبثلاثين وعشرين سنة ١٨٧٠ وبثلاثمائة وعشرين سنة ١٩٠٠ وبثلاثمائة وخمسين سنة ١٩٠٣ ومثلها قواعد الولايات وان تكن النسبة اقل

### النساء والاطفال

قررت فرنسا ان يمنع العائلات اذا كانت سنهن اقل من ١٤ من حمل رزم وزنها اكثر من خمسة كيلوغرامات والاولاد ان لا يتجاوز حملهم اكثر من عشرة كيلوغرامات . كما حظرت على الفتيان والفتيات ان لا يستعملن الدراجات الخفيفة التي تسير بالبترول الا اذا تجاوزن سن الثامنة عشرة

### المواليد

يولد في كل الف امرأة مختلف اعمارهن من ٢٥ الى ٥٠ في برلين ٤٧ مولوداً من عائلة غنية و ١٥٧ من عائلة فقيرة وفي باريس يولد في طبقة الاغنياء ٣٧ مولوداً و ١٠٨ اولاد في الطبقة الفقيرة ويولد في فينا ٢١ مولوداً في كل بيت غني و ٢٠ في الالف في البيوت الفقيرة وفي لندن ٦٣ مولوداً غنياً في الالف و ١٤٧ مولوداً فقيراً

### الهواء

حملت بعض الصحف الباريزية حملة صالحة على قلة الهواء الذي يتنقل الاحياء والشوارع وقالت ان القراخ آخذ بالقلة مع الزمن وان قلة الساحات العامة والحدائق هو الذي يكثر من الامراض ولا سيما السل وأنه ثبت ان الاحياء الذليلة الساحات والفحات كانت اكثر تعرضاً لهذا الداء الويل . ولندن ١١٦٨ هكتاراً من الارض البراح ما صدا احدى عشرة حديقة في وسطها وفي باريس ٢١٤ هكتاراً من القراخ ما عدا غابة بولونيا التي تحسب ضاحية فالواجب الاكثر من الحدائق لان الهواء هو الصحة

### التمثيل للاولاد

رأى مارك توين الكاتب الاميركي المشهور ان تقام دار للتمثيل خاصة بالاطفال والشبان فلي طلبه وانشأ دار تمثيل سموها « مسرح تربية البنين والناشئة » ولا يمثل فيها الا الملونون بفن التمثيل ويقضون في تمثيلهم على الروايات المدرسية وبذلك يتمتع كثير من الشبان عن غشيان دور التمثيل التي لا تمثل فيها الا الخلاعة والرقاعة

### جيش المتمردين

قال احد كتاب الانكليز لا يزال عدد التمردات من العائلات الانكليزية في ازدياد ففي انكلترا زهاء خمسة ملايين ونصف من الدماء العائلات وهو جيش اضخم من جيش كسركس ملك الفرس بل اكثر من سكان لندرا . فنهين ٨٦٧٠٠٠ عاملة في معامل القطن ٩٠٣٠٠٠ في المصنوعات اليدوية و ٨٠٥٠٠ في التجارة ونحو مئة الف في الزراعة و ٥٥٧٨٤٠ حاسبة و ٢٠٠٠٠٠ مملعة و ٤٤٠٠٠٠ موسيقية ومثلة و ٧٩٠٠٠ مرضعة و ٢٩٢ طيبة . ومن هؤلاء النساء ثلاثة ملايين لم يتزوجن وان كن جاوزن العشرين من العمر ومنهن مليون رضيعين ان يقين عانسات بعد بلوغهن الخامسة والثلاثين وعدد الايام منهن ٢ ١٢٤٦٤ ايام

### العامل العظيم

تبين ان اديسون مخترع الكبر باقية اشتغل مدة اربعين سنة كل يوم ست عشرة ساعة اي انه عمل ما يوازي عمل العامل المهم في مئة سنة يدان المرء لا يحجب من عظمة اعمال كبار الرجال بقدر ما يحجب من مقدرتهم على معاناة العمل .

### مقاطع الشعب

أي امرئ فيه ذرة من الانسانية يربح جماعة من النحلة وقت الظهور ثم ينفذون ولا تأخذ الشفقة عليهم ويتأثر لجور هذه المجتمعات في قوانينها . تعطي الفتي حتى تغمره وتغمق الفقير حتى تميته . ولكن اين هذه البلاد جبل على الفئاعة من طبعه اذا حاز الخبز القنار عدة . نعمه وان تيسر له ان يلبث بشيء من مرق الخطل او يجمع معه الزيتون او الصل او التبل اغتبط بعد ذلك مسعدة . واليوم الذي يتناول فيه الخبز والارز والبقول والقول هو يوم عيدته وهوائه .

يد ان ابن الغرب ليس كابن الشرق في هذه الحال وذلك لان مناخ الغرب . . . حد الاطعمة ما يقدر معه العامل ان يقاوم هواء بلاده ويحمل مشاقها

ولاسيا عممة التعامل . وهناك جمعيات وافراد كثيرون ممن اسبغ الله عليهم نفسه بشكره  
البائس الفقير أكثر مما يفكر لنفسه ويأسفون لحوائه فيسعون لتجنيبه حتى يساوى باقي الناس  
في بعض ما يجب لقوام جسمه من الطعام والمسكن لتستفيد بلادهمه اذا جادت همته وساد آدابها  
هناك يتأثر المحسن اذا رأى اولاداً يأكلون قليلاً لفقروهم ويطعمون أولاداً الأغنياء  
ويشفيق الفسيولوجي على التفتيات العاملات لقلة ما يدخل معدن من الطعام المنزلي . ويهتم  
الاخلاقي اذا رأى ابنة تهم في الشوارع على وجهها ثقلاً بطنها . ولذلك قام في بعض امثال  
الاميرة دي غال ( الملكة فيكتوريا ) في لندره ومرغريتا مورجانتين في بلين ور وتشيلد  
في باريز وغيرهم او غيرهم في عواصم الغرب وقواعده حيث تصعب المعيشة لازدحام اقدام  
السكان .

ولم ير القوم هناك احسن من انشاء مطاعم للشعب على النحو الذي اسسه جماعة من  
مصريي اليونان في الاسكندرية لكل فيها العامل او العاملة شيئاً مربطاً لقله . درصحات  
تمكنه حاله من ادائها كل يوم . وكانت سويسرا هي السابقة الى انشاء اهل هذه المطاعم  
والاستكثار منها وبعضها مما انشاء النساء . وكما للنساء في الغرب من يد في الخيرات كالهن  
ايد في غيرها .

رأى اصحاب التعامل هناك ان مصلحتهم تقضي عليهم بان ينفذوا مطعمهم بتدبير جيدة  
فانشؤا لهم مطاعم يبيعونهم فيها جيد الطعام بشئ بخس وذلك لان هذه المطاعم لا يمد  
منها اربابها ربحاً كثيراً بل يطلبون ان تقوم بتفقاتها فقط وتسرع عملتها وتقتصد لهم من  
اوقاتهم واهلهم وتنفعمهم في صحتهم وتدفع عادية الامراض عنهم . وقد اصبحت في باريز  
مدرسة عالية اشبه بكلية للشعب وفي جوارها مطاعم للتلاميذ ياولون هناك جيداً بشئ  
بخس كما يعلمون جيداً

وزاد عدد هذه المطاعم في أوروبا في العهد الاخير ولا سيما في انكلترا والسويد  
والنرويج وسويسرا والمانيا وفرنسا بسبب كثرة المدارس التي يتعلم فيها الفتيات فن الطبخ  
وتدبير المنزل فيماتين صنع الزان الطعام ليتمكن بالعمل وكل ما زاد منه ترسله ادارات  
المدارس الى مطاعم انشأتها في الجوار لتبتاعها العملة والماملات ولا سيما العاملات بشئ قليل  
ولا تتوخى معظم تلك الشركات والجمعيات الربح من تأسيس مطعم الشعب وقد  
رأت بعضها ان تحدد القدر المقتضي لرأس المال من الارباح وما زاد عنه وهو قليل ايضاً  
يستعين به على انشاء مطاعم أخرى في احياء أخرى او مدن أخرى . وكانت انكلترا بدأت  
تانشاء هذه المطاعم على عهد كانت الملكة فيكتوريا اميرة دي غال قبل توليها عرش

اجدادها فتحت هي وزوجها المطعم بيدها وأكلت منه وجبة كفتها اربعة بني ونصفا ( ٤٥ سنتيا ) ثم كثرت المطاعم على هذا النحو في انكثارا واكثرها لا يكاف زيادة عن نصف فينك كل وجبة تحتوي على بقول ولحوم وجوز من لبن

وفي المانيا جميعات كثيرة من النساء انشأت في أمهات مدن الالمان ولا سيما الصناعية مطاعم كثيرة تكلف الوجبة فيها اربعين سنتيا والطاهيات والخدمات هناك من النساء . وقد انشئ فيها محال لبيع اللبن والشاي والزبدة والقهوة بانها رخيصة . فوم أ مال انحل التي بيع المسكرات . وفردت المانيا وحدها إنشاء مطاعم لمرضى الباقين تقدم اطيب الاطعمة بحسب وصية الطبيب بأثمان لا تزيد الوجبة منها عن ستين سنتيا . والفضل في ابتكارها أولا كعمل كرومب المشهور ثم عمت هذه الطريقة معظم اقطار المانيا

وللنساء السويسريات يد طوف في انشاء مطاعم للتعب . ومن جهة الفنادق التي انشأتها فنادق ينتم فيها المرء وبأكل ويشرب ولا يدفع أكثر من ثلاثة فرنكات ونصف وتري فيها النظافة على أتم ما يمكن ان يكون والمواد جيدة ولا تجد في معظم هذه المطاعم أنرا للمشروبات الروحية وفي بعضها محال للطالبة والتسلياة المشروعة . وقد نجحت مطاعم الشعب في ولايات فرنسا أكثر من نجاحها في باريز لغلاء الاجور فيها وارتفاع اسعار مواد الاجور وثبت بالاستقرار اليائسين انه لا يتأتى اطعام شاب في مطعم طهاما كافيا بأقل من فرنك واحد سنتيا انى فرنك وربع

ويرى بعض الاجتماعيين ان مطاعم الشعب يجب ان لا تحصر عملها في اطعام الطعام الجيد للفقراد من يتنوبها بل ان تقدم وتربيهم وأن لا يكتفى فيها فقط بحظر بيع المشروبات الروحية بل ان يستعاض عنها بالاشربة والحلواء الحللة الصحية ما ينسى منها الذين اعتادوا تناول الاكحول ان لا يعادوا احتساءها . والسكر احسن مودة للحرارة في الجسم ومعين على الهضم ولذلك رأيت المانيا ان تدفع كل يوم ستين غراما من السكر لكل جندي يتناوله مع الماء والقهوة والشاي . وان البلاد التي لا يطيب لها حريتها ان تغلي الماء على النار في الاوقات التي لا تستغنى بها وتزجه بقشر البرتقال أو الاقحوان فاذا جاء المستطعمون يتناولون منه فيحصلون فيه سكرًا او يكرهونه صرفًا وهو يفنيهم عن كل شراب ويثبط اجسامهم . وظهر من فوائد مطاعم الشعب ان الامراض كانت تقل بين من يعضون فيها لانهم يكرهون على غسل ايديهم قبل الجلوس الى الموائد . ومعلوم ان طريق القم هو الوسيلة العظمى في الدوى من الامراض ولا سيما امراض الاصفر فكان من هذه المطاعم ان علمت المختلفين اليها ان يطهروا ايديهم سواها او كرها .

هكذا يحمل النريون وعلى هذه السنة جرى بعض التزلة اليونانية في الاسكندرية منذ اشهر فتحققوا مطامح لامتهم يصرف فيها القليل وينتفع فيها بالجزيل . قبل لافراد في امتنا ان ينهضوا بدافع الشفقة على مثال الامم الناهضة فيؤسسون مطاعم لثباينين ولا سيما في المعاصم ومدن الاقاليم الكبرى حيث انغلاء ضارب بجرائنه بما يعد معه ثلاثة اكبر مدينة في اوربا رخصاً وسمه

### آداب الجرائد

كتب الدكتور رنيول في مجلة مستندات الترقى مقالة في الجرائد السياسية . آتينا قال فيها وهو يقصد في الاكثر صحف فرنسا : ان المربع اختياره في الغالب على المطالعة جريدة من الجرائد تطلع على الشؤون السياسية والحوادث المتنوعة والعلم والآداب . على كل مطلب من المطالب اللازمة ولذلك كانت الجرائد في المهدبة المعطى للامة الا انها تشمل ما لها من التأثير في الشراحيات فمن جرائدنا من جعلت منها الوحيد لفت الانتظار الى مطالعتها في هذا السبيل كل شيء فتدعو من اجل ذلك اشرف المواطنين ومقارناتها الى شهورات ضارة فتهمل الوطني مهوساً والمؤمن متطرفاً والمتسامح مبتدعاً والمنتخب المتعقل سياسياً ناقصاً وتوقد نيران التباعد بين الاجناس والعبءات والاديان والآراء وبفضل الجرائد نقسم الامة الى شطرين متعادين يوشك ان يحمل احدهما على الآخر في المسائل العادية كاعادة النظر في احدى القضايا

هذه الجرائد تعظم الحوادث الساذجة لتستكثر من القراء . ان دعت الى الاجتماع لسباق الخيل تغلب علم التروسية ظهراً الى بض وان احبت عقد مؤتمر من التجار تضاعف ثروة الامة عشرة اضعاف ما هي عليه وان اقترحت الاحتفال بسباق السيارات تزعم انها احبت هذه الصناعة . نعم هي تدعي أيضاً انها تظهر المحكوم عليهم من الارباء ونشهر الصناعات السامة وتشرف على المطاعم المشوشة .

للاستكثار من القراء تقيم الجرائد - ابقات صحيفة فهي تفتتح عدة حبات النسخ الموجودة في زجاجة وان تحزور الكلمات المحذوفة من روفوف ( قصة في اسفل الجريدة ) تافه وان يثر على كثر مخبوءه في احدى المتنزهات العامة وذلك بان تملن بانها ترفع جوائز تقدرها بمئات الالوف من الفرنكات . هي تعمل ذلك ولا حرج عليها لانه لا يمكنها غير الوعد فاذا ما انحس الاشكال المطلوب جله فلا يكون الا على يد شريك لها تقاسمه الرجحان ولا تعطيه منه شيئاً

لأنجل ان تحب الجرائد الى الناس قراءتها تنرس فيهم الميل الى قلة الرصانة ومما



اللقو والديث فتقص عليك كيف ان احدى المثلثات تلبس قفازيها ( كنفوها ) وتركب في المركبة وتذكر كل تفصيل عن غانية اشتهت وتورد لك اسماء اشأم الاشرار مورية انهم من الابطال تستجلب عليهم الرحمة وتقاضهم بمناية . لا كثار هذه الجرائد قراءها تستخدم رقة القلب الكاذبة في العامة بان تأتيهم بحوادث غريبة متنوعة ومدهشة تقيم وتقدم . فان مخبري الجرائد يجتمعون كل مساء في القهوة فاذا لم تحدث في المدينة حوادث خصام ولا توقيف احد بالقوة ولا اقتحار ولا فجائع عشق ولا غيرها مما يقضى عليهم ان ينشروه في جرائدهم يجترعون شيئاً منها بالاتفاق بينهم اتفاقاً لا يخرج احد عنه

هذه الجرائد تدعو الناس الى قراءتها بنشر انباء الاكتشافات الكاذبة والمبالغة في رفع اقدار ادعياء العلم الى السما كبن وثقافى الخدائدين المخطئين والموسيقين الساقطين . نعم هي تساعد على نمو الفساح مدعية انها مولعة بالحق ولكنها تخرز من اثاثها اذا كان فيه مس احساس بعض الشركات الكبرى . وحدث ما شئت ان تحدث عن تلغفها في ذكر تقابلات باعة الخمر فهي تشوق من ذكر اسم سكير و تميمض عنه عند ما يأتي في باب الاخبار للثورة بلطف النضوب او فاقد الصواب

ومضى التلخت تلك الجرائد بكثرة مواد قرائها لا تستكف من بيع اعمدها للاعلان عن ارباب الموهبات وبائعي السميات والاصوص . لا تراعي فيما تنشر إلا ولا ذمة ما دام امنلون يدفعون لها اجور انلا تتهر . وليس احسن من الجرائد للرفيق الايض يطلب على لسانها احدهم على حفة انه رجل في بلد بعيد يريد فتاة لتكون في بيته وصيفة او معة او مؤنسة فاذا حملت اليه لا تجد المسكينة غير يوت الربة تنتظرها وكذلك الحال في التجرات بالاعراض من النساء فانهم يعمدون الى الصحف فيصنعنها وسيطة بينهم وبين زبنهم مقترحة بانهم يعطون دروساً في اللغة او يعرضن تحفاً ونفائس .

ولقد يجمل باعة الترياق والادوية الشافية من الصحف واسطة لممارسة طيبهم ولا ينالهم عقوبة فيوصون باستعمال العقاقير الفارة مثل خلاصة الثيرويد والمسهلات السريعة وغيرها . وكذلك يفعل المالبون فيها للاعلان عن مسائل لم تحوي في مطاوعها الفش والخذلية وتخرب بيوت السذج من الناس .

وكثيراً ما تبلغ الحال بتلك الجرائد ان تهدد بعض الناس او يرضونها باتريد ونشر خبر فضيحة وقعت واعدة ان تأتي من القد بشرح واف على ما جرى والله اعلم متى يجي هذا القد اذا خف اليوم المفضوح فرشاهم ليسكتوا

ايها القاري انك اذا ابغيت الجريدة الفلانية تعتقد بانها لا تكلفك غير فلس واحد فانزع

هذا الوهم من نفسك فكثيراً ما يكون منها اضرار بصحتك وثروتك وشرفك فما تدفعه من ثمنها يجعلك شريكاً لها في جرائمها .

ولقد سرى فساد هذه الجرائد ولصوصيتها في الاخلاق حتى ان القوم لم يعدوا يفكرون في لومها . ولما اتهم في قضية برزخ باناما اناس من مشاهير كبار رجال السياسة طالب الصحافيون منهم باجرة المقالات المنشورة كأنهم يطالبون بحق ولكن تلك المبالغ التي قبضوها تجاوزت الاجرة المعتادة بما لا يقال .

هذا والحكومة تعين الجرائد على ما هي في سبيله فهي لا تكتفي باعتمادها مبالغ المال سراً بل توافقها على جميع مطالبها فتساعدنا حين الحاجة بمجدها لتستخدمها اعلاناتاً عن نفسها وتضع قسماً من اسطولها تحت امر ارباب الجرائد ليحملوا صفة رسمية لسباق القوارب الذي يقومون به وتسحب الحكومة يانصيب باسمها اكراماً للمصنف . قال لي احد مديري الجرائد ذات يوم : انا لا ادعو الى الفنون ولا الى الآداب ولا الى العلم اني تاجر وأريد ان انظر في مصليتي وما جريدتي الا حائط يملق اعلانه عليه كل من يوزدي اجرتي . قال هذا ولكن فاته ان هذا الحائط متحرك يدخل في كل مكان ويزيد عدده الى مالا نهاية له ويبع منه القاري . فانت ايها الصحفي مسم لمقول العامة لا نقل في غررك عن ذلك البدل الذي ينشأ الماكولات .

سأل احد كبار اغنياء الاميركان ذات يوم عن احسن الطرق التي يتيسر له ان يصرف فيها جزءاً من ثروته في عمل خيري ولو سمع مني لأرى حاجتنا ماسة كل المساس الى تأميس جريدة سياسية ذات وقار وحشمة واعني بها جريدة نقول الحقيقة ابدأ اوما تمنقذ انه الحقيقة ولا ننشر الا الاعلانات التي تعترف بصحة ما فيها



## مدور المتنبس

نحمد الله على ان وقفنا الى الجري على سنة انمو الطبيعي في هذه المجلة وهدانا الى سبيل التسهيل في التنبس التوائد واقباسها جهد العاقبة على صورة مقبولة في الجملة ولم يزين لنا الخوض الا فيما دونهنا واعتقدنا فيه الضياء . ونشكر لما آزرنا من اهل العلم وحمله الاقلام الذين جعلوا من المتنبس مباءة لبنات افكارهم وخزانة خلاصة ابحاثهم كما نشي على من نشطونا على اطراد الخطه التي سلكنها ونوهوا بها ولا سيما تلك الفئة الفاضلة العاقلة من علماء المشرقيات من الغربيين سواء كان بنا نشرهم في مجلاتهم او بنقلهم بمكاتبتنا بما يشف عن حسن ظن بصدقنا وفضل ادب فطرت عليه نفوسهم . ولقد لقينا في عامنا هذا من اقبال اقراء في كل قطر نقام فيه للمرية سوق ما اغبطنا به فزاد الطلب على الدنتين السالنتين حتى اضطررنا الى اعاده طبع عدة اجزاء كانت نفذت من عندنا فاستقام بذلك حسابنا ووازي البخر لخرج في نفقات الطبع والنشر

ونرجو من المشتركين ان يمدرونا على اسراعنا في اصدار الاربعة الاجزاء الاخيرة من السنة الثالثة دقة واحدة . فقد اضطررنا بسبب ارتفاع الضغط عن العقول وانتشار حرية المطبوعات في البلاد المثانية الى مفادرة هذا القطر السعيد وسيصدر المتنبس ان شاء الله في غرة المحرم القادم من مدينة دمشق قاعدة بلاد الشام بعد ان صدر في عاصمة القطر المصري ثلاث ستين آخذين على النفس ان لا نجد قيد شهر عن الخطه المرسومة فنصرف العناية في تجميع المسائل بقدر ما تسمح به الحال وتقدير الموضوعات التي تفيد وتلد . وفي الختام نودع وادي النيل ونهدي سلامنا لاهله عليهم الله علماً يحفظون به كيانهم ويطي بين المتحضرين شانهم . ونستغفره عز سلطانه عما عطف به القلم وزلت به القدم انه اكرم مسؤول



## فهرس الجلد الثالث من المقتبس

صفحة	صفحة
١٤٢	(١)
٤٠٩	٢٢٦ ابن المقفع - رسالته في الحماية
٢٩٦	٦٠٥ ابوبكر الرازي
١٣٢	٧٠٠ ابودلامة والمستقبل
٥٣١	٥٩٧ ابرالملاء المعري
٢٩٦	٧٥ الاحسان العام
٦٨	٨١ و٦ الادب الصغير
٥٩	١٤٢ اديسون - مخزائنه
٥١٩	٦٦٤ الاذواق - تحسينها
٥٢٧	٢٨٥ الارق
٤٠٩	٤٨ الاسبرانتو
٢٩٥	٤١ الامرة
٢٩٥	٥٣٧ و٦٠٩ الاسلام - الحسبة فيه
٦٦١	٥٩٧ الاسلام روح المدنية - كتاب
٢٩٣	٤٠٧ آسيا - التثليل فيها
٥٢٩	٥٧ الاضداد - كتاب
١٣٥	٦٦٢ الاطباء - وفريتهم
١٤٣	٤٠٨ الاطفال - جداتهم
١٤١	٥٣٢ الاطفال - رعايتهم
٢٩٠	٢٩٦ الاطفال - محاكلهم
٧٦	٥٢٨ الاعشاب والصور - اكلتها
٣٥٧	١٣٠ الاعلام - تحريفيها
٦٣	٣٥٦ اغلام الموقعين - كتاب
٧٩١	٢٨٦ اغنى كلية
٥٢٧	٢٩٥ افريقية - الجراد فيها
٧٣	٢٢٤ اكبر باخرة
١٤٢	
٤٠٩	
٢٩٦	
١٣٢	
٥٣١	
٢٩٦	
٦٨	
٥٩	
٥١٩	
٥٢٧	
٤٠٩	
٢٩٥	
٢٩٥	
٦٦١	
٢٩٣	
٥٢٩	
١٣٥	
١٤٣	
١٤١	
٢٩٠	
٧٦	
٣٥٧	
٦٣	
٧٩١	
٥٢٧	
٧٣	

صفحة	صفحة
(ت)	٦٩ الانسان . غذاؤه
٩٥ تاريخ ابن الساعي	١٤٢ الانسان والمحيط
٣٥٦ تاريخ آداب اللغة العربية . كتاب	٤٧٥ الانشاء المصري . كتاب
٤٥١ التاريخ . اقسامه	٢٠ انكلترا . تفتحها
٥٩٥ تاريخ الامم والملوك . كتاب	٢٢٤ انكلترا . الزراعة فيها
١٣٣ التأني . مدحه	٧١ الاولاد . تنجيلهم
٥٣٥ تأويل مختلف الحديث . كتاب	٥٨٧ الاولاد الفاسدون
٧٢ التجارة . اعمالها	١٣٢ الابدي العمل بها
٥٨٩ التربية الحرة	١٣٦ ايطاليا . الاعمال فيها
٤٧٤ الترغيب والترهيب . كتاب	٦٠ الايمان . كتاب
٤٧٣ تركستان . سياحة فيها	(ب)
٥٩٥ التصنيف والتعريف . كتاب	١٣٤ البترول
٢٩٢ التصوير البارز	٢٩٢ البترول . مناجه
٦٩ التصوير عن بعد	٦٤ البحرية الالمانية
٢٨٤ التعليم والذكاء	٢١٧ البدو والتاريخ . كتاب
٢٩١ نفاحة هائلة	٥٢٧ البرنسنت
٢٨٥ النفوزين	١٤٣ بغداد . سكنتها الحديثة
٢٨٤ و٦١ تقرير المجمع الشمسوفي السنوي	٧٨٨ بنية الوطة في طبقات الفويين والنجاة
٤١٥ تقرير مصر والسودان	١٣٤ البقاع . اشدها حرارة
٢٨١ تقويم المؤيد . كتاب	٢٣٠ بلاغات النساء . كتاب
٦٧ تلقون جديد	١٢١ البنات . تهذيبهن
١٢٧ التليذ . رسالة	٦٤ البن . حالته
٥٢٨ التامسج والنوام	٢٩٤ البواخر . سرعتها
٦٢ التخمعة	٧٥ بولونيا . الاميون فيها
٧٩٤ التثيل للاولاد	١٣٣ البيض
٥٣٠ التنويم والجرائم	٧٧٤ بين العرب والفرس
٧١ الثوراة . ترجمتها	٦٣ البيوت القريبة

صفحة	صفحة
٢٨١	توفيق المواد النظامية . كتاب
٢٢٤	تونس . تجاريتها
٤١١	ثلاثة علماء ( ث )
٧٩٧	الجرائد . آدابها ( ج )
١٤٢	الجرائد الاميركية
٥٢٨	الجرذان . ابادتها
٧٠	الجزائر والعصراء
٦٥	الخطاطي . افنته
٤٧٦	الجمعية الخيرية الاسلامية
٤٧٧	الجنسان . تربيتها
٥٩٣	الجنسان . سرها
٦٦٢	الجوع . المداواة به
٦٩	الجوهر . تلويحه
٥٣١	الجيب . مكتبته
٧٩٤	جيش المتفردات
١٤١	الجيش . ثقافتها
٧٣٢	الحفاظة والحفاظ
٣٥٨	الحروب . جمعها
٧٨٩	الحضارة . تاريخها . كتاب
٢٧٤	حكم متنوعة
١٣٢	الحكومات والاوبرات
٧٦٨	حكومة الثوري في الملكية العثمانية
٢٩٥	الحى التيفويديدية
٥٢٥	الحى . المدوى منها
٣٣٨	الحامسة البصرية . كتاب
٢٥٠	حماسة الخالدين
٥٩٢	حملة وحمص
٦٦١	الحويات . ديوان
٧٣٣	الحواس . تربيتها
٥٥	الحياة الاجتماعية وسلاسلها
٢٢١	الحياة . قوتها في البناء
١٣٥	الحيوانات البائدة
( خ )	
٥٢٧	الخادعات الفرنسية
١٥	الخاصة والعامة
٢٩٢	الخشب . اليافه
٧٧	خطب ومحاضرات
٦٨	الخطوط الحديدية . حوادثها
٧٩٠	خوزستان . آثارها
٥٣٣	الخيل
( د )	
٤٣٧	الدخان . سمه
١٥٨	الدخان . مضاره
١٧٨	الدرة البيضاء
٦٦١	الدرر السنية . ملحة
٤٧٤	دروس القراءة . رسالة
٢٨٢	دليل السلام . كتاب
٧٣٤	الدموع . فائدتها
١٢٩	الدمادسة . عجم
٦٩	الديكتوغراف
٢٩٠	الدين الاسلامي والفن
٢٢٣	الدين . دعائه

صفحة	صفحة
٦٨ السنن . اتقاها	٣٥٦ ديوان الخليل . كتاب
١٤٣ السكبرون . مقاومته	( ذ )
٣٥٩ السلك البرقي النظار	٥٣١ الشعب الايض
٤٧٠ السلم . الدعوة اليه	( ر )
٢٢٣ السجاء . حجرها	٢٥ رب اسرائيل في جزيرة أسوان
٦٨ سماعة . جديدة	٦٦١ رحلة ابن جبير . كتاب
٥٢٩ السمك النافع	٤٦١ رسالة رشيد الدين الطوطا
٢٩١ سمن قديم	٥٣٦ رسائل الفناء . كتاب
١٣٣ السياح ونفقاتهم	٥٧ رسائل القناري . كتاب
٢٨٢ سياحة في البيت . كتاب	٦٠ الركسية . رسالة
( ش )	٤٧٧ روسيا . ثروتها
٥٣٢ الشباب . اطالته	٤١٠ روسيا . المعارف فيها
٥٨٧ الشعب . تعليمه	٤٧١ الروض . وقفة فيه
٧٧٥ و٩٤ الشعب . مطامحه	١١٢ و٥٥٥ و٦١٨ و٦٦٩ الرومان
١٦٩ الشعراء . كرامهم	٥٢٦ رومية . فيفساؤها
١٣٨ الشعراء . زهم	٢٠ الرياضة المحقولة
٥٠٢ الشقاء . غاؤه	( ز )
١٣٦ الشقاء . افكار فيه	٢٩٢ الزنج والى
١٠٧ الشقاء . القضاء عليه	٦٦٢ الزواج . اوقاته
٢٨٥ الشمس . بعدها	٢٩٤ زوجان مصران
٢٨٣ شورا . مجلة	٣٥٨ الزمن . مصوره
( ص )	( س )
١١٨ الصديق المضاع (قصيدة)	٢٧٩ الساعة (قصيدة)
٢٠٦ و٢٤٢ الصنائع الاسلامية	٥٢٦ الساعات . تصليحها
٤٥٥ الصين . اصلاح التعليم فيها	٣٥٩ السخاء الاميركي
٧٠ الصين . الدين فيها	٥٩٦ سر تقدم الانكليز السكسونيين . كتاب
١٤٠ الصينيون . واليابانيون	٦٦٤ السعادة . ودرسها

صفحة	صفحة
العلم وقف عليه ٢٩١	(ض)
العلوم . الاختصاص فيها ٩٠	١٣٤ الضرائب والموظفون
العمدة . كتاب ٣٥١	(ط)
العمر . قدره ١٤٦	٦٠١ الطالع السعيد
العملة ١٣٩	٧٢٠ طبقات الاطباء
العملة . أُنديتهم ٥٣٣	١٢٨ الطرف الادبية . كتاب
العيان . طباعتهم ٦٧	(ع)
الميش . بسطته ٣٥٩	١٣٣ العالم . جرائده
(غ)	٤١١ العالم . حبه
الغرب . مجامعه ٣٨٦	٣٦٠ العالم . حركته التجارية
الغرب . المنازل الرخيصة فيه ٥٠٧	٣٥٨ العالم . لغاته
غرفة ساكنة ٥٢٦	٣٧٣ العامية من الفصحى
غلاء المنازل ٧٩٣	٨٩٤ العامل العظيم
غياث الامم . كتاب ١٣٦	٣٧٠ عبد الحميد الكاتب . رسالته الى
(ف)	والكتاب
الفتوة والفتيان ٣٤٨	٢٩٧ عبد الحميد الكاتب . رسالته في نصيحة
الفحم الحجري ١٤٣	ولي العهد
فراش موسيقي ٥٢٩	٣٦١ عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى
٥٧٩ و٦٥٤ الفرائضة وجيرانهم	٢٩٢ صداد جديد
فرنسا . ضرائبها ٧١	٦٦٠ العرب قبل الاسلام . كتاب
الفقراء . اولادهم ٧٠	٥٦٩ العرب . ما كلهم
الفقر والسقام (قصيدة) ٣٤١	٢٨٨ العظلاء . ما كلهم وشاربهم
الفقير . مطبخه ٣٢	٦٦٠ عفة الاولاد (كتاب)
الفلاحة . مدارسها ٣٦٠	٥٩٦ عقود الجوهر . كتاب
الفلاحون . تعليمهم ٥٢٩	٥٠ على رمل الاسكتلندية
الفلاحة . اعمالهم ٦٦٣	٤٠٦ غم الاجتماع . مستقبله
فلسفة العمر . كتاب ٦٦٠	٧٥ العلم والايمان



صفحة	مصحف
١٢٨ الكون والمبعد . رسالة	٤٧٥ فن الرسم . رسالة
١٠٢ كيف كانوا يسبقون	١٣٨ القولاذ والحديد
( ل )	٢٩١ القيوم . مدرسة صناعية فيها
٤٧٤ لامساية . رسالة	( ق )
٢٢٩ الباب . مجلة	٤٧ القرى والمدن
٧٩٢ اللبن الحليب	٦٦٤ قرطاجنة . ثنائيلها
٧٦ اللبن . معاملة	٤١٧ القصاص . غرائبه
٢٨٠ للشرق (قصيدة)	٢٧٩ القطب الشمالي . الاكتشافات
٢١٤ اللغة والسجيل	الحديثة فيه
٢٨٠ اللغة مبادؤها	٢٩٣ القسط والكلاّب
٥٩٨ التروميات . كتاب	( ك )
٥٩٨ ليالي مطيح . كتاب	١٣٩ الكبرياء وما يشربين
( م )	٣٧٢ و٤٥٧ الكتاب
٥٢٦ الماء . جردانه	٧٩٣ الكتاب . اجورم
٥٣١ المالاير . الجمال عندم	٢٩٤ الكتابة آلة لها
٥٣٢ الماذاشيون . اخلاقهم	٦٨ الكتب . أهمها
٥٩٦ مباديء الاقتصاد السياسي . كتاب	٧٢ الكتب . تجارتها
٢٨٠ مباديء اللغة . كتاب	٢٢٤ الكتب . تطهيرها
٣٥٩ مبرة مصرية	٣٥٩ الكتب . رواجها
٣٢٩ القهقمان المصريان	٤٧٢ الكشككة . اساقفتها .
٥٦٨ مشيات شعرية	٦٤ كريت . تجارتها
٦٦٥ المجلس العمومي (قصيدة)	٤٢٥ كشف الستار . رسالة
٢٨١ مجموعة خطب	٢٩٥ الكلاّب والكلاّب
٢٩٢ مجهر جديد	٤٤٤ انكلام . تهذيبه
٦٨ المحار . عدوه	٤٥٤ كلمة معتبر (قصيدة)
١٢٨ محرر الاقفاط العامية . رسالة	٧٢ انكليات . قفاطها
٥٣٠ مخفر جديد	٧٥٢ انكس

صفحة	مصحف
٢٨٣	٦١ مخطوطات اسبانية • كتاب
٨٠٠	٢٩٣ المخطوطات • حفظها
٤٧٥	٤٧٦ مدرسة الفنون الجميلة
٧٣٥	٥٢٩ مدفع سريع
٧٩١	٧٦ المدنية الحديثة
٧٣	٢٩٤ مرض جديد
٧٨٢	٥٢٨ مركبة فضية
٥٢٦	٥٦ الزهر • كتاب
١٣٨	٥٩٩ المسألة الاجتماعية والمدرسية في سورية
٣٦٠	٢٢٣ المستعمرات الفرنسية
٦٦٧	٢٥١ و٤٢٤ و٤٩١ المسلمون والدميون
٦٠	والمعاهدون
٥٢٥	١٣٤ المسكرات
٣	٧٤ المسكرات • اخطارها
٥٣٦	٤١٢ الموسيقى والحيوانات
٧٩٣	٢٩٤ مصر • خسائرها
٤١٢	٥٨٨ مصر • الزواج فيها
٤٨١	١٣٣ مصر • التعلم فيها
( ن )	٧١ مظاهر جديد
٢٨٤	١٤١٠ المطبوعات الاشتراكية
٤٧	٣٥٩ المعارف • ناد لها
٦٢	٤١٤ معجم الادياب • كتاب
٢٩٠	١٦١ المعتزلة
١٤١	٧٣ المتوهجون
٥٢	٦٦٤ معدة غريبة
٢٨٦	٤٧٦ معدن جديد
٧٩٣	٧٤ البيئة • غلاؤها

صفحة	صفحة
١٤٨ ويل للمطففين . رواية	٥٩٨ النظرات . ديوان
« هـ »	٢٢٣ التمام . مزارعها
٢٩١ هبة محمود	٤٧٦ النفط . ورق من ترابه
٣٥٥ حملت . رواية	٦٦٠ نور اليقين . كتاب
٦٦٣ الهند الانكليزية	٧٨٥ نهضة الامة وحياتها . كتاب
٣٥٨ الهند . يريد	« و »
( ي )	٥٣٢ وادي موسى
٣٩١ يابان . اطباؤها	٦٧ ورق التمرد الطبي
٢٩٠ يابان الثقاب فيها	٦٦ الوقاذون . نظرم
٧٦ اليابان . سياحة	٤٧٦ وقف خيرى
٥٢٨ يابان . الصينيون فيها	١١٦ وقفة في الاجداث « قصيدة »
٢٠٣ يتيمة ثانية	٤٧١ وقفة في الروض « قصيدة »
« نمت »	٦٦٣ الولايات المتحدة . عناصرها





